

مطبوعات المجمع العلمي العراقي

الفِراتُ الأوسط

رحلة وصفية ودراسات تاريخية

تأليف

الوالد الموسيل

ترجمة

الاستاذ عبدالمطلب عبد الرحمن داود

الدكتور صديقي حمدي

مراجعة

الدكتور علي محمد التايح

مضو المجمع العلمي العراقي

الدكتور صالح احمد العلي

رئيس المجمع العلمي العراقي



تقديم

انه كتاب «الفرات الاوسط» هو أحد الكتب التي اختارها المجمع العلمي العراقي لتنقل الى العربية تحقيقاً لأهدافه .

وقد الله الوا موزيل، وهو بحاثه جيّ وسلوكاكي ولد في سنة ١٨٦٨ وأجاد ومارس الحياة الاكاديمية دراسة وتدرّسا وأجاد لغات اهل البلاد العربية القديمة ، واتقن اللغة العربية قراءة وحديثا ، واستوعب ماكتب فيها وخاصة عن تاريخ وأحوال المناطق الواقعة في شمالي نجد ، والاردن وبادية الشام والفرات الاوسط ، ولم يقصر حياته على قاعات الدرس ومكتباتها المحصورة، وانما عمل على مزج العلم بالعمل ، وعلى فحص شخصي دقيق للمناطق التي عني بدراستها ، محاولا بذلك تحديد موقع المعالم التي ورد ذكرها في المصادر وتحديد اهميتها التاريخية ، واقتضاء تحقيق ذلك القيام بعدد من الرحلات امتدت قرابة عشرين سنة ، بدأها في سنة ١٨٩٦ برحلة علمية الى جنوبي الاردن ، في المنطقة التي كانت تسمى عند الاقدمين «العربية الصخرية» التي ينحت اهلها من الجبال بيوتا وامتدت رحلته في دراستها الي سنة ١٩٠٢ ، ثم اعقبها في سنتي ١٩٠٨ و ١٩٠٩ برحلة الى بادية الشام وتدمر ، واتبعها برحلة ثالثة ارتاد فيها الاطراف الشمالية من الحجاز ، ثم عاد في سنة ١٩١٢ الى ارتياد المنطقة المتّمة في شرقي تدمر وأواسط القرّات ، وفي سنة ١٩١٤ — ١٩١٥ قام برحلته الاخيرة التي ارتاد فيها بادية السماوة والاطراف الشمالية من نجد . وقد أناحت له رحلاته دراسات ميدانية عززت مكاتبتها اجادته اللغة العربية ، وافاقه السكّرية الواسعة التي امتدت الى الاهتمام بالمعالم الطبوغرافية والآثارية ، وبما في البيئة من ظواهر نباتية وبشرية ، ويسرت له استقامته واماتته واخلاصه في تحري المعرفة من اجل العلم والاتصال بأهل المناطق التي زارها وكسب ثقتهم والافادة من معلوماتهم في ضبط تسمية المواضيع ووصف الاحوال ، فأضافت اني ما تميز به من دقة الملاحظة ، وسعة الافاق ، وغني المعلومات ، وعمق التفكير ، وشمول المعرفة ، والاتزان في

في الحكم ، وسجل ثمار معرفته في كتب أفرد لكل منطقة منها مجلدا خاصا ، شملت « شمالي نجد » و « شمالي الحجاز » و « العربية الصحرية » (بلاد الانباط) و « الصحراء العربية » (بادية الشام) و « القرات الاوسط » ، وخص بمجلد ضخيم خاص « الرولة » وهي عشيرة من عنزة تقيم في اطراف الاردن ، فوصف احوالهم وعاداتهم وتقاليدهم .

وقد قامت الجمعية الجغرافية الامريكية بطبع معظم كتبه بالانكليزية في نيويورك بين سنتي ١٩٢٦ و ١٩٢٨ وظلت منذ صدورها مرجعا معتمدا واساسا لكل دراسة متصلة بالمنطقة ، ولم يظهر اي كتاب عن المنطقة يدانيها او يحل محلها ، ولم ينقل منها الى العربية الا بعض كتاب «شمال الحجاز» .

وكل هذه الكتب تجري على نسق واحد ، يخصص القسم الاول منها لوصف المنطقة التي يبحثها وصفا دقيقا مستوعبا ، ويورد في القسم الثاني المعلومات التاريخية لبعض المواضع الواقعة في المنطقة التي يدرسها ، فيورد كافة ما يتيسر عن المواضع من المعلومات المذكورة في النقوش البابلية والاشورية والكلدانية ، وما في كتب الاغريق والرومان ، والآراميين والسران ، ثم ما في الكتب الجغرافية والتاريخية العربية المؤلفة في عهود الازدهار الاسلامي ، ثم يعقب ذلك بما ذكره الرحالون المحدثون . وقد امتنع المعلومات في الكتب التي توفرت له ، فكون منها صورة صادقة قد تغنيها ، ولكن لا تبدلها ، المصادر التي طبعت حديثا بعد ظهور دراساته .

وافرد في كل كتاب بحث حدث مهم في التاريخ العربي متصل بتلك المنطقة ، فاستوعب المعلومات التاريخية عن ذلك الحدث وفصل في دراسة اسسه الجغرافية واثرها في سير الاحداث ، وناقش الدراسات التي كانت معتمدة في حينها ، وخاصة دراسات الامير ليوكايتاني ، واستنبط من كل ذلك نتائج تثبت او تعدل او تصحح الروايات العربية المتباينة عن ذلك الحدث .

وصف موسيل الاحوال الجغرافية والعمرائية التي كانت قائمة عند زيارته لها ، وضبط أسماء المواضع التي ذكرها بالتلفظ الذي سمعه من اهلها ، ولذلك فان كثيراً من هذه الاسماء تختلف عن اللفظ المتداول في الكتب العربية ، وبرز ذلك في استعماله « ك » مكان « ق » و « ج » مكان « ك » وقد رأينا ان ثبت اللفظ الفصحى الشائع مكان اللفظ المحلي الذي ثبته .

ثم انه في ترجمة النصوص العربية القديمة استعمل تعابير لها حالياً مفهوم محدد جغرافياً يختلف عن المفهوم المذكور في الكتب العربية القديمة . ومن امثلة ذلك استعماله تعبير « القنوات » لما كان يسميه العرب « انهاراً » ، واستعماله « المستوطنات » (Settlement) مقابل ما يسميه اليوم « المدن » و « القرى » ، وقد آثرنا استعمال التعابير الواردة في الكتب العربية التي قد يختلف مفهومها عما هو سائد حالياً .

ان المعلومات الواردة في الكتاب تصف ما كان قائماً في السنة التي حدثت فيها الرحلة ، ومن المعلوم ان تسميات واحوال كثير من هذه المواضع تبدلت بالتبدل الواسع الذي حدث في الاحوال العامة للبلاد ، وقد آثرنا إبقاء وصفه وتسمياته لانها تعبر عن الاوضاع في حينها ، ونحن نعتقد ان القارئ يدرك ذلك ، علماً بأنه لا تزال نعوزنا الدراسات والخرايط المفصلة عن الاوضاع الحالية .

ان المجمع العلمي العراقي باختياره كتاب « الفرات الاوسط » اذ ينقل الى العربية ، يدرك اهمية معلوماته وسعتها والتوازن في عرضها ، فانه يبحث منطقة واسعة من ارض العراق ، وهو جدير بان يطلع عليه ابناء الامة لانه يدون ذخيرة من المعلومات تفيد الباحثين في الاحوال المعاصرة ، وتلقي ضوءاً على المواضع المذكورة في ثنايا حوادث الماضي ، وهي تقدم انموذجاً للبحث المتزن الدقيق يمكن ان يكون قاعدة صلبة للابحاث التالية ، ومثالاً يحتذى لدراسة المناطق الاخرى في العراق والوطن العربي .

وقد شارك في ترجمة كل من الدكتور صدقي حمدي الذي نيطت به
ترجمة القسم الاول من الكتاب ، الاستاذ عبد المطلب عبد الرحمن الذي
ترجم القسم الثاني من الكتاب • ومن اجل توخى الدقة والضبط فقد دقق
الدكتور على محمد المباح ترجمة القسم الاول ، ودقق الدكتور صالح احمد
العلي ترجمة القسم الثاني ، ولا ريب في ان الفضل الاول يرجع للمترجمين
الذين بذلوا جهداً يستحق التقدير في التنسيق بين دقة الترجمة ووضوح
العرض ، ونرجو الله ان يوفقنا لمتابعة العمل في نشر « الامهات » من الكتب
التي توضح معالم بلادنا وتاريخها ، والله من وراء القصد •



مقدمة المؤلف

انّ الكشف التي قمت بها في وديان بادية الشام في عامي ١٩٠٨ و ١٩١٢ اوصلتني الى الضفة اليمنى من الفرات الاوسط ، التي اتبعتها اثناء رحلتي عام ١٩١٢ (١) ومما حفزني على مواصلة عملي ما كتبه الباحثون القدامى والعرب عن النهرين الغامضين : سو كوراس والثرثار ، فتوغت في داخل بلاد ما بين النهرين الجنوبية في عامي ١٩١٢ و ١٩١٥ . وفي السنة الأخيرة ، وعند عودتي من رحلة موسعة في اواسط جزيرة العرب (وسنأتي على وصفها في كتابي « شمالي نجد » وهو الحلقة القادمة من هذه السلسلة) لم اقتصر في بحثي على شبكة الجداول المتاخمة لمصب الفرات الاول فحسب ، بل انني تتبعت في طريق عودتي الى سوريا ضفة الفرات اليسرى شمالاً من الوشاش الى اللدير متبّعاً طريقاً دفعتني اليه دراسة الروايات التاريخية القديمة التي تثبت ان الضفة اليسرى كانت في العصور القديمة أكثر أهمية حتى من الضفة اليمنى كطريق تجاري وعسكري . ان هذه الكشف على طول ضفتي النهر العظيم والمناطق المجاورة له تكون حقاً موضوع الدراسة الحالية .

وسيجد القارئ مناقشة للطريقة التي بها رسمت خريفتي لشمال بادية الشام ، والتي تصور جزءاً من متن هسدا المجلد ، في مقدمة كتابي « بادية الشام » (نيويورك ١٩٢٧) ص ١٣ - ١٦ . اما المعلومات لخريطتي عن بلاد ما بين النهرين الجنوبية ، الملحق بهذا المجلد فقد جمعت بالطريقة نفسها الى حدّ

(١) راجع كتابي بادية الشام وهو الجزء الثاني من هذه السلسلة ،
نيويورك ١٩٢٧ ص ٤٤ - ٧٣ ، ١٢١ - ٢٧٣ ، ٣٥٧ - ٣٧٣ .

كثير . . وقد طُبعت خريطة شمال بادية الشام في معهد الخرائط في فينا (وهو المعهد الجغرافي العسكري سابقاً) ، اما خريطة جنوبيّ ما بين النهرين فقد توّلى طبعتها المعهد الجغرافي العسكري في براغ .

كان الدافع الاول لباحثائي دافعاً تاريخياً ولا صلة له بعلم الخرائط ، ولهذا حاولت جمع ما امكن جمعه من الاسماء الطبوغرافية لتكون اساساً لبحاثي التاريخية ، وتحقيقاً لذلك وجهت عناية خاصة الى التهجئة . وعند نقل الحروف العربية [الى اللاتينية] استعملت نفس العلامات المستخدمة في كتابي " شماليّ الحجاز " و " بادية الشام " حيث حاولت التعبير عن كل صوت بحرف او رمز واحد . وسيجد المتخصصون معنى كل من الرموز المختلفة تحت البيانات الموجودة في خريطة ما بين النهرين الملحقة بهذا الكتاب . وأودّ ان أبين للقارئ العادي ان (g) يلفظ كما يلفظ (g) في (gem) الانكليزية [=ج في كلمة جمل بالنطق العراقي] ، s مثل ش ، و z مثل z في azure [=ز] ، c مثل ch في chief [=ج] و j مثل y في yoke [=ي في يرم] واختيراً f يدل على صوت حلقي مشدّد [=ع بالعربية] .

اما العلامات الباقية فلا ينبغي له ان يزعم نفسه بها .

وحصرت في تضاعيف هذا الكتاب على نقل معظم الاسماء الواردة في الكتابات الآشورية والكتاب المقدس وفقاً للنظام المستعمل في نقل الاسماء العربية ولهذا اختلفت الاشكال الواردة في الكتاب المقدس ، الى حدّ ما ، عما نعهده في ترجمة الملك جيمس ، ولكن ما جاء في هذه الترجمة يمكن بسهولة التثبت منه بالرجوع الى الكتاب المقدس نفسه . اما الاسماء الأغريقية فانها تذكر وفقاً لشكلها اللاتيني بوجه عام وليست منقولة عن الأغريقية (٢) .

(٢) هناك حالات مستثناة من هذه الفوائد العامة فيما يتعلق باسماء الاملام التي اتخذت في الانكليزية اشكالا متداولة ، وقد احتفظنا بها خشية الاتهام بالتحدلق .

ان الاشارات الى الكتاب المقدس بقصد بها طبعاً رودلف كمل الثانية للنص العبري . ليبسزغ عام ١٩١٣ . . وسلاحظ القارئ ان هذه الاشارات تخالف احياناً ما ورد في نصّ ترجمة الملك جيمس . وهذه الخلافات ترجع الى ان تفسيرى لمعنى الأصل العبري يحرف عن التفسير الذي اعتمده مترجمو نسخة الملك جيمس .

اما الاشارات الى المراجع في الحواشي فقد وضعت بشكل موجز . ويمكن الوقوف على الاشارات الكاملة ، مع ما يتبعها من تواريخ المؤلفين العرب والقلماء ، في قائمة المراجع . .

ان معظم المصطلحات العربية المستخدمة في المتن يتضح معناها من سياق الكلام . على ان هناك لفظين ورد ذكرهما كثيراً من غير ايضاح : شعيب (وجمعه شعيبان) : مجرى مائي صغير نسبياً او واد يشغله نهر صغير متقطع . الوادي : (وجمعه وديان) مجرى مائي كبير نسبياً او واد يشغله نهر صغير متقطع . اما المصطلحات النباتية الواردة في المتن فقد ذكرت في القهرس مع اوصاف موجزة وما يقابلها باللاتينية ان امكن . .

وقد ضمّ الى المجلد مخطوط يبين الطريق الذي اتبعه المؤلف كما يشير الى صفحات هذا المجلد التي بحثت فيها مختلف اقسام رحلته .

ولابد من عرفان الجديل للمديرين وسائر الموظفين في المكتبة الوطنية (فينا) . مكتبة جامعة كارل (براغ) . مكتبة جامعة كولميا (نيويورك) ، مكتبة الجمعية الجغرافية الأمريكية (نيويورك) . لما قدموه لي من التسهيلات للاستفادة من كنوزهم . والى السيد سبنى سمث (المتحف البريطاني - لندن) لاقتراحاته فيما يتعلق بالقهارس . والى الدكتور ج . ك . رايت ، المحرر ، لمعونه الجوهرية ، وخاصة عند اعادة ترتيب القهارس وتنقيتها . والى الآتسة انا بليجوها ، سكرتيرة الحلقات النراسبة الشرقية بجامعة كارل (براغ) ، لدقة عملها في قراءة المخطوطات واعداد القهرس . والى السيد كارل دبرنك . المشرف الفني على منشأة الطباعة العامة في براغ لاقتان اشرافه على طبع هذا المجلد .

المساهمون في ترجمة هذا الكتاب

المترجم : الدكتور صدقي حمدي

ولد ببغداد ، وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بمدارسها . واكمل قسماً من دراسته العالية بجامعة بيروت الاميركية .
حصل على الماجستير في الاسلاميات من جامعة لندن سنة ١٩٤٨ ، وعلى الدكتوراه من جامعة توبنكن بالمانيا الغربية سنة ١٩٥٨ .
اشتغل عدة سنوات بالتعليم في المدارس الثانوية وكلية الآداب بجامعة بغداد .
وعمل مفتشاً اختصاصياً بوزارة التربية ، ثم ملحقاً ثقافياً بسفارة الجمهورية في :
براغ ، الرباط ، بون ، بروكسل ، باريس . وعمل اخيراً رئيساً لقسم التاريخ بمعهد التربية للمعلمين في الكويت لعدة سنوات .
له ابحاث وترجمات في التاريخ الاسلامي .
ترجم عن الانكليزية كتاب (الرحلة والتنوع في الحضارة الاسلامية)
(في ٥٠٠ صفحة ونيف) وهو مجموعة قيمة من المحاضرات والمناقشات لأكابر
المستشرقين باشراف الاستاذ الافريقي كرونباوم .

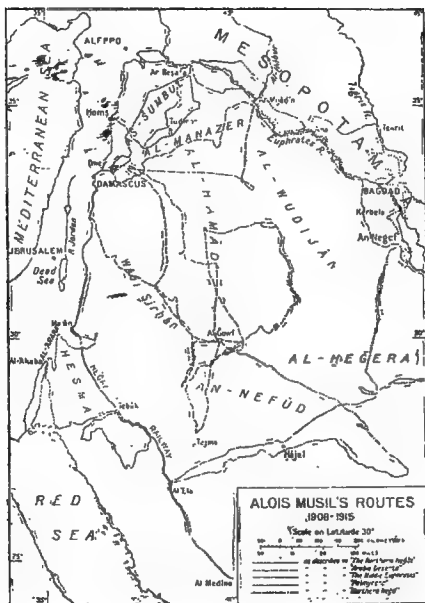
المترجم : عبدالمطلب عبدالرحمن داود

ولد في الموصل عام ١٩٢٩ وتخرج في دار المعلمين العالية عام ١٩٥٠ بدرجة شرف من قسم اللغة الانكليزية . ثم ضمّ الى البعثة العلمية الى انكلترة عام ١٩٥٣ فحصل على شهادة بكالوريوس شرف بتقدير جيد جداً في الأدب الانكليزي ثم الماجستير من جامعة مانچستر . وعين بعد عودته الى الوطن مدرساً في كلية التربية بجامعة بغداد ثم نقل مديراً للتأليف والترجمة والنشر فمديراً للتبادل الثقافي في وزارة التربية والتعليم . بعدها عاد الى جامعة بغداد وانتخب رئيساً لقسم اللغات الاجنبية في كلية التربية واول رئيس عراقي لدائرة اللغات الاجنبية في جامعة بغداد . ثم نقل الى وزارة التربية ثانية بوظيفة ملحق ثقافي في سفارة الجمهورية العراقية في لندن وبعدها مديراً عاماً للشؤون الفنية . وفي عام ١٩٧١ اصبح اول استاذ مشارك في الادب الانكليزي بجامعة بغداد . وفي عام ١٩٨٠ تفرغ للتدريس في المعهد البولوماسي التابع لوزارة الخارجية مدة خمس سنوات . ويقوم حالياً بتدريس الادب الانكليزي في كلية التراث الجامعة .

ترجم الى العربية بالمشاركة مع الاستاذ علاء الدين حمودي كتاب تاريخ الادب المسرحي الانكليزي للبروفسور ايفانز استاذ الادب الانكليزي في جامعة لندن . كما اسهم مع جماعة من الاساتذة في ترجمة موسوعة معارف الانسان عن العالم الحديث باشراف ليमान برايس .

كذلك اسهم المترجم بتكليف من وزارة التعليم العالي في تأليف المدخل الى الشر الانكليزي باللغة الانكليزية والمدخل الى الشعر والنثر الانكليزي باللغة الانكليزية ايضاً .

وللمترجم بحوث ودراسات نشرت في مجلة كلية الآداب وفي مجلة الاستاذ التي تصدرها كلية التربية - جامعة بغداد وفي مجلة الجامعة المستنصرية وفي المعلم الجديد التي تصدرها وزارة التربية العراقية .



القسم الاول

١٩١٢

الفصل الاول

دير الزور الى الفخيمي

قُمتُ في آذار واولائل نيسان من عام ١٩١٢ بصحبة (البرنس) سكس آل بوربون ، الذي سمّيناه الأمير . برحلة بالميرينا (١) . والتحق برفقتنا رودلف توما سيركر أحد موظفي المعهد الجغرافي العسكري في فينا ، بصفة مساعد علمي وكان واجبه العناية باجهزتنا العلمية ورسم مسار رحلتنا . وتولى ناصر بن عبيد المغلوق ومحمد بن سعد الدين الحموت العناية بنوقنا التسع وما حملته من متاعنا . كما تولى الأخير مهمة الطبخ والغسيل كذلك .

ومن بالميرينا اجتزنا سلسلة البشرى . ووصلنا في ٨ نيسان عام ١٩١٢ الى مدينة دير الزور (٢) .

دير الزور الى الساحل

تقع دير الزور (شكل ١) التي تعرف ايضاً بدير الشعر او الدير باختصار ، على الضفة اليمنى من الفرات . قبالة جزيرة خضراء صغيرة . ويصلها جسر ثابت بضفته اليسرى وتُحطّ ستّ مآذن بيضاء على مجموعة قباب بيضاء وسطوح بيوت مستوية مسدء . وتظهر الى شرق البيوت كتلة خضراء من البساتين والمزارع ، بينما لانجا . في الغرب سوى ساحات خالية قاحلة . وترى الى الشمال ثكنة كبيرة .

(١) تناول هذا الجزء من الرحلة في كتاب (بالميرينا) الذي سيظهر قريباً في هذه السلسلة .

(٢) للوقوف على دليل باسماء الاماكن الواردة في هذا المجلد والمبينة على خرائط سبه جزيرة العرب الشمالية وبلاد الرافدين الجنوبية المنشورة في هذه السلسلة يراجع الفهرس . انظر كذلك فهرس الخرائط .

تقوم وراعا محلة الجراكسة ، وفيما يلي ذلك من ناحية الشمال بساكن الصالحية التي يملكها صالح باشا . وتتميز البيوت التي في القسم الشمالي الشرقي من المدينة بعلوها عما سواها . أما الاحياء الرئيسة في المدينة وتسمى (المحلات) فهي : الشيخ ياسين ، ابو عبد ، الرشدية ، الجامع الكبير ، الوسط ، وعبدالعزیز : ويقع مبنى الحكومة (السراية) على القنات بين محلة عبدالعزیز ومحلة الشيخ ياسين . وقد بنى الجامع الكبير ، او الحميدي سنة ١٩٠٠ ، والجامع العمري قديم يشغل مركز المدينة . وتوجد فضلاً عن ذلك عدة مدارس عامة هي الرشدية (ملزمة متعددة التقنيات) والاعدادية (المدرسة الثانوية) . ويمكن ان اذكر من بين العائلات الرئيسة : بيت فتیح . بيت عبدالعزیز وبيت خطار .

ويعيش السكان في الأغلب من التجارة . يشترون الصوف ، ويصنعون السجاجيد والبطانيات لأنصاف الفلاحين وحتى للبلو ، يشترون كذلك زبد الأغنام وللماعز ، الذي يصدرونه غالباً الى دمشق . ويستوردون من المدينة الأخيرة ومن حلب السلع الأوروبية ولا سيما المنسوجات القطنية والكتانية ، ومن بغداد يأتون بالتعباك (الطباغ المستعمل للتركيلة) والعباءات الجيدة للأهالي ، ويتاعون في بيرجيك أرمناً صغيرة يحملونها حنطة وشعيراً . وكانوا يسافرون نهاراً ويستريحون ليلاً بحيث ان رحلتهم الى القلوجة كانت تستغرق مدة تتراوح من ثمانية الى عشرة أيام . وهناك تحمل الحبوب بعربات على ظهور الحمير ، ويبيعون الأرمات بنحو ٢٠٠ قرش (٩ دولارات) ، ثم يعودون الى اماكن سكناهم . يشترون الزباد الرخيص احياناً وعلماً آخرى في العراق يحملونها في قلوب شرعية يرحلون بها من قرية الى أخرى عارضين بضاعتهم للبيع . تستغرق هذه الرحلة ، بمثل هذا القارب ، نحو شهرين صعوداً في النهر للوصول من القلوجة الى دير الزور .

وفيما عدا السكان المسلمين الذين يبلغ عددهم أربعة آلاف كان يسكن الى جانبهم في دير الزور منذ وقت طويل مسيحيون ايضاً معظمهم من الارمن والسريان . وقد زاد عدد هؤلاء المهاجرين بحيث اصبحوا سنة ١٩١٢ (٨٠٠) من السريان

و (٦٠٠) من الكاثوليك الأرمن ، فضلاً عن مائتين من اليهود . وكان للأرمن والسرمان كنيسة صغرىتان .

وتخضع لقيادة دير الزور ثكنات الإنك (الجنود) غربى الفرات على الطريق العام من حلب الى بغداد ، وذلك في أيضا وتدمر ، وأرك ، السخنة ، الديدي . القبايج ، والقصيبة ؛ وتوجد مثل هذه الثكنات على الطريق العام من حلب الى بغداد كذلك : في الكسرة (او الكسرة) ، المعدان ، التبنى ، الشميطية ، بوحسن (او الصور) ، الميادين الصالحية ، أبو كمال (او أبو جمال) ، والقائم . وكان التركي (الجنود) يتقاضى راتباً شهرياً يتراوح من ١٦٠-١٨٠ قرشاً (من ٧٢٠-٨١٠ دولاراً) ، علاوة على ١٢٠-١٥٠ قرشاً (٧٠-٩٧ دولاراً) . وكانت حامية دير الزور تتكون من ٤٠٠ بغاًلـة (راكبوا البغال) ، وقد عهد بواجب اللورية الى ١٢٠ دركياً . والحقيقة ان الدول عن ارسال البريد من دمشق الى بغداد مروراً (بدرج الساعي) ، ونقله من حلب بطريق يحاذي الضفة اليمنى من الفرات الى هيت وبغداد ، كان له فائدة عقلية لسكان الدير ، اذ كانت المسافة من حلب الى بغداد تقطع في ثمانية أيام .

وكانت كل ساعة من التأخير تستوجب غرامة دينار تركي واحد (٥٠ دولاراً) . وكان القصد الخاص بحمل البريد بيد الحاج يبخو من أهل دير الزور ، يتقاضى شهرياً بموجبه ١٠٥ دنانير تركية (٤٧٥٠ دولاراً) لقاء خدماته . وكان يحتفظ بخيول معادة للسفر في جميع المحطات . وكان ساعي البريد ينقل حقائب الرسائل الى خيول جديدة ثم يسافر على الفور ثانية . سائراً خجلاً طول الوقت . ولم يكن يقبل نفل القود أو الرزم .

وكانت (العربات) القادمة من بغداد تنف بالليل عادة في المحطات الآتية : الفلوجة ، الرمادي ، هيت ، البغدادى ، الحليثة ، عانة ، النهاية . القائم ، الصالحية . الميادين ، دير الزور ، التبنى ، الصبيخة ، الحمام ، المسكنة ، نهر الذهب ، وحلب .

لا نستطيع بطريقة جازمة ان نحدد اسم دير الزور القديم (٣) .

(٣) استنادا الى معجم ياقوت (طبعة وستفد) مجلد ٢ ص ٦٦٢ ، ومراسد الاطلاع لأبي الفضائل (طبعة Juynboll) مجلد ١ ، ص ٣٠ يمكن اعتبار دير الزور هي دير الرمان ، اذ كانت هذه مدينة كبيرة وفيها أسواق للبدو بين الرقة والخابور ، حيث كانت القوافل القادمة من العراق الى سوريا تتوقف للاستراحة .

ودحيح أن الرقة والخابور (قرفيسيا) يقعان على الضفة اليسرى من الفرات ، بينما يقع دير الزور على الضفة اليمنى ، الا ان ياقوت قلما كان يحدد مواقع الأماكن بدقة كبيرة ، كما اننا لانجد بين البلديتين المذكورتين على الضفة اليسرى اي السر لمدينة كبيرة تسمى الدير . . . وكانت القوافل تنزل للراحة في دير الرمان ، لانه في هذا الموضع كان يوجد اسهل طريق يؤدي من تدمر الى دمشق ، متفرعا من الطريق الذاهب الى سوريا بمحاذاة انضفة اليمنى للفرات .

وبذكر اوينهايم في كتابه (من البحر المتوسط الى الخليج « العربي ») (١٨٩٩) مجلد ١ ص ٣٣٠ : ان اول نص ورد فيه ذكر الدير كان في تاريخ ابي الفدا لسنة ١٢٣١م وفيه رواية هدم السد عند البسر - وهذه العبارة التي اشار اليها اوينهايم ولم يذكر نصها موجود في طبعة القاهرة سنة ١٩٠٥ مجلد ٤ ص ١٠٦ .

ديروي ابن كثير في البداية (في القهرست) مجلد ٧ ورقعة ٢٠ يبين ، انه حدث في عام ١٢٣١ فبضان كبير في الفرات ، دام اثنى عشر يوما ، وانه بسببه لحق ضرر كبير بالاملاك المجاورة للرجبة . وجرف النهر الهائج جسر القوارب في دير البسر ، ونتج عن ذلك ارتفاع عظيم في اسعار الحبوب . وقام الاهلون باصلاح الجسر ، ولكن المياه قونسته مرة أخرى .

ويؤخذ من سياق الرواية ان الجسر المذكور كان قريبا من الرجبة (المياذين الحالية) على خمسة واربعين كيلو مترا من الدير . ولعل الحبوب كانت تجلب اليها من بلاد الرافدين بطريق الخابور ، وكذلك من المنطقة الخصبة التي حول نهر دورين القديمة . ويجب ان يعين موقع دير بدير ، وفقا لهذا التفسير ، بالقرب من المياذين وليس عند دير الزور حيث وضعها اوينهايم وموريس (بالميرينا [١٨٨٩ | ص ٣٥) ويكتفى ابن كثير بالاسارة الى تدمير جسر للقوارب فقط . ومن الممكن ايضا ان يكون اسم البلدة الحديثة « البسرة » مشتقا من « بدير » .

وقمنا بزيارة المتصرف (حاكم السنجق) بعد وصولنا فوراً : ولكنه كان
نائماً . فناولنا رسائل التوصية لقائد الدرك ، وواصلنا السفر ثانية في الساعة ٢٢٠
بعد الزوال ، اذ لم تكن توجد حول المدينة مراعى مطلقاً ترعاها جمالنا .
وكانت البغال قد أتت على الحشائش القليلة ، ولا توجد مناطق خضراء أخرى
سوى الحقول . وكانت تمتد على الشاطئ الأيمن ، جنوبي المدينة بساتين الجفرة ،
وعلى الأيسر بساتين الحُصْبِيَّة والهطلة . وكانت ترتفع الى يميننا مجموعة تلال
الترده . وفي الساعة ٣٤٥ مررنا بثلاث خرائب صغيرة : المخضر
وفي الساعة ٣٥٥ نزلنا للاستراحة بالقرب من خرائب (الساحل) على الفرات ،

ويذكر حاج خليفة في « جهان نوما » (استانبول ١١٤٥هـ) ص ٤٤٤ ،
ان بلدتي الرحبة والدير كانتا تابعتين لدائرة الرقة السياسية . كما
يؤكد ان قلعة الدير كانت تقع على مرتفع في منطقة الرحبة الادارية .
ويشير اوليا جلبي في تاريخه (ترجمة فون همر) مجلد ١ ، ص ٩٥
الى سنجق دير رحبة .

وفي سنة ١٨٠٧ اشار سعود بن عبد العزيز وجماعته الوهابيون
على عانة ودير الزور (روسو ، باشوية بغداد ، [١٨٠٩] ص ١٧٩
ومابعدا) .

وفي سنة ١٨٥٧ احتل عمر باشا [حاكم حلب] هذه البلدة . ونجح
خلفه خليل بك في اقامة نوع من النظام هناك ، وفي المنطقة المجاورة
كلها ، وكانت النتيجة انه بعد خمس سنوات فقط انشئت متصرفية فيها
(والمتصرفية كلمة عربية تقابل سنجق التركية) . وكان اول متصرف
هو حسني باشا . ودخل خلفه ارسلان باسا في حروب مستمرة بينه
وبين عشائر الجبور ، والعقيدات ، وشمر ، وعنز ، وهكذا وسع نفوذه ،
ولكنه بعد سنة ونصف استدعي [الى استانبول] وارسل مكانه عمر باشا
الميال الى السلم ، فشيّد في منطقتة السياسية : المدارس ، والثكنات
المصرية ، والمستشفيات ، وجسراً يصل الى الضفة اليسرى من الفرات ،
وقد جرفت مياه الفيضان القسم الشرقي من هذا الجسر بعد فترة قصيرة
(سنة ١٨٨٦) . وفي سنة ١٨٩٠ في أيام حافظ باشا
اقامت المواصلات البرقية واصبح الطريق آمناً من حلب الى بغداد .

وحال الفلاحين في المراقبة يثير الشفقة لما يتجشمون من عمل مرهق ضروري لريّ أراضيهم . ذلك انهم يرفعون الماء من النهر طول الليل بمعونة أبقارهم ، ويوجهونه خلال مشاعب صغيرة الى الحقول ، ثم يحفرونها بمجارف عريضة لايصاله الى الحقول . انه عمل قاسٍ ، ومن نوع لا يمكن لفلاحينا في اواسط اوربا أن يتصوروه . .

الساحل الى الشيخ علي

في ٩ نيسان ١٩١٢ ، في الساعة ٤٥ره صباحاً دخلنا بقاع مزارق الحشل والمرمية . وهي بقاع غرينية زراعية . وكان النهر يجري هادئاً تحت غطاء ضباب خفيف ، وقد انلمجت السفوح الصخرية المحيطة بها مع الافق بلونه البنفسجي ولا ترى في الشرق الا وهجاً أحمر يزيد تألقاً باستمرار ، حتى ظهرت الشمس للعيان ومي تنهيج كالذهب حتى ليبدو اننا بزغت من النهر الآن حتى اذا ما ظهرت اخيراً اخذت تنزل حولها باستغراب الى الريف الهادي النائم . وارتفعت غيوم رفيعة من اللخان على يمين الشمس ويسارها لم تلبث ان تلاشت في زرقة السماء المصطبغة بلون الورد . وأم يكن ثمة شيء يتحرك . سوى رافعة خشبية تحت مجموعة من اشجار الجوز تقع على يسارنا بنطاق صريها كلما رُفع الماء لري الاراضي المجاورة . في الساعة ٣٦ره كان الى اليسار متلاتة تلول وهي الخرائب المعروفة بـ (الصرة) ، وفي الساعة ٧ره ظهرت امام ابصارنا ثلاثة بساتين كبيرة المساحة نوعاً ما تنمو فيها اشجار الحرر يسمى الغربي منها (بو حسن) ، ويعرف القسم الشرقي منها الواقع على الضفة اليسرى بالطاوية . والى الجهة الجنوبية الشرقية ظهرت القبة الرمادية لمشهد ابو نهود الصغير . (٤)

(٤) اميل الى القول بان ابو نهود هو مشهد قم سعيد .
ويقول ابن سراييون في (المجانب - مخطوط المتحف البريطاني ورقة ٣٣ يمين) و (لومستنج) ص ١٤ ان نهر سعيد يتفرع من الفرات عند المشهد الصغير المسمى قم سعيد ، ويجري بازاء قرى كثيرة على



شكل ١ - دير الزور

في الساعة ٧/١٨ بدت على يسارنا هضبة صغيرة ملسورة فيها خرائب الشناقية، وفي الثامنة ظهرت خرائب الطالع . ويقع مرقد ابو نهود الصغير جنوبي قرية

الضفة اليمنى ، ويروى مزارع بلدة الرجة ، ثم تخرج منها بعض الفروع الى مزارع البلدة الصغيرة : الدالية ، حتى تصب في الفرات فيما وراء هذا الموضع المسمى دالية مالك بن طوق .

وكذلك يشير ياقوت (المعجم - مستفرد ، مجلد ٤ ص ٨٤٠) الى نهر سعيد فيما دون بلدة الرقة . وقد سميت باسمه نسبة الى احد ابناء الخليفة عبدالملك ، الذي اطلقوا عليه ايضا اسم سفير الخير لتقواه . وكانت الاراضي التي يخترقها نهر سعيد مغطاة بالادغال مما جعلها مأوى للأسود . وقد حصل عليها سعيد بطريق الاقطاع من اخيه الوليد بن عبد الملك . وهو الذي أمر بشق هذا النهر ، وباسكان الناس فيما حوله من الاراضي .

ويذكر ابو الفدا (التكوين - رينو وديسلان ، ص ٢٨١) ان سكان هذه القلعة الصغيرة والرجة يستقون ماء الشرب من الترمصة الاخلة من نهر سعيد .

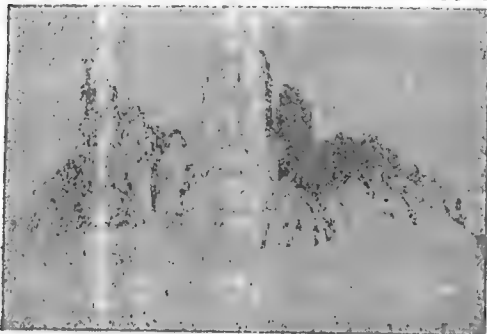
القطعة على كومة خرائب منخفضة . وإلى الشرق منها ارتفعت عدة اكوام خرائب غطى الرمل نصفها تسمى طعوس الخبز وما وراء ذلك يمتد سهل متموج تقع فيه خرائب (الحريم) وقرية صغيرة تسمى (الصور) وهي ملك لأسرة (بوليسل) من (العضيدات) . وتكون (الحريم) تلالاً مستطيلاً مستوياً ، ينقب الفلاحون عاديات مختلفة فيه خلال أشهر الشتاء . وإلى اليمين ، على مسافة ٣ كيلومترات جنوباً ، يرتفع جرف صخري شديد الانحدار، ينلق الوادي الذي حفره الفرات لنفسه خلال عصور لا تحصى في هضبات الصحراء الغربية . وترتفع إلى الشمال الغربي امام هذا الجرف ربوة (نيشان التيس) . وإلى الجنوب الغربي منا انبسط سهل (المدورة) الأجرد وإلى الشرق يرتفع تلّ (الجبّيل) . وفي نحو الساعة الثامنة أخذت تهب ريح شمالية غربية باردة . وفي ٨/٤٠ مررنا باكوام من الخرائب . وفي ٩/٢٠ اجتزنا خرائب (أم الذكر) ، وفي ٩/٣٣ كنّا نجس خلال الخرائب الواقعة غربيّ قرية (الثوب) . وظهرت (البسيرة) إلى شرق - الجنوب الشرقي ، وهي قرية صغيرة تقوم على حافة منخفضة طويلة تمتد إلى الفرات ، اما إلى الجنوب فيرتفع قصر (الرحبة) . وكان السهل إلى يميننا مغطىّ بنبات العرج . وفي ١٠/١٢٠ بدت خرائب (الصليح) على يسارنا ، وتمتد إلى وراء منها مزارع (السعاوه) ، وإلى الجنوب الشرقي (الزباري) و (المملحة) . وفي ١٠/٣٥ اجتزنا سهول (الخريسه) و (بخروس) . وتغمر هذه السهول المياه اوقات الفيضان عادة .

من ١٠/٥٥ إلى ١٢/٥٦ اخذنا نصيينا من الراحة في حقول لا يضر ، ورسمنا خارطة للمناطق المجاورة . وفي ١٥/٠ بعد الظهر بدت على اليمين بقايا برج مشيد بالآجر وعلى اليسار مزارع (البعلوم) و(السيحات) . وفي ٢٥/٠ مررنا بخرائب .

ويتمخر الفرات ضفته اليمنى ، وتنشأ من جراء ذلك بصورة دائمة جزر صغيرة جدلية تسمى الحويجة (والجمع حوائج) تغطيها اشجار الحور . وعلى اليسار بدت للعبان مئذنتان ونخلتان ، ممدلتان على موقع بلدة صغيرة تسمى (المياذين) اختفت وسط المزارع ، ويسكن هذه البلدة نحو ٤٠٠ مسلم ، و ١٥ من المسيحيين

السرمان وثلاث عائلات يهودية . وكان المسيحيون قد هاجروا إليها من ماردين منذ زمن غير طويل . وفي الجملة كان يسكن هناك ٢٥٠٠ نسمة في نحو ٣٨٠ بيتاً وهذه البلدة مقرّ (القاي مقام — حاكم القضاء) ايضاً . وكان يقرم بحفظ النظام والأمن عشرة بغّالة ، ١٢ جسرمة ، وعشرة خرطة . ويوجد بها كذلك مدرسة للبنين (٥) .

والى جنوب المياذين تقع قرى (الفارسة) و (المحكان) (٦) و (تل القرية) والجزيرة (. وقد استخرجت بالقرب من المحكان والقرية مخلفات آثارية .



شكل ٢ قامة الرحبة

- (٥) انظر فيما بعد ، الملحق ١٥ .
 (٦) احدد موقع البلدة القديمة سرقى في الخرائب التي بين المحكان والقرية .
 حينما خيم الملك الآشوري توكلي النورثا الثاني (٨٨٩ — ٨٨٤ ق.م) في حقول أقر بنى ، قدم اليه مدده ، حاكم أرض (لقي) ، مائتي كبش مخصي ، ثلاثين رأس ماشية ، مع جبوب وخبز وخبز وشراب . وعندما اقترب من سرقى ارسل اليه ملك تلك المدينة ثلاثة امنان من الذهب ، وسبعة امنان من الفضة الخالصة ، واربعين اناء من النحاس ، وطائنا من المر ، وعدة مئات من الاغنام ، و ١٤٠ رأس

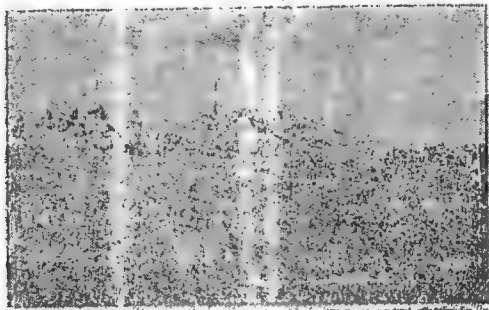
وكانت ترتفع الى يمينتنا اطلال قصر الرحبة فوق تل اصطناعي يفصل عن
الأجراف الشمالية الانحدار وكأنها تحدّق من على السهل الفيضي .
وقد بنيت على فتوء ، يفصله عن سهل يمتد الى الغرب منه ، خندق بصورة تجعله يكون
تلاّ منغزلا . وكان التلّ محاطاً بسور حجري متين ، أنشئ عليه طريق متعرج
يوصل الى القصر . اما المواد التي بني منها السور فقد هدمت منذ ذلك الوقت
ونُقلت الى الميادين واختفت بذلك معالم الطريق . واصبح من العسير الصعود الى
القصر . ولا تزال في حالة جيدة الاقنية الواسعة المبنية بالآجر تحت ارضية القصر
وجدار عال يحيط بباحة مستطيلة الشكل . و يقوم في مركز هذه الباحة بناء واسع
سميك الجدران بداخله باحة ثانية . وقد تهدمت جزئياً جميع هذه الجدران تقريباً ،
اما بعضها فقد نُقل بكامله . وإلى شمال تلّ القصر وشرقه يمكن مشاهدة بقايا
ابنية قديمة من الآجر واكوام كبيرة من قطع فخار مهشم ليست لها اهمية تذكر
وتدل الحفر التي حفرت حديثاً هنا وهناك على ان التنقيب في هذه الخرائب
كان يجري اما للحصول على مواد البناء او للعثور على كثر (٧) .

ماشية ، وعشرين حماراً ، وعشرين طائراً ، كذلك كميات من الحنطة
والتبن والعلف .

(الحوليات [شايل ، الحوليات (١٩٠٩) ، اللوحة ٤] ، الوجه المعاكس ،
اسطر ٢ ومابعد ، ٨ - ١٠ ؛ شايل ، المرجع المذكور ، ص ٢٠) .

(٧) يؤكد ابو الفدا (التقويم رينو و دى سلان ص ٢٨١) ان رحبة مالك بن
طوق قد تهدمت ، ولم يبق منها سوى مستوطنة برزت منها مآذن الجوامع
و | معالم | المباني الاخرى التي تمثل المخلقات الوحيدة من البلدة القديمة .
وقد شيد شيركوه بن احمد بن شيركوه ، حاكم حمص ، الرحبة الجديدة
في جنوب البلدة القديمة على بعد فرسخ من الفرات ، ويقال ان هذه
[الرحبة] كانت مستوطنة صغيرة ولها قلعة على تل صغير من التراب ،
وكان أهلها يستقون الماء من ساقية تأخذ من نهر سعيد . وكانت حوالي
سنة ١٢٣٠ محطة للقوافل الآتية من العراق وسوريا وفنرا من نفود

وتقوم شرقي قصر الرحبة ، وفوق الجروف مباشرة . ثلاثة مشاهد صغيرة . ولا تزال مئذنتان في هذه المشاهد سالتين ، أما الثالثة فقد تهدم جزء منها ويسمى المشهد الشمالي (الشبلي) . وينتهي جنوباً الشريح وفي أقصى الجنوب : الشيخ علي او على الحصين . وأقمنا خيامنا الى الجنوب من هذا في الساعة ١٢ره وذلك بجانب مزارع عالية المقلاط عند كف جرف شديد الانحدار . وبعد ان تسلقنا هذه الاجراف بشي من الصعوبة ، تحررنا هذين المشهدين . ويقع [مشهد] على الحصين في القسم الجنوبي من قرية كبيرة خربة [شكل ٣]



شكل ٣ مرقد الشيخ علي

المسلمين . ويذكر ابو الفدا بهذا الصدد ، نقلا عن (العزيري) ان المسافة بين الرحبة وقرقيسيا ثلاثة فراسخ . ويروي ديلافاله في رحلته (البندقية ١٦٦٤) مجلد ١ ص ٥٧١ انه شاهد عند المساء قلعة الرحبة على مسافة غير قليلة من الفرات ، واخبروه بانه لا تزال هناك آثار قديمة كثيرة . ويقول في مكان آخر (المصدر نفسه ص ٥٧٤) انه خيم في بلدة لم تكن مسورة تسمى مسجد علي ، وهذا الاسم كان يطلق اذ ذاك على مراكز سكانية كثيرة في بادية الشام (شمالي جزيرة العرب)

مختفية في منخفض صغير ينحدر نحو الجنوب الشرقي الى نبع غزير مرّ المياه في وادي الخور . والأكواخ مبنية من الحجر والأجر والطين ولكن لا يسكن فيها أحد . والمسجد بناية صغيرة يتكون اسفله من مربع لا يلبث ان يتحول الى شكل منمن في أعلاه تعلوه قبة . وترتفع الى الشمال الشرقي من المسجد منارة مثمعة الشكل . اما الشريح فهو مشهد بسيط يتكون من مسجد واسع ومنارة خربة ، وقد بُني على نبع ماء عذب . وهاتان القريتان الصغيرتان (على والشريح) حديتنا العهد . وفي لحف الاجراف التي تقوم على حافتها خربة على والشريح تقع مزارع خصبة تعود لرجلين مسيحيين هما جرجي وعبدالمسيح من اهل دير الزور ، ويوسف من اهل ماردين الذين ابتاعوها من عبدالله وعلى ابنيّ حفل من عائلة نجرس التي تملك سهل الفرات الفيضي بأسره من المياذين حتى قرية ابو جمال وان عبدالله وعلياً كليهما من شيوخ عشيرة ابو جمال ، اذ تخضع لعبدالله جماعة شبه فلاحية تستقر على الضفة اليسرى ، ولعلي من كان منهم على الضفة اليمنى ، وقيمان في قرية العشارة .

الشيخ علي الى الصالحية

وفي ١٠ نيسان (ابريل) ١٩١٢ بدأنا سيرنا ثانية في الساعة ٥٥٥ مسباحاً وكانت ريح باردة تهب من جهة الشمال الغربي . وعلى يميننا وادي (الخور) الواسع الذي قطع ماؤه مسافة عظيمة من الصحراء العربية : وظهرت الى يسارنا خرائب قديمة على تلّ اسود يقع قريباً من النهر ، حيث تجسعت فوقه اكواخ قرية (العشارة) الكبيرة او تلّ العشارة . وهي اكواخ غبراء تقطنها نحو مئتي عائلة ، وهذا تل اصطناعي يبلغ علوه نحو ٢٠ متراً . قد جرف النهر قسمه الشرقي . وكان في هذه القرية ديوان للحكومة في بادئ الأمر ، ولكنه نقل سنة ١٨٦٢ الى دير الزور ، بعد ان تمّ بناء ثكنات عسكرية على الطريق المارّ من دمشق الى تلّمير فدير الزور ومن ثمّ الى الصوالم .

تسمى الاراضي التي تروىها مياه الامطار فقط (السيل) ، في حين تسمى الاراضي التي تسقى من الفرات بطريقة صناعية او طبيعية (السراء) .

والى جنوبي (العشيرة) تتجمع : السودان ، الكسره . الرغبة .
السوراني . سور الحرب (وتسمى سور الحرم ايضا) ، السبيحان .
المعزيلة ، المسيفة ، الكشمة ، عين ابو سُويمر والدوير .

وفي الساعة ٩ر٣٧ كنا نمرّ على امتداد لحف جرف القمر ، وهو جرف
صخري يبلغ ارتفاعه نحو ٣٥ متراً ويسدّ وادي القرات من جهة الجنوب الغربي
وفي الساعة ١٠ر٢٠ اخترقنا زارع (سراة ابو شويمر) ، وفي ١٠ر٤٧
صعدنا مرتفع القمراطي . حيث يصل القرات عند هذه النقطة جرف الانلرة
الذي يطلّ على السهل الفيضي من الناحية الجنوبية . ومن ١١ر٢٧ الى ١٢ر٤٠
بعد الزوال أخذنا قسطننا من الراحة . وفي ١٢ر٥٢ عبرنا فج اب الجاسم
وهو شقّ عميق في أرض صخرية . وتقع الى يمينه بالقرب من القرات
قرية الدوير . وكان شيخ عشيرة البوجمال من هذا الموضع حتى القائم جنوباً
هو : محمد الدندل وكان يقيم عادة في البوجمال .

وفي الساعة ١٥ر٥٤ ظهرت للعيان حصون الصالحية الضخمة . وهي أبنية
صفراء اللون كبيرة تلفها طبقات هواء غير مستقرة حتى انها كانت تظهر وتختفي
لمجرد حركة خفيفة من رأس الراصد . وخيّل لنا ان هذه الهضبة السمراء
الحصوية التي سفعتها الشمس وكنا نخترقها الان قد جعلت الجدران تقترب منا
تارة وتراجع تارة أخرى — وهكذا خدعنا (السراب) . وفي ٢ر٣٠ كنا عند قبور
وبقينا نمر خلالها حتى بلغت الساعة ٢ر٥٢ ، عندها أخذنا جبالنا داخل الركن
الشمالي الغربي من خرائب الصالحية الواسعة (شكل ٤ ، ٥) .

وفي القسم الجنوبي الشرقي من هذه الخرائب ، التي كانت تكوّن اسوار
مدينة (الدورة) القديمة ، حدّد الكتاب العرب موقع قرية (الدالية) (٨) .

(٨) في سنة ٩٠٣ - ٩٠٤ هـ هرب ابو شامة زعيم القرامطة مع ابنه الصغير
واحد اعمامه من جوار حما وعبروا الصحراء الى الكوفة بمساعدة دليل
من ابناء المنطقة . ولما وصل الى مقربة من الدالية في منطقة طريق
القرات ، ارسل صاحبه لشراء بعض المؤونة لجماعته وعلفاً لماشيئهم .

ويقوم شمالي خرائب الصالحية ، فوق الفسرات مباشرة ، مشهد شيخ
بلر وهو مشهد صخري . ويليه شمالاً تنويه (المشقة) الاسود ، وإلى شمال ذلك
تقع صخور (الشنية) و (الاربعين) . حيث ينفرج وراءها شق (ابو البرادع)
وفي ١٠ ره قطعنا الطريق العام المؤدي الى الفرات ، ونصبنا خيامنا في الساعة
٢٢ره في مستنقعات (الجزلة) التي تغطيها الطرقة (الطرفاء) — في موضع
غير بعيد عن مخيم البو جمال ، ومنه اشترى (الجنلومة) المصاحب لنا شعيراً
لحصانه . ولا يزال جنول قديم يظهر للعيان اسفل الجرف الصخري المنحدر الذي

ودخل صاحبه البلدة المسماة دالية ابن طوق لكنه كشف امره بطريقة
كلامه فاقنناوه الى قائد تلك الحامية . فاخبره بمكان زعيم القرامطة حيث
كان في انتظار عودته . ومضى القائد مع جماعة من جنده الى ذلك
المكان ، وهو تل صغير غير بعيد ، فوجدوا جماعة القرامطة واتوا بهم
الى الرقة ، حيث كان مقر اقامة الخافية المكتفي اذ ذاك (تاريخ الطبري -
دى خويه : سلسلة ٣ ، ص ٢٢٣٧ فما بعد) وفي يناير (كانون الثاني)
سنة ٩٠٦ اتى فريق من جند القرامطة الى الدالية بقرب طريق الفرات ،
وبعد ان التحق بهم بعض البدو قاموا بغارة نحو دمشق (هرب :
الصلة - دى خويه ، ص ٩) .

وفي سنة ٩٠٨ - ٩٠٩م سار جيش من قرقيسيا : بطريق الرحبة
الى الدالية (الطبري السابق الذكر ص ٢٢٨٤) .

وفي سنة ٩٢٨م قدم ابو طاهر الزعيم القرمطي الى بلدة الدالية في
منطقة تركيت الفرات وقتل الكثير من اهلها . ولكنه لم يحصل على غنائم
اذ لم يكن ثمة شيء يذكر . ثم سار الى الرحبة فدخلها في ٣ آذار
سنة ٩٢٨ ، وقتل الكثير من اهلها هناك (تجارب ابن مسكويه - امدرود ،
مجلد ١ ص ١٨٢ ، والكمال لابن الاثير - تورنبغ - مجلد ٨ ص ١٣٢)
ويقول ياقوت (المعجم) وستنفلد - ٢ ص ٥٣٨) ان الدالية هي البلدة
الصغيرة على الضفة اليمنى من الفرات بين عانة والرحبة ، حيث قبض
على زعيم القرامطة .

ويلاحظ ابو الفضائل (الراصد - يونبول - مجلد ١ ص ٣٨٦) عند
نقله هذه الرواية ان هذه البلدة لم تكن معروفة في زمانه .
ويقوم دير حنظلة بين الدالية والبيسنة ، على الضفة اليسرى من
الفرات اسفل من رحبة مالك بن طوق (ياقوت مجلد ٢ ص ٦٥٥ ،
ابو الفضائل السابق ذكره مجلد ١ ص ٤٢٨) .

بُنيت عليه بلدة الصخية . غير ان الفرات قطعها في بعض المواضع . وبالقرب من الشاطئ الأيمن واليسر توجد جزر كبيرة وصغيرة ، مما يدل على ان الفرات قد غير مجراه خلال القرون القلائل الأخيرة . ولا يزال مجرى الفرات القديم باقياً في السهل الفيضي الى الشرق من قاع النهر . ويمتد المجرى على الضفة اليمنى الى الجنوب الشرقي ، بحيث يروي مزارع عدد كبير من القرى ولا تزال آثارها ظاهرة بين الصالحية والبيضة .

الصالحية الى القايم

في ١١ نيسان من عام ١٩١٢ اخترقنا الأجمة الى الطريق العام . وفي ٢٣ صباحاً ظهر صدى واسع في الاجراف الصخرية الممتدة على اليمين يسمى (شعيب السويحل) . وتبرز في وادي الفرات شرقي السويحل آخر ما تبقى من طبقة كانت سمكة يوماً ما ولكن عوامل التعرية لم تعمل على ازالتها حتى الان . في ٤٤٠ ظهرت على يميننا محطة (درك) المسماة الصالحية وخان يملكه أحد أهالي دبر الزور . وبجانب الفرات تشاهد رافعات المياه المعروفة بـ (الجرد) . وتتكون أبسط أنواعها من عمودين يحملان محور البكرة ، وعلى البكرة حبل يتحرك ، في احد طرفيه دلو جلدي كبير ، وفي الطرف الآخر من الحبل رُبُطت بقرة ترفع الدلو عند امتلائه .

واخترقنا الآن سهل اللابح حيث ينتهي (شعيب الورد) (٩) . وهذا السهل مزروع في بعض الأماكن وفي أخرى تغطيه شجيرات طرفةاء كبيرة (١٠) في ١٠٧ مررنا بقرية (السويط) . وفي الساعة الثامنة : (بالقطعة) وما وراء ذلك قامت اكواخ قليلة - تعرف بـ (الخريطة) و (النعيم) ، اما الى الغرب

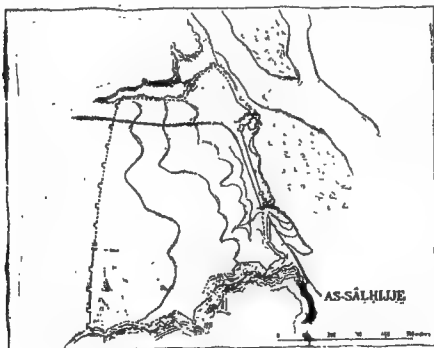
(٩) ان المصطلحات العربية (ماعدا النباتية) التي لم يحدد معناها في النص قد ورد ايضاحها في المقدمة .

(١٠) المرادفات اللاتينية والبيانات الموجزة لكثير من المصطلحات النباتية العربية الواردة في النص يمكن الوقوف عليها في الفهرس .

فتوجد خرائب (التصوية) ، وتمتد وراءها الاجراف المعروفة بـ (رقيصة اليهودي) . وفي ٤٥٠هـ شاهدنا على اليمين خرائب (المصلحة) ، وإلى الجنوب الغربي منها تلالاً عريضاً من الخرائب يسمى (الجحش) مع قرية الرمادي أو (رمادي الزور) . وابتداء من الساعة ٤٥٠هـ اجتئنا مزارع (سراة أبو قبيع) ومررنا بخرائب شعبان وأم زناد ، والحريري : الواقعة غربي قُرى : الحسرات ، السيال ، والحلبية . وفي الساعة الحادية عشرة وصلنا إلى تل كبير كونه خرائب المدقوق وخرائب رسول الاصغر منها .

ولحاجتنا إلى مرعى لجمالنا ، انعطفنا في الساعة ١١٢٥ إلى اليمين واسترحنا من الساعة الثانية عشرة إلى الواحدة بالقرب من خرائب (أبو مبيات) . وكان الحر شديد الوطأة . وكانت الرياح تهب من الجنوب الشرقي محملة بسحب رمل ناعم هبّج الأعصاب .

وظهر للعيان على الشاطئ الأيسر نتوء صخري هائل يسمى (العرضي) ينحدر



شكل ٤ - الصالحية مغطى الخرائب

الى الفرات انحداراً شديداً . وتظهر الغبرة على جهة اليمين فيما وراء (سراة ابو قرامس) ، وهي محطة (حرك) مهلمة ، وبقايا أبنية قديمة . وكنا في هذه الأثناء نخترق مزارع العشاير والسكرية والبيضة .

في الساعة ٢١٥ بعد الظهر شاهدنا قرية ابو جمال الجديدة بمسجدها الصغير نوعاً ما ومنارتها الرشيقة ومبانٍ قليلة أكبر حجماً في القسم الجنوب الشرقي . وتندمج في (ابو جمال) الاراضي المرتفعة الغربية مع السهل الفيضي الزراعي . هناك مكثنا من ٢٣٢ الى ٢٥٨ ونحن نفاوض القائمقام للحصول على خفراء . وفي ٣١٢ عبرنا (شعيب الرثقة) عند مزار (او قصر) علي ، غربي قرية ام عياش ، ونصبنا الخيام في الساعة الرابعة عند مزارع (السويعة) شمالي مرتفع (الصفر) .

وفي ١٢ نيسان ١٩١٢ بدأنا الرحلة في الساعة ٥٣٨ قبل الظهر مخترفين مزارع السويعة . وفي ٦٤٠ عبرنا (شعيب الحميضة) ، وبعدها مباشرة (شعيب الفهيدة) . ولل جنوب هذا الموضع ، برزت على مسافة بعيدة من الفرات ، (ظهور الماني) ، وهي تسد الأفق . وهي صخرة عالية مائدية الشكل . وكانت على يسارنا من جهة الشمال مقبرة قديمة تسمى (قور علي) . وظلت تظهر للعيان لوقت طويل هضبة العرضي وبقايا خرائب كبيرة وصغيرة وقبور على هيئة أبراج بأعداد كبيرة . وسرنا عبر حقول (سراة ابو الجرس) ، جنوبي الحسبية والهلي . وخرائب العنقا (١١) والوحلات .

(١١) ادى ان خرائب عنقا لها صلة بقيام عنقا .

ويروي ابو الفدا (التقويم - رينو و ديسلان ص ٥١) نقلا عن سليمان بن مهنا انه كان يمتد على جانبي الفرات سهل فسيح يبلغ قيام عنقا ، حيث يضيق الوادي مؤديا الى عانة ، والحديثة ، وهيت ، والانبار . وفيما وراء بلدة هيت يجري الفرات خلال سهل العراق ، الذي يسقى بالري - والقيام هو دير القيام ، ومحطة القيام الحالية . وينتهي سهل الفرات الفيضي على بعد خمسة كيلومترات غربي حانة ، وعلى اكثر من عشرين كيلومترا غربى القيام .

وبعد عبورنا (شعيب المانع) في الساعة ٧:٥٦ وجدنا انفسنا في خرائب
(تل الجابرية) - او الشيخ جابر ، وهو مرقد صغير بُني وسط خرائب الى جانب
الفرات (شكل ٦ ، ٧ ، ٨) . وقد مكنا هناك من ٨:١٠ الى ٨:٥٢ (١٢) .

(١٢) أن موقع خرائب الجابرية تضطربنا الى ان نجعلها مطابقة لبلدة خندانو
القديمة .

ولقد قدم امة الرب ، ملك خندانو ، الى الملك الاشوري توكلتي انرونا
الثاني (٨٨٩ - ٨٨٤ ق م) عشرة امان من الذهب ، وعشرة امان من
الفضة ، وطلتين من الرصاص ، وطلاتا من المر ، وستين قطعة نحاسية ،
وعشرة امان من نبات زردو ، وثمانية امان من حجر شعزیده ، وثلاثين
جملا ، وخمسين رأس ماشية ، وثلاثين حمرا ، واربعة عشر طائرا
كبيراً ، ومائتي رأس غنم ، وخزراً ، وشراباً ، وخبزاً وعلفاً .

وتبين من ذكر المر والجمال ان خندانو كانت لها معاملات تجارية مع
تجار كانوا يستوردون منتجات مختلفة من جنوب جزيرة العرب بطريق
الخليج العربي .

وحينما كان آشور ناصر بال ، بعد ارتقائه العرش بزمن قصير ، مشغولاً
باخماد العصيان في مدينة سوري في بلاد بيت خديه ، ارسل اليه
خياني - وهو حاكم خندانو (كدا) - جزية من فضة ، وذهب ، ورصاص ،
وبرونز ، واحجار كريمة وجمال للركوب . وللدلالة على انه يعترف
بسلطانه عليه ، اقام له تمثالاً في مصره وعليه كتابة منقوشة كما نصب
لوحة بكتابة مماثلة هند مدخل المدينة .

وفي سنة ٨٧٨ دفع سكان خندانو الى آشور ناصر بال الثالث : فضة ،
وذهباً ، ورصاصاً ، واوانى ، وسائبة وقطمانا .

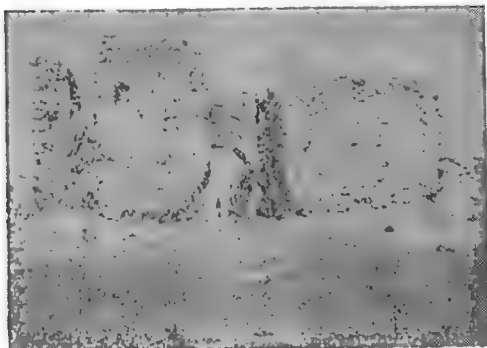
ويذكر شمسى - ادد السابع (٨٢٤ - ٨١١ ق م) أن حاكم خندانو انضم
الى آشور دانيال الذي تمرد على ابيه شلمانصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٤ ق م)
غير انه تم اخماد العصيان ودخلت بلاد آشور من مدينة اربدي حتى
بلاد سوخي في طاعة (شمسى - ادد) مرة اخرى .

وفي نحو سنة ٦٥٣ ق م كان سن- سار اسور واليا في خندانو ، ولما
بعض السجلات المؤرخة من عهده .

وفي سنة ٦١٦ افار نبوي لاشر ، ملك بابل ، على خندانو وانهبها .
وقد علم اسيديور الكرخي ص ٢٤٧ بوجود مدينة كدن التي ينبغي ان
تكون - وفقاً لوصفه - مطابقة لـ (خندانو) .

ويسمى اسطيغان البيزنطي ص ٢٦ ، مدينة ادنه على الفرات بلدة
فينيقية سميت كذلك نسبة الى الدوكس ادانون . والقول بان ادنه ،

في ٩١٥ عبرنا (شعيب سعيطة)، وفي ٩٥٠ (شعيب البلدة) ، وفيما وراء ذلك
تقترب الأجراف الوعرة من الفرات ثانية . ورأينا في الطريق عدداً من الملاحين يركبون
الحمير . وكان آخرهم رجلاً مسناً أعور ، أخذ يلغنا باستمرار ويكرو مرة
على الأقل : « ليتكم تموتون اليوم ، ليت هذا اليوم آخر يوم لكم في هذه الدنيا » .



شكل ٥ - الصالحة ، باب اقاميم الى عانة

التي تطابق خندانو ، هي بلدة فينيقية بدل على اهميتها التجارية .
ويقول ياقوت (المعجم) - فستفلد مجلد ٣ ص ٦٦٨ : ان حران
الواقعة على الفرات كانت في حوزة الملكة الزباء ، وهذان التي على
الضفة الاخرى من الفرات في حوزة اختها . وتشير مدان - من جهة
النطق - الى [الكلمات] ادنه ، كدن ، وخندان ، بينما نجد في حران
استمرارا للكلمة الارامية خنزان .

ويذكر القزويني (المعجائب - فستفلد ، مجلد ٢ حرص ٢٨٣ وما
بعدها) ان حران كانت ملكا للزباء ، التي بنت بلدين على ضفتي الفرات
احدهما تجاه الاخرى وانشأت بينهما نفقا تحت النهر .

ولقد همّ خادمنا محمد بضربه لكننا امرناه بالمحافظة على ملوئه ، وتحولنا من الطريق العام الى (شعيب الخويخل) عند محطة القايم ، حيث مكثنا من الساعة ١٠ر٠٠ صباحاً الى ١٢ر٢٠ بعد الظهر .

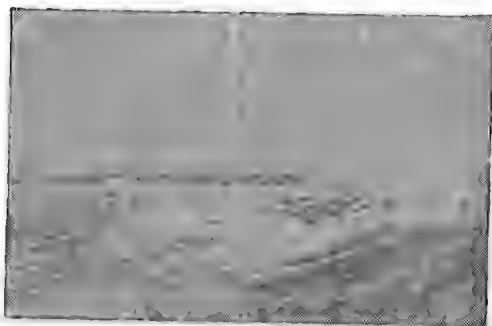
القايم الى عائلة

يقع مخفر (درك) القايم على مرتفع في الضفة اليمنى من (شعيب الخويخل) أو القايم . والى الغرب منه بُني (خان) بجانب الطريق العام ، وتقوم الى شرقه كومة خرائب تبرز فوقها بقايا برج (١٣) .

(١٣) كان القايم مدينة لغوية .

ويذكر أبو الفرج (الافاني ، بولاق ١٢٨٥هـ) مجلد ٥ ص ١٢٣ وما بعدها - (البكري : المعجم وستنفلد ص ٣٥٩ وما بعدها) انه زار دير القايم الاقصى ، الذي يقع على الضفة الغربية من الفرات على الطريق المؤدية الى الرقة . ويذكر انه كان في الاصل برجاً للمراقبة على غرار الابراج التي اعتاد الفرس والاغريق اقامتها عند الحدود . ثم بنى ديسر بالقرب منه ، ولكنه سرعان ما أصبح بغير سطح أو باب في منتصف القرن العاشر . وكان لا يزال مسكوناً تحت حكم الخليفة هرون الرشيد (٢٨٦ - ٨٠٩م) حيث اقام ثلاثة ايام اثناء سفره الى الرقة وكان مما اجتلبه كثرة الازهار ولاسيما شقائق النعمان هناك ، وقد اعجب الخليفة بكرم ضيافتهن ايما اعجاب ، حتى انه اعفاهم من الخراج (ضريبة الأرض) ، وامرهم بدفع عشرة دنائير فقط سنوياً عن جميع ممتلكاتهم .

وقد أورد ياقوت (المصدر السابق) مجلد ٢ ص ٦٨٤ ، وأبو الفضائل (المراسد - يوينبول مجلد ١ ص ٤٣٧) كلمات أبي الفرج في هذا الموضوع وزاد عليها انهما شاهدا هذا الدير ايضاً . ويقال انه سُمي القايم لارتفاع برجه ، الذي امكن منه مراقبة خطوط الحدود الفارسية والرومانية على السواء . وقد زعموا ان هذا البرج يشبه عقرقوف عند بغداد ، واصبح خفان بضواحي الكوفة .



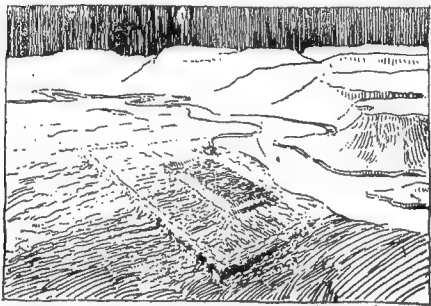
شكل ٦ - من الجارية ناطق إلى الجنوب الغربي



شكل ٧ - حطب الماعز في الجارية

في ١٠١٠ بعد الظهر كان على يسارنا سهل القياضية ، وعلى اليمين منحدر التريجية الصخري . وفي ١٤٤٤ عبرنا شعيب سلمان الذي ترتفع على صفته اليمنى ظهور القنيطرة وهي عدة تلال صغيرة مستطيلة منبسطة السطح . وفي الساعة الثانية كنا في شعيب أبو ربيع حيث كانت قافلة تجارية كبيرة تجلب التمر والزبد من عانة الى حلب تحط رحالها . اما ابو ربيع فيبدأ عند سفح (طرق ابو سعد) ويتخذ طريقه بين تلال (الرخيمات) و (التريجية) . وفي ١٢٢٢ غادرنا سهل القريضية الرسوبي واتجهنا شرقاً فوق مرتفع (مفازة الشنانة) ، متحاشين الدوران حول اربع اشباه جزر كوئتها مجرى النهر . وتقع على مقربة من ضفة الفرات اليمنى قرى القريضية ، والقنيطرة ، والعبيلي ، والمطرزية ، والمشعل ، البرد (البريد) ، الحصيم (الحميمص) ، الشفيرة ، الجروه الشقاقية ، الرافلة ، البجون ، الصفر ، الوضاحية ، الهفة (الهينة) العماري (العمارية) ، الزعفرانة ، الزلة ، الشفوانية ، والنهية . وتوجد بالقرب من قرية الصغيرة خرائب (الحصير) ، وهي خرائب واسعة يكثر الفلاحون فيها على مختلف العاديات وعند (الجروة) ينتهي شعيب ابو الجروة حيث تشاهد على الجانب الأيسر منه خرائب اخرى تبعد مسافة ستة كيلومترات من النهر . يرتفع في الجنوب تلات صغيران هما تلات (القرون) وينتهيان من الجهة الجنوبية الشرقية بمرتفع طويل . في الساعة ١٠٣١ كان قل (رجم القرس) على يسارنا وفي ١٤٠٣ دخلنا ثانية سهل الفرات قرب (البريد) وقطعنا وادي (ابو الجروة) وفي ١٤٠٥ ره خيمنا على الجانب الايسر من الطريق العام وسط اجمة صخرة من الطراف . ومن مخيم الدليمي عند خرائب (الشفيرة) ، حيث يتولى الرئاسة فرحان بن شرجي ، كنا نسمع طوال الليل قرعاً رنبيّاً على طبل كبير . لقد كانوا يستعدون لحفل ختان رقص فيه الرجال والنساء من المساء حتى الصباح . واجتازنا ثانية في الساعة ١٤٠٦ ره صباحاً من يوم ١٣ نيسان سنة ١٩١٢ الهضبة التي يقطعها (شعيبان الصخرة) . وظهرت

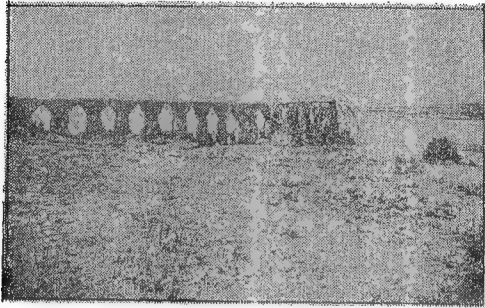
خرائب ارتاحه الى اليسار على جرف شديد الانحدار. وفي ٦٤٤ شاهدنا في حقول الهضبة اول رافعة ماء من نوعها المعروفة (بالناعور) (شكل ٩) وتتكون من دولا ب كبير رُكبت على حافته أوعية فخارية مستطيلة . ويفصل الدولا ب



شكل ٨ الجابرية

غائصاً في النهر الى عمق كبير ويستند محوره على دعامين من الحجر ويرتبط بضفة النهر بصف من الدعائم تحمل عقوداً (قناطر) وضع عليها حوض . ويحرك الماء المتدفق الدولا ب ، فتتملأ الجرار بالماء وينصب في الحوض ، ومنه يتدفق الى المزارع . ويسمع صرير هذه الدولا ب ليل نهار .

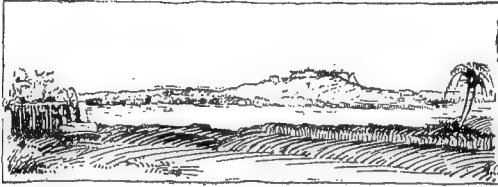
وفي الساعة ٦.٥٥ بدت للبيان مزرعة قصر المشوخ الى الشمال في مزارع الزعفرانة. في ٧.٢٨ انحدرنا الى القرأت بقرب مزارع الزلة . ثم استرخنا في



شكل ٩ - ناعور حقول الحافي

الزاوية من الساعة ٨ ، حتى ٨ر٥٠ وبعدها مررنا بسهل الربيعة الفيضي الذي تحيط به من الجنوب روابي اذينه حيث تشاهد جمالا كثيرة ترعى . وكانت هذه قطعان عشيرة العبيد . حيث كانوا يقيمون في شعيبان الفحميات . وفي الساعة ١٠ر٣٠ وصلنا الى مخفر (جندومة) النهاية الواقع في جنوب الطريق قرب كومة مواد بناء قديم وكان يوجد الى الشرق منه مخيم كبير للدليم ، يمتد وسط مزارع البرقنية والافطارية . وفي ١١ر١٠ صعدنا مرتفعات مسقط الجبال الوعرة . وتقع على النهر من الناحية اليسرى خرائب الدنيّة ، تليها بقليل قريتان صغيرتان هما : المهديّة ، الابراهيمية ، وخرائب الخلاوي والنزالية ، ومزارع الهلرية . ولقد عثر في المدينة على آثار مختلفة من الزجاج ، والأباريق ، وأوعية فخارية كبيرة . وظهرت الى الجنوب هضبات قور البطاطيح المنخفضة ولى شمالها روابي الغزويّات ، ولى الشرق من الأخيرة هضبة كنف المغر حتى اذ ابعدنا ناحية الشرق ظهرت

سلسلة متبسطة هي سلسلة الحميدات واسترحنا من ١١٣٥ الى ١١٠ بعد الظهر حتى اذا بلغت الساعة ٣١٠ كنا بجانب النهر مرة اخرى ، قرب مزارع الابرجية . وعلى اليسار كانت القجوات التي كونتها (شعبان الخضكة) تبدو سوداء اللون . وفي الساعة ٣٠٤ أقمنا مخيماً قرب مزارع العونية شمالي الحميدات .

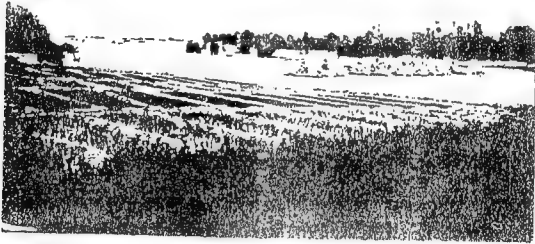


شكل ١٠ - دابة من الجنوب الغربي

وفي ١٤ نيسان سنة ١٩١٢ مررنا خلال روايي الهلايات جنوبي قرى الحسينية ، الشروانية ، السويولة ، الشرجية ، والمنظرية . ومن ٦٣٠ حتى ٧٠٠ صباحاً كانت جمالنا ترعى في شعيب الحصى ، حيث تطفح مياه نبع الرخيصى ، وشاهدنا امامنا مجموعة أبنية نصف مهدمة تعرف بالمشهد (أو المشهد الكبير) ، وإلى الشمال منه توجد مطحنة وتمتد في شرقه بساتين قرية (راوه) يُطلّ عليها نزه صخري وثكنة جنود ومزار الشيخ (رجب بن احمد) الرفاعي . وفي ٨٢٣ كنا عند المشهد الكبير . وهو قرية صغيرة خربة تقع قرب مسجد تعلوه قبة كبيرة وقبتان صغيرتان (١٤) .

(١٤) كان المشهد الكبير فيما مضى دبرا مسيحيا ، وكان مقرا لمعين لمدة سبع سنوات ، ومعين هذا كان في وقت ما قائدا تحت حكم الملك الساساني سابور الثاني (٣٠٩ - ٣٧٩ م)

لقد رأينا بقرب المشهد الكبير اول بقرات مُستَمّة . وكانت على يسارنا جزيرة (الكرابلة) الصغيرة ببيوتها الخمس واشجار نخيلها الجميلة . وفي الساعة ٩٦ كان الى يسارنا مرقد علي ، وما وراء ذلك ضريح الشيخ محمد ، وجزيرة صغيرة تسمى اللباد . وفي ٩٣٨ عبرنا شعيب [الكهف] ، ومن ٩٢٤ الى ٩٣٨ توقفنا أسفل اجراف صخرية شاميلة الانحدار رأينا منها روعة منظر الشمال الشرقي . وتتوج الضفة اليسرى من الفرات بساتين يانعة ترتفع فوقها مدرجات اكواخ قرية راوة (شكل ١٠) وتعلو هذه ثكنة القلعة العسكرية العظيمة . وفوق القلعة من جهة اليسار مشهد يؤمّه الزوّار يسمى مزار الشيخ رجب الذي يعلو على الأذن . وهنا ترتطم مياه الفرات بجزرٍ صغيرة متعددة تغطيها اشجار النخيل . وترتفع على الضفة اليمنى اجرف صخرية صفراء متحدرة ، تُخفي الى حد ما - نخيل عانة واكواخها . وقد بنى القلعة - ملحت باشا سنة ١٨٧٢ ، لكنها مهجورة الآن ، لأنها اصبحت مكاناً للاشباح على ما يقال .



شكل ١١ عانة من الجنوب العربي

في الساعة ٩٥٠ وصلنا الى بساين قرية (عانة) (١٥) . ومن بين الخضراوات التي تزرع هنا كان البصل والثوم اكثرها وفرة . اما فيما يتعلق بالاشجار ، فقد كان هناك ، فضلاً عن النخيل : الرمان ، والتين ، والتوت ، وفي حالات نادرة : الزيتون . وسرنا اول الأمر خلال البساين وعلى امتداد المنحدر الصخري الذي توجد فيه مغارات كثيرة ، ما بين طبيعية ، وصناعية . وتابعنا السير بعدئذ في درب ضيق بين البساين والاكواخ التي تراءت كأنها لصقت بالصخور ، اذ لم يكن في القرية الا شارع واحد يمتد خمسة كيلومترات تقريباً ، وينحصر بين صقع شديد الانحدار في الجنوب والقرات في الشمال . وانتظرنا من الساعة ١٠٥٣ الى ١١٤١ لمقابلة ممثل القاتمقام ولكنه كان غائبا . ويقوم مبنى الحكومة بجانب (شعيب القنطرة) . ولما واصلنا السير رأينا على اليمين في الساعة الثامنة عشرة قبة البرمكية ، ثم عبرنا شعيب الشيخ خضر ، حتى وصلنا في الساعة ١٢٧ بعد الظهر الى جسر مهدم (شكل ١١) يصل القرية بجزيرة حويجة القلعة — وتعرف فيما عدا ذلك بعانة العتيقة أو عانة العتيقة — حيث لا تزال هناك بقايا قلعة حصينة .

ولم نغادر محلة الهداهدة الا في الساعة ١٢٣٢ ويطلق هذا الاسم على المحلة الشرقية من عانة .

وأقدم محلة في عانة هي القسم الغربي : بيت الكعلى . ثم يتبعه الحمران ، الصاغة . السراية . جميلة . العوجة . الشريعة — وتسمى ايضا الدلابحة — السدة . والهداهدة . ويسكن عانة نحو ٧٠٠ عائلة مسلمة ، و ٥٠٠ عائلة يهودية . ويقطن اليهود في محلاتي العوجة والشريعة ، ولهم كنيسة ، ورئيسهم خوجه روين بن منحيم . . وكثير من البيوت في الشريعة مبنية على طراز قديم (شكل ١٢) وهي اما ان تؤلف مربعا او مستطيلا . يضيق في أعلاه ، ويغطيه سقف مستوي

(١٥) انظر فيما بعد ، الملحق ١٦ .

يحيط به جدار منخفض تتظمه بعض الكُوى . والكثير منها تتألف من ثلاثة طوابق ، ولكن الطابق الارضي لا توجد فيه نوافذ . وتسمى الجُزُر التي بقرب عاة : لباد ، الحضرة ، للمسجد ، البشن ، الخراب ، الشيخ نصّار .

عساة الى الفحيمي

وبعد ان تجاوزنا القرية سرنا في مزارع صغيرة زُرعت شعيراً ، وخيمنا في الساعة ١٣٠ بعد الظهر قُبالة شعيب ابى الجرابعة (شكل ١٣) . وارتفعت امامنا على الضفة اليسرى منارة (المفتول) التابعة لدير الملوثة المهْدَم بالقرب من قرية صغيرة مهجورة تعرف بالحابولية .

في ١٥ نيسان سنة ١٩١٢ بدأنا الرحلة في الساعة ٥٠ صباحاً على شريط من السهل الفيضي الواقع بين الاجراف الصخرية العالية جنوباً وبين النهر . والسهلُ الفيضي في هذا الموضع ضيق صخري . وفي الساعة السادسة شاهدنا على اليمين مزرعة مهْدَمة بجانب مرقد يسمى القصر أو المشهد الصغير ، وعلى اليمين الثغرة التي كوَّنها شعيب القصر ، الذي ينبع فرعا : الطويل وأبوتين بين طرق ابو سعد وخشم الوعرية . وفي الساعة ٢٥ عبرنا (شعيب المحدّر) ، وفي مقابل جزيرة تلبس الصغيرة المأهولة بدأنا الصعود الى هضبة (الراحة) وتعرف أيضاً بالريحانة ، التي تحدها جنوباً رواابي منخفضة يتعرج خلالها وادي خجلان . وفي الساعة ٣٠ شاهدنا من خلال شعيب العوصية نخيل قرية الحيين على الضفة اليسرى . ثم تركنا جمالنا ترعى من الساعة ٣٠ الى ٣٨ . وقبل الساعة الحادية عشرة بقليل التقينا بالقائمقام يصحبه عسكري برتبة رائد مع عشرين جندياً على ظهور البغال (البغالة) ، يخفرون اثنين من رؤساء عشيرة اللديم قيل لنا انهما رفضا ان يلغيا للمرة الثانية بعض المستحقّات التي سبق ان اختلسها جابي الضريبة في قرية الحليّة . وفي الساعة ٣٥ وصلنا الى القرات . وتقع في الشمال مزارع الاشويمية ، البيجان ، والعوصية ، وفي جنوبها امتدّ شريط طويل من شجيرات الطرفاء والوسج محاذياً النهر بعرض يبلغ نحو ٣٠ متراً .

وقد اكسب تفنن عدد لا يحصى من الأزهار جميع الشجيرات لوناً احمر واييض.
وتغطي السفح ببساط أخضر من مختلف النباتات السنوية والناثمة . وكانت
جمالنا متعة وجائعة ، وكنا نتوق الى حمّام جيّد . ولذلك نصبنا خيامنا في
الساعة ١١/١٨ على الجهة اليسرى من الطريق العام ، بقرب الفرات نفسه .

لقد امضينا يومي السادس عشر والسابع عشر من نيسان في فحص ملاحظتنا
الطوبوغرافية ، واستكمال نواقص خرائطنا ، وفي جمع النباتات ، وترتيب الصور
الشمسية . وكنت أودُّ أن أضع قائمة خاصة بكل عشائر الدليم ، غير اني
لم استطع ان اجد اثنين من المخبرين يتفقان بهذا الصدد . فقد يختزلون مكانة
العشائر المعروفة لهم الى مجموعات صغيرة أو حتى الى اسرة واحدة . أو لعلهم
يصورون بعض الأسر المنفردة في هيئة عشائر عظيمة في حين يجعلون العشائر
التي لا يعلمون عنها الا التزر اليسير في عداد الأسر غير المهمة .

الفصل الثاني

الفجيمي الى الرمادي

الفجيمي الى وادي حوران

بدأنا رحلتنا في ١٨ نيسان سنة ١٩١٢ في الساعة ٤٩ره صباحاً . وفي ٢٠ره عبرنا شعباً واسعاً هو شعب الفجيمي (ويسى أيضاً الحضر) وصعدنا الى مرتفع العوسجات . وعلى اليسار يقرم مخفر الفجيمي ، وأمامه كومتان عاليتان من الاحجار للدلالة على الطريق . ويسى الشريط اللصيق من المزارع التي تحاذي النهر (الجرن) حتى اذا بعدنا شرقاً ظهرت مياه النهر وهي تنخر الاجراف الصخرية الجنوبية مكونة عدة جزر صغيرة . ثم برزت بعد الساعة الثامنة على يسارنا جزيرة المرزوقية . وتقع على شواطئها الشمالية والشرقية قرى صغيرة هي : جرنه ، الشامة ، ترنانه (وفيها خرائب) ، شغياته ، ترقاسه ، سوسه ، وشجال . ويجري الفرات بطيئاً متعرجاً بين شواطئ مزروعة واطنة ركثير من الجزر . والى الجنوب تظهر روابي العمري وابو شابور وهي روابي واطنة داكنة اللون . وفي الساعة ٩١٦ره عبرنا شعب السكة ، وفي ١٠٢هـ شعب البارج . وعند قرية الباهية اقتربنا ثانية من الفرات . وظهرت الى الجنوب الروابي التي ينبع منها نـحـيب أبو شابور ، الذي اجتزناه في ١١٢٨هـ . أما على اليسار فكانت قرى صغيرة هي : البشية ، طيمانية ، بني حارثة والجزل . وتركنا جماننا ترعى من الساعة ١١٣٨ الى ١٢٤٦ في وادي الحجر .

في الساعة ١٠١ره بعد الظهر مررنا بقرية البطينة ومرقد الشيخ حديد (شكل ١٤) والأخير مبني على قاعدة مربعة تستقر عليها خمس درجات مستديرة ؛ ويرتفع مخروط على الخامسة منها . ورأينا في الساعة ١٠٢٦ره على يميننا ضريح السيد

محمد (شكل ١٥) ، وهو شكل مثمن الأضلاع يحمل ثمانى درجات مستديرة ومخروطاً . وكانت المزارع التي على اليسار تسمى : الخمسة ، علاته ، حبيب ، والمخاضة . وفي الساعة ١٤٠١ رأينا وصلنا الى قرية الحديثة .
تقع الحديثة على جزيرة . وقد بُنيت بيوت القسم الشمالي منها بعضها قرب بعض وتنمو في قسمها الجنوبي انواع جيدة من التخليل . وثمة جسر يؤدي الى الضفة اليمنى . ويقع بالقرب منه مخفر و (خان) ، ونشاهد على الروابي المحيطة بها قبور ييضاء كثيرة (١٦) .

(١٦) روى البلاذرى (الفتوح - دى خويه ص ١٧٩) انه حدث في خلافة عمر بن الخطاب ان سار مدليج بن عمرو السلمى من الكوفة متجها الى هيت وحصون اخرى في تلك الناحية . وفتحها ، واسس الحديثة على الفرات . وقد زعموا ان ابنه ولد في هيت .
وفي النصف الاول من كانون الثانى (يناير) سنة ١٠٦٠ م وصل الخليفة القائم من منفاه في عانة الى بلدة حديثة عانة ، ومنها عاد الى بغداد (ابن القلائس - الدليل - امدرود ، ص ٨٩ ، ابو القدا : المختصر - ادله - مجلد ٣ ، ص ١٧٢) .
وفي سنة ١١٢٢ - ١١٢٣ م كان عامل بلدة الحديثة لعله الامير سليمان بن مهارش العقيلي (نسبة الى قبيلة عقيل) ، وقد اجار الوزير المعزول : جلال الدين بن صدقة الذى مالبت ان اعلن العصيان على الخليفة (ابن الاثير : الكامل - تورنبرغ - مجلد ١٠ ص ٤٢٥) .
اتاك ان اهل حديثة عانة كانوا بسبيل العصيان عليه وجه اليهم الجنود ، اتاك ان اهل حديثة عانة كانوا بسبيل العصيان عليه وجه اليهم الجنود ، فاستولوا على البلدة ، وقتلوا اشخاصا كثيرين ، وانتهبوا كل ماوجدوا هناك (ابن القلائس كالسابق ص ٢٨٠) .
وفي سنة ١١٩٠ م استولى الناصر لدين الله على حديثة عانة ، لكن بعد مقاومة عنيدة ، وعلى ان يقطعوا الاراضي في مناطق اخرى (ابن الاثير كالسابق مجلد ١٢ ص ٣٨) .
ويذكر ياقوت (المعجم ، مجلد ٢ ص ٢٢٣) ان حديثة الفرات (وتسمى ايضا حديثة النورة) تقع على بعد عدة فراسخ من الانبار على جزيرة في الفرات ، وكانت بمنابة حصن ذى اهمية ملحوظة ، وينقل عن السمعاني (توفي سنة ١١٦٦ - ١١٦٧ م) قوله ان الحديثة كانت مقرا لطائفة النصرية .
ويعين ابو الفداء (التقويم - رينو وديسلان - ص ٢٨٧) موضع بلدة الحديثة بين الانبار وعانة .

وتتجمع جنوبيّ الحديثة قرى : المحسّة ، القايد ، حنلول ، ميلان ، سرو ،
معبود ، النجمي ، الحجر ، بني ظاهر ، قرهيفة ، والشرونة ، وعند الأخيرة
ينتهي وادي خجلان ويعلوها مرقد الامام علي (ع) . وكل هذه القرى تسمى ايضاً بني
ظاهر . وعندما اصبحنا مقابل جزيرة الوريان في الساعة ٢٤٧ صعدنا الى مرتفع
مفازة الدبس . وفي الساعة الثالثة اجتزنا وادي خجلان العميق حيث يمكن رؤية
جزيرة التيمية . وهي جزيرة صغيرة في الفرات تقع الى الاسفل منه : وقادنا طريقنا
الى سهل القائد وهو سهل اجرد سفعتة الشمس لا توجد نباتات سنوية فيه الا في
بعض المواضع السفلى منه (حمري) . وفي الساعة الرابعة عبرنا شبيب الزغادان
وفي ٢٠ ره شبيب اليهودي ، وفي ٥٥ ره انمطفنا يساراً ثم انحدرنا على الجانب
الغربي من أخلود قصير يهبط الى النهر مقابل جزيرة (ألس) ، حيث خيمنا
لقضاء الليلة فيه . ويوجد في هذه الجزيرة عشرون بيتاً مرتفعاً متين البنيان كما تنمو فيها
اشجار نخيل ضخمة (١٧) . وفي اسفل الأجراف الصخرية المُنطلة على الضفة
اليمنى تقوم قلعة مهدّمة . وكان البرق يومض في تلك الليلة على بلاد الرافدين .
١٩ نيسان سنة ١٩١٢ . . منذ ساعة مبكرة اي في ١٧ ره قبل الظهر حملتنا
الجمال خلال سهل متموج نخترقه شعبان الخفاجيات ، وتننظم سفوحه كثير من
المغارات . وفي ٨ ره اطلعنا الدرك بالقرب من : عيب بنات الحسن على بعض هياكل
عظمية لنخيل وجمال ، وهي بقايا معركة نضبت بين (الدرك) ومحاربي قبيلة
الظفير . وكانت الظفير ، التي تقع مخيماتها بالقرب من الخليج العربي ، قد
هاجمت قافلة تابعة لتجار من اهل عانة كانوا يجلبون تمباكاً (التبغ التركيلة)
وعباءات فاخرة من بغداد . وقد قُتل دركيان ، وجرح ثلاثة ، وسلبت القافلة
كلّ ما معها من متاع . اما التجار فقد لاذوا بالفرار ، ولكن الجمال وما عليها من
احمال استحوذ عليها رجال الظفير بأسرها . اما الحيوانات التي وقعت فقد

(١٧) ويشير ياقوت (المصدر السابق ، مجلد ١ ، ص ص ١٦٥ ، ٣٥٢) الى
قرية الوساو الوس بالقرب من عانة والحديثة على الفرات .
ويضيف ابو الفضائل (المراسد — يونيول — مجلد ١ ص ٨٨) قوله
ان الوس تقع اسفل من عانات ، غير بعيد من الحديثة .

سلخ جلودها الفلاحون وإشباعهم واقتطعوا خير اجزاء لحومها ، وتركوا ما بقي منها قريسة للحيوانات . في ٨١٥ عبرنا وادي حوران (١٨) .

وادي حوران الى هيت

في الساعة ٩٢٨ تراءت لنا في الجنوب الشرقي اشجار النخيل في قرية الجبة الى الجنوب الشرقي ، أما الى الشرق ، فكانت بساتين القري واكواخها تحتضن المنحدر الصخري على الضفة اليمنى من النهر عند جزيرة آلوس . وهذه القرى الصغيرة هي : القليلي ، السبوروت ، القصب ، الجديدة ، جنف ، الرودية ، الربعي ، عناية ، الصوينخ ، ابلي ، ابو العلا ، الابرازية ، الجودفيه ، السمعانيه . والمروانية ، والأخيرة تقع قريباً من جبة . وفي ٩٣٩ شاهدنا الجزيرة — وعليها قرية الجبة — الى الشرق منها مباشرة ، وكنا آنذاك نقرب ثانية من القرات (١٩).

وإلى الجنوب من جبة تقع قرى الجلاميه ، ام دويل (وتسمى أيضاً جَنَفَتَه) ، المشهد ، المهيرية ، بيت خطف ، والحلبسية .

وقضينا فترة استراحة من ١٠٢٥ صباحاً الى ١٢٣٠ بعد الظهر . وفي ١٩ اجتزنا شبيب القصر ، ويقوم على مقربة منه مخفر (درك) وخان البغدادى على ضفاف القرات . وفي ١٢٠ كان على يسارنا بستان كبير هو ملك فهد بن هذال شيخ قبيلة العمارات . وينتهي شبيب العشلي في هذا البستان . ثم تابعنا

(١٨) بطليموس (الجغرافيا) م ٢٠ ، ٣ يشير الى منطقة اورانتس بالقرب من القرات في بلاد بابل . - فاذا كانت كلمة اوران لم تنسخ خطأ من ارام ، فيجب ان نبحت عن اورانتس في المنطقة المجاورة لوادي حوران ، ولو ان هذه المنطقة لم تكن في بلاد بابل وانما كانت في بادية الشام . بيد ان بطليموس كان في الغالب يضع الاماكن في البلاد المتاخمة ، ولعله فعل ذلك بالنسبة الى اورانتس . وكان الجزء الشمالي الغربي من بابل يسمى ارامتس

(١٩) ويذكر ياقوت (المصدر السابق) مجلد ٢ ، ص ١٣ وابو الفضائل (المصدر السابق) مجلد ١ ص ٢٤٠ جزيرة تسمى الجبة بالقرب من هيت

طريقنا متجاوزين روابي الياهر على اليمين ، بينما بدت على يسارنا بساتين وقرى
 صحافية ، الجديدة ، الوسيطة ، الماع . المجاول ، الدرعة ، البشري ، الزوية ،
 الزريج ، الدويلية ، وخرائب الجابرية الواقعة عند مضيق من الأرض . وتقع
 وراء المضيق : الجنانية ، الزراعة ، العباية ، اللسية ، المشقوقة ، القطبية ،
 القرابة ، الضخيفة ، النفاشة ، البازية ، النويص ، الفالح ، الورشانية ، الحريدية ،
 الخضارم ، بني خزرج ، المفردات ، الدّيقية ، سعدان ، الشيخ ظاهر ، السكارية ،
 البسطامية ، البثنية ، الابردية ، السلية ، الخولدية ، السريدية ، السمعانية ،
 المشخن ، جزيرة غانم ، البلاتية ، الحسنية ، الشيخ السلّية ، القامية ، الدليّة ،
 الحجر ، وكنان القرية من بلدة هيت .

واسترحنا من ١٨ الى ٢٥ في موضع غير بعيد من جزيرة (ناووسة)
 المأهولة (٢٠) .

كان الحر شديد الوطأة ، وخاصة لأن شبه جزيرة (المعيزلة) باعدت بيننا
 وبين برودة النور عندما كنا نقطع سهل سباط الأجرد الذي لفحته الشمس .
 وفي الساعة الخامسة عسكرنا في منحنى غربي الطريق العام .

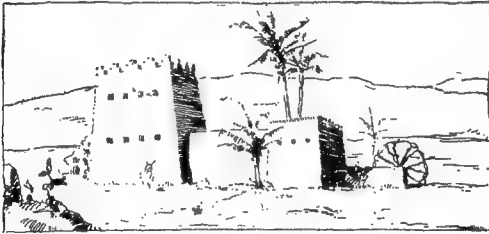
في ٢٠ نيسان سنة ١٩١٢ كنا نسير في ارض صخرية وعرة ترتفع فيها روابي
 مخروطية الشكل تتوزع هنا وهناك . وفي الساعة ٥ قبل الظهر اجتزنا شعب
 القاليج الأول وفي ٢٨ عبرنا شعب القاليج الثاني ، حيث تنمو نباتات الشحيح
 والعنسل بكثرة . وإلى الشرق منا بنا للبيان مرقد الامام ابو الزين قرب قرية
 الشيخ ظاهر ، وإلى الجنوب الشرقي ارتفعت من مدينة هيت سحُب دخان اسود

(٢٠) الناووسة محطة قديمة على الطريق من بغداد الى الرقة .

ويقول الادريسي (النزهة - ترجمة جوبير ، مجلد ٢ ، ص ١٤٤)
 ان الناووسة بلدة صغيرة كثيرة السكان على جزيرة في الفرات ، وينمو
 في البساتين المحيطة بها انواع فاخرة من الفواكة والخضروات المختلفة .
 ويلاحظ ابو الفضائل (المصدر السابق ، مجلد ٣ ص ١٩٢) ان
 منسوطنة الناووسة تقع في منطقة هيت الادارية .

وفي الساعة ٦ر٥٧ دخلنا أراضي السهلية والحسينية المألحة . وفي ٧ر١٢ تجاوزنا جزيرة صغيرة تسمى الافليسوي (او القليوي) ، التي حولت الى بستان . ومن ٧ر٣٢ الى ٧ر٥٢٠ ملأنا قَرَبَنَا ماءً في بساتين الشيخ محمد السليّة . وفي ٨ر١ تركنا الفرات وسرنا بين وادي واطلة جرداء ، وفي ٨ر٢٨ مررنا خلال شعيب واسع هو شعيب المريج يمتد بين أجراف بيضاء شديدة الانحدار . واسترخنا من ٨ر٣٤ الى ٩ر٢٢ .

وأخيراً ظهرت للعيان بلدة هيت (٢١) وقد تصاعدت منها أعمدة دخان تزداد علواً وسواداً . وتحجب كثافة خضرة بساتين قنّان و (البصابر) و (القندي) هذه البلدة ، ولم يكن يُسَرَى من ناحيتها الشرقية سوى عدد من البيوت القائمة ومثلثة مائلة تنذر بالخطر . وإلى الجنوب امتدت حافة عريضة واطلة هي حافة (قوس السنّ) ، وبرزت الى الجنوب منها منارة الميميرة (المعمورة) العالية . وفي ١٠ر٥٣٠ وصلنا الى سكة حديد ضيقة ، استخدمت لنقل احجار البناء من المقالع القديمة في الميميرة الى الفرات . وكانت الأحجار تنقل في قوارب الى الهندية لاستخدامها في بناء سدّة على الفرات . ويظهر الى غربيّ سكة الحديد هذه ، وعلى طرف البساتين ، مقام علي وهو مرقّد صغير نصف مهلم



شكل ١٢ - بيت رجل يهودي في عانة

(٢١) انظر فيما بعد ، الملحق ١٧ .

يقع على مسافة قصيرة من نبع يقطع بالماء . ومن ١١٩٠ الى ١٢١٥ بعد الظهر توقفنا عند بساتين الدوارة الواقعة في الجهة الجنوبية من المدينة . وذهب ناصر لشراء الملح ، وبعض الخضراوات وشي من الشعر أيضاً لحصان البركي .

أن البيوت السمراء الغامقة في مدينة هيت تغطي ربوة مصفحة اللون مخروطية الشكل من اعلاها الى ادناها ، ويبلغ ارتفاعها نحو ثلاثين متراً . وتقع اوسع البيوت واعلاها في الجانب الشرقي ، حيث يقوم المسجد القديم ومنازله المائلة ايضاً . ويفصل المدينة القائمة الربوة المخروطية عن (المخازن) والمخازن التي في لحفها الجنوبي الغربي شارع عريض . وتوجد بين الضاحية ويساتين الدوارة افران تستخدم لصهر القار وتصفيته . ويبلغ سكان هيت نحو خمسة آلاف نسمة ، ينتمي لثلاثهم الى قبيلة الدليم ، ونحو خمسهم فقط ينتسب الى قبيلة عقيل . وتتألف بيوتهم عادة من طابقين ، والشوارع ضيقة ، ملتوية وقلربة ، اذ أنها لا تغسل الا اثناء سقوط امطار الشتاء الغزيرة . وترفع المنارة الطويلة فوق البيوت . وتوجد بين السكان عائلات يهودية متعددة عاشت هناك منذ أزمنة قديمة . وعائلة (الياسين) ابرز عوائل المدينة وعلى رأسها محمد بن ذياب . والمهن الرئيسية للسكان هي : جمع القار والنافثا ، قلع الحجر ، البستنة ، وبناء (الشخاتير) . والمواد



شكل ١٣ مخيمنا على الجهة المتابلة لشعيب (أبو الجرايع)

المستعملة في صنع هذه القوارب هي الخشب وجريد النخيل ، والقار الذي يستخدم لطلائها من الخارج والداخل . وصغر القارب ستة او سبعة ليرات تركية (٢٧ أو ٣١٥٠ دولاراً) . وكلّ عيون الزائفا والملح ملك للحكومة وتؤجر لقاء مئة مجيدي (٩٠ دولار) حتى متي مجيدي (١٨٠ دولاراً) . ويعتدل القار (الجبر) في البناء ، كما يستخدم في طلاء سطوح القوارب التي تُصدّر الى كربلاء بصفة خاصة . ويساتين هيت ضيقة جداً وتقع على ضفة النهر فقط . إذ على مسافة قليلة منها تصبح التربة مشبعة بالملاح الى حد يمنع نمو أي شيء فيها . أما بستان الحمادي ، الذي يجاور بساتين (بستان) فقد غرس حديثاً في شرق اللوارة .

ان الاراضي الواقعة بجوار هيت تتكون من حجر كلسي أصفر ، تغطيه طبقة جبس سميكة تبلورت بصورة غير منتظمة تنبت منها عيون كثيرة مجة او مرة الماء نوعاً ما . ومن مثل هذه العيون تسمّ رائحة الكبريت وتسرب من هذه العيون غازات مختلفة ، مكرّنة فقاعات كبيرة . ويشبه القار الذي يتدفق على السطح زبداء قلزراً . ويتسرب الملح على حافات العيون محاطاً بوحل وردي اللون . ويخرف القار بسعف النخيل ، ويخزن في شكل قطع كبيرة ، ثم يُخفّف باءافسة الكلس اليه ويصدّر في القوارب . وتُنسج في هيت أوعيه من القش وسعف النخيل كذلك وتُطلّى بالقار من الداخل والخارج ؛ ثم انها تُعلّق على دواليب ونواعير تستخدم لرفع الماء من القرات لريّ البساتين . ويبلغ قطر هذه الدواليب من عشرة الى خمسة عشر متراً . وتوجد جنوب هيت منطقة واسعة مستوية فيها عدد لا يحصى من عيون مجة الماء ، ويجري الماء الى خزانات مربعة الشكل ، حيث يستخلص منه الملح بطريقة التبخير . وأهم عيون القار هي : عين لطيف ، اللروي ، لايح المعمورة ، المرج ، والجرب (عين الجربة) .

المعميرة قرية غربيّ هيت ، لم يبق منها سوى مسجد . فقد انتقل سكانها الى قرية (الكيسة) .

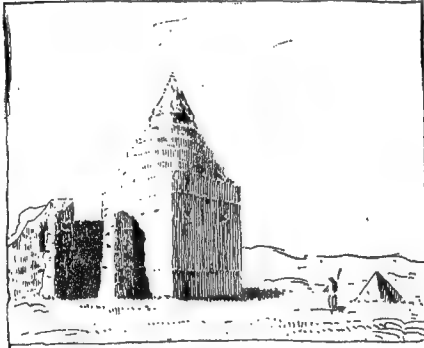
ويروي ان رجلاً من قبيلة اللّليم تزوج فتاة من هيت واتي بها الى خيمته حيث جعلها تعاونه في حلب غنمه وبقراته غير ان الحياة في المرعى المشمس لم ترق لهذه

الفتاة . فقد تشوقت الى مسقط رأسها وقات لزوجها : حتى وان كنت تحب
هذه الارض المشمسة ، فاني لا أحبها ، إعطني صوت النواخير وبساتين النخيل
في هيت .

ومن هيت كان طريق النقل القديم الى دمشق يتجه غرباً . وكانت قرية
(كيسة) التي تبعد خمسة عشر كيلومتراً تقريباً الى الغرب هي نقطة البدء الفعلية .

ويسكن (كيسة) نحو تسعمائة عائلة اقواها بيت راضي وعلى رأسه فرج
ابو الحافظ . وهناك عيون كثيرة : واعذب المياه ينبع من عين العدي .

والاراضي المجاورة كلها تحولت الى بساتين واسعة كثيرة النخيل ليس للزيتون
أثر فيها . ومعظم السكان يعيشون على التجارة مع البلد ، ومن هنا اشتقت كلمة
الكيسي (وجمعه كيسات) ومعناها البائع المتجول .



(شكل ١٤ - قبر الشيخ حديد)

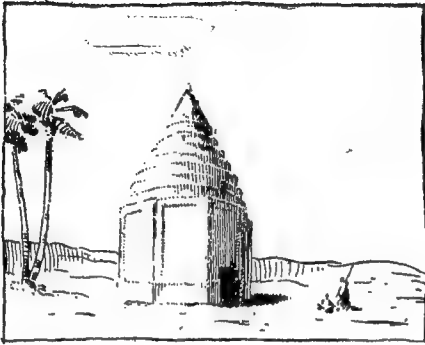
تقع قرية (كبسة) شمالي وادي الشعير (٢٢) ، الذي يعرف بـ(شعيب البزم) حينما يبدأ في سهل فيضة العايح عند غدير العوج ورجم الصابول ثم يسير متعرجاً بين هضبات المظاهر المنحطرة الجوانب . ويتصل بهذا الوادي من الجهة اليمنى بـ (شعبان) أبو العفین ، الشبواء ، وأبو جطله . وتقع على طريق النقل في القسم الرئيسي من وادي الشعير خرائب قصر خباز ؛ كما تتدفق مياه عيني الزعزوع والعذي كذلك بالقرب من هذا الوادي ؛ وتوجد في شعب أبو العفین : عين العواسل ، وفي شعيب أبو جليل : عين الشيخ والمصفورية .

وعلى بعد ثلاثين كيلو متراً تقريباً جنوبي الكبسة تتدفق عين القار المسماة بـ(أبو الجير) ، تحيط بها مزارع عشيرة جليب (كليب) . وإذا بعدنا جنوباً وجدنا هذه العشيرة تزرع المحاصيل أيضاً بالقرب من آبار (الثميل) . وليس هناك بيوت بل بضعة اكواخ بائسة .

(٢٢) ذكر ياقوت (المعجم - مجلد ٤ ص ٢٢٥) ان كبسة على في طريق بربة السماوة على اربعة اميال من هيت . منها تسلك البرية وهناك عدة قرى اهلها على غاية الفقر والفاقة وشيق العيش لانهم في جوار البادية وفي ربيع سنة ١٢٢٠ اجبر الزعيم الرئيسي منها مع قبيلة العيسى على الخروج من الاراضى المجاورة للسلامية ، فاقاموا خيامهم في المنطقة المحيطة بعانة والحديثة على الفرات . ولم يلبث الجنود السوربون ان طاردوهم حتى بلغوا الرجة وحتى مائه : ومن هناك هربوا الى الصحراء التي ماوراء الكبسات (أبو الفدا : المختصر - ادلر ص ٣٤٠ فما بعد) وتدل الكبسات على مجموعات من الاكواخ في واحة الكبسة ، على بعد خمسة وستين كيلو متراً من الحديثة .

ان اسم عين (العط) يومئذ الى اسم (العصا) ، الذي يقول ياقوت عنه (في المصار السابق مجلد ٣ ص ٦٨٢) انه موضع على شاطئ الفرات بين هيت والرجة ، ونسبه الى العصا فرس جلدية الابرش التي نجا عليها قصير وكانت الملكة الزباء قد قتلت جديده غيلة . واشتهر بين قبائل العرب امر هذه المعركة المعروفة بيوم العصا والخيفق .

ان موقع عين العلي الموجودة اليوم بالقرب من هيت او الرقة حيث كانت تقيم الملكة المشهورة الزباء ، يتفق وموقع عين العصا . ولعل هذا الاسم الوارد في رواية ياقوت كان ينبغي ان يكتب (ادا) بدلا من العصا ، وهو خطأ ليس من الصعب وقوعه في الخط العربي . كما ان اسم العصا يشير الى اسم قرية القوصية .



شكل ١٥ - ضريح السيد محمد

هيت الى الرمادي

في الساعة ١٢ر٥٠ بعد الظهر وصلنا الى الحافة الجنوبية لمستنقع السبخة الملح . حيث استرحنا حتى ٢ر٢٨ ومرض اميرنا (البرنس سكستس آل بوربون) من الحرّ ورائحة القبار . ثم تقدمنا بعدئذ حتى ٣ر١٠ مخترقين سهلاً صخرياً ، ابيض ، متموجاً . وانخفت الأجراف التي تطلّ على ضفة الفرات اليمنى عند خرائب (كلّكّه) الواقعة الى الشمال الغربي من هيت ، ولا تظهر للعيان ثانية الا عند الطرف الجنوبي الغربي لبساتين (بنّان) ، حيث يقطعها مرتفع المرج والعقبة (العكبة) وحوالي الساعة ٣ر٢٠ كنا في مر المضيق [المضيق] المحصور بين الأجراف والنهر . وتندفق على سطح المرج الشمالي الغربي عين الرّيّان . وبعد الساعة الرابعة سرنا مخترقين أحواض ملح الشعير ، الخوجه ، والمحمّدي التي استغلت في الزراعة جزئياً . وفي الساعة ٤ر٤٥ شرعنا في صعود بروز العقبة

الصخري ، حيث أقمنا خيامنا على سفحه الجنوبي في ١٠هـ . واندفعنا فوراً الى
النهر للاغتسال من غبار الملح الذي غطانا تماماً . وكانت الحرارة محرقة ،
والرياح شرقية منهكة .

ويتفرع أسفل نوء العقبة مباشرة نهر قديم مطمور يمتد نحو الجنوب
الشرقي مخترقاً سهل (ابو طيبان) الخصيب وقد وصفت ضفاف هذا النهر
عند بدايته بالحجر رصفاً محكماً . رلعل السبب في ان الضفة اليسرى قد
دعمت بجدار متسع العرض يرجع الى حاجة سهل ابو طيبان الى سد يحميه
من التاكل بفعل مياه الفرات .

وفي ٢١ نيسان سنة ١٩١٢ كنا على سروجنا في وقت مبكر ابتداء من الساعة ٢٧هـ
صباحاً . وقد سكنت الرياح تماماً وثلث الشرق كله برهح ذهبي اللون . وراحت النخلات
كأنها اشجار هائلة الحجم وقد برزت اعاليها فوق الأفق وكادت تلمس السماء .
وسرنا بمحاذاة الجانب الشرقي من (جلول كري معده) خلال حقول تكون
جزءاً من سهل ابو طيبان . وانخفض ارتفاع الاجراف التي تسد وادي الفرات من
جهة الغرب - الى جنوب العقبة واخذت تبتعد عن النهر . وترتفع على اليمين في
وسط السهل الخصيب ربوة خرائب (نابل العدة) ؛ وفي ٢٥هـ كان الى
الغرب منا ، والى الشرق منا يتصل جدول (كري معده) بالفرات ثانية . حيث
يلاطم ماؤه نواً صخرياً يسمى (الامود) . ثم ينعطف انعطافاً كبيراً نحو الجنوب
وفي ٧ر٤٧ بلغنا مزرعة و (خان) ابو ريات ، وتوجد هنا عدة برك صغيرة
مملوءة بمياه الفرات . وظهرت شمال النهر نخيل القطنية كما ظلت جمالنا ترعى من الساعة
٥ر٣٥ الى ٩ر٤٠ . وكانت القطا قد تجددت على بركة تغطي ظمأها . . وقد أخذت
تهوي من طيرانها في صف طويل الى سطح الماء وتشرب واحدة بعد أخرى
من المكان نفسه دون ان تكف عن طيرانها ، ثم تستدير ، وترجع لتشرب
مرة أخرى . ولم تغادر المكان الا بعد أن ارتوت واخذت كفايتها من الماء . وكان
ثمة آلاف من هذه الطيور تكون شكلاً يفضياً عظيماً . .

في الساعة العاشرة وصلنا الى سلسلة روابي (السرج) . وتقع هذه على مسافة قليلة فيما واء ضريح الإمام ويس وتمتد هذه جنوب الاجراف شمالاً على مسافة قريبة جداً من الفرات . ويتكون ضريح الإمام ويس من قبة بيضاء ناصعة تقوم على قاعدة مربعة ومن فناء . ومن ١٠٣٠ الى ١١٤٥ توقفنا في سهل الميادين الذي تقطعه جداول صغيرة ضحلة . ولقد أفرغنا كذلك عظام (أرول) هربت امامنا بسرعة البرق حتى ان محمداً نفسه - وهو العداء الماهر - لم يستطع اللحاق بها . وكان الفلاحون في حقول (الخرفشة) قد بلأوا حصادهم . بعد ان نضج القمح نضجاً تاماً . ولكن الحبوب كانت صغيرة ؛ وفضلاً عن ذلك لم يتمكن الفلاحون من طرد اسراب القطا وهي تطير من حقول الى آخر وتتلغ سنابل القمح . وأخذت بساتين مدينة (الرمادي) اليانعة تومي الينا من بعيد . وفي الساعة ٢ر٥٣ بعد الظهر عبرنا جدول الوزار ثم جدول الشريعة ني ٢ر٤٠ . وفي الساعة الثالثة عبرنا جدول العزيزية ودخلنا بساتين نخيل الرمادي وبلدتها . وفي ٣ر٣٠ خيمنا في مرج مستنقع يقع الى الشمال الشرقي من البلدة .

والرمادي بلدة غنية ، يقطنها نحو ١٥٠٠ نسمة ، يملكون جميع المزارع الممتدة من (بشان) الى الفلوجة . واغنى اسرة فيها بيت عريم يمثلها الحاج علي . وقد عاش في هذه البلدة ، مدة اربعين سنة ، او منذ ايام مدحت باشا ، الذي زاد في عمراتها كثيراً ، بل يمكن القول بانه أسسها . ويعيش في البلدة نحو ١٥٠ يهودياً مع المسلمين ، وكان لهم كنيسهم . وقد بنى على بن سليمان البكر ، شيخ الدليم ، بيتاً كثيرة في القسم الجنوبي من البلدة . ومع ان البلدة والمنطقة المحيطة بها كانتا تداران من قبل القائمقام ، او موظف تركي من درجة ثانوية ، فقد اطلق الفلاحون عليها اسم (الولاية) وعلى غرار ذلك اطلقوا اسم (الولاية) على هيت وكربلاء ، مع انه لم يكن هناك وال او محافظ يقيم فيها .

وتفاوضنا مع القائمقام لتزويدنا بخفير بصاحبنا لرحلتنا المقبلة ، وأكلنا تجهيزاتنا ، واشترينا شعيراً لخيول الترك . وإلى جانب ذلك قمت بترتيب وثائق الخرائط ورسمت خريطة اولية للأقليم الذي كنا سنمر فيه .

والى الشرق من الرماذي تقع بساتين حقول القطنية ، الجبوية ، الصوفية ،
المشيهد ، السحلات . والى الجنوب منها ترتفع ربوة عليها مشهد قديم . (٢٣)
وبفصلها منخفض (المنسربة) عن روابي (المظاهرات) التي تسد من ناحية
الجنوب سهل الفرات الفيضي وفُرى السرة ، القصيبة ، والسطيح . والى الجنوب
الشرقي من القرية الأخيرة ، تقوم على اجراف (الرعيان) الصخرية ، خرائب
الرحايا (٢٤) .

(٢٣) ان ضريح المشهد بقية من قرية صندودا . وفي سنة ٦٨٢ - ٦٨٥ م سار
سعد بن حديفة بن اليمان من قرقيسيا بطريق هيت وانضم الى المثنى
بن مخربه العبادى عند صندودا ، حيث مكثوا يوما وليلة (تاريخ الطبرى
سلسلة ٢ ص ٥٦٨) .

ويروى ابن منقذ (الاعتبار : دير تيبورغ ، مجلد ٢ ص ١٢٨ فما بعد)
ان الخليفة المكتفى بأمر الله زار في سنة ١١٥٩ - ١١٦٠ الجامع الذى
بنى اكراما لامير المؤمنين في ضواحي الانبار على الضفة اليمنى من الفرات
وكان ذلك في صندودا .

وبذكر ابو الفضائل (المرصد : مجلد ٢ ص ١٦٨) ان صندودا كانت
قرية في غربي الفرات فوق الانبار خربت وبها مشهد على بن ابي
طالب (رض) .

وقد لاحظ الرحالة بدرؤ يتخيرا عندما كان على بعد فرسخين خارج ام
الروس - جامعا يسميه العرب مكست سنادديه على مسافة نحو ثلاثة
فراسخ عن يساره (يتخيرا : الرحلات - ترجمة سنكلير ص ٧٥) وتقع
ام الروس على نحو اثني عشر كيلو مترا شرقي الشمال الشرقي من
المشهد .

(٢٤) وبالاتتماد على خط رحلة توكونلى انورتا الثاني يمكن ان نعد هذه الخرائب
بقايا المدينة الحدودية القديمة : ربيقي (المحوليات : شيل
سنة ١٩٠٩ ، شيل ٢ المقابل ٢ - ٥٦ - ٥٧ ، شيل
[السابق] ص ١٦) .

واستولى حمورابي في القرن الحادى عشر على بلدتي ربقو وشليبي
(كتخ : التواريخ ، ١٩٠٧ مجلد ٢ ص ٩٩ .
ويقول اددنيرارى الاول (حوالى ١٣٢٥ ق م) في تاريخه
رولنسون : نقرش مسمارية مجلد ٤ شكل ٤١ ، المقابل ١ ، ٧

وجنوب خرائب الرحايا ، يتسع سهل (شط العتيق) [العتيق] : وترويه
سواقي الفلاجات ، نصاف الزوير ، والزعرية . وشمال حقول الفلاحات ،
التي تقوم في وسطها خرائب البارود ، يرتفع جرف الحمر والحيطان وموقد صغير
للشيخ مسعود ، وإلى الشرق من ذلك تقترب صحور (المؤيد) من الفرات . حيث
يحدّها شعيب الخضر من الجنوب . ومن الرمادي سافرنا عن طريق (عين النمر)
إلى النجف . (٢٥)

المحليات : بادج وكنج ١٩٠٢ ص ٥) ان ربيقو موضع من مواضع النفور
على حدود الامبراطورية الاشورية .

تكلات بلاسر الاول (١١٢٠ - ١١٠٠ ق م) فتح المدن العظيمة التالية
مع حصونها : دور - كوريكالزو ، سبر شاشمش ، بابل ، اوبى ، وانتهب
اكرسلو حتى بلغ ليدى ، وكذلك شوخى حتى ربيقو وقد فتحها جميعا .
في المصدر السابق مجلد ٣ ص ٤ رقم ٣ عمود ١٨٢ - ٤٢ و شرايدر
المصدر السابق مجلد ١ ص ١٩٨ .
مجلد ١ ص ١٩٨ .

ويذكر شتريك (ابحاث في الخط المسماري : سنة
١٩٠٦ ص ٣٦ فما بعد) ان اسم ربيقو التي على حدود شوخى قد ورد
لاول مرة اثناء حكم مردوك ناديناكه (حوالى ١١٠٠ ق م) .
ويفتخر اشور ناصر بال (نقش مخير : رولنسن : المصدر السابق مجلد ٥
لوحة شكل ٦٩ ، المقابل ٩٤ ، لا يارد : نقوش معتمدة سنة ١٨٥٢ لوحة ١
وما بعدها - تواربخ ، رولنسن : المصدر السابق مجلد ١ : لوحات ١٧ - ٢٦ ،
عمود ٢ ، ١ ، ١٢٨ - المصدر السابق صفحات ١٦٣ ، ١٦٩ ، ٢٥٤)
بأنه اصبح سيدا على جميع بلاد لقي وبلاد شوخى التي فيها مدينة ربيقو .

ويذكر سرغون (نقوش اسطوانية : رولنسن في المصدر السابق
مجلد ١ لوحة ٣٦ ، ص ١٢ وما بعدها - باشراف شرايدر
مكتبة النقوش المسمارية مجلد ٢ ص ٤٠) انه فتح دور - كوريكالزو ،
ربقو ، وجميع الصحراء الى حد غدِير مصر .

(٢٥) لما كان هذا الجزء من رحلتنا قد استلزم توغلنا في الصحراء وابتعادنا
عن الفرات فاننا اتينا على وصفه في كتابنا الصحراء العربية
نيويورك سنة ١٩٢٧ الصفحات ٢٣٠ - ٣٣٥ .

الفصل الثالث

النجف الى بغداد مروراً بـ كربلاء

النجف الى خان المصلي

في ٢٧ نيسان سنة ١٩١٢ زرنا مدينة النجف في الصباح الباكر . يمتد من بابها الشمالي شارع السوق ، وهو شارع عريض يتجه نحو الجنوب ، ويسمى جزء المدينة الواقع غرب السوق (شمرت) والجزء الواقع شرقية (زقورت) . وباجتيازنا السورق تصل الى الجامع العظيم الرائع جامع الامام علي ، حيث دفن علي (عليه السلام) ، صهر النبي (ص) ، وان السيد جواد ، (كيلدار الحضرة) اي رئيس ادارة جامع الامام علي (المسمى بالحضرة) هو اقوى رجل في المدينة وما جاورها . وقد بنت الحكومة التركية ثكنتين عسكريتين في النجف : احدهما في الشمرت (اي القسم الرئيسي من المدينة) والأخرى في ضاحيتها الجنوبية الغربية (الحويش) حيث يتزل ، فضلاً عن الدرك ، نحو ٢٥٠ من الجنود المشاة وراكبي البغال . وتوجد فوق الباب الشمالية الغربية للمدينة : الادارة المحلية (البلدية) . ويلحق سكان الجف مساحات من الأراضي بأملآكهم كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا . ولكن اكبر مصادرو رزقهم يأتي من [الزوار] .

ان المرتفع الأجرد ، الذي بنيت عليه المدينة يسمى (النجف) ، وسميت به المدينة نفسها . ويسمونها البدو : النجف ، أو المشهد (المشهد) أو مشهد علي (٢٦) .

(٣٦) يذكر اليعقوبي (البلدان - دى خويه ، ص ٣٠٩) ان الحيرة منها (الكوفة) على ثلاثة اميال والحيرة على النجف والنجف كان ساحل بحر الملح وكان في قديم الزمان يبلغ الحيرة وهي منازل آل بقرية وغيرهم .

في الساعة ٤٠ره بعد الظهر ارتحلنا في الطريق المحاذي لثرام الخيل المؤدي

ومن الحيرة الى قصر الخورنق ثلاثة أميال في اتجاه شرقي . وبني السدر في الصحراء بقرب الحيرة . يتحدد ويتعين مركز الحيرة في الجنوب الشرقي من ربوه خربة الكنديرة ، والمسافة بين الكنديرة وخرائب الكوفة تماثل المسافة بينها وبين الخورنق . ويقول الادريسي (النزهة : ص ٦) انه قد بنيت قبة عظيمة على بعد ستة اميال من الكوفة ، تقوم على اعمدة ، وعلى كل جانب منها باب . وكانت جميع جدرانها مغطاة بالسجاد الفاخر ، كما فرشست الارضية بسط ثمين . ويقال ان الامام علي بن ابي طالب (ع) وسالته قد دفن هناك . ويزوي ابن جبير (الرحلة : دي غويه ص ٢١٠) ان النجف بظهر الكوفة كانت حد بينها وبين الصحراء وهو صلب من الارض منفسح متسع للمين فيه مزارد استحسان وانشراح . وعلى نحو فرسخ واحد غربي الكوفة يوجد المشهد الدائع الصيت الذي يحمل اسم الامام علي (ع) . ويقوم هذا المشهد على الموضع الذي بركت فيه انفاة التي كانت تحمل رفات الامام . والمعتقد انه مدفون هناك .

ويقول ابن بطوطة (التحفة : افريمري وسالكوني ، مجلد ١ ص ١٤١) وما بعد) انه بات ليلته في مشهد علي بن ابي طالب في سهل النجف . ويذكر انها بلدة رائعه تقوم على ارض مستوية صلبة ، وبالنظر الى عدد سكانها وعمارتها فانها تمتد من البلدان الكبرى في العراق . وكذلك فيها اسواق واسعة نظيفة يدخلون اليها من باب الحضرة : وهذا المدخل يؤدي ايضا الى مرقد الامام علي .

وفي سنة ١٢٦٣م والى بغداد المولي بحفر نهر من الفرات الى النجف ، ولكن سرعان ما ردمته الرمال . وفي سنة ١٥٠٨ جرى تنظيف هذا النهر وبناء قبة عليه بأمر الشاه اسماعيل : وقد عملوا في السطح المعب ثقبوا يسحب الماء منها الى اعلى . وكان اسمه اول الامر نهر الشاه ويسمى في الوقت الحاضر القنا (لغة العرب : مجلد ٢ : ١٣٣٠ - ١٣٣١هـ - ١٩١٢م) ص ٤٥٨ .

وفي سنة ١٧٩٣م شق نهر جديد ، ولكن سرعان ما ردمته الرمال كذلك . وحفر بمد ذلك كري حفر الشيخ ، كما حفر زمين حكم السلطان عبد الحميد الثاني نهر الحيدرية ، ولكن الرمال ملات كليهما في سنوات قليلة . وفي سنة ١٩١٢م بدأوا بوضع انابيب حديدية لنقل الماء الى النجف مباشرة من القنات . (المصدر ص ٤٥٨ ، ٤٩١) .

الى الكوفة . وقد مدت سكة الترام على نفقة المجلس سنة ١٩٠٩ . وتوجد بعض المقابر البسيطة على جانبي الطريق : الحفّاة في الجنوب ، والكُميل الى الشمال وتركنا جملنا ترعى من الساعة ٦:٠٣ الى ٧:١٢ . وبعد ذلك عبرنا خط الترام واتجهنا شرقاً بين اكوام الخرائب . وفي الساعة الثامنة كان على يسارنا (قصير القنّاء) الى جانب قناة باطنية . وفي ٨:١٠ مررنا فوق نهر قديم ، وفي ٨:٥٨ خيمنا بجانب الفرات تحت اشجار التخيل في حقول عشيرة (ابن براق) . وكان رئيس العشيرة ، دغيم بن براق ، في السجن آنذاك ، وقد أُلقي فيه بطلب من اهل النجف الذين كانوا يضمرون له كرهاً شديداً سواء أكان ذلك حقاً أم باطلاً . وفي اثناء غيابه ، رحّب بنا أخوه الذي كان يتوب عنه . مظهراً لنا الودّ وعارضاً علينا حمايته بوصفنا ضيوفه . وكنا في حاجة الى هذه الحماية فعلاً اذ كانت عشيرة ابن براق تابعة لقبيلة الخزاعل الذين سبق ان وقعت مناوشة بين الجند الذين كانوا معنا وبين مقاتليه قبل ذلك بقليل . على مرتفع (اللسان) (٢٧) وقد



شكل ١٦ قارب على الفرات قرب الكوفة

يبتأ له ما حدث ، فاجاب ان هذا الأمر قد دُفِن وأصبح نسيّاً منسياً :
لقد ارتكبت الخزاعل ذنباً اذهاجموكم ، والذي فعلتموه لم يكن الا دفاعاً عن

(٢٧) انظر كتابنا : الصحراء العربية ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

النفس ، واضاف يقول : وشاء الله ان تكون بنادقكم أبعد مرمى من اسلحتهم .

في ٢٨ نيسان سنة ١٩١٢ اكملنا ما لدينا من مذكرات ومخططات ، ووضعنا قائمة بالقبائل المتواجدة في الأقليم المحصور بين الرُّحبة والمسيب .

وفي ٢٩ نيسان سنة ١٩١٢ تركنا مخيمنا في الساعة ٢٠هـ صباحاً باتجاه شمالي غربي . وفي ١٠٥ ر٦ مررنا بخرائب (تلّ السيّار) ، حيث يبحث اهل الكوفة عن عادات فيها . وقد بنيت العقود والجلران بالآجر . وفي ٢٥ ر٦ شاهلنا على يسارنا (مرقد مسلم) الذي لا يزال بحالة جيدة ، وهو محاط بجلران عالية تذكّرنا بجلران قلعة (الأخضر) ، وإلى يميننا تقع خرائب السحالة ، وتقع من ناحية الشرق وراءها جلران بساتين الكوفة الغائرة . وإلى الجنوب أصبح من الممكن رؤية ربوة خرائب طولها نحو كيلومتر واحد ، وعرضها ٤٠٠ متر .

وفيما يلي ذلك شمالاً لم نجد أية بقايا مهمة أخرى . وكان هذا كلّ ما بقي من الكوفة التي كانت مدينة عظيمة في عصر ماضي . (٢٨)

ويرتفع تلريجياً سفح صخري مغطى بالرمال غرب نهر سعهه القديم حيث توقفتنا من ٢٠ ر٧ الى ٣٠ ر٧ والتقطنا صوراً شمسية لجسر قديم بني بالآجر يصل بين جانبي النهر (شكل ١٧) . وفي ٤٨ ر٧ عبرنا عند مزرعة قصر ابو

(٢٨) يقول ابن العبري ، التاريخ السرياني ، - بيجان ص ١٠٦ ، ان الكوفة مطابقة للعاقولا .

ويروي ايليا النصيبي كتاب الحوليات . بروكس ص ١٧٣ ، انه بنيت سنة ٧٥١ - ٧٥٢ م عدة أبراج على طول طريق النقل من الكوفة الى مكة لتكون معالم يهتدى بها الحجاج .

وروي ابن الفقيه (البلدان : دى خويه ص ١٦٥) ان عدة اهل الكوفة ثمانون الفا ومقاتليهم اربعون الفا . وأشار الى مسجد ظفر (المصدر نفسه ص ١٧٤) الذي يسمى أيضا مسجد السهلة .

ويحكى ابن جبير (الرحلة : دى خويه ص ٢١٣) من اسباب خراب الكوفة قبيلة خفاجة المجاورة لها فهي لاتزال تضربها .

فشيعة جلولاً" غالباً آخر . وتنفرع . من الفرات قناة جوفية تجلب الماء الآن الى مدينة النجف . ويمتد في ناحية الغرب سهل المغموجة ، وهو أرض مقفرة جرداء . وتبرز على سطحه هنا وهناك رواابي متعزدة . أما من ناحية الشرق فقد أشار دليلنا الى قرية صغيرة تسمى قصر بيك اهامي ، والى شمالها قرية ام سولري . وتوجد ، اذ ابعدنا عن ذلك الى الجهة الشمالية الشرقية ، بساتين نخيل قرية (عئاب) ، وترتفع الى شمال - شمالها الشرقي منارة قرية الكفل من فوق أشجار النخيل (٢٩)

خان المصلي الى كربلاء

في الساعة التاسعة كان خان المصلي على يميننا . وهو بنساء كبير مستطيل تحيط به جدران عالية من الآجر . ويدعم كل جدار في وسطه برج نصف دائري وينفتح الباب على الشرق . وقد بنيت أروقة على امتداد جدران باحته . وتوجد الى الشرق ثلاثة خانات اصغر مساحة ، وبعض المقاهي ، وأبنية أخرى وقبر . وتركنا جمالنا ترعى من ٢٦ ر ١٠ الى ١٠ ر ٥ ، ومن ١٠ ر ٣٠ الى الساعة الحادية عشرة ملأنا قيرتنا ماء من بركة متصلة بالفرات وقد طغت عليها مياه الفيضان . وفي ١٠ ر ٣٥ رأينا على الضفة اليمنى قرية ام العجه التي تحيط بها مياه (هور بني حسن) وفيما وراءها شرقاً : قرية (الكفل) الكبيرة . وكان عرض الفرات هنا يبلغ نحو كيلومتر واحد تنتشر فيه عدة جزر صغيرة . وكانت اعداد كثيرة من قطعان الجاموس تنحرك في الماء هنا وهناك . وينقل الأهليون من جزيرة الى أخرى على قرب جلدية منفوخة .

وفي الساعة ١٢ ر ٢٠ بعد الظهر كان الى الغرب منا (خان جدعان) المهجور والى الشرق قرية (المجر) وفيما وراءها المالوية ومن ١٢ ر ٤٣ الى ١٢ ر ٤٧ استرحنا

(٢٩) يروي ياقوت (المعجم : وستنفد ، مجلد ٣ ص ٣٣٥) ان قرية شونة بارض بابل (العراق) اسفل من حلة بنى مزيد . وبها قبر القاسم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، وبالقرب منها قبر ذى الكفل وهو حزيل في بر ملاحه .
ويذكر حاجي خليفة (جهان نامه : استانبول ١١٤٥ هـ ، ص ٤٦٤) ان ذا الكفل على مسيرة ثلاث ساعات من الكوفة التي اشتهرت بسبب قبر النبي ذى الكفل .

في موضع مقابل لقرتي: فليلف وام الرجي ثم ظهرت للعيان فوق اشجار النخيل من الناحية الشمالية خرائب البرس . والنظر اليها من الجنوب يذكرنا بجنبي (الروتندا) في فينا ، وتقوم على خربة هائلة تشبه قبّة مائلة الى الشرق ، بقايا جدران قديمة ضيقة طويلة (٣٠) من جهة الغرب .

وعلى يسارنا امتد من جهة الغرب سهل متموج هو سهل (مرور المحميد) كما ظهرت بقايا حصن قديم يعرف بـ (ايشان المحميد)، ورأينا على اليمين عنداً من أفرا نكور الآجر المهدّمة ، حيث سبق ان أعدوا فيها آجر (خان زيار) وفي ٣٢٠ شاهدنا ، مقابل قرية الأجدع مدخل (كري سعده) . وعلى مسافة غير بعيدة شمالاً يقوم (خان زيار) وهو بناء واسع بآبارج نصف دائرية . وتحيط به من ناحية الشرق ثلاثة خانات صغيرة ، وعدة مقاهي واكواخ وبعض البيوت الخربة . وعلى الشمال الشرقي تراعت اشجار نخيل قرى : المنضمر أم هلال الخيسانية وأعيلة وكلها سوداء اللون . وتبرز [قرية] البرس بصورة واضحة بين نخيل القريتين الأخيرتين ، تدل حين نظرنا اليها من هذا الجانب ، هراً منتظم الشكل مع ملحقة .

وقد تجمعت الى الشرق منها وما بعدها اكاداس عالية من مواد بناء قديمة . اما من الناحية الشمالية فقد سد الافق بنخيل قري: شتوتية ، الحرقة ، والقضبان؛ كانت الابنية العالية في القرية الأخيرة تتأق في اشعة الشمس الغاربة .

(٣٠) البلاذري في فتوحه (دى خويه ص ٢٥٥) يسميها برس او اجمة برس ، ويروي ان رستم حينما خرج للقاء المسلمين نزل برس ثم سار فاقام بين الحيرة والسيلحين اربعة اشهر لايقدم على المسلمين ولايقاثلهم والمسلمون مسكرون بين العذيب والقادسية . وبعث سعد خالد بن غريطة على خيل الطلب فجعلوا يقتلون من لحقوا حتى انتهوا . وهرب الفرس الى المدائن (المصدر نفسه ص ٢٥٩) . ويروي عن الحسين بن صالح قال : بافني ان عليا رحمه الله الزم أهل اجمة برس اربعة الاف درهم وكتب لهم بذلك كتابا في قطعة ازم . واجمة برس بحضرة صرح نمرود ببابل . (المصدر نفسه ٢٧٤) . ويشير تدمامه في (الخروج : دى خويه ص ٢٢٨) الى برس العليا وبرس السفلى .

وقد نصبنا خيامنا في الساعة ٤:٥٥ نـرني (البرس) بالقرب من احد فروع القرات .

في ٣٠ نيسان سنة ١٩١٢ ، بدأنا الرحلة في الساعة ٥:١٥ صباحاً . وكانت الشمس قد أخذت في الشروق وراء قرية (البرس) تضرب الخرائب بأشعتها مرسله أعمدة طويلة لا تحصى [من النور] . ورأينا في سهل (عمو شويج) الاجرد الواقع الى الغرب ، ربوة خرائب (عطشان) ، وعندما يتجه الطريق الى الغرب ماراً بـ (نيشان السحر) و (خربة الموجة) مؤدياً الى حصن (قمر الأخضر) الى شمال نيشان السحر يقع (سهل الزيدتي) ، وإلى الشرق من هذا السهل تقع مزارع قصر نور والخبطة ، ثم يلي ذلك شمالاً مزرعة الثمانية . وإلى الشمال الشرقي منها توجد قرية ابو رويّة . وفي الساعة السابعة كانت الى شرقنا كواخ (الرجبية) و (الزبدية) ، وما وراءهما قرية (طويريج) — أو كما تسمى رسمياً الهندية — وإلى الشمال الغربي منهما قرية أبو عبدعونيّات . وبينما كنا نسير راكبين في سهل (المجاهيل) صادفنا الكثير من الزوار مسافرين . على ظهور الحمير في طريقهم الى النجف . ويكثري الزوار هذه الحيوانات من رجال بينداد : ينقلونهم الى كربلاء ، ثم يعودون الى محل سكناهم وهم يحملون مسافرين جدداً ، بينما ينقل اهل كربلاء الزوار الى النجف . ويعودون بهم الى مدينتهم ثانية . وفي نظير كراء الحمار يدفع الزائر من ١٥ الى ٢٠ قرشاً (٧٣ الى ٩٠ مستاً) لرحلة واحدة .

وفي الساعة الثامنة ظهرت للعيان من ناحية الغرب أجراف سديرة صبخان . وفي ٨:١٠ بلغنا خان (نزل) ابن نخيلة . وبجانب الخان الكبير توجد ثلاثة خانات اصغر منه (٣١) .

(٣١) لعل خان ابن نخيله هو المخفر العسكري للمسلمين بالنخيلة .
ذكر ياقوت (المعجم - وستنفلد مجلد ٤ ص ٧٧١ ان النخيلة تقسع
يقرب الكوفة على حدود الشام .

وفيما وراء خان ابن نخيلة تبدأ بحيرة (هور براز) ، وتقع الى الشرق منه
قرى التمبوري ، الهنيلية ، الزيلية ، والسليمانية . وتمتد الى الغرب سهول جرداء
متموجة ، وتعرف بسهول المليحة ، والطماحات .

والى شمال - الشمال الغربي ظهرت لنا المخطوط العامة السوداء لبساتين كربلاء ،
وتألفت القبة الذهبية لجامع سيدنا الحسين .

واسترحنا من الساعة العاشرة الى الحادية عشرة . وفي ١١٤٥ رأينا في الغرب ربوة
يقطعها صدع الى قسمين تسمى (ابو راسين) ، كما شأنا امامنا علة كُور
(الفران) لصنع الجص .



(شكل ١٧ - جسر فوق نهر سعدة)

وفي الساعة ١٢٣٥ بعد الظهر دخلنا بساتين كربلاء عند قصر الهندى .
وبعد مسيرة قصيرة على سهل الملح المسمى (الحجيمة) وصلنا في ١٠٥ را الى
المدينة نفسها . ولما كان سد جبول الحسينية قد تهدم في موضع واحد ، وغمرت
المياه كثيراً من الشوارع ، لذا واجهنا بعض المشقة في قيادة جمالنا خلال المدينة
لبلوغ بساتين الشمال حيث خيمنا . في الساعة ٢٢٤ ، بجانب خرائب (أم تل) .

تضم كربلاء نحو ثلاثين ألف نسمة ، نصفهم من الفرس . وإبرز القبائل بين السكان هم : بني سعد ، سلاله ، الوزوم ، التهامزة ، والناسرية . واغنى الأسر فيها أسرة دكة . فهم الذين حذروا نهر الحسينية ، وكافأهم السلطان سليم على ذلك بمنحهم مساحات واسعة من الأراضي . واعظمها وجهة أسرة البويج ، لانهم قاموا بدفن الامام الحسين . والمشهد الرئيسي يقوم في القسم الغربي من المدينة ويعرف بالصحن ، او الامام سيدنا الحسين ، وتعلوه قبة ذهبية . اما الجامع الذي في القسم الشرقي فيسمى سيدنا العباس . وكان العمل قد بدأ بمبنى الحكومة سنة ١٨٧١ عند الطرف الجنوبي من المدينة بأمر من الوالي مدحت باشا ، ولكنه لم يكتمل بعد . وقد وسع هذا الوالي سوق المدينة وبدأ عند مبنى الحكومة . وكان يطلق اسم كربلاء للدلالة على القسم الشرقي من البساتين فقط . أما المدينة الرئيسية فكانت تسمى المشهد او مشهد الحسين . وإلى شمال بساتين كربلاء تقع ضواحي البقيرة وبساتينها وحقولها . وإلى الشمال الغربي : بساتين قرة ، وإلى الجنوب بساتين الغاضرية ؛ وإلى الغرب من هذه الأخيرة تقع غرة ثم غلطاوية ، نهر (الحر) ، نهر العساوي ، وأخيراً الحيدرية في الغرب ، ومن هذا الموضع الى الجنوب الشرقي تقع قرى : البازول ، البدياوية ، الشريفة . الهندي . البليل ، وكربلاء (٣٢) .

(٣٢) في سنة ٦٨١ سار سليمان بن مرد رميم الثوابين باتباعه من النخيلة وبات ليلته في دير الاور . وفي اليوم التالي نصبوا خيامهم في الاقساس ، او اقسام مالك ، ومكنوا هناك يوماً وليلة ، ثم ساروا على الحصاصة ، والانباز ، والصدود ، والقيارة (تاريخ الطبري ٦ سنة ٢ ص ٥٤٥) .
ويذكر الاصطخري (المسالك : دي خوية ص ٨٥) وكربلاء من غربي الفرات فيما يحاذي قصر ابن هبيرة .
ويقول ابن حوقل (المسالك : دي خوية ص ١٦٦) هذا الكلام نفسه ، وي زيد عليه وبها قبر الحسين بن علي وله مشهد عظيم وحطب في اوفات من السنة بزيارته .
ويعيد الادريسي (النزهة : مجلد ١ ص ٦) كلام ابن حوقل .

ويبين المقدسي (احسن التقاسيم : دي خوية ص ١٣٠) ان ضريح الحسين شيد على الموضع الذي قتل فيه في كربلاء ، خلف قصر ابن هبيرة .

وفي سنة ١٠١٦ - ١٠١٧م ثبت النار في ضريح الحسين بكربلا من شمعتين ، قسوته بالارض . اما الحسن بن فضل الذي امر ببناء حائط حول الضريح فقد توفي حوالي سنة ١٠٢٣ - ١٠٢٤م (النجوم : لابن تفردي بردي مجلد ٢ ص ١٢٣ ، ١٤١ . وطبقا لرواية ابن الاثير في الكامل (تورنبورك ، مجلد ٩ ص ١٥٤) امر الحسن بن فضل ايضا ببناء سور حول مشهد الامام علي .

ويذكر ياقوت (المعجم : مجلد ٤ ص ٨٧٠) بسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء التي قتل بها الحسين (رض) . وانتهاك ضبة بن محمد الاسدي من اهل مين التمر ، وكان الرئيس الاعلى لكثير من العشائر ، حرمة مشهد الحسين عند المحائر (بكربلا) . وفي سنة ٩٨٠م ارسل الجند الى عين التمر ، فهرب الى الصحراء خوفا (تجارب ابن مسكويه - اندروز - مجلد ٢ ص ٣٣٨ ، ٤١٤) .

وسافر ابن بطوطة (التحفة : مجلد ٢ ص ٩٩ ومابعدهما) من الحلة الى كربلا ، ويقول انها بلدة اقرب الى الصفر واقعة بين بساتين النخيل التي تسقي الماء من الفرات . وتقع الروضة الحسينية في مركز المدينة بجانب مبنى مدرسة كبيرة ودير مشهور حيث يقدمون الطعام للزوار . والمدخل الى الضريح تحت الحراسة ، ولا يمكن الدخول اليه بغير اذن الحرس . والزوار يقبلون الضريح المصنوع من الفضة ، وقد حلت فوقه مصابيح معمولة من الذهب والفضة . وعلى جميع الابواب سنائر من الحرير . وينقسم السكان الى فريقين : اولاد رزيك واولاد فايز ، وبينهما صدام مستمر . وهذه المنازعات الداخلية يعزى اليها ماصاب المدينة من الفساد والانحلال .

ويذكر القريري في المواعظ (يمين ورقة رقم ٩٠٨ مخطوط فينا) ٨٢ ان كربلا التي فيها ضريح الحسين يتبعها مزارع كثيرة . وفي آذار سنة ١٥٣٥ زار السلطان سليمان كربلا والتجف كليهما ، وأمر بحفر جدول الحسينية (شيها اقليم بغداد [بالفرنسية] ص ٣٤ ، همر برغشتال : الامبراطورية العثمانية : [١٨٢٧ - ١٨٣٥] مجلد ٣ ص ١٥٤) .

ويذكر حاجي خليفة (جهان نامه ص ٤٦٤) ان البلدة التي تحوي ضريح الامام الحسين تقع في منطقة كربلا على مسيرة يوم واحد شمالي

الحلة . وهي مشهورة بتورها .
وبجوار كربلاء احدد موقع دير الجماجم ودير قرة النبين برزنا في
حملة عام ٦٢٥م بين المسلمين والفرس . اما اسم قره فقد حفظ لنا
في القسم الشمالي الغربي من البساتين .

وعقب هزيمة القادسية عام ٦٣٥م هرب قسم من الجيش الفارسي
الى دير قرة ، وحينما اشتد النضط عليه واصلوا الانسحاب الى المدائن
(تاريخ الطبري سلسلة ١ ص ٢٣٥٧ وما بعدها) .

والواضح انه ينبغي لنا البحث عن دير قره شمالي القادسية او في
شمالها الغربي ، على اجناب الغربي من الفرات . ولم يكن يتسنى
للفرس الهرب الى الجنوب او الجنوب الشرقي ، لان هذه المناطق كانت
تحت نفوذ قبيلة بكر بن وائل المحايلة للمسلمين . وامتدت اراضي هذه
القبيلة حتى بلغت القادسية . وابتداء من هذا الموضع نحو الشمال
كانت تقع الاراضي التي خبئت فيها قبيلة تغلب . وبهذا هيات
ملجأ للهادبين .

في سنة ٧٠١م سار الحجاج بن يوسف ، والى العراق ، من البصرة
ووصل الى المنطقة التي بين المذنب والقادسية . ودفع اليه عدوه ابن
الاشعث بفرقة قوية من الفرسان الذين تعقبوه من القادسية حتى بلغوا
دير قرة ثم خيموا . . وكان ابن الاشعث نفسه قد التحق بالجند عند
دير الجماجم . ولكن قبل بلوغه دير الجماجم تلقى الحجاج امدادا من
الخليفة عبدالملك في الشام . وكانت الخطة التي اعددها هي الهرب من
طريق هيت الى بلاد الرافدين وبهذا يكون اقرب
الى بلاد الشام ، ولكنه خيم اولا عند دير قرة بالقرب من الفلاليج وعين
التمر . وكلا الجيشين تاهبا للحرب ، فنشبت معركة بينهما (تاريخ
الطبري سلسلة ٢ ص ١٠٧٢ فيما بعد) .

وهزم ابن الاشعث ، وفي اثناء هربه وصل الى قرية صغيرة
لبنى جعدة في الفلوجة ، حيث هرب الفرات في قارب (المصدر نفسه
ص ١٠٩٥) .

وتدل هذه الرواية ايضا على ان دير قرة كانت تقع شمالي القادسية
او في شمالها الغربي . وكان الحجاج يتوي الهرب الى هيت : لذلك
انصرف من القادسية متجها الى القرب ، ودار حول الكوفة حتى التحق
بفرقة الامداد التي سارعت لتجديته من الشام . ولكنه لم يصل الى
هيت ، اذ كان ابن الاشعث مع جنود اخرين قد انضم الى اعدائه وسد
عليه طريق التقدم . وكان دير قرة في منطقة الفلاليج الادارية غير بعيد

كربلاء الى خان المصاويل

خرائب بسايل

زارنا بعض الفلاحين العاملين في البساتين المجاورة وسمعوا لي على الرمل خربطة المنطقة المحيطة بنا . وهكذا تمكنت من آكالم مذكراتي الطبوغرافية عن المنطقة الواقعة بين كربلاء وشفاعة ، والرماذي .

وكان احد الفلاحين مخيماً غربيّ الامام الحرّ : وهو مرقد صغير بُنى في الطرف الجنوبي الغربي من البساتين ، بجانب بئر (الخنفس) وإلى جنوب هذا الموضع تقع قرية (شريعة السليبي) ، وإلى جنوب هذه القرية (الرزازة) ، وفي الغرب

من عين التمر . ويظهر ان الحجاج لم يتقدم في اتجاه عين التمر (فلو انه فعل ذلك لآخبرتنا الرواية بأنه تحصن في هذا الحصن) ، لكنه توقف في منتصف الطريق بين خري الفلاليج الواقعة مباشرة على الفرات وبين عين تمر - اي في نفس الموضع التي تقع فيه بساتين كربلاء الآن . وانقطاع مواسلات الحجاج مع الجزيرة الفراتية يتبين كذلك من افتقاره الى المؤن ، لامتناع الناس عن تزويده بأي شيء ، بينما كان عدوه ابن الأشعث على اتصال لم ينقطع بالعراق . وينبغي ان يكون دير الجماجم واقعا في جنوب دير قرّة ، وعلى مسيرة يوم واحد في الأقل من الفرات ، اذ نجد ابن الأشعث عند هروبه لا يصل الى النهر الا بصعوبة وذلك بعد مسيرة طويلة مضنية ، وقد عبره بقارب . ويعين ياقوت المصدر السابق (مجلد ٢ ص ٦٥٢) موقع دير الجماجم على طرف الصحراء على مقربة من الكوفة ، وتبعد عنها بنحو سبعة فراسخ على طريق البصرة . اما ابو الفضائل (المراسد : مجلد ١ ص ٤٢٧) فانه يكرر ماجاء في رواية ياقوت .

لانعلم المصدر الذي استقى منه ياقوت لتعيين المسافة بين الكوفة ودير الجماجم ، اما ان يكون دير الجماجم على الطريق المؤدي من الكوفة الى البصرة فهذا غير وارد . ان مسيرة خمسة فراسخ الى جنوب الكوفة او جنوبها الشرقي تؤدي بنا الى اراضي قبيلة بكر بن وائل ، بعيداً عن هيت ، التي اسرع الحجاج للوصول اليها ، وكذلك بعيداً عن الفلاليج وعين التمر ، وبين هذين الموضعين الآخرين - اي منذ دير قرّة ودير الجماجم - تحصن الحجاج .

الراشدية والضُحىته . أما نهر القاضى فينتهي بعد أن يزود هــه القرى جميعاً بالماء ، الى هور ابني دبس جنوبي قلّ -حصانـه . وفي المساء تأكدنا من خطّ العرض ، وقد امضينا ليلة مزعجة جداً بسبب كثرة البعوض .

في (١) أيار سنة ١٩١٢ غادرنا في الساعة ١٦هـ صباحاً ذرأته لنسا من ناحية الغرب اشجار قرية القرطة الخضراء ، وإلى الجنوب الشرقي من هذه القرية تألّق مشهد الامام الحرّ بقبته الزرقاء . وفي ٢٢هـ عبرنا نهر القاضى ، وفي ٤٥هـ عبرنا نهر الحر . وانهمكت جمالنا الحائطة في الرعي من ٥٥هـ الى ٦١٧هـ . وفي ٢٠هـ عبرنا ركوباً نهر الجمالية . يارتفع الى الشمال ، على تنوء الجنوب الغربي من مرتفع واسع مشهد الامام عون . وفي ١٠هـ شاهدنا بعض الخرائب الى الشمال الغربي ، وإلى اليمين بساتين القرّة . وتقع الى الجنوب الغربي من الأخيرة بساتين الغاضرية . وفي ٤٥هـ اخترقنا ارضاً رملية غير مزروعة مارين بمشهد الامام عون بقبته الخضراء وبابه الاخضر المطعم . وإلى شمالنا الغربي رأينا مرتفع ام الهوا ، وفي الشمال الشرقي مرتفع المرقده ، وفي الساعة الثامنة كنا في نهر العلقمي القديم الذي كان ينقل الماء من القرات خلال تلال الدعالج الى كربلاء ، وكان يرتبط بالجلول الذي يمتد الى هور رايد . وفي ١٨هـ رأينا في الشرق بعض الخرائب الصغيرة نوعاً ما ، وقرية الاوند ، وإلى الشمال مرتفع مرقدة . ويسد الجانب الغربي من مستنقعات العنب والبحيرة طار عويد وتلال (المغراير) . وها نحن اولاء نتقدم بين روابي الدعالج وبين سهول الملح التي تسمى سهول الجازية والسوارج . وتقطع هذه جداول كثيرة نصف غائرة . وفي ٥٨هـ رأينا خرائب أخرى الى اليمين ، ونزلنا للاستراحة من ١٠٠٥هـ الى ١٠٥٢هـ . وفي ٢٠هـ كنا في سهل البوبهاني ، وتحمي هذه المنطقة من الفيضان سلود ترواية ، وقد زُرعت فيها بساتين واسعة يزرع فيها القثاء (الخيار) على نطاق واسع بصورة خاصة :

في الساعة ١٢:٤٠ بعد الظهر عبرنا جسر قوارب مقام على الفرات ودخلنا مدينة
المسيب (شكل ١٨) وكانت تبدو كأنها متوجة بأكليل من النخيل . وبعد ان
استلطنا متجهين نحو جنوب - الجنوب الشرقي ، انتظرنا من ٢٠ إلى ٢٥ .
وكنّا نشاهد الى الشمال قباب مشهد (اولاد مسلم) (٣٣) وكان يتعهد بالمحافظة
على الأمن في الطرق المجاورة للمسيب الشيخ ابن فيحال رئيس عشيرة العامرة .
وتُروى الحفول هنا بوساطة نهر الناصرية الطويل ، ونهر القط الأفصر منه .
وفي ١٧/٣ كان على يميننا تلّ مسعود الكبير وخرائب (العجيب) ؛ وتوالت
بعدها خرائب أخرى : منها مشهد السبا . ابراهيم و إيشان نينا . وإلى الشرق تقع
ربوة خرائب إيشان المنصورة (٣٤) .

(٣٣) يؤم الزوار ضريحا فيها يقال ان المسيب بن نجيد قد دفن فيه .
وكان المسيب من قبيلة فزارة ، عاش بالكوفة ، وكان شيعيا متحمسا
يرغب في الثار لقتل الحسين (تاريخ الطبري : سلسلة ٢ ص ٤٩٧ ٥٥١) .
(٣٤) ان قسما من هذه الخرائب الواسعة بقية المدينة الاسلامية : قصر ابن
هيرة . كان يزيد بن عمر بن هيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات فلما
اتاه كتاب مروان يأمره باجتناب مجاورة أهل الكوفة فتركها وبنى القصر
الذي يعرف بقصر ابن هيرة بالقرب من جسر مسورا . (البلاذري ،
الفتوح دي خويه ص ٢٨٧) .

وبين المقدسي (احسن التقاسم : ذي خويه ص ١٢١) اما قصر هيرة
فمدينة كبيرة جيدة الاسواق يجنبهم الماء من الفرات كثيرة الحاكّة واليهود
والجامع في السوق .

ويقول ابو الفدا (التكوين وبنو ديسلان ، ص ٣٠٥) ان قصر ابن هيرة
يقع بالقرب من الفرات الحقيقي : الذي تخرج منه كثير من الجداول
الصغيرة التي تؤدي اليه . وعلى الجانب المقابل ، الى جهة الغرب في
الصحراء ، تقع كربلا . وقد بنى ابن هيرة ، عامل العراق للخطيفة الاموي
مروان الثاني ، هذه البلدة بالقرب من جسر القوارب المسمى مسورا ،
ومدينة بابل القديمة .

وقد ورد في كتاب العزيزي ، الذي اقتبس منه ابو الفدا ، ان المسافة
بين قصر ابن هيرة والفرات الحقيقي تبلغ فرسخين .
واشان نينوى هو نينوى الذي يذكره الطبري (التاريخ سلسلة ٣ ،
ص ٢١٩٠) .

ويقول ياقوت (المعجم : مجلد ٤ ص ٨٧٠) ان كربلا بلدة في منطقة
نينوى ، التي تقع في الاراضي الخصبة حول الكوفة .

وكان بإمكاننا ان نرى سلود الجداول القديمة من جهتي اليمين واليسار على السواء . وفي ٣٥٥ ظهرت خرائب إيشان الحصى الى يسارنا ، وإلى شرقها بدا إيشان العوفي ، وإلى جنوب غربه إلى إن السيد عباس .



شكل ١٨ : منظر المسيب من الغرب

ان الصعوبة التي لقيناها في عبور جدول من جداول الري ، سب تأخرنا من ٣٠ إلى ٥٢ ره . وفي ٢٠ ره رأينا على يسارنا إيشان البد ، وإلى شرقه إيشان ام الورد . وفي ١٥ ره عبرنا فوق جدول قديم عريض . وفي ٤٣ ره نصبنا الخيام وراء خان المحاول . وكان في هذا المكان الكبير مركز للدرك ، وقد تجمع خلفه نحو ثلاثين كوشاً . ونقع قرية قصر المحاول إلى الشرق من ذلك . واصابتني نوبة حمى شديدة أرنجفتني طول الليل ، ولم تتركني حتى الصباح .

وفي الساعة ١٦ ره صباحاً في الثاني من ايار سنة ١٩١٢ واحلنا السير متجهين جنوباً . في ٣٣ ره بدت على اليمين خرائب إيشان ابو روطه . وإلى الجنوب الشرقي : إيشان الخاتونية . وإلى الجنوب : خرائب القريني والزل . وإلى الجنوب الغربي بساتين النخيل في البطة . وفي الساعة ٥ ره اجتزنا جدول (بدعة السياحية) ،

ثم جدول (الفندية) (الذي يجلب الماء الى مشهد ام حمدان . والمنطقة تملكها عوائل الجسر والجرانة والجلدي . وفي ٧٣٧ عبرنا الجسر المنسوب على (نهر النيل) . ووصلنا الى خرائب (بابل) العالية للمهتد مه . وفي ٨٢٥ توقفنا بالقرب من ضريح علي بن الحسن . وسرنا على اقدامنا الى الخرائب ، التي كان يجري فيها تغيب آثاره آنذاك بإشراف الأستاذ روبرت كولوي . ورحب بنا هذا الرجل بطريقة ودية ، وتحدث الينا عن نتائج الحفريات ، واطلعنا على مختلف اقسام المدينة القديمة ، ثم ودّعنا بعد ان تدم لنا المرطبات المنعشة ، ورجعنا الى جمالنا .

وفي ٢١٥ بعد الظهر غادرنا علي بن الحسن ، ووصلنا الى خان المحاول في ٥٥٥ ر.

خان المحاول الى بغداد

في ٣ أيار سنة ١٩١٢ بدأنا رحلتنا باتجاه شمالي في الساعة ١٧ ر صباحاً . وفي ٦١٢ رأينا على اليمين مشهد الامام الخضر ، وعلى اليسار خرائب (الضباع) . وفي ٧١٢ عبرنا نهر الناصرية ، وفي ٧٢١ وصلنا الى خان الناصرية المهجور . ويرتفع الى الشمال الشرقي منه إيشان ابو شعير . ومن ٨١٥ الى ٨٥٢ كانت الجمال ترعى . والتربة هنا مختلطة بكثير من الرمل وصغار الحصى ، ويغطيها نبات (المعرجش) بنوع خاص ، غير أن الاماكن التي تروى بصورة كافية من النهر او العيون تغطيها حشائش وافرة ، أما المواضع التي تعتمد على المطر وحده فسرعان ما تجف وتصبح ابتداءً من آذار فصاعداً صحراء قاحلة تحرقها الشمس . وفي ٨٥٥ عبرنا (نهر المسيب) . وفي ٩٢٠ . بدنا الى يسانرا (مزار كاظم العوفي) ، وفي ٩٣٥ اجتزنا خرائب الطوبية التي كونت هضبتين منفردتين ، ولحنا الى الشمال الغربي (إيشان الصليبي) .

والتقينا بعدة مئات من الجنود يزحفون لإخضاع فلاتحي (البعيج) اصحاب الاراضي الواقعة جنوب شرق خان المحاول ، فقد هاجم هؤلاء قبل أيام قلائل قائمقام (الحلة) وقتلوا الضابط رئيس الترك وعدة من رجاله . وفي الساعة

الحادية عشرة وصلنا الى الخان ومركز الدرك في (الحصوة). وتقع الى الغرب من الطريق العام الآتي من المسيب مزروعة (الهراوي) . وفي ١١١٧ عبرنا نهر السكتلرية (او الاسكتلرية) ، وإلى الغرب منه يقع على الطريق العام الخان الذي يحمل الاسم نفسه . وفي ١١٤٤ بتعطف الطريق المار بهذا الخان، والمؤدي الى المسيب وكر بلاء، الى اليسار. وواصلنا السير في ارض مقفرة مخترفين مجموعة خرائب، وفي الساعة ١٣٤٤ بعد الظهر وصلنا الى خان النيص وإلى جواره تقع اكوام خرائب قديمة . ومن ١٤٨ الى ٢٣٥ استرحنا عند نهر اللطيفية . وعلى اليمين كانت أطلال (شيشبار) . وفي ٣٥٨ وصلنا الى نهر (المحمودية) وخانها ومركز دركها. وتشتمل هذه القرية على عشرين (نُزْلا) ، ومقاهي وحوانيت وعدد قليل من دور السكن . وبدا الى الغرب (إيشان ابو حبة) الضخم ، وإلى شماله الشرقي خربة (المقاعد) . وفي ٤٤٠ كان إيشان الكبير على يسارنا .

وبعدئذ عبرنا نهر الملك القايم . وفي ٢٠ شاهدنا على يسارنا خاناً مهجوراً يعرف بخان الزاد . وعلى مقربة منه تقع خيام (البو عامر) وهم فرع من قبيلة (المعدان) .

ان هذا إقليم موحش لا يمكن العيش فيه . توجد على جانبيه ربوات خرائب تحصر بينها ارضاً مقفرة سفعتها الشمس ينمو فيها العجش بصورة ضعيفة مبعثرة هنا وهناك . وحتى هذه الاماكن كان يغطيها غبار داكن رمادي اللون . وأثارت الريح أمامنا الغبار والرمل مكونة من ذلك اعمدة عالية تتحرك من مكان الى مكان تغطيها من حين لآخر من رؤسنا الى أخمص القدم . فلا غرو اننا كنا حريصين على التقدم بسرعة ذاكرين ما قاسيناه من جفاف الهواء ، وحرارة الشمس ، والريح الجنوبية الشرقية المحرقة . ومن ٥٠٠ الى ٢٧٠ كانت جبالنا ترعى جنوب شرقي (الابيض) ، وبعد ذلك ظللنا على سروجنا الى ٨٥٥ ، حين أقمنا الخيام في ساقية الى يسار الطريق العام . ولم نستطع اشعال النار اذ لم يكن لدينا وقود وخشينا ان تلفت النار انتباه اللصوص اليها . ولم يكن نهر دجلة بعيداً عنا فقد علمنا ذلك من اسراب البعوض التي اهدت اليها بأسرع من لمح البصر .

وفي ٤ أيار ، ١٩١٢ بدأنا الرحلة في الساعة ١١ صباحاً فظهرت لنا على اليمين قوارب شراعية تنهدى متباطئة على ماء دجلة ، حيث تحف اشجار النخيل النهر هنا من الجانبين . وأرسلت الشمس لولى اشعتها كأنها تستطلع الارض وخيل لي أنها خرجت من الماء . وذلك لانه قريبة من الانق . كان الطريق مكتظاً بالناس . وكانت زُمرُ الفلاحين والفلاحات تحمل الخضروات ، والدجاج ، والحبوب الى السوق . ورأينا الزوار في طرقتهم الى الاماكن المقدسة او عائدين منها ، ورأينا عاة جددات من المشيعين يحملن - وتاهن الى كربلاء او النجف لدفنهم هناك . وكان يمشي اهل بغداد يسافرون مع - منهم في رحلة الى مزارعهم في الريف . كما كانت جماعات من تجار الماشية - امزوا الدراميس والاغنام للقصابين ببغداد . كل هذا النشاط والجلبة كانت سلامات لا تمنعها العين تدل على اننا نقترّب من مدينة كبرى . غير ان بغداد نفسها كانت - رال معانة بطبقة مسبوكة من الضباب . مستقرة في النوم على جانبي نهر جسر - الى الشمال . ظهرت فوق المدينة . ومن خلال سحب البخار قباب مهده الكاظمين المدهبة .

وفي الساعة ٦:١٥ صعدنا سكة (الخر) الطويل الذي بني لسكة الحديد سابقاً واصبح الآن طريقاً عاماً . وعبرنا الجسر الحديدي ، ودُرنّا الى جهة الشمال واخترقنا سهلاً أجرد لا شيء فيه غير العجروش ، للوصول الى الطريق العام الداهب الى الموصل . وعلى مسافة غير بعيدة من ضريح الست زبيدة كان جماعة من الجنود تتدرب على السلاح (البندقية) . وسمح لنا الضابط الأمر بالمرور بين جماعة الرماة والهدف ، لكنه وجّه تأنيباً شديداً الى الدركي الذي قادنا الى هذا الطريق . مسكين هذا الدركي لقد كان رجلاً مُسنّاً من أهل المحاول . وقد أبقيناه في خلعتنا لعله يستطيع شراء ملابس لاحفاده بدلاً من اسمالهم المزقة . وكان ابنه قد قتل قبل هذا بأيام فلائيل على ايدي البعيج .

وفي الساعة الثامنة بلغنا الطريق العام المؤدي الى الموصل، وخبينا تحت النخيل في بستان على حاج طعمة . وكانت اقامتنا في هذا الموضع ممتعة جداً . كانت الارض جافة ، والنخيل تنشر علينا ظلالها ، واشجار التوت تمنحنا من ثمارها الجنية ، ومع ان الماء كان قليلاً في دجلة القريب منها ، فانّ الضفاف كانت مغطاة بكثير من الاعشاب مكونة منظراً ساراً لجمالنا التي لم تحصل الا على القليل مما تأكله منذ عدة أيام . لهذا لم يكن يقعنا شيء لنستجم بصورة تامة . وكان الاستجمام اشدّ ما نحتاج اليه آنذاك .



الفصل الرابع بغداد الى تكريت بغداد الى بئر الحصيئي

في ٨ أيار ١٩١٢ تقلمنا نحو الغرب ، وسرنا أولاً خلال البساتين ، ثم في حقول الطف . وزادت رطوبة التربة كلما اقتربنا من هور الدهنة . يجف هذا الهور في الخريف ، غير انه يمتلي ثانية في الربيع . وعلى ساحله الغربي والجنوبي على السواء نصبت عشيرة البطة خيامه . مع زعيمهم ضاري بن محمود . وهم فرع من قبيلة زوبع . وفي ٢٠ صباحاً ، تدرنا نحو الشمال الغربي ، ثم عبرنا في ٢٤٠ جدول نهر البجاج الذي يتجه الى الجنوب الشرقي ناقلاً الماء من هور الدهنة الى دجلة . وتألفت امامنا في ضوء الصباح قمة برج (عقرقوف) القديم ، وإلى الجنوب خرائب البضاغ . وإلى الغرب تلال السراحة وهور ابو جدياد .

ومن ٢٠ الى ٢٥ توقفنا في عقرقوف . وهي بقايا زاقورة ضخمة ، واكوام آجر قديم . وقد شيدت الزاقورة من لبن وآجر كبير الحجم وضع فيما بينها سعف النخيل يُلصق بالقار (٣٥) .

(٣٥) عقرقوف هو الحصن الثغري القديم دور كوريكالزو الذي بناه الملك البابلي كوريكالزو الاول (١٤٦٠ - ١٤٤٥ ق م) وتكثر الواح فخارية في شريدل : مكتبة النقوش المسمارية [١٨٨٩ - ١٩٠٠] ، المجلد ٥ ، ص ١٦) ، حيث كان معبد الاله بل .

ويقول ياقوت (المعجم : مجلد ٣ ص ٦٩٧) والقزويني (العجائب مجلد ٢ ، ص ٢٨٤) ان عقرقوف قرية في اعمال الديجيل ، على بعد خمسة فراسخ من بغداد . وبالقرب منها يقوم تل مرتفع يمكن رؤيته من مسافة خمسة فراسخ .

والى الشمال الغربي من عقرقوف تقوم بئمة خرائب تسمى البيوض ، وعلى مسافة قصيرة الى الجنوب منها توجد خرائب الاسمر والقرس ، والى الغرب من ذلك مشهد (الصالحين) الذي تربته قبة صغيرة . وفي ١١٢٥ رأينا الأخير الى جنوبنا (٣٦) .

وسرنا الى الشمال الغربي بمحاذاة الطرف الجاف من هور الدم . وكان الشلغم من المحاصيل التي زرعت فيه . واسترحنا من الساعة ١٢ الى ١٠را بعد الظهر . وفي ١٣٥ را كنا عند الآبار المعروفة بـ (بيار الكرمة) وعبرنا ، بعد ان جاوزناها ، نهر القرمة الذي يتفرع من الفرات غربي الصقلاوية . وعمقُ هذا النهر لا يكاد يبلغ مترين ، ولم يتجاوز عمق الماء فيه حينذاك ٢٠ سنتمراً . والى الغرب والجنوب من موقفنا الذي كنا فيه قامت خرائب اليباض والأشهي ، والى شمالنا خرائب العقلة والمقيس .

في ١٥٥ را كان الى يسارنا مشهد سيدنا ابراهيم الخليل . وفي ١٠را مررنا الى شرق ربوة خرائب يقوم عليها مشهذان ابيضان يسميان (بنات الحسن) ، وخيّمنا في الساعة ٣١را عند لحف هضبة (حمرة بني سعد) الى شرق تلّ المجصّة الابيض . وكان على مسافة قصيرة منا مخيمّ للدليم ، وكانت هذه القبيلة تكنّ عداً مريراً للحكومة . والغريب انها ناصبتنا العداً أيضاً لان الدوك كانوا بصحبتنا . وقد اخلوا علينا اننا كنا السبب في القاء زعيمهم نجرس بن كهود (قعود) في السجن . وكانوا يرون انه لم يرتكب ذنباً على الاطلاق ، وانما خدعه

(٣٦) كانت السالحين محطة على الطريق العام من بغداد الى الانبار . وذكر الطبري (التاريخ سلسلة ٣ ، ص ١٦٠٠) انه في عام ٨٦٥م امتلا خندق بلدة الانبار بالماء من الفرات حتى فاض على الاراضي المجاورة كلها ، حتى بلغ الصالحين . - واغلب الاحتمال انه جرى في مجرى القرمة حتى غمر الفيضان الاراضي القريبة من الصالحين ، كما حدث سنة ١٩١٥ ...

ذكر ياقوت المصدر السابق (مجلد ٣ ، ص ١٣) ان اسم الموضع يكتب « السالحين » ويقرأ « الصالحين » وكلاهما خطأ ، والصواب هو : سيلحين نطقاً وكتابة . وفضلاً عن ذلك يقول ابو الفضائل (المرصد : مجلد ٢ ، ص ٤) ان هذه البلدة تقع على نهر عيسى .

جائي الضرائب الذي اراد منه ان يدفع الضريبة ثانية بالرغم من انه سبق ان اداها دون ان يأخذ ايصالاً منه . اما الدرك فلم تغض لهم عين طوال الليل خوفاً من الدليم ، والواقع ان أحدهم اطلق طلقة عليهم بعد منتصف الليل . فبادرنا الى السلاح فوراً ، ولكن بغير طائل ، اذ لم يظهر أحد . . وبالرغم من الهدوء التام الذي ساد بعدئذ ، لم نستطع النوم ثانية .

في ٩ أيار سنة ١٩١٢ سرنا في الساعة ١٦هـ صباحاً نحو الشمال الغربي على امتداد الطرف الشرقي لـ (هور ابو رويس) ، حيث تألق تل المجصة المائدي الشكل ، وظهر لنا فيما وراء ذلك في موضع من ناحية الغرب مشهد ابيض يسمى (مكان المهدي) . وفي ٢٠هـ مررنا بحلال هور ابو العويجيلة ، الذي يرتفع الى شماله (تل غرب) .

وأعلمنا دليلنا ، وهو من أهل تكريت ، أن الدليم أخبروه بان (شمر) اعلنت عصيانها على الحكومة وانها تشن غاراتها الآن على الطريق العام الذي يربط بغداد بالفلوجة . وعلى الطريق الذهاب من بغداد الى تكريت فالموصل كذلك . والسبب في ذلك ان الحكومة سبق أن خلعت زعيمها مجول بن فرحان قبل ٢٠ يوماً ، ونصبت مكانه اخاه حميدي . فثار ثائرة مجول لذلك ، فتحالف مع أخيه الآخر فيصل ، واندخا في طريق الحرب . وكان فيصل في الشتاء السابق في نجد . وسقط الجزيرة العربية ، وهي المابطن الاصلي لقبيلة شمر التي تقطن بلاد الرافدين ، وذلك لاسترضاء (تومان) الذي كان قد اختلف مع أبيه فرحان فهاجر الى نجد مع اتباعه . ونجحت مهمة فيصل الى حد انه اعادهم الى بلاد الرافدين . وما ان استقروا هناك حتى أصبح من الميور كسبهم الى جانب الثوار ، اذ كانوا يكرهون حميدي اشد الكره لانه كان الأمين المفضل لدى أبيه فرحان .

وقد أدخلت هذه الحكاية الرعب في الوب دركينا حتى كادا يبتئان هلمأ . واشتد كل منهما يندب حظا الشمس الذي كسبه الله له . الم نكن نساfer الآن في هذه الارض التي لا بد ان تمر بها تمر اذا ارادت الغارة على المسافرين في طريق بغداد - الفلوجة ؟ قرياً سندخل طريق تكريت حيث يصبح بإمكان هذه العشيرة أن

تبعث فيها ايضاً . ومن المؤكد انهم لن يُبْقُوا على الدرك ، الذين يمثلون الحكومة . وقد بذلنا وسعنا للتخفيف عنهم ، ولكن دون جدوى . وظلّوا يندبون حظهم .

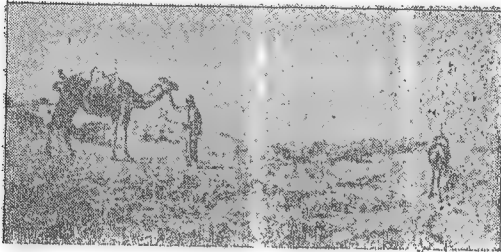
وسرنا في سهل متموج يرتفع بالتدريج نحو الغرب . وكانت تنتشر هنا وهناك روابٍ قبابية منخفضة . ولم تكن النباتات الدائمة والسوية تنمو الا في المواضع الواطئة . وفي احدى هذه الاراضي المستوية الواقعة عند اللحف الجنوبي لهضبة (ردايف) رعتُ جمالنا من ٨٤٠ الى ٢٠٩٠ . ولقت الدليل نظرنّا غرباً الى بحر الكيفيات ، وشمالاً الى بحر الرشاش .

ولم يكن بإمكاننا تهدئة الدركيين فقد بقيا يتحلفان طوال الوقت عن اولادهم واقربائهم ، واخوانهم ، ويصرّان على ان هلاكنا بات محتملاً في الصحراء حيث ستهب دماؤنا هلواً إذ ما من احد سيعرف شيئاً عن القتلة . كان الهواء ممتلئاً بالغبار ، وكانت الشمس طالعة ولكنها ضعيفة النور ، وكان الحرّ شديد الوطأة . واسترحنا من الساعة ١٠٢ الى ١١٥٥ في منطقة الثريثر . وحيشما وجّهت نظرك لا ترى تلاًّ او روبة او شجرة سوى سهل متموج يمتد امامنا ووراءنا بما فيه من اماكن مرتفعة واسعة ومنخفضات غير عميقة وكان من الصعب أن نسير في خط مستقيم ، حتى ان الدليل نفسه التمس منا اللجوء الى البوصلة لتحديد الاتجاه .

بحر الحصيني الى كهف الكلب

والى الغرب من بحر الحصيني رعتُ جمالنا من ٣٤٢ الى ٢٠٤ بعد الظهر . وفي الجنوب شوهدت تلال عكّار الواطئة التي يقع الى شريقها (بحر السبعة) مع ماء (علبّة النبات) في الجنوب . والى الشمال عند لحف مرتفع ردايف : بحر (الخسيفات) . وفجأة رفض الدركيان ان يتقدّما أبعد من ذلك . حتى انهما عمدا الى التهديد بعددتهما الى دجلة اذا واصلنا السير في هذا الطريق . وانضم الدليل اليهما ، فلم يكن لنا منلوحه عن التفاوض . وطوال ذلك اليوم لم يقع بصرنا على خيمة او كائن بشري . وكان يمكننا الاستغناء عن الدركيين ، اما عن الدليل فلا . . . واتفقنا آخر الأمر على المسير الى دجلة ولكن باتجاه شمالي وليس باتجاه

شرقي ، ولهذا انطفأنا الى شمال - الشمال الغربي نحو تل ترابي هائل للاح لنا على الأفق . وإلى غربنا كانت آبار خنفسان ، الرضوي ، وحليج الديب ، وإلى الشرق بشر السبعة . وفي ٥٠ رملاً أقمنا خيامنا في واد مغطى بأعشاب ونباتات دائمية .



(شكل ١٩ - ركام سور (جلو) قرب بشر ابو ظهير)

في ١٠ ايار سنة ١٩١٢ امتطينا السروج في الساعة ٥:٢ صباحاً ، وفي الساعة السادسة حينما كنا شماليّ بشر الفردقية ، وصلنا الى ركام سور (جلو) يتراوح ارتفاعه بين اربعة وستة امتار ، ويبلغ عرضه في اسفله ٣٠ متراً ، و١٥ متراً . وبرزت في بعض المواضع نتوءات دائرية كأنها بقايا أبراج . ويمتد الى جانبه الغربي منحفض غير عميق ، لعلمهم اخذوا ترابه لعمل الربوة ، وهذا يوضح كذلك ليمّ كان الركّام في جانبه الغربي اعلى بكثير مما هو في جانبه الشرقي . وواصلنا السير الى الجانب الشرقي من الركّام على الأغلب . وقد نبت في الاراضي المجاورة : الرمث والأرطة . وإلى الغرب بدت هضبة الشنانات العريضة ، حيث توجد آبار الألباد والبراغيث . وإلى شرق - الشمال الشرقي من الفردقية ماء (ابو عظام) . ومن ٨:٢٥ الى ٨:٥٣ عتّ جمالنا بين بشر ابو ظهير وبشر ابو

شراطة ، (شكل ١٩) وإلى الشرق كانت تلال (المطبق) العريضة الواطئة تسد الأفق ، وبجانبها تقع بئر العتيق والشعيط . وإلى الغرب بدا ضريح الحجيرة للعيان .

في الساعة الحادية عشرة ظهرت فوق الأفق مثلثة عالية ، وبالقرب منها تألفت قبة كالذهب في مدينة سامراء .

وبدأت تظهر قبب أخرى وبعض الأبنية من خلال الوهج مما يخيّل للناظر ان بريقها وموقعها وشكلها يتغير باستمرار . واخذت اشعة الشمس المحرقة تلفحنا بدون رحمة ، وسرت رعشة في الهواء ، وما لبث ان كون الوهج طبقات كثيفة انعقدت على الافق الواسع ، وتبدل مظهر المنطقة كلها في فترات متقاربة . وشوهدت الى الشرق ، على ضفاف دجلة ، خرائب الاصطبلات وخرائب وقرى : القبان ، المعير ، ام شعيقة ، تل المصايح ، الفضاضير ، البحرية - الحباب ، تل ذهب ، التويثة .

في الساعة ١٢ر٤٥ بعد الظهر استلطنا قديلاً الى اليمين من ربوة السد ، وعبرنا في الساعة الواحدة جلولاً قديماً ، واخترعنا سهلاً مقفراً ايضاً مغطى بنباتات العجرش والشفلح واشجار السلس . واسترحنا بين قريتي شريعة الغزال والمعوجيل بجانب الطريق العام المؤدي من بغداد الى نكرت . وإلى الغرب منا كانت نهاية ربوة السد ، وإلى الشرق : خيام فرق العمال المكلفة ببناء سكة الحديد . وهنا تابعنا الطريق العام المتجه الى الشمال . وكان الى يسارنا سفح صخري يرتفع ارتفاعاً تدريجياً سرعان ما تحول الى صف من الاجراف العالية تطل على وادي دجلة وتحجب الرؤية من الناحية الغربية . وفي القسم الجنوبي من هذه الاجراف المسماة كهف كلب يوجد بئر قصير وبئر ابو شنين . وفي ٣ر٥٥ كانت ربوة كهف كلب ترى من جهة اليسار ، وإلى شمالها خرائب الصليبية . حتى اذا بعدنا عما يلي ذلك شمالاً فوق الاجراف العالية ظهر قصر الخليفة او العاتق ، وإلى جهة الشمال الشرقي توجد بضعة أكواخ تألف منها قرية عابد .

وفي السهل المتموج المعروف باسم ذمّوم : غربيّ العاشق ، يوجد البئر الطبيعي المسمى الاجودي وروبة خرائب الحويصلات .

كهف كلب الي تكريت

في الساعة ٢٠ر٤ كانت على يسارنا أجراف كهف كلب والمغارة التي تحمل الاسم نفسه . وكانت الأرض التي اخترقناها أرضاً زراعية . وكان نهر الاسحاقى القديم يمتد بين الطريق ولحف الاجراف . وعلى اليمين ، رأينا مدينة سامراء الحديثة ، وخرائب المدينة القديمة ، المهجورة منذ وقت طويل . ولا بد ان تكون العاصمة ببغداد قد بلغت درجة هائلة من الاتساع والعظمة فيما مضى بعد ان اسسها وزينها عدد كبير من الخلفاء ، إذ ان سامراء ، التي انشئت لتكون مقراً مؤقتاً لهم ، كانت تتباهى بمثل هذه السعة . ان سامراء حافلة بآثار عهودها التي خلت منذ عصور طويلة ، بينما لا نجد في بغداد بناية واحدة من الابنية القديمة الرائعة قائمة الى اليوم . هناك هدموا كل شيء ودمّروه ، واستعملوا انقاض العصور الفسوخة في اصلاح بيوت اليوم وأكواخه . .

وفي ٥ر٥هـ خيمنا على بروز صغير يطل على النهر مباشرة ، اسفل قصر العاشق (٣٧) . . .

(٣٧) يذكر ابن جبير (الرحلة : ٢٣٣) انه نزل مع الصباح بمقربة من قرية تعرف بالحرية من اخصب القرى وافسحها ، ورحلنا من ذلك الموضع ، واسرنا الليل كله ، ونزلنا مع الصباح الى شط دجلة بمقربة من حصن يعرف بالمعشوق ، ويقال انه كان متفرجاً لزبيدة ابنة عم الرشيد وزوجه رحمه الله . والمسافة بين هذا الموضع وتكريت تبلغ مسيرة يوم واحد . وقد شاهدت فئو (الرحلات بباريس ١٦٨٩ مجلد ٢ ، ص ٢٠٦) الى اليمين قرية تسمى عشوق ، واخرى تدعى المعشوق الى اليسار . واخبره الاهلون انه كان في كل من القريتين برج : وكان يقيم في احدهما العاشق ، وقيم حبيبته في الآخر . وهنا كانت المحطة السادسة للتوافل القادمة من الموصل الى بغداد .

ومن الضفة اليمنى الصخرية تنبع على حافة النهر تماماً ، عين يتدفق منها ماء عذب ، احسن وابرد كثيراً من ماء دجلة . وعلى مسافة قريبة من هذا المكان كانت جماعة من اصحاب الرمث (الاكلاك) العائدين من بغداد قد استلقوا على الارض طلباً لراحة قصيرة . وكانت حميرهم محملة بسلال كبيرة مملؤها باكياس مخيطة من جلد الماعز المذبوغ . ويرحل اصحاب الرمث بهذه الاكياس حتى كردستان حيث يتعاون الخشب ، والحبوب ، والصوف والزبد ، ثم يصنعون ارمائاً صغيرة من الخشب ، يربطون في أسفلها قريباً جلسدية منقوشة ، ثم ينحلقون بها في دجلة الى بغداد . وهناك يبيعون كل شيء ، ما عدا قرب الجلد . وتحمل هذه القرب مرة ثانية على حمير يجلبونها معهم أو يشترونها في طريقهم ، ويعودون ادراجهم للمتاجرة مع الاكراد كما فعلوا اول مرة .

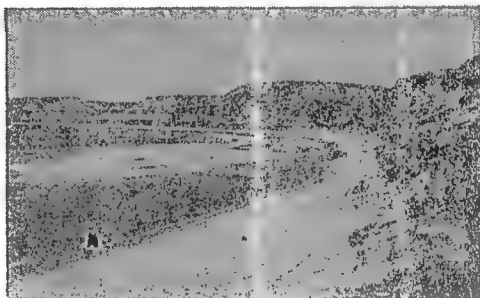
في الساعة ٥٨ صباحاً من يوم ١١ ، يار سنة ١٩١٢ سافروا بمحاذاة الضفة الشرقية لنهر الاسحقاقي (٣٨) . وإلى اليمين منا ، على الضفة اليسرى من دجلة ،

(٣٨) ويدكر ابن سرايوني : العجائب ، مخطوطة المتحف البريطاني ، ورقة ٣٦ يمين .

الاسحقاقي اوله اسفل من تكريت بشي ، يسير يمر في غربي دجلة عليه ضياع وعمارات ، ويمر بطيرهان ويגיע الى قصر المعتصم بالله المعروف بقصر الجص ويسقى الضياع التي هناك في غربي مدينة سر من رأى المعروفات بالاولى والثانية والثالثة الى السابعة ويصب في دجلة ازاء المطيرة وكان قصر الجص يقع على الضفة اليمنى فوق قصر الهاروني ، وهذا الاخير يقابله على الضفة اليسرى قصر المشوق ، وهو مطابق لقصر العاشق اليوم . وكانت المطيرة متنزها لاهل بغداد وسامراء ، وكانت تقع على نحو قوسخين اسفل من القصر الاخير (باقوت : المعجم - مجلد ٤ ص ٥٦٨) . ويحدد موقع طيران شمالي قصر الهاروني ، ولعله في خربة .

وبغداد الضفة اليمنى لنهر الاسحقاقي يمر طريق الاسحقاقي المؤدي من سامراء الى الانبار (الطبري سلسلة ٣ ، ص ١٦٠٠) .
ولما كان الجدول الرئيسي لنهر الاسحقاقي ، في اي موضع كان لا يقترب

ارتفعت اسوار اشنام وماذن ابي دلف وإمام دور (٥) وفي الساعة ١٥ر٦
شاهدنا على جرف الى يميننا ، زكام خرائب الحويصلات ؛ وكانت على
اليمن حقول بو عباس الزراعية .



(شكل ٢٠ - ضفة دجلة اليمنى الصخرية قرب قصر العاشق)

وهنا يأخذ السهل الفيضي في الاتساع حيث تتراجع أجراف الضباعي الى
الغرب . وبعد الساعة السابعة اخترقنا مزارع كان يحصد فيها الشعير . وفي ١٥ر٧
كانت قُرية عباس على يميننا ؛ وقد ارتفعت وراءها على الضفة اليسرى منارة

من الانبار أكثر من ثمانين كيلومترا ، فانه ينبغي لنا ان نفترض ان هذا
الطريق كان يتابع الضفة اليمنى لفرع من هذا الجدول . ولابد ان يكون
الطريق المذكور قد استمر في جريانه على مرتفع الراداف تفاديا لخنادق
السري [المشبوبة هنا وهناك] . وينبغي ان يكون هذا الفرع من الجدول
قد ترك الاسحافي غربي الاصطبلات الحالية ، ومضى جنوبا ، بينما عاد
الفرع الكبير من الاسحافي للاتصال بدجلة في جنوب شرقي الاصطبلات .
اما الفرع فهو في نظري جدول الفرخانية المردومة في الوقت الحاضر .
* يقصد به المشهد المعروف في مدينة الدور .

ابي دلف بشكلها المستطيل. ومن ٨٣٢ الى ٨٥٥ رعت جمالنا بالترب من طريق يهبط من هضبة الضباعي التي تقع فيها خرائب (المكيشفة) ، وعين الهويرة ، وبئر الخيزة . وفي ٩٢٠ رأينا على يمين الطريق خرائب رسم المحيجر . حيث يبلغ عرض السهل القيصي كيلومتراً واحداً فقط. وفي ١٠٥٠ كنا عند قبر العروس أسفل أجراف خشم الجدمة وللزارع الواقعة الى الشمال الشرقي من هذا القبر ، المعروفة باسم حاوى العوجة ، ملك لعنيرة البيجات . وملأنا الترب من النهر الفائض من الساعة ١٢ الى ١٢٣٠ بعد الظهر ، بالقرب من مزارع المجبيرة ، وكانت مياه الفيضان قد بلغت الأجراف الصخرية العالية الواقعة في الغرب مما ادى الى قطع الطريق المؤدي مباشرة الى تكريت . واهذا أخذنا الطريق العام الذي يخترق شعيب الفحل (الذي يفيض من ماء الشجيمي) وصعدنا الى هضبة المطلع في الغرب . وبدت في النهر جزر متعددة مغطاة بأشجار الحور كأنها قطع سوداء ، غير أن الضفتين، ابتداء من العاشق ، كانتا عاريتين من اي اثر للأشجار أو الشجيرات . وفي ١١٥ عبرنا شعيب الرومية العميق ، وفي ١٢٥ شعيب شيشين ، وفي ٢٠٢ شعيب شعية . وكنا نرى أسفل منا شرقاً جزيرة حيوان الكبيرة نسبياً ، وهي ملك البوعجيل ، وظهرت من مسافة بعيدة على الافق الشمالي الشرقي سلسلة حميرين ؛ وإلى الغرب منا مرقدة الأربعين : وإلى شماله ضريح محمد الباسر ، وبدت امامنا خرائب تلؤلؤ الكهفة ، التي سرعان ما تركناها على يميننا .

ان بيوت تكريت الحديثة (٣٩) تغطي تنوعاً صخرياً من مرتفع يقع في الربع الشمالي الشرقي لبقعة كثيرة الاطلال . ويهبط التواء الى النهر بانحدار شديد من ناحية الشرق ويغور الى الجنوب في جوف عميق قاسماً الاطلال الى قسمين . وإلى الشمال تندمج بالتدرج في خليج صغير في ضفة النهر ، بينما نجد في الغرب ضلعاً شامداً الانحدار يصل بينه وبين المستويات العليا للهضبة . ويعرف

(٣٩) انظر فيما بعد ، الملحق ٢١ . :

القسم الجنوبي من المدينة ، بالقلعة ، والقسم الشمالي بالحارة(*) . وتوجد مقبرة في ضلع الجبل المذكور ، حيث توقفنا في ٢٧٢٧ . ويقسم المنخفض الجنوبي ، المسمى بالمسيل ، الخرائب الى قسمين . وترتفع تلال القسم الجنوبي المعروفة بـ (الكهيفة) أعلى من المعتاد . وثمة ربوة خرائب واسعة أخرى تسمى تل السكن ، وتقع الى الشمال الغربي من المدينة الحاضرة . ويسكن تكريت نحو الف عائلة ، من بينهم كثير من اليهود ، (**) ولكن ليس منهم أسرة مسيحية واحدة . ووسائل المعيشة الرئيسة للسكان هي المتاجرة مع الاكراد ، ومع مدينتي سامراء وبغداد .

(*) يبدو ان المؤلف قد خلط بين موقع الملتين - المراجع
(**) لم تكن في تكريت آنذاك سوى أسرة واحدة لصائغ يهودي - المراجع

الفصل الخامس

تكريت الى راوه مرورا بالثرثار

تكريت الى شعيب شيشستي ، منطقة شمالي تكريت

بعد ان وجدنا دليلاً يعتمد عليه يسمى احمد الخطّاب ، وتزودنا بمقدمات من الشعيبر يكفي نخيل الدرك ، غادرنا مدينة تكريت المهجمة في الساعة ٢٥ره وانطلقنا في سهل مقفر متجهين غرباً . وتحاوزنا مرقد محمد البسر وشهد الاربعين الكبير الخرب . الذي كان ديراً في عها . سابق - حتى بلغنا وادياً واسعاً قليل العمق يعرف بوادي شيشين حيث نصبنا خيامنا في ٢٠١٠ . وقد وجدت جمالنا الجائعة هناك مرعى جيداً ، بينما كان جو المكان البقي وهلوته التام متعة لنا .
ورسم لنا الدليل في الرمل خارطة لهذه المنطقة .

وتقوم الى الشمال من تكريت التلول المسماة (تلول جحا) . وينتهي شعيب (درب) الحمر في السهل الفيضي شمال هذه التلول . وبالقرب منها تقع خرائب (الويث) ، (الثبوت) والكهف المسمى (مغارة السلوة) ؛ وأبعد من ذلك يوجد شعيب (الجريم) (الكريم) مع بئر يحمل الاسم نفسه . وبلي ذلك شعيب (ابو رياش) . الجيسات مع آبار ابو قطب والريضة ، وأخيراً الشريمية مع عين الشبيبة . ويقع مركز الشرطة المسمى (نقطة الشريمية) على ضفة النهر بجانب الشعيب الاخير ، ويقع بجانب الجيسات خان الخرفينة . وبالقرب من شعيب الكريم يوجد الضريح المسمى قبة ابو خلخلان (خلخال) وإلى الشمال من الشريمية تمتد جبال المكحول (٤٠) وللمجيجيل من دجلة باتجاه شمال الشمال

(٤٠) ان سلسلة مكحول هي جزء من سلسلة الجبال التي كانت تسمى بارما قديما . ولعلها سميت باسمها الحاضر نسبة الى قرية كحيل وخليجها
الصفير .

الغربي ، وتفصل بينها الفجوة السمساة (جفرة الحار) ، ويترج خلالها شعيب جهنم ، الذي يتصل بدجلة بالقرب من اطلال قلعة قصر النبات .

ويشير ابو الفرج في اغانيه (بولاق - مجلد ٢ ، ص ٥٨) وابن الاثير في الكامل (مجلد ٤ ، ص ٢٦٠) الى شعيب الكحيل على بعد عشرين فرسخا جنوبي الموصل . وفي هذا الموضع اثناء خلافة عبد الملك (٦٨٥ - ٧٠٥) قاتلت بنو تغلب وحلفاؤهم من قبائل اليمن قبيلة قيس - وان مشرين فرسخا من الموصل تؤدي بنا الى جبل مكحول . وكان والد الاسقف العلامة موسى بارسيف المتوفي سنة ٩٠٣ ، من ابناء قرية الكحيل على دجلة (اسيدانوس - المكتبة الشرقية - روما ١٧١٩ - ١٧٢٨ مجلد ٢ ورقة ٢١٨) . ويذكر الاصطخري في مسالكه (ص ٧٥) والسن على شرقي دجلة وهي مدينة صغيرة بقربها جبل بارما على مرحلة . وجبل بارما يمتد الى وسط الجزيرة مما يلي المغرب . ويقال انه مما يلي المشرق يمتد الى حد كرمان .

ويقول ابو الفضائل في مراصده (مجلد ٢ ، ص ٤٨٠) ان الكحيل قرية تحت الموصل على شاطئ دجلة الغربي مقابل الحديثة . به مشهد يعرف بمشهد الكحيل قبل كان مدينة عظيمة .

وسافر نفقو (الرحلات : باريس ١٦٨٩ مجلد ٢ ، ص ١٧٩) من الموصل الى بغداد بضلع جبلي يقال ان احد الفرنجة بنى قلعة فيه ، وفقا للرواية المحكية ، تسمى مكحول قلعي (قلعة مكحول) . وتعرف قلعة مكحول ايضا بقصر النبات . وفي موضع اسفل منها مباشرة يتلقى نهر دجلة شعيب جهنم ، الذي ربما كان مطابقا لشعيب الكحيل . وهذا يتفق مع المسافة عشرين فرسخا من الموصل .

ولعل مكحولا يطابق كذلك بلدة العقر الاقدم منه هذا . وقد وصل ابن بطوطة (التحفة - مجلد ٢ ، ص ١٢٣) بعد مسيرة مرحلتين من تكريت الى بلدة العقر على شطر دجلة وباعلاها ريوه كان بها حصن .

حصن . وبأسفلها الخان المعروف ، يخان الحديد له ابراج ، وبنائه حافل ، والقرى والعمارة متصلة من هنالك الى الموصل .

ويقول ابو الفضائل (المصدر السابق مجلد ٢ ، ص ٢٦٧) ان هذه البلدة كانت تسمى مقر ابن زعلا .

ان التآكل الذي أحدثه نهر دجلة في النصف الجنوبي من جبل مكحول هو الذي كَوَّنَ المر الضيق المعروف بالخانوقة . وبالقرب من هذا المر بُني خان النمل بجانب النهر ؛ وتقسِّم الى الشمال منها خرائب قلعة شرقاط ، او آشور القديمة . وعلى امتداد السفح الغربي لجبل مكحول يتعرج وادي الثرثار الذي يبدأ من الشمال الغربي لنهاية الجبل بالقرب من التلول المسماة (تلّ عبده) (٤١) والمر يقصص ، والنجمة .

ويحاذي الأهلون رأس الثرثار في شبيب الثريثر ، الذي يتصل به من اليمين : العبدان ، وخور مرّ ، والخنيفس ، شبيب فويعة ، ومن اليسار : شبيب الحمر . وفي الشبيب الأخير هذا توجد مياه (سحل حمد) والصليبات ، واللبنشية ؛ وفي شبيب الثريثر توجد مياه الجمل . وعندا ملتقى الحمر بالثريثر توجد بقايا جسر القنطرة ، وتقع الى الجنوب الغربي منها خرائب الحضر . وإلى الشرق من هذه الخرائب ، قريباً من مجرى نهر الثرثار ، توجد اطلال الأسرب . ويخرج من جبل مكحول شبيب الصفاء والعينية وجيفت (كهفة) الخيل ، والسويسه ، والمعجارب (مع عين مطلق) ، أمّ الغرّبه ، المنجور ، والزبيدي . وفي هذا الأخير توجد آبار طبيعية هي : الزبيدي ، بلايج (٤٢) ، ابو شاطن ، وتخلون .

وتبرز اكمة خربة هي تلّ بكر غربيّ بشر خردن ، ويقوم الى الجنوب منه ضريح الشيخ حديد . وتوجد على جبل مكحول ، شمال دجلة ، خرائب المسحوق والجبار ، والى الجنوب بشر المرس وشعيب وضريح المصلحة . وينضم الى

(٤١) يذكر الاخطل (الديوان - الصالحاني ص ٣٢) تل عبده بالقرب من الحشاك على نهر الثرثار .

(٤٢) يقول ياقوت (المعجم : مجلد ١ ص ٧١١) ان البلايسق موضع بين تكريت والموصل ، وانها كانت تسمى البلايج ايضاً . . . مع ابدال القاف بالجيم - ان الجيم هنا تمثل نطقاً خاصاً لعرف القاف من أعلى الحنك (أعلى باطن الفم) : وهذا النطق في لهجة الرولة يختلف عن صوت الجيم [المألوف] .

الثرثار ، جنوبيّ الزبيدي من جهة اليسار شعيبان الحميرآت ، ابا القدور ، السمومة ، ام غربة (مع بثر الخيل) ، الافيتح ، ابو جدعه ؛ ويقطع الشعب الأخير الطريق المؤدي الى عانة . اما الشعيبان التي تنضم الى الثرثار من جانب اليمين فهي ضحلة وقصيرة . وإلى الجنوب من الحضر توجد شعيبان السدة ، والدباغية ، السلية ، وهذا الأخير يأتي من آبار الشوه ، الكحيفات ، الأعظميات . ويوجد في شعيب الجحران بثرٌ يسمى بهذا الاسم ، وإلى الغرب منه تقع بثر النقيعة ، وإلى الجنوب منهل السحريات . وفي الشرق من هذا توجد آبار الغريبات ، مع بثر الشطيطات الى الجنوب منها . وفي الجزء الاسفل من شعيب الزبيدي ينضم الى الثرثار شعيب الحبة ، وعند رأسه تقع بثر ابي ذكير وخربة بنية الفاج . وإلى الجنوب الغربي من هذه الأخيرة توجد آبار الحاث ، السمدان ، أبو زير ، ام طبوق ، اللولحية ، الهلهي ، . وإلى الجنوب الشرقي من ابي زير توجد آبار المروان ، والتميليات ، والمصطفيات ، والمرة . وتوجد في غرب التمريرات آبار العرسة ، المانعة ، بنية الملح . وأسفل من ملتقى شعيب ام غربه الثرثار - مباشرة - يوجد شعيب الطيشية ، وبالقرب من فم شعيب الافيتح وقبر الصليبي يوجد شعيب ينحدر من عيون الجريعات .

شعيب شيشين الى الجمه

في ١٢ ايار سنة ١٩١٢ بدأنا السير في الساعة ١٢ صباحاً في اتجاه غربيّ مخترقين منطقة متموجة تقطعها أودية واسعة . وظهر لنا الى الجنوب الغربي مخروط منخفض نسبياً حيث يقع بثر الغران ؛ كما توجد من جهة الشمال الغربي اكوام صغيرة من الحجر لتدل على موضع نبع صغير هو نبع البيجات وفي الساعة ٥:٣٠ كانت الى الجنوب منا خرائب الجبران وبثره ، وفي الساعة ١٠:٧١

اخترقنا شعيب البستين الذي يقع في صدره ماء البستين ، وتقع اسفل منه عيون اللريجة ، والغزلاني ، والحريس ، والأبطح ، والشيوخ ، والخماش . وحوالي الساعة ٨ر٧ كنا عند آبار الحمراي (٤٣) ، وتقع هذه في واد عريض يتحدر الى الجنوب وتحف بها روابي : قارت الحصى الواطئة . وماء الحمراي مالح والمنطقة المجاورة له قفراء ، وترتبتها مفتتة رمادية قائمة اللون . وعلى بعد خمسة كيلو مترات الى الجنوب يمكن مشاهدة خرائب خان الاخوان على طريق عانة الذي يتجه غرباً ، ويمر بآبار : ابو جدعة ، الصلبي ، المعالف ، أم ركية ، ابو درج ، الاهذبي ، المجباش ، النخيلة ، ساحل الطويل ، ساحل ابو خريية ، الطفاقة ، والصفاء .

ويلتقي شعيب الحمراي وشعيب البستين ؛ وتقع الى الجنوب من الأخير آبار ابو جحاش ، المنقوب ، الثقرة والسدة . ومن ٨ر٢٥ الى ٨ر٥٦ اخذنا قسماً من الراحة . ثم انعطفنا الى الجنوب الغربي فوصلنا الى بئر الحياضية في ١٠١٠ ، وفي الساعة الحادية عشرة رأينا امامنا ، على بعد ٢٥ كيلو مترا ، الضفة اليمنى من وادي الثرثار ، وعلى حافته صف من اشجار السدر . وفي ١٢ر٢٠ بعد الظهر اخترقنا شعيب المير الذي تكثر فيه آبار مجة الماء ثم استرحنا من الساعة ١٢ر٣٠ الى ١٣ر٣١ .

وبجري المير في اتجاه الجنوب الغربي بين تلال مرقب فرحان ومرقب الحمه في الغرب والعوسجية في الشرق . وتقع كل من بئر ابو زمايل والعوسجية في هذا الوادي . والى الجنوب من هذه الأخيرة يرتفع تل المالحات وبالقرب

(٤٣) بين ياقوت (المصدر السابق : مجلد ٢ ، ص ٣٣٣) ان قصر حمراية يطلق على بلدة تبعد مسيرة يوم واحد من تكريت بالقرب من العشوق غربي سامراء . والظاهر ان مزرعة حمراية كانت تقع على الطريق من تكريت ، لهذا يمكن القول انها تطابق حمراي التي ذكرناها آنفا .

منه تقع بئر المالحه ، بينما تجري العين المعروفة بعين الأريب الى الغرب من ذلك . ومن هذه العين ومن آبار المبطح ، والقريدة ، وام الحياه ، تنحدر عدة أخاديد صغيرة قصيرة الى الثرثار . وفي ٣٥ ر ٢ كان على اليمين منا عين النخيلة التي تقع في لحف السفح الجنوبي لتلّ صغير يعرف باسم أبو جذع . ووصلنا في الساعة ٤٥ و ٢ الى الحافة الغربية لهضبة تمتد بين دجلة ووادي الثرثار الفسيح ، الذي شاهدناه أمامنا - : يحفّ به غرباً سفح رمادي تغطيه بساتين داكنة الخضرة وبرك صغيرة متألثة بلونها الضارب الى الحمرة . واختفى الوادي بعد مسافة بعيدة الى الجنوب وراء مخروط الحصيصي المرتفع الاحمر وتبين فيه سطح مائي مالح لامع لا يختلف شكله عن بركة متجمدة . وتبينّ للدليل ان يكون ذلك ام رحّل . ويأتي الناس من جميع القرى المجاورة ومن تكريت كذلك للحصول على الملح من هذه البحيرة ، زاعمين انه احسن طعماً من الملح المستخرج من (منخفض) ملح العسكر شماليّ عانه ، او من منخفضات الملح الأخرى غربيّ الثرثار . وكان الهبوط لا يخلو من صعوبة كبيرة ، وخاصة في أول الأمر اذ كانت الارض الصفراء قد تأكلت الى عمق غير قليل واصبحت جميع المنحدرات شديدة الانحدار . وفي ٢٥ ر ٣ مررنا بعين الحصى وكانت آنذاك مليئة بالجراد وبعد أن تعرج طريقنا بين عدد لا يحصى من تلال ترابية استطعنا الهبوط الى حوض (الثرثار) المصنير (وينبغي ان لا نخلط بينه وبين الشعب الذي يحمل الاسم نفسه الواقع في صدر الثرثار) ، المغطى بطبقة كثيفة من الحشائش ، حيث أقمنا خيامنا في الساعة الخامسة من بعد الظهر وقد اخذت الشمس النارية تتوارى وراء الهضبة الغربية وكنا لانزال نرى الى الشمال هضبة الحمرة الطليشية وام ركية . وفي الساعة ١٥ ر ٦ من صباح يوم ١٣ أيار سنة ١٩١٢ تابعنا طريقنا مرة أخرى . وهنا يتسع شعيب الثرثار فيصبح سهلاً تحفه من الشرق حافة عالية مكونة من طبقات صخرية ملحية . وظهر في الشمال قبر ايضر، يسمى قبر الصلبي وفي ٤٠ ر كنا على ضفة مجرى الثرثار ونرواح عرض وادي الثرثار بين ستة الى عشرة كيلومترات .

وهو قليل العمق كثير المستنقعات ، بحيث ان النهر يغطي مساحة شاسعة وقت الفيضان . وقد يصعب عبوره في مثل هذه الاوقات ، لأن الحيوانات لايمكن ان تتجنب المستنقعات . ولا توجد أرض صخرية تصل قريباً من مجرى النهر ، تجعل العبور ممكناً الا على الضفة اليسرى من شعيب الثريثير . وعلى الضفة اليمنى ، جد بئر الجمّة التي لا يكاد يبلغ عمقها متراً واحداً ، شأنها كشأن جميع الآبار الأخرى التي على طريقنا . وهنا توقفتنا من ٦ الى ١٨ ر٦ . ولما لم يكن بمقدورنا التأكد من ان الآبار الأخرى غير ملوثة بالجراد كهذه البئر ، فقد رمينا الماء منها جانباً ، وملأنا قربنا بذلك الماء الأصفر الملح الكريه الرائحة . (٤٤) .

(٤٤) نهر الثرثار كان معروفا لدى الكتاب القدماء . واصطاد [الملك] توكلتي أنورثا الثاني تسعة من الثيران البرية بالقرب من الثرثار (الحوليات - شيل ١٩٠٦ ، لوحة ٢ ، الوجه المقابل ، ص ٥٥ فما بعد ؛ شيل : المصدر نفسه ص ١٤) . ويرى شيل (المصدر السابق ص ٣٥) ان توكلتي ننب (توكلتي أنورثا) الثاني أمر بسحب مياه الامطار من الخزانات الصناعية ، التي سماها بگو المحاذية للثرثار . وكلمة بگو مطابقة لكلمة الجب الحديثة التي تدل على بئر صناعية فيها عين ماء ، ويوجد من هذه الأخيرة عدد كبير على امتداد الثرثار . ويشير بطليموس (الجغرافيا مجلد ٥ ، ١٨ : ٣) الى نهر يقال له سوكوراس بين الفرات ودجلة . ويتفرع من خابوراس (الخابور) ويصب منفرداً في الفرات . ونهر سوكوراس الذي لم يرد ذكره في أي مصدر كلاسيكي آخر ، مطابق لجدول اراكسس (دورين الحالية) الذي يتفرع من الخابور عند قرية السكير التي هي سوكوراس القديمة أما فيما يخص نهر الثرثار فان بطليموس لا يذكره البتة ، مع ان بلدة الحضر المحصنة ، وكانت مركزاً تجارياً هاماً ، كانت تقع عليه . ولاند ان يكون بطليموس قد عرف الحضر التي اوردها بصورتها المحرفة : بيسثرا (وهي أرجح من بهتثرا) . وقد اخذ الكتاب العرب بالإيضاح الذي اورده بطليموس عن أصل سوكوراس - على انه يخرج من الخابور - فواضحوا أصل الثرثار بالطريقة نفسها .

وفي خلافة عبدالملك الأموي (٦٨٥ - ٧٠٥ م) نشبت المعارك غالباً على ضفاف الثرثار بين القبيلتين المتنافستين : تغلب وقيس . ويذكر أبو

الفرج في أقاليمه (مجلد ٢ ، ص ٦٢) ان قيسا وتغلب أنوا نهر الثرثار بين رأس الأيل ، ص ٦ والكحيل . وميرت فرقة من تغلب نهر دجلة عند قرية أبا بين تكريت والموصل ، فوصلوا الى دجلة كذلك .
ويذكر الاخطل (الديران - صالحاني - ص ٢٢) الحمر البرية عند الثرثار .

ويذكر ابن الأثير (الكامل مجلد ٤ ، ص ٢٥٥ وما بعدها) أن نهر الثرثار ينبع شرقي بلدة سنجار بالقرب من بلدة سرق ويصب في دجلة بين الكحيل ورأس الأيل ، وكلاهما تابع لمقاطعة الفرج الادارية - وبلدة رأس الأيل مطابقة لقرية الأيل ، والثرثار لم يصب في دجلة على الاطلاق . ويروي ابن خرداذبة (المسالك ص ١٧٥) ان الثرثار يتفرع من نهر الهرماس ، ويجري حول الحضر ، ثم يصب في دجلة . والهرماس فرع من الخابور . ولابيين ابن خرداذبة الموضع الذي يدخل فيه الثرثار دجلة .

وكذلك يصف ابن الفقيه (البلدان ص ١٢٩) نهر الثرثار ويقول انه يخرج من سنجار ، ويشق مدينة الحضر الى شطرين ، وعلى حافتي الثرثار القرى والجنات ، ويصب في الفرات ويحمل عليه السفن . غير انه لم توجد مستوطنات كثيرة بحذاء الثرثار ، وربما وجد بستان صغير هنا وهناك . كما ان القوارب لم تكن تجري فيه ، لانه كان يتخلى من الماء فعلا لمدة اشهر متعددة ، والى هذا كان مجراه على درجة غير قليلة من الانحدار .

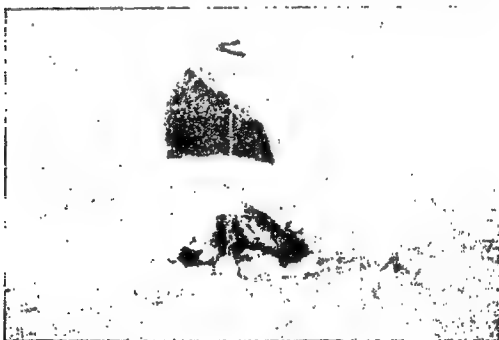
ويقول ابن سراجيون (العجائب ص ١٨ ، لوسترنج) ان نهر الثرثار اوله من نهر الهرماس (نهر نصيبين) فيقطع جيلا معترضا له ويجيء في البرية ويمر بالحضر ويجيء في بركة سنجار ويصب في دجلة فوق تكريت ، بفرسخين . ومن الغريب ان ابن سراجيون ، الذي كان على معرفة تامة حتى بالمناطق البعيدة التي تحيط ببغداد ، لم يكن يعلم ان نهر الثرثار لا يصب في دجلة ولا في الفرات .

ويروي أبو الفدا (التقويم ص ٥٢) ان الفرات يتلقى المياه من نهر الهرماس الذي ينبع من منطقة نصيبين . وبعدئذ يتفرع الثرثار من الهرماس ، فيجري بحذاء بلدة الحضر مخترقا صحراء سنجار ، ويصب في دجلة في موضع غير بعيد من تكريت . غير ان نهر الهرماس - بعد ان يتفرع منه الثرثار - ينعطف نحو الخابور ، ويتصل به قبل وصوله الى فرقيسيا . ولا يلبث أبو الفدا ان يلاحظ بعد قليل ان نهر الثرثار يصب في دجلة اسفل من تكريت ، وفي رواية اخرى فوق هذه البلدة ، على مسافة فرسخين منها .

الجمعة الى المستفيض

تقع بئر الجمعة على الطريق القديم المتجه شمالاً من بغداد الى مسكين فالخضر . وبعد ان يترك الكاظمين يمرّ هذا الطريق بـ (تلّ غريب) وآبار السبعة ، والوشيل ، وام الحياه ، وعين القرس ، والجمعة ، وبنية حمد ، والجريبعات ، وبنية المالحه ، والمروان ، وبنية الفاج ، وبنية الثيلية ، الحضر ، شريعة . سفرة ثرثار ، وتل عبده . وقد انشئت على امتداد هذا الطريق كله ، وعلى مراحل يتباعد بعضها عن بعض نحو ثلاثين كيلومتراً انشئت اماكن للتوقف او نزل للمسافرين (تسمى بنية) .

في ٣٠ ر ٦ لاحظت لأبصارنا الضفة الشرقية لوادي الثرثار (شكل ٢٢) كونها جرف شديد الانحدار يبلغ ارتفاعه نحو عشرين متراً . ثم مرونا خلال سهل الطبلات المتعرج ، الذي يأخذ في الارتفاع نحو الغرب ، وتتناثر فيه تلّول وقباب صغيرة طبيعية وجميعها مجوفة (شكل ٢١) - نتيجة للوبان الرواسب الجبسية وتعريتها . والكثير منها تهدم او تساقطت اجزأؤه تماماً .



شكل ٢١ قبة مجوّفة في الثرثار نشأت بفعل فوران الجبس وتعريته

ولكن بعضها لا يزال سليماً . ويمكن الرخف الى داخل بعضها وتوجد طبقة تراب وحصى متماثل يبلغ ارتفاعها خمسين سنتيمتراً مكورة ما يشبه القبة ترتفع على حيز مغطى ببقايا جرس متبلور . وتستعمل هذه القباب ملاذاً عند سقوط المطر اذ يتسع بعضها لايواء عشرين شخصاً . وبين هذه القباب الشبيهة بالفقاعات ، التي ترتفع على ارض مكورة من جرس متبلور ، فجسوات فاعرة الافواه مختلفة الاحجام تنجتها الجمال وتحلر منها .

في الساعة ٣٠ ر٨ وصلنا الى آبار ابو قبره ، وفي ٢٣ ر٩ : آبار ابوسماج (شكل ٢٣) حيث بقينا حتى الساعة ١١٠٥ . وكان الدليم في ذلك الحين يخيمون هناك . وكان يرأسهم ابن زعيمهم السجين نجرس بن كمود الذي بدأنا التفاوض معه لكي نضمن حمايته لنا . وكانت العشائر التي تحت سلطته تخيم احياناً على اطراف المنطقة الزراعية بين هيت ومسامراء ، حيث توجد لهم ارض يملكونها . وكان [الابن] قد توغل في عمق الصحراء واتخذ موقفاً يساعده على مهاجمة موظفي الحكومة ومن يحتمي بها فتي كل فرصة ممكنة . وقد وعدته باننا سنبدل جهداً لمعاونة ابيه السجين ، اذا ما ضمن لنا الحماية من مضايقات اتباعه . فوافق على ارسال أحسد خلعه معنا للدلالة على اننا في حمايته ؛ ولكن طلب الينا - مقابل ذلك - ان تعدّه بارجاع خادمه اليه فوراً عندما تبذلوا عيننا ضفاف الفرات . ولما كان على دراية بمنازة بالمنطقة الواقعة بين مملكة ام رحل والفرات فانه رسم لي على الرمل مواقع الاماكن المختلفة ، مما ساعدني على رسم خريطة يمكن استعمالها عندما اطرح اسئلة اضافية . وكان ابن كمود قد خيم اثناء الأشهر الستة الأخيرة قرب معظم الآبار الواقعة بين الخابور وتكريت تقريباً ، ولهذا كان يعرف أسماء الآبار الواقعة بجانب الطرق الرئيسية ، وقد اعطاني هذا فكرة واضحة دقيقة عن موقع كل منها ، للمسافات التي تفصل بعضها عن بعض .

ويتهيئ شعيب ابو سماج الضحل في الثرثار مقابل الشعيب الذي ينحدر من عين القرمس . والى الجنوب من ابو سماج يتصل الثرثار بالشطيحية (حيث ماء الدقوقي) وبلي ذلك جنوباً ام الطبول ، وابو شنيه ، والاعوج . وهذه كلها

تنبع من منطقة عالية واسعة يخترقها الطريق المؤدي من أبو سماح الى هيت ، وفي هذه المنطقة توجد آبار : أبو تريجة ، والفزيل ، والطويل ، والعيدي ، والقميصم . كما يوجد في الجنوب الغربي منهل الرجمة ، وإلى الجنوب منه تقع آبار أم طويق والمويجيه ، والمغزل . وإلى الجنوب الغربي من هذه الأخيرة يقع أبو صفيحة . وإلى الغرب من الرجمة يوجد ماء صالح للشرب في بئر العقابي ، وإلى الغرب منه سهل متموج تخترقه (شعيان) من أحجام مختلفة تنحدر الى الفرات .

ويتدفق الماء في بئر أبو سماح من الأرض بقوة عظيمة مكبواً بقاعات حتى لقد قيل انه يقذف الاسماك الى السطح أحياناً ، ومن هنا سمّي أبو سماح . وطعم مائه ميج شأنه كشأن جميع المياه في البريجة - وهو اسم المنطقة الممتدة بين الخابور ودجلة ومن سلسلة سنجار الى الفرات . والمقصود بالبريج إما الملح الصخري وأما المايكا الذي يبرق عنلما يتعرض لأشعة الشمس .

في الساعة ١٢٢٣ بعد الظهر ظهر العيان من ناحية الغرب فرقب الاحيمر ومن ١٢٣٥ استرحنا أسفل بئر الأحيمر . حتى الساعة ١٢٣٠ غنلناها وارتحلنا مرة أخرى في اتجاه غربي - شمالي غربي . وفي ٢٤٠ كانت بئر الربيعة على يميننا ، وفي ٣٢٠ كان بإمكاننا مشاهدة بعض التلال الصغيرة الى الجنوب الغربي : وكان من بينها منهل الكزيم . وإلى الشمال تقع آبار أبو قلايد وعين الملواح . وتندفق مياه الأخيرة بوضوء عظيمة بحيث يسرع هديرها عن مسافة بعيدة . وتقوم بالقرب منها خرائب بناء صغير . وإلى شمال الملواح ترتفع حافة أم ركيه (رُكَيْبَة) بينما كانت الشمس الغاربة في الشمال الغربي تلتقي آخر أشعتها على حافة مماثلة هي حافة اللولحية . وتمتد اللولحية من الشمال الغربي ، حيث تعرف بقرائن فاطمة ، الى الجنوب الشرقي حيث يسمى هذا القسم أم الطوس وحمير الطيشية . وإلى الشمال منها توجد مجموعة هُصَيَّيات صغيرة منخفضة - قور أم الدلي - تواجه الجنوب بحافة مماثلة أقصر منها . وتوجد بين الحافة الأخيرة واللولحية ، ابتداءً من الجنوب ، الآبار التالية :

الولحية ، الهلهي ، أم طروق ، ابو زبير ، السمدان ، وأم الدلي .
وانعطفنا الآن بدرجة اكبر نحو الشمال الغربي ، فوصلنا في الساعة ١٠ره
الى بئر المستفيض ، حيث أقمنا خيامنا بجانبها الغربي .

المستفيض الى بئر ابو دوج

كانت المنطقة ذات طبيعة متناسقة - مكونة من ارض صخرية مصقولة
ملاء فيها حفر وهضبيات صغيرة مجوفة . وقد نمت في الاماكن الواطئة منها
نباتات سنوية نصف جافة . ونباتات دائمية رديئة جداً ، وخاصة الرمث ،
والروثة ، والزريعة ، والشيح ، والقيصوم .

وكان ديلنا احمد الخطاب من عشيرة البيجات . وكان اخوه قد بقي مصرعه
على يد رقيب (عسكري) على أثر شجار بينهما . وقد نأر احمد لأخيه بقتل
الرقيب واثنين من الدرك ووثي هارباً الى داخل الصحراء مع عشرين من الخيالة
وعائلاتهم . وكانت اراضي مضاربهم المعتادة تنحصر بين الثرثار ودجلة ، ومن
هنا شتوا غاراتهم على الطرق العامة . وكان يزور تكريت ليلاً ، اذ كانت حبيته
تقيم هناك ، ولكن والديها رفضا زواجه منها خوفاً من الحكومة . وأخيراً بدأ الاب
بالتفاوض مع الضابط الأمر وعرض عليه تعويضاً عما أريق من دماء . وطالب
الأمر بعشرة أفراس (حجر) وبغل واحد.. ولكن أحمد أبى ان يقدم الا حجراً
واحداً . وفي ذلك الحين تماماً بلغ الضابط ان أحمد مخيم بجوار تكريت ، وينوي
زيارة حبيته فجمع دركه وذهب للقبض عليه . ولكن احمد أثبت انه اعظم
دهاء ومكرأ منه . فقد عرف من ابناء بلده باي ليلة يترك فيها الدرك
خيماهم الثلاث التي اقاموها بجانب النهر قريباً من تكريت ، وداهمهم
بفرسانه ، وقتل اثنين من حراس الدرك .واخذ الخيام ستة من البغال ، وارسل
بهذه الغنائم الى جماعته في الصحراء ، ثم نصب كميناً لأمر الدرك ومن بقي من
رجالهم . ولقي الضابط حتفه وجرح عسك من رجال الدرك ،

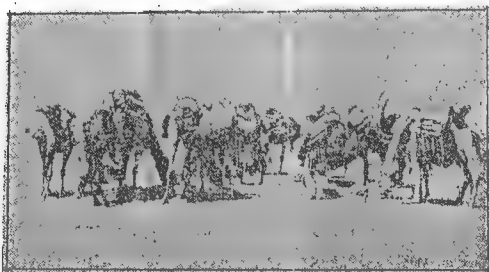
وفّر الباقون . . وفي السنوات التالية سلب ما يزيد على عشرين عربة في الطريق العام ، وغنم نحو (٣٦) من بغال الحكومة ، ولأجل صدور اللوك هية منسه ، الى حدّ انهم لم يقوموا بمحاولات أخرى للقبض عليه . وفي عام ١٩٠٩ ، بعد سقوط السلطان عبدالحميد ، صدر العفو عن أحمد وغيره من الثوار ، اما احمد فقد تزوج المرأة التي أحبّها ، وانتقل الى تكريت . وفي عام ١٩١١ انتخب عضواً في المحكمة العليا واستطاع ان يلتزم جمع الضرائب .



شكل ٢٢ الضفّة اليسرى من الثرثار

وغادرنا في الساعة ٥٠٧ صباح يوم ١٤ أيار سنة ١٩١٢ الساعة صباحاً متجهين الى الشمال الغربي ، وفي ٥١٠ وصلنا خط تقسيم المياه بين الثرثار والقرات . ويمتدّ الى جهة الجنوب - اي نحو القرات - اقليم صخري فيه مناطق عالية ووديان غير عميقة ، وتكاد تكون المصساب مقفرة ولكن نباتات دائمية مختلفة الانواع تنمو نمواً جيداً في المنخفضات الغرينية . اما النباتات السنوية فلم يكن لها وجود . ويسمى القسم الجنوبي الشرقي من هذه المنطقة سكران ؛ والأوسط علأوى ؛ والقسم الشمالي الغربي يسمى وتاحة . وبين القسمين الأخيرين توجد تلال مائدية الشكل تُعرف بـ (قَرَّت القيين) . ويسدّ المنطقة الواقعة الى الجنوب الغربي من القرات خط واضح من أجواف منخفضة ، وتقع الى الغرب من

وثلاثة تلال منعزلة مائدية الشكل تفصل بينها منخفضات عميقة تسمى السحول (جمعها سحول) والسحول عبارة عن مجاري ضيقة يتجمع منها المطر فيها تحت طبقة من الحصى بيدان النسخور عمات على سد مجاريها . وعلى الطريق من تكريت الى عانة توجد سحول : الطويل ، أبو خيرية ، الطقاقة والصفاء ، وإلى الشمال الغربي من الأخير : سحل التين ، وإلى الاسفل من الطقاقة : سحل الحدثنين ، وشمال سحل أبو خيرية : سحول الزقيط والرمضاني . وفي الموضع الأخير توجد بئر عادية أيضاً .



شكل ٢٣ - قافلتنا عند أبو سماح

واخذت تهب الآن ريح شمالية قارسة البرد ، وكنا نحاول عبثاً ان نحتمي انفسنا منها . لقد نزلت خلال ملابستنا الخفيفة الى الجلد مباشرة . ولما لم يعد باستطاعتنا البقاء على السروج حيث كانت الريح الشديدة لا تكف عن رفع عباءتنا واغطية رؤوسنا ، لذا اضطررنا أن نمشي معظم الوقت . وفي ٥٥٠٧ ملحقنا الى الشمال الغربي تلال ام رقية ، بل استطعنا رؤية حمر الطيشية ايضاً ونقع الى الشمال منها هضبة مركب الفاج ، ونجوارها توجد بئر ملححة الفاج ، وبيضات الفاج .

لم يتغير مظهر المنطقة . ولا تقع العين في أي جهة الا على تلال مجوفة (الطبيلات) ، بينها حفرة مختلفة الاحجام ، أما النبات فلا اثر له الا في بعض الوديان الصغيرة هنا وهناك حيث تنمو نباتات ائمية منها . ونظراً لأننجاس المطر في فصل الشتاء الماضي فقد كان من النادر أن تقع العين على نبات سنوي . ومن (٢٠/٨) الى (١٨/٩) رعت جمالنا . . وفي ١٠/٥ كنا عند بئر أبو دراج على الطريق من تكريت الى عانة . وإلى الشمال الشرقي من هذه البئر تنخفض حافة ام رقية الى مستوى يمكن المرء ان يرى ما يقع خلفها الى حد اللوحة وأم الطاس ، وإلى الشمال الغربي منا ظهر نلّ قلب المغيزل ، وخلفه نتوء (رؤوس السحوك) ، ويليه على مسافة أخرى حافة رمادية اللون هي قَرَت الطماشة .

بئر ابو درج الى طريق الموصل العام

ولم يتوقف هبوب الريح بل تغير اتجاهها فجأة ، واخذت تهب في وجوهنا مباشرة من الغرب . واختفت السماء وراء سحب كثيفة ، ولم تعد الشمس تبعث الينا ولو بقليل من الدفء ، وجمدت اصابعنا من البرد ، واسترحنا من ١٠/١٢ الى ١١/١٢ بعد الظهر . ولم يكن دليلنا الدليمي يرغب في الذهاب أبعد من ذلك ، وأبدى أحمد الخطاب كذلك رغبة كبيرة في العودة . وكان أحمد يخشى ولا ريب ان يلتقي باحد الفلاحين من راوه ، لو بتاجر من اهل عانة ممن سبق ان نهب اموالهم عدة مرات ، فيحتجزوا فرسه عوضاً عن ذلك . اما الدليمي فكان قد جرح رجلاً من اهل راوه ، ولما يدفع تعويضاً عن الضرر الذي ألحقه كما اتفقوا عليه . لهذا أخذله القلق على ناقته . وكان هو واحمد كلاهما يشكوان شدة البرد . كان احمد ، يسافر بقميصه وكان الدليمي يلتف بعباءة ممزقة وكل منهما يتوق الى خيمة يلود بها ودفع نار يدفع عنه البرد . وكان الدرك يرتجفون من البرد كذلك ، ولكنهم ارادوا مواصلة الرحلة ، ولم يريدوا العودة ، لأنهم سيجلون في عانة من الدرك من يتوب عنهم . ولذلك استحثونا على المضي قدماً ، حتى انهم هددوا الدليمي واحمد باطلاق النار عليهما ، اذا ما تخليا عنا قبل بلوغ الطريق المؤدي من عانة الى الموصل .

لم تكن رحلة مريحة . . كان الدليلان ساخطين ، و كلنا يكاد يجمد من البرد ، والمنطقة على نسق لا يتغير : فالى الشمال توجد حافات منخفضة ، و الى الجنوب سهل منبسط تماماً ، و امامنا تلال المغيزل ، و حوالينا قباب مجوفة او فقاعات (طبقات) فيها حفَر مملوءة كانت جمالنا تخطو بينها بخسوف ظاهر . و يبلغ ارتفاع بعض هذه (الفقاعات) ثلاثة امتار ، و يترواح محيطها بين عشرة وخمسة عشر متراً و تد انهيار الكثير منها ، ولكن الاخرى كانت لا تزال بحالة سليمة ، و يبدأ الانهيار عادة في أوطأ اقسامها لأنها تتعرض لرمال تسفيها الرياح اكثر من غيرها . و يقل سمك قشرة كل (فقاعة) بالتدريج حتى تنهدم اخيراً بفعل الريح او المطر ، و ينشأ عن ذلك حفرة تأخذ في التوسع حتى تنهار كلها . و قطع هذه (الفقاعات) حادة الاطراف ، و تلتصق كما لو كانت مخلوطة بزجاج مرآة . من ٢٥٠ الى ٣١٢ رعت الجمال . و اصبحت النباتات الدائمة الخضراء اكثر ندرة كلما تقدمنا في رحلتنا . . كنا نقرب الآن من منطقة لم يسقط عليها مقدار كاف من المطر لعدة سنوات مضت . . وفي ٥٢هـ ساقط الريح الغربية الباردة إلينا رذاذاً من المطر ، لهذا خيمنا بين مرتفعات الحمام الى الجنوب وقارت الطمّاشة الى الشمال . و اشار احمد الى موقع بئر التبنير في شرقي مخيمنا ، و بئر الحمام الى الجنوب من الشقيق . وفي قارّت الطمّاشة يمكن الحصول على ماء جيد من بئر التّقيّد . وبالرغم من المطر جمعنا كومة كبيرة من النباتات السنوية الجافة ، و اوقدنا ناراً عظيمة و تدفأنا على خير وجه ممكن ، و شربنا شايّاً ساخناً و سرعان ما نسينا البرد الشديد الذي قاسمنا منه طوال اليوم ، غير ان شدة الريح لم تتناقص ، و كانت تقوّض خيامنا باستمرار طوال الليل ، لذلك لم نستطيع النوم الا غرارا . .

في ١٥ أيار سنة ١٩١٢ حوالي الساعة ٤٠هـ صباحاً كنا على الطريق . انقطع المطر ، ولكن استمر هبوب الريح الباردة و كانت السماء مبدّة بسحب رمادية وكان يحوم على السهل ضباب كثيف . و أصابنا الملل من الرّابة مرة أخرى ، لا تغير في المناظر اينما وجهت البصر . و الارض المستوية الصقيلة نفسها و (فقاعات) مماثلة ،

وحفر ، تلال منخفضة ، ومرفعات مائدية الشكل ، ولكن
لا شيء يستحق الذكر .

في الساعة ٤:٠٠ بلغنا الطريق العام : الدرب السلطاني ، الذي يؤدي الى
الموصل عن طريق النجمة .

منطقة شمالي، عامة

الدرب السلطاني طريق عريض مطروق مما يدل على انه لا يزال يستخدم كثيراً
في السفر . ويرتفع الطريق من القرى يصعد حاد تماماً فوق سفوح علو جبريت ،
ومصباح الكريّم ، وقرت الخرار والسنجرة ، ومن ثمّ يقطع سهل البرّيجة
في اتجاه شمالي - شمالي شرقي .

وفي هذا السهل نمرّ بآبار : ام الماطين ، الصبغة ، فاطمة ، التويسان :
السدعان ، الطريفاي ، قايب الملاح ، ام غيره ، ام الذبابه ، والى الغرب من
الحضر نمرّ بآبار : شريعة ، فوية ، الجمال ، الليشية ، سجل عطف
والمتياه . وفيما وراء بئر الصبغة يصعد الطريق في منحدر قارت الطماشه ، وفيما
وراء فاطمة يدخل وادي هور المويعد ، وبعد الطويسان يفتقر منخفض
نقرة العوين ، ويلوور فيما وراء السدعان حول مملحة الطريفاي . وينتهي
قَرَت الطماشه غربيّ الطريق العام بالقرب من بئر الشلالة ، والى الجنوب من
هذا الموضع تبدأ حافة أخرى : قَرَت ابو السون ، ثم حزم بن بوينه الذي يمتد
غرباً حتى مملحة العسديد وتتصل حافة قرّين فاطمة في الغسرب بـ (قَرَت الهور)
وكمود الشارد ، والقاعدلين ، و بـ (قَرَت الزير) قرب مملحة العديد . وتوجد
بالقرب من قارت الزير آبار : ابو عراجي ، ولعمه ، والغريبات ، والدخول ،
والقراى ، والصفويات ، والمالحة . وتنحصر قرة العوين من الجهة الشمالية
الغربية بحافتي : القطار ، وقَرَت المجادح ، اللذين تقع بينهما مملحة القطار ،
والى الجنوب الغربي من الأخيرة توجد بئر الشقمة . وتوجد في شماليّ مملحة
القطار ، وغربيّ مملحة الطريفاي آبار : الطمانيات ، عقيلة الصلان ، ابو شامة ،

والشرير ، وشمالى الأخيرة تقع آبار الجنيف . الجويل . ويلي ذلك الطماخيات
في منخفض ام الذبابة . وتشغل مملحة العسكر النصف الغربى من هذا السهل
المنخفض ، الذى يقع على مسافة نحو عشرين كيلومتراً شمالى حافة قاروت المجادح ،
ويسلها من جهة الغرب كتف الجبل وخشمة البصالة وقرت الروشة ، بينما تدخله
(حزم الملح) من الشمال . اما مملحة الأشقر فانها اوسع ما تكون عند جانبها
الشمالى ، والى الشمال تنقسم الى قرعين - الشرقى ويعرف بملاح حسان والغربى
ويسمى السنبلة - وتحيط هذه بحزم الملح كما لو كانت شبه جزيرة . وفي
فرع السنبلة تنتهى الشبان التى تنحدر اليها مياه آبار ثرى القرباج ، والوسط والملاح .
وتوجد بين فرعى المملحة : مياه البويضى وسحل ابو قيصومة . وعلى الطرف
الجنوبى من الأشقر عدة آبار مجة المياه على الارجح . وافضل المياه تستقى من
آبار مالحه المطوية ، والفوارات ، ابو جرد وفي الغرب ابو جلدح وابو خريمة .
ويرتفع جنوبي ابو جلدح ، على خشمة البصالة ، مخروطاً بالثاف وكزيز نعام .
ويوجد طريق آخر من عانة الى الموصل ماراً بسنجار . ويسمى على سفوح
وادي الفرات : درب الملاّن (الملاّلي) أما على الهضبة فانه يعرف باسم درب سنجار .
ويتجه الى الشمال الغربى صعداً الى مكسر الجمل ، وقرت الصوفى ، وابو
غرب ، والمحروق ، الى أن يصل السهل عند الموضع الأخير ، وهنا يستدير
شمالاً بصورة تامة تقريباً . وعلى طول هذا الطريق تقع آبار : سحل الأمير .
الزرقاب ، الحجل ، نخيلة ابو غراب ، المالح ، شربعات الغربية ، شربعات
عبدالله ، الأعمى ، الدخول ، ابو راسين ، عقلة الخصيان . الشبيجة ، المنخر .
ثرى الملاح . والى الغرب من ثرى الملاح تقريباً يرتفع تلّ عال يعرف بـ (تليل السقار)
والى جنوبيه آثار الحردية ، الغزيريل . المالح ، الرذله ، وابو حياه . والى غربى
هذه الآبار تمتد من الهضبة العالية سلسلة واطئة تسمى [الكيد] وترتفع
نوفها عدة تلال صغيرة مدورة . والى الجنوب الغربى من الكيد ينتهى
شبيب العجيج في منخفض الروضة الذى ينحدر من تليل الصقار الواقع الى الشمال
الشرقى . وتوجد عين العسيلة عند مدخل هذا الوادى . ويتصل بالعجيج من جهة

اليسار : شعبيان هما الحوبسية والتجارية الواقعين غربي رجم العيار حيث توجد عينان للمياه معروفتان بهذين الاسمين أيضاً . ويتصل بالعجيج من جهة اليمين شبيب : البديعة ، والمجمّس ، والمُخلّقة ، وعقيلة الطيب . والسهل ، وام غُرييه ، وبها جميعاً مناهل ماء . وإلى الشرق من بئر أم غريية يوجد منهل قلابان (جلابان) الصِّلْبِي عند لحف (الكبد)

ومن طريق ملّان (الملاي) ينعطف غرباً طريقٌ عند شريعة عبدالله يتجه الى الخابور فيبلغه اسفل (جنوب) قرية الدشيشة . وعلى امتداد هذا الطريق تقع آبار : الصفويات ، والطريفاي الملاح ، وحسيان الغليسية ، والخيرة . وفي الشمال الشرقي من الصفويات يوجد ماء جيد في بئر الغزاي الواقعة في منتصف الطريق تقريباً بني الصفويات واللحول . وفي الشمال الغربي من الغزاي توجد بئر الثرثان ، يرتفع فوقه تلٌ ذو قِمَتَيْن : يسمى ابر راسين . ويمرّ الطريق بين الصفويات وطريفاي الملاح بالقرب من منخفض العديد ، شماليّ مملحة الروضة .

قرت * السناجرة الى راوة

اراد كلٌ من الدليمي واحمد أن يعودا الآن، ولما كنا في حاجة اليهما لمعرفة اسماء الاماكن المختلفة التي تصادفنا ونحن ننحدر الى القرّات ، لذا لم نسمع لهما بذلك وواصلنا السير في الطريق العام باتجاه غربي - جنوبي غربي . وهنا تبدأ الهضبة في الانحدار نحو النهر ، ولكن على شكل سلسلة مدرجات واضحة تؤلف قرّت السناجرة ابعد واحدة منها شمالاً وتتصل الحافة الواقعة في الجنوب الشرقي بقرّت ابو القزوة ، وقرّت الغيين ، وفي الغرب تتصل بقرّت المحروق ، وقور طويسان الملاح ، وقور الطيارات بقرب منخفض العديد . وعلى السطح الجنوبي من قرّت السناجرة يوجد منهل الزعيرع ؛ وفي اسفل من المحروق : مياه ام عضه والقصيمة ، والخويخه .

* قرّت الدم كنصر يبس بعضه عن بعض ، او اخضر تحت الجلد من الضرب ، وقرّت كفرح تغير وجهه من حزن او فطخ .
والقارت من المسك أجوده واجفه ، والذي ياكل كل شيء وجده .
القاموس المحيط - فصل الفاء والقاف - باب التثنية - الراجح .

من الساعة ٧:٥٠ الى ٨:٢٥ استرحنا على قسرت السناجرة والشمس الدليبي ان نسمح له بالذهاب قبل ان يراه احد من الفلاحين من اهل راوه . وقد تكلمنا بحمايته ، ولكنه خشي ان يكون اعلانه قد نصبوا كميناً له ليأخذوا ناقته بعد اطلاق سراحه . لذلك دفعنا اليه أجره وذهب مغادراً على الفور . اما احمد فقد اراد الذهاب معه ، ولم يبق معنا إلا حين اعلمناه انه لن ينال (بارة) (قرشاً) واحداً قبل ان تظهر بساتين راوه للعيان ، ومهما يكن فانه اقدر على الهرب من اعدائه وهو على صهوة حصانه من الدليبي على ظهر ناقته .

في الساعة ٩:٢٨ كنا على الحافة العليا لقرت الخرار ، ومن هنا شاهدنا لأول مرة المنطقة الوعرة المجاورة للقرات ، إذ يتجمع الى الجنوب الغربي والجنوب الشرقي عدد لا يحصى من الهضاب والتلال والهضبات تفصل بينها فججج ووديان عميقة ضيقة . وتظهر هنا وهناك أرض متبسطة بيضاء صغيرة المساحة ولكن كان من العسير جداً الانتقال من واحدة الى أخرى . وينفتح الى الشرق فج عانه حيث يقع ماء عزيزع . والى يمين هذا الوادي يرتفع قرت أبو بطيحه وبه بئر مقرابي بطيحه وما يتجمع به من مياه الامطار والى اليسار :ام غيرة ، وقرت العناب وهنا يبرز تلّ الفرس الى الجنوب تقريباً ، والى الجنوب الغربي تمتد سلسلة تلال قرت الصوفي الصفراء وتلّ مكسر الجمل الطويل وتظهر مواضع كثيرة مقدار ما بذله الناس من جهود ليشقوا طريقهم في الصخور وليجعلوا الهبوط أسهل ، وبعد ان قطعنا مثل هذه المواضع في مدرج مصباح الكريم العالي وصلنا في الساعة ١١:٢٠ الى سهل التين الحجري ، وفي الساعة الثانية عشرة كنا على طريق فرعي يوصل الى تكريت . ومن هنا كان علينا ان نقود الجمال بمقاودها للثوران حول المخاريط المنزلة والهضاب المعوّقة في فججج عميقة ، وهو أمر عسير التحقيق غالباً حتى على الراجلين .

كان وادي القررات مغموراً بأبخرة رمادية كثيفة وقد خفت وطأة الريح ولم يكن في الامكان رؤية الشمس ، التي كانت تبعث حرارة مثل حرارة القرن من خلال طبقة هواء مثقلة بغيبار ورمل ناعم . وتاقت قفوسنا الى ماء تقي ناعش والى برودة بساتين ظليلة ، وكنا تعلم ان كليهما على مقربة منا الآن ، ولكن لم



شكل ٢٤ - مخيمنا قرب راوة

نستطع ان نحث خطى الجمال المحملة . وحيثما وجهنا البصر شاهدنا صفوفاً
بيضا وصفراً فكنتها عوامل المناخ من غير اثر لخضرة ولا ملجأ يصلح لحمايتنا
من هجوم داهم .

وفي الساعة ١٢ر٤٠ بعد الظهر رأينا الى اليمين على سفح الزرقاب شجرتي
سدر ، وأسفل منا كانت ثكنات القلعة الخربية تطل على قرية راوة .

وهنا توقفت احمد الخطاب ، وبعد أن تسلّم أجره توجه بأسرع ما يمكن
الى طريق تكريت . وفي الساعة الواحدة استلونا غرباً ، وهبطنا من الجرف
المنحدر الذي يقوم فوقه ضريح الشيخ رجب ، ورأينا اسفل منا بساتين الخربية .
ولما كانت الجمال لا نستطيع النزول كما نزلنا تحتّم ان نتبع طريقاً ثانوياً يفي
بالرام . واخيراً توقفنا في الخربية في الساعة ١٤ر٤٠ بقرب ثلاث شجيرات نوت
وشجرتي سدر (شكل ٢٤) . ولم يكن ثمة اشجار أخرى لأن النساس كانوا
قد هدموا حائط البستان وقطعوا الاشجار والشجيرات . وتمتد البساتين الرئيسية
الى الشرق من الخربية وتسمى امعيميرة ، الدراجية ، [المسكينة] ، الهلالية ،
عبيد الله ، الزعفرانه ، الهليج ، واخيراً تأتي بلدة راوة .

... بعد استراحة قصيرة ، تناول شي من الشاي الساخن ، صرنا للدرك ، فذهبوا مسرعين بانفسهم الى عانة في الضفة الأخرى . وتلقينا بعد الظهر زيارة من شريف بن علي ، الذي رافقني في رحلتي الى الحجاز سنة ١٩١٠ . وكان بصحبته بعض الرجال الذين لهم خبرة بأحوال البرّيجه كلها . وقد ساعدوني في رسم خريطة للطرق المختلفة هناك ، وشغاني هذا العمل الى ساعة متأخرة من الليل .

ان بلدة راوة تتألف من المناطق التالية :

السادة السواهيك

السراحنة البوعيب

والزعيم الأول هو محسن بن محمد من السادة . وقد زار اخوه ابراهيم القسطنطينية ثلاث مرات لمقابلة السلطان .

ان زراعة بساتين النخيل باهظة التكاليف فاللذراع المربع (= ٥٨ دسمترا مربعا) من هذه الارض تكلف نصف مجيدي على الاقل (٤٥ ستاً) ، وتكلف النخلة الكاملة النمو من ليرتين الى ثلاث ليرات تركية (٩ دولارات الى ١٣٥٠) . ومن راوة تُجمل سلع كثيرة على ظهور الجمال والحمير الى الموصل وتشحن القهوة ، والبتول ، والياباب ، وغيرها من المصنوعات الاوربية بالقوارب من بيروجيك الى راوه ، حيث يعاد تحميلها على الجمال لمواصلة نقلها الى الموصل ومن هنا يُنقل كذلك تبغ الغليون والزبيب الى حلب ودمشق . ويحتاج الجمال ، اذا كان حملة معتدلاً ، الى ثماني ليال ليقطع المسافة بين راوه وبغداد ، او تسع مسيرات كل مسيرة تباع ثلاثين كيلومتراً ؛ ويكلف كل جمل ليرة تركية واحدة (٤٥٠ دولارات) . وتحمل الجمال من بغداد : الودك (الشحم) ، والتمور وعسل العنب (الدبس) ، والتمن (الرز) .

وغالباً ما تتعرض هذه القوافل لغارات اثناء سيرها .

في اليوم ١٦ من ايار سنة ١٩١٢ بدأت عملي مبكراً في الساعة الخامسة صباحاً لجمع المعلومات لخريطتي . . وفي كثير من هذه المناطق [التي مررت بها]

كنت أسأل خمسة أو ستة من المخبرين ، كلاً على حدة ، بحيث لم يكن احد منهم ليعرف ما رسمه او قاله الباقرن . وبهذه الطريقة استطعت — الى حد ما على الاقل — ان اضمن صحة المعلومات الواردة في بياناتهم . وفي مساء جاءني شريف برجلين من الدليم من بجوار هيت ، اللذين اكملوا الخريطة التي رسمتها من المعلومات التي زودني بها ابن فجرس . وتبين لي انهم لا يناقض بعضهم بعضاً بصورة ملموسة .

* * *

الفصل السادس

داوة الى الرقة بطريق الصوار

داوه الى سهل اراقوته

قبيلة العقيدات

في ١٧ ايار سنة ١٩١٢ . . في الساعة ١٥ره صباحاً ارتحلنا متجهين غرباً ،
بمحاذاة الضفة اليسرى للفرات . وفي الساعة ٣٠ره كانت مزارع العميرية على
يسارنا . ويحد هذه المزارع من الشمال تلال البغاذين ، التي ترتفع فوقها مخاريط
دعيله ، ولسدان ، وطويرين . وفي ٥٠ره رأينا على اليسار اكراخ ابو كوة ،
وبقايا دواليب ناعور في الفرات (شكل ٢٥) وعلى اليمين شعيب الحصيون ،
والى يمينه تنوء خشمة النهل وعليه تقع خرائب قيسة القراطية ، ويصل هذا التواء الى النهر ؟
وبعد ان غادرنا الضفة استلطنا الى الهضبة . وفي ٤٠ره اقتربنا من حقول العريّة ،
ثم عبرنا شعيب جباله في ٨ و٧ . ونوجد على سفحه المغاور المعرونة بـ (كهف
السويم) . وكانت حقول الناطرية على يميننا في الساعة ٣٠ و٧ ، وفي الساعة
الثامنة سلكنا الطريق المؤدي الى مملحة العليد . وقابلنا في هذا الطريق جماعة مهاجرة
من عشيرة الجفافية التي تزرع حقول الناطرية والعريّة . والجريفة ينتسبون الى
قبيلة العقيدات .

تلك العقيدات ضفاف الفرات من التني الى الفحيمي . وضاف الخابور
حتى تلّ الشيخ حمد . وهم ينقسمون على النحر الآتي :

ابو جامل [كامل] ، البكير وهذا القسم يخيم على الخابور من البُسيرة
الى تلّ الشيخ حمد .

عشائر أبو كامل

(رئيسهم : تان بن حفلة)	الفلواهرة
(رئيسهم : دوش بن عداد)	الدعيجل
(رئيسهم : حسين بن خضل)	الشهبات
(رئيسهم : عبدالله بن علي)	الطلاع
(رئيسهم : منادى الخليل)	الزيب
(رئيسهم : عبد بن عيسى)	القرعان
(رئيسهم : اجارت بن خليل)	أبو رحمة
(رئيسهم : حمد أبو سيع)	الشحيطات
(رئيسهم : حاج بن خلف)	المشاهدة
(رئيسهم : خلف بن عجيل)	الجهيش
(الرئيس : احمد بن علي)	الزباري
(الرئيس : حمود بن شلاش)	البوسرايا
(الرئيس : عبدالله بن حاج)	الذياب
(الرئيس : ساري بن عبد الجريم)	أبو عز الدين

عشائر أبو كمال :

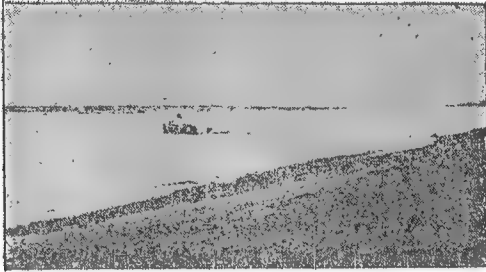
(الرئيس : احمد بن محمد بن نجرم)	العضاء
(الرئيس : علي بن حسين)	النميسم
(الرئيس : محمد بن ذنل)	الحسون
(الرئيس : شياح بن عبدالله)	الجرّاح
(الرئيس : سليمان بن صبيحان)	أبو حردان
(الرئيس : هزاع بن مهلا)	المروح
	الجفافية
(الرئيس : محمد الشمر)	المجاودة

عشائر افخاذ البكري :

(الرئيس : حجاج بن حربي)	الهنثندي
(الرئيس : جدعان بن حسين)	المشرف
(الرئيس : كبن بن جارا الله)	الخلّكف
(الرئيس : شرور بن عفيف)	الكيسة
(الرئيس : فرحان بن كسار)	الشعبان
(الرئيس : فرحان بن ملحّم)	الفرج
(الرئيس : موسى بن صالح)	البوليل
(الرئيس : اخزام بن علي)	ابو هليل
(الرئيس : دموك بن علي)	ابو معيط

الى الشمال من مخاريط طويرين ترتفع هضبة الجانه ، ولى الشمال الغربي منها هضبة ابو مخامر . وبالقرب من الأخيرة توجد بئر قليلة العمق جداً تحمل الاسم نفسه ، وتتردد عليها الحمر الوحشية بين الحين والحين . وهذه الحيوانات النادرة ترى في سهل البريج ، وتوجد مخايمي لها في الفجاج الضيقة العميقة بقرب (مخامر) ، حيث يكمن لها الصيادون في الغالب . وزعم دليلنا جميل انه صادف مرة قطعاً من الحمر الوحشية يبلغ عددها الستين ، بين صغيرة وكبيرة . وقد اصاب احدها بنار بندقية بالقرب من بئر ابو طبل ، وحاول الحيوان الجريخ الفرار ولكن احد الرجال لحق به بسهولة على صهوة حصانه . وزعم الدليل ان بعضهم يأكل لحم الحمار الوحشي ، وتصنع ادوات مختلفة من جلده . وفي ١٩٢٢ عبرنا شيب الدهاريج الذي ينبع بالقرب من ابو مخامر ويتصل بالفرات عند قرية صريصر . وكان طريقنا في الصحراء يمر بين أجراف شديدة الانحدار وعبر فجاج عميقة ضيقة . وكانت للدرجات التي تهبط من الهضبة نحو الفرات لا تزال ظاهرة للعيان اما طبقات الملح الصخري ، التي سماها دليلنا الميجباه ، فتصبح اكثر سمكاً كلما زاد ارتفاعنا . وبقيت جملتنا ترى من ١٩٢٥ الى ١٩٥٧ بالقرب من شعب عود السدة . ولى الغرب ظهرت هضبة المصاد الواطنة وبقايا قلعة فوقها .

في الساعة ١٠:٤٠ من شرقي عين الصقرة عبرنا شعيب الحميلي العميق ،
ويبدو أنه قد نشأ من تاكل صخور بيضاء ، ويتصل به شعب صغير يسمى ابو
ذكر كنا نمرّ فيه آنذاك . ويبدأ الحميلي من فج سحل خويخه ويصل الى الفرات



شكل ٢٥

عند قرية الشمسية . وتتخال مجراه حفر كثيرة يبلغ عمقها احياناً ثلاثين متراً ،
ولكن المياه لا تتجمع فيها لانها سرعان ما تتبخر او ترشح خلال التربة الجبسية .
وفي الساعة ١١:٤٥ وصلنا سدّ خربقه . ويتكون هذا السدّ من حائط حجري يبلغ سمكه
ثمانين سنتمراً وقد بُني في عرض اضيق مكان من الشعيب ، والى الشمال الغربي
من الجدار يتسع الشعيب مكوناً حوضاً كبير الحجم من السهل تحويلة الى بركة .
وعلى مرّ الزمن امتلأ هذا الحوض بالطمي ، وانهدم السدّ ، واخذ الماء يشق لنفسه
الآن مجرى جديداً عميقاً . وينمو التيتول كثيراً - وسماه دليلنا يتنان - في كل
أنحاء الحوض . والدليم تغلي هذا النبات (بعملوا منه مرهماً كثيفاً يفركون به
صوف اغنامهم المصابة بالجرب . ان فجاج شمال راوه تكون مخايمي فيها كثير
من الحيوانات الضارية : الذئب ، والنمر ، والغريز . وفي موضع شمال العميرية
قُتل بالرصاص ثلاثة نمور في صيف عام ١٩١١ . والغريز حيوان بطول الكلب

تقريباً ، لكنه اقل ارتفاعاً منه ، وله ظهر عريض ايضاً ، وجانبان اسودان ، وخطم قصير كأنف العنتر . وحكى دليلاً أن غريراً هاجمه ذات مرة ، ولم يستطع ان يرغمه على الفرار الا بمشقة عظيمة .

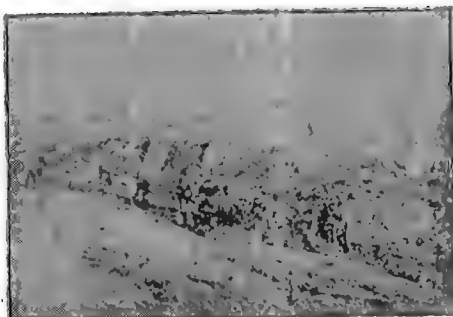
وفي الساعة ١٢:٣٠ بعد الظهر شاهدنا الى الشمال الغربي بئر المذكار ، وخلفه حافة قور الطيارات ، وإلى الغرب منها هضبة المسطح . ومن ١٢:٣٥ الى ١٢:٤٠ اطلقنا جماننا لترعى . وفي ١٢:٤٧ ظهر الى يسارنا بجانب الطريق قبر جابر ، وتليه غرباً هضبة المصايا . مع مناهل ساحل الفلاحية شمالاً ، وابو براهيم الى الجنوب . وفي ٢:١٠ رأينا على اليمين رأس شعيب ابو ذكر . وفي ٢:٢٣ صعدنا الى هضبة فيضات العلوي الواسعة ، وهي هضبة تنتظمها منخفضات عريضة قليلة العمق او (السوخ) وجمعها (سباح) يغطيها نبات الصر . وتحدها من الشمال مرتفعات منبسطة السطح وفور طويسان الملاح وقور الطيارات . وفي ٣:٢٥ تراءت لنا قمة قرت [السكة] الى الجنوب الغربي ، وفي ٤:٣٨ اخذنا في الهبوط الى السهل الواسع المعروف بالأفرقة . وينمو هناك كثير من الصبر والجزار ، والشنان والعفو . والخبث المأخوذ من هذا الأخير يشتعل مدة طويلة . وشوهدت على الافق من جهة الغرب وجنوب - الجنوب الغربي حافات منبسطة بنفسجية هي حافات السكة وقرت ام غلبير وقد امتدت امامها ثلاثة صفوف من تلال صغيرة مسطحة القمة ، اما الى الشمال الغربي فترتفع حافة الطيارات المنحنية التي تسد سهل الأفرقة المنخفض . وتربة سهل الأفرقة مفككة ومالحة المذاق . وفي الساعة الخامسة خيمنا عند بئر العويجة (شكل ٢٦) .

ولعله لم يكن في المنطقة كلها اي اثر لنبات سنوي ، ما عدا بضعة براعم جديدة نامية على نباتات دائمة هنا وهناك ، ومع ذلك فان الجراد وجد الطريق حتى الى هذه البئر ، وان لم يكن باعداد كبيرة لحسن الحظ . واذا ما سقطت بضعة الآف من هذه الحشرات في بئر عميقة تسمم ماؤه . والويل لأولئك الحجاج الذين لا يتروءون من الماء الا بما يكفي حاجتهم بين محطة واخرى ، ثم يجلون البئر التالية قد امتلأت جراداً .

ولقد قاد دليلنا جميل ذات مرة قافلة كبيرة تحمل صرّفاً وزيداً من منجنار الى عانة في الوقت الذي امتلأت فيه جميع الآبزر التي في طريقه بالجراد (مجرود). واخيراً نَقِدَ الماء لدى المسافرين ، ولا اخذ العطش منهم مأخذة توقفوا عند بئر ابو رأسين ، ليستقوا منها الماء بالرغم من اختلاطه بجراد متسخ . ونزلوا في البئر واحداً بعد الآخر وقد سدّوا انوفهم بالبصل (وكان عمق البئر نحو ثلاثة امتار) ، واغترفوا من هذا العصير العفن بوعاء يستعمل في طبخ طعامهم ، وارسلوه الى الاعلى بحبلين فتلقاه رفاقهم ، وافرغوا هذا المحلول الخبيث الرائحة وادلوا الوعاء في البئر مرة أخرى . وكان الرجل الذي قام بالمهمة داخل البئر قد رُبط بحبل اضافي حتى يصبح بالامكان سحبه الى الهواء الطلق فوراً عندما يعطى اشارة معلومة . غير ان رجلين من هؤلاء لم يفعلوا ذلك ، فمقطاً مغشياً عليهما ثم ماتا قبل ان يتمكن احد من سحبهما الى خارج البئر . واخيراً ، بعد ان بذلوا قصارى جهنم في تنظيف البئر ، كان جزاؤهم الحصول على شربة ماء صالح للشرب . وبعد فترة قصيرة امتلأت البئر ثانية .

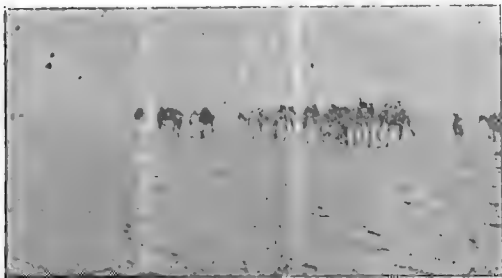
وقبل بضع سنوات بنت الحكومة مراكز للدرك عند بئر العويجة وبجوار مملحة العديد للحيلولة دون جمع الملح بحرية مطلقة . وعندئذ بدأ الأهليون على ضفتي الفرات يقصصون أم رجال الواقعة في نهاية وادي الثرثار للحصول على الملح . ولما رأت الحكومة انه لم يعد أحد يشتري الملح من العُدَيِد ، سمحت الحرس . وما ان فعلوا ذلك حتى اسرع الفلاحون بالعودة الى هناك ، بل ان تجار راوه اكتروا ٢٥٠ حماراً و ٣٠ جملاً لحمل كمية كبيرة من الملح نفيض عن الحاجة المعتادة بعد ان ارتفعت ارتفاعاً كبيراً.

ولما بلغ الحكومة نبأ هذه الحملة ، ارسلت خمسين رجلاً من راكبي البغال ، سرعان ما لحقوا بالقافلة وقتلوا رجلين وخمسة جمال واثني عشر حماراً واستولوا على ١٠٦ من الحمير ، وسبعة عشر من الجمال . اما رجال القافلة فقد القوا الملح عن ظهور ما بقي من دوابهم ، وهربوا معها الى الشعبان . وعقب هذا الحادث ، اخذت الحكومة تعجبي عن كل قنطار (نحو ٢٠٠ كيلوغرام) مجيداً واحداً (٩٠ سنتاً) ، ومع ذلك فقد حدث بعد نحو شهرين أن أحاط القدعان بحراس الملح ، وقتلوا سبعة منهم ، وفرّ الباقيون . . ومنذ ذلك الوقت تركت الممالح دون



(شكل ٢٦ - بحر العريجة)

حراسة . ويكلف قنطار ونصف من الملح في زاوة عادة ستة مجدييات (٥٤٠ دولار)
 وكالت الحكومة نعتش عن المنع باستمرار في جميع القرى ، وكلما حثرت على
 شيء منه صادرتة وفرضت غرامة عليه .
 وكان السعر - على اثر ذلك - يرتفع بوجه عام .
 في المساء تأكلنا من خط العرض .

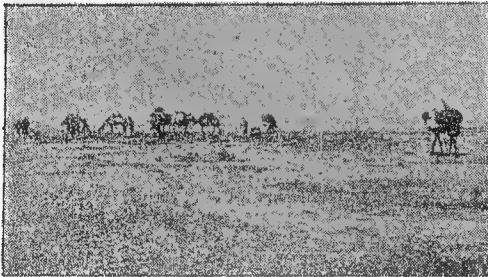


شكل ٢٧ - مملحة العنيد

سهل الأقرقه الى الخابور

في ١٨ من ايار سنة ١٩١٢ بدأنا السير ببطء شديد في الساعة ٤:٥٣ صباحاً متجهين غرباً خلال سهل الأقرقه . وفي ٤:٥٥ تركنا طريق درب الملح الذي يتجه شمالاً تقريباً مؤدياً الى التلّول المائتية الشكل التي تعرف بـ (قور القنطرة) . وهذه التلّول مبعثرة بين سطوح الملح ، ولما كانت غير محاطة بمستنقعات فان جمع الملح على مقربة منها كان أمراً يسيراً . والى شمالي القنطرة توجد بئراً المغيريات والمالحة ، وعلى بعد منها تأتي عين الطريفاوى الملاح . وهي عين مالحة ويسمى باسمها احياناً القسم الشمالي من مملحة العديد . وفي ايام الشتاء ، ولاسيما بعد سقوط الامطار حين تتسرب مياه جميع الاودية الى المسطحات الملحية السفلى ينوب الملح ويختفي تماماً . ويتبخّر الماء في الصيف ويكوّن الملح قشرة سمكها خمسون سنتيمتراً تقريباً تغطي سطح الأرض . وملح العديد ناصع البياض ، ناعم ولذيذ الطعم . اما الملح المستخرج من الأشقر ، او السيسلة ، او القطار فانه مرّ المذاق شديد الصلابة لذا يلزم تكسيه وطحنه حتى يصبح مسحوقاً .

ويحدّ مملحة العديد من الجنوب الشرقي تلالٌ مائدية الشكل تسمى بـ (قورت الشقيق) ، ومن الجنوب (ظهر دبدب) ، ومن الجنوب الغربي قورت ام غدير



شكل ٢٨ قورت الحصان من الجنوب

والمسيجرة . ويسد للملحة من الشمال الغربي سفح الحداجه . ويتصل هذا السفح من ناحية الغرب بمرتفع هائل هو مرتفع حزم العوجة . وفي الساعة الثامنة مررنا راكبين بين مرتفعات الطويرات بسطوحها المنبسطة ، ومن احدى المغارات العميقة الموجودة هناك - حسب الاعتقاد المحلي - تخرج الاشباح من الكهوف العميقة الموجودة هناك لتقوم بلعابائها مع الناس . ومن الساعة ٨ الى ٨ر٢٨ تركنا جمالنا ترعى . وكان المرعى رديئاً ليس فيه غير الشيح والعنسة ، والشنان ، والرغل ، والجزار ، بمقادير غير كثيرة . وظهرت على مسافة بعيدة من ناحية الجنوب سلسلة ظهر دبدب ، وهضبة قرت الشقيق الداكنة الى جهة شمال - الشمال الشرقي .

وفي الساعة التاسعة ظهر للعيان الى يميننا سطح ملح العُديد ممتداً من الجنوب الى الشمال ، وبعد وصولنا اليه في ٩ر١٤ بدأنا في اختراقه في اتجاه شمالي غربي (الشكلان ٢٧ ، ٢٩) . وكانت قشرة الملح تنكسر وتتقصف تحت وطأنا . وحيثما كانت القشرة سميكة بلرجة كافية كان العبور ميسوراً لنا وللبوابنا ، ولكن عندما تنقوض لم يمكن بمقدور الجمال ان يتبع بعضها بعضاً ، بل تغطس في الرمل وتزلق باستمرار . ولم يكن مستوى سطح الملح متماثلاً في كل مكان ، فهناك مناطق كبيرة مستوية وملساء تماماً . ، في حين توجد مساحات تتكون من ضلوع حادة لا حصر لها ترتفع نحو عشرة مستimeters .

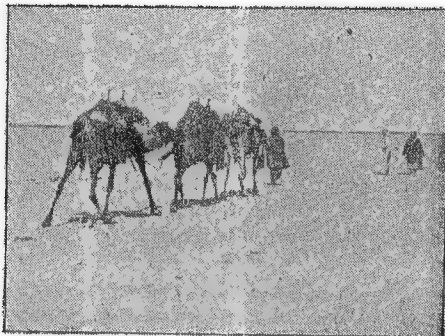
في الساعة ١٠ر٢٥ بلغنا أرضاً صلبة مرة أخرى ومررنا فوق نتوء قارت ام غدير ، وتول المسيجرة ، ثم استرحنا من ١١ر٢٣ الى ١٢ر٣٠ بعد الظهر . وظهرت الى الشمال حافة قور الطوال ، وخلفها سفح حزم الحداجه الطويل الذي يتميز بانحدار شديد الى حلما . وفي ١ر٤٨ أتينا بئر السبع ، حيث استقينا من مائنا المر الى ٢ر٢٥ . ومن ٣ر٠٧ الى ٣ر٣٠ اخترقنا مستنقع الملح المعروف بسبخة السبع . وتحد هذا المستنقع من الشمال الشرقي تلال قور الطوال المسطحة ، ومن الشمال نتوءات العوجة ، ومن الغرب طار اللميم ، ومن الجنوب نتوءات العجاج . ويقع الى الشمال منه غدير القعيد ، وإلى الشمال الغربي آبار : المويلح ، والبرغوث ، والليميم :

من ٣٤٠ الى ٢٠ رعت جمالنا شمالي بئر الشعطات . ويرزت على الأفق من جهة الشمال هضبة قارت الحصان (شكل ٢٨) . وفي ٢٤ ر شاهدنا الى غرب الشمال الغربي فيما وراء الفسرات خرائب الصالحية ، وإلى الشمال الشرقي روابي بطانة الدميم الواطئة . وفي الساعة ٥ ر نصبنا الخيام .

في الساعة ٥ ر صباحاً من ١٩ ايار سنة ١٩١٢ - كنا على سروجنا . كانت ليلة دافئة ، ولم تكن هناك نسمة هواء . كنا نمر الان باراضي لم يسقط فيها مطر يذكر منذ اربع سنوات . لذا لا تكاد ترى نباتات سنوية ، رطبة او يابسة ، في اي مكان . فالنباتات الدائمة جفت تماماً ، بل ان الريح اقتلعتها من جذورها وتراكمت في اكوام ترتفع ١٥ ستيماً وراء كل صخرة كبيرة ، وظهرت الى جنوب - الجنوب الشرقي روابي عين على البيضاء وفيها عين ماء تحمل الاسم نفسه . وفي الساعة السابعة انعطفنا نحو الشمال الغربي ، في موضع غير بعيد من كلس أحجار رجم الحويطي . اما الأفق الشمالي فقد حجبته طار الدميم ومن ورائه (حزم العوجة) بحجمه الهائل .

وظلت جمالنا ترعى من الساعة ١٨ ر الى ٤٥ ر على (النبتول) الجاف القائم اللون الى الجنوب الغربي من بئر الدميم ، حيث تلتقي طرق كثيرة وعرة من جميع الجهات .

وإلى الجنوب والغرب ينحدر سهل (أزدفة الزور) المتموج هابطاً الى حافات قارت ابو زلة وقارت الغنمية . وتنتشر نحو الشمال سهول (سيلة الورد) ، والفقارة ، وفيضه الجزر ، حيث تقع آبار الحدّاج والعالية . ومن ١٠ ر الى ٢٠ ر توقفنا عند شجرات العليبي (من فصيلة belladonna) ولاحظنا ان جمالنا تلهم اغصانها الصغيرة (التي لم تزل خضرة) بشهية بالغة . ومن ١٠ ر بعد الظهر الى ٢٠ ر احتلنا فترة استراحة . وقد مرت بنا قافلة من العقيدات في طريقها للحصول على الملح . وكان يرتفع من شدة حرارة الارض غبار ملح ناعم . وقد سبب ذلك تهيج الغشاء المخاطي بصورة مؤلمة . ولم يكن في المنظر ثمة شيء يلفت انظارنا . ولقد تركنا القفاعات



(شكل ٢٩ — مملحة العديد)

(الطبول) وراعاتنا، وفيما عدا بريق الملح الحجري في بعض المواضع لم يكن هناك شيء يذكرنا بها . ولم نشاهد اثرًا للنباتات السنوية او الدائمة في اي مكان فقد اصبح (النيتول) أسود اللون ، وذهبت الرياح بالشيع والشنان . وكانت ضفة الفرات اليسرى آخذة بالاختفاء ولكن اجراف الضفة اليمنى كانت لا تزال تُرى بوضوح تام . وظهر من بعد في ٢٣٠٠ مشهد رائع لقلعة الرحبة الخربة وهي تعلو فوق الأفق الغربي . ومن ٣٣٥ الى ٤١٢ ، ثم من ٤٤٥ الى ٥٣٨ راحت الجمال ترعى . وفي الساعة ٧.٠٥ خيمنا في سهل منبسط مقفر لم نجد فيه شيئاً نوقد به ناراً .

في ٢٠ أيار سنة ١٩١٢ بدأنا السير في الساعة ٤.٥٨ صباحاً متجهين نحو الشمال الغربي ، وشاهدنا في ٢.٢٠ من خلال صدع نهر الخابور بالقرب من

قرية [المقر] (٤٥) ثم انعطفنا شمالاً عند خرائب نل حننه والشيخ
سانم :

وادي الخابور ، قبيلة الجبور

لقد نحتت عوامل التعرية وادي الخابور دون مستوى الهضبة بالطريقة نفسها
التي تكون بها وادي الفرات ودجلة ، فعلى الجانب الغربي ننحدر الهضبة انحداراً
شديداً إلى السهل الفيضي ويتثنى النهر خلال مجراه العميق . وننتشر على طول ضفافه
أكوام خرائب مختلفة الأحجام .

أما في الجانب الشرقي فننحدر الهضبة بصورة تدريجية نحو .
ونتمتع قريباً من النهر أشجار حرور منه ردة مع اشربة من أراضي
خصبة خضراء وأكواخ صغيرة صفراء تنتشر بينها وبين جدران الوادي . وعلى الضفة
اليسرى من الخابور ، وإلى الشمال من مصه في الفرات ، تقع خرائب وقرى :
الزر ، ثاعو ، العوينه ، الماشخ ، الصجر . وبالقرب من الموضع الأخير يتفرع
جندول دورين . أما على الضفة اليمنى من الخابور فتوجد قرى وخرائب البسيرة .
والمصالحه ، وتل الجهن ، وبرشم ، وتلّ البنيات ، والطالعة مقابل تل الحجنة .
وفي ١٥١ هـ هبطنا إلى الضفة اليسرى عند قرية طيبة الفال . والسفح اليسر من
الوادي ليس شديداً الانحدار ، والانحدار الذي حفرتها عوامل التعرية قصيرة وقليلة
العمق . ومن ٧٠٥ إلى ٧٤٥ رعت حبلنا جنوبياً قرية تلفيس . التي تقع على
تقعة أرض صغيرة تبرز من الضفة اليمنى باتجاه الشمال تقريباً من خرائب الهندي.

(٤٥) يروي ابن الأثير (الكامل مجلد ٤ ، ص ٢٥٧) انه نسب القتال في خلافة
عبد الملك (٦٨٥ - ٧٠٥ م) بين قبائل قيس وتغلب عند السكر أو - كما سمي
هذا الموضع أحياناً - عند سكر العباس على نهر الخابور . وقد هزمت
تغلب وحطفاؤها النمر .

ويذكر ياقوت (المعجم مجلد ٣ ، ص ١٠٩) ان سكر العباس بلدة أميل
إلى الصغر ، على نهر الخابور ، وفيها منبر وسوق .

ورأينا الى شمالنا خراب تلّ فدين (أو القديّين) (٤٦) وهي تطل على الضفة اليمنى من النهر ، ممتدة من الجنوب الى الشمال .

(٤٦) الفدين هي الفدانا او الإبدانا عند بطليموس (الجغرافيا مجلد ٥ ، ص ١٨ : ٦ ، ١٣ ، ولعلها إبدنا المذكورة في - ٣٦ وقسم ٨ .

وفي أيام عبدالملك هاجم عمر بن الحباب مستوطنة الفدين على खाبور وقتل من وجده من التغلبين هناك . ويذكر النقيع الشاعر هذه البلدة ومعها الصور (ابن الاثير : المصدر السابق مجلد ٤ ، ص ٢٥٦) .

ويضع ابن خرداذبة (المسالك : ص ٧١) أسماء هذه البلدان في مقاطعة खाبور الادارية : الصور ، الفدين ، ماكسين ، الشمشانية والسكير . ويقول ياقوت (المعجم مجلد ٣ ، ص ٨٥٨) ان بلدة الفدين تقع بجانب खाبور بين ماكسين وقرقيسيا .

وكانت الفدين من غير شك محطة على الطريق من قرقيسيا الى الموصل ، اذ كان هناك طريق هام على طول खाبور يصل العراق بالشام اذ ذاك . وتميز هذه الحقيقة روايات كثيرة وصلت الينا . على ان هذه الروايات تعرضت للتصحيح من قبل النساخين بحيث لم يعد في الامكان تعيين مواقع المحطات المختلفة .

ويصف ابن خرداذبة (المصدر السابق ص ٩٦) الطريق من الموصل نحو الغرب مخترقا الصحراء حتى يبلغ محطة سكير العباس الواقعة على खाبور . والمسافة من هناك الى الفدين هي خمسة فراسخ ، ومنها الى ماكسين ستة فراسخ ، ومن ماكسين الى قرقيسيا حيث يتصل खाبور بالفرات : سبعة فراسخ . وظل اسم الفدين باقيا في الفدين الحالية على بعد حوالي ٢٧ كيلومترا من قرقيسيا القديمة . بيد انه وفقا لابن خرداذبة تبلغ المسافة من قرقيسيا الى الفدين ١٣ فرسخا اي ٦٥ كيلومترا . لذا يمكن ان نفترض بان ترتيب المحطات لم يتغير فحسب ، بل تغيرت المسافات التي بينها كذلك .

والمسافة من قرقيسيا الى سكير - السكير القديمة او سكير الع... هي ١٧ كم (اربعة فراسخ) .

ومن السكير الى الفدين ١٠ كم .

ويسرد قدامة (الخراج ص ٢١٦) هذه الاسماء بترتيب غير صحيح كذلك ، مع ذكر المسافات [السابقة] نفسها .

داوة الى الرقة

في الساعة ٨ر٣٠ بدت على اليمين قرية المجبيرة المجاورة لثلّ فدين ، كما بدت في الساعة ٩ر٤٥ على الضفة اليسرى قرية الخريجة وفي الساعة ٩ر٤٥ مزرعة النملة . يقترب النهر في هذا الموضع من الاجراف الشرقية للوادي . ومن ١١ر١٥ مرنا خلال صخور مثلثة ، لم نغادرها حتى الساعة ١١ر٢٥ . يأخذ السهل الفيضي الخصب بالاتساع فيما وراء قرية النملية حتى يصل في النهاية الى التواء الجبلي [منّ الجبل] الذي تقوم عليه خرائب الصوّار المطلة على النهر . وعلى الضفة اليسرى ابتداء من صخور النملة البيضاء يمتد قسم آخر من السهل الفيضي الخصب الى الشمال الى الموضع الذي تطل منه عليه ربوة خرائب الشيخ محمد .

وتوجد شمال هذا الموضع على الخسابور ، وعلى الضفة اليمنى من دجلة بين المكحول وتكريت كذلك ، مخيمات قبيلة الجُبُور . ويسمى القسم الغربي من هذه القبيلة : الحجاج ، والقسم الشرقي الهياجن (او الهياجل) . وعشائر قبيلة الجبور كما يأتي :

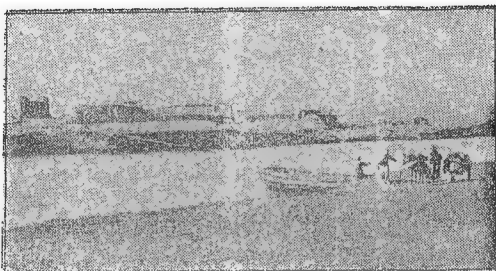
الهياجل	(الرئيس : مسلا بن محمد أمين)
الشويخ	(الرئيس : شمر العيمر)
الجاموس	(الرئيس : عبد الرحمن بن داغر)

ويذكر المقدسي (احسن التقاسيم : ص ١٥٠) من قرقيسيا الى فدين مرحلة ثم الى السكير مرحلة .

ويذكر الادريسي (النزهة : ترجمة جوبير مجلد ٢ ، ص ١٥٤ فما بعدها) ان المسافة من قرقيسيا الى ماكسين ب (٢١) ميلا ، ومن هناك الى الفدين (١٨) ميلا ، ومنها الى سكير العباس (١٥) ميلا . وفيما يتعلق بالترتيب والمسافات فانها تتفق والمعلومات الواردة في ابن خرداذبة وقدامة كلها : ٥٤ ميلا ، ١٨ ميلا ، او ٩٠ ميلا .

الرئيس عبيد بن هلثوش (ابو خطاب
الرئيس وقاع بن زرزور (العجل
الرئيس عبدالعزيز المهيري (ابو نجاد
الرئيس حمود بن عيلربه (الناصر
الرئيس بشير بن جابر (البقارة
الرئيس عجل بن علاوي (العبيدات
الرئيس بشير (العابد
الرئيس محمود بن قحيط (هراشد
الرئيس دبوس بن ضويح (ابو حسن
الرئيس وادي بن شواش (ابو حمدان
الرئيس عبدالله السمين (البر رحمة
الرئيس محيّد بن قحيط (العبد الكريم
الرئيس علي الرضوان (المشهور
الرئيس سطان محمد (الخنجر

وتابنا السير في السهل القيسي المزروع على الضفة الشرقية في اتجاه الشمال تقريباً حتى الساعة ١٠ - ١٢ بعد الظهر وعندما بلغنا موضعاً خرجاً في النهر استلنا الى الغرب . وفي الساعة ١٢٠٠ خيمنا بجانب مخاضة مقابل مركز الدرك ونحان الصوار (شكل ٣٠) الواقع على الطريق العام المؤدي من دير الزور الى الموصل . وثمة جزيرة صغيرة شمالي المخاضة المذكورة . والى الجنوب الشرقي غيضة اشجار حور . وفوق الجزيرة (باعورة) كبيرة ترفع الماء من النهر لريّ المزارع الممتدة على الضفاف ، حيث كانت تنتشر عليها خيام عشيرتي العقيدات والجبور . وسرعان ما أقبل عدة رجال من الخيام لزيارتنا ، وقد حاولت الحصول على دليل من بينهم . لذلك انتحيت بهم ناحية ، كلاً على انفراد . وطلبت الى كل منهم ان يرسم على الأرض خارطة الخابور والقرات . وان يضع حصاةً على كل موضع يذكر اسمه . ولم يكن لبعضهم



شكل ٣٠ - خان الصوار من الشرق

فكرة عن الجهات ولا يستطيع التفريق بين الشمال والجنوب ولم أضيق وقتي ثانية على مثل هذا الأمر . ثم اني طالبت الى الشخص الذي اصاب في تعيين المواضع التي كنت أعرفها أن يبين لي خط سير الطرق من الصوار الى دير الزور ، او من الصوار مباشرة الى الرقة او من الصوار الى ملح الأشقر او العديد . . الخ وبعد ان أحطت بالمنطقة التي كنت أعني بها مع الشخص الاول ، عدت اليها مع الثاني . والثالث ، والرابع وهكذا حتى وضعت اسامياً ثابتاً لجميع المعلومات عن الطرق الاخرى وعن المنطقة المحيطة بها . وعلى هذا النحو اكملت خارطتي ورسمت طريق رحلتي التي ازمنت اتباعها .

وأضينا يوم ٢١ ايار (من عام ١٩١٢) بتمامه في رسم الخرائط ليس للاراضي التي مررنا بها حتى الآن فحسب . بل المناطق التي كنا ننوي زيارتها بين الخابور والرقة كذلك . وينامج السهل الفيضي الذي على الضفة اليسرى من الخابور بهضبة خشم المعيجل . حيث ترتفع الى شمال - الشمال الشرقي من الصوار هضبة تقطع امتداده . ويزيد عرض القسم المنتعج من السهل الفيضي على كيلو مترين ، ويمكن ريه أو غمره بالماء تماماً ، وتراه في بعض المواضع مزروعاً بأكمله ، ولكن النقول في اما كن اخبرى تمتد على ضفاف النهر ذاتها .

حيث شقّ الخابور لنفسه مجرى عميقاً . وتوجد هنا وهناك مجموعات اشجار الحور تعمل على تنوع المشهد وعزلها يسير المرء صعداً مع ضفة النهر حيث يختفي السهل الفيضي تقريباً ، ولا يتسع مرة اخرى الا بعد ان يتخطى خرائب تلّ الحصين(٤٧) حتى اذا جاوز تلّ مرقدة يصبح اوسع من سهل الضفة اليسرى ويتهيى بالقرب من تلّ مرقدة شعب الحيمة الذي يسد بانحداره من الغرب - جنوب منطقة المعزة البركانية ببراكيتها الثلاثة الخاملة . وإلى الجنوب الغربي من هذه الأخيرة والحيمة تقع آبار المعامرة ، والجويّف ، والمربّة والعُمير . وإلى غرب البراكين الخاملة والشمال الغربي من هذه الآبار توجد مناهل الفتيّاض ، وسهلان ، وابو النوق والطازان ، والرُعَيّان ، والرميلان ، والمليحان ، والبَقّة . ويتصلّرها جميعاً شعب جهيد الذي يجري ملتوياً بجوار منطقة حيمة المعزة البركانية في الشمال ، وينتهي مقابل قرية الدليجمية شماليّ تلّ القُدغمي . ويخرج من هنا طريق يؤدي شرقاً الى الموصل ماراً ببئر ابو حمزة والبدية . وعلى الضفة اليمنى من الخابور جنوبيّ تلّ القُدغمي يقع تلّ الشميساني وقرية الدشيشة ، وعلى الضفة اليسرى جنوبيّ تلّ المرقدة تقع قرية سايّتح وتلّ الشيخ حمد . وفي المساء حددنا خطّ العرض .

وفي ٢٢ أيار سنة ١٩١٢ حمّاناً مالدينا من امتعة السفر في قارب كبير عبرنا به الى الضفة اليمنى . اما الجمال فقد عبرت مخاضة في النهر تبعد نحو نصف كيلو متر الى الجنوب . وكانت اجرة العبور خمسة مجيديّات (٥٠ - ٤ دولار) . وتقع خرائب الصّور على الضفة اليمنى : ويقع الاخر على اللحف الجنوبي لتتوء صخري . ومع ان هذه الخرائب لا تلفت النظر الاّ انها واسعة الى حد كبير ويظهر انها تقبت مراراً ، ونُقلت منها مواد البناء الجيدة

(٢٧) يروى ياقوت (المعجم : مجلد ٢ ، ص ٢٨١) ان الحصين بلدة صغيرة على الخابور . وكان الزوار يؤمنونها ، فيما مضى في كل عام لزيارة قبر الشيخ ابي بكر ، المدفون بقرب هذه البلدة .

ولكن روايي خرائب حماد التي على الضفة اليسرى ، وتل الحصين على الضفة اليمنى شمالي ، وقل فدكي الى الجنوب ، اكثر منها سحراً وخرابة (٤٨) .

(٤٨) الصوار هي سورى المذكورة في الكتابات ، الاشورية ، وهي مركز بلاد

لحي
حينما جاء توكلي نيب (توكلي انورثا) الثاني الى حيرى (لعلها خرائب
الصرفا الحالية) ، ارسل اليه حمتاي ، والى منطقة لحي ، بالاناءة المطلوبة
منه : ٢٠٠ رأس غنم ، خمسين رأس ماشية ، وخبز ، وشراب ، وحبوب ،
وبين . ولما اقترب الملك العظيم من مقر اقامته : بلدة سورى في خدبة
على الخابور ، قدم اليه والى عشرين منا من الذهب ، وعشرين منا من
القضة ، و اثنين وثلاثين طالنا من الرصاص ، ومائة وثلاثين طالنا
من النحاس ، و طالنا واحدا من القطن الازرق الداكن ، وخمسة امان
من نبات (الزديدو) ، و طالنا واحدا من الحديد وزيتا
نابقا ، والفا ومائتي خروف ، مائة رأس ماشية ، وطيورا كبيرة ، واثنين
من زوجاته مع مهر كبير (حوليات شيل القابل ٢ ، ٤ فما بعد ١٥ - ٢ ،
دفي المصدر نفسه ص ٢٠ ، ٢٢) .

وبعد ان ارتقى اشور ناصر بال الثالث (٨٨٤ - ٨٥٩ ق م) العرش بمدة
قصيرة ، ظهر فجأة امام بلدة سورى في منطقة بيت خدبة ، ليعاقب سكانها
على مقتل والى حمتاي ، الذي عينه الملك الاشورى حاكما عليهم من
بله ، والاستبداد لهم حمتاي برجل يسمى اخيا بابا من بلاد بيت ادينى .
راستلم كبار الموظفين واعيان البلد بدون قيد او شرط . وامر الملك
للاعظم باستباحة القصر والمعابد فحصل على الفنائم الاتية :
(تمثيل) الالهة ، النساء ، العذارى ، القضة ، الذهب ، البرنز ،
الحديد ، الرصاص ، اواني برنز مختلفة ، البستر ، حجر كريم من الجبال
جريات ، معدات البخل ، فرق خيل ، خيل ، منسوجات مختلفة الالوان ،
خشب الازر ، الواح مطعمة ، ارجوان ، صوف ، ثوابل مطعمة ، ماشية ،
ماعز . . الخ . . واقامت منصة خارج مدخل البلدة ، وعلقوا عليها
ماسلخوه من جلود عدد من العصاة البارزين واخرون منهم
شنقوا على النخلة ، وقتل بعضهم حولها بالخبز لوق .
(رولنسن : كتابات ساموية مجلد ١ ، عمود ١ ، ٢ ، ٧٩ - ٩٢ ، برج وكنك : حوليات - ١٩٠٢ ، ص ٢٨١ - ٢٨٤) .
وتسلم اشور ناصر بال الثالث في سنة ٨٧٨ من سكان البلدة في بخدبه
(التي تقابل الصوار متدنا) : قضة ، وذهب ، ورصاصا ، اوعية برنز ،

نهر الخابور الى بح الزهمك

في الساعة ٧:٤٥ غادرنا السّوار واخذنا اتجاهاً شمالاً غربياً نحو سهل الظهرة المتموج المفقّر . وهو في واقعه يعد استمراراً للهضبة القسيحة المرتفعة التي تطلّ على الضفاف اليسرى لنهري الخابور والفرات . يمر الطريق العام الى دير الزور باتجاه غربيّ - جنوبي غربيّ مخترباً سهل فيضة الشناة والتّسوعات الجنوبية (حمة ابو صالح) . ويوجد في القسم الجنوبي من فيضة الشناة بئر الكسار ، وفي القسم الشمالي : بئر ابو رحمة وبئر كالكش .

وفي ٨:٤٥ شاهدنا باتجاه شمالي - الشمال الغربي واحداً من براكين المعزة ، وهو مجموعة تلّول بركانية سوداء اللون ، تنتهي غرباً بـ (خشم المعزة) الملبب وفي ٩:٤٨ ظهر لنا جتّب الضرو ، وهو مرتفع أحمر اللون قليل الارتفاع يمتد من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ؛ وظهرت من ناحية الغرب براكين سوداء احدها صغير وآخران كبيران ، تسمى الحجان (او الحجيفات) (٥) . ومن ٩:٥٠ الى ١٠:٢٥ رعت الجمال الروثة والنصر ، والقيصوم . وفي الساعة الحادية عشرة رأينا على اليمين آبار : سويلم ، الهبة ، وعبد الكريم . ومن ١٢:١٠ بعد الظهر الى ١٠:٨ استرحنا عند بئر المريقب ، التي امتلأت قسم منها ببقايا نباتات جافة.

= ومنسوجات ملونة ، وماشية ، وقطعانا (وولنسن : الحوليات السابقة الذكر مجلد عمود ٣ بدج وكنك ، المصدر نفسه ، ص ٣٤٨) .

بدج وكنك ، المصدر نفسه ، ص ٣٤٨ .

الاخطال (الديوان ص ١٠٦ فما بعدها) يذكر الحوم مع الصور ، وكذلك الخابور مع السرر .

ويذكر ياقوت (المعجم جلد ٣ ص ٤٤) ان بلدة الصور تقع على ضفة نهر الخابور على اربعة فراسخ من القدين . وجرت معركة مع

الخارج هناك ١٥

ويعد ابن الفقيه (البلدان ص ١٣٣) في ضمن الاجزاء التي تشتمل عليها مقاطعة الخابور الادارية ، مايلي : الصور ، والقدير ، ماكسين ، الشحسانية ، والسكر . والقدير لابد ان يكون خطأ في النسخ لكلمة العدين ، اما السكر فهو السحر الحالية .

حجف : حاجف محاجة : عارضه واقعه .

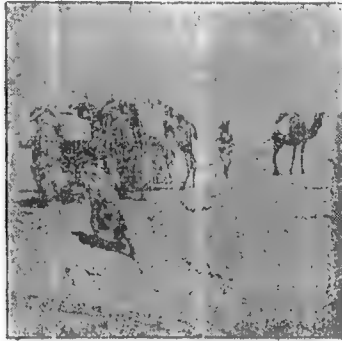
واشار دليلنا الى مجموعة آبار في القرب هي : الرويشد ، وحمير الطويل ، وفي جنوبي الأخير بئر قمر الدين وللى الشمال منها : العريدي ، وللى الشرق من العريدي : بئر اليبّوس . ورأينا الى الشمال عند لحف مرتفع طويل نوعا ما اكديسا صغيرة من الاحجار للدلالة على بئر العمير ؛ وللى الشمال الغربي منها تحت نتوء جبلي اسود تقع بئر المربة : وما وراءها الجديف ؛ وللى غرب -- الشمال الغربي من البئر الأخيرة بئر المعامرة .

وصار الهواء الآن حاراً للغاية حتى رأينا بوضوح انه ينقسم الى اربع او خمس طبقات متفاوتة في عمقها وشفافيتها ، تهتز باستمرار وتعمق أنظارنا .

وهذا هو (السراب) . وفي ٢١٥ لمحنا الى يسارنا تلّ اليبّوس . وكان الاق من ناحية الشمال الغربي يسده جتب وكان هذا لا يخلو من ثغرات تخترقه في بعض تخترقه في بعض المواضع . ورأينا الى الجنوب منا اعلى بركتين من مجموعة الحجيفات (او الحجاف) . وقد ظهر ا في غمرة السراب كأنهما غنريتان اسودان . وبين الحين والحين كان رجم الطاران يبرز من السراب . وتقع الى الاسفل منه مباشرة بئر بهذا الاسم نفسه . وللى الجنوب منها بئرأ : الفياض وابو النوق . وبعد الساعة الثالثة امكن رؤية قطع من البازلت والاذبة هنا وهناك . وكنتا عند سنّ الحمة في ٣٤٨ ر وبلغنا حافته في ٤٠٥ ر وبقينا هناك الى ٤٤٥ ر ؛ وهي مكونة من البازلت والاذبة ، الحمة كما سمّاها دليلنا . وتستند المنطقة البركانية من تلّ مرقده على الخابور حتى بئر مايجان . واشار السليل الى اكديسا من الحجارة في الشمال تدلّ على مواضع آبار سهلان : وابو النوق ، ورُغَيان وروبلان ، أما التي في الجنوب فتدلّ على بئر الحذب . وفي ١٠ ر ظهرت سلسلة عبدالعزيز الى الشمال . وخيمنا في ٢٠ ر عند رأس شعيب جهيد . وحاذنا خطّ العرض .

في ٢٣ أيار سنة ١٩١٢ خرجنا في الساعة ٠٢ ر صباحاً متجهين نحو العدل الغربي وكانت الريح غربية باردة . . وفي ٣٠ ر لاحظنا في حوض واس الى الشمال منا رؤية خرائب المألحة : وظهرت وراءها على مسافة كبيرة سلسلة عبدالعزيز المتلّمة . ورأينا الى الشرق منا تلّ رزنتري المنعزل . ومن ٨٠٠ الى ٤٨ ر توقفتنا

عند المالحة (شكل ٣١) ، وهي بئر يبلغ عمقها نحو ٢٥ متراً ، ويكاد مالؤها يكون عذيب المذاق وإلى الشمال الغربي من خرائب المالحة توجد بئر المليحان . وإلى غرب الشمال الغربي تنلمج سلسلة عبدالعزيز م سلسلة البيضاء [البيضاء] الأقل ارتفاعاً منها ، وتقع أعلى قسمها في الوسط .



(شكل ٣١ — بئر المالحة)

وكان بودنا ان ننفضّ خرائب المالحة لشيها بقلمة مبنية من كتل بازلتية . غير ان الدليل حدّرنا من قطاع الطرق الذين يجوبون عادة الاماكن المجاورة لسفح سلسلة عبدالعزيز ولعلهم كانوا يرقبون حركاتنا باستمرار عندما كنا نسقي خيلنا وجملنا ونملأ القرب بالماء . واعتلى الدليل ريوه قريبة منا ، وأخذ يراقب منها المتعلقة المجاورة بكل دقة . وكان الترك غير راغبين كذلك في تعرض للخطر وقد ناشدونا العودة من حيث اتينا لتكون بمنأى عن الاكراد . وحتى نشرح خواطرم اتجهنا غرباً في سهل متموج يرتفع الى الجنوب الغربي . وفي الساعة ١٠ر٢٧ وصلنا الى بئر مهلمة . وفي ١١ر٢٥ عبرنا الطريق المتجه نحو شمالي--

الشمال الغربي من دير الزور . ويبدأ هذا الطريق من دير الزور وبعد ان يخترق
 شعب البقر يرتقي حمة صالح في شرقي براكين الحبيفات ، ويمر على بئر
 الغريندي وبئر ابو قبرة . وقد بلغنا الأخيرة في الساعة ١٣٥ ١٠ . واسترحنا من
 ١٢١٠ بعد الظهر الى ١٢٠ .

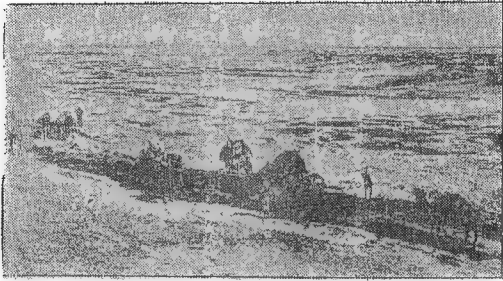
وفي الساعة الثانية كنا عند بئر عيَّاس . شاهدنا الى الجنوب منا ركاًماً من
 الحجارة عند بئر ابورداتي ، وإلى الجنوب منه وأبنا ثانية مخروط الزرّاب الواة
 على جنب الضرو . وثمة كلس حجارة مبداء تُعلم موض بئر فنيجير بينما
 كانت روابي المانعية تسد الافق من جهة الغرب . وفي الساعة ٢٤٠ لاحظنا الى
 الجنوب منا ستة رجال يركبون الجمال واربعة من المشاة متجهين الى الشمال ،
 وعندما لمحونا هربوا الى الشرق . والظاهر انهم حينما رأوا ثلاثة رجال على ظهور
 الخيل في صحبتنا ، ظنوا اننا قطع طرق عادوا بغنائم احدى الغارات . على انهم
 انفسهم كانوا يشبهون قطع الطرق . وكان بإمكانهم مهاجمتنا ولكن افتقارهم الى
 خيل سريعة جعلهم يحاذرون إذ ان الحصان أسرع وانخ من الجمل في الهجوم .
 وبقيت جملتنا ترعى من الساعة ٢٥٥ الى ٢٤٢ وقد مكثنا الارض المرتفعة التي
 كنا نقف عليها من وضد حركات العدو . ونسلة البيضاء [البيضاء] تمتد
 من الشرق الى الغرب ، ويبقى مستوى ارتفاعها متماثلاً في النصف الشرقي
 من امتدادها تقريباً ولا تبدأ في الانخفاض الا على مسافة ابعد نحو الغرب .
 ورأينا الى الغرب منا بئر الزهمك وإلى الجنوب منها تل كليب الحمة الاسود .
 وإلى الشرق منها بئر الجردية وبئر الثماد . وخيمنا في الساعة ٢٠ ٥ . وكنا حذرين
 طوال الليل مخافة ان يهاجمنا الغريباء .

بئر الزهمك الى الرقة

في ٢٤ ايار سنة ١٩١٢ كنا في طريقنا حوالي الساعة ٥٥٤ صباحاً وقد
 هبت زرع خفيفة من جهة غرب - الجنوب الغربي ولكنها كانت ناسية البرد .
 وفي الساعة ٥٥٥ كانت على يميننا . بالقرب من الطريق ، بئر الزهمك ،

ويبلغ عمقها عشرين متراً ، حيث سقينا خيلنا حتى الساعة ٦١٠ . وكانت ترى في الشمال الغربي وادي المانعة القائمة اللون سلسلة البشري فيما وراء القرات جنوباً . وكان أشدّ ما يلفت النظر هو الصدع العميق بين القسم الرئيسي من السلسلة وتوئها الشرقي : القصبّيات . ومن ٨٠٠ الى ٨٢١ رعت جمالنا الى الجنوب الغربي من بئر الطريفاي وشمال آبار الدرة والصباغة في شعيب المسوق . وكنا نقطع الآن خط تقسيم المياه بين القرات والشعبان التي تمتد نحو سلسلة البيضة . وكان السفح الى الجنوب شديد الانحدار وتلويجياً نحو الشمال على كل حال . وظهر على الافق الغربي في الساعة ٨٤٠ بركانا (المناخر) ، في نهاية السهل الرتيب الذي كنا نمرّ فيه وإلى الجنوب نظرنا الى الأقليم للمتوج الواسع الذي الى الاسفل منا من لحف البشري منحدراً نحو القرات ، حيث يشهر في الجروف العالية التي تحدد الضفة اليمنى من النهر . وعلى الضفة اليسرى في غربي بئرّين الدرة والصبارة تختفي هذه الجروف . وفي ٩٥٠ رأينا الى الجنوب منا تلّ الحمضة الهائل على القرات . ثم واصلنا السير مخترقين شعبياً مائتياً يتجه نحو الجنوب . وفي ١٠٤٠ كنا في شعيب عريض يسمى شعيب (عقلة مشحم) . وكان مغطى بأشجار الطرفاء وينتهي بين تلّ مطبّ والعزّ على القرات . وأمکن الآن ان نرى بوضوح ثغرة الخانوقة التي ينفل منها القرات .

وسلسلة البشري او الحمة ما يسمى امتدادها الشرقي البازلتي ، تمتد الى براكين الحجفات ، ولا شك في انها كانت في وقت ما تكون سداً طبعياً للقرات . غير أن طبقات الملح المتخري والجبس اللينة لم تستطع مقاومة التيار السريع الذي نحت مجرى مجرى ضيقاً عميقاً يسمى الخانوقة ، وهكذا فصّل القسم الأكبر من السلسلة المعروف بالحمة في الشرق ، عن القسم الباقي في الغرب . وعلى الضفة اليمنى من عقلة مشحم تمتد وادي (ذابلة) من الشمال الى الجنوب ، وإلى الغرب منها مرتفعات واسعة تفصل بينها اودية قليلة العمق تنحدر نحو القرات . وفي الساعة ١١٣٠ عبرنا شعيب الحسّ ، واسترحنا من ١٢٢٠ بعد الظهر الى ١٢٠ . وظلّت الجمال في مرعاهها من



(شكل ٣٢ - من الخفيان غرباً - وادي القرات على بعد)

٢٥٠ الى ٣١٠ في وادي خفيان (شكل ٣٢) جنوبي جيب الشعير . وفي الامة الرابعة أخذنا نسير على طبقة من الحمم [اللابة] المخالصة ، وفي ٥٥٥ ره وصلنا الى بركان المنخر الشرقي واستلونا حول قاعدته الشمالية للوصول الى شعيب الشغاء . وهذا البركان على شكل مخروط مستطيل يمتد محوره من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي ، ويظهر ان له اربع فوهات ، اكبرها تقع في الجنوب الغربي . ومنها تدفق جدول عميق من اللابة امتد الى الشمال الغربي ، وفي القسم الاعلى من شعيب الشغاء يوجد بئر ابو جدابع ؛ وفي القسم الادنى بئر ابو مرمر ، والى الغرب من الأخيرة آبار : غيلان ، الخفصية وديميم . والى الاسفل من ربوة تقع شمالي بركان المنخر الغربي تقع بئر لُقطة ، والى الجنوب الغربي من البركان : بئر ابو توفة ، والى الشمال الغربي من الأخيرة بئر الهبأ والحوار .

في الساعة ٥٠-٦ خيمنا على طبقة الحمم في منتصف المسافة بين البركانين في منطقة واسعة ليس فيها أثر لعصن شجرة صغير أو أي شيء يشبه الوقود . . . كانت ليلة لطيفة والرياح تهب من الغرب .

في ٢٥ أيار سنة ١٩١٢ بدأنا السير في الساعة ٣٥ - ٤ صباحاً . وكانت تهب آنذاك من الشمال . وفي ٣٢ - ٥ درنا حول القاعدة الجنوبية للبركان الثاني : الذي يقع على طبقة من البازلت (المانع) واللابة يبلغ ارتفاعها نحو خمسة وعشرين متراً ، وهي اشد انحداراً من جهة الشمال . وفي ٢٠ ر٦ - كانت آبار ابو ترثة على اليمين منا : وفي ٢٥ ر٧ وصلنا الى ضفة الفرات ضفة الفرات غربي خرائب الجهال ، وظلت جمالتنا الى الساعة الثانية ترعى من شجيرات العوسج حتى أخذت كفايتها .

ولا يمكن القول بان مجرى الفرات في الجنوب الغربي من الجهال قد استقرت أبعاده وحتى الآن . فلا تزال هناك فروع كثيرة من النهر العظيم - تتثنى بين جزر صغيرة تظهر وتختفي ثانية ، لانه ليس ثمة اساس صخري يدعمها . وتنمو على كثير من هذه الجزر أعشاب كثيفة ، ترعى فيها قطعان الجاموس والبقر . وحاولنا ان نخترق حقول السميري مباشرة للوصول الى قرية الرقة : ولم نوفق في ذلك لأن المروج التي اختفى فيها نهر البليخ كانت مستنقعة الى حد كبير حتى اضطررنا في الساعة ٤٠ ر٨ الى التحول شمالاً لتجاشى هذه المروج والسير على أرض صخرية يابسة . نجحوا خيراً ، برغم بعض الصعوبات في عبور البليخ ومستنقعاته عند خرائب زيدان وتوجهنا الى الغرب ثانية . (٤٩)

من ٢٠ ر١١ الى ٤٠ ر٢ بعد الظهر استرخنا في الجنوب الشرقي من الرقة في المزارع القرينة من خرائب (الحمرا) وغربي خرائب (الرقة السمرا) .

(٤٩) تل زيدان هو زئودوتيوم القديمة ويشير اريان في (شدرات) ص ٥٨٧ - الى زئودوتيوم بقوله انها بلدة في اوسروئين بالقرب من نيقفوريم وبروي ياقوت (المعجم : مجلد ١ ص ٨٦٧) نقلاً عن نصر ، ان تل زيدان موضع قريب من الرقة في بلاد بابين النهرين .

ويظهر من هذه المباريات ان نيقفوريم كانت تقع عند مصب البليخ .
واتها مطابقة للرقة او لقسم منها .

والرقة الحالية (٥٠) يسكنها نحو ٣٠٠ عائلة وعبد الهادي العجيلي أعظم رجالها نفوذا . وماء هذه المنطقة مج المذاق .

وفي ١٠٥ ر الى (عبارة) الفرات وبعد صعوبات بالغة استطعنا ان نسوق جمالنا المسكنة الى سطح قارب عال . وكان رجال القارب قساة القلوب إذ سرعان ما انهالوا على الحيوانات المذعورة بالضرب والدفع والرفس والهز ، حتى اشفقنا على اعضاءها ان تصاب بضرر . وذهب ناصر ومحمد وتومان مع الجمال ، وظلت بقيتنا تقوم على حراسة الأمتعة . وأنزلت الجمال الى البر على مسافة بعيدة الى الجنوب الشرقي ، وقد بقي تيمان هناك ، بينما عاد ناصر الى القارب وبعد ان اصبحت الجمال الثلاثة الباقية والاصقة على ظهر القارب صعدنا اليه . القارب وحمل تيار النهر السفينة بسهولة ويسر . وفي منتصف النهر دفع الملاحون اعمدة طويلة ثقيلة [المرادي] محاولين دفع القارب الى اليمين قليلا ليتوسط دوامة الماء التي ترقطم بتنوء يبرز من الضفة اليمنى ممتداً في سهل الكسرة الفيضي . نجحت المحاولة فنقد حملتنا الدوامة مباشرة الى الضفة ، حيث نصبنا الخيام للمبيت في الساعة السادسة مساء .

(٥٠) انظر فيما بعد ، ملحق ١١ .

الفصل السابع الرفقة الى ابو هريرة

في ٢٦ أيار سنة ١٩١٢ . الساعة ٥٧ ر٤ صباحاً بدأنا سبينا عبر سهل الكسابة ، وهو جزء من سهل الثرات الفيضي الذي طالما تغمره مياه الفيضان وفي هذا الوقت كانت تغطيه نباتات السوس التي لم يتفق طعم اوراقها الخضراء الداكنة ومذاق جمالنا وفي ١٥ ر٧ دخلنا السهل الفيضي المسمى حاوي ابو قبيع حيث رأينا في الساعة ٣٢ ر٧ ربوة خرائب السجل : وعلى امتداد ضفة النهر اليسرى بالقرب من هنا توجد قُرى ومزارع الحسانية : والدريّة ، والعزرة والهراقلة ، وسراة عبد على وخرائب القديرات . وقرية صيلحيية الكبيرة نوعا ما . وكنا نسير الآن نحو مزارع البليل على امتداد ممشي ضيق على حافة النهر حيث وكان اقرب صعباً في بعض المواضع . وفي ٤٠ ر٨ عبرنا شعيب ابو هباطة الضيق ، واسترحنا من ٩ ر٩ الى ٢٨ ر٩ . وفي الساعة العاشرة بدأنا الصعود في اراضي ام تلوس الزراعية الى خرائب سوريا ، التي كانت في ٣٧ ر١٠ فوقنا من ناحية الشمال . وبلغنا هوة بين سوريا والحمام . والحمام التي تساعد على النزول الى النهر بسهولة . وفي ٥٨ ر١١ كان علينا ان نصعد ثانية . وفي ١١ ر٢٠ توقفنا امام مركز دوك في الحمام : وكان ثمة خانات ومركز للبريد والبرق وبعض الأكواخ . واسترحنا من ٥٠ ر١١ صباحاً الى ١٢ ر٥٠ بعد الظهر . وكان مخروطاً اثنين (٥١) يمكن رؤيتهما بوضوح في الجهة الغربية .

(٥١) يذكر المتنبي الشديان (الديوان : ديتريشي ص ٤٣٤) بأنه موضع يقع على طريق حلب المحاذي للضفة اليمنى من القرات ، والمؤدي الى الرفقة ، وأنه احتبس فيها لسقوط امطار غزيرة .

وفي ١٠٥٠ مررنا بالموضع الذي سبق أن خيمنا فيه في اليوم الأول والثالث من شهر نيسان الماضي .

وكانت السفوح آنذاك مغطاة بخضرة زاهية ، وكانت براعم الشجيرات في مرحلة نموها الأولى . أما الآن فكان كل شيء محترقاً أجرداً ، والعشب جافاً تلوهه الريح ، والنباتات كلها قد أكلتها الحيوانات ، ولم تبق سوى بضعة مواضع خضراء قريباً من سطح الأرض . وفي ٢٣٢ كانت خرائب الهنّيده على يميننا ، وكانت تقابلنا ، على الضفة اليسرى ، شبه جزيرة القدير انن تغطيها الشجيرات . وإلى الشمال الغربي منها حقول التشابه ، وإلى الغرب حقول المسطحية ، والقيبية ، والرّقبية : وخرائب قلعة جدير . وفي الساعة ٣٢٧ وصلنا سهل الصّفّافة الفيضي . وتغطي قسمه الجنوبي نباتات البلفاء والحميض (أو الحميض) ، وقسمه الشمالي نبات السوس . وفي الصيف يقوم اشباه الفلاحين بقطع اوراق السوس وتخفيفها لتكون علفاً تحبه ابقارهم كثيراً ، وفي الشتاء والربيع يقتلعون جذوره ويركّونه على هيئة اكوام كبيرة تشبه الغيما ، ويبعونها بعد جفافها الكامل الى شركة في حلب ، لها فروع في الرقة وبيرجيك . وهؤلاء الرجال لا يتعاملون الا مع الرئيس فهو الذي يقوم بتسليم العروق الجافة بدلا عنهم وتسلم النقود . ويحصل العمال عن قطار تركي (٥٦ كيلوغرام) من العروق على عشرة قروش (٤٥ سنتاً) . وفي ٣٥٠ رأينا مقبرة على يسارنا على الضفة اليسرى من شعيب القبور . وقد ركّزت اعمده [سوار] على بعض القبور ربطوا بأعلامها قطعاً من القماش بل كان على بعضها فمضان كاملة . وفي الساعة الرابعة كنا في ممر الشعبة . . وعرض الممر هنا نحو مترين . ويبلغ ارتفاع الاجراف في جنوبه ٣٠ متراً تقريباً ، بينما تنحدر الارض من جهة اليمين عشرة أمتار انحداراً عمودياً الى النهر . وقد اجبرتنا الزوايا الحادة الناتئة من الجروف على السير في نسق منفرد . وفجأة اشتبك النصف الايسر من حمولة ناقتنا البيضاء باحد هذه

الاطراف الحاد وتخرجت ساقطة على رأسها في النهر . ولعلها كانت قد غرقت
لولا ان حملها كان مربوطاً الى ظهرها بجبال مشلودة على البطن مما ساعدها على
ان تظل طافية . . وكانت الناقة المسكينة ارجلها مدفوعة الى اعلى تحاول بكل
قوتها ابقاء رأسها على سطح الماء . وأوقفنا الجمال الأخرى ، وهبطنا اليها بعموية
بأخرة ، ثم سحبناها بعد ربطها الى الضفة وهي ترفس . وانزنا احماها بعناية ،
ونقلنا ، قطعة بعد اخرى الى الطريق . وعاوناه على الانقلاب . ثم سحبناها
الى مسافة نحو مئة متر شرقاً الى أخدود صغير . حيث يمكن هناك سوقها مرة
اخرى الى الطريق . وحسن الحظ انها لم تُصَبَّ بجراح مطلقاً . وم يظهر عليها
أي أثر لإصابة باطنية . والتأخير الذي نجم عن هذا الحادث لم يتجاوز . سبعاً
وثلاثين دقيقة . من ١٣٨ ر إلى ١٥ ر . . وبعد ان وضعنا على ظهرها ثانية ذلك
الحمل الناقع تماماً صعدنا من فجوة صغيرة على الهضبة الجنوبية وبقينا نقطعها
حتى الساعة ٤ ر ، حيث هبطنا من شبيب الشعبة عائدين الى القرات ثانية .
وفي الساعة ١٢ ر خيمنا في حقول الهorre الزراعية . وهناك كان علينا ان نجفف
ملابسنا المبللة . وكان سكرتنا ناعماً وسكايرنا كانت سوداء وتحول طحبتنا الى
عجين . .

في ٢٧ أيار سنة ١٩١٢ قويتنا المخيم في الساعة السادسة صباحاً . ورأينا
الى الشرق على هضبة : قلعة جبر . ترتفع في وسطها منارة رشيقة : وامكن رؤية
منارة ثانية الى الشمال منها (٥٢)

ان سهل الطبقة الخصب ، الذي كنا نعتقه الآن ، يتسع اتساعاً ملحوظاً .
وذلك بسبب انحناء القرات نحو الشمال . وفي ٢٢ ر شاهدنا على يسارنا خرائب
بلدة صغيرة . كان شريط الأرض القريب من النهر والمسمى حاوى العايد
(أو العبد) مغطى بنباتات السوس ، وكان ثمة اكوام من الجنور التي اقتلعت
ترى في كل مكان . وفي ٣٨ ر شاهدنا على يسارنا في الاجراف الصخرية على

(٥٢) انظر كتاب المؤلف الذي سيصدر قريباً بعنوان (بالعين) .

مسافة عشرة أمتار تقريباً أسفل السطح ، بعض الكهوف الصناعية التي لا يتمكن المرء من دخولها الا ان يتدلّى إليها بجبل ، ما لم يكن هناك ممر نقب في الصخر يُوصل إليها . وفي الساعة الثامنة ، بلتنا نهاية الاجراف التي تتحول هنا الى سفح صخري ، انتشرت عليه اكوام من الآجر القديم . وتوجد على هذا السفح بعض المراقدة المتهملة وشاهد قبور قديمة وبرج بنات ابو هريرة الملمور الى الشمال منها . ويصنّيع السفح . البرج اكثر انخفاصاً ، ويتحول من اتجاه شرقي وغربي الى شمال - الشمال الشرقي وجنوب - الجنوب الغربي ، مكوناً بذلك حدّاً لحوض (المنصف) الذي يوجد في قسمه الشمالي الغربي مشهد الشيخ ابو هريرة ، وقد ندنا لنا ابيض اللون ، بينما رأينا على نتوء صخري من الطرف الشمالي الشرقي لـ (طَرَق العطفة) الذي يفصل شعب المنصف من شعب سلماس العريض ، فوق النهر مباشرة تقريباً ، وظهر لنا مخفر درك ابو هريرة وجدوان خان (نزل) سوداء . وكان هناك خاتان (نزلان) وبعض الاكواخ قرب المكان الذي توقفتنا بالقرب منه في الساعة ٩٠٦ في حقول القرين . (٥٣) (٥٤)

(٥٣) قلعة جعبر تحدد موقع بلدة دوسر القديمة يـسـروى فرونتو (مجلد ٢ ، ص ١٠) ان فيرس استولى على بلدتي دوسر ، نيقيفوريم . ويقول اسطيقيان البيزنطي ص ٢٢٢) ان بلدة دوسرة تقع بقرب اديسا . ويروي بروكوبيوس في (مجلد ٢ ص ٦ : ١٤) ان الامبراطور جستنيان الاول قام بتجديد قلعة دوسر . وبحسب رواية ابن خرداذبه (المسالك ص ٧٤ ، ٩٨) تقع دوسر على الطريق من الرقة الى صنج ، وايضا على الطريق من الرقة الى بالدوخلب . ويقول ابن القلانسي (الدليل : ص ١٠٠) انه في سنة ١٠٦٨م توفي الامير جعبر حاكم دوسر ، وسمى الموضع قلعة جعبر نسبة اليه . ويذكر كمال الدين (التاريخ -- باريه دي مينار ص ٦٠٥ ، ٦١٠ ، ٦١٥ فما بعدها) انه في سنة ١١١٥م كان اسم حاكم قلعة جعبر مالك بن سالم ، وان هذا الحصن كان يسمى كذلك قلعة دوسر . ويروي ابن القلانسي في المصدر نفسه ص ٢٠٧ انه قد اشهر مطر شديد مع ربح عاصف على قلعة جعبر في ربيع سنة ١١٢٢ ، مما ادى الى تدمير ٨٠٠ بيت في الضواحي . وفتلك . ويذكر ايضا انه في ١٥ اغسطس سنة ١١٤٦م قتل عماد الدين اتابك زنكي تحت قلعة دوسر ، ١٤١

التي كانت قد سميت هندتلد جبر ، وهو من اصل صليبي ، خادما لدى
عماد الدين .

يلذكر وليم الصوري (من صرر) في تاريخه مجلد ١٦ ص ٧ بلدة
محصنة على الفرات تسمى كالوكنبر (قلعة جبر) .
ويروي ابن منقلد في الاعتبار (طبعة درنبرك من ٧٥ ومابعدھا)
ان اياه ارسل اسيرة صغيرة ، كانت ابنة احد الصليبيين ، الى صديقه
حاكم قلعة جبر الذي انجب ابناً منها . وهذا الابن الذي سماه بدران
عينه خليفة من بعده . وبعد وفاة والده ، وبالاغتماد على مشورة امه ،
قام بتدبير شؤون قلعة جبر والمنطقة المجاورة ، التي تبعد عنها مسافة
غير قليلة ، في وقت واحد . غير ان امه رغبت في الهرب كسبت ثقة
بعض الاصدقاء الذين ساعدوها اول الامر على الهبوط من الاسوار بالجل
ثم صحبوها الى بلدة سروج ، التي كانت تحت حكم الصليبيين حينذاك .
وتزوجت هناك برجل من الصليبيين ، وهو صانع احذية ، بينما كان
ابنها حاكم قلعة جبر .

ويقول هامر برغستال في (مجلد ١ ص ٤٢) ان سليمان شاه رجع مع
قبيلته في سنة ١٢٢٨م من شمال سوريا الى ارمينيا من الطريق الذي
يخرج من حلب مخترباً جبر . وعندما كان يعبر القرطبات فرق مع
فرسه ، ودفن في قلعة جبر .

ويقول ابو الفدا (التقويم ص ٢٧٧) ان قلعة جبر كانت تسمى
الدوسرية في الاصل ، لان الذي بناها هو دوسر خادم النعمان بن المنذر .
وقد تولى حكمها فيما بعد رجل يسمى سابق الدين جبر القشيري ،
ومن هنا سميت جبر . ثم تملكها ملكشاه السلجوقي . وكانت القلعة
خرائب في عهد ابي الفدا . ولم تكن بها بيوت . وقد بنيت في صحراء
وادي الرافدين فوق جرف صخري شاهق على الضفة الشمالية من
الفرات بين بلدتي الرقة و بالس .

وبحسب رواية ابن الوردي (التاريخ - بولاق مجلد ٢ ص ٣١١)
وان قلعة جبر هدمت في زمن هولاكو واعيد بناؤها سنة ٧٣٥هـ
(١٣٣٤ - ١٣٣٥م) من قبل الامير سيف الدين ابوبكر البشيري حاكم حلب .
ويصف خليل الظاهري (الزبدة : رافيس ص ٥٠) قلعة جبر بانها
بلدة جبلية [عامرة fine] ولها قلعة حصينة والى جوارها قرى
كثيرة . وهي تابعة لدائرة حلب السياسية .

(٥٤) عن ابي هريرة انظر ايضاً فيما بعد ، ملحق ٩ وللوقوف على تمة وصف
هذه الرحلة من ابي هريرة الى دمشق انظر كتاباً للمؤلف يصدر قريباً
بمعنوان بالمرينا (وسيكون العدد ٤ من هذه السلسلة) .

القسم الثاني

١٩١٥

الفصل الثامن في اطراف النجف

قمت في الفترة الممتدة بين كانون الاول سنة ١٩١٤ ونيسان سنة ١٩١٥ . برحلة جئت خلالها بادية الشام وشمالىّ نجد (٥٥) . وكان الاشراف على الاجهزة العلمية ، لمحاولة المسح ، وتحديد العروض قد عهد بها الى كارل فالدمان ، احد موظفي المعهد الجغرافي العسكري بفيينا وكانت التيساق الاحدى عشرة ، التي استخدمنا بعضها للركوب وبعضها لحمل الامتعة ، في رعاية ناصر بن عبيد المفلوق . وكان صاحبنا الدائم وحاميها اثناء وجودنا بنجد : نازل بن ثنيان ، من ابناء عم رئيس عشيرة السنجارة ، وهو الذي قادنا الى النجف وأوصلنا اليها في الخامس من نيسان سنة ١٩١٥ . .

بعثة الى دغيم بن براق

في ٦ نيسان سنة ١٩١٥ خيّم في الركن الشمالي الشرقي من مدينة النجف المحصنة . وبعد الساعة العاشرة صباحاً بقليل زارني قائم مقام النجف ، وجاءني خادمه كذلك بفرس معادة للركوب . ورجائي القائم مقام بان أقوم بمهمة المصالحة بينه وبين الزعيم دغيم بن براق ، اذ كان رجاله [اذذاك] يطلقون النار على كل احد دركي يوجد خارج حلود المدينة : ولما كنت على

(٥٥) ان وصف هذا الجزء من الرحلة من دمشق الى الجوف قد ورد في كتاب المؤلف بادية الشام (وهو العدد ٢ من هذه السلسلة) نيويورك ١٩٢٧ ص ٣٧٧ - ٤٧٤ ، اما الجزء الخاص بالرحلة من الجوف الى النجف خلال شمالي نجد فسياتي بيانه في الكتاب القادم للمؤلف بعنوان (شمالي نجد) وهو العدد ٥ من هذه السلسلة .

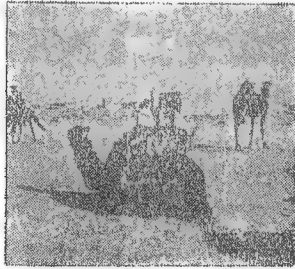
معركة بعائلة دغيم منذ سنة ١٩١٢ لذا وعدت القائمقام بالذهاب لمقابلته . وكان حرمسي الوحيد نازل بن ثنين ، رفيقي الأمين من اهل نجد ، ورجل من الترك ، الحقوه بنا ليحول دون أسرنا من قبل جنود الاتراك الذين ربما كانوا يجوبون تلك البقاع . خرجنا في الساعة الحادية عشرة . . وظل الدركي معه طول الوقت بيني وبين نازل ، لانه كان يخشى دون شك من رصاصة تصيبه . وبحث في اول الأمر عن دغيم بقرب الفرات ، حيث كانت تخيم أسرته في نهاية نيسان سنة ١٩١٢ ، لكنه لم يكن هناك . وذهبنا بعدئذ الى [مستودعه] وطرقنا الباب طرقةً شديدة ، ونادينا باعلی أدواتنا ، ولكن مامن سامع أو مجيب . . لقد اختفى الرجال والنساء على السواء في اللحظة التي شعروا فيها بقومنا من بعيد إذ ظنوا عند رؤيتهم رجل الترك بين اثنين من البلو ، ان الحكومة انما ارسلتنا لإلحاق ضرر بهم .

واخيراً ترجلت ، وسرت وحيداً الى البساتين التي على الفرات ، وسألت عن دغيم . . وهنا لم يهرب أحد مني ولما علمت منهم أن دغيم قد أقام خيامه في المخاربات التي في الجنوب ، الثري ، من الكوفة وجنوبي (ترام) الخيل عدت الى اصحابي وامتطيت جوادتي ثانية ، ولم نلبث ان وجدنا خيمة دغيم . ولقد رحب بنا صاحب الدار من بعيد ، وأدخلنا خيمته وأمر النسوة بالحضار العشاء لي ولنازل . اما الدركي فقد قيل له ان يعود الى النجف بالطريق . السلطاني ولم يسمح له بالبقاء معنا الا بعد ان التمس ذلك من دغيم ، قائلاً انه دليلنا واننا مسؤولون عنه ، فأوماً الشيخ اليه بان يجلس في ركن من الخيمة . ثم اذ انطلق لسانه بسبل من الشكاوى على الحكومة .

قال : ان الحكومة تكاد تسلخ جلودنا ونحن احياء . . بل انها تأسرنا فعلاً وباسم ضريبة الحرب ، تسولي على حيواننا ، وماشيئنا . وشيئنا ، وترغمنا على الالتحاق بالخدمة العسكرية . وعلى دفع مبالغ متزايدة وباستمرار دون ان تقدم لنا شيئاً في نظير ذلك . لقد زرعتنا الاراضي الواقعة بين الكوفة والنجارة منذ عصور موحقة . . وكانت ملكنا دائماً ، ملك اجدادنا ، وقد ورثناها

عنهم . واليوم تنوي الحكومة ان تأخذ هذا، الممتلكات منا . وقبل عشر سنين قام فريق من اهل النجف ، وخاصة عبد الحسين ششترلي ، السيد مهدي ، وحسين الهجرآوي ، برشوة موظفي الحكومة للحصول على مستندات الملكية لأراضيها وتسجيلها باسمائهم . وقد كتموا عنا هذا الأمر لتسع سنوات كاملة . اما الآن وبعد ان ازداد عدد الدرك في النجف ، واصبحت المنطقة المجاورة طريقاً مطروحاً للعسكريين ، فان هؤلاء الرجال بطالبوننا بالاعتراف بانهم المالكون الحقيقيون ، واننا مستأجرون فحسب . وتؤيدهم الحكومة في هذا الأمر الى حد أنها ارسلت الدرك ضدهم منذ حين . واني اسألك يا مرسى : « هل هذا النوع من الحكومة يستحق القتال من اجله ؟ »

حاولت التخفيف عنه وقلت له بان اكره وسيطاً لدى السلطات سواء في النجف ام في بغداد لمعاملة رجال عشيرته بالعدل . ثم اتفقت معه بوضع نفسي تحت حمايته ، واتفقتنا على ان يصاحبني هو أو اخوه الى القايم ، وهي قرية صغيرة على مسيرة يوم واحد جنوبي النجف .



(شكل ٣٣ - مقبرة شمال النجف)

وبعد عودتي الى المنبئة عرضت شكوى دغيم على القائم مقام . فقال بغير تحفظ : ان دغيم على حق فيما يقول ، غير ان اهل النجف لهم اصدقاء أقوياء

في كربلاء وبغداد على السواء ، وعلى كل حال فان الحكومة نفسها تحايى اهل المدينة دون الفلاحين ولا سيما الآن في وقت الحرب حين نرى الانكليز يحاولون استمالة السكان في المدن ، وتبذل أقصى جهدهما للاحتفاظ برضا الاهلين في البلدتين المقسميتين : مشهد علي (النجف) وكربلاء لان الانكليز يحاولون وقت الحرب ، استمالة سكان هاتين المدينتين . ونصحتني آخر الأمر باستشارة متصرف كربلاء او والى بغداد بهذا الصدد ، اما هو نفسه فلا يستطيع عمل شيء .

وكان لا بدّ من استئذان القائقام لترك أهمّ امتعني في منزله ، لاني على اي حال ، لا استطيع ان اعهد بكل شيء الى دغيم . فقد كانت المنطقة المجاورة للنجف آنذاك تمتعّ بالهاريين من الخدمة العسكرية ، وكان بإمكان هؤلاء مهاجمة مخيم دغيم الصغير ليلاً بسهولة ، ونهب امتعني المودعة لديه . ووافق القائقام على هذا بلا تردد . بل أنه استأجر فضلاً عن ذلك رجلين ليحملا امتعني الى منزله . وفي المساء حادثنا خط العرض .

في ٧ نيسان سنة ١٩١٥ أتاانا الشيخ وأخوه وخادمان للذهاب بنا عبر مقبرة النجف الى مخيمه الذي نقله الى موضع اقرب الى الفرات . (شكل ٣٣) .

والمخيم كان كله مؤلفاً من خمس خيام فقط ، اما بقية رجال عشيرته فكانوا يسكنون في اكواخ اقاموها حول البساتين . ولى الشرق من مخيمنا ، الذي كان يقع في الشمال الشرقي من الكيندره والجنوب الشرقي من الكوفة ، شاهندا نهراً قديماً كان يجلب للمساء سابقاً من الفرات الى الخورنق . وعلى ضفته اليسرى توجد اكوام خرائب صغيرة (٥٦) .-

(٥٦) اني اعتبر هذه الخرائب هي بلدة حروراء القديمة ، التي كانت تقع وفقاً لرواية يافوت (المعجم : مجلد ٢ ص ٢٤٦) وابي الفسائل (المراسد : مجلد ١ ص ٢٩٧) على بعد ميلين من الكوفة حيث كان مخيم الخوارج في زمن علي بن ابي طالب (ع) ، ومن هنا كان اسمهم الخوارج .
ويبين المسعودي (التنبيه : ص ٢٨١ ومابعدها) ان حروراء كانت تقع بين نهرين مقابل الخورنق .

وكان يزورنا كل يوم بعد غروب الشمس خمسة رجال مساحين عُهد اليهم بحراسة الخيام من الهاربين من الجندية . وكان دغيم — لشدة بغضه للحكومة — كثيراً ما يدعو عليها بالدمار . وكان شديد الكراهية للانكليز .

وفي المساء جاءنا احد تجار الحمير والخيول بخمسة حمير وحصان واحد لرحلتنا القادمة الى القايم ، واذا امكن ، الى (ابو غار) كذلك . ولم يمكن استخدام الجمال لهذه الرحلة لان طريقنا يقودنا عبر «بازع مرويّة وسواقي عميقة مملوءة ماء وذات ضفاف زلّقة ، يتعدّر على الجمال السير فيها . . وفضلاً» عن ذلك فان الفلاحين لا بدّ ان يحسبونا بلواً ، ويهاجمونا . لذلك عزمنا على الركوب بالطريقة التي يركب بها الفلاحون انفسهم . .

وفي الليل رقص الحراس وقصاتهم الحربية ، (دبكات) يضربون الارض باقدامهم ، ويصفقون ، ويفنّون ، ويقصّون الحكايات حتى مطلع الفجر ، وكان الغرض من هذه الجلسة والضيضاء تحذير قطاع الطرق وإبعادهم عنا ولكنها حرمتنا لذة النوم ايضاً . .

زيارة الى الخورنق، وابو صغبر

٨ نيسان سنة ١٩١٥ . . بلدنا رحلتنا على ظهور الحمير في الساعة ٨.٠٥ صباحاً قاصدين الخورنق : سائرين أولاً في اتجاه غربي — جنوبي غربي وفي الساعة ٨.١٣ عبرنا نهراً قديماً نصف مملوء ، يمتد نحو الجنوب الشرقي . في ٨.٥٠ مررنا بخطّ مستمر من اكوام كبيرة تتكلس فيها مواد بناء قديمة ويقع عند الطرف الغربي من هذا الخط أعلى هذه الاكوام ويسمى امّ فشيحة (ام طلقة) وجميعها تكوّن اطراف بلدة الحيرة القديمة . اما بلدة النجف القديمة، التي نشأت منها المدينة الحاضرة فتقع بالقرب من الحيرة، وتكوّن ضاحية على طريق دومة (٥٧)

(٥٧) (انظر ص ٩٨ — ٩٩) كانت الحيرة تتكون من احياء مختلفة تسمى القصور تفصل بينها يساتين تغطي مساحة كبيرة . وكان مركز البلدة

في موقع خربة الكتندرة ، وبصورة ادق الى جنوبها بعض الشيء ، وذلك لان هذا الموضع يقع على بعد خمسة كيلومترات من الكوفة والخورنق على السواء ، وعشرة كيلومترات من النجف ، وتنطبق هذه المسافات بالدقة على ماورد في المصادر العربية .

ويروي كلوكس (سلمات ص ٤٠٩) واسطيفان البيزنطي (ص ٢٧٦) ان كانت بلدة باريثة على الفرات .

ويقول الطبري (التاريخ : سلسلة ١ ص ٧٤٨ فمابعدها) ان الحيرة بنيت للتجار العرب . وفيها نزلت تنوخ ، كما نزلت في الانبار وقسي جميع القرى القريبة الواقعة على ضفاف النهر ، حيث اقامت في اكواخ بنيت من اغصان الشجر وفي خيام من الشعر وليس في بيوت من الطين .

ويقول حمزة الاصفهاني (التاريخ : ص ١١٢) انه لم يمت في الحيرة احد من الملوك ، ماعدا قابوس بن المنذر . اما الباقر فانهم هلكوا جميعا اما في غارة او صيد واما اثناء زيارتهم للمناطق المستقرة ، وذلك لصحة هواء هذه البلدة . ومن اقوالهم المأثورة ان نوم ليلة في الحيرة انجع من كل دواء . .

وجرى التوقيع على قرار المجمع الكنسي النسطوري لسنة ٤١٠م من قبل هوشع اسقف حيرتا مع آخرين . (شابو - سينودكن - ١٩٠٢ ص ٣٦) .

وفي سنة ٤٢٤م كان اسقف حيرتا رجلا يسمى شمعون ، وكانت حيرتا [اذذاك] تابعة الى بدو طيايه (المصدر نفسه ص ٤٣) . وفي سنة ٤٨٦م كان شمعون آخر اساقفة حيرتا (المصدر نفسه ص ٥٣) . وفي سنة ٤٩٧م كان رجل يسمى الياس هو اسقف حيرتا (المصدر نفسه ص ٦٢) .

وفي سنة ٥٨٥م كان اسم الاسقف : يوسف (نفس المصدر ص ١٦٤) ، واسم خلفه : شمعون وعقب ٥٩٤ - ٥٩٥م بوقت قصير وصل الجالليق ايشوعيايه هاربا الى قرية بيت قوش ومات هناك . وقد حملت هند ابنة النعمان جثمانه ، يصحبها القس وابناء العقيدة الى بلدة الحيرة حيث دفنوه

ويروي الطبري (سلسلة ١ ص ٢٠٥٦) نقلا من سيف : ان خالد بن الوليد امضى سنة كاملة في الحيرة وقام بغارات كثيرة منها قبل رحيله الى الشام .

في سنة ٧٩٠ ذكروا ان رجلا يقال له يوثيل كان استقف الحيرة ويضيف ابن الفقيه (البلدان : ص ١٨١) بلدة الحيرة البيضاء الى مدينة الكوفة ، ويقول انها كانت فيما مضى محل اقامة ملوكهم ، وذلك لحسن موقعها وصحة هوائها .

ابن رسته (الاعلاق ص ٣٠٩) يجعل المسافة من الكوفة الى الحيرة ثلاثة اميال . ويقول ان الحيرة بنيت على التنجف ، والتنجف ، كان ساحل بحر الملح وكان في قديم الدهر يبلغ الحيرة . . . والخورنق بالقرب منها مما يلي المشرق وبينه وبين الحيرة ثلاثة اميال والسدير في برية تقرب منها .

يقول الاصطخري (المسالك ص ٨٢) الحيرة مدينة جاهلية طيبة التربة مفترشة البناء كبيرة الا انها خلت من الامل لما عمرت الكوفة وهواؤها وتراياها اصبح من الكوفة بينها وبين الكوفة نحو فرسخ . وقريب من الكوفة قبر علي (ع) وقد اختلف في مكانه فقيل انه في زاوية على باب جامع الكوفة ومنهم من زعم انه من الكوفة على فرسخين وعليه قنطرة وآثار المآثر .

ويزيد ابن حوقل على ذلك (المسالك : ص ١٦٣) وقد شهر ابو الهيجاء عبدالله بن حمدان هذا المكان وجعل عليه حصارا منيعا . وابتنى على القبر قبة عظيمة مرتفعة الاركان من كل جانب لها ابواب وسترها بفاخر الستور وفرشها بشمين الحصر السامان . وقد دفن في هذا المكان المذكور جليلة اولاده ، وسادات آل ابي طالب من خارج القبة وجعلت الناحية مما دون الحصار الكبير تريا لآل ابي طالب .

ويروي الشابشتي (الديارات : مخطوطة برلين ، ورقة ١٠٣ يمين وما بعدها) ان ديارات الاساقف بالتنجف ، بظاهر الكوفة ، وهو اول الحيرة . وهي قباب وقصور . وبحضرتها نهر يعرف بالفدير . عن يمينه قصر ابي الخصيب ، مولى ابي جعفر ، وعن شماله السدير ، وبين ذلك الديارات . وقصر ابي الخصيب هذا احدي متزهات الدنيا . وهو مشرف على التنجف وعلى ذلك الظهر . ويصعد من اسفله على درجة طولها خمسون مرقاة الى سطح حسن ومجلس ، فيشرف الناظر على التنجف مرقاة الى سطح افيع ومجلس عجيب . وابو الخصيب هذا مولى ابي جعفر المنصور وحاجبه . والسدير قصر عظيم من ابنة ملوك لخم في قديم الزمان .

ومن هذه الابنية : المسقطات . وهو قصر في اراج مستطيلة مسقطة شرقي الحيرة على طريق الحاج . ثم القصر . ثم كوة يقال . ثم العديسين ثم القصر الابيض . ثم قصر بني بقلية . . . ومن بعده دار عون ، وهي ما يلي النجف فهذه هي قصور الحيرة الباقية الان .

وقبة الشتيق من الابنية القديمة بالحيرة ، على طريق الحاج . وبازائها قباب يقال لها الشكورة ، جميعها للتصاري . فيخرجون يوم عيدهم من الشكورة الى القبة ، في احسن زي ، عليهم الصليان ، بايديهم المجامر ، والشمامسة والقسان معهم يقدسون [على نغم واحد متفق في الالحان] ، ويتبعهم خلق كثير من متلربي المسلمين واهل البطالة ، الى ان يبلغوا قبة الشتيق .

ودير ابن مزعوق بالحيرة ، في وسطها ، [قريب دير الحريق] وهو دير كثير الرهبان ، حسن العمارة ، احد المتنزعات المقصودة والاماكن الموصوفة .

ودير هند ، بنت هذا الدير هند بنت النعمان بن المنذر بالحيرة ، وترهبت فيه وسكنته دهرًا طويلا ، ثم عميت . وهذا الدير من اعظم ديارات الحيرة واعمرها . وهو بين الخندق وحصره بكر .

ونهر الغدير الذي ذكره الشابستي لايزال قائما . ويتفرع من الفرات في بساين الجعارة ، ويجري بحذاء لحف النجف الصخري نحو الشمال الغربي ، وينتهي في منخفض يمتليء من وادي الخمر ، بعد سقوط امطار غزيرة ، ويحدد موقع قصر ابي الخصيب في الخرائب الواقعة شمال النهر على حافة الاجراف على نحو عشرة كيلومترات جنوبي شرق النجف ، والى الجنوب منه ، على الجانب الشمالي من النهر توجد خربة صغيرة في بستان ، وهي على الارجح بقية قصر السدير . وكان طريق الحاج القديم يصل من الكوفة الى الخورنق مباشرة ، اي الى شرق الحيرة كما يلاحظ الشابستي . وكان دير هند او كما يقول ابن الاثير (الكامل : مجلد ١ ص ٣١٥ ، ٣٧٥) دير بني هند يقع شمالي الحيرة فقد ذكروا ان موقع ديار بني مريثة كان بين دير بني هند والكوفة .

في ١٩ نوفمبر ١٠١٣م انشئ يوحنا اسقف الحيرة ليكون جالقليسا ديلابورت (اكابر الكنيسة النسطورية ص ٢٨١ سنة ١٩٠٩) ويريوي ابو الفدا (التقويم : ص ٢٩٩) ان مدينة الحيرة بنيت قبل عهد النبي محمد (ص) على مسافة نحو فرسخ واحد من الكوفة ، في

ومن الممكن زراعة سهل الجرعاء . الذي كنا نجتازه الآن، وبلغنا نهايته الجنوبية في ٩٠٥ ، اذا ما رُوي رياً كافياً (٥٨) .

والى الاسفل من هذا السهل عند لحف سفح صخري يهبط الى السهل الفيضي من ناحية الجنوب يمتدّ نهر من الشرق الى الغرب . وسرنا على حافة الاجراف باتجاه جنوبي شرقي . وفي ٩٣٢ ظهر على يميننا اخلود قصير عميق ، كما ظهر على صخور فوق صفته اليسرى كدس آجر قديم . ونحدر هذا الاخلود من ربوة خرائب الكنيذرة . وفي الساعة العاشرة شاهدنا على يميننا عند اسفل الاجراف خربة صغيرة نوعاً ما تسمى خيط السلام . وفي ١٠١٥ رأينا على اليمين وعلى حافة الاجراف مباشرة خربة صغيرة ، كما رأينا في الساعة ١٠٢٠ خربة أخرى على الضفة اليمنى من الاخلود . وفي ١٠٢٥ انحدروا الى نهر عريض يبدأ من الجهة الشمالية الشرقية . وكانت تمتدّ على يميننا ، شرقيّ النهر ، بقايا بعض المباني الى مسافة بعيدة تصل حتى خربة الخورنق (٥٩) - حيث القينا الرحال في الساعة ١٠٣٥ .

وسط انهار متعددة : ويحسب روايات اخرى كانت تبعد ثلاثة اميال . وكان يسكن المدينة سلالة النعمان بن المنذر ، ومن هؤلاء المنذر بن امرئ القيس الذي تنصر . . وقد بنى كنيستين كبيرتين في الحيرة ، وهذه المدينة تقع بالقرب من موضع يسمى النجف . وكان القدماء يعتقدون ان الخليج العربي في وقت ما وصل الى هذا المكان .

(٥٨) ويطلق ياقوت في معجمه (م ٢ ص ٦٢) اسم الجرعا على السهل الرملي بقرب الكوفة ، الذي يمتد - على ما ذكر ابو حليفة في كتابه « فتوح الشام » - بين النجفة والحيرة وحيث خيم خالد اثناء قدومه الى العراق . وفي هذا السهل نفسه تنازع اهل الكوفة مع الصامل الذي يمت به الخليفة عثمان اليهم بخلاف رغبتهم الطبري : المصدر نفسه سلسلة ١ ص ٢٩٣٤ ، ٣٤٠٩ .

لم يعتبر ياقوت ولا الطبري كلمة الجرعاء من اسماء الاعلام ، وانما جعلها لفظاً يدل على السهل الحجري الخالص من النبات . [والواقع] ان سهلاً محرقاً كهذا يمتد على الهضبة التي بين موقعي الحيرة والنجف . (٥٩) حتى عام ٦٨٦ - ٦٨٨ م كان المسيحيون لايزالون يعيشون عند الخورنق (الطبري : التاريخ : سلسلة ٢ ص ٧٦٠) . وفي سنة ٦٩٠ - ٦٩١ م

قام الخليفة عبدالمك بزيارة للكونة وأولم وليمة لاهلها عند الخورنق
(المصدر السابق سلسلة ٢ ص ٨١٩ وما بعدها ، ابن خلدون ، العبر :
م ٣ ص ٣٤ وما يليها) .

وروى البلاذري في فتوحه (ص ٢٨٧ وما يليها) واما الخورنق فكان
قديما فارسيا بناه النعمان بن امرئ القيس ... فلما ظهرت المباركة
(العباسية) احدث ابراهيم بن سلمة فيه الخورنق في خلافة ابي العباس
ولم تكن قبل ذلك .

وكانت الاراضي المحيطة بالخورنق تزدهو بجمالها خاصة في الربيع ،
اذ تغطيها الازهار من جميع الانواع (الاغاني : ابو الفرج م ١٢ ص ١١٣) .
ويذكر المقيمي (البلدان : ص ٣٠٩) ان الخورنق بالقرب من الحيرة
مما يلي المشرق وبينه وبين الحيرة ثلاثة اميل والسدير في ابرية تقرب
منها .

ويحكى المسعودي في التنبيه (ص ٣٨١ وما بعدها) ان ابا طاهر
زعيم القرامطة نزل الموقع المعروف بالخورنق وحازها في أوائل كانون
الاول (ديسمبر) ٩٢٧م ، ونزل ابن ابي الساج في اليوم الثاني بالقرب
منه في الموضع المعروف بين النهرين مما يلي القرية المعروفة
بحروراء . ولم يلبث ان نشبت المعركة بينهما عند بلدة ، انتصر
فيها القرامطة ، الذين ساروا بعد ذلك من طريق الكوفة الى الانبار .
- وبين النهرين - من غير شك ، هو السهل الفيضي الضيق بين نهر
الخورنق القديم والغرات في الوقت الحاضر ، الذي يجري شرقي الكوفة
وابي صخير . أما الحروراء القديم فيمكن ان تكون الخرائب الواقعة عند
مخزن ابن براق [البضائع] وعلى نحو خمسة كيلومترات جنوب مدينة
الكوفة الحديثة ، وعشرة كيلومترات شمالي الخورنق (انظر ماسبق ص
٣٢ هامش ٥٩) .

ويقول الاصطخري (المسالك ص ٨٢) وابن حوقل (المسالك ص ١٦٣)
ان القادسية والحيرة والخورنق هي على طرف البادية مما يلي الغرب
ويحيط بها مما يلي المشرق النخيل والانهار والزرود .
ويصف ياقوت الخورنق (المعجم : فستقلد ، م ٢ ص ٤٩١ وما بعدها)
بانه قصر بناه المعمار البيزنطي سمنار للنعمان امرئ القيس ، واستغرق
بناؤه ستين عاما . وصعد النعمان ذات مرة الى سطح قصره ، ونظر الى
البحيرة التي امامه ، ثم الى الصحراء الممتدة ماوراءها ، فرأى انواع
الحيوانات على حقيقتها : ما عاش منها في الماء وما عاش منها على اليابسة
على السواء ، وكذلك اشجار النخيل . وفي احدى المرات كان جالسا في
الخورنق يتمتع نظره بما حوله فرأى الى جهة الغرب هضبة تتجذب

ومنسباً فسيحاً لفظه الجنائن ربساتين النخيل : تجري خلالها الجداول ،
والى الشرق : نهر الفرات الذي أحاط بقصره كالخندق ، فاخذته الدهشة
لما رأى من جمال المنظر .

ويقول ياقوت (المصدر نفسه مجلد ٢ ص ٢١٨ ، وأبو الفضائل :
المراسد مجلد ٢ ص ٨٠) ان الخورنق يقع على الطريق الموصل من
القادسية ماراً على السيلحون الى الكوفة - وأحد موقع السيلحون
عند الحافة الشرقية من بستان دسم القرب من بساتين جعارة . وكان
طريق الحاج قديماً يحاذي سلسلة قليلة الارتفاع تمتد من هذه النقطة
ويؤدى من القادسية الى الجنوب الغربي متحاشياً المستنقعات . وبني
عند بلدة السيلحون جسر من قوارب على جدول الحوض .

وبين ياقوت (المصدر نفسه مجلد ٢ ص ٣٧٥) ان الخورنق يقع على
مسافة ميل واحد تقريباً شرقي الحيرة بينما يقوم السدير في وسط
البادية التي بين الحيرة الشام . وهذه العبارة غير صحيحة ، لأنها تربط
بين قصر السدير وسهل السدير . وكان قصر السدير يقوم في السهل
الفيضي جنوبي قصر أبي الخصيب ، أما سهل السدير فكان يمتد جنوبي
بلدة كسكر على الطريق من الكوفة الى البصرة (المصدر السابق مجلد ٣
ص ٦١) . ويطلق ابن الفقيه (البلدان ص ١٨٧) اسم السدير على
جميع المنطقة التي بين نهر الخيرة ، والنجف ، وكسكر .

ويقول ياقوت (المصدر نفسه مجلد ٢ ص ٦٤٢، ٦٩٢ ومجلد ٤ ص ١٠٧ -
وأبو الفضائل : المصدر نفسه مجلد ٢ ص ٤١٨) ان القصر التابع لابي
الخصيب ، وهو احد رجال بلاط الخليفة المنصور ، قد بني في ضاحية
الكوفة على طرف هضبة النجف ، غير بعيد من السدير ، بقرب ديارات
الاساقفة . وهذه الديارات كانت تتكون من مشاهد ومجموعات قصور
مسورة . ويجري جدول الفدير الى اسفل منها ويقع قصر أبي الخصيب
على ضفته اليمنى والسدير على ضفته اليسرى . وقد بنت أسرة المانذرة
دسر مارة مريم بين قصر أبي الخطيب والخورنق والسدير ،
ويحتمل ان تكون أما على حافة الهضبة أو في اسفلها - ومن الممكن ان
تكون خرائب حيط السلام هي ما بقيت من مارة مريم .

وقد سافر ابن بطوطة (التحفة مجلد ٢ ص ١ ومابعدها) من مشهد
علي الى البصرة من طريق الخورنق في حماية قبيلة خفاجة التي كانت تملك

يبلغ طول هذه الخربة (شكل ٣٤) من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ستين خطوة . وهي مستديرة الشكل من جهتها الجنوبية الغربية وقد اخذت جميع مواد البناء الصالحة فيها او انها تؤخذ الآن . وتنقل والمنظر الطبيعي جميل في هذه المنطقة . فإلى الغرب ، الى يمين مدينة النجف . تُشاهد مرفعات صفراء تعلو في صحراء مقفرة ، وإلى الشمال والشرق مجموعات أكواخ صغيرة وكبيرة تظللها اشجار نخيل باسقة واشجار صفصاف وارقة .

واصبح بالامكان رؤية لمعان سطح الفرات هنا وهناك ، وتراعى برهة اشرة لتختفي في لحظة أخرى بين الاشجار . وإلى الجنوب يمتد سهل خصب كأنه حديقة واسعة يحدها الفرات من الشرق ، اما من ناحية الشمال فتحدها أجراف النجف الصخرية الوردية اللون ، ومن الغرب والجنوب الغربي صخور بيضاء وكتبان رملية . تعكس اشعة الشمس بصورة مؤذية للعين متى ركزت البصر عليها ولو لفترة قصيرة . وهواء الخورنق كان صحياً على اللوام لأن الرياح تهبّ طليقة من جميع الجهات دون مانع يعترضها .

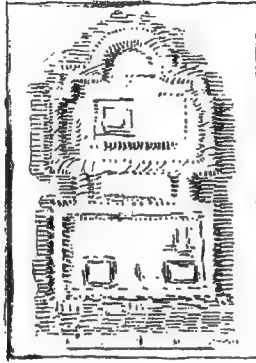
غادرنا الخورنق في الساعة ١١/٣٢ ومررنا فوق سطح (ذيب الشياحة) الى الجنوب الشرقي وفي الساعة الثانية عشرة شاهدنا اكواخاً ومسجد قريسة

الاراضي المجاورة بأسرها . وشاهد ابن بطوطة في الخورنق بقايا مختلفة لبعض المشاهد في سهل فسيح بقرب نهر يخرج من الفرات . ومن هناك ذهب الى قايم الوائق .

ويذكر ابو الفدا (التقويم : ص ٢٩١ ومابعدها) ان بعضهم يقول ان الخورنق نهر في منطقة الكوفة ، ويقول آخرون انها قصر .

وينكر ابو الفضائل (المصدر السابق مجلد ١ ص ٣٧٣) ان يكون الخورنق نهر ، ويؤكد انه كان قصراً لايزال قائماً في الاراضي المجاورة للحيرة . كما انه لايزال يمكن رؤية نهر يجري قريباً جداً من قصر الخورنق من الجنوب الغربي ، لعله كان في وقت سابق يسمى الخورنق ايضاً .

ابو صخير ، وكلها مبنية بالطين . وفي هذه القرية مقر القائم مقام . وتسمى البساتين هناك بالجَعَاوَة ، ويطلق هذا الاسم ايضاً على السد الذي يقع فيها الى الجنوب



(شكل ٣٤ - الخورنق)

الشرقي من قرية المَزْيَرِيْق وكانت على يميننا في الساعة ١٢٠٩ بعد الزوال خربة قديمة . وفي الساعة ١٢٣٢ توقفنا امام مقر الحكومة في القرية ، وهو مبنى ذو طابق واحد مشيد باللين . وهناك في الجانب الغربي باب يؤدي الى داخل فناء محاط بعمود قائمة على اعمدة . وفي الجانب الشمالي يوجد السجن . غادرنا ابو صخير في الساعة الواحدة بعد الزوال بطريق الحج القديم الذي يسير محاذياً ضفة الفرات اليمنى . واتجهنا الى مخيمنا الاصلي بقرب الكوفة . وفي ١٥٠ شاهدنا على اليمين قرية ابو جزرة الصغيرة . وفي ٣١٨ وصلنا الى خيامنا . وبدلاً فوراً اعداد رحلتنا الى القايم .

ولم تفكر في تلك اللحظة بزياره ابو غار لنشوب الحرب آنذاك بين سكان بلدة السماوة والحكومة ، وبين عشيرتي الخزاعل وزباد كذلك . ولما كانت عشائر ابن براق - والشبل ، والغزالات - التي تعمل بزراعة الاراضي الواقعة شمالي السماوة ، تمت الى الخزاعل بصلة قري . فقد كان هناك اكثر من سبب يحملنا على الشك في إمكان الحصول على حماية من احد : شمالي السماوة ، ضد زياد والقبائل المتحالفة معهم .

وفيما يلي عشائر بني سلامة : وهم فرع من قبيلة الخزاعل ، او كما يسمونه احياناً : المعدان

المسرود ويخيمون في الاراضي القريبة من كربلاء و (ورئيسهم : مسعود بن الهيثمي)

المغارة - ويخيمون في الاراضي الواقعة شرقي البرية

الغزالات . . .

الشبل -

بني حسن -

نسله . .

والعشائر الاربع الاخيرة في هذا النهر يخيمون في الجنوب الشرقي من وادي الخرق قرية القايم . والى جيب بني سلامة يخيم العجيب ، والزباد ، والبدور ورئيس مشايخ الباور هو شرشاب بن زويد .

ينحدر بنو زياد من الكركبة ، الذين ينتسبون الى فحطان ورئيس مشايخهم هو عزارة بن جنديل [قنديل] وخيامهم تمتد حتى عين صيد . وفي سنوات الوفرة والخير (الربيع) يرحلون بقطعانهم الى الصحراء حيث ترعى ماشيتهم في حماية قائل الضفير . والغايير - وشمر : او عنزة : ويأخذ الشيخ الذي يتولى حمايتهم نعمة مع وليدهما من كل خيمة . وفي أيار يعودون بقطعانهم ، والزبد والصوف الى الفرات .

من مخيمنا قرب الكوفة الى القانسية

في ٩ نيسان سنة ١٩١٥ ، في الساعة ٧ ٠٥ صباحاً بدأنا رحلتنا الى القانم ، وكان يصحبنا اخو دغيم ومعين . وظل معيني فاصر مع الخيام لرعاية الجمال وحراسة جزء من امتعتنا . وفي ١٥ ر ٧ عبرنا نهراً عريضاً قديماً . وفي ٧ ٤٠ كانت خربة فشيجة على يميننا . وفي ٢٠ ر ٨ سرنا على (درب القطعة) ، وفي ٣٥ ر ٨ على درب ابو صخير ، وفي ٤٥ ر ٨ بلغنا ضواحي النجف ، التي بقيت على يميننا . فوق حيطانها وسطوحها تألفت القبة الذهبية لمشهد الامام علي وكانت تُرى من مناطق واسعة بعيدة .

وبالقرب من طريق البحرة (بحر النجف) هبطنا في الساعة التاسعة من اجراف النجف الى نهر يأخذ المساء من الفرات باتجاه شمالي غربي الى المدينة مباشرة . وفي ١٢ ر ٩ توقفنا لسقاية الحيوانات وملئ* اثنين من قربنا الصغيرة .

وسرنا في الساعة العاشرة الى جهة الجنوب الغربي خلال حقول بحرة الزراعة الخصبة . وكانت هذه في اوائل العقد الأخير من القرن التاسع عشر بحيرة تغمرها المياه كلما فاض الفرات ومنذ زيارتنا هذه كان بناء سد السدة قد تم أخيراً فجنبت المياه ونحرت البحيرة الى اراضٍ خصبة ، قلماً يغمرها ماء السيح المتدفق من وادي الخر . واذا حدث ذلك فلا يلوم اكثر من بضعة أيام . وتقع أوطاً نقطة فيه الى الجنوب الغربي من النجف . الى الغرب من آخر بستان للنيل . . ولقد حرك السهل برمته الى حقول وبساتين للنخيل . وكانت تُمَاهِدُ هنا وهناك (قصور) مستطيلة او افنية واماكن يمكن للفلاحين وتحيط بكل قصر من الخارج جدران من اللبن قريبة الشبه بأسوار الحصن ، وفيها (باب) واحد يؤدي الى فناء الدار . حيث بُنيت الاكواخ والاستطيلات بسطوحها المسوية بمحاذاة الجدران . وكلما اقتربت جماعة صغرى من الجند الى مثل هذه المزرعة يُحكم الناس الذين في الداخل اغلاق الباب ، ويصعدون الى المتحوش . ويرصدون من المنحاحات [الكوآت] حركات الضيوف غير المرغوب فيهم .

ويمرّ طريق البحرة على سواقي ري كثيرة وكانت في هذا الفصل ،
الذي فصجت فيه الجيوب ، مملوءة باناء . ولم تكن هناك جسور ، ولم تستطع
حميرنا الوثوب الى جانبيها الآخر اذ كانت جميعها محملة بأمتعة مختلفة :
لهذا تحولنا قليلاً الى الجنوب عند (قصر الدعم) للخروج من هذه الحقول .
وبعد استراحة في قرية الجلابات من ٥٥ ر ١٠ الى ٣٠ ر ١١ اتجهنا الى الجنوب
تقريباً . وفي الساعة الثانية عشرة مررنا خلال بضعة خرائب مغطاة بطبقة سميكة
من الرمل .

في الساعة ٥٥ ر ١٢ بعد الظهر شاهدنا الى الجنوب الغربي : القصبام ،
مفردها القصيمة وهي رمال سفتها الرياح . وتكون هذه خطّ كتيان عالية منبسطة
السطح يمتدّ من جنوب - الجنوب الشرقي الى شمال - الشمال الغربي .
وفيما وراء ذلك غرباً قام قصر الطريفوي . وقصر حسو عبّيد ، وإلى
شمالهما قصر المزيراوي . وفي شرقي الأخير قصر الشقيج وقصر المظلم .
وفي الساعة ٤٥ ر ١٢ عبرنا نهر المدائن الذي يأخذ ماءه من هور المشخاب .
وتستعمل كلمة (الهور) في منطقة الفرات للدلالة على البقاع المنخفضة التي
يملؤها النهر بالماء من حين الى حين . وفي الساعة الواحدة وطئت اقدامنا نطاق
الكتبان المعروف بقصيمة أم غزلان . ويتفرع هذا النطاق من كتيان الرمل الواقعة الى
الشرق المسماة قصيمة ام نصبة . [ناسبة] وفي ١٠ ر ١٠ بعد ان غادرنا الأراضي
الفرينية الغنية وتابعنا السير على أرض صخرية ينتهي فيها شعب الاميلع :
دخلنا طريق الحج الجديد الذي يؤدي من الكوفة الى مكة ماراً بالقادسية .
وبعد الساعة ٢٨ ر ١٤ اخترقنا ارضاً غربية مستنقعة تتغلغل بين تلال صغيرة
تقع في الجهة الغربية . وفي ٤٠ ر ٢ وصلنا الى (غدير المقصورة) الواقع في
فرع مجرى شعب الحبيب . وكانت الحقول المحيطة به كلها مزروعة .
وشاهدنا الى الجنوب الشرقي (١٥) نخلة باسقة : والقرب منها بقايا جدران .
والى الشمال الشرقي من التخيّل قامت بعض اكرام آجر قديم . وهي بقايا أبنية

وبقايا بعض الحيطان . وهذا كل ما كان يمكن رؤيته من محطة الحجاج في القادسية . وقد وصلنا إليها في الساعة ٣٨ و ٣ بعد الزوال (٦٠) .

(٦٠) ويؤكد الشاعر المتلمس (الديوان - فولز ص ٢٠٠ وما بعدها) ان ملوك الحيرة كانوا يملكون : السدير ، والبارق ، والمبيض ، والخورنق وقصر السنداد ، والتمر بالقرب من آبار الاحساء ، والثعلبية جميعها . ويذكر ويذكر الهمداني (الصفة - ملر - ص ٢٣٠) القادسية بدلا من الثعلبية . والقادسية هي القراءة الصحيحة . فقد كانت الثعلبية محطة بسيطة فيها آبار وليس بها بساتين ، ولهذا من العسير ان نفهم لماذا اضاف الشاعر قوله : ان « جميعها » كانت ملكا للملك ، او ان الملك كانت له املاك خاصة به في منطقة نائية على حدود الاراضي التي تملكها قبائل لم تخضع خضوعا تاما لنفوذه قط .

ولما كانت القادسية ، من جهة اخرى ، محاطة ببساتين واسعة الارجاء ، فمن الواضح ان الشاعر عند اشارته الى هذه البلدة احتاج الى ان يبين ان ملك الحيرة كان مالك البلدة « جميعها » والبساتين التي حوالها . . وفي سنة ٧٦٢ - ٧٦٣ م احتل ابن معقل القادسية ليمنع اهل الكوفة من مناصرة الثوار في البصرة . (اعتاد اهل الكوفة الذهاب الى البصرة من طريق القادسية ، والعذيب ، ووادي السباع ، ثم يخرقون صحراء البصرة) ولم يلبث ابن معقل حتى اتاه الخبر من اهل موضع يسمى الشراف ، على بعد ميلين شمالي محطة الواقعة ، بان اثني عشر رجلا من الكوفة كانوا يقيمون في وادي السباع . فتبعهم ابن معقل ، ولحق بهم عند خفان على اربعة فراسخ من القادسية ، وقتلهم هناك . (الطبري : التاريخ سلسلة ٣ ص ٢٩٥) .

ويذكر ابن حوقل (المسالك ص ١٦٣) ان القادسية مدينة على شفير البادية صغيرة ذات نخيل ومياه ، ويزرع بها الرطاب الكثيرة ويتخذ منه الثقت علفا لجمال الحجاج وغيرها .

ويذكر المقدسي ايضا ، احسن التقاسيم (دي خويه) ص ١١٧ ، ان القادسية مدينة على سيف البادية تعمر ايام الحج ويحمل اليها كل خير لها بابان وحصن طين . وقد شق لهم نهر من الفرات الى حوض على باب بغداد ، وثم عيون عذبية وماء اخر يجرونه عند باب البادية ايام الحج وهي سوق واحد الجامع فيه .



(شكل ٣٥ - القادسية من الشمال)

القادسية الى الرحبة

الى الجنوب الغربي ظهرت قلعة الرحبة المعروفة بقصر السيد . وقد وصلنا اليها في الساعة الرابعة بعد مرورنا بحقول زراعية خصبة ، ونصبنا الخيام في الجانب الشمالي منها .

وقلعة الرحبة (١٦٠) لا يسكنها غير الفلاحين وتوجد خارج الباب الشمالي بعض الاكواخ ومزرعة صغيرة .

(٦٠) ويذكر الشايشى في الديارات (مخطوطة برلين) ورقة ١٠٢ الجهة اليسرى ، ان دير سرجيس كان بطير ناباذ بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق وبينها وبين القادسية ميل . وكانت ارضه محفوفة بالنخل والكروم والشجر والحانات والمعاصر . وكانت احد البقاع المقصودة والنزه الموصوفة .

وقد خرجت الان وبطلت وعفت آثارها وتهدمت آبارها ، ولم يبق من جميع رسومها الا قباب خراب وحجر على قارعة الطريق تسميه الناس معصرة ابي نؤاس .

=

واسرع الينا صاحب المزرعة ورجانا التزول عنده ، اذ كان في هذه المنطقة كثير من هربوا من الخدمة العسكرية يجوبون كل مكان ، ومن الممكن ان يهاجمونا وينهبونا . ولهذا فان اصحابنا قاموا بنقل امعتنا الى مزرعة الرحبة ، بينما ذهبنا - - انا وخلف - الى مشهد ابن حسن على مرتفع قريب ، حيث استطعنا من هناك ان نرسم خريطة للمنطقة المجاورة . والى شمال - الشمالي الغربي ، على نحو ثلاثة كيلو مترات من المشهد ، يقع قصر التجارية في خليج صغير من السهل القيصي ، والى الغرب منه يتدفق ينبوع غزير يحمل نفس الاسم . وثمة ينبوع اكثر غزارة منه يسقى عين السيد يقع على نحو اربعة

وقد خربت الان وبطلت وعفت آثارها وتهدمت آياها ، ولم يبق ممن جميع ويقول ابن جبير في رحلته (دى خويه ص ٢١٠) ان القادسية مستوطنة كبيرة فيها بساتين النخيل ، ومناهل الماء التى تمتلئ من الفرات .

ويذكر المدائني ان القادسية كانت تسمى القديس بادية الامر ، ويشق ابن هشام اسمها من مزرعة قديس بالقرب من العديب . والمسافة من القادسية الى الكوفة خمسة عشر فرسخا ، والى العديب اربعة اميال (ياقوت : المعجم ، مجلد ٤ ، ص ٧ و ٩ ، ابو الفضائل : المرصد [يوينبول] مجلد ٢ ص ٣٧٦ .

ان ياقوت وابا الفضائل كليهما يذكران المسافة بين القادسية والكوفة خطأ بالفراسخ بدلا من الاميال . ويمكن ان يكون المقصود بـ (قديس) هى الرحبة الحالية .

ويشير ابو الفدا (التقويم ص ٢٩٩) الى القادسية بقوله انها بلدة صغيرة فيها بساتين النخيل ومياه وافرة ، وموقعها يماثل موقع الحيرة ، والخورنق : بين الصحراء والمنطقة الزراعية .

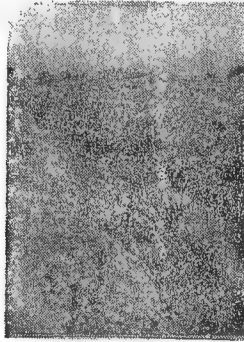
ويذكر القريري (الواظف) مخطوطة قينا : ورقة ٢٨ اليسرى وما بعدها ان مدينة القادسية واقعة في طرف الصحراء غربي منطقة بغداد ، وان ماءها ليس بالغ الجودة ، ويزرع فيها علف كثير .

ويصف حاجي خليفة (جهان نامه : القسطنطينية ، ١١٥٤هـ ، ص ٤٦٥) بلدة القادسية الصغيرة بانها اشتهرت ببساتين نخيلها ووفرة مياهها . وتقع على حدود الجهات الزراعية الغربية من العراق .

كيلو مترات الى الجنوب الغربي من الرّحبة ، ويجري منه نهر كبير في
مناقية عميقة الى الرحبة يروي مزارعها (شكل ٣٦) . (٦١)

الرحبة الى القسايم

ان الحوض الذي تقع الرحبة عند طرفه الجنوبي يمكن زراعته ، من ناحية الغرب ،
مسافة ثلاثة كيلو مترات على الأقل ، وما يزرع منه الآن يقع حوالي التّجارية .
ولم أدخل القلعة . وفي المساء حددنا خط العرض ، ولم نستطيع النوم بعد ذلك
لأن حراسنا امضوا الليلة كلها في الرقص ، والغناء ، واطلاق النار .
وسرنا يوم ١٠ نيسان سنة ١٩١٥ . وفي الساعة ٣٥ صباحاً الى الجنوب الشرقي مخترفين
متبسطاً خصباً من الأرض ، يكتنف الزرع بعض جهاته . وتركنا طريق الحج عند الرحبة



(شكل ٣٦ نهر السيّد من الشرق)

(٦١) ويروي الطبري (التاريخ : ص ١٦٧) ان شيبا قدم الرحبة مع جيشه سنة
٦٩٧ للميلاد .

وفي ٥٠٠ هـ عرفنا شعب الوديجان الذي تقع مزرعة (قصر عقّار) على ضفته اليمنى .
 وفي ١٠٦٠ كُنا في شعب الوُعَيْرَ شرقاً الماء الذي يحمل نفس الاسم . وفي ٢٥٠٦
 ظهرت مزرعة أبو رويس للعيان الى الجنوب الشرقي وسط لمعان سطح
 بحيرة كبيرة تسمى بحرة ام السباع . وهذه بحيرة فصلية اذ كلما انخفض منسوب
 الفرات تبخر ماؤها وجفت سوى بركٍ ومستنقعات صغيرة تظهر هنا وهناك
 فقط . وأمكن رؤية بيوت الفلاحين التي تنتشر على البحيرة كلها - ويقوم
 هؤلاء بزراعة أرضها المستنقعة بنبات يسمى [الشلب] بذور (التّمن)
 وهو شبيه بالرز . وفي ٣٨ و ٦ كانت مزرعة قصر سعد على يسارنا . وفي
 ٤٨٠ صعدنا من المستنقعات الى منطقة مرتفعة صخرية تحدد الأرض المنخفضة
 من الغرب والجنوب . وفي الساعة السابعة مررنا ، قرب قصر أبو لبن ، بقاع
 شيب أبو طلع الجاف الذي يأتي من جهة خزّان الست زبيدة على طريق الحاج

وفي النصف الثاني من القرن الثامن اقام ولي العهد عيسى بن موسى
 في ضياعه بالرحبة ، ولم يزر الكوفة الا خلال عطل رمضان وذى الحجة
 (الطبري : قسم ٣ ص ٤٦٧) .

ويرد ابن جبير (الرحلة : ص ٢١٢) الذي كان هناك في اوائل
 مايو سنة ١١٨٤ ، ان الرحبة تقع بقرب العديب ، وانه توجد عدة منازل
 ماهولة هناك ، وان سكانها يستقون الماء من عين دافقة بأعلى البلدة .
 ويذكر ياقوت (المعجم مجلد ٢ ص ٧٦٢) ان بلدة الرحبة تقع شرقي طريق
 الحاج مقابل القادسية على مسيرة يوم واحد من الكوفة . وكان قد حل
 بها الخراب في أيامه ، نتيجة لما قاسته من غزوات البدو ، ولا توجد
 بلدة اخرى وراءها . ويحكى ياقوت عن السكوني قوله : ان من اراد
 الذهاب الى المنطقة الزراعية (الغرب) عليه الشخص من
 محطة (المنيعة) الى العيون الواقعة على اطراف الحجاز : واول
 هذه العيون عين الرحبة التي تبعد ثلاثة اميال من القادسية - ومن ثم
 الى الخفية . ويضيف أبو الفضائل (الراصد : مجلد ١ ص ٤٦٤) قوله
 ان بلدة الرحبة كانت خرائب في عهده .

(*) جوردن لشتال ، ويبدو ان المؤلف لم يدرك تماما ما كانوا يزعمون . المراجع

وكان المسافرون الذين لقيناهم يحامون السلاح ، كما كان يحمله الفلاحون العاملون في الحقول . ويكون هؤلاء على اللوام جماعات ؛ ليكونوا أقدر على حماية انفسهم من شرور الهارين من الجنديّة .

وفي ٨٠٨ عبرنا شعيب ام دودة . حيث تنمو بعض أشجار النخيل . ورأس هذا الشعيب قريب من مخفر أم قرون على طريق الحج ؛ أما قسسه الأعلى ، حيث تقع [بركة] حمد ، فانه يحمل اسم ام السباع (٦٢) . واسترحنا من ٨١٤ الى ٨٤٦ .

(٦٢) (انظر ص ٤٢) . عين السيد هي العذيب قديما . وكان من عادة تغلب أن تنصب خيامها بالتناوب عند العذيب وقصر متاسل (القطامي : الديوان - طبعة بارث - ص ٥١ ، ٨٩ - قصر مقاتل هو شئالة الحالية .

في سنة ٦٣٥ للميلاد خيم المسلمون بقيادة سعد بن عديب الهجانات وعديب القوادس ، ومن هنا شنوا الفارات سواء في الصحراء أو في المنطقة الزراعية . وقد بنيت مدينة القادسية بين الخندق العتيق . وامتدت الى يسارها أرض سبخة خضراء بين طريقين حتى كادت تصل الحيرة بامتدادها . يخترق أحدهما مرتفعا تسفحه الشمس ، ويسير الآخر بمحاذاة شاطئ الخوض حتى يصعد الاجراف الواقعة بين الخورنق والحيرة . والى يمين القادسية سهل فيضي حسن الري يمتد حتى الولجة . وخيمنت طلائع المسلمين فيما بعد عند القادسية ، بين العتيق والخندق ، مقابل جسر حجري ، وعلى بعد ميل واحد تقريبا كانت تقع بلدة قديس حينذاك . وترك سعد جميع نساؤه تحت حماية فرسانه عند العذيب ، وسار ببقية جنده [للاغارة] على القادسية . (الطبري : قسم ١ ، ص ٢٢٨) .

وبعد الانتصار في معركة القادسية أمر سعد بنقل قتلى المسلمين الى العذيب حيث دفنوا على سفوح وادي المشرق بين العذيب وعين الشمس (الطبري : قسم ١ ص ٢٣٠) .

وعديب الهجانات هو عين السيد الحالية ، وعديب القوادس عين النجارية . وربما كان الخندق سدا فارسيا يمكن رؤية بقاياها غربي بساتين القادسية . ولعل العتيق هو ذلك النهر القديم نصف المظفور الذي يتصل بالسد [المذكور] عند طرف البساتين . ويسير الطريق الغربي محاذيا للمرتفعات التي تسفحها الشمس ، أما الطريق الشرقي فكان يتابع المرتفع الضيق الطويل الذي يمتد من القادسية نحو الشمال الشرقي .

وما زال في الامكان رؤية بقايا نهر الخضوض عند اللحف الشمالي الشرقي من هذا المرتفع . ويستؤثر هذا النهر القديم بالقرب من الشبنة قليلا نحو الغرب في اتجاه بساتين القادسية . ويجب البحث عن الوجة عند عين [ضاحك] الحالية ، لأن السهل الفيضي تنفعه المياه في موسم الفيضان حتى هذا الموضع . ولا تزال بقايا النهر القديم والسد ترى على مسافة كيلومترين الى الشمال الشرقي من الرجة : ولهذا فاني اعتمد ان الرجة بمعناها الدقيق هي القديس القديمة . ويجب ان نبحت عن قبور شهداء المسلمين على مرتفعات ابن حسن . وأخيرا فان وادي المشرق هو الاراضي المنخفضة التي بين عين السيد وعين النجارية .

في سنة ٦٨٠ - ٦٨١ م احد الفرسان المحاربين من قبيلة طي في طريق بني ثعل للانضمام الى الحسين بن علي ولما أصبح على مقربة من عذيب الهجانات ، بلغه الخبر بان الحسين لم يستطع الوصول الى الكوفة ، فقل راجعا (الطبري قسم ٢ ص ٣٠٥) .

وبذكر ابن رسته (الاعلاق : ص ١٧٥) العذيب موضع مسلحة كانت للفرس على طريق البادية .

ويروي قدامة (الخراج ص ١٨٥) ان العذيب كانت حصنا بين العرب والفرس على حدود البادية . وكان على طول الطريق كله من القادسية الى العذيب صف من الاسوار المحيطة ببساتين النخيل .

واورد البكري (المعجم ص ٤٢٣) أبيانا للشاعر القطامي يذكر فيها الاماكن التي كانوا ينزلون بها في الصيف بين العذيب ورأسب .

وكتب بن جبير في رحلته (ص ٢١٢) ان العذيب واد تكثر فيه الراعي والعيون ، وكان ثمة بناء بالقرب منها .

وبذكر ياقوت (المعجم مجلد ٣ ص ٦٢٦) ان وادي العذيب ملك لبني تميم ، وهو محطة للمسافرين على طريق الحج من الكوفة الى حدود الاراضي الزراعية . ويقول نقلا عن السكوني ، ان المسافة من القادسية الى العذيب ستة أميال .

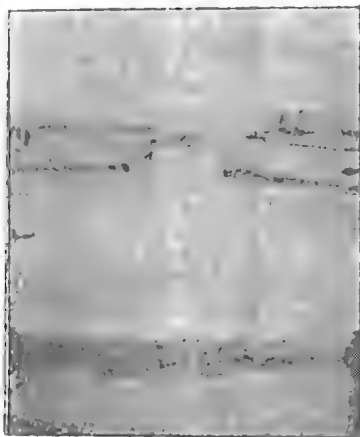
ويضيف ابو الفضائل الى ذلك (المرصد مجلد ٢ ص ٢٤٣) ان العذيب فيه منهل للعياه على مسافة اربعة أميال عن يمين القادسية على الطريق الموصل من محطة الحجاج المسماة منارة القرون ، وانه ملك لبني تميم . وكانت في الازمنة القديمة مزرعة في العذيب تسمى القديس ، ومنها اشتقت بلدة القادسية التي تقع على بعد اربعة أميال من الوادي الذي

وكان دليلنا فلاحاً من ام يزونه ، استأجرناه في الرحبة وكان يشكو شكوة مريرة من الحكومة . فقال: ان الضرائب لا نهاية لها . فما ان يدفع الفلاح - وهو أمّي غالباً - ضريته المقررة حتى يأتي اليه الجابي ثانية مصحوباً بالدرك او الجنود ويطلبه بدفع مبالغ أخرى ، ومن لم يكن قادراً على الدفع او أبي ذلك ضربه حتى يباحر أقرباؤه بدفع آخر فليس عليه . وان لم يجد الجابي الرجل المطلوب في بيته ، ضربت زوجته او ابنته . ولهذا السبب هرب الفلاحون من قراهم الى الصحراء ، حيث انضموا الى القبائل التي تعمى بتربية الماعز والاغنام ، ومن هناك كانوا يقومون بغاراتهم على الاماكن التي ظلت مواليه للحكومة للحصول على السرقة والملابس وكانوا يشترون الاسلحة من الهاربين من الجنسية ومن الدرك ويزعم هؤلاء بعد ذلك انهم هوجموا وسلبوا . وكان الزنوج التابعون لابن رشيد يرغبون في بيع اسلحتهم واسلحة غيرهم ايضاً . . وبهذه المناسبة اخبرنا نازل بأن راشداً هذا والعبيد الآخرين الذين قدموا التجف معنا ، باعوا في خمسة ايام (٣٨) بندقية موزر كانت الحكومة التركية قد بعثت بها الى ابن رشيد .

في الساعة ٤٠ ر ٩ كانت قرية ام العصافير على يسارنا وكانت القري في هذه المنطقة محاطة بالماء تماماً ، لهذا كانت القوارب هي وسيلة النقل الوحيدة وان اشرعتها كانت تُشاهد على جميع انحاء المنطقة الواقعة الى الشرق والى الجنوب الشرقي . وفي الساعة العاشرة عبرنا شعب العاصي الذي تقع اعاليه في

اشتقت اسمها منه (ياقوت ، المجلد ٤ ص ٧ و ٩) .
 وبين ياقوت ان وادي البحت ، بالقرب من محطة العديب ، يقطع طريق الحج من الكوفة الى البصرة ، وان الحازمي ينفي ذلك (ياقوت ، المصدر السابق ، مجلد ١ ص ٩٨) .
 ويقول ان بطوطة في وصف العديب (التحفة دزيميري وسانكوييتي ، مجلد ١ ص ٤١٣) وكان قد زارها في نهاية سنة (١٢٢٨) انه واد خصب ، بناءً لمرعى جيد الى جواره .

المغيثة . ورأينا موكب جنازة أيضاً مكوناً من ست حثت محمولة في صناديق
 [نوابيت] مكشوفة . وكانت لحبة الحطيب (اي امام الصلاة) المرافق للجنازة
 مخضبة بالحناء ولكن شاربته الاشيب ترك على حاله ، وفي ٢٥ و ١٠ أتيننا
 خرائب الثرثور . حيث بقينا حتى ٣٧ و ١٠ . . وكانت القرية القديمة تقع
 على مخروط معزل عن الطرف الغربي من سهل كان حصباً يوماً ما واصح الآن
 أرضاً مغمورة بالماء . وكانت اسس الابنية مبنية بالحجر . ولكن الجدران
 قد بليت باحجر كبير الحجم على مثال ما براه في المدي الناقية من العصر النابلي



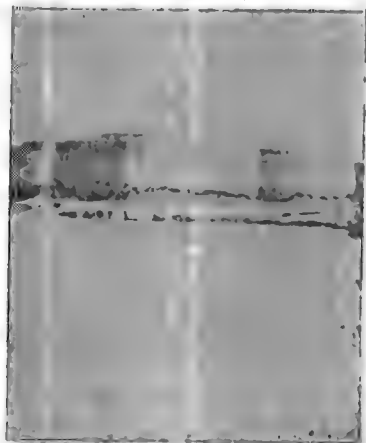
(شكل ٣٧ - المقام من الشرق)

وبواصل الملاحون نفيهم في الثرثور باثنين المحمارة والآخر على السواء
 في الشتافية .

١٦٩

المغيثة . ورأينا موكب جنازة ايضاً مكوناً من ست حثت محمولة في صناديق
 [نوابيت] مكشوفة . وكانت لحبة الحطيب (اي امام الصلاة) المرافق للجنازة
 مخضبة بالحناء ، لكن شاربته الاشيب ترك على حاله ، وفي ٢٥ و ١٠ أتيننا

وفي ١٥ ١٠ صعدنا إلى السهل بصحري المرتفع ومن هناك رأينا أمامنا
قلعة القاييم (٦٣) وإلى شرق - الشمال الشرقي منها رأينا دجيل وأكرواح بلدة
الشاذلية الصغيرة . وفي ١١ ٠٦ رحلنا في قرية القاييم . وهي قرية صغيرة
لا تكاد أكواحها الثالثة تمنع حمى . وعشرين تتجمع شمال القلعة . ونقوم



(شكل ٢٨ - قلعة القاييم)

(٦٣) يذكر بالوث (المعجم مجلد ٣ ص ٢٩) أن الساع اسم موضع ، وأن
وادي الساع يقع فيما بين ركة أم جعفر عن طريق الحاج على مسافة
لثلاثة أميال من الزبيدية . ويقال أنه كانت هناك قلعة ، وغدير من مياه
الطر ، وبئر يزيد عمقها على أربعين قامة ، وفيها ماء عذب .
ويضيف أبو الفضائل (المرآة (يونيبول) مجلد ٢ ص ٧) إلى ذلك
خطا أن الساع يقع على طريق الخدي من البصرة إلى المدية . وسرقة
أم جعفر مطابقة للحوض المعروف بـ (برج الست وبيدة) .

القلعة على الضفة اليمنى من نهر كبير ينبع من عين في الصخور تقع في الناحية الغربية ، على بعد مائتي متر تقريباً (أشكال ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩) . والقلعة غير مسكونة ، وجدرانها متصدعة وفي بعض المواضع منهارة . وبينها وبين العين بركة رائعة مملوءة بالسلك . وإلى الشمال الشرقي من القلعة يرتفع تل صغير ، فيه بقايا جدران قديمة ، يسمى [الكوكب] ؛ وإلى الشرق توجد خرائب دوراك ، وفي غربها ركام مرقد عبد الله بن الحسن .

عودة إلى الحيرة

ان قرية الشنافية الكبيرة محاطة ببساتين النخيل وفي غربها رأينا الضوء يسطع على سطح هور الصليب وإلى الجنوب هور ريش حيث ينتهي شبيب المهاري . ويقع صلب الأخير إلى الجنوب بالقرب من غدير ابو مريس شرقي السميعة . وفي الجنوب الشرقي من هور ريش توجد قرى عين [ضاحك] ، الخفس الواقعة في حقول تحمل نفس الاسم ، الدهيمة ، الغداري ، عين البحيرة وجو عموده . وفي مستنقعات الغداري ينتهي شبيب ام العواجل وشبب الشنان الآتيان من بئر الفرج ، وفي الشمال الغربي من هذه المستنقعات ينتهي شعيبا العويينة والتماد . كل هذه الشعبان تقطع سهل ام خيلان المتعرج الذي يندمج بالتدرج في سهول القرات الغربية . وإذا اتجهنا نحو الجنوب الشرقي ابتداءً من النجف ، وعلى طول حافة سهل صخري مرتفع تؤلف ام خيلان جزءاً منه ، أصبح من الممكن رؤية كلبان رمل واطلة تعرف باسم القصايم .

ولم يستطع مرافقي ابن براق مواصلة السير معنا ، اذ كانت عشيرته في حرب مع عشيرة زياد الذين كانوا يقيمون آنذاك جنوبي القاييم وكان المشهدي ، التاجر الذي أكثرنا منه الحمير ، يخشى ان يسلبه رجال زياد لذلك رجاني أن أتوجه الى مكان آخر للحصول على الحيوانات التي احتاج إليها اذا ما قررت متابعة السفر الى الجنوب الشرقي . وكانت هذه قاصمة الظهر . ولما رايت اني لا استطيع العمل بصورة فعالة في بلاد تنشب فيها



(شكل ٣٩ - القايم - النبع)

الحرب ليس على الحكومة القائمة فحسب بل الاسوأ من ذلك :حرب اهلية بين القبائل ، لذلك انعطفت ثاينة في الساعة ٣٥ ر في اتجاه شمالي غربي . واسترحنا من ٣١٠ ر الى ٣٤٠ ر . شمالي الشافية حيث ظهرت قرية الشاطي من ناحية الشرق . وفي الساعة ٣٥٤ ر كانت قرية أم قبيرة الى شمال - الشمال الشرقي - والى غربها خربة عالية وقرية (تلك) الجديدة .

واخبرنا الدليل بان رجلا يسمى الأخيضر هو الذي بنى قلعة الرُحبة وكان يملك القصر الذي يحمل نفس الاسم ، ويقع هذا القصر الى الجنوب الغربي من كربلاء . لذلك فان فلاحي الاراضي المجاورة للرحبة يعتبرون الاخضر رجلاً ، و (ال) التعريف عندهم تعني ما تنبيه (آل) او (ابن) لدى البسوة فمعنى (الاخضر) اذن هو (سليل الاخضر) .

وقال رجل كبير السن من قرية القايم ان قلعة القايم كانت فيما مضى ملكاً لعشيرة خفاجة التي اخذت تتولى حراسة الطرق التجارية الى البصرة وأهملت العمل بالزراعة لأن القايم تقع على حافة وادي صخرية قاحلة .

ولما كانت العودة من الطريق الذي أتينا منه لا تحظى باهتمامنا لذا تحولنا الى السهل الفيضي المنبسط . وفي الساعة ١٠هـ رأينا الى شمال - الشمال الشرقي خرائب مخروطة الشكل تسمى نيشان الطوق ، وإلى الجنوب الشرقي منها توجد قرية أم بزونة ، وابتعد من ذلك في الاتجاه نفسه نخيل قريتي أم البطّ والشاطي . وتقوم في شرق -- الشمال الشرقي من أم بزونة بحرية أحمر وتليها على النهر قرى الدحرية والحنف والحمام وأمّ عودة والهارمية . ولا نزال بعض الخرائب قائمة في الحمام أيضاً . وفي الساعة ٢٠هـ كان الى يسارنا تلّ قامت عليه خرائب القرية وفي ٤٨هـ وصلنا الى قصر مسعود وخيمنا بالقرب منه . وكانت الارض المستنقعة المغطاة بالملح رطبة جداً بحيث اتنا غصنا الى الكاحل فيها . وتشاطل مرافقونا بمداغة الفلاحين الذين كانوا يعملون في أحسد الحقول المجاورة المزروعة بالثلب . وفيما كان الحرس مشغولين بننائهم كنا نحن تحت رحمة ملائكت البعوض تحتشد حوالينا .

١١ نيسان سنة ١٩١٥ . . كنت أتطلع بسرور الى رحيلنا عن هذا المكان . اذ لم استطع ان أغمض عيني طوال الليل . ولم اكن قد اعتدت على البعوض بعد ولم اعرف كيف احمي نفسي منه . وارتحلنا في ٢٥هـ صباحاً وعبرنا في الساعة ٣٨هـ مجرى شهب الوديقان وكان نهراً للري يوماً ما . وفي الساعة السادسة وصلنا الى سلسلة وعلية ممتدة من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي . وكان يسير على امتدادها طريق الحجاج السابق الموصل من القادسية الى الخوروق . وفي ١٦هـ عبرنا نهراً يجري الى الشمال الغربي وعلى جانبه الشمالي تمتد خرائب الشينة القائمة التي لم تعد الان سوى بضعة اكوام كبيرة . ويجري الى الشمال الشرقي منها نهر مملسوء بالمساء وتقوم خلفه جدران مبنية بالآجر لقلعة من القرون الوسطى ذات ابعاد كبيرة نسبياً ولم يكن في الامكان فحص هذا البناء ، مع رغبتنا في ذلك ، اذ لم تكن لدينا وسيلة لعبور النهر المحيط بالربوة التي ترتفع القلعة على قمتها .

في الساعة ٦:٥٧ كنا عند خربة الرُمادي غربيّ أم عودة، وإلى الجنوب الغربي من بستان نخيل دمم . وفي ٧:٢٤ عبرنا النهر القديم الممتد من خرابب الصنّين (٦٤) باتجاه جنوبي غربي إلى القادسية .

من الساعة ٨:٥٣ إلى ٩:١٥ توقفنا للاستراحة بجانب مرتفع الراقوب . وهو مرتفع احمر اللون يقع إلى الجنوب الشرقي من قصبة أم غزلان . وفي ٩:٥٣ وصلنا إلى طريق الحج وتابعنا السير خلال مزارع المشخاب . وفي ١٠:٣٠ عبرنا نهراً يأخذ الماء من الفرات . وفي ١٠:٤٦ رأينا إلى الغرب قصر المظلوم وفي الجنوب الشرقي منه : الشجيج أو [الشقيق] ودخلنا في الساعة ١٢:٠٦ بعد الظهر بساتين التجف حيث تُفصل زراعة اشجار النخيل والرمان والتوت دون غيرها من الاشجار .

وفي ١٢:٢٩ كنا في التجف .

وبعد القيام بزيارة كلٍّ من القائمقام ورئيس البلدية نسخت بحضور نازل واثنين آخرين من اهل المنطقة ممن له معرفة بالاقليم ، جميع الاسماء الجغرافية بين العلاء والتجف من دفتر مذكراتي ، ثم تهيأت لرحلة اخرى إلى الشمال . واصبحت الآن منهوكةً بدنياً وعقلياً بحيث اني تشوّقت إلى فترة راحة وهذوء أطول ببغداد . وصحّح أن نازل وعادني مرة بعد اخرى بمرافقتي حتى البشري ولكنني علمت انه سوف يصعب عليه الرفاء برعده ، ففي اللحظة التي سيقبل عليه الحنين إلى موطنه فانه ستركني دون شك ويعود مع اقربائه إلى الصحراء . وفي هذا الزّقت بالتحديد طلب الاذن له بقضاء الليلة مع ابناء بلده . ولم اكن لأوافق على ذلك طبعاً لأنني اردت أيسّن له فوراً كراهيتي لفراقه ولكن يظهران عدم موافقتي زادت في تعكير مزاجه اذ لم يأت خيمتنا ذلك المساء ولا تلك الليلة .

(٦٤) انظر فيما بعد ، ملحق ١٩ .

الفصل التاسع

الحيرة الى بغداد مروراً بالفلوجة

الحيرة الى المسيب

في ١٢ نيسان سنة ١٩١٥ قمنا بتحميل خيامنا وامتعنا (شكل ٤٠) ،
وودّعنا دغيم بن براق . ورجعنا الى النجف لأخذ اشياتنا التي تركناها في عهدة
القائمقام . وبعد تحميل هذه أيضاً . بدأنا في الساعة ٩ر١٠ صباحاً ، بصحبة رجلين
من البرك : السير في الطريق السام الموصل الى كربلاء (٦٥) . وبقينا من ١٠ر٥٠

(٦٥) يذكر حمزة الاصفهاني (التاريخ ص ١٠٤ وما بعدها) ان امراء
القيس بن النعمان استخدم المعمار البيزنطي ستمار لبناء قلعة (حصن)
صنّين .

وفي عام ٦٣٥م ارسل سعد جماعة من جنود المسلمين في ليلة مظلمة
لمهاجمة الحيرة . وبعد الانطلاق من محطة المذيب عبروا جسر القوارب
مند السيلحين بغية الوصول الى هدفهم . وعند سماعتهم فجأة جلبة
صادرة من حفلة عرس كبيرة توقفوا وخبأوا أنفسهم حتى اجتازت الجماعة
بهم في اتجاه الصنّين . وكان حاكم هذه البلدة قد تزوج ابنة والي الحيرة
الفاوسي (الطبري ، التاريخ [دي خوية] السلسلة ١ ، ص ٢٢٣٢
وما بعدها) .

وقد وصل المسلمون الى الطرف الجنوبي من بساتين الجعارة الحالية ،
وذلك بطريق المرتفعات الواقعة على الجانب الايسر من النهر . وهناك
عبروا النهر بواسطة الجسر ، وراقبوا حفلة العرس . وظلوا مختلفين جهد
الامكان في انتظار مرور الجماعة بجانب الجسر ، ولما استداروا على
يمين النهر باتجاه الصنّين ، فاهموهم بغتة ، واسروا العروس .

ويكتب ياقوت ، المعجم (فستنفلد) ، المجلد ٣ ص ٣٠ ، ان الصنّين
كانت بلدة فيما سبق بجوار الكوفة ، حيث اقام المنذر احياناً .
وكان ثمة نهر وحقول .

الى ١١/١٩ نسير بمحاذاة الحد الشمالي لهضبة المغوطة الى ان وصلنا في الساعة ١٢:٢٥
بعد الظهر الى خان المصلّى . وتقع في سُرق هذا الخان قلعة درويش . ثم
تركنا جمالنا ترعى من الساعة ١٠ الى ٥:٠٠ في بُلتان الحُمُر ، وهو موقع
غير بعيد عن خان جلعان وتليل الأيب . وفي ٨:٠٥ نصبنا الخيام عند مبنى متهدم
بقرب خان صَبَّار .

١٣ نيسان سنة ١٩١٥ . . بدأنا السير في ٤:٤٥ صباحاً ، ولكنني اكتشفت في
٥:٠٥ فقدان دفتر مذكراتي ، وسرعان ما أدركت وجهي وعدتب خَبِيئاً الى خان صَبَّار
وهناك اعيد الكتاب اليّ من قبل رسل درك محليّ . وكان قد تسلمه من صبيّ
وجله في ارض المخيم . وكان الصبي قد فُتس المكان صباحاً تفقيشاً دقيقاً عسى
ان يجد شيئاً نسيناه يستفيد منه . والذي حدث اني بعد ان سجلت فيه قبل الفجر
وقت مغادرتنا وضعته في جيبي . ولم أدنعه الى اللاخل بدرجة كافية ، لذلك
سقط مني عند ركوب الجمل . وقد منّا مكافأة مناسبة لكلّ من الدركي والصبيّ ،
فقد كان الدفتر يشتمل على مذكراتٍ وصفيةٍ ابتداء من ١٦ آذار ، وان فقدناها
بتعذر تعويضه .

وفي ٥:٥٥ بدأنا السير ثانية الى الشمال ، وفي الساعة الثانية عشرة وصلنا
الى خان بن نخيلة . وفي الساعة الواحدة رأينا الى الشمال خرائب الزيبيلة ، كما رأينا
في الساعة ١٠:٢٠ بعد الظهر قرية السليمانية من ناحية الشرق . وفي ٥:٢٠ كنا
عند الجسر في بساتين كربلاء

وبعد أن طلبت من رفاقي الذعاب مع الجمال شمالاً خلال هذه المدينة
ذهبت مع الدركي الى مبنى الحكومة لزيارة المتصرف وكان هذا الموظف مشغولاً
بمؤتمراتهم . لذا كان حديثنا قصيراً بالضرورة . كانت طرقات
كربلاء خالية .

إن الحياة التي سبق ان شهدناها هناك سنة ١٩١٢ اصبحت شيئاً من الماضي .
وكان الجنود كثرة في كل مكان . ووجدت رفاقي عند الطرف الشمالي

من البساتين بقرب معامل الآجر القلجمة . وفي المساء جاء المتصرف وأمر الدرك لزيارتنا ، غير أنهما لم يمكثا طويلا فقد تبين ان البعض كان لا يطاق . وقد حذرانا كثيرآ من اللصوص ، الذين اتخذوا من هذه المعامل مقراً مفضلاً لهم في الايام الأخيرة . وكانت المعامل فيما يبدو مهجورة ، وعلى العموم ، لقد توقفت الاعمال أو لم يبق سوى القليل منها في اي مكان .

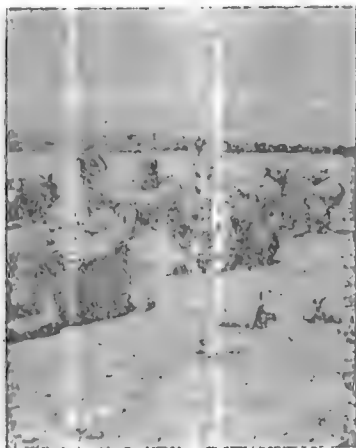
في ١٤ نيسان سنة ١٩١٥ ، في الساعة الخامسة صباحاً أخذنا الطريق العام الى المسيب . وكانت الحقول عن اليمين والشمال قد تُركت بوراً في الغالب بعد أن امتنع الفلاحون عن الحرث والبذر ، إما لانهم اكرهوا على الخدمة في الجيش وإما ان تكون الحكومة قد صادرت حيواناتهم وبلورهم . ورعت جمالنا من ٦٠٠ الى ٦١٦ . . وكان الطريق العام وحلاً بحيث اضطرت المركبات الى التحول عنه مسافة طويلة . وفي ٧٢٠ عبرنا نهر العلقمي القديم الذي يمتد من شمال - الشمال الشرقي ، وفي ٨١٠ عبرنا نهراً مائلاً آخر بالقرب من خرائب الحوطة . واسترحنا مرة أخرى من الساعة ٩٣٨ الى ١٠١٢ . وفي الساعة الحادية عشرة رحب بنا مدير مركز الدرك بالمسيب ، وقدم لنا في الوقت نفسه رجلين جليدين من رجال الدرك لمرافقتنا الى بغداد .

المسيب الى الفلوجة

وبعد ان إنعطفنا عن هذا الطريق الى مزارع البوبهاني غرباً مكثنا هناك الى ١٢٤٨ بعد الظهر ، ووجدنا فيها دليلاً له معرفة بضفة الفرات اليمنى من المسيب الى الشمال . وكان من رجال عشيرة مسعود التي نخشع عادة مع عشيرة الزقاريت ، فيما بين كربلاء والمسيب . والقبيلتان تتحدران من شمر وتشتغلان بتربية الاغنام والجمال على السواء .

وعند البوبهاني تقوم خرائب الأحير ، وإلى غربها خرائب الشراحي ، وإلى الشمال خرائب ابو بطنية ، وإلى غربها من ناحية الشمال ايضاً على الفرات : خربة الألس الكبيرة ، التي توجد على شامها الغربي خرائب ومزارع الصنيديج [الصنيديق] والدوأس . وبالقرب من الأخيرة يتفرع من الفرات نهر العجيلة القديم متجهاً نحو الجنوب الغربي .

ونفخ على الصفه اليسرى من جنوب شرقي الدواس : حقول' الغزار
وابو لوفه . وكنا ننوي مواصلة السير الى الشمال الغربي مباشرة ، ولكننا
اضطررنا الى ان نعود ادراجنا في الساعة الواحدة عند خرائب الاحيمر



(شكل ٤. - هاتين الكوفة من الغرب)

لأننا لم نستطع ان نحمل جمالنا على المرور فوق قنوات الري . وباستخدام جلود
(الحسبية العتيقة) [العتيقة] وكان نمرؤا الى مصمه نالما . وصلنا في ١٢٥ الى الطريق
العام واما سبيلنا فيه نحو الشمال الغربي . وفي الساعة ١٥ انطلقنا من حقل
الدويهي الى شمال - الشمال الغربي . وفي ٢٥٠ رأينا الى الجنوب الغربي
خربة (بيشان حازيه) وفي شمالها سفوح مرتفع المرقطة . وفي الساعة الثالثة احترقنا خرائب
الجبور . وفي ٣١٦ خرائب اخرى نسي أحويش . وكان ثمة حدران متهدمة لحصن

مستطيل الشكل يرتفع برج في ركن كل جدار ، وتوجد الى الجنوب منها أكوام بقايا
ابنية قديمة مبنية بالآجر . ويظهر انها جميعاً تقيمت عدة مرات ، وان الحيد من آجرها
نُقل الى اماكن أخرى ، وبالقرب من هذا الموضع يجري نهر العميدة القديم
المائل الذي يترك القرات نحو الشمال الشرقي عند بستان الدوَّاس . وفي ٢٠ رة أعدنا
مقرناً الليلي . في حقول قرية الروربية وهي محلّ مكني دليلنا عواد . وتملك عشيرة
مسعود الحقول المجاورة برئاسة عائلة ابن هتيمي ، ويؤكد هؤلاء انهم سبق ان هاجروا
الى هناك من جوار منطقة حايل وأن قرابة الدم تربطهم بشمر .

في ١٥ نيسان سنة ١٩١٥ كنا على مروجنا في نحو الساعة ١٨ رة صباحاً
وحوالي ٢٠ رة كنا قد اخترقنا نهر العلقمي القديم . الذي يقال انه يتفرع من القرات
مقابل مرقد صغير لسيلنا خضر الياس . وظهر المرقد للعيان في ٢٥ رة من ناحية
الشمال الشرقي . والى الجنوب الغربي ظهرت خرائب الحجيرة مرة أخرى .
وفيما وراها ايشان الذهب . وبعد ان قفنا جرف الصخر ، وهو سهل
غريني خصيب يبلغ عرضه نحو عشرة كيلو مترات وصافنا في ٥٠ رة الى
ابو قبة القديم . وفي ٢٤ رة رأينا من جهة الشمال الشرقي خرائب المديحة
على بعد ٤ كيلو مترات تقريباً ، والى الشرق منها ربوة الجصّ في العراق .
وكنا نشاهد بقايا مزارع قديمة في كل مكان ، وفي ٥٠ رة لاحظنا الى غرب -
الشمال الغربي المرتفع الذي فيه بئر القلب ، والى الغرب منه بئر فهّاد ،
وفي شمال الأخيرة شاهدنا بئر ام غوير ثانية . وفي ٥٠ رة شاهدنا في شرق -
الشمال الشرقي ضريحاً عسرياً هو قبر الرصيف في خربة قديمة شرقيّ
نهر العلقمي ، وخرائب البّاج في الحقول التي تقع شماليّ قبر الحجير . ثم سرنا
على امتداد مرتفع (الظهره) الصخري . وفي ٢٠ رة كان على يميننا بستان
اللطيفية ، وشاهدنا في شرقها على الضفة اليسرى من القرات اراضي المجبنة
المرتفعة المتموجة . ويملك الجنابيون الحقول الواقعة في شمال اللطيفية وهم
فرع من الزبيد تحت زعامة بوضخريّة ومن ٥٥ رة الى ٥٤ رة رعت
جمالنا بقرب ابو الفياض على القرات .

من الساعة ١٠ إلى ١١ فما بعد سرنا بمحاذاة مرتفع الفاضلية الصخري الذي يكاد يصل في امتداده الى الفرات ، وفي ٢٢ إلى ١١ عبرنا نهراً قديماً هائل الحجم يترك الفرات قريباً من هناك ، وقد سماه ديلنا ، كري سعدة . وفي ٤٠ إلى ١١ ظهرت خرائب على يميننا كما ظهرت في ٤٠ إلى ١٢ بعد الظهر خرائب أخرى على اليسار تلتها في ١٢ إلى ٩٥ خرائب كبيرة على الضفة الفرات مباشرة يجري منها نهر قديم . وفي شرق - الشمال الشرقي ، على الضفة اليسرى من مدخل جدول المحمودية ، يرتفع مشهد ابراهيم الخليل . وفي الساعة الواحدة اخترقنا خرائب بئر الواسعة الواقعة قريباً من الفرات . وكان يمرّ بالقرية السابقة هنا نهران يقسمانها الى ثلاثة اقسام . وتقع في السهل المتدوج في الغرب وفيما وراء سفح طار الهييان الشديد الانحدار آبار الغربية ، وإلى جنوبها الغربي آبار الشبيجات ، وفي الشمال الغربي من الأخيرة آبار السهل ويقع الى الشمال منها بئر الزعب . وفي شرقي بئر الزعب تقع البركة [البركة] وفي الشمال الغربي من البركة آبار الحثري ، الشروعية ، الصلوية ، وام شطن . وفي الجنوب الغربي من الأخيرة يقع بئر المسمة .

وفي الساعة ١٠ إلى ١١ شمال الشمال الشرقي وعلى الضفة اليسرى من النهر ظهر مرقد حمزة بن قادم . ولم تكن الاراضي الواقعة فيما وراء ابو الفياض مزروعة لأن كثرة حصاها يحول دون حرثها تماماً . كما ان التربة هنا ليست غريسة ، كما هي الحال في شمال شرقي ابو الفياض ، بل هي ارض صخرية باكملها ، يخالطها ملح صخري وجبس الى حد كبير . وفي ٢٠ إلى ١٢ مررنا ثانية خلال بعض الخرائب حيث توقفنا لاستراحة قصيرة من ٢٣ إلى ١٢ إلى ٥٢ . وإلى شمال الشمال الشرقي من الجزيرة - وهذا الاسم يطلقه ابناء المنطقة على الاقليم الواقع على الضفة اليسرى من الفرات - ترتفع ريوه عالية منعزلة من الخرائب تسمى عقر الاجلج ؛ وكنا نمرّ الآن بإزاء الحد الغربي من البزير ، وهو شريط ضيق مزروع من الأرض . وفي ١٥ إلى ٢٠ عبرنا نهراً قديماً وشاهدنا على اليمين صفّاً منحدراً من الاجراف تهبط الى الفرات تقريباً تعترضها احتاديد قصيرة

كثيرة . وفي ٢٣٠٠ بلغنا حوضاً عميقاً يتجه من الشمال الى الجنوب ونحيط به
أجراف شديدة الانحدار ، وتوجد في الاجراف الصخرية الشمالية فقط مقوف تسمح
بدخول الماء عند فيضان القرات . وعند ذلك تتكون بركة في الحوض ، يعمل الماء
على تحليل طبقات الجبس والملح الصخري اللينة والتشبع منه حتى اذا ما تبخر الماء
رسب الملح في قاع البركة . ومن هنا سميت الامليحة (البركة المالحة) .
ومن ٢٤٠ الى ٣٣٠ مررنا بازاء الامليحة ، وتوجد في طرفها الشمالي الغربي
خرائب قصبية .

وعلى طول القرات ظهرت لنا مجموعات من الاكواخ يسكنها الفلاحون في
موسم الامطار ، بينما يعيشون في خيامهم في فصل الجفاف . ومع انهم يملكون
قطعا كبيرا من الغنم والماعز ويعيشون تحت الخيام عدة أشهر في السنة ، فانهم
يختلفون من وجوه كثيرة عن البدو ، الذين يُعَنَوَن بتربية الماعز والاغنام اكثر
من عنايتهم بالزراعة . وكثيرا ما سمعناهم يقولون :

(عندنا هيج ، وعند اهل الغنم هيج) اي : عندنا هكذا وعند اهل الغنم
هكذا ..

وعلى طول الطريق من النجف سمعناهم ينذرون من الألمان . وكانت عادة
الموظفين ، كبارهم وصغارهم ، ان يضعوا اللوم فيما يتعلق بالحرب
عموماً وباشتراك الاتراك فيها خصوصا ، على الألمان . وشكى لي رجل الدرك
محمد ، الذي رافقني من المسيب ، شكوى مريرة من ان الالمان لم يقدموا اي
عون للحكومة وانهم فضلا عن ذلك يستهلكون خير الأطعمة بدون خجل . وبعد
ابداثة العطف على السلطان عبد الحميد لمن الحرية التي أتت بها جمعية الاتحاد
والترقي ، التي لم تجر على تركية غير الحرب والشقاء .

وبعد اجتيازنا خرائب الغطاس في منطقة العامرية خيمنا في الساعة ٣٠٠هـ
بجانب غيم صغير لعشيرة الجنائيين يقع الى الاسفل من سد عال بني لحماية
سهل الخابوري الخصب من الفيضان ، اذ كان مجرى القرات هنا اعلى من السهل
: ١٨١

القيضي بما يقرب من اربعة أمار . وقبل حلول المساء غمرتنا أسراب من البعوض المتعطش للدماء ، آذت الانسان والحيوان على السواء . وكانت الارض رطبة جداً حتى ان اغطيتنا كانت مبللة في الصباح .

وفي ١٦ نيسان سنة ١٩١٥ نهضت من فراشي وأنا اشد تعباً مما كنت حين أويت اليه . وفي ٥ ر ٥٦ غادرنا الوادي قاصدين الاجراف الصخرية في الغرب . وبعد أن تعدّينا خرائب الحايوري عبرنا شعيب ابو الشوق القصير ، واتجهنا ثانية نحو الشمال الغربي .

وشهدت شمال — الشمال الشرقي في الجزيرة زبوة خرائب عقر النعيلي ، وفي شرق — الشمال الشرقي تل السلطان على القرات وإلى الجنوبي الشرقي منه : تل القححصان وتل قنيصه ؛ وإلى الغرب من تل السلطان ، وفي حقول الحثي : خرائب الأجرية (٦٦) .

في الساعة ٧ر٣٠ ظهر للعيان نيشان احيمر من جهة شمال — الشمال الشرقي على الضفة اليسرى ، وأمامنا على الضفة اليمنى : الحافة الصخرية البيضاء و جال التربة ، وتلال سن الذبان أعلى منها شمالاً وتركنا الجمال ترعى من ٧ر٥٣ الى ٨ر٢٨ .

وعندما كنا غربي تل الاحيمر غادرنا الطريق على قاعدة مرتفع صخري يسد السهل الغربي ، وفي الساعة التاسعة اتجهنا خلال السهل القيصي الى شرق — الشمال الشرقي نحو جامع الفلوجة . وكان طريقنا يمرّ خلال حقول الحسي ، وكان المرور فيه صعباً جداً في بعض المواضع ، حتى أن قوائم جمالنا غاصت في الوحل . وفي ٩ر٢٨ ظهرت على الضفة اليسرى ربوة خرائب تسمى الخراب . وفي الساعة العاشرة وصلنا الى الجسر المائم المعروف بالقنطرة ، حيث أرحنا الجمال

(٦٦) للوقوف على بيانات اولى تتعلق بالطريق الذي بين النجف والمسيب راجع ص ٣٥ — ٤٣ من كتاب المؤلف .

من انقالها . وأوعزنا بحملها [على الاكتاف] الى الفلوجة (٦٧) . وبعد ذلك قلنا جمالنا للعبور ، وكان هذا عملاً فذاً ، اذ كانت تجفل باستمرار ، وام يكن يربط الجسر المرتفع بضفة النهر اليسرى الواطئة الا لوح من الخشب لا يكاد عرضه يزيد على ثلاثين ستمتراً .

(٦٧) وقد هرب ابن الاشمت بعد انحذاره في نهاية عام ٧٠١م بالقرب من دير الجماجم ، متجها نحو بلدة بني جمدة بن هبيرة في الفلوجة ، حيث عبر الفرات (الطبري ، التاريخ ، [دي خوية] ، السلسلة ٢ ص ١٠٩٥) . وأحدد موقع دير الجماجم بجوار كربلاء ، وقرية بني جمدة الى الشرق من المسيب الحالية .

وكانت الفلوجة منطقة ادارية ، وتقع فيها بلدة الزابوقا (المصدر نفسه المجلد ٣ ص ٢٢٥٦ ؛ عرب ، الصلة [دي خوية] ، ص ١٠) . وفي عام ٧٤٩ - ٧٥٠م خيم ابن هبيرة ، الذي ارسله الخليفة مروان الثاني ، بجانب احد فروع الفرات في منطقة الفلوجة العليا ، على بعد ثلاثة وعشرين فرسخاً من الكوفة . ولما كان الخوارج قد عبروا الفرات عند الانبار ، وكانوا يتقدمون ببالغ السرعة بمحاذاة ضفته اليمنى الى الكوفة ، فان ابن هبيرة تقدم عندئذ في الاتجاه نفسه بين الفرات ونهر سورا (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ٣ ، ص ١٣) . ويؤدي بنا ثلاثة وعشرون فرسخاً في اتجاه شمالي غربي حتى بلدة الفلوجة الحالية .

ويذكر ابن الاثير ، الكامل (تورنبرك) ، المجلد ٩ ، ص ٤١٣ ، انه في عام ١٥٠٤م حاصرت قوات بغداد الانبار ، التي كان قد استولى عليها حاكم الموصل قبل ذلك بفترة وجيزة ، وانهم قد احرقوا دما والفلوجة . ويسجل ياقوت ، المعجم (فستفلد) المجلد ٣ ، ص ٩١٥ وما بعدها ، ان فلاليح السواد كان مفهوما انها تشتمل على قرى الفلوجات الكبرى والفلوجات الصغرى ، بين بغداد ، والكوفة ، وعين النمر . وتعرف ايضا فالفلوجات العليا والفلوجات السفلى . وتعني كلمة فلوجة في الاصل « التربة التي امدت لزراعة القمح » .

وقد علم حاجي خليفة ، جهان نامه (القسطنطينية ، ١١٤٥ للهجرة) ، ص ٤٦٤ ببلدة الفلوجة الحالية . فيقول انها موضع على الضفة اليسرى للفرات ، على بعد مسيرة من الحلة ، حيث كانت تفرغ البضائع المجاورة بالقوارب من بيرجيك . وفي موسم فيضان الفرات كان من الممكن لسفن تدعى بالكلك (الرمث) ان تسير مشرعة في الجدول المتفرع من الفرات والذي يصب في دجلة عند قرية « المنطقة » بين

الفلوجة الى بغداد

في الساعة الواحدة بعد الظهر غادرنا قرية الفلوجة الباسية وتوقفنا في ١٣٢ را عند خربة بجانب الطريق ، حيث تناولنا غداءنا واسترحنا الى ٢٤٠ ر .

وفي ٢٥٥ ر دخلنا لمواضي ابو تلول الصخرية ، حيث وجدنا مقداراً كبيراً من الجبس الذي هو سمة بارزة من سمات أرض الجزيرة ، وهي لإقليم يعدّ السكان المنطقة التي نمرّ فيها الآن جزءاً منها . وتغطي مرتفعاتها الواسعة المتوجة طبقة من الحصى والرمل . وإلى الشمال الغربي من الفلوجة تُروى الحقول المنخفضة من جدول الأزرقية . ويتفرع من الضفة اليسرى من القرات جنوبيّ الفلوجة جداول : ابو غريب ، دفّار ، الرجوانية ، المحمودية ، اللطيفية ، والسكندرية ، وجداول كثيرة أخرى أقصر منها ، وكان الماء لا يزال يجري فيها جميعاً . وفي الساعة الرابعة كنا نسير على صخر أجرد وفي ٢٠ ر إنعطفنا يميناً نحو منخفض هور ابو غريب ، وهو عبارة عن أرض منخفضة يغمرها الماء . وعلى بعد منه شوهد خان السنية الجديد ، وإلى الغرب منه قرية الشعيبة التي فيها مقرّ « المدير » . وختيماً بقرب الماء ، حيث وجدنا نسير مرعى لجمالنا . ومرةً أخرى تعرضنا لأذى البعوض .

في ١٧ نيسان سنة ١٩١٥ خرجنا مبكرين ، اذ كنا على سروجنا في الساعة ٣٨ ر صباحاً . وبعد عودتنا الى الطريق العام الممتد من الفلوجة الى بغداد قطعنا بعد ذلك حقول العبادي . وإلى الشرق من مخيمنا أشار دليانا عبد ابل (كذا) عباس من عشيرة بي. سوده الى تلّ الطوية وفي شمالها خرائب تلّ الحمل ؛

الامام موسى وقلعة قوشلر . وقد امر والي بغداد خساكي [كذا] محمد باشا بتحسين مدخل هذا الجدول عند « المنطقة » ، ذلك لان كميات كبيرة من مياه الفرات كانت تندفع وقت الفيضان بحيث اصبحت القلعة معرضة للانزجار . والمسافة بين الفلوجة والحلة هي ١٢٠ كيلومترا ، أي مسيرة يومين . ويتفرع نهر عيسى في موضع أسفل من الفلوجة .

وعلى نحو اربعة كيلومترات في شمال شرقي هذين الأخيرين يقوم مركز درك
مهجور: نقطة الصيد. وفي ٤٠ كم ظهرت شرايب السندية ، وهي السندية القديمة ،
الى جنوب - الجنوب الشرقي (٦٨) .

وظلت جمالنا ترعى من ٢٠ الى ٣٩ كم . وفي الساعة ٤٨ كم أتينا مركز
الدرك : (نقطة ابو منصير) عند خان العباس (ويسمى ايضاً خان ضاري) .
وفي ٧٠٨ كم ظهرت خرائب الدراعي القديمة الى شمال - الشمال الشرقي منا ؛
وفي ٧١٣ كم عبرنا نهر العليمي القديم العظيم ، وفي ٧١٨ كم عبرنا جدول ابو
غريب الجليل الذي يجري فيه الماء الى (التراجم) ؛ وإلى شرق - الشمال
الشرقي ظهر للعيان تل هويرج باشا .

ان الجهات الوحيدة التي كان يعرفها دليلنا على البوصلة هما : الغرب والشرق
المطابقان لمجرى القرات وتبعاً لذلك فانه طالما جعل الغرب شمالاً او الشرق
جنوباً فقد قال مثلاً « قليلاً الى الشرق من الغرب » وكان يعني الشمال الشرقي .
وكثيراً ما سمعناه يقول : « يقع لا شمالاً ولا جنوباً : لا هو جبلي [قبلي]
ولا هو شمال » ويقصد الجنوب الغربي . وكان ينطق كلمة (ابن) شبيهة
بـ (ابل) ، و (تل الرمل) : تر رمل . وكلمة (يسكتون) تخرج من
فمه شبيهة بـ (يسكتون)

وفي ٧٥٥ كم عبرنا نهر العيسوي القديم ، وكانت تظهر للعيان من ناحية الشمال خرائب
تراجم وإلى الشمال الشرقي نيشان الاسمر . وفي الساعة ٤٦ كم ظهرت الأخيرة
ثانية الى شمالنا ، ثم قرية الشنيخي وخرائب ابو صليبخ ، وإلى الجنوب الشرقي

(٦٨) يذكر ابن الاثير في تاريخه (ديسلان) ص ١٣ ، ان شرف الدولة بسط
سلطانه سنة ١٠٨٤ م على الاراضي الممتدة من السندية على نهر هيسى حتى
مينج ، وخضعت له مدن هيت ، والانبار ، والموصل وكذلك مناطق
ربيعة والجزيرة .

ويقول ياقوت ، المعجم (فستفلد) ، المجلد ٣ ص ١٦٨ ، ان بلدة
السندية تقع على نهر عيسى بين بغداد والانبار .

قرية الجرية وفي ١٥ ر ٩ كان نيشان ابو منطور يقع على يميننا . والى الشمال ظهر لنا مخروط عقروق ، والى الشرق منه ضفاف جلول الاتباري . وظلت الجمال ترعى من ٢٥ ر ٩ الى الساعة العاشرة . وفي ٣٠ ر ١٠ رأينا قرية الجرية على نحو خمسة كيلو مترات الى جنوب - الجنوب الغربي ، كما رأينا الى شرق - الجنوب الشرقي : مركز درك مهجور هو مركز الداودي ، والى الشمال الشرقي سلود جلول الأمباري وتل الادرم وفي ٤٠ ر ١٠ رأينا تل بضاغ الى الشمال الشرقي .

وشرح لنا الدليل الطريقة التي تتبعها الحكومة لتجنيد المتطوعين وتبدأ بدعوة يوجهها الوالي الى جميع الرؤساء [الشيوخ ؟] للقلوم الى بغداد، وبعد ان يحلوا فيها يسألهم ان يتطوعوا للخدمة العسكرية برضاهم . وكان يفرض لكل متطوع عشر ليرات تركية ذهبية الى اثنتي عشر (من ٤٥ - ٥٤ دولار) وعند ذلك يذكر كل شيخ ارتجالاً عدد المتطوعين من رجال عشيرته ، ويحتمل على المبلغ الذي يستحقه فوراً . وعلى سبيل المثال فان احدهم أعلن تطوع ١٧٠ من رجاله . وتبعاً لذلك دُفع اليه مبلغ ألفي ليرة ذهبية . ولكن لم تسمع أحداً من العشيرة كلها ينوي الذهاب الى الحرب . ونقلت الحكومة خدمة مماثلة من غير هؤلاء من سكان العراق والجزيرة .

وتنحدر عشيرة زوبع من قبيلة طي وتنتشر مضاربهم في الأراضي الواقعة بين المحمودية وابو حنطة (حبة) والطريق العام المؤدي من فلوچه الى بغداد . والبيوت التي تتألف منها هي :

الشيبي	السيخات
السعدان	الشعار
الفياض	عزة
الخطاوين	الهليل
الكروشين	المقادمة
جداده	بني زيد القحطان

واسم شيخهم هو ضاري بن فداغة بن ظاهر المحمود . في الساعة ١١٢٠ عبرنا نهراً قديماً عند روبة قبر حمود . وكان حمود بن ثامر رئيس مشايخ عشيرة المتفج (المتفق) في مطلع القرن التاسع عشر . وفي ٣٠ ر ١٢ بعد الظهر بلغنا سدة الخر ، الذي يخترق مزارع اللورة (٦٩) شمالي القبية وخرائب الرمل ، حيث مكثنا حتى الساعة ٥٤ ر ١٢ . وفي ٢٥ ر ١ رأينا على اليمين سكة حديد ضيقة توصل الى المجلم (المقدم) ، وكانت تستخدم لنقل البنادق من بعض السفن في القرآت الى سفن اخرى في دجلة . وفي ٣٠ ر ١ كان الى اليمين منا الطريق العام الموصل من المسيب الى الكاظمين .

في ٤٨ ر ١ وصلنا الى الطريق القرعي المتجه الى الحلة والمسيب . وبعد ان دفعنا رسم العبور عبرنا جسر الخر الجديد ووصلنا في ٢٥ ر ٢ الى ارضة سكة الحديد المكتظة بعربات النقل . وفي ٤٣ ر ٢ انعطفنا خلال الضاحية الشمالية الغربية ، وفي الساعة الثالثة وصلنا الى البستان الذي سبق ان خيمنا فيه عام ١٩١٢ بضاحية (المتولية) على طريق (ترام) الخيل بين بغداد والكاظمية . وقد رحب بنا صاحبها احمد طعمة ، بوصفنا اصدقاء قداماء - وفي خلال ساعة نُصبت خيامنا تحت اشجار النخيل الباسقة بجانب حقل مزروع بالفلفل . ولسوء الحظ كانت مياه دجلة التي تتدفق قريباً منا عالية جداً آنذاك مما جعل البستان رطباً جداً ، بحيث اصبح الجلوس على الارض العراء امراً مستحيلاً . واصبحت كل الاشياء التي في خيامنا مبتلة ايضاً . وأما البعوض الذي لم نلاحظ وجوده قط

(٦٩) وهذه هي يا (او بيت) دورايا .

ويكتب ياقوت ، المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٤٦٠ وما بعد ، وابو الفضائل ، المراصد (يونبول) ، المجلد ١ ، ص ١١٦ ، ان بادوراي كانت جزءاً من منطقة الاستان ، ولاحقاً كانت جزءاً من منطقة نهر عيسى ابن علي . وقد شيدت بعض ارباض بغداد على حد بادوراي . ووفقاً لبعض الثقة الذين اوردهم ياقوت فان كل مايقع شرقي الصرا [الصراة] فهو بادوراي ؛ وكل مايقع غرباً فهو قطربل . على انه ينبغي لنا ان نفهم شمال الصراة وجنوبه بدلاً من شرقه وغربه ، ذلك لان قطربل تقع شمالي بغداد .

سنة ١٩١٢ ، فقد وفدت اليها مجاميعه لتعلمنا هنا كما عذبتنا فيما بعد بفيلاد ، حيث كنا نرجو ان نستعيد صحتنا وراحتنا . وبدأ المطر يسقط في المساء ، واستمرّ ينهمر طوال الليل . .

بفداد في وقت الحرب

في ١٨ نيسان سنة ١٩١٥ ذهبت قبيل الظهر الى مركز الدرك على الضفة اليمنى من دجلة لإخبارهم بوصولي ولطلب حارس يقوم بحمايتي وحماية رفاقي وجمالنا من المضايقات ايضاً . وبعد ذلك عبرنا الجسر العائم (جسر الاطواف) الى الضفة اليسرى التي تقع عليها مدينة بفداد الأصلية ، وكان غرضي زيارة القنصل النمساوي / للمجري ، دي تاهي هناك ، وكان يسكن جنوبيّ المدينة على ضفة نهر دجلة مباشرة . .

وسنحت لي فرصة طيبة اثناء الطريق للملاحظة الضمر الذي نجم عن الحرب والقيضان . فقد افقرت طرقات مركز المدينة ، التي كانت تصعب الحركة فيها سنة ١٩١٢ ، وأصبحت الآن خالية خاوية . وكانت معظم الحوانيت مغلقة ، والمقاهي لم تُشغّل سوى نصف مقاعدها ، والنساء الريفيات اللاتي كنّ يبعن الطعام في الاوقات العادية لم يعد لهنّ وجود . وظهرت احياناً جماعات من الجنود هنا وهناك . وكانت تحدد المدينة من جهة الشمال الشرقي بحيرة لا يمكن للمرء ان يرى عبرها . اما صفوف الاكواخ التي كانت تكتظ بها بساتين النخيل فقد تهدمت او جرفتها مياه الفيضان . وكان الرجال والنساء على السواء منهمكين في اصطيد ادوات خشبية مختلفة تطفو على البحيرة ويسحبون بصنارات طويلة البطانيات [الأغطية] والمخدرات [الوسادات] من الاكواخ ويضعونها في قواربهم . وفي مقبرة النصارى ، الواقعة شرقيّ الطريق العام المؤدي الى ايران كانت توابيت وهياكل يشريه نصف متفسخة تطفو على الماء . ونتج عن انتشار الكوليرا المروع في المدينة (كان يموت ثلاثمائة شخص كلّ يوم) أن اصبح موتى المسيحيين يلقون الآن على سد الطريق العام الجديد ، لهذا كان على الماشي

والراكب لا ان يمر على مقربة منها فحسب ، بل عليه ان يسير بين القبور وعليها كذلك . وكانت هذه القبور قليلة العمق والجثث مغطاة بطبقة خفيفة من التراب لذا فان الروائح الخبيثة الخطرة انتشرت بسرعة في جميع الجهات . ولم يعد ثمة وجود للحياة بهذه المدينة ، التي كانت فيما مضى من اكثر المدن نشاطاً في الشرق .

ان القنصل دي تاهي نبيل مجرى طيب السريرة وقد رحب بي بصورة تدل على الودّ ولكن مع شيء من الحيطة ، ولم يتطلق على سجيته الا بعد ان علم من سياق الحديث بأنني جيكي الاصل . وعند ذلك عرض عليّ القيام بضيافتي بحماسة صادرة عن القلب بحيث انني قبلتها بسرور . وقبل الظهر خرجنا راكبين لزيارة الوالي : وهنا التمسّت الاذن بزيارة المنطقة المجاورة لسميحة [سمكة] فوراً ثم العودة الى سوريا بمحاذاة الضفة اليسرى من الفرات . فأجابني المحافظ (الوالي) بان هذا الأمر من اختصاص القائد العسكري للمنطقة ولهذا ينبغي لي ان أراه . ولكن ابن مارس إله الحرب عند الأغريق [يعني القائد العسكري] أبى حتى الاستماع لي . وطرح توصياتي جانباً مبيناً انه في مثل هذه الأمور لا يأخذ بمشورة احد في القسطنطينة اياً كان ، وامرني في الوقت نفسه . بالعودة الى سوريا سائراً في الطريق المعتاد الذي يسائر الضفة اليمنى من الفرات . وحينما أعلنت له انه من حقّي السفر في النواحي الداخلية [من البلاد] ما دامت لم تدخل في منطقة الحرب بعد ، وانني لا اطلب سوى دركيّ لحمايتي من التساؤلات التي لانهاية لها عن جواز سفري وعن الشهادة بانه ليس معي عسكري هارب ، حينئذ انكر بجفاء ان يكون لي مثل هذا الحق وصرفني قائلاً انني استطيع تقديم شكوى الى القسطنطينة ان رغبت في ذلك ، ولكن ينبغي ان انتظر الجواب في سوريا ، وليس يتبادر . وكان اعتذاره الوحيد الى القنصل الذي شملني برعايته ، من عدم معاونتي هو تمسكه بالقوانين العسكرية التي زعم انها تحول دون اجابة طلبي .

وانصرفت وانا في غيظ شديد ، ذلك لأن القائد برغم محافظته على كل مظاهر المجاملة أثناء رفضه لرجائي . لم يعني الا ان أشعر برفضه الشديد لي . لقد قدمت بغداد لغرض واحد ، وهو تقصي الوادي الادنى لنهر الثرثار والصفحة اليسرى من القرات : ولو كان في مقدوري التنبؤ بهذا الرفض الحقود لكننت حتماً اتجنب بغداد واجعل بداية رحلتي من الفلوجة . واستغرب القنصل قرار القائد أيضاً واعرب عن رأيه بأنه ربما كان سعود ، وزير ابن رشيد : الذي كان من كبار المترين لأنور باشا ، والذي عملت فصدّه في وسط الجزيرة العربية ، قد وجه التّهم اليّ في استانبول وان أنور باشا ، تبعاً لذلك ارسل امرأً رقيقاً الى بغداد يأمرني فيها بالعودة الى سوريا . وبدا لي هذا الحذر معقولاً الى حد كبير ، فقد كان غرضي ، حينما كنت في وسط الجزيرة العربية ، ان اعمل على اسقاط الوزير سعود ، ومعه الأمير الضعيف ابن رشيد . الذي سبق ان اهدى اليه انور باشا عدة آلاف من بنادق الموزر مع ما يلزم من الذخيرة ومبلغاً كبيراً من الذهب . ولعل سعوداً ابغى هذه التهمة بوساطة فارس سريع الى محطة المعظم على سكة حديد الحجاز وان انور باشا - الذي كان يعلم اني لا اوافق على سياسته في داخل الجزيرة العربية - اتخذ بعض التدابير المناوئة لي بعد ان اكتشف من خلال هذه التهمة أنّ الاعمال التي قمت بها ضدّ الاشخاص الموالين له ، كانت فعالة .

وخطر لي الآن ان اسأل القنصل . الذي زعم انه على علاقات طيبة جداً بالقائد العسكري ، ان كان في استطاعته ان يتأكد من اسباب هذا السلوك ، وقد فعل ذلك بعد ساعتين . وانتظرته امام المبنى الحكومي ، حيث خرج بعد اقل من نصف ساعة ، ودعاني للتحول قائلاً ان كل شيء قد تمّ توضيحه ، ويعتقد اني سأرضى بهذا الايضاح . والواقع ان القائد خرج الى حجرة الانتظار لتحتيني . وحيثاني بأدب جمّ ، متنبأاً من معاملته السابقة لي . لقد حسبنني المانياً من النمسا ، وقد كان بغيضه الشديد لهؤلاء لا يقل عن كراهيته للامان البروسيين ، كما يسميهم ، لهذا اراد اظهار سطوته لي والانتقام لنفسه

ولو بطريقة غير مباشرة من جميع ما قاصاه من جمهرة الالمان المحيطين به ، الذي لم تكن له سلطة عليهم . وقد رفع صوته بشكوى مريرة من مسلك الضباط البروسيين ، حتى من لم يكن منهم عسكرياً محترفاً اذ كانوا يزعمون انهم اطول باعاً في الشؤون العسكرية من خيرة ضباط الجيش التركي . وضرب مثلاً لذلك ضابطاً المانيا برتبة رائد كان ممثلاً لهيئة اركان الحرب البروسية ببغداد : أباح لنفسه التشهير امام الجمهور . ليس بالضباط الاتراك فحسب ، بل بالضباط النموسيين كذلك . وعلى سبيل المثال أقام هذا الرائد منذ زمن غير طويل حفلة دعا اليها نخبة من اهل بغداد البارزين والضباط . . وكانت الموسيقى تعزف من جهاز حاكي (فونوغراف) كبير ، وفجأة افلت نابض في الجهاز ، مما ادى الى زيادة سرعة الحاكي وفي هذه اللحظة نهض الرائد وهتف قائلاً :

« هذه سرعة الجيش النموسي الهنغاري، عند ما يجري هارباً امام الجيش الروسي » فوثب الفنصل النموسي دي تاهي من مقعده . وهو يصرخ بغضب : « اسحب كلامك ، والا لطست وجهك ! »

فاذا كان الممثل العسكري البروسي يهمل حليفه الاوربي بهذه الطريقة ، فمن الممكن ان نتصور كيف كان يسلك تجاه هذا الاسيوي الذي اجبرته الظروف على محادثته . وهكذا فان حاكم بفسداد العسكري لم يكن شيء يسعده اكثر من ان تتاح له فرصة النيل من زميله البروسي . وزيادة على ذلك فقد روى لنا : بمرح عظيم . كيف أزعج اعضاء الحملة الالمانية الى افغانستان . بالاستيلاء على اكثر من نصف ما لديهم من الذهب والسلاح ، وكيف أخسر عمداً في بغداد الوزير البروسي والنموسي وكنا في طريقهما الى طهران . . وهكذا . وأخبرني الفنصل دي تاهي كذلك . كيف انه كان يستضيف السفير النمساوي - المجرى في طهران في مقر إقامة مراراً اثناء مكوث الأخير في بغداد . وأخبرني ايضاً ، بأنه كان يرثى لحال هذا الوزير اذ كان زميله البروسي يتخيه جانباً ويستخف به في كل مناسبة .

وابدى القائد التركي حزنه العظيم لهذه الحرب ، وكان يخشى على كل حال ان تكون فيها نهاية تركية . وفي حالة انتصار الحلفاء ، كان يتخوف من تقطيع أوصال تركية ، اما اذا انتصر الالمان فان تركية سوف تخضع لهم . وحينما علم أنني أنتسب لاحد الشعوب الخاضعة للتمسا زادت مودته لي ، وصرح أخيراً بأنني امستطيع السفر متى شئت وحينما أردت . وبعد الاستئذان من القائد ، الذي اصبح راضياً تمام الرضا ، عدت الى خيامنا . وعهدت بكل متاعنا الى خلف وناسر . ثم ذهبت الى منزل القنصل لمعالجتي من الوعكة التي ألمت بي .

من الثامن عشر الى السابع والعشرين من نيسان لازمت الفراش بصوبة مستمرة تقريباً . وكان يزورني كل يوم طبيب الماني انتقل الى بغداد من بومبي بعد اعلان الحرب . وكان الطبيب على معرفة جيدة بمهنته ورجلاً ذكياً استطاع اثناء اقامته الطويلة في الاقطار الأجنبية التعرف بالانكليز وتقديرهم اكثر من معرفته بواطنيه البروسيين الذين أثنى على بعض خصالهم ولكن لم يسعه الا ان يضيف ان هذه الخصال نفسها هي التي جعلت البروسيين غير محبوبين في الخارج . وكان القنصل دي تاهي يكره الالمان ايضاً لاسيما البروسيين منهم ، ولم أجد بين ممثلي الدولة النمساوية المجرية الذين قابلتهم في البلاد الأجنبية من هو أشد استنكاراً للتحالف مع المانيا من القنصل دي تاهي . وكان في الوقت نفسه يرثى لموطنه الاصلي ، المجر ، وكان واثقاً من أن مصيراً مماثلاً لمصير تركية ينتظره ذلك لانه ، كما يقول ، لا يشك في ان (انتصار الحلفاء) سيؤدي حتماً إلى تحرر [القوميات] الخاضعة للدولة النمساوية المجرية . اما اذا حالف التوفيق الالمان فانهم سيطفون على المجر .

وبين حين وآخر كان يأتيني مالك البيت الذي يسكنه القنصل للجلوس معي برهة من الوقت . وكان رجلاً في نحو الستين من عمره ، بملك عدداً من المعامل الصغيرة ، وأكبر محل تجاري للتوريد والتصدير ببغداد . ولما كان

عربياً فقد اظهر اهتماماً كبيراً بتاريخ قومه القديم ، وفضلاً عن ذلك فقد أراد ان يتعرف طبيعة المنطقة التي وفد منها اجداده الى بغداد بحسب تصويره . لذا سراً ان يلقي رجلاً على معرفة بالتاريخ العربي واعماق الصحراء على السواء ، ولم يندخر وسعاً في ابداء شعوره الطيب نحوى بكل وسيلة ممكنة . وأحضر الى غرفة نومي جميع ابنائه ، واحفاده ، وحتى أبناء احفاده ، ورجائي كثيراً ان ازوره متى استطعت القيام ، ليقوم بضيافتي ، ويقدمني الى زوجته . وكان هذا الرجل ايضاً كثيراً الشكوى من الحكومة التي كانت في رأيه لا تكاد تقوى على حفظ كيائها بعد الآن . وكان يفضل الان الانكسار لانهم يستطيعون العمل على رقي الزراعة والصناعات والتجارة .

وسمعت آراء مماثلة من جميع تجار بغداد تقريباً ، ممن لاقيتهم في القنصاية أو خارجها . وكلهم يعتقد ان التغيير السامي مرغوب فيه الى اقصى حد من أجل رفاهية البلد كله ، وكانوا لا يترددون في ابداء هذا الرأي .

في ٢٨ نيسان سنة ١٩١٥ ذهبت لرؤية رفاقي ، الذين كرروا زيارتهم لي اثناء فترة مرضي ، وأخبروني بكل ما حدث في غيابي . وفي هذا الوقت كانوا جميعاً قد لُفّحوا ضد الكوليرا والجلدي . وكان ظهوري في الخيمة مدعاة لعظيم سرورهم . وسرعان ما قدّموا لي على الفور طبقاً من التوت [تكي] الطازج وقدموا من اطيب الشاي .

واجتمعت الآراء مع ذلك على الرغبة في الرحيل ، والتمسوا مني التعجيل به في اقرب وقت ممكن . وقالوا ان الصحراء وان لم يكن فيها لحوم ولا فواكه ولا خضروات ، فان كل شيء فيها خير مما يوجد تحت ظلال النخيل ببغداد . . . ولما كنت متفقاً معهم في الرأي طلبت اليهم ان يفحصوا ويصلحوا سروج التحميل ، ويشترؤا ما كان ضرورياً ، وان يستعملوا السفر في اول ايار . وامضيت المساء مع اسرة مالك المنزل الذي يسكنه القنصل النمساوي .

ففي ٢٩ و ٣٠ نيسان قمت بزيارة بعض اصليقائي ، وحصلت على وسائل
نوصية مختلفة ، وعيّنت خط العرض ، ورسمت خريطة للاراضي التي
عزمت على زيارتها ، وفحصت السروج ، وقرب الماء ، والاسلحة ، والمؤونة .
وعلى العموم لم أجد أي نقص غير ان ذراق القنصل كان عسيراً عليّ في
الواقع . لقد رحّب بي واكرم مثراي حين كنت منهكاً ، وعنى بى عناية
رقيقة ليلاً ونهاراً في المراحل الخطيرة من مرضي ، وأطعمني ، وساعدني
في الاعداد لرحلتي القادمة . وكان سلوكه طوال هذه الفترة سلوك أخ كريم
صلى الله ان يزيد نعمته .

الفصل العاشر

بغداد الى الثرثار بطريق مسكن بغداد الى خان المشاهدة

في الاول من أيار سنة ١٩١٥ . . غادرنا بستان المتولية في ٥٧ صباحاً وتابعنا السير بمحاذاة خط الترام (الذي تجرّه الخيل) الى الكاظمية . وفي ٥٠هـ كان الى يسارنا مركز درك نقطة للمتولية ، وفي ١٥هـ وصلنا الى بساتين الكاظمية (٧٠) .

(٧٠) واعتبر الكاظميين مطابقة للخنافس الواردة في المراجع العربية . ويذكر سيف بن عمر مقتبساً من محفز (الطبري ، التاريخ [ديخية] ، سلسلة ١ ، ص ٢٢٠٤) ، ان الخنافس يمكن الوصول اليها من الانبار في ليلة واحدة . وانطلق القائد المسلم الثاني من اليس فوصل اولاً الى الخنافس ؛ وزحف بعد ذلك على الانبار ، حيث التمس دليلاً ، ثم رجع ادراجه الى الخنافس . وعند وصوله الى منتصف الطريق استقهم من المسافة المتبقية حتى هذه المدينة ، فآخبر بانها اربعة أو خمسة فراسخ . وحينذاك ارسل جماعة من الرواد تسبق الجيش ، وعبر المخاضة في اثرها ، وعند الصباح هاجم سوق الخنافس . ثم انه خيم بازاء خليج السيلحون . واخيراً وصل الى الانبار . وكان يتردد على الخنافس للتسوق اناس من المنطقة كلها ، وكذلك العرب من قبيلتي ربيعة وقضاعة (المصدر نفسه ، ص ٢٢٠٢ وما بعدها) .

ويقول ياقوت ، المعجم (ديخية) ، المجلد ٢ ، ص ٤٧٣ ، وابو الفضائل ، المرصد (يونيبول) ، المجلد ١ ، ص ٣٦٧ ، ان الخنافس اسم لارض عربية في العراق تقرب الانبار في منطقة البردان . ويضيف ابو الفضائل وحده ان الخنافس تقع شرقي الفرات .

ورواية سيف تجعل في مقدورنا ان نحدد في الأقل وفق بعض المعايير موقع سوق الخنافس . ويؤدي طريق من الانبار (وتلفظ الآن : الامبار) الى هناك . وتبلغ نصف المسافة من الانبار الى الخنافس اربعة أو خمسة

وفي الساعة ٤٨ره وردنا بمركز درك الكاظمين ، وفي ٦٠٨ محطة سكة الحديد . وفي ٤٠ره كنا في مزارع الهيتة . والى غربي سكة الحديد مازال بالامكان رؤية نهر قديم . وفي ٧٠٢ره وردنا في مزارع السراحة بثلاث اكوام من شظايا اواني فخّار لعلها بقايا ازان فخّار هناك . ومن ٨٢٥ره الى ٩٠٠ره رعت جملنا الى شرقي تل ابو عظام . ثم اتجهنا الى الغرب وسرنا خلال مزارع الحمّيات نحو مجموعة صغيرة من الاكوخ بقرب دجلة تسمى اليفياء . وفي الساعة العاشرة وصلنا الى نهر دجلة ، ثم تابعتنا في سيرنا الى الشمال كنفأً عالياً من اكتاف النهر يمتد على ضفته اليمنى يحمي الحقول الخصبة من الفيضان . وكانت زراعة البصل في هذه الحقول ناجحة بوجه خاص . وتركز اشجار النخيل في هذه المنطقة على الضفة اليسرى اما على الضفة اليمنى فلم نشاهد الا شجرة توت واحدة . وفي ١٠٨ره شاهدنا الى اليمين قرية المزروفة (٧١) ، وبعد فترة قليلة شاهدنا ربوة خرائب تل قوش على اليسار منا .

فراسخ . ويتابع الطريق نهر السيلحون ، وقبل الوصول الى الخنافس لابد من عبور نهر آخر . وان اقامة الاسواق هناك تجعل من المحتمل ان كانت الخنافس محطة لتوقف القوافل التجارية ، وانها كانت تقع بجوار مدينة بغداد فيما بعد . ووفقاً لما اورده سيف وياقوت من بيانات يمكننا ان نحدد موقع الخنافس في منطقة البردان ونطابقها بالجزء الغربي من مدينة الكاظمين الحالية ، التي تبعد ٥٥ كيلومترا (نحو عشرة فراسخ) من الانبار ، اما النهر الذي كان لابد من عبوره فهو نهر الدجيل . والسيلحون هي السالحيين الحديثة ، على بعد ٢٠ كيلومترا غربي بساتين الكاظمية على الطريق المباشر الى الانبار .

وبين ابن بطوطة ، التحفة (دفرميري وساكوبنتي) ، المجلد ٢ ص ١٠٨ ، ان موسى الكاظم ، وهو ابن جعفر الصادق ، كان قد دفن على الضفة اليمنى لدجلة . ودفن الى جانبه الامام التاسع ، محمد الجواد . وقد شيدت قبة فوق قبريهما ، مبينة بالواح خشبية محلاة بالفضة . (٧١) ان المزرعة الحالية هي بلدة المزرعة القديمة ، وتؤلف الحد الشمالي لمنطقة قطربل . واحدد موقع بلدة قطربل في الخرائب الواقعة في حقول السراحة ، على نحو ١٢ كيلومترا من جسر بغداد . وكانت تسمى في

كان الفلاحون في حقل السطوح ، الواقعة على أرض أكثر ارتفاعاً ، يجمعون القمح آنذاك وقد لاسود لونه كناية لاستمرار سقوط الامطار . وفي ١١٤٩ رأينا تلّ القمح (٧٢) الى شمال-الشمال الغربي ، وتلّ الزواغير الى غرب-الشمال الغربي .

== الاصل بيت نيكاتور عند السورين ، وكانت منذ النصف الاول من القرن الثالث مقراً لمطران مسيحي السريانية ؟ (مدونة اربلا [ترجمة سخاو] ، ص ٦١) .

وقد عانت بلدة قطربل كثيراً من جند المرتزقة الاتراك في خلافة احمد المستعين (٨٦٢ - ٨٦٦ م) ، حتى انهارت أخيراً . (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ٣ ص ١٥٦٢ ومابعداها) .

ويكتب ابو الفضائل ، المصدر السابق - المجلد ٢ ص ٢٩٩ ومابعداها ، ان قطربل أو قطربل كانت بلدة بين بغداد والمزرفه غربي دجلة . ومنها اشتق اسم منطقة قطربل ، الممتدة فوق الصراة والتي تروي من نهر الدجيل . ويذكر ان المزرفه (المصدر نفسه ، المجلد ٣ ، ص ٩٠) كانت بلدة كبيرة على الطريق شمالي بغداد ، غير بعيدة عن دجلة .

ويقول حاجي خليفة ، جهان نامه (القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ) ، ص ٤٦٠ ، نقلاً من روايات قديمة ، ان بلدة قطربل الواقعة بين بغداد وعكبرا معروفة بسكانها المسيحيين وكنائسها المتعددة .

(٧٢) ولعل تل قبر والخرائب المجاورة هي بقايا بلدة البردان القديمة .

ويقول الشابشتي ، الديارات (مخطوط برلين) ورقة ٢٤ ب ، انه كان ثمة دير في البردان على ضفة دجلة . وكانت البساتين ممتدة طوال الطريق من بغداد الى البردان ، تتخللها متنزهات كثيرة ، مثل تل شكر ، المحمدية ، الطولوني الصغير ، الطولوني الكبير والبردان . .

وبروي ياقوت ، المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٥٢٢ ، ان المسافة من بغداد الى البردان هي سبعة فراسخ ، وتقع صريفون غير بعيدة من هناك . وفي زمن ياقوت لم يعد موقعا صريفون والبردان معروفين . فلا بد ان تكون المسافة سبعة فراسخ خطأ .

ويذكر ابن سراييون ، العجائب ، (لوسترنج) ، ص ٩ ، ان دجلة يجري الى جانب مدينتي تكريت وسامراء ، ثم الى جانب قرى القادسية ، الاعمدة ، العلك ، الحظيرة ، الصواسع ، ويخترق مدينة بغداد .

وبين ابو الفدا ، التوقيم (رينسو ودي سلان) ، ص ٥٤ ان دجلة يستدير بعدها شرقاً الى سامراء ، على خط طول ٦٩° ، وخط عرض ٣٤° ؛ ثم يتجه جنوباً الى عكبرا على خط طول ٦٩° ، وخط عرض ٣٣° ؛ ويمده يتجه شرقاً الى البردان ، على خط طول ٥٠° ٦٩° ، وخط عرض ٣٠° ٣٣° ، وأخيراً يتجه جنوباً شرقياً نحو بغداد .

وبعد ان غادرنا ضفة النهر اتجهنا شمالاً بمحاذاة مجرى دجلة القديم
 للمسى الشطيطة ، ومن ١٢٢٥ بعد الظهر الى ١٠١ تناولنا غداءنا على الحافة
 الغربية من حقول الشيخ حبيب . وكان على يميننا في الساعة ٤٥ ر١٠ قبر الشيخ
 حبيب . وفي الساعة الثانية كان طريقنا يخترق خرائب تل المفهده ؛ وفي ٤٠ ر٢
 ترجلنا امام مخفر الدرك بقرب خان المشاهدة . وكان الخان (التزل) مهجوراً
 وخرباً . وكانت خطتي ان نترك مؤننا وخيامنا في غرفة بالطابق الاول من مخفر
 الدرك تحت حراسة ناصر ، ونترك النوق الخمس في مضارب المشاهدة في
 موقع قريب منا ، وبعد ذلك نتجه الى نهر الثرار . وكان علينا ، بعد ان نفرغ
 من دراسة الاقاليم الممتدة على طول الجزء الادنى من النهر ، ان نعود ادراجنا
 الى خان المشاهدة لاسترداد امتعتنا ، ثم نواصل سيرنا جميعاً الى سوريا بمحاذاة
 الضفة اليسرى من الفرات . وتقرر ان يصحبنا اثنان من رجال الدرك في رحلتنا
 الى الثرار . وكان الرجلان فارسين ، لذا وجب علينا شراء شعير علفاً لحصانيهما
 ولكن لم يكن للشعير وجود في المنطقة المجاورة كلها . وقبيل لنا
 أن السبب في ذلك هو عدول الناس عن زراعة الشعير الآن لان الحكومة كانت
 تصادر المحصول كلما زرعه في بقعة من الارض . واثاروا علينا بالدهاب
 الى سميكة للحصول على حاجتنا منه . فالتربة هناك اكثر جفافاً واصلح لزراعة
 الشعير بحيث يمكن اتياعه في تلك المنطقة على الدوام .

وكانت الاراضي المجاورة لخان المشاهدة تروى سابقاً من نهر الدجيل
 وتتبع ادارياً منطقة الدجيل (٧٣) .

(٧٣) واستناداً الى الرواية التي حفظها لنا ابو زيد فان مصعباً كان قد قتل
 عام ٦٩٠ - ٦٩١ م ، بالقرب من نهر الدجيل غير بعيد من دسر الجالليق
 (الطبري ، التاريخ [دي خوية] ، السلسلة ٢ ص ٨١١) .
 ويذكر ابن خرداذبة ، المسالك (دي خوية) ص ٧ ان الفرات والدجيل
 يرويان مناطق فيروز ، سابور ، مسكن ، قطريل ، وبادورايا . واما
 ابن خرداذبة فيما يظهر مخطئ . بين جدول الدجيل ، الذي يأخذ من الفرات ،
 وبين نهر الدجيل ، الذي يتفرع من دجلة فان ذلك يتبين من ان منطقة

مسكن لم يكن في الامكان ارواؤها من الفرات ، بينما لايمكن ارواء المناطق الاخرى من دجلة .

يجري بجانب مدينة تكريت ، على خط طول ٢٥° ٦٨' وخط عرض ٣٤° ؛ وفي عام ١٨٦٦م قام سعيد بن صالح ، صاحب الخليفة المعنز ، بوضع الخليفة المزعول احمد المستعين في قارب ، وسار مشرعا معه على دجلة من سامراء الى مخرج نهر الدجيل ، حيث ربط حجرا بقدمه والقي به في الماء (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ٣ ص ١٦٧٠ وما بعدها) . ويدون ابن حوقل ، المسالك . (دي خويه) ، ص ١٥٦ ان نهر الدجيل يتفرع من دجلة بالقرب من بلدة تكريت ، ويروى بعض المزارع الاراضى التابعة لهذه ، ثم يجري في حقول بلدة سامراء ، بحيث جعلتها صالحة للزراعة حتى حدود بغداد . ويخلط ابن حوقل بين نهر الاسحاقى وبين نهر الدجيل .

ويقول باقوت ، المعجم (فستفلك) ، المجلد ٢ ، ص ٥٥٥ ان الدجيل نهر بين بغداد وتكريت ، اسفل من سامراء ، مقابل القادسية . ويروى مناطق واسعة وقرى متعددة ، مثل : اواناء ، عكبرا ، الحظيرة ، صريفون ، الخ . . . ويصيب في دجلة . وتقع بلدة مسكن ، حيث هزم مصعب وقتل ، على النهر .

ويضيف ابو الفضائل ، الراصد (يونبول) ، المجلد ١ ، ص ٣٩٣ وما بعدها ، الى هذا : ان نهر الدجيل يصب في دجلة عند بلدة الطاهرية . وتبنى مرقد فوق ضريح مصعب ، وكان يؤمه الزوار . وفي منطقة الدجيل بقرب بلدة اواناء كان ثمة جدول الناب (المصدر نفسه ، المجلد ٣ ص ٢٥٢) . وامتد نهر زوار غير بعيد من عكبرا (المصدر نفسه ، المجلد ٣ ص ٢٤٧) مارا ببلدة زوا . وجرى جدول البيطار بين بلدة حرباء وبلدة اوانا (المصدر نفسه ، المجلد ٣ ، ص ٢٤٥) .

ويقول حاجي خلفه ، جهان نامه (القسطنطينية ، ١١٤٥هـ) ، ص ٤٦٠ ، ان بلدة الدجيل تقع الى جنب خرق الدجيل (الخرق : القناة) . على مسافة ساعة او ساعتين من مدخله . وكانت فيما مضى مركزا مشهورا لمنطقة الادارية ، تكثر فيها القرى الاهلة بالفلاحين . واصبحت هذه المنطقة مقفرة عندما اختنق نهر الدجيل بالطين . وقد امر حاكم بغداد السياسي ، مرتضى باشا في عام ١٦٥١ بتنظيف النهر القديم الى حد ما ، واعادة اسكان الاهلين في عدة قرى ، ولكن الماء لم يجر في النهر الا بكميات غير وافية . وتبعنا لذلك سرعان ما غادر الاهلون قراهم ثانية ، وتعلقت زراعة الاراضى هناك ، اذ ان اصلاح النهر بصورة شاملة كان باهظ التكاليف ولا ريب .

خان المشاهدة الى السميكة

في ٢ أيار سنة ١٩١٥ ، في الساعة ٨ ، ٥ صباحاً غادرنا خان المشاهدة على الطريق (٧٤) الموصول من بغداد الى تكريت مارّين ببلدة سميكة .

كنّا نمرّ الآن بإقليم مسعود ، وهو اقليم مستغل بالزراعة الى حد كبير . وفي ٣٠ ر ٥ كانت الى غرب - الشمال الغربي منا محطة سكة حديد مقصّ مسعود ، والى شرقنا حقول اللّوح وخرائب الصبوح ، وشاهدنا شرقاً خرائب الطاسة ، والى الشمال الشرقي منها تلّ المنود ، وفي شرقي شرقي - الشمال الشرقي من التل الأخير توجد مدّة المكّوح . وقطعنا بعد ذلك سهل مغاير الممرّ . وبعد ان عبرنا نهر قديماً في الساعة ٤٠ رأينا الى الشمال

(٧٤) وكان يؤدى من بغداد في الازمنة السابقة طريقان الى الشمال ، احدهما على الضفة اليمنى لدجلة ، والاخر على الضفة اليسرى . ولايمينا في هذا المجال سوى الطريق الذى على الضفة اليمنى .

ويسجل قداما ، الخراج (دىخويه) ، ص ٢١٤ المسافات التالية : من بغداد الى محطة البردان ، ٤ فراسخ ، ومن هناك الى عكبرا ، ٥ فراسخ ، ومن هناك الى باحمشا ، ٣ فراسخ ، ومن هناك الى القادسية ٧ فراسخ . - ويمكن مطابقة البردان بخرائب تل قير ، على مسافة ٢٠ كيلو مترا شمالى بغداد القديمة . وتقع خرائب عكبرا على بعد ٢٦ كيلو مترا شمالى تل قير على الضفة اليسرى لمجرى دجلة القديم . ولابد من البحث عن محطة باحمشا في مكان ما بقرب الشيخ منصور . اما بلدة القادسية ، التى لا تزال مأهولة حتى يومنا هذا ، فانها تقع على الضفة اليسرى لمجرى دجلة الحالى .

ويذكر الاصطخرى ، المسالك (دىخويه) ، ص ٧٩ ، ان المسافة من بغداد الى سامراء ٣ مراحل ، ومن سامراء الى تكريت مرحلة . - ومن بغداد الى سامراء تبلغ المسافة ١٠٥ كيلو مترات ، او لمسافة من سامراء الى تكريت ٨ كيلو مترا ، وعلى هذا فالمرحلة لم تكن متساوية الطول .

ويعدد ابن حوقل ، المسالك (دىخويه) ، ص ١٥٨ ثلاث مراحل من بغداد الى سامراء ، مرحلتين من سامراء الى تكريت ويخصى المقدسي ، احسن (التقاسيم) (دىخويه) ، ص ١٣٤ وما بعدها ، من بغداد الى البردان بريدسين (اى محطتى بريدس) ثم الى عكبرا مرحلة ، ثم الى باحمشا ، نصف مرحلة ، ثم الى القادسية ، مرحلة ، ثم الى

الكرخ مرحلة ثم جبلتنا مرحلة تبلغ المسافة الفعلية من بغداد الى البردان نحو ٢٠ كيلو مترا ، ويمثل هذا المسافة بين محطتي بريد . . ومن هناك الى عكبرا تبلغ المسافة ٢٦ كيلو مترا ، أو مسيرة واحدة ، ومنها الى باحمشاء : نحو ١٤ كيلو مترا ، أو مسيرة نصف يوم ، ومن هناك الى القادسية : نحو ٣٧ كيلو مترا ، أو مسيرة واحدة .

ويتفق الادريسي ، النزهة ، م ، ٤ ، ٦ ، مع المقدسي . فضلا عن ذلك فإنه يحتفظ بجزء يتعلق بطريق من بغداد الى وادي الترار ، وهو الطريق الذي يقول انه يبدأ عند مونة الحضر . ومن هناك يمتد لمدة تسعة أيام مخترقا صحراء الرقة . ونقرأ في ترجمة جوبير للادريسي ، المجلد ٢ ، ص ١٤٦ وما بعدها ، ان هذا الطريق يترك دجلة عند تكريت . - فان كان في الامكان الوصول الى الرقة بهذا الطريق في تسع مسيرات فلا بد اذن ان كانت كل مسيرة قرابة خمسين كيلو مترا . واتجه الطريق من تكريت الى الغرب مباشرة ، مارا بابار ابي القدور ، بنية المالحه ، السمدان ، التريسان ، الشخمة ، ام غدرم ، القليسية ، والخيرة . وعبر الطريق نهر الخابور عند تل الشيخ حمد (ماكسين) ، ووصل الى الفرات عند بلدة الخانوقه ، وتابع سيره بمحاذاة ضفته اليسرى .

وسافر ابن بطوطة ، التحفة (ديفريميرى وسانكوننى) ، المجلد ٢ ص ١٢٢ وما بعدها ، من بغداد الى بلدة بجانب نهر الدجيل الذي يأخذ من دجلة ، ويروي قرى كثيرة . وبعد يومين وصل الى مدينة حربي الكبيرة الغنية ، ومن هناك بلغ قصر المعتوق على ضفة دجلة بعد مسيرة أخرى ، وقد خيم على مقربة منه . وكانت وفاته التالية لقضاء ليلته في مدينة تكريت . وبعد مسيرة يومين آخرين وصل الى قرية المقر الواقعة على دجلة . وفي الجزء العلوي من هذا المكان ارتفعت ربوة بها قلعة قديمة مهجمة . وفي اسفل منها مباشرة كان يقع خان الحديد ، الحصن بابراج . ويستمر الطريق بعد ذلك بين قرى ومزارع كثيرة أهلة بالسكان حتى الموصل . وكانت المحطة التالية فيما وراء الموصل تسمى القبارة ، وتقع على النهر ، وبجوارها كانت توجد عيون قير متعددة . ولعل ابن بطوطة امضى ليلته الاولى عند بلدة البردان ، التي كانت على بعد ٢٠ كيلو مترا شمالي بغداد ، وكانت تحصل على ماؤها من فرع من نهر الدجيل . ومن هناك تبلغ المسافة ٥٢ كيلو مترا الى حربي . ويمكن مطابقة قصر المعتوق بقصر العاشق الحالي ، الذي يبعد مسافة ٣٧ كيلو مترا من حربي ، واربعين كيلو مترا من تكريت . اما محطة المقر ، التي تمتد شمالها الترى قرية بعد قرية مع حقولها المزروعة ، طول الطريق المؤدى الى الموصل فينبغى البحث عنها بقرب قصر البنات .

منه كثيراً من الروابي كونتها خرائب النادریات . وفي ٦٤٨ ر وصلنا الى عدة
آبار مهلمة وبركة البير الصناعية المرصوفة بالآجر . وفي ١٠ ر٧ عبرنا جدول
الناضرية ، التي يأتي من السميكية ، وشوهدت من جهة اليمين ، على بعد
اربعة كيلو مترات منا تقريباً بركة هور الطارمية الكبير الذي يقع ، والى
الشمال ، منه مخفر الدرك : (نقطة الطارمية) : وتركنا جمالنا نرعى من الساعة ٧٤٨ ر
الى ١٦ ر٨ بالقرب من قبر العبد . وفي ٢٥ ر٨ عبرنا نتوء سكة الحديد الذي
يتفرع هنا باتجاه ابو فراج ونهر دجلة ، ثم سرنا بمحاذاة الجانب الجنوبي
الغربي من حافة جف علي [كف علي] وظهرت الى الشرق خرائب صقر
وبارود ، وغزال ، وبساتين الخضيرة ؛ والى الشمال الغربي كانت جماعة
المقدامة ، من عشيرة زوبع قد تركت قطعاً من جمالها يرعى هناك . وفي
١٢ ر٩ مررنا بمشهد الشيخ ابراهيم الذي بني في طرف خربة واسعة .
وفي ٢٥ ر٩ وكان الى يميننا في الساعة ٢٥ ر٩ نهر قديم كبير يقع خلفه
مشهد جف علي ، والى الشمال من ذلك تظهر خرائب أوانا ثانية ؛ وكانت
امامنا بعض بساتين النخيل وفي الغرب ربوة عطاف .



(شكل ٤١ - سميكية من الجنوب)

وفي الساعة ١٠:٥ رأينا بشر السفنيرات من ناحية الشرق . كما رأينا الى الشمال منها ، على الضفة اليسرى من مجرى دجلة القديم ، خرائب ومحطة سكة حديد عكبرا (٧٥)

وبدأت الريح تهبّ من شرق - الشمال الشرقي . وفي ٢٠ ر ١٠ كانت الى يميننا خربة تلّ منصور . وفي الساعة الحادية عشرة توقفنا في خرائب تقع جنوبي قرية السميكة (شكل ٤١) ، الى شرقها ترتفع قرية مسكين (٧٦)

(٧٥) انظر مايلي ، الملحق العشرون .

(٧٦) عكبرا واوانا كانتا من المراكز السكنية المعروفة لدى كتاب العرب الاوائل وقد بنى الملك سابور الاول (٢٤١ - ٢٧٢ م) ، وهو من معاصري الامبراطور فاليريان ، على ضفة دجلة مدينة مرو خابور ، التي سميت فيما بعد : عكبرا ، (مدونة سيرت (شير) ص ٢٢١) .

ويكتب الطبري ، التاريخ (دي خويه) ، السلسلة ١ ص ٨٣٩ ، ملاحظة ٢ ، ان الاسم الاصلي لهذا المكان كان بزرج سابور (انظر ابن خرداذبه ، المسالك [دي خويه] ، ص ٢٨) .

وفي عام ٦٣٣ - ٦٣٤ ارسل خالد بن الوليد جندا من المسلمين من مين التمر اغاروا على مخيم التفليبين بالقرب من احد مناهل الماء، ومن هناك الى المنطقة التي كانت مدينة تكريت حاضرتها . ويروي محمد بن مروان انه عندما وصل الجند الى بلده عكبرا طلب أهلها الصلح . وذهب المسلمون بعدئذ الى البردان ، حيث تم الاتفاق على الصلح ، وبعد ذلك الى المخرم . وهناك عبروا جسر القوارب عند قصر سابور ، الذي دعى فيما بعد بقصر عيسى بن علي ، حيث ابدى القائد الفارسي المقاومة . وبعد دحره عادوا الى عين التمر سالمين . (البلاذري ، الفتوح [دي خويه] ، ص ٢٤٨ ومابعدها) .

وبالاستناد الى هذه الرواية فقد عاد الجند المغيرون من عكبرا بمحاذاة الضفة اليمنى لدجلة بطريق البردان ، او تل القر الحسالي ، الى قصر سابور ، الذي عرف فيما بعد بقصر عيسى . ولما كان القصر الاخير يقع في ضواحي بغداد بجانب نهر يحمل الاسم نفسه ، فلا بد من البحث عن المخرم بجوار يساقين المتولية . واذا عبر الفاتحون على جسر قوارب عند قصر عيسى ، فمن الواضح ان نهر الدقيل ، الذي عرف فيما بعد بنهر عيسى ، لابد ان كان يصب آنذاك في دجلة ، على مقربة من الموضع الذي بنيت فيه مدينة بغداد فيما بعد .

ويحصى ابن خرداذبة ، المسالك (دي خوية) ، ص ٥٩ ، تسع مكك من سامراء الى عكبرا ، ومن هذا المكان الى بغداد ست مكك . ويذكر في موضع آخر (المصدر نفسه ، ص ٩٣) ان المسافة من بغداد الى البردان هي اربعة فراسخ ، ومن هناك الى عكبرا خمسة فراسخ . وهذه البيانات غير صحيحة .

ويكتب المقدسي ، احسن [التقاسيم] (دي خوية) ، ص ١٢٢ وجه سامرا مدينة عكبرا وهي كبيرة عامرة كثيرة الفواكه جيدة الاعناب سرية .

ويدون ابو الفضائل ، المرصد (يوتبول) ، ص ٢٠٠ ، ص ٢٧٠ ، نقلا عن ياقوت ، ان عكبرا بلدة صغيرة في منطقة الدجيل الادارية على بعد عشرة فراسخ من بغداد ؛ ولكنه يضيف ان بلدة عكبرا تقع على الضفة الشرقية من دجلة ، ويقول : انه حينما احتفر دجلة لنفسه مجرى جديدا شرقي ذلك المكان سمي المجرى القديم بالشطبة . وتقع اواناء على الضفة اليمنى للمجرى القديم ، مقابل عكبراء ، وقد انتقل سكان البلدة الاخيرة الى اوانا وقرى اخرى . وقد عرفت المنطقة التي بين الشطبة ومجرى دجلة الجديد بالمستنصري ، لان الامام المستنصر كان قد امر بحفر جدول للري هناك ، يتفرع من نهر الدجيل .

ويسجل ابن الاثير ، الكامل (تورنبرك) ، المجلد ٤ ، ص ٢٦٥ ، ان مصمبا - عند زحفه من الكوفة - خيم في باخمري غير بعيد من اوانا ، التي كانت تعود الى منطقة مسكن السياسية .

وخرج عليه الخليفة عبد الملك بطريق قرقسياء واتخذ موضعا فسي مسكن ، على بعد ثلاثة فراسخ ، او ربما فرسخين فقط من مخيم مصعب .

وبغية اجتناب المكان الذي كان ابن هبيرة قد تحصن فيه فان تحطبة

ابن شبيب زحف عام ٧٤٩م بطريق بزرج سابور (اي عكبرا) وعبر دجلة من مخاضة الى اوانا (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ٣ ،

ص ١٢) . وفي عام ٨٦٥م جرت مناوشة عند اوانا مع حامية قطربل (المصدر نفسه السلسلة ٣ ص ١٥٨٧ وما بعدها) .

وعلم ياقوت ، المعجم (فستفلد) ، م ١ ص ٥٨ ، بوجود باحمشا وهي بلدة تقع بين اوانا والحظيرة ، حيث حارب المطلب في عهد هارون الرشيد .

والجويث هي بلدة بين بغداد اوانا ، بالقرب من البردان (المصدر نفسه ، م ٢ ص ١٦٣) .

المتهدمة . وتقع الى الجنوب الشرقي خرائب أوانا وصفرين ، وكانت عكبرا الى الشمال الشرقي منها وكانت بينها وبيننا ربوات وبساتين والى الشمال تجمعت اكواخ قرية (سميكة) .

ان الاراضي التي تقع حول نهر الدجيل القديم ملك قبيلة بني تميم ويبلغ عدد خيامهم حوالي مائتي خيمة وتتكون من العشائر الآتية :

البوحشمة

البوحسن

العتائية

الشريقات

الثامر

ولاقينا صعوبة كبيرة في شراء حاجتنا من الشعير وما حصلنا عليه ، مع ذلك ، كان ذابلاً بسبب الجفاف ولم يكن يفضل الفش كثيراً . وكان سعره غالياً أيضاً بفضل وجود عدد من الاكراد (المجاهدين) الذين كانوا في طريق عودتهم الى ديارهم بعد هزيمة الاتراك في البصرة ، وكانوا جميعاً من الفرسان وني حاجة الى علف لخيولهم .

السميكة الى سهل الشنانات

بعد حسنولنا على دليل واصلنا رحلتنا في الساعة الثانية بعد الظهر واتخذنا طريقاً متعرجاً لتحاشي مقابلة المتطوعين ، واصلنا في الساعة الثالثة الى الطرف الشمالي من البساتين ، حيث يزفغ في شمالها تلّ العبارة ، والى شرقها تلّ السموفية . والى شرقي - الجنوب الشرقي تلّ الأحيمر وشاهدنا الى الجنوب تلّ (الدوير) يليه على مسافة بعيسلة الى الغرب تلّ سمارة فمرتفعات ردايف . وفي ١٥ ر٣ مررنا خلال خربة الوقف . وفي ٥١ ر٣ رأينا الى الشمال تلّ الدبابين . وكان في الساعة ٠٢ ر٤ على مقربة من يسارنا ضريح الشيخ منصور ، والى الشمال منه خرائب الرّزن . وفي ٣٠ ر٤ بلغنا مخيم عشيرة

الغنّام من قبيلة الخزرج ، وهذه العشيرة تشتغل بالزراعة فقط : وفي ٥٠ ر ه
 خيمنا في مخيّم الخزرج بالقرب من ربوة ضريح الشيخ غريب الذي تطله
 نخلة واحدة . وهنا وجدنا دليلاً جليداً ادّعى انه يعرف كل شبر في منطقة
 الثرثار . ومع انني لم أثق بكلامه كثيراً ، فقد استأجرته آخر الأمر ، لأن
 الخزرج قالوا انه شمري . وكان اسمه حمودي بن ظاهر بن ربيعة .
 والتمتع البرق في الليل كثيراً في جهات مختلفة وسقطت بضعة قطرات مطر كبيرة .
 كما ان البعوض من نوع القارص (الكارص) والزّيج [الزريق] ساعد كذلك
 على جعل ليلتنا غير مريحة .

في ٣ أيار سنة ١٩١٥ ارتحلنا في الساعة ٢٠ ر ه صباحاً . لم يكن ثمة
 أثر للريح . وكانت نرى الى الشمال الغربي خرائب ام الخيمة ، وإلى غرب
 - الجنوب الغربي منها خرائب أم الضّباع ، وإلى الشمال الشرقي محطة سكة
 حديد الطويبة . وفي ٣٥ ر ه وصلنا الى خرائب ام ضبيعة (أو الضباع) ،
 وتجريّ بجانبها ساقية ري (جمّ شريعة) وتتفرع هذه من نهر الدجيل . وتسمى
 الحقول التي تقع شمالاً ضبيعة ابو شنة ، وهي ملك عشيرة الرقيعات من
 قبيلة المجمع . وتملك هذه العشيرة المنطقة الممتدة حتى نهر الدجيل . وتتكون
 عشيرة المجمع من البيوت الآتية :

الرقيعات	الجمّات
الطعيمة	القصيب
العويسات	العديّة

ويملك السوامة اي سكان سامراء ، الأراضي الواقعة حول خرائب
 الاصطبلات . وفي ٤٥ ر ه وصلنا الى شجرات العسل : وهي مجموعة من
 نحو عشرين شجرة كبيرة يزعمون انها زرعت هنا بأمر الخليفة المأمون .
 وازهارها كبيرة نزعاً ما صفراء كصفرة اليمون وهي تشبه بشكل اوراقها ونموها اشجار
 (المشملة) (١) وقد أكد لنا دليلنا البركي ان هذه الشجرات مقدسة ويحرم

(١) المشملة - شجر من الفصيلة المودية او ثمره ..

قطع غصن او عود منها ، لذلك لم استطع الحصول حتى على عسلوج فيه بعض الازهار لكي أضمه الى مجموعتي النباتية . وفي ٢٥ ر ٦ عبرنا نهسر ابو درج القديم وبدأ عند قرية جسر حربى (٧٧) الى الشمال ، وينتهي عند مستنقعات الهور شمالي عقرقوف ، ثم ظهرت الى شمال - الشمال الغربي ربوة ضريح ابو المحاسن بلونها الأبيض .

وفي ٤٠ ر ٦ ظهر للعيان الأقيصر في جنوب - الجنوب الغربي ، وبالقرب منه خرائب ابو عوسجه وفي غرب - الجنوب الغربي : تل يياض . وأمضينا ساعة من الوقت بين ١٠ ر ٧ الى ١٠ ر ٨ في رقع الماء من الآبار الضحلة القريبة من خرائب السعلوة . وكانت خرائب تل يياض الى الجنوب الشرقي في الساعة ١٠:٠٠ ، وتكون هذه تلاً مستطيلاً مائدي الشكل يبلغ علوه نحو عشرة أمتار ، ويقع عند الحد الغربي من السهل الفيضي . والى الغرب ظهرت مرتفعات ردايف المتموجة تقطعها اودية عريضة قليلة العمق . وفي الساعة التاسعة عبرنا سد الفرحاتية القديم ، الممتد من الشمال الى الجنوب حتى يصل هور ابو العويجيلة على مقربة من تل يياض . ويزيد عرضه على عشرين متراً أما ارتفاعه فيبلغ خمسة أمتار . وقد لفت دليلاً نظري الى بشر عقلة اللاريجة الصغيرة جنوباً والى بشر فأج ابو عصافير شمالاً .

(٧٧) ويذكر ابن الأثير ، التاريخ (ديسلان) ، ص ٢٢٢ ، انه في عام ١١٥٨ م انضمت جيوش الامير محمد ، ابن السلطان محمود ، الى جيوش الانابك قطب الدين ، حاكم الموصل ، في منطقة حرباء ، وبعد ذلك زحفوا على بغداد .

ووصل ابن بطوطة (التحفة [دفرميري وسانكونيتي] ٢٠٠ ، ص ٢٣٢) في اثناء رحلته من بغداد متوجهاً الى الموصل ، الى محطة على نهر الدجيل الذي يتفرع من دجلة ، ويروي فرى كثيرة . وبعد يومين آخرين بلغ بلدة حربى الكبيرة الواقعة وسط حقول خضبة واسعة . ومن هناك وصل في اليوم نفسه الى قرية مبنية على نهر دجلة بالقرب من قصر المعشوق ، وبعد مسيرة طويلة بلغ مدينة تكريت .

يؤكد ابو الفضائل ، الراصد (يوينبول) ، م ١ ص ٢٩٥ ، ان حربى هي بلدة صغيرة في القسم الأعلى من منطقة الدجيل بين بغداد وتكريت . وتصنع فيها منسوجات قطنية خشنة ، تباع في نطاق واسع من تلك الانحاء .

وحوالي ١٠ ٩ بدأت جمالنا ترعى النباتات المألوفة في الصحراء ، التي دخلنا فيها الان . وفي ٢٥ ٩ رأينا في الشمال ربات المطبق التي يخترقها ممر ثنية الشريط ، وفي الشعييب المجاور لهذا الممر يوجد غدير يحمل نفس الاسم . وظهرت امامنا عقلة نفاخ ، والى الجنوب الغربي بئر ابو عظام ، وبئر الفردية الى الجنوب الغربي منها .

ان الاقليم الذي كنا نقطعه الآن يشبه منظرها عظيماً ، فالمرتفعات المتعوجة تغطيها انواع مختلفة من النباتات الحولية والدائمة . وفي السهول تتعاقب بساتين السدر مع مروج نضرة لاتخذتها القطا مكانا لبناء اعشاشها . وهذه من الكثرة بحيث تعد بالآلاف . اذ لا تعد شجيرتين الا لتجد تحت الثالثة منها حفرة قليلة العمق حفرتها هذه الطيور ووضعت فيها ثلاث بيضات ، لا يزيد حجم الواحدة منها عن حجم البندقية كثيراً . ويضرب لون هذه البيوض الى الخضرة تنتظمها نقاط سمراء اللون . ولم نر في اي مكان طيراً منها حاضناً لبيضته ، وعندما كنا نفاجي ، بعضها احياناً لا نصادف الا قطاة كانت تضع لبيضها في تلك اللحظة . وشاهدنا بعض الاروال ابصاراً في البقع التي يتكاثر فيها نمو الحشائش ، وفي ١٠ ٤٠ كانت عقلة نفاخ نحو كيلومتر واحد الى الجنوب منا ، والى جنوب — الجنوب الغربي منها عقلة ابو عظام .

ومن ١٠ ٤٨ الى ١٢ ٠ كان موعد غداثنا . وفي ٤٠ ٤ بعد الظهر وصلنا الى عقلة أبو كوزة ، وفي جنوبها تقع بئر أبو ظهير ، وفي شمالها : بئر عنيق . وفي ١٨ ٢ عبرنا سداً عالياً (جالي او جالو) ، وهو السد الذي سبق ان تبناه في ١٠ ايار سنة ١٩١٢ (٧٨) . . وفي الساعة الثالثة هبت ريح شديدة من الغرب . وفي ٣ ٤ اشار لي الدليل الى عقلة ابو شراطة ، وكانت تقع على بعد ثلاثة كيلومترات تقريباً الى الجنوب منا وفي ٣ ٢٠ كان على يميننا جليب (قليب) الابيض ، حيث كان اربعة جنود هاربين يحاولون الاختباء في تلك اللحظة خلف

بعض اشجار السدر . ولا أبدى الدرك رغبة في اعتناهم ، اعترضت ، مينا لهم ان واجبهم ينحصر في حمايتي وليس في مطاردة الهارين من الجندية ، وهكذا كُتب لهؤلاء المساكين النجاة الى أمد قصير . . ورأينا الى الشمال ربوة وعليها ركام ضريع ابر حجيره . وتسمى المنطقة الواقعة الى الغرب منه الشنانات لان الشنان ينمو بكثرة هناك . وفي ٤٤ ر خيما بقرب مخيم لعشيرة من عشائر الدليم حصلنا منها على دليل جديد . وعلى مسافة اربعة كيلومترات تقريبا الى جنوبي المخيم كان موضع ماء البراغيث ، وتقع على بُعد ستة كيلومترات من ناحية الشمال الشرقي عقلة أم شينة .

سهل الشنانات الى ام رحل

في ٤ أيار سنة ١٩١٥ خرجنا في الساعة ٤٠ ر صباحاً متجهين الى الغرب في سهل الشنانات المتزوج الحصوي ، وفي الساعة السادسة كانت بئر الحديدي على يميننا . واصلنا طريقنا على مرتفع (مرقب الطيور) ، الذي يهبط جنوباً الى واد تقع فيه آبار : الوشيل ، الغربي ، واللباد . وشاهدنا هنا وهناك ملحاً صخريا وطبقات من الجبس . وتركنا جمالنا ترعى من ٧٢٥ الى ٨٠٠ ر . وفي الساعة ٨٤٠ ارتفعت في الشمال هضبيات قويرات الغزلاني بسطوحها المنبسطة ، يتعرج بينها شعب الشلدة . وفي الساعة ٤٠ ر ٩ بين لنا الدليل من ناحية جنوب - الجنوب الشرقي تلاً عالياً مائدي الشكل ، احمر اللون هوتل المدرّة الذي تقع الى الشمال الشرقي منه ، عقلة القطبة . وفي ١٠٢٠ رأينا الى الجنوب الغربي ، والغرب ، والشمال الغربي جبال حافة الرخيمي الشايد الأ نحدار الذي تبرز منها طبقات صخرية تضرب ألوانها الى الحمرة والصفرة . ولتحاشي ذلك انعطفنا الى جهة الشمال الغربي ومررنا خلال شعب الجديدة الصغير . ومن ٢٥ ر ١١ الى ١٠ ر بقينا في شعب الهبي ، وهو شعب عميق تغطية حشائش كثيفة . وفي ٢٥ ر ١ بعد الظهر وصلنا الى برك من مياه المطر في شعب الشلدة حيث توجد ايضا ، على مسافة أبعد شمالاً : آبار خيماش ، والشيوخ ، والأبطح . وفي الساعة الثانية لمحتنا من ناحية شمال - الشمالي الغربي

في أجراف ابو نخلة الاخلود الذي تقع فيه مياه السدة . وشاهدنا في غرب - الشمال الغربي تلال الحصبي الصغيرة ، وترتفع الى شمالها وديان الحصانيات . وفي ٣١ رآنا القسم الغربي من وادي الثرار وهو بقعة مستوية رمادية اللون تمتلئ انداداً معتدلاً نحو الغرب ، تقطعها اخاديد واسعة ، وتطل عليها هضبات منبسطة السطح ، وارتفعت فوق سطح الهضبة نحو الغرب مباشرة تقريباً بعض التلال المسماة قرت المعسم . تقع هذه على خط تقسيم المياه بين الفرات والثرثار . والى الجنوب الشرقي من هذه التلال يتبع خط تقسيم المياه هضبات العويسجي ، والنويقات ، والمهمات ، وقويرات غمر ، والريخيمات . وأبرزها جميعاً قويرات غمر ، ويقال انه لا يزال على سطحها بعض بقايا قلعة ما . وفي الشمال الغربي من المعسم تقع آبار الغزبل ، والمويجية ، والمغزل . وعند الاولى منها ينتهي شعب ابو ثية الذي ينبع عند بئر ابو زويجة في الشمال ، وعند الثانية : شعب المويجية الذي يمتد من بئر أم طوق . وفي الجنوب الغربي من المغزل توجد بئر ابو صفحة ، وفي جنوب الجنوب الغربي بئر ابو رمانة . وفي شرقي ام طوق ، عند بئر ابو تريجية . يبدأ شعب ابو تريجية ، وهو فرع من شعب ابو صماج الذي ينتهي في الثرار .

ان مرتفعات الشطيحية ، التي تقع بئر عقلة الدقوقي على نهايتها الشرقية ، تفصل ابو تريجية عن شعب ام الطيول . ويمتد الى الجنوب من ذلك شعب ابو شنية الذي يقع بالقرب منه ماء حليوية مرزوق . وأبعد من ذلك جنوباً يقع شعب الاعوج الذي ينحدر اعظم فروعه من قرت المعسم ، بينما يأتي فرعان أقصر من ذلك من العويسجي والنويقات . وتقع في الفرع الاكبر عقلة المركده . وتقع على خط تقسيم المياه فيما وراء هضبات النويقات آبار السلطانيات ، البطريل ، وابو صفى . وتخرج عين الارنب من يسار الثرار والى الشرق من بئر ابو تريجية مباشرة . وتقع في جنوبيها الآبار الآتية على التوالي : عين القوس وآبار المنبلح ، والقريدة ، وام الحيايا ، وترتبط هذه كلها بالثرثار عن طريق أخاديد قصيرة .

في ١٥٤ دخلنا شعب الحمّـر ، وفي ٣٥هـ عبرنا الطريق المسمّى درب
ام الحيايا ، وفي الساعة السادسة خيّمنا بجانب التّـرثار في سهل فيضة فرحان ،
حيث كانت تخيم آنذاك البوحازم وهي عشيرة من قبيلة الدليم ، ثم حدّدنا
خطّ العرض : وأخذنا في البحث عن دليل جديد . وتخيم قبيلة الدليم على ضفتي
نهر الفرات على السواء ، في المنطقة الممتدة من الفصيمي الى الانبار . ومن بين
عشائرها سجلت ما يلي :

البو محفل	البو صقر
البو عسّاف	المحامدة
البو جليب (كليب)	المصالحه
البو خليفة	البو عبيد
البو ذياب : عائلتان	الحر دان
	الشلال
	الملاحمة
البو فهد	الجميلة
البو غنام	البو عيسى
العليّ جامم	الحلابسة
البو نمر	البوحيات
البو حازم	
البو علوان	الجفافية
	البو مرعي

ويرأس العشائر على الضفة اليمنى عاي السلطان البكر من البو عسّاف .
ويملك أراضي كثيرة في المنطقة المجاورة للرماذي ، وعلى الضفة اليسرى
كان الشيخ الفعليّ نجرس بن قعود ، ولكن بعد سجنه اعلنت رئاسة حر دان .
المويّنة (أو المينة) من البو ذياب .

منخفض ام رحل

٥ أيار سنة ١٩١٥ . - في الساعة ٤٥ر٤ صباحاً خرجنا مع دليلينا ، القديم والجديد متجهين الى جنوب - الجنوب الشرقي . وفي ١٠ر٥ توقفنا لرسم خارطة مجملّة المنطقة المحيطة بالمجرى الأدنى لنهر الثرار ، الذي يخترق سهل فيضة فرحان الفسيح ، وتكثر على الجانبين الشرقي والغربي باتجاه هذا السهل جبال وتلال منبسطة الظم . وهي بقايا سطح هضبة فخرتها عوامل التعرية تنحدر سفوحها انحداراً تدريجياً . وفي ٢٠ر٥ ارتقينا مرتفعاً يقع الى الشرق استطعنا ان نطلّ منه على جميع انحاء منخفض يبضي الشكل تنصب فيه مياه الثرار . وأخذ هذا المنخفض يتكشف بصورة بطيئة من تقاب أبيخرة كثيفة ، وظهر في وسط خضرة زاهية غنيّة ، محاطاً بحافة شديدة الانحدار وودية اللون وتحول تدريجياً الى سهل واسع يبضي الشكل ، يرتفع من وسطه الى الشمال والجنوب ، تسدّه حافة ثانية بيضاء اعلى من الاولى . وتوجد بحيرة مالحة ، على قاع هذا المنخفض تهبط حوالي ٥٠ متراً عن مستوى البحر تسمى الملح أو أم رحل . ويقطع هذه الحواف والسهل على السواء اخاديد عديدة تحمل مياه السبع من الجنوب والشمال الى المنخفض . وفي الساعة السابعة وقفنا لرسم خارطة .

وعندما إمتحنّا دليلنا الجديد في أسماء مختلف التلال والوديان تبين سريعاً نقص معلوماته بهذا الصدد . لهذا فاني اعفيته فوراً وارسلت أحد البرك مع الدليل القديم الى شعب الجديدة حيث كانت تخيم عشيرة البوعبيد من قبيلة الدليم ، لإحضار دليل آخر . وتسكن هذه العشيرة بجانب بحيرة الملح طول العام لاستحصال الملح منها . وقد اخبرنا الدليل القديم ، وهو من عشيرة البوذباب الذين يملكون سفوح هضبة راديف الصخرية التي تحفّ بالسهل الفيضي الممتد بين الصقلاوية وسامراء ، عن مختلف الاماكن في شرق البحيرة وفي شمالها الشرقي . ولم يمسك الدليل والركبي حتى الساعة العاشرة ، لكنهما أتيا بدليل لم تتناقض أقواله مطلقاً ، وكان ، بكل تأكيد على معرفة تامة بالمنطقة المجاورة كلها .

والى شمال قويرات .عمر وشرقي قور للمهمات أمكن رؤية سهل سلاية
الذي ينحدر على شكل مدرجات نحو الشرق ، ومنه تخرج شعاب ام دلى ،
وابو سبعة ، وابو ييشة - وفي كَل واحد منها بئر (عقلة) تحمل نفس الاسم -
متبعة طريقاً متعرجاً الى بحيرة الملح . وتقع في جنوب قويرات عمر بئر -
القنطرة ، التي ينحدر منها شعب الخنزير الى البحيرة ، وفي شرق الرخيميات توجد
آبار الخفقي ، والمنزل وابو عرجايه . وهنا أيضا نجد رأس شعب الغرابه ،
ودشت نابغه . حتى اذا بعدنا الى الجنوب الشرقي امكن رؤية جبال (حافة) طار
المزابد ، وينفتح الى الأسفل منها شعيب الحمر والتاعيري ، ودشت الرديني ،
وابو حص ، وينتهي الأخير عند الحافة الجنوبية للبحيرة .

وبعد الانتهاء من رسم الخطوط الاولى للمخارطة غادرنا الساعة ٥٣ ر ١١
سائرين على امتداد ضفاف البحيرة . وفي ٢٥ ر ١٢ بعد الظهر كان الى يميننا
منهل (بحات شراب) . وشاهدنا الى يسارنا شمالي البحيرة طبقة تراب احمر
يبلغ سمكه نحو ٢٠ متراً ، تتخلله اشربة افقية من الملح تستقر على قاعدة
صخرية . وفي ٣٠ ر ١ عبرنا شعب الحليوات ، وفي ١٥ ر ٢ استرحنا في شعب
الايتير بجانب بئرين منخفضتين (عقلتين) بين شجيرات كثيفة من الغضا
(شكل ٤٢) ، والظاهر ان اوراقها كانت تلائم ذوق جمالنا كثيراً . وارتقينا
اقرب مرتفع لرسم خارطة اخرى للمنطقة المجاورة ، وفي المساء حددنا خط
العرض . ودامتنا في الليل عاصفة وملية من جهة الغرب ، وسقط المطر
في منتصف الليل لمدة نصف ساعة تقريباً .

وفي ٦ أيار سنة ١٩١٥ ، بدأنا السير في الساعة ٠٩ ر ٥ صباحاً ، وواصلنا
الرحلة خلال سهل منبسطة مغطى برمل ووردي اللون ، وقد نبئت فيه اجسام
هائلة من شجيرات الغضا ، وقد أزال المطر طبقات الملح والرمل الرمادية اللون التي كانت
تغطي اشواك هذه الشجيرات ، ولهذا فانها كادت تعمينا بخضرتها الزاهية .
وارتفعت فوق السهل تلال قباية صغيرة منفردة ، قرية الشبه بالاضرحة الكبيرة
في المقابر القديمة . وأشرق البحيرة بلونها الازرق الصافي ، فيما كانت الحافات

الجنوبية الشديدة الانحدار ملتفة بنقاب ورديّ . ومسح الهواء بعد ان أزال المطر شوائبه واعاد اليه نقاوته ، برؤية واضحة جداً . وكانت النهاية الشمالية للبحيرة مسبوذة من ناحية الغرب بثلاث حافات شاذية الانحدار ترتفع الواحدة وراء الاخرى . وتختفي الحافة الوسطى . سلاية ، بعد ان تساير امتداد البحيرة الى ثلث مسافتها . ولكنها تعود للظهور على بعد عشرة كيلو مترات تقريباً الى الجنوب مكونة طار المزابد . اما الحافة (الجال) الثالثة ، وهي اعلاها ، فانها تختفي الى الجنوب ايضاً : بينما ترتفع اوطأ هذه الحافات بطريقة تكون فيها جداراً عالياً عند الطرف الجنوبي من البحيرة . وتوجد على الجانب الشرقي ثلاث حافات او مدرجات فوق الطرف الشمالي من البحيرة ، ولكن لا يبقى في جنوب هضبة المدرّة الا اثنان فقط . ويتقطع القسم الشمالي الغربي من الهضبة ، التي تكون حافتها أعلى جدار في شرقي البحيرة ، الى تلال منبسطة القمة . وتتكون كل السفوح المشرقة على المنخفض من جبس وملح صخري يمدّ البحيرة بالملح حتى يقال ان طبقة ملح نقي ترسبت بها يبلغ سمكها اكثر من مترين .

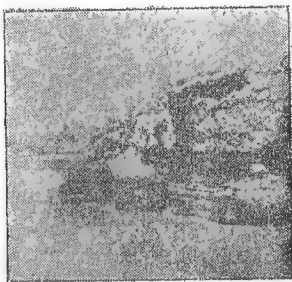


(شكل ٤٢ — في الابيتير ، شجيرات — غضا في الخاف)

وفي ٢٣٠ ر أبنا على اليسار شجيرات، آبار عقل الحلوات . وفي ١٠ ر أبنا
شعب الجردانيات الاول ويمتد عند نهايته الشرقية — الجنوبية الشرقية نوءان
جيايان تنحدر جوانبهما الواطئة بصورة عمودية تقريباً ، الى داخل البحيرة من
الجنوب . تدل كثرة الدروب التي تؤدى الى هذين الأخيرين على انها تصلح
مواضع لجمع الملح . وظلت جمالنا ترمى من ٢٣ ر الى ٤٣ ر . ووجدت في
تربة الشعييب الخيبة نبتة شعير فيها عشرون سنبلة ، في كل سنبلة خمس
ومبيون الى اربع وثمانين حبة . وفي ١٦ ر شاهدنا من ناحية الجنوب على سفح
فوق البحيرة حافة صخرية تتكون من اضلاع عمودية . وأخذت الريح تهب
الآن من غرب — الشمال الغربي ، وفي ٥٠ ر أبنا شعب المجبش وكانت
البحيرة الغربية تلمع كأنها مرآة . وفي ٢٠ ر أبنا الى جنوب — الجنوب
الغربي شعب النعيري يغيب في منطقة مرتفعة ، وفي ١٥ ر كانت حافة الرواسب
الملحية الجنوبية تقع الى الغرب منا مباشرة (شكل ٤٣) ، بينما كان تل الدوير
يقع الى الشرق منا . وفي ٤٠ ر مررنا الى اليمين بنهاية شعب التويقيد الذي
يتحد بشعب القفطارة . ومن ٤٦ ر الى ١٠ ر بعد الظهر أخذنا قسطن من
الراحة . وفي ٤٠ ر ظهرت الى جهة غرب — الجنوب الغربي منا حافة طار
المزابد الشديدة الانحدار التي تقع فيها بداية شعب النعيري . وكان على يميننا
شعب البُخُرْ ، او على حد تعبير دليتنا : ابو خوص .

في ٢٠ ر مررنا بآبار (يارأبو خُتْ) ومياها عذبة جيدة . وفي ٣٠ ر
وصلنا الى السكة (وتعني الطريق السهل المطروق) الممؤدية من
الفرات الى التواءات الصغيرة التي تمتد الى داخل البحيرة ، وقد سبق ان ذكرنا
انها أيسر مكان لجمع الملح . وتمثل الحافات التي تسد بحيرة الملح من الغرب ، كما
ترى من الموضع الذي نفدنا منه الى الطريق ، سلسلة عالية . وفي ١٠ ر صعدنا الى
سطح هضبة الوقيعي وقد ادت عوامل التعرية التي تعرض لها هذا السطح الى
تكون المنخفض الذي تقع فيه بحيرة الملح . والهضبة ذات لون ابيض مُغْبَرّ ،

ينمو نبات السمع بصورة كثيفة في الاقسام الواطئة منها ، وتغطيها طبقة من الحصى . وبعد مغادرتنا طريق ملح السكة انعطفنا شرقاً وألقينا نظرة أخيرة على البحيرة ، وقد تألفت كما لو كانت مليئة بالبلتور . ورعت الجمال من ٣١٨



(شكل ٤٣ - الطرف الجنوبي لأم رحل)

الى ٣٤٨ . وفي الساعة ٢٥ رة كان في جنوب - الجنوب الشرقي منا (قليب طراح) وسط مرج متسع ، والى الغرب منه تلال تويم . وفي ٢٨ رة اتجهنا نحو مخيم عشيرة البوصقر من قبيلة الدليم وقد سبق ان رأيناه الى الشمال الشرقي . وفي ٢٠٨ رة تجلت لابصارنا ثلاث ربوات أضرحة ناصعة البياض الى جنوب - الجنوب الشرقي منا ، والى شمالها تقع بشر الطريفوي . وفي ٣٥ رة نصبنا الخيام ، ولكن ما لبثنا الا قليلاً حتى احاط بنا الدليم وارادوا فحص امتعتنا وسروجنا . وما كان منهم الا ان ضحكوا ساخرين من رجال الدرك ، وأزعجوننا بكل وسيلة ممكنة ، ولم نستطع ان نحملهم على العلول عن ذلك ولم يتركونا الا بعد ان اعلنت لهم انني سأروي في كل قرية أمر بها على الضفة اليسرى من الفرات ، كيف يعامل البوصقر ضيوفهم المتعبين ، عندئذ غادرنا الرجال المستون اولاً . وسار على إثرهم الشباب منهم :

الفصل العاشر عشر

الثرثار الى الغابور بمعاذاة الفرات

ام رحل الى خان المشاهدة

في ٧ أيار سنة ١٩١٥ ، بدأنا رحلتنا في الساعة ٤ر٥٦ صباحاً متجهين الى الشرق . وفي ٥ر٥ كانت بئر الطريفايوي على يميننا . وفي الساعة السادسة كانت آبار غضيوي ، وحليج (حلق) الذيب ، والغردقية الى الشمال منا ، وفي ٦ر٥٣ عبرنا سداً قديماً بالقرب من بئر ختفان . وفي ٧ر١٣ اخترقنا بعض المسالك المؤدية شمالاً الى بئر حليج الذيب القليلة العمق . وإلى الجنوب اشار دليلنا الى مرتفعات عكاز ، وفي شمالها آبار الخسيفات ، وإلى الجنوب آبار عكية البنات والشهاب . ودرعت الجمال من ٧ر٤٠ الى ٨ر٠٧ . . وفي ٨ر٢٠ كانت بئر الحصيني تقع الى الجنوب منا ، وفي ٩ر٤٧ عبرنا ثانية ذلك السد الكبير القديم (جالو أو جالي) الذي سبق ان عبرناه في موضع ابعد الى الشمال منذ اربعة ايام (٧٩) . وبلغ ارتفاع هذا السد هنا ثلاثة امتار تقريباً ، وعرضه اربعة وعشرون متراً . وينعطف هذا السد نحو الشمال الشرقي باتجاه خرائب يياض ، ثم يسير شمالاً الى دجلة . وكان فيما مضى يفصل المنطقة الزراعية عن الصحراء . والظاهر انه كان يوماً ما معزراً بتحسينات شبه دائرية ، ويدل على ذلك وجود اجزاء منبعجة على كلا الجانبين . وأرانا الدليل في الشمال الشرقي ، غربي الجالو ، آبار بكر ، والسبعة ، وإلى شمالي الأخير : بئر الغردقية . وفي ١٠ر٢٠ كانت بئر القصيبة الى الجنوب منا . وإلى الشمال الغربي منها بئر الخنيفره . وإلى الشمال الشرقي من الأخيرة بئر الرشراش . وفي ١١ر٢٠ سرنا على فرع من السد القديم الذي يمتد من شمال

(٧٩) راجع ماسبق ، ص ١٢٤ .

الشمال الغربي الى جنوب - الجنوب الشرقي . وكان العرفج ينمو بكثرة في هذا المكان خاصة . واسترحنا من ١١٣٨ صباحاً الى ١٥٥٠ بعد الظهر بالقرب من بئر الصبحي . وفي ٢١٥ كانت عين البقرة تقع الى الجنوب الشرقي ، ومنهل النخيلة الى الشمال ، وأمامنا منهل القضيبة . وفي ٢٢٠ عبرنا درب الغضا الذي يؤدي من بغداد ، ماراً خلال وادي الثرثار ، الى مدينة الحضر الأولى . وفي ٢٤٠ كانت بئر المغيران الى شمال - الشمال الشرقي منا ، وإلى شمالها بئر الوردان ، حتى اذا بعدنا الى الشمال الشرقي كانت بئر شتاعة ؛ وفي ٣٥٠ كانت الى يسارنا بئر القضيبة .

من ٣٥٥ الى ٤١٥ رعت جمالنا على الحافة الغربية من وادٍ كبير يسمى عيب أبو ثوب حيث يمكن زراعة النخيل . وبعد ان انطفأنا الى الجنوب الشرقي في الساعة الخامسة ، شاهدنا ، بعد عشرين دقيقة ، في جنوب - الجنوب الغربي عند نهاية الوادي خرائب الحمرة الكبيرة . وفي ٢٥٥ عبرنا نهراً قديماً عريضاً يتجه من الشمال الى الجنوب . وفي الساعة السادسة رأينا من جهة الشرق على مسافة كيلومترين ونصف تقريباً خرائب الدبر الواسعة النطاق ، تكون مستطيلة هائلة ، يرتفع في شمالها تل صغير . وظهرت الى شمال - الشمال الغربي من الدبر خرائب المشرحات . وإلى الشرق خرائب البطاويات . وفي ٢٢٢ أقمنا الخيام للمبيت بحذاء مخيم بني زيد والجميلة ، وكلاهما ينتسب الى قحطان ، ولكنهما انضموا الى عشيرة ابو صقر من قبيلة الدليم .

في ٨ أيار سنة ١٩١٥ ارتحلنا في الساعة ٤٧ صباحاً الى شرق - الجنوب الشرقي . وعلى يميننا امكن رؤية قبر شلاش بن جرياً بلونه الأبيض ، الذي كان يوماً ما شيخ قبيلة شمر التي تخيم في إقليم ما بين النهرين . وفي ١٠ لمحننا الى الجنوب تألت زخارف مرقد بنات الحسن ، وإلى الجنوب الشرقي سبعة أشن (أو ربوات الخرائب السبع) ، وفيما وراء الأخيرة خرائب الضبعة المستطيلة الشكل . وفي ٢٤٥ كانت سبعة أشن الى الجنوب الغربي . وربوة خرائب مسعود الكبيرة الى الشمال منا تقريباً . وعبرنا نهراً قديماً في الساعة ٧٣٥ ، ثم عبرنا مرة أخرى في

٧٤٥ ، وعبرنا في ٧٥٨ درب الكائن الذي يمتد من الكاظمين الى السُمَيْكة . وهذا الطريق لا يستخلم في فصل الامطار ، ولكن ، يرجح عليه ، الطريق العام الذي يمرّ بازاء خان المشاهدة . ورعت جمالنا من ٨١٨ الى ٨٤٦ ، وفي الساعة ٩٤٤ وصلنا الى خان المشاهدة ، وأقمنا خيامنا خارجه . وهنا وجدنا ناصراً والخيام ، وحوائجنا والجمال التي سبق ان تركناها في ٢ أيار . وأكملنا خلال النهار مذكراتنا الخاصة بالخرائط ، وفي الليل حدّدنا خطّ العرض .

خان المشاهدة الوشاش

في ٩ أيار سنة ١٩١٥ ارتحلنا في الساعة ٤٤٥ صباحاً متجهين الى الجنوب الغربي خلال اطلال الخريبة . وكان على يميننا هور بقوع . وفي ٢٥ اخترقنا خرائب الأحادي ثم عبرنا في ٤٥٥ نهراً قديماً ، وفي ٥١٥ عبرنا درب الكلث . وفي ١٣٠ كانت خرائب الضبعة الواسعة الى جنوب - الجنوب الشرقي متاً . وفي ٤٥٥ انعطفنا الى جنوب - الجنوب الغربي . وظهرت لنا ، في ٥٥٥ من ناحية الجنوب خربة الطاقية التي تشبه قبة عالية . وإلى الجنوب منها تقع تقع خربة الزواغير . وفي الساعة ٧١٠ وصلنا الى حرائب السطّيح ، وتركنا جمالنا ترعى من ٧١٨ الى ٧٤١ ثم انعطفنا الى الجنوب الغربي للحصول على دليل في احد مخيمات بني تميم التي تقع في ذلك الاتجاه . وكان امام كل خيمة من خيام بني تميم كومة من الجبس الابيض وظهر على يسارنا غدير الحصان . وما وراءه هور ابو العوبجيلة . وفي ٨٣٠ ظهر تل القرعة الى الشمال . وفي ٨٤٥ كانت ركامات خرائب السمر في الشمال ، وقبة مرقد بنات الحسن في الجنوب الغربي ، وتل غريب في الشمال الغربي منا . وكنا نخترق الآن سهلاً غربيّاً خصباً ، وكانت كل الظواهر تدلّ على انه يصلح لزراعة الفطن . وفي ٩٢٥ مررنا خلال مخيم اللهب وهم عشيرة من عشائر قبيلة زيد . وكان علينا هنا الانعطاف الى غرب الشمال الغربي للألتفاف حول هور الحمرة . وكانت تهبّ منه ريح غربية شديدة تدفع الماء شرقاً على السهل المنبسط مسافة

خمسائة متر . وفي ١٥ رأينا جزيرة المجصّة الصغيرة الى جنوب - الجنوب الشرقي . وتتكون هذه الجزيرة من روبة بيضاء واطلة على الأكثر تنحدر بدرجة أكثر حدة نحو الغرب والشمال الغربي ؛ وهنا يستخرج بنو تميم جبساً يبيعونه في الكاظمين وبغداد . وإلى الجنوب الغربي ظهر تل^٨ أبو رويس فوق الافق .

ترجع قبيلة زيد الى بني تميم ، وقد سجلت من عشايرها ما يأتي :

البطّة : بين خان ابو طنطور وبنداد شمالي الطريق العام ؛

القرغول : بجانب الضفة اليسرى من جدول اللطيفية ؛

الجاتيون : على ضفتي الفرات بين ابو الفياض والروبيعية ؛

البوسوده : يقيمون مع زويج .

ابو صقر : بين المطبق وعقرقوف .

اللهيب : بقرب نيشان القساوي .

استرحنا من الساعة ١١٢٠ الى ١٢٥٠ بعد الظهر عند سدّ مرتفع ، يمتد من جنوب - الجنوب الشرقي الى شمال - الشمال الغربي ، في الشرق من ابو رويس ، وهو قلعة حنودية قديمة . ويبلغ عرض هذا السد عند قاعدته نحو خمسة واربعين متراً وفي ١٠ سرنا في شعيب الثريثير الضحل الذي يأتي من مرتفع يحمل هذا الاسم كذلك . ورأينا الى الجنوب الغربي بئر ابو طبق ، الذي يكاد يقع تماماً الى غرب خرائب المقيّد الكبيرة . وظهر الى الشرق نهر قديم عريض يأتي من الجنوب . وفي ٢٥ تراءى لنا تلّ ابو بلب (كلب) المنفرد الى شمال - الشمال الغربي ؛ وإلى الاسفل منه تقع بئر تسمى بالاسم نفسه . وإلى الشمال الغربي وراء ذلك يقع بئر الكيفيات .

وكانت أول وقفة لنا بعد الساعة ٢١٥ عند تلّ المقيّد .

وكان هذا فيما سبق موضعاً لمدينة محاطة بسور يضي الشكل . وفي ٣٨ انعطفتنا الى الجنوب بمحاذاة السدّ الى مخيمّ اللهيب ، حيث رغبنا في شراء شعير لافراس الدرك الذين معنا . ومن ٣٠٨ الى ٣٣٤ رعت جمالنا بقرب

بئر جَعْتَال ؛ وفي الوقت نفسه كنّا نقف على سدّ آخر يزيد عرضه على خمسة وسبعين متراً ويمتد الى جنوب - الجنوب الشرقي ، ورسماً من اعلاه خريطة للمنطقة المجاورة . وكان بالامكان أن نرى من ناحية الشرق مرقد بنات الحسن ، وهو ضريح أبيض اللون أصغر حجماً يقع في الناحية الشرقية . وإلى شرق - الشمال الشرقي توجد ربة قبر عبدالله ؛ وإلى الجنوب ربونا قبر الأخيين وقبر النمرائي ، وتليهما ربوات خرائب الطّيبة ، والعقلة ، وياض المقيّر ، والأشهبى . وعند الخرائب الأخيرة يخرج من نهـر القرمـة فرعٌ يسمى الدّوابة متجهاً الى بنات الحسن . وتقع بين النهر الرئيس وفرعه خرائب المقيّر والعقلة . وفي ١٥ ربه خيمنا عند آبار القساوى .

وفي ١٠ ايار سنة ١٩١٥ ، واصلنا السفر في الساعة ٤٣ ربه صباحاً خلال سهل متموج ينحدر بالتدرج الى الجنوب الغربي . وفي الساعة الخامسة رأينا الى الجنوب الغربي تلّ أم العشوش ؛ وإلى وراء منه تلّ جَسَم ، الى الجنوب الشرقي ، وإلى اليسار من خرائب إيشان المهدي والشمال الشرقي من إيشان الرحلة تقع ربة ضريح سيدنا ابراهيم ؛ وإلى الشرق ربة قبر مهنا . وقد حجب الأفق من الجهة الشمالية ، والشمالية الغربية ، والشمالية الشرقية مرتفعات صخرية ، حيث امكن رؤية طبقات من ملح صخري تلمع في ضوء النهار . وكان ينمو في الوديان كثير من شجر السار . وفي ٣٠ ربه كانت الى يميننا خرائب تلّ أم العشوش ، وفي ٤٨ ربه كان الى يسارنا تلّ جَسَم . ثم انعطفنا غرباً وعبرنا نهراً قديماً ، كان يجلب الماء من « الخور » - هكذا كان يحلو لدليلنا جاسم بن علي من عشيرة الهلب ان ينطق هذه الكلمة بدلاً من « الهور » كما تنطقها القبائل التي تعيش على الضفة اليمنى من الفرات . وفي ٥٨ ربه كانت على اليمين بيار (آبار) ام العجاريج (الضفادع) ، وعلى اليسار منطقة الحصبوات ، التي تملكها عشيرة الجميلة ، وفي ٤٥ ربه ظهر تلّ الأشهبى الى الجنوب ، في جنوبي القرمـة (الكرمة) وهو النهر الذي يتفرع من الفرات عند قرية الصقلاوية ثم يتصل بدجلة . والنهر الذي يجري فيه الماء دائماً هو نهر (حي) ويسمى « القرنة » ،

ينمسا يطلقون على النهر الجاف او « الميت » اسم « الرسم » ، فان كان محاطاً
باكوام كبيرة من التراب سمي « الخيط » (وجمعها : الخيوط) .

وفي غرب — الشمال الغربي امكن رؤية سد آخر قديم هائل الحجم (جالو)
وبعد الساعة السابعة كنا نسير في وادي الخور . ومن ٧١٨ الى ٧٤٦ رعت
جمالنا بالقرب من خرائب ابو صخير الواسعة . وفي ٨٢٥ كنا بين خرائب
العنازي . وقد بدت لنا من جهة الجنوب بلونها الابيض الضفة الجنوبية من نهر
القرمة (الكرمة) وفي ٩٢٠ رأينا على ضفة نهر القرمة اليمنى ومن الناحية
الجنوبية ربوتين من خرائب الذبايات ، والى الجنوب الغربي خرائب الانبار
الكبيرة ، وبالقرب منها نهر ابو سدرة القديم مع تل الكوخ .

من ١٠١٥ الى ١١٣٠ تناولنا الغداء بجانب آبار القليببات الضحلة ، وهي
ملك عشيرة المحامدة احدى عشائر قبيلة الدليم . ورسمنا تخليطاً لخريطة
المنطقة المجاورة من قمة مرتفع يوجد الى اسفل منه عدد من الآبار الصغيرة
العميقة . واستطعنا ان نرى بوضوح من هنا المرتفع خرائب الانبار ، ونخيل قرية
الصفلاوية . وتقع الأخيرة على الضفاف اليسرى لكّث من نهر الفرات ونهر القرمة . ويوجد
في القرية نحو ٢٥ بيتاً . أما السفوح التي الى الشمال منا ، وتسمى الشنازة وعكان ، فيشتد
انحدارها وتزداد الشعاب عمقاً كلما تقدمنا شمالاً . وفي ١٢٣٥ بعد الظهر وصلنا الى
خرائب (الصيفيرة) بعد ان قطعنا سهل الخريجي . وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى
«الصيفيرة» نبات سنوي ينمو في كل انحاء المنطقة المتموجة الحصوية المجاورة .
ثم شاهدنا بين ربوة الكوخ وخرائب الانبار مثدنة بلدة القلسوجة ووجدنا في
خرائب الانبار الواسعة ان مراقدا ، ابو فياض والشيخ عبدالله ، ومسجد علي لا تزال
باقية في حالة جيدة (٨٠) .

(٨٠) انظر مايلي ، الملحق الثامن عشر .

في ١٣٥ ر لاحظنا الى يميننا نهاية جالي (أو جالو) وتليه تلال الغر الصغيرة ؛
والى اليسار امكننا مشاهدة بعض البساتين والبيوت بمحاذاة القرات . كما لاقينا
اثنين من المجندين الهاريين ، لاذا بالفرار عندما لمحنا الدرك الذين معنا .

وعلى الضفة اليمنى من القرات . في موضع غير بعيد من السهل الفيضي
ارتفع خط أجراف شديد الانحدار . ويسمى قسمها الشرقي سن الذبان ، والقسم
الغربي المعبد . والشيخ مسعود ، وأبو فهد . ويمتد الاخير الى الرماذي . ويظهر
صدعان في هذه الاجراف . ويرتفع على الشرقي منها مخروط واطيء بعض
الشيء ، وفوق الغربي مخروط ينحدر بدرجة حادة الى الشمال . ومن ٢٠٨
الى ٢٤٥ رسما خريطة المنطقة المجاورة . وفي ٣٢٠ ظهر على يسارنا سد من
الصخر يبلغ علوه نحو أربعة أمتار : تتأفق مياه القرات من خلال ثلاث حفر فيه
الى فرع يسمى الشاش (شكل ٤٤) . ورأينا في الحيز الصخري المتكون فوق
الجبندل اثنين من الصيادين يستخدمان (القاله) وهي حربة ذات اربع شعب ،
(شكل ٤٥) في صيد الاسماك . ويدعى السهل المنغور بمياه الفيضان غربي
الجبندل بالمغيرة .

الوشاش الى الصيب

ان فرع الوشاش يصل الى القرات من طريق نهر القرمة ، ويتفرع ههنا
النهر نفسه من القرات عند الصقلاوية . وتقع بين هذه القرية والوشاش مجموعة
قرى وحقول هي الشلال ، والحوويه ، وخرائب الحوز ، وقرى السرية ،
والكنعانية ، والقرطان ، والزوية ، والفراج ، وخرائب ابو الفريوة .

في الساعة ١٠٨ ر كان على يميننا غدير الرحله ، وفي ١٣٠ ر كانت على
يميننا خرائب الخارجيه وعلى اليسار خرائب أبو الفريوة . وجميع هذه الاماكن
تقع على لسان من الارض يمكن الوصول اليها عن طريق السهل الفيضي من جهة
الجنوب الشرقي . وتغمر مياه الفيضان هذا السهل في اغلب الاحيان . وفي الساعة
الخامسة لاحظنا الى الغرب مجموعة خرائب إشان (ربوة) ماحرز ، وإلى الغرب منها تقع

حقول العبيدية وحقول القراج الى جنوبها الشرقي . وعلى اليمين منا انفرج وادي
عبدان الراسع وظهرت خرائب صغيرة تقع عند نهايته الشمالية - الشمالية الغربية
ويجري القرات في هذا الجزء من مجراه خلال سهل غربي ويتفرع الى عدة
فروع (٨١) منها الوشاش الذي يترك المجرى الرئيسي عند العبيدية .

(٨١) يقول قدامة ، الخراج (دي خوية) ، ص ٢٣٣ ان الفرات يأتي
بالس ثم الرقة ثم قرقيسيا ويمر الرحبة ، ثم يمر حتى يلتف على هانة ثم
يمتد على سنته ثم يمر بهيت والانباء فيتجاوزهما ، فينقسم الى قسمين
منهما قسم يأخذ نحو المغرب قليلا المسمى بالعلقي ، الى ان يصير الى
الكوفة ، وقسم يستقيم ويسمى سورا حتى يمر بمدينة سورا الى النيل
وما يتصل بها ، فيسقى كثيرا من اعمال السواد ويخرج من اسفل الانبار
نهر يعرف بالذليل يحمل منه نهر عيسى الذي يأخذ الى بغداد ويصب
الى دجلة .

ويكتب ابن سريابون ، العجائب (لوسترنج) ، ص ١٠ ، ان الفرات
يمر بالس ، والرقة ، والبارك ، ومخرج نهر سعيد ، قرقيسيا ، والرحبة ،
والدالية ، ويشق طريقه خلال صخور سلسلة القسوس ، ويجري حول
بلدة عانة الجوزية ، ويصل آلوسا فاؤسا ، هيت والانباء ايضا ، حيث
يوصل جسر عائم ، الى الكوفة اخر الامر .

ويشير القدسي ، [احسن التقاسيم] (دي خويه) ، ص ١٣٨ ، « المسكن
الفراتية اكبر من رحبة ابن طوق ، قرقيسيا ، عانة ، الدالية ، الحديثة » ،
ويقول الادريسي ، النزهة ، ج ٤ ، ص ٥ (ترجمة جوير ، ص ٢٣٧
ومابعداها) ، ان مدينتي الرافقة والرقة هما على يسار الفرات ، والمحمدية
على يمينه . ويجري الفرات مارا بالخانوقة وقرقيسيا ، حيث يصل الى نهر
الخابور ، ثم يمر بجانب رحبة مالك ، الدالية ، عانة ، هيت ، والانباء .
وهنا يتفرع نهر عيسى ، ويجري نحو بغداد . وفيما وراء هذه النقطة
(صدر نهر عيسى) يجري الفرات من الرحبة خلال الصحراء ، وفي اثناء
الطريق تخرج منه اربعة فروع : الاول باتجاه صرصر ، والثاني الى القصر ،
والثالث الى سورا ، والرابع الى الكوفة .

ان اقسام الرحبة هنا بعد الانبار غير صحيح . والفرع الثاني كان
ينبغي ان يسمى نهر الملك ، اذ ان النهر الذي كان يمر بالقصر (قصر ابن
هيرة) كان مطابقا لنهر سورا .

ويذكر الدمشقي ، النخبة (ميرك) ، ص ٩٣ ان الفرات يلامس مسكن
بالس ، الرقة ، الرحبة ، العانة ، الحديثة ، ويحيط بجزر عانات ، ويصل
الى بلدتي هيت والانباء ، حيث ينقسم الى فرعين . ويجري الفرع

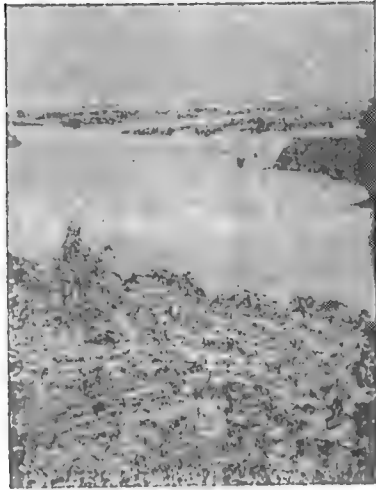
في ٣٥هـ ظهر لنا من الناحية الشمالية الغربية مخروطان طبيعياً منخفضان (التويم) . وفي ٥٥هـ عبرنا وادياً واسعاً يسمى عبيّ خاطر الذي يأتي من بئر طراح . وفي ١٠هـ شاهدنا امامنا سداً (جالي) ينتهي عند قلعة أم الروس الواقعة على مرتفع في سهل الفرات القيصي الخصيب . وتتألف القلعة من بعض اكوام آجر قديم سوية مع القسم الرئيسي للحصن نفسه . والحصن مستطيل الشكل له جدران مدعمة بأبراج نصف دائرية . وكان المدخل لا يزال ظاهراً للعيان على الجانب الغربي . وكانت القلعة تشبه معسكراً رومانياً للناظر من بعيد . وكان من المستحيل الاقتراب منها لأن المياه كانت تحيط بها من كل جانب .

ونحن لما لميبت في ٤٧هـ في حقول العيلية ، بقرب مخيم لعشيرة من الدليم كان افرادها منشغلين آنذاك بحصاد الحنطة . كان الجو مليئاً ببق كبير وهو آفة تربة بابل الفريزية التي كنا نخيم عليها . وبما ان المنطقة كانت تقطعها اعداد لا تحصى من الانهار القديمة والجديدة تكونت على ارضها برك ومستنقعات مختلفة المساحة مما جعلها أماكن مثالية لتكاثر البعوض .

المسمى العلقمي في اتجاه جنوبي على الاكثر الى مناطق سواد ، قصر ابن هبيرة والحلة ، والى مستنقعات البطيحة . واسم الفرع الثاني عيسى . ودخل اداة التعريف على عانة غريب جدا . ومن الممكن على كل حال ان عانة هذه نشأت من اسم آخر ، اذ انها تظهر ثانية بصيغة عانسات (وان كانت في غير موضعها الصحيح طبعا) . وان وصف انهيار الفرات غير صحيح عموماً . فقد كان نهر العلقمي (وليس العلقم) متصلاً في وقت ما بالفرع الذي يمر بالكوفة (الحيرة) .

ومن جهة اخرى فان النهر الذي يمر بجانب قصر ابن هبيرة ، سواد ، والحلة استمد ماءه من مجرى الفرات الرئيسي ، الذي جرى من الانبار في اتجاه جنوبي شرقي .

ويسجل ابو الفداء ، التقويم (رينو و ديسلان) ، ص ٥١ ان الفرات يجري نحو الشرق ما را ببالس ، قلعة جعبر ، الرقة ، الرحبة ، عانة ، هيت ، والكوفة .



(شكل ٤٤ - الوشاش من جهة الشرق)

في ١١ أيار سنة ١٩١٥ . في الساعة الخامسة سرنا في طريق الكيفية مع صياد سمك يسمى حميل . اتخذناه دليلاً . وفي ٤٠ ره صاحاً سرنا عبّ ابو عريج . بعد أن تركنا السهل القبيضي . والعبّ معناه المخل او الخليج ويعني كذلك وادياً بدون محسرى . ومن عبّ ابو عريج الذي يأتي من نثر عتّوج يؤدي مسلك خلال بقعة تعرف بانعسيانة الى سهل التويم الواقع في رأس شبيب ابو خوص الذي ينحدر الى البحيرة الزاخرة في منحفض ام رحّل وفي ٥٠ ره الى جهة الحبيب العربي تراهى صريح المشهد بلونه الابيض فوق حرف شلبد



(شكل ٤٥ - صياد يحمل قالة بالوشاش)

الانحدار يقع على الضفة اليمنى من النهر . كما امكن رؤية نخيل الجوية الى الغرب منه . وفي ٦٠٨ عبرنا عبً هَلَى الذي تقع فيه بئر ابو قبيرة . وفي الغرب شوهدت خرائب سيباط محمد العيثة ومزرعته ، وإلى الغرب منه ظهرت خرائب كبيرة ورؤية قبر فَرَج ، وفي الشمال الغربي من الأخيرة بعض البيوت الصغيرة وفوقها خرائب إيشاذ، ابو حليب المستطيلة الواسعة الارحاء . وفي ٤٠ ٦ - شاهدنا الرمادي الى الجنوب الغربي بين بساتين من شجر الصفصاف البابي (الغُراب) وإلى غرب - الجنوب الغربي رأينا الى اليمين منها رهوة مقبرة الشيخ محمد . وتكاد الاجراف الصخرية الشمالية تصل هنا الى الفرات وفي ٤٢ ٦ كنا في السهل الغربي ، الذي يبلغ عرضه هنا نحو خمسة كيلو.مترات

ويحدّ السهل القيصي في غرب الرمادي منحلو معتدل يرتفع تدريجياً الى جهة الشمال الغربي . وفي (٧٠ ٨) بلغنا الحافة الشمالية من سهل العليمية ، الذي يبدأ عند قبر فرج ويمتد حتى الشيخ حديد . وفي (١٨ ٧) ظهرت الى الغرب خرائب إيشان ابو جريشي وهي خرائب كبيرة مستطيلة الشكل . ومن (٣٢ ٧) الى (١٠ ٨) رعت جبالنا الى جنوب الجنوب الغربي من ابو قبيرة . وفي ٢٠ ر ٨ كان على يسارنا إيشان ابو جريشي وكذلك مدخل ساقية صدر العزار الذي يروى السهل القيصي . وفي الساعة ٣٠ ر ٨ عبرنا مجرى ثانوياً من مجاري شعب الحدّ . وقد حكى دليلنا جميل انه اصاب ذات مرة غزالاً برياً بالقرب من بئر الحليوات عند رأس الحدّ ، ولكن الحيوان استمر في الجري لانه كان جريحاً فقط . وصادف ان مرّ به رجل غريب في تلك اللحظة ، وهو على صهوة جواده ، فلاحق به وصمره . وأخذ جميل جلده ، وتقاسما اللحم . . .

واستطعنا ان نلاحظ ان خطّ الاجراف الصخرية الشديدة الاتحدار على الجانب الايمن من الفرات التي تحدّ السهل القيصي ، تأخذ في الانخفاض تدريجياً من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي . وهنا يكون السهل القيصي رقعة يبلغ عرضها نحو عشرة كيلو مترات ، يكاد يقع مركزها الى الجنوب بالضبط من ضريح الشيخ حديد ، حتى اذا بعدنا عن ذلك جنوباً اخذت الاجراف ترتفع ثانية ببطء حتى تكون الحافة العالية التي ترتفع شرقي الرمادي .

من (٥٦ ر) الى (١٤ ر٩) كانت جمالنا في المرعي ، فيما كنا نتفاوض مع دليل جديد . وفي ٤٢ ر ٩ عبرنا المجرى الرئيسي للحدّ الى يمين خرائب ابو سفينة . ويأتي شعب الحدّ من الشمال الغربي بادناً من تلال الرخيمات المائدية الشكل الواقعة الى الشمال الشرقي من هيت . وتوجد في المجرى آبار الحليوات ، والكلب وإيو ذكر . ومن (٣٥ ر١٠) سرنا بمحاذاة لحف أجراف (خرم الصاري) المتاخمة لمزارع

ابو سفينة والأمليح مكونة الحافة الجنوبية لهضبة ييلو المتموجة التي تمتد حتى تبلغ الحد . وفي ٥٠ ر ١٠ شاهدنا الى يسارنا على بعد مئتي متر تقريباً ، خرائب قواشته . وفي الساعة الحادية عشرة ، قاربنا ان نكون على ضفاف الفرات . وارتفع الى يميننا مدرج حزم الصاري بلونه الاحمر . وفي الفرات امكن رؤية جزيرة ابي ريشة الصغيرة . وفي الساعة الثانية عشرة كانت الى يسارنا مزارع فوح فرحان ، والى اليمين قبور جاسم ، واسترخنا من ١٢ ر ١٤ بعد الظهر الى ١٥ ر ١٠ . وفي الساعة الثانية كنا في شعب نبار أسفل بعض الخرائب الصغيرة على ضفته اليمنى . وفي ٣٢ ر ٢ عبرنا شعب الضباعي . وكان الى يسارنا حقل يبلغ عرضه نحو ٣٠ متراً وعلى مسافة منه نحو الشمال الغربي يوجد مستنقع ملح (منجعة) ، وكان يوجد في هذا الموضع على ضفة الفرات اليسرى سد منخفض على مقربة من الماء تنمو بالقرب منه مجموعات قليلة من شجر الدور ونخلة وإحلة ، وينتشر بين الاشجار كثير من الأكواخ . ولاحظنا في الجرف الصخري الذي يطل على السهل الفيضي من ناحية الشمال كثيراً من الملح الصخري والتجس .

وصلنا في الساعة الثالثة الى عين نافنا قوية تسمى التفاطة حيث يخرج النافنا من عين يبلغ عمقها نحو مترين ، وعرضها أربعة امتار وكان يخزن ما يجمع من النافنا في كوخ بائس يقع بجانب العين . والى الغرب من هذه ، يخرج من المنطقة المرتفعة الشمالية تنوء صخري أسود يرغم النهر العظيم على الانحناء نحو الجنوب مسافة قدرها خمسة كيلو مترات تقريباً مكوناً شبه جزيرة . وفي ٤٠ ر ٣ رأينا الى اليسار ساقية قديمة عميقة تتاخم من الشمال - خرائب الصنيديق [الصنيديق] . وقد جرف الفرات النصف الجنوبي من هذه الخرائب . وأمام هذه الخرائب توجد جزيرة صغيرة تكثظ باشجار الحور . وفي الساعة الرابعة عبرنا شعب السباد . وظهر امامنا ، على شبه الجزيرة الصخرية السوداء ، حصن عظيم متهمم يسمى تل الأسود . وفي الساعة ٤٠ ر ٤ وقفنا تحت جدرانته . والحصن محاط من الشرق والشمال بخنادق [او خنادق ؟] عميقين يشبهان أنهار

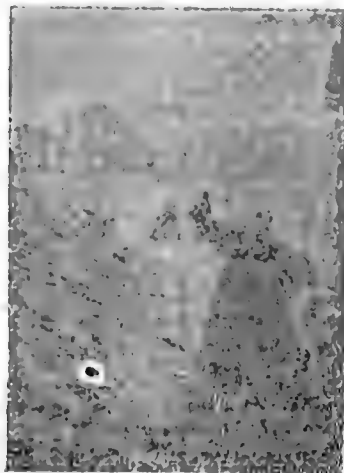
الريّ القديمة أما الابنية فلم يبقَ منها الكثير : لأن الفرات جرف القسم الاكبر منها ، وما بقي تداولته الالايدي بالحفر ثم غُطّي بطبقة كثيفة من الرمل . وفي ٤٥ ر ٤ هبطنا الى الفرات ودخلنا سهل الزوية المنبسط ، الذي تحدّه من الشمال اجراف صخرية شديدة الانحدار ، يعلوها مشهد بنات المحلّبات . وبالقرب منه يقوم حصن نصف مهديم . نصبنا خيامنا في الساعة ٨ ٦ في حقول الصيب ، وكانت مزروعة آنذاك بالحنطة والشعير .

الصيب الى الحبوبة

في ١٢ ايار سنة ١٩١٥ ، ارتحلنا مصحوبين بدليل يسمى مانع بن صحاو . واخترقنا اولاً سهل الصيب : الذي يحده من الغرب نتوء صخري يبرز من الاجراف ممتداً نحو النهر ويسمى عُنق الهواء . وتوجد في هذا النتوء مغارة البحيس [كهف] ويضيق وادي الفرات ضيقاً شديداً بين مسخور البحيس ومسخور العقبة على اليسار لذلك تحتم الضرورة ان تمر الطرق على الضفتين خلال ممرات ضيقة . وفي ٥٣ ر ٥ رأينا الى جنوب الجنوب الغربي على الضفة اليمنى من النهر خرائب إيسانّ القبة . وبعد الساعة ٤٠ ر ٥ سرنا بازاء الحافة الشمالية لمزارع الجبل وشاهدنا الآن تل هيت المخروطي الشكل ، القائم اللون مغطى ببيوت صغيرة بهيجة الالوان كلما تقدمنا استطعنا ان نراها بوضوح اكثر . الا انها كانت ، بين الحين والحين تختفي في سحب من الدخان الأسود المنبعث من افراق القار الواقعة عند عاعدته الجنوبية الشرقية . وفي ٥٠ ر ٦ كان على يميننا شعب صغير يسمى الحسحس وتوجد عند نهايته الدنيا خرائب طلاع زين ، وعند رأسه ، بئر المعاطشة . والى الشمال الغربي ظهر للعيان سفح طابخة الشديد الانحدار . ومن ٨ ٧ الى ٣٤ ر ٧ تناولنا طعام الافطار في شعب الصوب بجانب خربة المريط .

أن الحقول المزروعة على جانبي الفرات حقول مروية على الأغلب يُرفع الماء اليها بوساطة دواليب مائية (نواعير) مثبتة على اعمدة حجرية غالباً ماتتد مسافة طويلة في النهر . ول هذه الابنية الحجرية اسماءؤها الخاصة بها

ونفسهم من وهناك كسوح من العين مفردة ومحمصة ، وليست
لها أسماء مطلقاً ولما تعرف بأسماء الوعر التي إلى جانبها حتى ولو كانت هذه
منهكة وغير صالحة للاستعمال وقد ردد عدد الاكسوح منذ عام ١٩١٢
زيادة ملحوظة ، كما ثبت في اماكن عدة ترى شعيرة تكاملها . والقاعدة العامة
هي ان تكون كل قرية متخاً لعائلة واحدة ومنها يستمد اسمها ايضاً .



شكل ٤٦ ممر صخري بمحاذاة القرات ، المضييق

وي ٧٣٣ اقتربا من القرات الأصبي فرأيا في البئر حل الصفة البدي
من النهر غرة تان وفي هذا الموضع تقترن الاحراف الصحوية ، التي

تحدّ واديّ الفرات من جهة الشمال، بصورة تدريجية من الماء تاركاً على طول
النهر شريطاً صخرياً يسمى [المضيق] (شكل ٤٦) لا يزيد عرضه على
ثلاثة أمتار . وسرنا على هذا الطريق من الساعة ٠٠ ر ٨ الى ٠٤ ر ٨ ، وكانت
امامنا بساتين النخيل السوداء التي تسمى : المجنونة ، والدرستانية، والبقيّ ،
والطُربة ، وعلى الضفة اليمنى مزرعة الحمّادي . والكلمة المستعملة لمبنى
المزرعة هنا ليست « القصر » بل [القرية]، التي تطلق أيضاً على مجموعة
من الأكواخ . وفي ٢٢ ر ٨ اخترقنا أول شعب من شعاب المعريّات . وفي
٤٣ ر ٨ وصلنا الى تلال الطابخية العالية ، حيث كان يتدفق القار والكبريت .
وفي ٤٨ ر ٨ كانت على يسارنا قرية انجنونة ، وعلى الضفة اليمنى قُبة السيد
أحمد . وفي ٥٨ ر ٨ مررنا خلال شعب العيلدي الذي تتدفق على ضفته اليسرى
(عين قار) بغزاة . ويتجه هذا الوادي جنوباً الى تلال مائدية الشكل تسمى
(قور المهمات) و(قويرات عمر) التي ترتفع على الهضبة عند منتصف المسافة
بين الفرات والثرثار تقريباً . والى جنوبي قويرات عمر تقع بئر القوارة ، وفي
غربي القوارة تقع بئر القندي ، وفي جنوبي الأخيرة توجد بئر القميجم
والرحيميات : وجميعها تقع في وادي العيلدي . ويتصل هذا شعب في منتصف
مجرّاه من ناحية اليمين شرق قرت العُلمة ، بشعب (أبوكروش) وتوجد في أوطأ
اقسام هذا الشعب خرائب الاشيعل . وتحيط اشجار النخيل بقرية البقي (٨٢) .

(٨٢) وعلم اليقويّ ، التارخ (هوتسا) ، م ١ ص ٢٢٧ بوجود منطقة بقية
الادارية على ضفة الفرات بالقرب من الانبار . وكانت تحكمها امرأة :
الزباء .

وبسجل الطبري ، في تاريخه (دي خويه) ، السلسلة ١ ص ٧٥٨
وما بعدها ان ملوك الحيرة اقاموا احياناً في بلدة البقة .

وقد زحف الملك جديمة الابرش من هنا بطريق الفرضة بمحاذاة الفرات
الى [زبية] ، محل اقامة الملكة الحسناء الماكرة : الزباء . ويروي ابن
السكيت (ابو الفرج ، الاغانى [بولاق] ، المجلد ٨ ، ص ٧٠) ان الشاعر
امرء القيس طلب اللجوء عند احد اقربائه على الفرات . وكان هذا القريب

في ٩٠٥ كانت مدينة هيت على سبارنا . وقد تجمعت البيوت هناك على مدرجات تل هائل الحجم ، مخروطي الشكل . وفي وسط المدينة تقريباً ترتفع مثذنة المسجد القديم . وتوجد جالية يهودية في هيت . وعلى الضفة اليسرى من الفرات ، في الجهة المقابلة للمدينة يقوم ضريح على الهيئتي يجاوره بستان نخيل الطرية . وفي ٩٤٠ رأينا على اليمين خربة الصدقة ويتفرع من الفرات امامها نهسر قديم يجلب الماء لري الحقول الممتدة على طول الضفة اليسرى . وعلى هذه الضفة تقع أيضاً قرية الناطق ، وتابها قرية الحسينية حيث استرحنا من ١٠٠٠ ١٥٤ . وكان قد تمّ حصاد الحنطة والشعير . وكان التفاح والمشمش قد نضج تقريباً في البساتين . وفي ١٢٠٤ بعد الظهر اجتزنا قرية (الكُمية) الصغيرة ، وإلى شمالها الشرقي ينبجس القار من عين بصورة قوية . وفي ١٢١٠ كانت

هو عمرو بن المنذر ، الذي ادار — بالنيابة عن ابيه — شؤون المقاطعات المختلفة على امتداد الفرات ، وعاش في بلدة بقة ، الواقعة بين الانبار وهيت . وقد رحب به عمرو ، الذي كانت امه تنتمي الى عائلة الشاعر ، فلما سمع المنذر بذلك اضطر الشاعر الى الهرب (امرؤ القيس ، الديوان [ديسلان] ، ص ١٢) .

ويصف المسعودي ، التنبيه (دى حوية) ص ٢٨٢ ، حصار القرامطة لمدينة هيت في كانون الاول ، ٩٢٧ م . تقدم بعضهم من الانبار بمحاذاة الضفة اليسرى للفرات ، وعندما وجدوا عددا من القوارب في مدخل نهر البقة ، فم بقة اسفل (جنوب) من هيت ، عبروا النهر بها . وبذل هذا على ان بقة تقع على الضفة اليسرى بالقرب من هيت من ناحية الجنوب الشرقي ، لان الاهلين — بلا ريب — ما كانوا ليخفوا قواربهم في مكان بعيد جدا عن بيوتهم .

ويكتب البكري ، المعجم (فستنفلد) ، ص ١٧٦ ، مشيراً الى ابن الكلبي ، ان بقة بلدة على الفرات على حدود العراق . واستنادا الى (محمد بن احمد) الملقب ، كانت بقة بلدة بين الانبار وهيت .

ويصف ياقوت ، المعجم (فستنفلد) ، ص ١٠٢ ، و ابو الفضائل ، المرصد (بونيبول) ، ص ١٠٦ ، بقة بانها بلدة قديمة ، او قلعة ، على بعد فرسخين من هيت . ان بيانات ياقوت المتعلقة بالمسافات نادراً ما تكون صحيحة .

على يميننا عينان أخريان للقار يقال ان ما يستخرج منها يومياً يعادل حمولة ستة حمير . وفي ١٢/٢٠ كانت قرية الحية على يسارنا .

وفي ١٢/٢٨ تركنا السهل الفيضي المستوى على مقربة من قرية العميرة ودخلنا الطريق المسمى مفازة البناشيرة المؤدية الى ما وراء الاجراف الصخرية . وتقع على امتداد الفرات في هذه الناحية مجموعة قرى هي: المنازل ، وعبد ، وسلامية ، وعويره (وخربتها) ، وجدة ، والسي ، والنويعر ، والدلائات ، والقوشية ، وخربة المحلية . وفي الساعة الواحدة رأينا على يميننا هضبة قمرت العُلَمَة ، وفي ١٣/٠ عبرنا شعب القوشية ، وفي ١٥/٤ هبطنا الى سهل المناشيرة (أو البناشيرة) المستوى ، حيث راحت جمالنا ترعى من ٢/٥ الى ٢/٣٠ وابتداءً من قرية الدبس الى المناشيرة يرتطم ماء الفرات بأجراف الضفة اليسرى ، تاركاً واسب غير متينة على ضفته اليمنى . وفي ٢/٤٠ كانت مجموعة اكواخ المناشيرة على يسارنا ، وعلى الضفة اليمنى تقع قرية السعدان ، وتعلو عليها ربوة مقبرة الشيخ ظاهر . وفي الساعة الثالثة كانت قريّة الجيطان على اليسار . بالمفرّدات على الضفة اليمنى: وهي قرية اكبر حجماً بماكها قبيلة الخزرج . وفي ٣/٢٠ شاهدنا الى الغرب اثني عشرة نخلة كبيرة وخمس عشرة صغيرة مع دولايب للسقي [ناعور] ، وعلى مقربة منها مزرعة الوردانية الكبير . وعلى مسافة ابعد كان بمقلورتنا رؤية قريتي الخزرجية والسنية .

وكان علينا بعد ذلك ان نخترق سهل الشبيجة وهو سهل مقفر تغطيه طبقة حصى ناعم ، ومنه صعدنا سفح الشبيحة الصخري ولم نلبث أن هبطنا الى الفرات ثانية في الساعة ٥/٣ وفي ١٠ ر ٤ كانت المبخية على يسارنا . ثم تقدّمنا على امتداد سهل فيضي خصب مزروع ينتهي عنده وادي العين . وعبرنا هذا الوادي في ٢٠ ر ٤ . . . وتنمو الطرفاء بكثرة هناك . وفي ٤٠ ر ٤ كانت على يسارنا قرية القطبية ، وعلى يميننا تلال صغيرة صفراء وعرة يتناقص لونها مع لون الاجراف البيضاء التي تسدّ سهل الفرات الفيضي . ومع انها تبدو من بعيد كأنها خرائب كبيرة فليس ثمة اثر يدل على وجود ابنية قديمة كانت هناك . وفي ٥/٥

كانت على يميننا بعض الخرائب الصغيرة ، وظهرت امامنا بقعة جميلة تضم تكوينات تشبه نظائرها الموجودة في صحراء النفود العظيمة في جزيرة العرب . وقد حفرت الريح الغربية في رمال الفرات الرمادية الداكنة مائة غور او « قعر » على الأقل ، تنفتح الى جهة الشرق ؛ ولكن هذه الحفر (القُصور) صغيرة جداً تتميز بجوانبها الغربية بشدة انحدارها وعلوها عن الأخرى . وفي الساعة ٣٠ ر٥ اخترقنا حقول اللُّحودية ، التي تتحول تدريجياً الى مستنقع ملحي ، لقربها من شعب (المُسطح) الذي عبرناه في الساعة ٥٣ ر٥٠ . وبأبني السبخ بملح كثير يمتصه من الصخور الجبسية التي تكوّن قاع هذا القفج .

وتوجد في شعب المُسطح جنوبيّ قرت المُحسّم بئر ابو عزب وبئر ابو سويجة ، وإلى شرق هذا الشَّعْب يوجد بئر الزعترى . وفيما وراء المسطح أتبنا مزرعة المحبوبة ، وفي الساعة ١٢ ر٦ أفمنّا خيامنا في حقول السَّرَاجية ، وسرعان ما داهمنا البعوض ، وقالنا منها أذى شديد طوال الليل .

المحبوبة الى شعب آدمامة

في ١٣ أيار سنة ١٩١٥ خرجنا في الساعة ٤٣ ر٤ صباحاً واخترقنا حقول المعلىة متجهين صوب هضبة الأجل المقلعة . وتكوّن هنا لساناً يمتد في النهر يحيط به القرات من ثلاث جهات . وتتكوّن هذه الهضبة من عدد لا يحصى من ربوات صخرية منبسطة السطح تتخللها اخاديد عميقة متعرجة . وبعد أن ضلنا الطريق وصلنا ثانية الى الفرات في الساعة ٢٠ ر٨ بالقرب من المِرْعَيلِيَّة ، وتركنا جبالنا في المرعى هناك حتى الساعة التاسعة . ثم قادنا دليلنا ماراً بقربة الطحمانية الصغيرة فوق صخور شديدة الانحدار . وعلى طول ضفة لسان الاجمل المطل على النهر توجد قرى صغيرة هي : الطليحية ، الوردية ، الداقية الواصالية ، يرده ، سماله ، غراف ، النوبلية ، المسجد ، المهندانية ، الزوير ، الميسرية ، المباركة ، المدّة ، مركان وجبة . . ولاحظنا الى الجنوب جزيرة عليها بعض البيوت . وهذه الجزيرة تسمى الخيفس أو حويجة التاوسه .

ورأينا عبرَ النهر على الضفة اليمنى في الساعة ٩ر٥٠ قريتين هما الجنانية والدويلية وترتفع بالقرب من الأخيرة أطلال الجابرية .

ومعظم هذه القرى الصغيرة يملكها اناس اغنياء من اهل كربلاء وبغداد وحتى حلب . وهؤلاء إما انهم اشتروا حقوق الأرض من الدليم ، او انهم بكل بساطة استولوا عليها بعد ان طردوا الدليم منها واقاموا فيها التواعير ، وبنوا الاكواخ وأجروا الأرض الى فلاحين من قرى أخرى وعلى المستأجر أن يدفع الضرائب جميعها ويغطي ثلث غلّة الى مالك الأرض ، محفّظا بالباقي لنفسه . وله ان يظل على هذه الأرض اذا رغب في ذلك ، وان لم يشأ ، فانه يذهب للبحث عن عمل في مكان آخر . ونتج عن هذا النظام المفكك ان تبقى مساحة كبيرة من الارض بدون زراعة لسنوات طويلة فتتدهور ومسائل الري ، وتتهلم الإكواخ . ولو كانت هذه الاراضي ملكاً لمن يعمل بها أو لو كان ما لكوها هم الذين يدفعون الضرائب ، مع السماح للمستأجرين بالاحتفاظ بنسبة معينة من المحصول ، لما بقيت ، بعد وقت قصير أرضٌ غير مزروعة على طول الفرات . ولكنّ الملاك يصّرون على تسلّم الجزء المشروط من المحصول دون ان يتأكدوا من أنّ الفسلة مُجزية او يعرفوا ارتفاع مقدار الضريبة المفروضة . ويبتدّ محصّل الضريبة الفلاح ايضاً بأقصى الطرق بحيث لا يترك له في الغالب الا أقلّ من سُدس المحصول الذي سعى الرجل المسكين سنة كاملة في تحصيله مع كل افراد أسرته ، وماشيته وبما لديه من ادوات .

وفي الساعة ٣٥ ر ١٠ بلغنا الفرات ثانية عند قرية الطحمانية . وكانت تقع امامنا جزيرة صغيرة وعليها قرية تدعى جُبّة القلعية . ومن ١٠ر٤٤ الى ١١ر٤٥ تناولنا غداءنا بجوار حقول السّفلة . وفي الساعة الحادية عشرة عبرنا شعب الجابرية مقابل قرية المروانية على الضفة اليمنى . وفي مدخل هذا الوادي توجد بئر أبو جماعه : وإلى الجنوب الشرقي منها بئر عتيّزة وإلى الشمال بئر رُمّانة . وفي ٣٦ ر ١٢ بعد الظهر كانت على اليسار اكواخ البروثة ، وعلى اليمين ضريح الشيخ ظاهر . وبعد ان بارحنا الفرات من خلال شعب القناطر واصلنا السير

حتى الساعة ٢٥ ر ١ على طول ثود صخري ينحدر الى الماء . ومن ثم سرنا خلال مستنقع العامرة الملحي ، حيث رعت جمالنا من ٣٨ ر الى ١٦ ر ٢٠ . وفي ٣٨ ر ٢ تجاوزنا خرائب الطوسية ، وفي ٣١٥ ر كانت خرائب السفلة على يميننا ، وفي ٢٠ ر ٣ خيمنا بين العاملين بالحصاد . ولما كانت امامنا رحلة طويلة خلال صحراء صخرية لا يوجد منها شيء يقوت جمالنا ونحوّلنا اضطررنا الى البقاء في الحقول .

في ١٤ أيار سنة ١٩١٥ ، بدأنا في الساعة ٤٣ ر ٤ صباحاً ودخلنا مفازة أبي سكران . وهي مرتفعات صخرية جرداء تقطعها فجاج عميقة تمتد هابطة الى القرات . وفي ٠٨ ر ٥ عبرنا شعب النهل ، حيث يقع منهل أم الحمام ، وفي ١٥ ر ٥ كانت على اليمين حقول الزيرة وعلى الضفة اليمنى قرية عناية مع اكوام خرائب قديمة ترتفع بالقرب منها . وفي ٥٠ ر ٥ وصلنا الى القرات ثانية وكان مدخلنا في هذه المرة عند حقول الخالدية . وقد سميت بذلك نسبة الى مرقد الشيخ خالد . وكانت القرية في ١٠٥ ر على يميننا . وترتفع الاجراف المشرفة على الضريح بقايا حصن . والى الشرق يفتح شعب سكران وينحدر هذا الشعب من بئر ام سبق وبئر ابو شوكاية (أبوشوكة) وفي ١٥ ر ٦ شاهدنا جزيرة الخزقة ، وهي جزيرة مأهولة بالسكان وحينما اقتربنا من الأسودية كان علينا مرة اخرى ان نصعد جرفاً شديداً الانحدار رأينا النهر تحته محفوراً بشرط ضيق من الحداثق وقطع صغيرة من الحقول تسمى الاسودية . المشتور . الحمادي : الخلاخالية ، القويضة ، الجبل ، زبد : الصلقة . السايجه . بريسي . برقيتا (بوكيطة) ، بحران (حوران) الحداية ، الزميائية ، بني صالح . السبيلة . هوديس ، بجارية ، بني زجة . دوار (الدير) ، واخيراً : بروانه . وفي ٣٥ ر ٧ دخلنا شعب الحسين خلال حقول يملكها أهل بروانه .

وأعرب دليلنا ، وهو فلاح من أهل بروانه ، عن شكواه المريعة من الحكومة التي طالبتهم برأس غنم عن كل عشرة اغنام تربى من أجل لحومها ، ومن كل رأس ثلاث أقات (٨٤ ر ٣ كيلوغرامات) من الصوف وثلاث أقات من الزبد

مع سبعة قروش (٣١ متراً) : والثالث من كل ما يحصلون من قمح . ولقد جمعت الحكومة التركية هذه الضريبة الفادحة مرتين في عام ١٩١٤ .

في ٨ر٤٠ ظهر لنا منظر جميل على النهر مزيناً ، كما كان ، بجزر خضراء في وسطه وتحف بساتين النخيل بجانيه ، نطل عليها أجراف بيضاء : وكان علينا أن نسير على منطقة مرتفعات حتى ندور حول قرية برواة ، التي رغم شدة ضيقها ، فإنها تمتد مسافة خمسة كيلومترات . وهذا تحول في الطريق استغرق منا وقتاً امتد من الساعة ٨ر٥٧ الى ١٠ر٠٠ . . وتتكون هذه القرية من اكواخ وحقول الشميلية (الشكيلية) ، وابن سلاّم ، وسطاين ، وابو الكراديس . والمعبرة ، والدولة ، والعكبة (العالية) وفي ١٠ر١٢ طلعنا من شعب الامامة (إدمامة) ، حيث يقع منهل القيرة .

شعب ادمامة الى راوة

في الساعة ١٠ر٥٠ كان على يميننا «شهاد الشيخ محمد الحوراني ، وفي شرقه يرتفع نوء رأس لعل الصخرى . وبدأت الى جانب الفرات قرية المعشيرة . وترأى على الضفة اليمنى ضريح السيد نور الدين بلونه الأبيض . وقد تجمعت اسفلّ منه اكسواخ قرية (الخمسة) ، وارتفعت غربي جزيرة حديثة قبة الامام علي (أو مشهد علي) على الضفة اليمنى من الفرات . ومن ١١ر١٥ الى ١١ر٣٨ كانت الجمال في المرعى . وفي ١١ر٤٥ شاهدنا الى الغرب منا قرية البشينة وفيها ضريح الشيخ حديد . وفي ١٢ر٣٥ بعد الظهر اخترقنا حقول ابو تفسرد . وفي ١٢ر٤٧ عبرنا شعب ابو نفسره . ويتصل به فرع الزويجي (الزكي) بالقرب من منهل ابو ذكير . وفي الساعة الواحدة كانت قرية ابو تفسرة على يسارنا . وحوالي ١١ر١٠ كنّا قد اجتازنا خنافاً صغيراً يسمى زقّب : وشعب (لأنة) حوالي ١٣ر٠٠ . ومن ٢٠ر٢٠ الى ٢٥ر٥٨ استرحنا عند الغُرَيْر بالقرب من الشعب الكبير . وتقع على ضفة النهر قربان صغيرتان هما : جوراة ، وزبدة . وفي ٣٣ر٣٨ رأينا على يميننا فجاً صغيراً هو فج الدويلب ، وعلى يسارنا جزيرة سوسة الزراعية . وفي غرب الأخيرة تقع جزيرة صخرة فيها بستان جميل تسمى الخيصيين .

وتوجد بالقرب من السليمية (مخاضة) يستخدمها البدو حينما يقومون بغاراتهم . . وانشاء هذه الغارات يأخذون كل ما تصل اليه أيديهم من علف ، ويتركون خيولهم وجمالهم تقضم سنابل الحبوب وهي لا تزال خضراء . وفي ١٠٥ ر كان على يسارنا قرية صغيرة تدعى الأفنج وفيما وراءها جزيرة الناصرية وعلى اليسن منا : شعب المامسية . وفي ٢٠ ر سرنا خلال ممر ضيق محصور بين الثرات وبين خط من الاجراف الصخرية . وفي الساعة الخامسة بلغنا شعب الجمّة الكبير ، ويمتد امام مدخله مستنقع ملحي . وتقوم في هذا الموضع على الضفة اليمنى من النهر اكواخ ترتاسة . وظهر في الغرب فوق اجراف عالية تشرف علينا مشهد صغير يدعى (مزار حبيب النجار) . وقد اوضح لنا الدليل بشيء من التفصيل ان حبيباً هذا كان نجاراً وقد ساعد في بناء سفينة نوح . وفي ٣٨ ر كانت على يسارنا اكواخ الدبر ، وقد بُنيت هذه في خربة قديمة مقابل جزيرة صغيرة هي حويجة الدبر ، كما بُنيت نواعير شغبانة على الضفة اليمنى . وتمتد سفن الرياح على السهل المنسط الذي كنا نقتله الآن الرمال الداكنة وكوّنت منها آلاف السافيات المنخفضة (طموس) تمرقل السفسر . وفي ٣٢ ر عبرنا شِعْب [الكنية] الواسع الذي يبدأ في هضبة علاوي . وفي ٥٠ ر شعب الحبيب الذي يأتي من سهل الواحة المستوي . وفي الساعة السابعة كنا أسفل ضريع حبيب النجار ، وفي ٧٢ ر خيمنا في حقول الزرقعة في وقت كان يحتمل فيه الشخير .

في ١٥ ايار سنة ١٩١٥ بارحنا الزرقعة في الساعة ٣٨ ر صباحاً . وكان دليلنا حمّاد بن عبدالله .

وفي ٥٤ ر كانت على يسارنا جزيرة صغيرة تدعى السوّاري (٨٢) ، وامامنا تلّ المحاذاة الذي يحجب شعب السهلّية . ورأينا على الضفة اليمنى

(٨٣) ويذكر اسنيوس كوادراتوس ، الشدرات (ملر) ، ص ٦٦٠ ، ان سربانة هي جزيرة في الغرات . ويمكن ان تكون هذه الجزيرة مطابقة لسواري ، او السواري ، فقد حرفت الباء الى الواو ، وبسبب ترتيب الحرفين : الراء والباء .

جرنه ، ويليهما من ناحية الغرب [مضيق] المرزوقية . وجزيرة العسكر ، الواقعة الى جنوب السواري ، كبيرة ذراعاً ما . وهي جزيرة مزروعة مأهولة بالسكان .

في ٢٠ره كانت على يسارنا قرية صغيرة تدعى ابو جوعافه وتقع مقابل جزيرة الوُدَاية النهرية الصغيرة ، ومزرعة العَلَيْسَه على مسافة ابعد من ذلك على الضفة اليسرى . وفي ٤٣ره قطعنا شعب السَّهَالِيَة العميق الذي تحفّض به صخور كلسية بيضاء ، وتقع مقابل مدخله جزيرة صغيرة تدعى المَهْرَة مغطاة بأشجار كثيفة من الحور والطرفاء . وفي ٥٣ره كانت على اليمين منا خرائب قرية قديمة ، وفي ١٠٥ره كانت على يسارنا خربة الجرعة مع ضريح صغير للشيخ محمد في غربها ، وتقع أعلى منه قرية كبيرة هي : الزاوية



(شكل ٤٧ - قرية حبين)

ومن ١٣ره الى ٤٤ره تركنا جمالنا ترعى . وفي الساعة الثامنة وصلنا الى قرية ابو جرعة التي تقع على الضفة النهر في نهاية مر ضيق . اثر تقدمنا في سهل كاسي يمتد الى مسافة بعيدة ناحية الشمال

وفي ٨١٥ شاهدنا خسرات المعاذيب الى جنوب الغربي . وفي ٢٠ ر ٨ عبرنا
 شعب البلجارية ، وفي ٤٢ ر ٨ شعب العمرة ، الذي يبدأ في عين الغنين .
 وكنا نمر الآن في سهل شبتن الصخري الذي يحفّ به مرتفع عتاب (ومن
 ورائه يمتد مرتفع الوناحة) ويقطعه عدد من الفجاج العميقة . وفي ٥٥ ر ٨ رأينا
 على مقربة منا قرية المرادية كما رأينا على الضفة اليمنى شريطاً ضيقاً كثرت
 بساكن الشويحية يمتد الى نقطة تقابل قرية حيين . وكانت اشجار نخيل هذه
 القرية تحييناً من بعيد (شكل ٤٧) . ومن ١٠ ر ٩ مررنا بنخيل قرية البيضاء .
 وفي الحقيقة ان هذه القرية تكون مع قرية (الشمية) المجاورة لها ، جزءاً
 من قرية حيين الطويلة الضيقة . وكان طريقنا يمر بأزاء الاجراف الصخرية
 المشرفة على هذه القرية . واقتربنا ثانية من الفرات بعد الساعة ٣٠ ر ٩ وكانت
 تقع امامنا في وسط النهر جزيرة تكيس (شكل ٤٨) تقوم عليها علة أثرية قديمة
 يلاطم ماء الفرات جذوائها . وتنمو اشجار نخيل جيدة في القسم الشرقي من
 الجزيرة ، ويقابلها على الضفة اليسرى خرائب السور . وهذه مكونة من تلّ
 مستدير الشكل وروية خرائب عالية تمتدّ من الجنوب الغربي الى الشمال
 الشمال الشرقي (٨٤) . ويمتد شعب ابوسالي الصغير ، الذي ينبع من منبع ،
 على طول الجانب الجنوبي من الخرائب . عبرنا هذا الشعب في الساعة ٢٠ ر ١٠ .

(٨٤) وفي زمن الملك حمورابي كان شخص يسمى سن - ايقيشم وصيا على
 سوخي ، وان محل اقامته كان نبي سوري في ذلك الاقليم (سيسي ،
 وثيقة بابلية قديمة [١٨٩٩] ، ص ٢٤ وما بعدها ، بيزر ، علم الآثار الشرقية
 القديمة ، رقم ٤ [١٩٠١] ، ص ٥٠ وما بعدها) . ولعل هذا كان حصن
 سور ، مقابل جزيرة تكيس .
 وفي عام ٨٧٨ ق م ثار خدورو ، حاكم سورو ، وهي القلعة النعمة
 في بلاد سوخي ، على الملك اشور نازربالي الثالث (الجوليات [رولنسن ،
 نقوش مسمارية ، م ١ ، اللوحات ٢٣ وما بعدها] ، العمود ٣ الاسطر
 ١٧ - ٢٥ ، بيج وكلك ، الجوليات [١٩٠٢] ، ص ٣٥١ - ٣٥٣) .
 الذي كان يقترب من الشمال الغربي . وقد ساعد خدورو جيش بابلي
 ارسله الملك نبو - ابل - ادين تحت امره اخي هذا الاخير واسمه سبدانو .
 فاستولى اشور ناصر بال على القلعة عنوة ، الا ان خدورو وهرب بطريق

(شكل ٤٨ - تلبس من جهة الشرق)

الفرات مع سبعين من رجاله . وأسر خمسين فارما ، وأخا الملك البابلي وكذلك ثلاثة الاف من الجنود البابليين ، واستباحوا القلعة لمدة يومين ، ثم هدموها وكانت غنائم الاشوريين : النساء من حريم الحاكم ، وما كان في حوزته من خيول الحرب ، عربة قتال ، خيول ، ادوات حرب مختلفة ، الفضة ، الذهب ، الرصاص ، اوعية نحاسية ، واحجار كريمة من الجبل ، وكل تجهيزاته . . وأمر اشور ناصر ربال باقامة تمثال له في المدينة المهتمة وعليه كتابة تشيد بانتصاره .

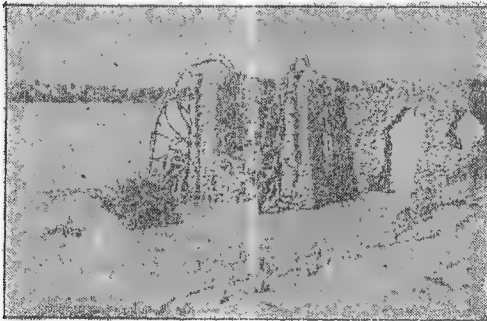
ويكتب اميانوس مارسليانوس

ج ٢٤ ، ٢ : ١ ، ان ثلوثا هر قلعة حصينة بنيت وسط النهر على تل عال ، وقد حصنتها يد الطبيعة والانسان على السواء . وفي عام ٣٦٣ م تردد الامبراطور جوليان في مهاجمتها مخافة ان يصاب بخسائر فادحة . فطلب الجنود عندئذ من السكان الاستسلام ، وقد وعدوهم بذلك لكن بعد ان ينصر الرومان على حاكمهم الفارسي .

ويذكر اسنيوس كوادراتوس ، الشلرات (ملر) ، ص ٦٦٠ ، بلدة تدعى ثيلا موسى على الفرات في بلاد العرب . ولما كان حرف الباء في الغالب ينطق به خطأ كحرف الميم ، وكان اسم جزيرة تلبس يكتب ولا رب بأشكال مختلفة لدى الكتاب القدماء ، فيمكن ان تكون ثيلا موسى مطابقة لكلا ثيلا وتلبس .

ويكتب البلاذري ، الفتوح (دي خويه) ، ص من ١٧٨ وما بعدها ، نقلا عن راوية اهل قرقيسيا لما فتح رأس السنين سلك الخابور وما يليه حتى اتي قرقيسيا وقد تقص اهلها فصالحهم على مثل صلحهم الاول ، ثم اتي حصون الفرات حصنا حصنا ففتحها على ما فتحت عليه قرقيسيا ولم يلق في شيء منها كثير قتال ، وكان بعض اهلها ربما رموا بالحجارة ، فلما فرغ من تلبس وماتات اتي النائمة والوسسة وهيت . . . وقد اتاه اهل هذه الحصون فطلبوا الامان فامنهم واستثنى على اهل هيت نصف كنيسهم فانصرف عمر الى الرقة .

واسترحنا من الساعة ٥٠ ر ١٠ الى ٤٨ ر ١١ . وفي الساعة الثانية عشرة عشاء كان على يسارنا تلّ أبو ثور وهو مخروط غير منبّب يخلو من وجود خرائب عليه . وفي ٠٨ ر ١٢ بعد الظهر رأينا بلدتى عانة وراوه . وفي الساعة ١٢ ر ١٥ بالقرب من حقول الجدبنة عبرنا شعب الهابولية الذي توجد بجواره اكواخ متهدمة لقرية تجمعت حول مثذفة (مفتول) متناعية للدير المكلوية . ويمتد الى غرب الهابولية سهل صغير مستو يسمى الدفلة . حيث تنمو شجيرات البفلى بكثرة وافرة ، وفيما وراءه بلغنا حقول الرزّاز ، وخندق سحل الحادثين : حيث يوجد منهل ام نخل ، وبساتين الزخونة ، وعبد الله : وشعبان عانة : وبساتين المزنقة ، والضويعة ، والشعبية ، والتواء الصخري المسمى : القرقة ، وبلدة راوه . ولما لم نستطيع المرور بجسمالنا بين الاكواخ ، بين نهر الفرات الذي كان فائضاً آنذاك، استبرنا حول راوه صائرين على الاجراف الصخرية التي تعللّ عليها . وتقطع هذه الاجراف وديان عميقة شديدة الانحدار حفستها وديان الثور



(شكل ٤٩ — ناعور غرب راوة)

ارغممتنا على اتخاذ طريق بديل يتوغل مسافة بعيدة ناحية الشمال قبل ان نستطيع الوصول الى الطريق المؤدي الى الموصل . وفي ٢٥ ر ٥ خيمنا بجانب القرى بجوار حائط عال ليستان يقع على بعد كيلو متر واحد تقريباً غربيّ راوه ، أتاح لنا حماية جيدة من عاصفة رملية اقتضرت في وقت لاحق من ذلك المساء . وكان البستان والمحقول المحيطة به تسمى بالنواعير (شكل ٤٩) .

داوة الى السوسة

في ١٦ أيار سنة ١٩١٥ كتبت الى قائمقام عانة ليرسل اليّ اثنين من رجال الترك . وكان رجالا الترك اللذان معنا قد عبرا بالعبّارة مع حصانينهما الى عانة . وقد وصل اليّنا بالطريقة نفسها رجلان آخران خلفاً لهما . وكانت هذه مغامرة لا تدخل من مجازفة وخطر على السواء ، اذ لم يكن في عانة أو راوه قارب كبير يقضي بالمرام . وكان الماء قد ارتفع عالياً في القرى حينذاك ، وهبت رياح شمالية شرقية طوال اليوم . وانهمكنا في ترتيب خراططنا وإكمالها ، وجمع المعلومات عن القرى الواقعة على القرى بين راوه والخابور . وفي المساء حددنا خطّ العسرس . وقد فاجأتنا عاصفة مروعّة في منتصف الليل مصحوبة بكثير من البرق ودويّ الرعد ، ولكن لم يسقط سوى قليل من المطر .

وفي ١٧ أيار سنة ١٩١٥ هدأت العاصفة بعد الساعة الثانية صباحاً بقليل . ولكن ظلت السماء غائمة ، واشتد هبوب ريح باردة من الغرب ، مما زاد في ازعاجنا . وخرجنا في ٤٥ ر صباحاً . وفي ٨ ر كنا في حقول العمارة في جنوبيّ خرائب كبيرة ، وبقيها مقبرة صغيرة . وفي ٣٠ ر شوهد ضريح المشهد ، وهو ضريح صغير يقع على الضفة اليمنى من النهر جنوبيّ جنوب حقول ابو كوة . ثم صعدنا الاجراف الصخرية لنهبط ثانية في ١٠ ر الى ضفة النهر . ومن ٥٢ ر الى ٣٠ ر ظلت جمالنا ترعى على الجانب الايمن من شِعْب الجبال . وفي ٣٠ ر وصلنا الى مزارع التطرية . وتراءت لنا الى الجنوب اشجار قريتيّ

الكوزية والكروية . ومن ٦ر٥٢ الى ٧ر٣٠ دعت جمالنا على الجانب الأيمن من شعب الجباله . وفي ٧ر٣٠ بلغنا حقول النظرية . ولخذت الاجراف تراجع نحو الجنوب على الضفة اليمنى في الجهة للمقابلة من النهر ، ولكن السهل الفيضي هنا غير صالح للزراعة الا في اماكن قليلة فقط لكثرة التواءات الرابطة التي تمتد من الاجراف الى النهر . وفي الساعة الثامنة اخترقنا حقول السمسية متجاوزين جزيرة صغيرة تدعى - حويجة صريصر ، وكانت اشجار حور صغيرة - تغطي الجزيرة بصورة كثيفة . وتصل التواءات الصخرية الى حافة الماء تماماً على الضفة اليمنى مكونة عمراً ضيقاً يسمى (المضيّق) . وترتفع الى النرب منه شجرة توت كبيرة في حقول السويولة . ومرة أخرى داهمنا البرق والرعد .

في الساعة ٨ر٢٠ تركنا السهل الخصب علما كنا على مقربة من شعب صريصر وقرى البونية ، والجبل ، والحسنية ، وتقلدنا على امتداد مرتفع صخري مسطح القمة ، حيث شاهدنا في الساعة ٩ر٠٦ ريوتين هما : الزراب والعز . ومن ٩ر٤٥ فصاعداً كان الطريق ، على اليمين واليسار معاً ، مغطىً باكوام صغيرة من الحجارة تسمى هنا رجوم الفجير . وتمكننا ان نرى من فوق الروابي ، في الناحية الشرقية البعيدة ، الحافة الطويلة الواطئة التي كونها حد مرتفع قرت الغبين . وفي ١٠ر٣٥ عبرنا شعب ابودية ، الذي شق مجراه هنا ، بفعل عوامل التعرية ، في صخور بيضاء . واسترحنا من الساعة ١٠ر٥١ صباحاً الى ١٢ر١٤ بعد الظهر . وفي ١٢ر٢٣ تركنا ورامنا شعب الهدية الصغير ، وفي ٢١ر٦ كانت مزرعة العجمية الى يسارنا ، وعلى الضفة اليمنى ربوة خرائب الحلاوي الصغيرة . وفي الساعة ١٢ر٣٦ اجتزنا قرية الابراهيمية على الضفة اليسرى ، ثم قرية المهيدية بعد ذلك بوقت قصير . ، ولاحظنا على الضفة اليمنى الى غرب هذه القرية خربة اللبينة ، التي يبلغ قطرها نحو خمسمائة متر . وتقع قبالة اللبينة على الضفة اليسرى قرى الجازانية ، وفيما وراءها قرية الجصية حيث يستخرج ملح صخري يستعمله الفلاحون في صنع البارود . وفي ١ر١٨ بدأت ريح قوية تهب من الشمال الغربي . وفي ١ر٣٨ عبرنا شعب الجصية ؛ وفي

٢٠٥ اجتزنا قرية العامرية . بالقرب منها تقع خربة اصغر حجماً ومقبرة ، وفي ٢٥٤ شعباً عريضاً هو الحدار . وهنا كانت صخور الضفة اليمنى تكاد تصل الى الماء . وفي ٣٣٨ كانت قريتا السعدية والشعبي على يسارنا ، وإلى شمال - الشمال الشرقي رأينا ثلاثة تلال مائدية الشكل : قرت التليثوات ، وتقع بينها بئر أبو براج ، وكانت الى غـرب - الجنوب الغربي قرية الزعفرانية الزعفرانة وإلى الغرب جزيرة علي . وعلى الضفة اليمنى قرية العماري .

من ٣٥٧ الى ٤٣٠ رعت جمالنا في شعب المصايد بالقرب من حقول الدير (٨٥) وقد تركت بوراً . وأخبرنا دليانا حمود انه استأجرها في العام الماضي لكنه تخلى عنها يائساً حينما استولى جابي الضرائب على كل محصوله تقريباً ، ولم يترك له الا قليلاً من القوت لا يكاد يـعـوله مدة شهرين .

وبالقرب من الدير جزيرة صغيرة هي الجليش وتنمو فيها اشجار الحور بكثرة . وصعدنا الى الأرض المرتفعة ثانية حيث رأينا من على صخرة تطل على الفرات قلعة من العصور الوسيطة يقال لها ارتاج ، وهي مستطيلة الشكل يحيط بها سور متين تنتظمه ثمانية ابراج نصف دائرية . وقد عثر احد الفلاحين من اهل راوة اثناء الحفر على لـبـنة فيها بعض الكتابات (لبنة مكتوبة) ، وسرعان ما باعها بأربعين مجيدياً (٣٦٠٠ دولاراً) . وتقول احدي الاساطير المحلية المتداولة ان هناك حصاناً من ذهب مخفياً في مكان ما في أرتاجه .

(٨٥) ومن المحتمل أن الدير هنا هو دير لبة .

ويكتب باقوت ، المعجم (فستنقلد) ، م ٢ ص ٦٩٠ وما بعدها ، وأبو الفضائل ، المرصد (يونبول) ، م ١ ص ٤٣٨ ان دير لبة (او لبنى) على مايقال كان ديراً قديماً على الضفة اليمنى للفرات في اراضى بنى تغلب ، حيث نازل هؤلاء بنى شيبان . - وفي نهاية القرن السابع وبداية الثامن للميلاد ، اعتاد بنو تغلب ان يضربوا خيامهم في الجنوب الشرقي من الخابور ، بين الفرات ودجلة ، او في المنطقة التي يقع فيها الدير المذكور .

وفي ٦٠٤ أقمنا خيامنا في وادٍ صغير قُبالة اكواخ الرافدة ، التي يمكن رؤيتها بوضوح على الضفة اليمنى . وكان ثمة مزيدٌ من البرق والرعد طوال الليل . وقد أصابت الصواعق صخور المنطقة المجاورة عدة مرات كما ، سقطت صاعقة في الفرات .

في ١٨ أيار سنة ١٩١٥ ، خرجنا في الساعة ٥٣ ر ٤ صباحاً مخترقين مرتفع الوريجة الصخري . وفي ٣٨ ر ظهرت العيان امامنا من ناحية اليسار بلونها الأبيض فبه سلطان عبد الله . وتنع الى الغرب منها حقول البويّة . والجارية والبيض والامليلي . ثم اخترقنا سهل السقاط الصخري ، حيث كان قد وقع مطر غزير في الليلة السابقة . وفي ١٥ ر اجتزنا ضريحاً صغيراً هو ضريح سلطان عبد الله ، الذي شُيّد على فتوة صخري بارز يطل على الفرات مباشرة . والى الغرب منه يوجد كهف كبير في الاجراف العالية القريبة من النهر وكهف حُجران . وفي ٣٢ ر رأينا شُعب ابو جروة العميق منفجاً من جهة جنوب - الجنوب الشرقي حيث تنفرج الاجراف الصخرية المطلّة على ضفة الفرات اليمنى : وفي هذا الشُعب توجد خربة تحمل الاسم نفسه بالقرب من بضعة اشجار قديمة تبعد عن النهر نحو ستة كياو مترات . وتسمى المزارع التي تقع شرقيّ الجروة الشناقية ، وفي غربيّ مدخله تظهر جزيرة الحزم وهي لا تزال في مرحلة تكونها . اكتشفنا على الطريق أنقى مرقطاً قد أنشأ انبائه في سحلية (سليمانية) ، ولا أبى ان يهرب ، قتلناه . وفي الساعة ٥٥ ر رأينا على الضفة اليمنى خربة كبيرة هي الشجيرة ، حيث نقب الفلاحون من المنطقة المجاورة بقايا قديمة مختلفة ، اما على الضفة اليسرى فتوجد حقول البيضاء . وفي الساعة السابعة تراءت الخضرة الزاهية من بستان شجر حور في (البرد) الى جنوب - الجنوب الغربي . وفي ٢٠ ر كانت سنابل الحبوب الناضجة في حقل الرومية الجميلة تتهاى كأمواج البحر . وتقع على الضفة اليمنى عند هذا الموضع مزرعتا المُرّضية ومشعل . وبعد ان يتجاوز الفرات الرومية يقترب كثيراً من الاجراف مكوناً بذلك مضيقاً

يلفت النظر بصف من شجر الحور . وفي ٣٥ ٧ عبرنا شِعْب العَرَج الذي يبدأ عند بئر ابو القايه على هَضْبَة سُهَيان . وفي الساعة التاسعة صعدنا من حقول صَمَّة الى مرتفع بَنِيجه . وهبت من جهة الغرب ريح شديدة ، كأنها عاصفة تقريباً . وفي ١٤ ر ٩ عبرنا شعب الدَغِيمَة لصغير ، ورأينا على الضفة اليمنى قرية العُيُودي الكبيرة . وعلى الضفة اليسرى توجد ، على مقربة من هذا المكان قرى الدغيمة ، والعيش ، والدرجة ، والحميزه ، وتعرف كلها مجتمعة باسم رباط كما يعرف الطريق الذي كنا نسلكه الآن بـ (دَجَّة الدوهم) [دكة الدوهم] . وشكا دليلاً مَرُّ الشكوى من المحنة التي كانت تسود راوه . فقد اضطرَّ ولداه الى الالتحاق بالجيش ، لهذا وجب عليه أن يعولَ زوجتيهما واطفالهما التسعة ، ولا تملك يده غير كوخ متداع ورقعة بستان صغيرة لا يتجاوز طولها ثمانية امتار ، وعرضها اربعة امتار ، والى جانبيها فصيتا خيامنا . وكان لابد له وللعائلة كلها من الاشتغال بنسج الصوف ، وكان سرورهم عظيماً حينما يكسب كل منهم قرشاً واحداً (١ - ٤ سنت) في اليوم .. ومع ذلك فالحكومة قد أكرهته على ان يدفع اولاً ، منذ شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٤ ، ستة مجيليات ، ثم ثلاثة ، واخيراً خمسة مجيليات أخرى (٤٠ ر ٥ ، ٧٠ ر ٢ ، ٥٠ ر ٤ دولار) . ولكي يتمكن من دفع الجباية الثانية والثالثة اضطر الى بيع غلايتين من النحاس وجزء من ملابس زوجات ابنائه .

في الساعة العاشرة ظهر لنا الى جنوب - الجنوب الغربي بقايا برج القاييم . وكنا نساfer الآن على سهل الحصائص الصخري ، حيث توجد كهوف وفجوات متعددة تحت الأرض تتجمع فيها مياه الامطار الآتية من الاماكن المجاورة . ومن ٠٨ ر ١١ الى ٤٥ ر ١٦ بعد الظهر تناولنا طعام الغداء في شعب صغير هو عين الوحمة الصغير . وعقب الغداء عبرنا شعب ام السبع [أم السباع] ، وكانت بعض اقسامه مغطاة بطبقة من الملح ، ومن ثمَّ صلنا الى هَضْبَة يحلنا من ناحية الشمال الشرقي مدرج الجناء . وفي ٠٥ ر ٢ كانت مزروعة البروث الى

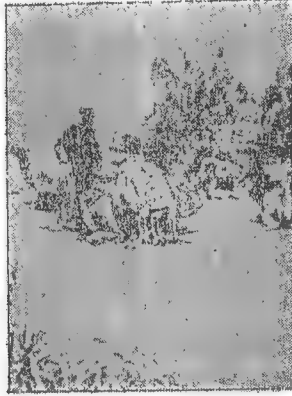
غرب ... الجنوب الغربي ، الى الجنوب الشرقي منها قرينا المرصوخة والمذنب . ومن ٢١٦ الى ٢٣٠ رعت جمالنا في سهل مستوي يسمى العُقي ، وفي ٢٥ ٣ وصلنا الى شعب الحج ، الذي يبدأ عند الغياري وينتهي في طيحي الشجلة . وفي الساعة ٤٣ ٣ رأينا على نتوء العرصي الصخري الواقع على يسارنا بقايا ربوات متاير وأبراج كثيرة تسمى ابو جلال ، حيث وجسدت بقايا عظام بشرية ، وباريق من نحاس وحلي مختلفة واوعية طينية ، وتقودا . وحدث مرة " أن فلاحاً من اهل راوه ، حينما كان يحفر في بناء مهلم يعرف بقصر ابو زُبَيْن ، وجد خمسين قلراً طينياً تضم هياكل عظمية . ولقد كان العرصي مقبرة مدينة كبيرة تقع اطلالها ، التي تسمى الان الشيخ جابر ، على الضفة اليمنى من النهر . وتوجد على الطرف الشمالي الغربي من هذه المدافن بقايا قلعة قديمة بثلاثة ابراج في حالة جيدة حتى ان سلالها الداخلية لا تزال سليمة .

في ٢٠ ر خمينا في سهل السوسه الغريني الذي يعرف باسم موزان في قسمه الشمالي . وارتفعت امامنا خربة عنتود او الغاوي . وهذه السهول المستوية ، وأعني الشجلة ، وموزان والمسيلة عبارة عن سهول مستنقعة الى حد كبير ، تنمو فيها اشجار الحور والطرفاء بكثرة حتى أن السهل الأخير يبدو كأنه أجمه .

السوسة الى الروائية

في ١٩ أيار سنة ١٩١٥ ، خرجنا في الساعة ٤١ ر صباحاً بمخترقين الاقسام الخصبة من سهل الفرات القيصي المسمى بالوردية ، وهذه الاقسام تعرف بالشنشولة والشفقة ، والأخير منها يمتد حتى يبلغ نتوء العرجي الصخري . ويندمج السهل من الناحية الشرقية بالتلريج في سفح معتدل الانحدار ، تسمى أقسامه المختلفة من الجنوب الى الشمال : الغياري ، البيادر ، [عقق] . وتوجد عدة آبار في القسم الجنوبي من هذا السفح . وعلى هذا فان شعب المسيلة يأتي من بئر العبلى ، وفي غربها تقع بئر ابو شديحة كما يوجد في شمال شعب

المسارين ، الذي لا ماء فيه ، بشر القريحيه ، وعند ابو الظلّ توجد تجاويف
(ثعالب) في الارض تتجمع فيها المياه الجوفية . وأخيراً نجد [قليب]
علوني ، في شعب الحليّة الذي ينتهي مقابل البهسة .



شكل ٥٠ زور الكشمة

وفي الساعة ٤:٠٠ ظهر على الضفة اليمنى من جهة غرب - الجنوب الغربي
مخروط تل مدفوق المنزل وما فوقه من خرائب ، وإلى شرق هذا التل رأينا خربة واسعة هي
خربة الحريري ، وأبعد منها جنوباً خربة أبو سباط . وقد لاحظنا بعد الساعة ١٠:٢٦
على يميننا نهر دّورين القديم ، وإبتداء من هذا الموضع كان علينا ان نعبر جميع
فروعه المتعددة التي تجري الى الغرب . ويقال ان دورين ينتهي أسفل من جرف
العرصي بالقرب من خرائب ابو رق في سهل حاوي البروث . وفي ١٤:٢٧ كان
الى يسارنا احد فروع الفسرات المسمى سراة الكشمة . والسراة تعني فرعاً يتجه
من النهر الى سهل فيضي . ويسمى مثل هذا السهل في العادة : الحاوي . وحينما

يكون مغطى بالدغل او الاشجار يسمى : الزُور . وظلت الجمال في مرعاها من ١٧١٠ الى ١٧٤٠ (شكل ٥٠) وفي ١٧٠٥ عبرنا ، عند ركام - خربة الزققيج ، فرعاً من القرات ممثلاً بالرمل يكاد عرضه يبلغ خمسين متراً . وأصبح بإمكاننا ان نرى من جهة جنوب - الجنوب الغربي على الضفة اليمنى من النهر خرائب ام زناد ؛ وفي غرب - الشمال الغربي منها امتدت كتبان رملية داكنة تعرف باسم طُحوس شُعبان ، وفي جنوبها ، الى الغرب من تل مدقوق يوجد تل رملي يعرف بطحوس رسول . وارتفع الى الغرب منا ، بصورة مباشرة تقريباً ، تل صغير قائم اللون هو تل الجحش . وقد جرى في هذا التل تنقيب آثار قديمة مختلفة .

في الساعة ٨ و ٥٢ اجتزنا خربة تل البهسته ، وتكون هذه الخربة تلاً ارتفاعه نحو عشرين متراً ويبلغ طوله من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي مائتي متر . وعرضه مائة متر . وتتصل به من ناحية الشرق اكدام صغيرة كثيرة تجمع فيها آجر قديم . وثمة نهسر ، نصف مردوم الآن ، كان يجلب الماء من القرات سابقاً . اما القسم الغربي من الخربة فقد جُرف وزالت آثاره (٨٦) .

وعلى الضفة المقابلة ترتفع ربوة خرائب طويلة تسمى خربة الجحش . احتشلت حولها اكواخ بلدة الرمادي . وفي الساعة التاسعة ظهرت قرية اللميم على الضفة اليمنى من جهة غرب - الجنوب الغربي ؛ وعلى الضفة اليسرى : قرية المُعشَق . وإلى الشمال الشرقي لم نجد خرائب كبيرة الحجم في السهل الفيضي الخصب . وفي الساعة ٩ و ٣٩ كانت على يسارنا قرية الهجين . وفي

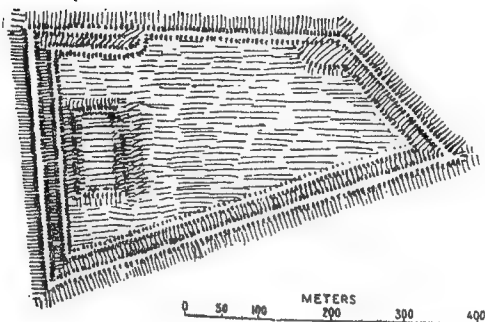
(٨٦) وفي خربة البهسته اُحْدَد موقع تقرباني الاشورية . وفي عام ١٨٧٨ ق م جلب سكانها الى الملك اشور نازر بال : فضة ، ذهباً ، رصاصاً ، اوعية ، ماشية وغنما (الحوليات [رولنسن ، المصدر السابق] ، م ١ ، اللوحة ٢٣) ، العمود ٣ من ١٠ ، بيج و كلك ، المصدر السابق ، [١٩٠٢] ، ص ٣٤٩) .

ويكتب ياقوت ، المعجم (فستنلد) ، م ٢ ، ص ٦٥٥ وما بعدها ، ان دير حنظلة يقع بقرب الضفة الشرقية لنهر القرات ، اسفل من رجة مالك بن طوق بين الدالية والبهسته . ولقد تفنى بموقعها الجميل عبدالله بن محمد الامين بن الرشيد حينما مكث فيها لفترة قصيرة .

شمالها خربة معصرة ومقبرة . وظهرت في ٩٥٣ الى غرب - الجنوب الغربي على الضفة اليمنى قرية الخريطة ، وامامت ربوة خرائب الغربي الداكنة اللون ، وتقع ورائها مزرعة الصفاء . حتى اذا ابتعدنا عنها شمالاً ظهرت قبة وردية اللون في خرائب الجعابي . وفي ١٠٣٥ امكن رؤية اشجار قرى الكتوحة في الجنوب الغربي ، وإلى الشمال منها مزرعة البحراء ، وإلى الغرب منها توجد في وسط الحقول خرائب الصفاء (٨٧) وتقع البحراء مقابل مركز الدرك بالصالحية .

من ١١٣٠ الى ١٢٤٦ بعد الظهر عملنا في خرائب الجعابي . وكانت تقع في يوم ما مدينة واسعة يحيط بها سور من الشمال والغرب والجنوب (٨٨) .

-
- (٨٧) واستنادا الى سجلات رحلة توكولتي اينورثا الثاني فان الصفاء هي صبرى القديمة (راجع فيما يلي ص ص ١٥ وما بعدها) .
- وفي عام ٨٧٩٠ ق م تسلم اشور نرغال في صبرى ، مستحقته الابية : الفضة ، الذهب ، الرصاص ، الاواني ، الماشية والغنم .
- (٨٨) وتطابق الجعابي ، وفقا لاسيدور الشراكسى ، قصور البارثيين (ملر) ، ص ٢٤٨ ، و زوسيموس (التاريخ الحديث ، ج ٣ ، ١٤ ، واميانوس مارسيلينوس ، ديسرجمستارم ، ج ٢٤ ، ١ : ٥ ، صاحبة من ضواحي يوروبس - او كما كانت تسمى ايضا : بلدة نيقانور (نيكانورس بوليس) او دورا - وقد اسمها المقدونيون .
- ويروي بوليبيوس ، التاريخ ج ٥ ص ٤٨ ، ان مولون فتح في صمام (٢٢١ ق م) بارا بوتاميا ، من سلوقيه على دجلة الى يوروبوس ، وميزا بوتاميا [بلاد ما بين النهرين] حتى بلغ دورا .
- واستنادا الى بوليبيوس ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ٥٢ ، فان بلدة دورا تقع على الضفة اليسرى لدجلة ، وقد حررها انتيوخوس (٢٢٠ ق م) اثناء حملته على مولون . ولهذا لانسبتطبع البحث عن بارابوتيميا بمحاذاة دجلة ، بل لابد من البحث عنها بمحاذاة الفرات ، ويمكن مطابقة بلدة يوروبوس بالمستعمرة المقدونية يوروبوس او الجعابي المعروفة لنا .
- ان بوتيميا المتسدة على الفرات تناخضم ببلاد العرب من حدها الجنوبي (سترابون ، الجغرافية ، ج ١٦ ، ٣ : ١) .
- وفي النصف الاول من القرن الرابع للميلاد هجرت بلدة دورا (هوفمان ، مقتبسات [١٨٨٠] ، ص ص ٢٨ وما بعدها) .



(شكل ٥١ -- خريطة خرائط الجعابي)

وتقوم في غربي الجعابي ، على نتوء صخري في الجدار الغربي لوادي الفرات، خرائب الصالحية . ووصلنا في الساعة الواحدة الى مجرى مهجور للفرات هو سرة المويه . اما مجرى النهر الحالي الذي يمر بالصالحية فانه كان في الاربع نهرأ في الاصل . وفي ١٢٠ كانت في غربنا قرية [الغرائق] وكثير من الجزر الصغيرة في النهر . ورعّت جمالنا من ٢٣٣ الى ٣٠٥ . وتركنا الحقول في ٣٣٨ . ودخلنا في الساعة ٣٥٢ طريقاً شاقاً تغطيه رمال ناعمة . وكانت الريح هنا تسفي الرمل الى السهل الفيضي المستوي فتكوّن ربوات صغيرة رمادية قاتية اللون يوجد فيها نمو الطرافاء . وقد تكوّنت ، بفعل سافيات الرياح هنا وهناك خلال ١٠٠ طويلة . تجمعات رملية الحقت ضرراً كبيراً بالمزارع . وفي ٢٠ بلغنا مجرى قديماً للفسرات يسمى ابو حسام . وفي ٣٠ أَرانا الدليل خرائب مبنى صغير تقع على مقربة من دَورين تبعد من ناحية الشرق ثلاثة كيلومترات تقريباً . ، وقال انها دير الصويونيه . وفي ٥٣ كانت على يميننا خرائب تلّ المعادي .

المروانية الى البصرة على الخابور

بعد ان انعطفتنا شمالاً ، وصلنا في الساعة ٦:٠٥ الى خربة المروانية (شكل ٥٢) وهذه الخربة اصبحت الآن متداعية بصورة كاملة ، ويكون القسم الأوسط منها مستطيلاً يبلغ طوله من الشرق الى الغرب ٦٠ متراً ، وعرضه ٣٠ متراً . وتستدير الخربة عند كل ثمانية عشر متراً مما يدل على ان سور الحصن كان معززاً بحصون او أبراج جانبية . وهناك مستطيل مسور - لعله معسكر محصن - يحيط بالقسم الاوسط ويتصل من الشرق بكومة احجار عالية شبه منورة . ويجري نهر دورين مسافة كيلومتر ونصف تقريباً الى الشمال الشرقي ، غير أن فرعاً جانبياً منه يجلب الماء من مسافة تمتد حتى المروانية (٨٩) .

بعد ان غادرنا في الساعة ٦:٢٠ متخذين اتجاهاً شمالي - شمالي غربي ، خيمنا في ٦:٤٠ عند الجردى ، حيث قمنا بتحليلد خط العرض .

وفي ٢٠ أيار سنة ١٩١٥ تركنا المخيم في الساعة ٤:٤٥ صباحاً . وفي الساعة الخامسة كان مشهد الشيخ وخربة صغيرة الى الجنوب منا على بعد كيلومتر واحد تقريباً

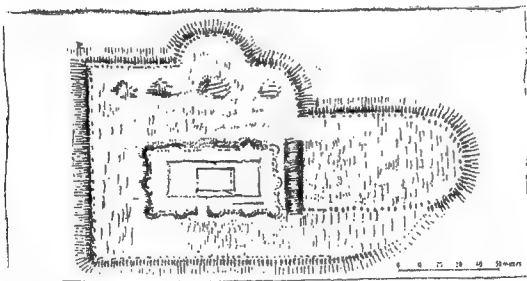
وفي ٤:٤٥ اجتزنا خرائب المقتلة وكوتت نقاضتها أربعة اكوام وامعة . ورأينا على الضفة اليسرى من الفرات ثلاثاً ارتفاعه نحو عشرين متراً ، ويتكون من خرائب جرفت مياه الفرات الجزء النرقي منها وكانت على قمته قرية العشار ، حيث كان للحكومة ممثل فيها قبل ان ترمم دير الزور . وكان الفلاحون يقضون في العشار وما جاورها وبين جميع الخرائب الممتدة الى دير الزور ، كثيراً من الوقت في التنقيب عن الآثار القديمة ، وكان تلّ كراخ ، الواقع على الضفة اليسرى قبالة المياذين ، وافر الانتاج بوجه خاص في هذا الصدد .

كنا نقطع الآن سهل سويدان الفيضي الخصب ، وتحاذى هذا السهل من الشرق حقول الحامد . وعاد الدليل الى اعلان مسخلة ثانية موجهاً التهم الى الشيخ تبان

(٨٩) انظر فيما يلى ، الملحق الرابع عشر .

بن حفلة . من قبيلة العقيدات : الذي أخذ الجمال والاغنام من الفلاحين في المنطقة كلها من العرصي الى الخابور . ثم الى الصوّار ، ولهذا كافأته الحكومة بوسام على حميته . وكان أبوه ، حفلة بن عبدالله ، مشهوراً بقسوته . حيث سبق ان قتل ثلاثة من ابناء أخيه وضيماً بعد ان سلبه .

في ١٥٠٠ ظهر مشهد الشيخة عمنه الى الشمال على التواء الشرقي لتلّ جَمّة . ومن ٧٠٠ الى ٧٣٥ بقيت الجمال ترعى مقابل قرية الجزيرة الواقعة على الضفة اليمنى . وقد ضاق السهل الفيضي الخصب الممتد على الضفة اليسرى الى حد كبير وأصبح يحدّه من الشرق سداة الجمّة وهو فرع من الفرات كنا نسير على امتداده الآن . وارتفعت على الضفة اليسرى ربوة خرائب ارتفاعها نحو خمسة عشر متراً . مبنية عليها قرية كبيرة تسمى القرية أو التلّ . وبعد الساعة الثامنة عاد المحايي (اي السهل الفيضي) الى الاتساع ثانية . وفي ١٢٠٠ وصلنا الى فرع آخر يترك الفرات شماليّ القرية .



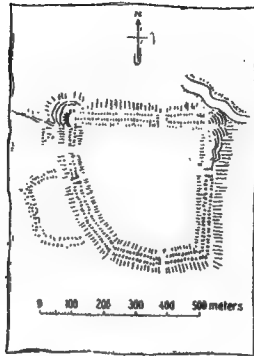
شكل ٥٢ مخطط خرائب المروانية

من الساعة ٣١ ر ٨ الى ٠٤ ر ٩ تفحصنا خربة المسايح الكبيرة (شكل ٥٣) .
وهذه الخربة محاطة بجدران عالية ولكن غير منتظمة يبلغ طول جانبها الشرقي
٨٠ متراً ، والشمالى ٥٣٢ متراً . ويرز الجانب الجنوبي الى الخارج ، وله
باب بالقرب من وسطه ، أما الجانب الشمالى فانه يغير اتجاهه عدة مرات .
وجدرانها سميكه مبنية بالآجر يزيد سمكها على خمسة امتار وكانت كلها —
مغطاة بطبقة سميكه من آجر مفتت حتى اصبح من المستحيل علينا ان نتوصل
الى نتائج محددة عن بنائها . وبلدت على الضفة اليمنى من الناحية الغربية خرائب
المحكان الواسعة في حين برزت الى يسارنا ، من الجهة الشمالية الغربية ،
قرية ثلّ المبوب وخرائبها وفيما وراء هذه قرية الطيانة وخرائبها ، وإلى
شمال — الشمال الغربى ، خرائب كراج . ولم نشاهد قلعة الرحة الا بعد الساعة ٢٢ ر ٠٩
فقد برزت بوضوح فوق الأفق على الاجراف الغربية من ناحية غرب — الشمال الغربى .
وتألفت القلعة نفسها بلونها الأحمر القاني — بينما كان لون الثل الذي تقع عليه
وردياً في الوسط ، وبنفسجياً عند القاعدة . وتهمين القلعة بموقعها على جميع الاراضي
المجاورة ، وتشكل — ان صحّ التعبير — تهديداً للمسافر من أية جهة جاء .

وفي الساعة ١٠ ر ١٠ كانت الى جنوب — الجنوب الغربى حقول ذبيان ،
والى شمال — الشمال الغربى خرائب كراج ، وكان نهر دورين على بعد
ثلاثة كيلو مترات تقريباً من ناحية الشمال . وفي ٣٥ ر ١٠ كانت الى الغرب
منا وعلى جانب النهر الذي كنا فيه قرية الغريب : وعلى الجانب المقابل
مدينة المياذين . وفي ٥٥ ر ١٠ عبرنا مساقية واسعة تأخذ الماء من نهر دورين ؛
وفي ٤٥ ر ١١ رأينا على اليسار خرائب الطامة وبها ضريح الشيخ محمد . وإلى
الغرب قرية تسمى الحوايج .

ومن ٥٥ ر ١١ الى ٢٠ ر ١ بعد الظهر اخذنا قسطنطين الى الراحة قبل اجتياز
سهل الشحيل الزراعى .

وفي ١٥ ر ٢ مررنا خلال خرائب (قرية الزهية) . وتمتد هذه القرية من الشرق
الى الغرب : ويرتفع في قسمها الشرقى ركام كبير من انقاض البناء كأنه بقايا
قلعة . وقد ترك منظر مابقي من حصن قرقيسيا القديم واكواخ قرية البسيرة



(شكل ٥٣ - خريطة خربة المسيح)

الجديدة اثراً قوياً في دنوسنا ، وتقوم بقايا هذه القلعة على حافة شديدة الانحدار الى الجنوب ، وبرزت في الناحية الشمالية الغربية ربوة خربة الرزّ الى الغرب فوق حقول الملوخ ، وكانت الى الشمال ضفة نهر الخابور ، وفي الشمال الشرقي أبنية ثعو القديمة .

وفي ٢٥٠ ر عبرنا ساقية ري قديمة تنفرع من الخابور . وامكن رؤية خربة قرية الرزّ في الغرب على الضفة اليسرى من الفرات . وفي ٣٠٥ ر مررنا خلال بعض الخرائب القديمة ، وقد نقلت جميع مواد بنائها ولم يبق فيها سوى قطع صغيرة من الآجر وكسر من القفّار .

وفي ٣٤٠ ر عبرنا الخابور على جسر جديد يقوم على ثمانية أعمدة حجرية ، وله سياج من الخشب . وقد دفع سكان القرى المجاورة المبالغ اللازم لبنائه . ويبلغ رسم [مكس] المرور على الجسر قرشين (٩ سنتات) لجمل واحد مع حملته ، وقرشاً واحداً لجمل بلا حمولة ، وللبل

٦ الواحد المحتمل اربعة متاليك (٦ سنات) ، والبخل غير المحتمل متليكان .
ثم مررنا بساحة واسعة مكشوفة تفصل بعض الخرائب التي توجد على تل صغير عن
خرائب كثيرة أخرى تقع الى الشرق ، في أرضي مستوية تسمى المتراس ؛ وفي
وفي ٥٠ ر ٣ توقفنا عند القمامة الدالية الشرقية للتل السابق الذكر . حيث
كان علينا ان ننظر حتى الساعة ٤٥ ر ٤ . وحينذاك حصلنا على رجلين جديدين
من الدرك ليحلا محل رجلي الدرك اللذين صاحبا من راوه .
وعقب وصراحا مسرعا خلال حقول البراحة والتسليوة متجهين نحو
الشمال الغربي .

البسيرة

ان قرية البسيرة (٩٠) مبنية على الريع الجنوبي الغربي من الخرائب الواسعة
التي تغطي الحافة الجبلية المشرقة على محبب الضبابور في القرات . ويبلغ عدد
بيوتها ١٣٠ بيتاً . تجعت في محلتين : الجوبة ويتولى امر ادارتها المختار
سبلي الحسين . والعلية ويديرها خلف النايك . اما الأبنية القديمة فلم يبق
منها بناء سليم ؛ ولا يرى الناظر سوى اعمدة قلائل وبعض كتل حجرية منحوتة .
والظاهر انهم نقلوا الانواع الصالحة من مواد البناء إما الى الرحبة او الرقة .
ومعظم الآثار القديمة يمكن الدرس عليها من الفلاحين في المحلة المسماة
المتراس .

في ٣٠ ر ٥ شاهدنا الى الشرق الشمال الشرقي : عند لحف مرتفع
الرقاعة ربوة خربة تل الجين . وفي ٤٠ ر ٥ خيمنا قرب مرقد الشيخ
العبوني حيث . قمنا بتجديد خط العرض .

(٩٠) أنظر فيما يلي ، الملحق الثالث عشر .

الفصل الثاني عشر

الخابور الى بالس بطريق دير الزور

البصرة الى دير الزور

في ٢١ أيار سنة ١٩١٥ خرجنا في الساعة ٥.٢ صباحاً، مخترقين سهل القليوة المنبسط . الذي يمتد بين الفرات (الخابور ورأينا في الساعة ١٥ ر ٥ بقرب الأول منهما خرائب النوايب، وإلى الشمال الغربي براكين الجحيفات .

وفي الساعة ٢٠ ر ٥ كنا على طرف سهل السبخة الفيضي ، وفي ١٢ ر ٦ مررنا خلال حقول (الجديد) واجتزنا مشهداً صغيراً للشيخ محمد الويس (شكل ٥٤) . يرتفع على حافة مدرج يهبط مسافة خمسة امتار تقريباً الى السهل الفيضي الغربي (الحاوي) . ويظهر ان الفرات في هذا الموضع كان يجري في الاصل قريباً من السفح الشرقي من واديه ، كما هي الحال حتى الآن ، بين مشهد الشيخ محمد الويس والسيرة . وهذا المدرج ، الذي يعبر الطريق : عبارة عن ارض مستوية جرداء ليس فيها نباتات مستوية حتى ولا نباتات دائمية . ما عدا بقعة تظهر من حين لآخر تنبت فيها نباتات مستوية جافة قليلة تسمى الحمري . وفي الساعة ٤٧ ر ٦ لفت الدليل نظرنا الى تل صغير يقع على الضفة النهر اليمنى من ناحية جنوب -- الجنوب الغربي يأخذ شكل السرج يسمى الهرم يحضر فيه الفلاحون بحثاً عن الاثار القديمة . وفي ٣٣ ر ٧ ظهر للعيان تلان على الشمال الغربي يطلق عليهما اسم الشرفيات . ومن ٤٠ ر ٧ ٠٩ ر ٨ رعت جماننا على ضفاف نهر يسمى سرة البوعمر يتفرع من الفرات بقرب خرائب المجبيرة على أطراف قرية الطابية . وفي ٢٠ ر ٨ شوهدت قرية ام حسن الى الغرب على الضفة اليمنى من النهر. وفي ٤٥ ر ٨

اجتزأ ضريح الشيخ مشرف الذي أنيم على رابية وسط مقبرة ، وقد غرز الناس اغصان الطرفاء وسوقها عند مقلمة بعض القبور هناك (شكل ٥٥) . وفي ٨٠٥٠ مررنا بمجرى جاف قديم من مجاري الفرات . وهو فرع مسدود من فروعه يسمى سرة الخشام . وفي ١٥ ر ٩ شاهدنا الى يميننا على الضفة اليمنى من المجرى القديم خرائب كبيرة تسمى المالحه . وفي ٤٠ ر ٩ دخلنا مجرى السبعة وهو مجرى عميق قديم وبعد اجتيازه وصلنا الى خرائب السن ، حيث توقفنا من ٥٠ ر ١٠ صباحاً الى ٦ . ١٢ بعد الظهر .

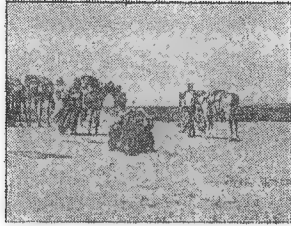
وتحيط الاسوار بخربة تل السن (شكل ٥٦) من الشرق والجنوب والغرب ، اما من الشمال فتحيط بها سواقي الري . وكانت هذه السواقي تستخدم وسيلة للدفاع ايضاً . ويقوم في الركن الشمالي الغربي من هذه الخرائب مرقد صغير وعمودان رشيقان من المرمر ، والواح من المرمر ايضاً ، وقطع من رؤوس الاعمدة في الداخل . وتوجد في هذه الخرائب اكثر من خمسين حفرة . حفرها أناس يبحثون عن الآثار القديمة . ويمر الطريق من تل السن الى النير بين حقول مروية تتوزع في قرى مراد ، والهطلة ، والحسينية .

وفي الساعة ١٨:١١ بلغنا الجسر الذي يربط بلدة اللير الواقعة على الجانب الغربي من النهر ، بجزيرة صغيرة وبالضفة اليسرى . ويمتد من هذه الضفة الى النهر اجد عشر عموداً يستند عليها الجسر ، ولكن الباقي منه يستند على قوارب . وبعد عبورنا الجسر ذهبت مباشرة الى مبنى الحكومة لمقابلة المتصرف (مدير شؤون المنطقة) وكان نائماً . ثم ذهبت الى مركز الدرك ولكنهم كانوا جميعاً نائمين . حينذاك أيقظت الضابط الذي يتولى أمر القيادة وقدمت له رسائل التوصية التي ممي وطلبت منه ان يعين رجلين من الدرك لمصاحبتني في سفرتي التالية . واعتذر قائلاً انه لا يستطيع عمل شيء بغير موافقة المتصرف . فأجبتة بانني سأنتظر الدرك حتى الساعة الثالثة خارج المدينة : فان لم يحضروا واصلت السفر بدونهم . وكان لهذا تأثيره في نفس الضابط اذ أتاانا عقب الساعة الثانية بقليل فارس يعا ، وطلب أن أقدم نفسي الى المتصرف . وكان جرائني له انني سبق ان

تَـزَرتَه أَفْناً وقد حَلَّتْ نوبتُه الآنَ لزيارتي ، لانه كان نائماً عند زيارتي إياه . وبعد ذلك بوقت قصير جاء سكرتير المصروف ملتسماً مني ارسال اوراقني لفحصها على الأقلّ واحلته على الضابط الذي إستنسخ الفقرات المهمة منها . وفي ٢٥٠ ، وكنا على وشك ان نقرع من شرب الشاي ، واذا بفارسين من الدورك يسرعان نحونا . وعندما توقفا بازائنا اعلنا انهما الحارسان اللذان طلبتهما . وقدّم ناصر لكل منهما كوباً من الشاي .

دور الزور الى الطرفساوي

في الساعة ١٢ ر ٣ غادرنا المكان الذي كنا قد اسرحنا فيه وكان يبعد نحو كيلو مترين عن مبنى الحكومة ، وكيلومتراً ونصفاً من المدينة . وفي ٣٠ ر ٣ قطع الطريق العام الذي كنا نسير فيه شعب الجورا الصغير الى يسار قرية الصالحية . ولم نعد نرى بعد الساعة الرابعة مزارع على الضفة اليمنى ، اذ كانت الاجراف الصخرية في هذه المواضع تصل الى الماء تماماً . وعلى الضفة اليسرى تقع اكواخ الجنية والمعيشية بين حقول زراعية . وبعد ٤٠ ر ٤ مرنا بين صخور (اللابة) ، وفي ٥٦ ر ٥ عبرنا عند قرية البغليّة شعباً صغيراً ولكنه عميق اسمه ابو طنيطيل (ذو القلنسوة المخروطية الصغيرة) وسمى بذلك لوجود كدس عال من الاحجار فوق ضفّة اليسرى يشبه القبّة . ويتصل بهذا الشعب عنى جانبه الأيسر رافد صغير يسمى شعب الأرغام (الرخام) . وفي ٤٥ ر ٥ كان على يسارنا طريق يتفرع الى وادين مزروعين همسا : المحسن والقصية ؛ وفي ٥٥ ر ٥ اجتزنا على اليمين منّا : براكين الحجفات الخاملة ، وفي ٥٥ ر ٦ عبرنا شعب ابو جُمُع وتلدق بقوة عن يمين هذا الشعب عين العياش ، وفي ١٠ ر ٦ شاهدنا على اليسار خرابب الضايبي الواقعة على جرف صخري شديد الانحدار ، ثم انحدرنا شرقاً الى سهل الخريطة المنبسط المزروع ، حيث لاحظنا مخيماً للقيادات ، ولم يعد لدي الدورك علفاء لحصاتيها . ولما كان الطريق الذي سلكناه يتعطف هنا الى الشرق والرطوبة تزداد فيه خطوة بعد خطوة ومخيم الفلاحين على مسافة غير قليلة

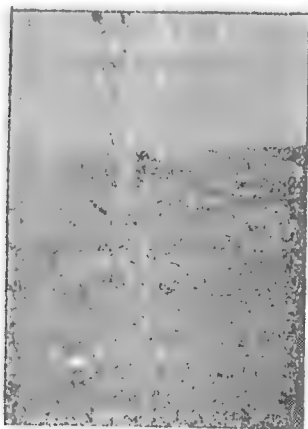


(شكل ٥٤ - من الشيخ محمد الويس ناظرين غرباً)

منا لهذا إرسات الأصغر ستاً من رجلي الدرك للحصول على الشعير ، بينما انطلقنا الى جهة الشمال مخترقين السهل الغربي . ولم نلبث ان وجدنا انفسنا بعد قليل على بقعة من الارض تحيط بها المستنقعات . ولم نستطع ان نواصل سيرنا . كما لم تكن لنا رغبة في العودة ادراجنا ، فترلنا هنا حيث أقمنا مخيمنا في الساعة ٧:١٥ . ولم يكن للجمال شيء ترعاه بل اننا لم نعثر على حطب نستخدمه وقوداً لطبخ عشاءنا لذا اضطررنا الى النوم دون عشاء . ولقد قاسينا نحن وحيواناتنا من البعوض الذي انقضّ علينا بألوفه المؤلفة .

وفي ٢٢ أيار سنة ١٩١٥ : في الساعة ٤٥ ر ٤ صباحاً غادرنا المكان بسرور ، حيث لم نستطع ان نغمض عيناً طوال الليل . وبعودتنا الى جهة الجنوب الغربي في الساعة ٢١ ر ٥ دخلنا الطريق العام الذي تركناه مساء اليوم السابق . وتوجد في هذا المكان على الضفة اليسرى من النهر مجموعة من القرى هي : المحميطة ، ابو سفير ، الحوايج ، الزغير [الصغير] وسعوه . وتوجد بعض ربوات خرائب في القرية الأخيرة . وفي ٤٥ ر ٥ وصلنا الى سهل الشميطة الغربي ، وتغطي هذا السهل أجمة كثيفة من الطرفاء . ورأينا في القرات جزراً صغيرة تسمى حوايج الدم . وفي ٥١ ر ٦ اجتزنا جرف طايوس وتقع عليه كومة صغيرة من انقاض بناء قديم . ومن ١٠ ر ٦ الى ٣٨ ر ٦ سامت جملنا في سهل

الشميطية المنبسطة ، الذي يمتدّ مسافة خمسة عشر كيلو متراً اما عرضه فيبلغ في بعض الاماكن عشرة كيلو مترات . ولو أزيلت الطرفاء من هنا السهل ، ونُظِمَ الريّ في شطر منه لكان في الامكان زراعة الرز والقطن بنجاح فيه . وفي ٤٠ و٧ رأينا في شرق - الشمال الشرقي بيتاً (مدير) الشميطية ، كما رأينا على الضفة اليسرى ، فيما يلي حقل ، الحُصْرَ بيتَ مدير الكسرة .



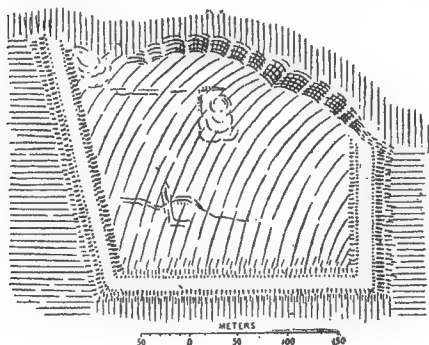
(شكل ٥٥ - عمود من الطرفاء فوق قبر)

في الساعة ١٧ و٨ عبرنا شعب المعموري ، ويقال أن بقايا قلعة قديمة توجد فوق الضفة اليسرى منه . ويمتد الطريق العام بمحاذاة أجراف السّكران ، ويبلغ ارتفاع هذه الجروف ٢٥ متراً تقريباً . وقد تكونت نتيجة تعرض الصخور الطينية لعوامل التعرية . وتنظم هذه الأجراف كثير من الصخرات الصغيرة

التي أصبحت مأوى لعدد لا يُحصى من الحمام والسُّحُم من الغربان. وفي ٢٠ ر ٨٠ غادرنا السهل الفيضي (الحاوي) ثم توقفنا من ٣٢ ر ٨ الى ٥٠ ر ٨ على الحدود الجنوبية الشرقية من إقليم القصبات الوعر .

الطريفاي الى المدان

في الساعة ٠٣ ر ٩ رأينا على اليمين حقول المصرب والمشاركة ، ورأينا على نوء صخري من جهة الشمال قرية صغيرة مهجورة هي الطريفاي أو الطريف . وكان لهذه القرية طريق يمر بها ولكن هذا الطريق انخسف في عدة أماكن واصبح الطريق الحالي يدور حولها مما اضطر الناس الى هجرها . وفي ٢٥ ر ٩ شاهدنا من ناحية شمال - الشمال الغربي خرائب الحلية وفي شمال - الشمال الشرقي: مخرج نهر ري قديم يسمى المسران ، كان الماء يجري فيه على امتداد لحف جرف الخرموشية ، الذي يسد سهل (الكبار) الغربي من



(شكل ٥٦ - تل السن)

جهة الشرق . وفي ٤٠ ر ٩٠ عبرنا شعب الطريف الواسع العميق ، وفي ١٨ ر ١٠ اجتزنا قرية الطريفاي ، وفي ٢٢ ر ١٠ شاهدنا امامنا جبل الحمة الضخم المائدي الشكل ، الذي يشقه النهر ، وتقع الحلية عند لحيه الجنوبي الشرقي (٩١) . وتوجد على الضفة اليسرى جنوبي المضيق خرائب الزليّة التي يتفرع من الفرات الى الجنوب منها مباشرة نهر السران القديم . ومن هذا الموضع تمتد بقعة من السهل الفيضي جنوباً حتى تبلغ مخرج هذا النهر .

ومن ٤٥ ر ١٠ الى ٢٠ ر ١٢ بعد الظهر تركنا الجمال ترعى عند نهاية الوادي الضيق المعروف بـ (سحل الزغبر) في مرج الأبيطة الكبير امام مركز الدرك في التّبي . وفي ٤٠ ر ١٢ عبرنا وادي سحل القرير العميق ، وكان قد تم اذ ذاك بناء خان (نزل) على ضفته اليسرى . ويبدأ سحل القرير عند مخروط العبيد . وتقع الى الجنوب الغربي منه بئر جرايوك ، وإلى الشرق منها يجري شعب العليجي آتياً من سلسلة جتب البشري . والشعب الأخير يتصل بالقرير قرب بئر العليجي . وفي الشمال الشرقي من نقطة الاتصال هذه يندمج شعب الحرامية مع القرير على اليسار ويحتل سحل الحرامية (او سحل الكبير) من تَلّ طربّ الهرمي الشكل ويتاخم حافة السيرة في الجنوب . وفي هذا الشعب تقع بئر الحرامية .

ويقع مركز التّبي على جرف فيما يلي الخان (النزل) ، على ارتفاع خمسة عشر متراً تقريباً فوق الطريق العام . وفي ١٨ ر ١ كانت على يسارنا خرائب الشيوخ الصغيرة على مقربة من الطريق . وترتفع الى الشرق منها خرائب قبر مزار الشيخ مبارك ، وكانت تترافق في النسيم بعض اغطية الرأس علقّت على قضبان مغروزة فوق هذه الرتبة . . وفي ٤٠ ر ١٠ شوهدت خرائب الحلية الى الجنوب مباشرة تقريباً ويسمى السهل المنبسط الذي ينحصر بينها وبين الطريق العام [الدكة] . كما يسمى السطح الواقع الى الشمال الشرقي من الأخير الواسع .

(٩١) انظر فيما يلي ، الملحق الثاني عشر .

ويربط بين الحلبية والقصبي مسلك ضيق (دريب الواوي) يمرّ بعين [المضيق] . ويمتد هذا المسلك بمحاذاة النهر . . ويقوم في شمال الحلبية ، على الضفة اليسرى ، مرقد (ابو العتيق) [العتيق] الصغير . ويقربه يرتفع بركان القليب على الجانب الأيسر من شعب المرّ . حتى اذا بعدنا الى الغرب من ذلك وجدنا على الضفة اليسرى كذلك، وفي شعب الحلقة الصغير ، قرطين صغيرتين هما الخانوقة (٩٢) وقرية شاطي . .

(٩٢) الخانوقة كلمة مرادفة لـ (خنقي) الاشورية ، و (انوكاس) البيزنطية .

وتوغل اشور ناصربال الثالث عام ٨٧٧ قم الى مصر ضيق ((خنقي) على الضفة اليسرى للفرات (الحوليات [رولنسن ، المصدر السابق ، م ١ ، اللوحة] ، العمود ٣ السطر ٣٠ ، بج وكنك ، المصدر السابق ، ص ٣٥٤) .

ويروي بروكوبوس ، المباني ، ج ٢ ، ٦ : ١٢ انه كانت تقع فيما وراء قرطيسوم قلعة قديمة تسمى انوكاس ، وكانت تحصيناتها قد بلغت حدا كبيرا من التدها . وحين سمع الامبراطور جستنيان الاول بذلك امر باعادة تعميرها الى الدرجة التي اصبحت فيها مساوية لاية بلدة اخرى .

يروي الشبيه بالواقدي ، الفزوح (ايفالد) ، ص ص ٤ وما بعدها . ان عياضا (احد قادة جيوش المسلمين الاوائل التي فتحت بلاد ما بين النهرين) فيما هو يستعد للحملة على رأس العين ، ارسل فرقتين على قلعتين ، احدهما تقع على الضفة اليمنى للفرات ، والاخرى على الضفة اليسرى . وقد غادروا معسكر عياض في بلييل قبل المساء ، فوصلت الفرقتان بالقرب من الخانوقة في الساعة الثانية قبل مطلع الفجر . . . وقد ورد في النص الاسمان التاليان للقلعتين : «رباء» ، و «زلاء» . والصحيح ان الاسم الاول ينبغي ان يقرأ : زباء ، لانه يشير الى مسكن الملكة الزباء ، او حلية الحديثة . اما الاسم الثاني فينبغي ان يقرأ : زلابيه او زلبية .

وعند بلييل ، الواقعة مقابل بلدة الرقة (كالينيكوس) ، كانت توجد افضل مخاضة عبر الفرات ، وعلى هذا فلا بد ان يكون عياض قد خيم هناك ، وكان ينوي التقدم فيما بعد على امتداد البالغ الى الجسر عند رأس العين . ولما كانت المسافة من بلييل الى الخانوقة ثمانين كيلو مترا ، فكان على الجنود ان يسيروا بمعدل ثمانية كيلو مترات تقريبا في الساعة . ويقول ابن حوقل ، المسالك (دي خويه) ، ص ١٣٩ ، ان الخانوقة

عبارة عن محطة للتوقف على منتصف الطريق تقريبا بين قرقيسيا والرقّة ،
وبداية طريق يصل الى بلدة عرابان على الخابور ، بعد سيرة اربعة ايام .
وتكاد تكون المسافة من قرقيسيا الى الخانوقة ١٠٠ كيلو متر ، غير
انها من هناك الى الرقة تبلغ ستين كيلو مترا فقط . اما الطريق من
الخانوقة الى عرابان ، وطوله الاجمالي نحو ١٠٠ كيلو متر ، فكان يمر
بمنهل ابي قبره وخرائب المالحنة . وان مرحلة واحدة
بين الخانوقة وعرابان ماكانت لتزيد على ٢٥ كيلو مترا طولا ، او مابادل
تقريبا المسافة التي يستطيع ان يقطعها جمل منقل بالاحمال في يوم
واحد .

ويكتب البكري ، المعجم (فستنفلد) ، ص ٣٢٠ ، ان الخانوقة بلدة
بنتها الملكة الزباء على الضفة الغرات في بلاد مابين النهرين . وعندما انحفص
مستوى الماء في النهر ، أمرت الملكة ببناء سد عليه وممر متين السقف
مشيد تحته . وبعد ذلك ازيل السد بحيث ان الماء جرى فوق الممر
الخفي ، وهذا مما مكن الملكة من اللجوء الى شقيقتها الزبيبة في وقت
الخطر . -

ويخلط البكري في هذه الحالة الخانوقة بقلعة الحبسية . وكانت
الزباء تقيم على الضفة اليمنى للغرات ، بينما نجد الخانوقة على اليسرى .
وبالاستناد الى ما ورد في الشبيه بالراقدى ، فان مسكن الزباء ينبغي
البحث عنه على الضفة اليمنى مقابل قلعة مماثلة على الضفة اليسرى .
والقلعة الثانية هذه يجب ان تتطابق مع بلدة شقيقتها الزبيبة . وعليه فان
الممر الخفي تحت النهر لايدّ أنه كان يوصل بين حلبه ، مقر الملكة
الزباء ، الى محل اقامة شقيقتها الزبيبة ، على الشاطئ المقابل .

ويسجل سبط ابن الجوزي (ابن القلانسي ، الدليل | امدرود) ص ١١٦
انه في عام ١٠٦٣ ميلاديه منح ابناء محمود ابن الروقليه : الخانوقة ،
قرقيسيا والدورية ، وعلى هذا اصبحت تعود الى منطقة الرجة الادارية
ويصف الادريسي ، النزهة (ترجمة جوير) ، م ٢ ، ص ١٤٥ ،
الخانوقة بانها بلدة صغيرة جدا ، وفيها سوق عامرة ونشاط تجارى .

ويقول ياقوت ، المعجم (فستنفلد) ، م ٢ ، ص ٣٩٤ ، م ٤ ، ص ٥٦٠
وما بعدها ، وابو الفضائل ، المراصد (يونيبول) ، م ٣ ، ص ١١٣
ان الخانوقة تقع على الغرات ، غير بعيد من الرقة . وان المضيق وهو
الواقع المفترض لبلدة الملكة الزباء ، يبحث عنه رواة ياقوت بين منطقتي
الخانوقة وقرقيسيا على الغرات ، ومن جهة اخرى يشير ابو الفضائل

وفي مقابل القصبي يبدأ السهل الفيضي على يسار الفرات بالاتساع ؛
وتقع قرية متلولة والجزرة في هذا الجزء من السهل .

يملك الافاضلة وهم فرع من قبيلة الشعبان ، الحقول الواقعة على جانبي
الفرات من التّبنّى الى الكسّارة (او الكسره) . ومن عشائر هذه القبيلة ما يأتي :

الموسى ظاهر (زعيمهم : هويلي بن شلاش)

الحوّاس

شيبكل (زعيمهم : محمد ابو حديد)

البقارة

الزيارات (زعيمهم : محمد أغا)

السبخة

وفي الساعة ٢١٠ عبرنا شعباً صغيراً هو السّمّورية . ومن ٢٣٥ الى ٣٠٤
كانت الجمال ترعى . وتكوّن منطقة القصّابات الوعرة استمراراً لسلسلة البشرى .
ويقسم الأخيرة أخلود السّحل الكبير عن حافة السّرة . وهي عبارة عن بقعة واسعة
تشققها اخاديد عميقة ، تمتد نحو الشمال الشرقي . وتنتهي في الشمال الشرقي
بجبل الحرّة اللاتدي الشكل . وتغطي هذا الجبل طبقة من اللابة [الطفوح البركانية]
سمكها متر ونصف . وفي ٢٣٠ بلغنا اعلى نقاط الثغرة التي تفصل السّرة عن
الحصّة . ورأينا الى الجنوب الغربي سلسلة قنب البشري . وقد برزت فوقها
خمسة مخاريط واطلة . وفي ٢٠٤ اجتزنا نهاية طبقة اللابة . وتسمى السفوح

الى المضيق على انه موضع بين بلدة الملكة الزباء ومنطقتي الخانوقية
وقرقيسيا .

المضيق هو اسم الفج المضيق الذي شقّه الفرات لنفسه عند الحمة خلال
التنوعات المغطاة باللابة التي تبرز من سلسلة البسمري . وتقع الخانوقية
على الضفة اليسرى في نحو منتصف الطريق من أمالي هذا الفج ، بينما
كان مسكن الزباء ، الحلبية اليوم ، يقع على الضفة اليمنى عند طرف
الفج الشرقي .

المتوجة الواقعة غربي سلسلة السرة (الغمة) ، اما السفوح الواقعة في الشمال الغربي فتسمى الحصائص . وفي ١٥ راء رأينا تلّ الطرب، وهو تل صغير يشبه السرج بظهوره، وإلى شماله يوجد تل الطرب الذي يماثل شكله ويقل عنه ارتفاعاً ، ويوجد في أسفل بئر الخنيفس . والسفوح المتوجة هنا خالية من مجار مائية واضحة المعالم، لان مياه الامطار تجري الى كهوف باطنية كثيرة [تحت الارض] (-- دحل، جمعها دحول) (dolines) ومن ١٤ راء الى ٣٩ راء سامت جمالنا على سفح الميثة . وظهر لنا ، فيما وراء الفرات على الافق الغربي -- الشمالي الغربي بركانا المناخر ، وإلى الشمال منهما حافة البيضاء الطويلة . وكانت الى يسارتنا على السفح الجنوبي من مرتفع الحصائص : عقلة الرعيّة ، ورأينا الى يميننا على مسافة بعيدة الى الاسفل منا قرية القصبي . وفي هذه النقطة تلتقي جميع الاخاديد التي تفصل بين نوءات حافة الهضبة الشرقية التي كنا نخترقها . وفي غرب القصبي تجري عين المتولة ، وإلى شمالها حقول الفروة . وفي الساعة الثامنة اقمنا مخيمنا بجانب مركز درك المعدان ، حيث حددنا خط العرض .

المعدان الى خرائب سوريا

في ٢٣ أيار سنة ١٩١٥ كنا على الطريق مرة اخرى في الساعة ٤٥ راء صباحاً وكان دليلنا رجلاً من اهل الفروة . هارباً من الجنديّة . والفروة من فروع عشيرة البقارة من قبيلة الأفاضلة . وكان الدركبي الذي معنا مكلفاً بحراسته حتى مركز الدرك التالي . وكنا نجتاز الآن حقول السويدية والخميسية مقابل خرائب البقعة والدةقر على الضفة اليسرى . وفي ١٠ راء رأينا على الضفة اليسرى نهاية شعب الحس . ثم اخترقنا حقول المشيرفة وزورشمّر . ومن ٥٤ راء الى ١٥ راء رعت جمالنا في حقول المعلّة . وتنحدر الارض المرتفعة هنا الى الجنوب باجراف شديدة الانحدار حتى تنتهي الى السهل الفيضي (الحساوي) وتنمو الطرفاء في هذا السهل هنا وهناك، كما تستغل بعض انحائه بالزراعة . ولم نشاهد أجرافاً على الضفة اليسرى حيث يندمج حوض الحس بالتدرج في السهل المرتفع

المتنوّج . وعلى الضفة اليمنى ظهر مرقد أبو سعيد وهو مرقد صغير توجد الى الغرب منه بقرب شعب الخفّيتان ، قرية البريخ (البريق) حتى اذا بعدنا عن ذلك غرباً ظهرت ربوات خرائب اللوخية ، ولهداوي وقرينا الشبغة (او الشعالة) والجديدة ، وخرائب السلطان ، وحقلا القادسية والسيمري . وفي ٣٠ ر ٨ و ٣٠ ر ٨ عبرنا شعب الخرار ، الذي يشق الاجراف هنا الى عمق عظم ، ويفصل من ناحية الغرب ايضاً الجريبة عن سهل الشريدة المنبسطة . وفي ٣٨ ر ١٠ صعدنا من سهل الشريدة الى التواء الصخري المعروف بالمروط ، وينحدر هذا التواء الى مستنقعات السبخة . وفي ٥٣ ر ١٠ كنا على حاوي السبخة . ويمر الطريق العام في هذه الاماكن على امتداد لحف من الاجسراف الصخرية . وفي شرقي هذا الخط يمتد شريط من الحقول يبلغ عرضه بضع مئات من الامتار وفيما وراء ذلك تمتد اراضي مستنقعات تغطّيها شجيرات الطرفاء . وتواصل هذه الأراضي امتدادها حتى نهر الفرات . وكانت البرك الصغيرة مغطاة باسراب من البط البرّي . وفي ٣٢ ر ١١ اجتزنا الطاحونة التابعة لفلحي عشيرة السبخة . ويعمل هؤلاء بزراعة السهل الفيضي الممتد بين التني والكسارة . ومن ٤٥ ر ١١ الى ٤٥ ر ١ استرحنا عند الرحبي .

في الساعة الثانية رأينا على جسر يفق الى يسارنا بقايا قلعة من العصور الوسطى تدعى النخيلة : كما رأينا في ٣٠ ر ٢ الى اليسار منا اكلاماً من آجر خرائب سنّان ، اما الحساوي فقد تركناه عند لحف اجراف المروزة ولكننا هبطنا في الساعة ٤٧ ر ٢ الى حاوي الدّحة . والى جنوب المروزة يقع حوض البيت . ثم تركنا جمالنا ترعى من ١٤ ر ٣ الى ٤٤ ر ٣ .

سرنا بعد ذلك خلال مرقّ مضيق الكركشة (شكل ٥٧) . وقد شقّ في الصخور ليكون طريقاً عاماً . وفي ١٥ ر ٤ رأينا على الاجراف الواقعة الى يسارنا قلعة صقّين . ويرجع تاريخ هذه القلعة الى القرون الوسطى ، كما رأينا في الساعة ٣٠ ر ٤ الى اليمن منّا بعض الخرائب وربوة ضريح الشيخ حديد . وفي الساعة الخامسة بلغنا جسر الحمر ، وفي ٢٠ ر ٥ عبرنا شعب اليبس الذي

يتجه من بني ر العدي . وفي الساعة السادسة حينما عند الحافة الغربية من جرف الحمير غير بعيد من مخيم الولدة . وهم مالكو السهل الفيضي غربي الكساره . وكان في المحيم نحو عشرين جندياً هارباً من الخدمة العسكرية في انتظار نفاهم الى حلب . وكانت الاغلال في ايديهم جميعاً . وتذمر الدرك من ان جنوداً من هذا النوع لن يظالموا في حلب اكثر من اسبوعين حتى يفرّوا ثانية . . وندد النلاحون بالحكومة مرة اخرى وزعموا انها تأخذ منهم كل شيء اولاً . ثم ترغمهم على مطاردة الهاربين من الجندية واطعامهم .

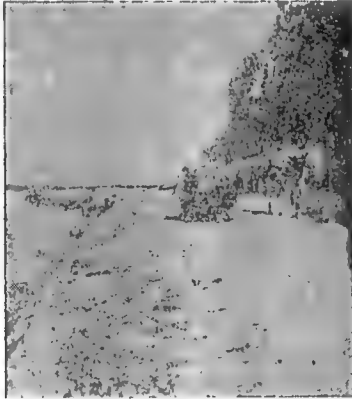
وابتداء من العشاش شبالي المسكنة انتشرت مخيمات قبيلة شعبان على جانبي الفرات حتى تصل التّجني في انتشارها . وتنقسم قبيلة شعبان الى الولدة والأفاضة وتملك الولدة الاراضي الممتدة بين العشاش والكساره . وتتكون من ثمان ثلاثة آلاف خيمة . وتشتمل على العشائر الآتية :

الولدة	(رئيسهم : احمد الفرج اللندل)
الورداب	(رئيسهم : خفّاب بن عبد الله)
البو سلاخ	
البو سره	
الخفاجة	(رئيسهم : حلف بن الحجي)
مجاهدة	(رئيسهم : مسمحي)
الزبيدية	(رئيسهم : فريج عبد الجادر)
الزويديات	(رئيسهم : عمود الشبر)
الجريبات	(رئيسهم : حسود بن بدالعال)
الشفرات	(رئيسهم : احمد البردسان)
المرادات	(رئيسهم : كلاخ)
الوجابر	(رئيسهم : بروك السقّس)
العجيل	(رئيسهم : خسري بن ملا عيسى)
العلي	(رئيسهم : علي الناصر)

البو حميد	(رئيسهم : ابراهيم الشّلاش)
الجَمَّيات	(رئيسهم : محمد بن عبدالله)
البوظاهر	(رئيسهم : سليمان بن ملاّقى)
العامر	(رئيسهم : احمد العيسى)

ورئيس شيوخ عشائر الضفة اليمنى من الفرات هو احمد الفرج اللغدل ،
واحمد البرهان رئيس شيوخ عشائر الضفة اليسرى .

في ٢٤ أيار سنة ١٩١٥ خرجنا في الساعة ٣٣ ر٤ صباحاً . واخذت
نهب إبتداءً من الساعة ٣٠ ر٤ ربيع غربية باردة . وشاهدنا امامنا نوءاً يعرف
(بالفضيحة) [الضيقة] الصخري . وعلى اليسار بركانتى المناخِر ، وركام
خربة زبلان ، وابراج الاسوار القديمة لمدينة الرقة ، وحصن



(شكل ٥٧ - مضيق العكرشة)

هَرَقله . ان الطريق العام الذي يسلكه ركبنا الآن قد شُقَّ على امتداد نور هو فرع قديم من فروع الفرات . وما يسمى اليوم بسرّاة الضيّقة [الضيقة] هو بقية مجرى قديم (٩٣) . وفي ٢٨هـ كنا عند مرقد صغير هو: مزار الشيخ أسعد . ويتكون هذا المرقد من مبنى مستطيل صغير و برج هرمي الشكلى وكوخ وبئر قرب كلس . طول تتراكم فيه انقراض بناء قديم يرتفع نحو عشرة امار ، وبضعة اكلام اصغر حجماً من مواد البناء . وتدعى الاجراف الجنوبية القاطر . وفي ٢١هـ كان على يميننا - على بعد مائتي متر تقريباً من الطريق العام - مجموعتان من الخرائب يطلق عليهما : المتغامر ويبدو أن المجموعة الجنوبية التي تمتد من الغرب الى الشرق ترجع الى عهد متأخر بينما نجدها المجموعة الشمالية اكبر حجماً واقلماً تاريخياً .

من الساعة ٥١هـ الى ٢٤هـ انتظرنا صاحبنا رجل الدرك الذي كان ينبغي استبداله في مركز (نقطة الكسّارة) او الكسرة . وتبدأ على الضفة اليسرى ، غربيّ نهر البليخ ، سلسلة من التلال الصغيرة تتميز بواجهة تنحدر انحداراً شديداً نحو الفرات ، تكثر فيها أخاديد عميقة . وفي ٣٠هـ كانت على يميننا جزيرة حويجة حمدان . ولقد كوّن الفرات لنفسه في هذا الموضع مجرى جديداً ، اما المجرى القديم فكان على يميننا في الساعة ٥١هـ ، تعلوه كومة من الخرائب وربة رمل الى الغرب . وفي الساعة التاسعة عبرنا شعب السّجل الصغير ، وهو اول شعب عسيق نصادفه بعد مغادرتنا الخرار . وفي ١٤هـ مررنا خلال شعب الفنصة ، وفي ١٨هـ عبرنا اخلدوداً اصغر ، وفي ٢٥هـ شاهدنا على اليمين بعض الخرائب الكبيرة وخرائب أخرى ، وبعد ان اجتزنا شعب أبو قبيع في الساعة ١١هـ وصلنا الى حافة الهضبة في ٥٠هـ . . وتنتشر الهضبة جنوبيّ سهل الفرات الفيضي وتغطيها في هذا الموضع ربوات صغيرة مدورة وتقطعها اخاديد ضيقة . وأصبحت الآن رؤية المجرى القديم للنهر واضحة تماماً من الناحية الشمالية .

(٩٣) على ذلك الجزء من وادي الفرات بين هذا الموضع وابو خريزة ، انظر ايضا ص ص ٨٩ ٩٢ فيما سبق .

. وتسنى لنا بعد الساعة ١٠:٥٠ ان نشرف على الاقليم كله من جهتي الغرب أو الشمال الغربي على السواء . وبدأ كأن الوادي الذي حفره الفرات لنفسه في الهضبة أعمق مما هو في الحقيقة ، وكونت الجزر الصغيرة بقعاً خضراء داكنة على سطح النهر العظيم بلونه الاصفر وقد اشتد اضطرابه آنذاك بسبب ريح غربية انطلقت الى الماء دون ان يصلها عائق . وسبب ذلك هو ان الفرات يجري هنا من الغرب الى الشرق . ومن ١٦٠٠ الى ١٢٠٨ بعد الظهر استرحنا في شعب ابو هبابة الصغير . وفي ١٢:٣٠ رأينا مخروطي التلدين ، وفي ١٢:٥٥ كانت على يميننا خرائب بلدة سوريا وكانت تحيط بهذه البلدة نحو مائتي خيمة من خيام عشيرة فلعان .

خرائب سوريا الى باليس

تمتد خرائب سوريا (٩٤) من الشرق الى الغرب نحو ستمائة متر الى الغرب ، ولكن عرضها ليس كبيراً ونصفها الغربي أقدم عهداً وأكثر متانة . وفي ١١:١٠ رأينا على يميننا ، قرب الطريق العام ، جدران أساس بناء يواجه الشرق ، وشظايا تابوت حجري متناثرة على مقربة منه . وتحولت الهضبة الواقعة جنوبي الخرائب الى حقول وبساتين ، وزرعت بعض بقاعها ايضاً بعد أن رفع الناس ما كان على سطحها من أحجار تعلوها .

أما الاراضي المرتفعة الواقعة الى غرب سوريا ، التي تعلوها اكاداس خرائب تمتد نحو ثلثمائة متر ، فتتحلر تدريجياً الى مجرى الفرات ذاته بطريقة اصبح بها الوصول الى النهر عند هذه النقطة أمراً سهلاً .

. وتصل الأرض الصلبة الماء على الضفة المقابلة بحيث امكن بناء جسر عالم هنا . ولعلم وجود مستنقع يفصل بينها وبين المجرى .

(٩٤) انظر فيما يلي ، الملحق العاشر .

في الساعة ١٥٠ كان على يميننا مركز الحمام . وهنا اختفى رجل الدرك وأخذ مكانه جندي من جنود الحلود ، من صف المشاة مسلحاً ببنادقه . و أعلن انه سيصحبنا . كان من اهل بلدة كليس شمالي حلب وكان ينوي ان يتغيب بهذه الطريقة دون ان يقدم طلباً للحصول على اجازة .

وفي ٢٠٦ كانت على يميننا خربة صغيرة تناثرت في أرجائها أحجار كبيرة منحوتة نحتاً دقيقاً . ومن ٢١٢ الى ٢٣٢ أوردنا جمالنا الماء . وفي ٣٥٤ اجتزنا الى يسارنا تلّين مخروطي الشكل يطلق عليها اسم التلّين . أما خربة الهنّيلة الواقعة الى الغرب منهما فهي اعظم اتساعاً من خربة سوريا . وفي غربي الهنّيده هبطنا ، من خلال شعب الحلّمي الصغير ، الى وادي السيلة الواسع الذي يتيح منفذاً سهلاً للوصول الى مجرى الفرات . ولم نر أي مستنقع على الجانب الأيمن ، اما على الضفة اليسرى فان المجرى يلامس شبه جزيرة القديران . وفي الساعة الخامسة مررنا خلال أحلود صغير يسمى القبور . وفي هذه اللحظة أثار الريح الغربية عاصفة رملية مما جعل سطح الفرات الصقيع عادة يتدافع بأمرّاج عظيمة . ونصبنا مخيمنا في الساعة ٢٠٨ جنوبي الطريق العام . في أحلود محّمي يتصل بشعب الشيبة الآتي من وادي طروق (إمباج) المنخفضة .

في ٢٥ ايار سنة ١٩١٥ في الساعة ١٠٣ صباحاً مررنا في الطريق العام باتجاه غربي . وكانت العاصفة الرملية قد خفّت شدّتها قليلاً ، ولكنّ الريح الباردة لم تزل تهبّ بقوة . وفي ٢٦٥ عبرنا شعب الشيبة الواسع (٩٥) .

وفي الساعة ١٥٠ رأينا الى شمال - الشمال الغربي ، من خلال زهج الرمل قلعة جعبر أسفل منا . وفي ٢٠٠ رأينا امامنا حوضاً عميقاً ينفّخ الى الشمال هو حوض الغلة . من هذا الحوض تلال صغيرة بيضاء . ويحدّ الحوض من الشرق سفح مرتفع الهورة ، ومن الجنوب الغربي تنوعات (طروق العطفة) .

(٩٥) الاخطل ، الديوان (صالحاني) ، ص ١٠٠ يذكر ذو شيبه . - والمنطقة المجاورة لشعب الشيبة الحالي كانت تملكها فيما سبق قبيلة تغلب ، وكان الاخطل ينتسب اليها .

ويمتد بمحاذاة هذه التواءات شعب المنصف . وقد واجهتنا صعوبة بالغة في
الهبوط . فالطريق العام الجديد قد تفكك وانخفضت مواضع منه ولم يكن
باستطاعتنا تدفئة اصابعنا التي خلدت من البرد مما اضطرنا الى ان نوقد ناراً في .
٢٧٦ جلسنا حولها حتى ٧٥٥ . .

وفي ١٠٨٠ لاحظنا بين الخرائب على اليمين ثلاثة أضرحة اسلامية (اثنان
منهما كانا في حالة جيدة ، والثالث قد انهار) تسمى بنات ابو هريرة ، وفي
غربيها مئذنة رشيقة . وإلى شمال أضرحة بنات ابو هريرة ترتفع قلعة جعبر على
تلٍ منزول يقع على الضفة اليسرى من الفرات . وإلى الغرب منه يرتفع مشهد السلطان
الصغير على تل آخر . وبدت على الضفة اليمنى خيام عشيرة القدعان سوداء اللون .
وبعد الساعة ٨٣٠ تبعدنا نهراً قديماً ، وفي ٨٥٤ كنا نسير بين حقول مزروعة .
وفي ٩٢٥ كانت على يميننا ثلاثة بيوت صغيرة يسكنها رجال الدرك العاملون في
منحدر أبي هريرة . وفي ١٠٢٠ وصلنا الى نهاية المنطقة الزراعية . وكانت ترعى
على يسارنا قطعان كبيرة من الجمال . ولم تكن القطعان مؤلفة من حيوانات
رشيقة . متاسفة الشكل المعروفة في داخل الجزيرة العربية فحسب . بل كانت
تضم كذلك تلك السلالة القوية البارزة العظام مما نصادفه في الاقاليم الشمالية
البعيدة . وهي سلالة ملائمة لنقل الاحمال الثقيلة . وفي ١١٠٥ مررنا خلال
نهر قديم ، ومن ١١٠٥ الى ١٠٧ بعد الظهر استرحنا عند أطراف الاراضي
الزراعية . وفي الساعة الثانية اجتزنا ربوات خرائب قليلة ثم مررنا بنهر حيث
سامت جمالنا من ٢١٠ الى ٢٢٨ . .

في الساعة ٢٤٠ رأينا على يميننا شرقيّ النهر خرائب مركز سكاني
كبير هو بلدة الحويهر ومقبرة صغيرة . وفي ٢٥١ بلغنا الحافة الجنوبية
الشرقية من خرائب الدبسي ، التي تتكون من قسمين : احدهما يقع على تلٍ
صغير منبسط السطح يشرف على الاجراف القريبة من النهر . والثاني يؤلف
الجزء الاسفل من البلدة الواقع عند لحسف تل صغير . وفي الساعة الثالثة كنا
عند النهاية الجنوبية الغربية من موضع المدينة . وفي ٣٠٥ كنا في شعب القهشير

وقد عملت عوامل التعرية على تعميق واديه في صخور كلسية بيضاء . وقام على ضفته اليمنى كوخان . ثم أخذنا نسير خلال سهل صخري متموج عبر اخاديد صغيرة كثيرة ، ووصلنا في الساعة ١٠هـ الى بعض خرائب صغيرة توجد على مقربة من أرض زراعية . ورعت جمالنا من ٤٠م الى ٤٥م . وفي ١٠هـ رأينا على اليسار ، على مسافة اربعمائة متر تقريباً من الطريق العام ، بقايا مبنى مربع الشكل صغير الحجم يسمى الفحيحة؛ ثم هبطنا الى شعب ام خروم العميق . وتسد هذا الشعب جدران كلسية حتى اننا لم نخرج منه الى سهل الردهة المنبسط الا في الساعة ٣٨هـ .

وشاهدنا عند وصولنا الى ضفة النهر خرائب بالس ومتارة طويلة . ويرتفع في جنوب المنارة برج عال ، وإلى الغرب منها تظهر بقايا برجين هرميين ، ونركتا جمالنا تأخذ كضائتها من ماء القرات من ٤٤هـ الى الساعة ٦ . ويبدو ان هذا النهر العظيم لم يجر البتة بقرب بالس مباشرة . لأنني لم أجسد في اي مكان أثراً يدل على مجرى قديم . وامتد نهر للسري الى الشرق من الخرائب : مسافة ثلثائة متر تقريباً ثم تابع امتداده ، الى الجنوب منها ، بمحاذاة لحف جرف صخري تقوم على قمته خرائب الديسي ؛ ومن هناك تحول الى السهل الفيضي الذي مررنا به في الساعة الثانية . لقد اندفع القرات في وقت ما اثناء العصور الوسطى الى وسط هذا النهر ، وجرف الارض المنبسطة الخصبة الواقعة اسفل أجراف الديسي . وكذلك جفّ الجزء الاعلى والاسفل من النهر . وكان بالامكان ريّ الحقول الواقعة شماليّ النهر مباشرة ، اما في الجنوب فالس لا يمكن الحصول عليه الا بالمضخات . وحينما في الساعة ٣٧هـ بالقرب من بقايا مضخة كانت تستعمل لهذا الغرض ، وقبل ذلك قمنا بتحديد خط العرض (٩٦) .

(٩٦) في موضوع بالس انظر فيما يلي ، الملحق الثامن . وسيجد القارئ تكملة رواية رحلة المؤلف من بالس الى دمشق في مجلد سيظهر قريباً للمؤلف عنه ان : بالمرينا ، الذي يؤلف العدد الرابع من السلسلة الحاضرة .

الملاحق

الملحق الاول

الفرات الاوسط في العصر الاشوري

وادي الفرات الاوسط

لقد شق نهر الفرات الصحراوي وادياً له بعمق حوالي اربعين متراً في الهضبة المحيطة به . وبالرغم من ان الوادي في بعض الاماكن لا يتجاوز ٢٠٠ متر عرضاً إلا أنه في أماكن أخرى يتسع بحيث يصل الى عشرة كيلو مترات . وهناك في مستوى النهر وعلى ضفتيه سهول فيضية متفاوتة المدى يمكن تحويلها بالري الى جنان غناء وحقول خصبة . ويقوم الجرف العالي وجبلران الوادي بحماية هذه السهول من الرياح الباردة ، إلا ان النهر نفسه يبقى علوها اللود ، فهو بتنشير مجراه على اللوام يجرف تربتها الخصبة ويشكل جزراً ومستنقعات مرة بعد أخرى ويحدث لنفسه مجاري جديدة . اما الأرض التي تسقط عليها امطار منتظمة وبهذا تكون منتجة وملائمة للاستيطان الدائم على نطاق واسع فتنتهي بالفرات على خط العرض ٣٦ شمالاً تقريباً وذلك بالقرب من الموضع الذي ينطف فيه المجرى انعطافاً كبيراً من اتجاه جنوبي الى اتجاه شرقي - جنوبي شرقي . او بالقرب من خرائب (بالس) الحالية . اما المنطقة شمال هذا الموضع وعلى جانبي النهر فقد كانت آهلة بالسكان منذ أقدم الأزمان الى الشرق والى الغرب . ومن الناحية الأخرى تمتد من هذا الموضع باتجاه الجنوب وعلى الضفة اليمنى اولاً واليسرى فيما بعد منطقة جرداء شاسعة يتخللها الآن وكما هو شأنها دائماً بضع قرى منعزلة فقط .

وتشكل السهول الفيضية القريبة من مجرى النهر ذاته وعلى ضفتيه أشربة

من الأرض لما من العرض والطول ما يكفي للاستيطان الدائم . فإذا ما انطلقنا من المنعطف هذا فإن أول مركز هام في هذه السهول الفيضية هو خرائب بالس ؛ يعقبها أبو هويبة على الضفة اليمنى والرقعة على الضفة اليسرى . ومن محطة (المعدان) حتى (زلييه) على الضفة اليسرى والطريف على اليمنى تتحدر سلاسل البشري الصخرية الى مجرى النهر ذاته وتختفي الاراضي الخصبة فيما عدا بعض البقع . ويتسع الوادي الى الجنوب الشرقي من زلييه فيبلغ ما بين كيلو مترين واربعة وهو عرض يستمر الى مصب نهر الخابور على مسافة ٧٨ كيلو متراً . وإلى الجنوب الشرقي من هذا النهر يكون الوادي لمسافة ٩٠ كيلو متراً بعرض يتراوح ما بين ستة وعشرة كيلو مترات . ومن مدينة أبو كمال الحديثة حتى صخور (العُقبة) على الضفة اليمنى وصخور (الأسود) على الضفة اليسرى جنوب شرقي مدينة هيت تكون السهول الفيضية ضيقة وقصيرة نسبياً بينما تبرز على هيئة إسفيد اراضي بابل الغربية جنوب شرقي الصخور .

تُسقى السهول الفيضية الواقعة على نهر الفرات الأوسط بالقنوات . ويذكر المؤلفون العرب (البلاذري، فتوح البلدان [دي جويه] الصفحة ١٥٠ والصفحة التالية لها) ان رصيف بلدة بالس يواجه القناة ثم اعيد بناء هذه القناة في العهد الاسلامي ، فمن المؤكد وجود قناة هناك من قبل . وكذلك وردت اشارة الى قنوات ري في المنطقة المجاورة لمدينة الرقة (مichaël السوري ، المدونة [شابو] المجلد ٤ ، ص ٤٥٧) . وقد رأى ايسيدور الكرخي (المحطات القرية [ملر] ص ٢٤٧) وجود قناة للري احتفرتها سميراميس بالقرب من زلييه . وعلى نحو ١٣ كيلو متراً شمال غربي قرية البصرة الحديثة (وتعرف قديماً بقرقيسيوم) تفرع نهر صعيد من الضفة اليمنى لنهر الفرات .

ومن نهر الخابور تصرف المياه ايضاً خلال قناة لري السهل الفيضي الخصب الذي يبلغ طوله هنا تسعين كيلو متراً ويصل عرضه في بعض الاماكن قرابة ستة كيلو مترات ويقع على الضفة اليسرى من الفرات . ولقد بُنيت

هذه القناة ويطلق عليها خابور إلبو كاش ، في بداية الألف الثاني قبل المسيح من قبل الملك البابلي حمورابي (تورو - دانجن ، عقد من خاتنه [١٩٠٩] ، ص ١٤٩ وما بعد) . ويذكر توكولتي لافورتسا (توكولتي نسب) الثاني أيفنا البال - كو - شا (فار) خابور [القناة المتفرعة من الخابور] (حوليات) [شاييل ، حوليات (١٩٠٩) ، لوحة ٤] ، المقابل ، سطر ١٤ ؛ شاييل ، المرجع السابق ، ص ٢٢)

وكذلك تمّ ري سهول الفرات الفيضية جنوب شرقي صحور العقبة والأسود على حدود إقليم بابل الاصلي بقنوات ذُكرت لإحداها وهي التي تجري بمحاذاة الضفة اليمنى من قبل الحاكم شمش - ريش - اصور في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد (الكتابة البارزة ، لوحة ٣ ، حقل ٢ ، الاسطر ٢٧ - ٤١ . فايساباخ ، متفرقات بابلية [١٩٠٣] ، ص ١٠)

السجلات المبكرة

وبما لاشك فيه أنه نشأت على ضفتي الفرات الأوسط مستوطنات في الأزمنة المتوغلّة في القدم . ففي بداية الألف الثاني قبل الميلاد تأسست هناك دولة خاتنة (عانة) واتخذت من مدينة (ترقة) عاصمة لها . اما موقع هذه المدينة فهو إما قرية العشارة الحديثة على بُعد ٢١ كيلو متراً جنوب شرق مصب الخابور او مستوطنة القرية التي تبعد حوالي خمسة كيلو مترات شمال غرب العشارة ، وقد عُثِر في كلا الموقعين على الواح عليها كتابات مسمارية ويسجل أقدم هذه الألواح التي يعود تاريخها الى نهاية القرن العشرين ان ملك خاتنة (أشار - ليم) قدّم لشخص ما بيتا يقع بالقرب من قصره في مدينة ترقة ؛ كما نُقش على لوح آخر شروط عقد بيع في مدينة ترقة ؛ ونُقش على لوح آخر شروط عقد بيع من عصر الملك (كشتلياشو) يتعلق بعقار في تلك المدينة .

ويذكر حمورابي أنه افتتح قناة خابور - إينالو كاش . واهلى الملك (أمي - بيل) لأحد خسلمه قطعة من الأرض في ترفة . وقد أمر الملك (شمشي - اداد) ببناء معبد هناك تكريماً للاله داكأن (تور - دانجن ، الموضوع المذكور ، المرجع نفسه ، رسائل وعقود [١٩١٠] ، الرقمان ٢٣٧ و ٢٣٨) .

كما قام حكام مملكة خاة بغزوات على الدولة البابلية السامية وعادوا منها محملين بغنائم الحرب المكونة من صور الالهين (مردخ) و (صربنت) . وفي منتصف القرن السابع عشر [قبل الميلاد] أصبحت مملكة خاة جزءاً من الدولة البابلية ، وقام الملك اكو مكاكر يمه باعادة الالهة المسروقة الى معبدها الأصلي (لوحة المتحف البريطاني رقم ١٥٢ ورقم ٩٦ كنك ، ملونات (١٩٠٧) ص ١٢٥ ، سطر ١٠ ، كنك ، المرجع نفسه المجلد ١ ص ١٤٩ ، المجلد ٢ ص ٢٢) .

وفي القرون التالية ازداد عدد الآراميين من الحضرة والبدو الاخلاميين زيادة كبيرة على ضفاف الفرات الأوسط ولكنهم سرعان ما استقروا وامتزجوا بالسكان الاصليين . وفي حكم ارك - دين - ايلو (١٣٥٥ - ١٣٢٠ ق م) كان هؤلاء البدو مصدر ازعاج كبير للاشوريين الذين كانوا في صراع مع البابليين للهيمنة على الفرات الاوسط (اللوحة الجبرية الخاصة) بأداد فيراي الأول [رولنسن ، كتابات مسمارية (١٨٦١ - ١٨٨٤) ، المجلد ٤ ، لوحة ٤٤] ، المقابل ، سطر ٢٠ ؛ بيج وكنك ، حوليات [١٩٠٢] ، ص ٦٦ سر شمت ، نصوص مسمارية [١٩١١] ، لوحة ٣) . فقد ثاروا على شلمانصر الأول (١٢٨٠ - ١٢٦٠) (المصدر نفسه ، اللوح ١٥) . كما قام تكلات ييلنصر الأول (١١٢٠ - ١١٠٠) بمنازلتهم في معركة . ووصل في حملته ضد الاراميين الى مدينة (دور كاتليمو ، التي يمكن ان تطابق موقع خراب تل القديفي عن الخابور) (المسلة المكسورة [رولنسن ،

المرجع السابق ، المجلد ٣ . لوحة ٤ . رقم ١ [حقل ٣ . سطر ٢٢ :
 بيج وكنك . المرجع السابق . ص ١٣٦) : وقبل ان يمضي وقت طويل
 تكلّث ييليسر الأول نهر الفرات ذاته . (كتابة على اسطوانة من قلعة
 شرقايط [رولنسن . المرجع السابق المجلد ١ . لوحة ١٣] عمود ٥ [مفصلة
 السطور ٤٤ - ٦٦ جوليات [رولنسن . المرجع السابق ، مجلد ٣ . لوحة
 رقم ٢] : المقابل . السطر ١١ وما بعده ، المسلة المكسورة [رولنسن .
 المرجع السابق . بيج وكنك . المرجع السابق . من ص ٧٢ الى ص ٧٤ ،
 ص ١١٨ . ص ١٣١) . وبلاستانة بولاه الاله آشور اصطحب معه
 عربات ومقاتلين واخترق الصحراء حتى وصل الى قلب بلاد الاخلاميين
 (البلو) والآراميين (الحصر) . وأعار في يوم واحد من (سوخي) الى مدينة
 كركيش في بلاد حاتي وفتك بكثير من جندهم وحمل معه
 غنائم كثيرة من الآفة والممتلكات . وحرب بقية جيشهم عبر الفرات .
 فلتحق بهم تكلّث ييليسر عبر النهر على القسراب واستولى على ست من
 مدنها عند سفوح سلسة البتري وقام باحراقها وتدميرها .

ان هذه الرواية غير واضحة تماماً . فهي لاتبين الطريق الذي سلكه
 تكلّث ييليسر الأول . ومن المضحك انه سار بمحاذاة الخابور حتى نقطة
 التقائه بالفرات ومن ثم كان عليه عبور البرات مرتين . الأولى في طريقه
 الى كركيش التي كانت تقع على الضفة اليمنى والثانية مطاردته للجيش .
 ولم تعد الرواية تُسمي السهل الفيضي للفرات الأوسط باسم خانة بل تسميه
 سوخي . فمن حلود سوخي وصل تكلّث ييليسر في يوم واحد الى كركيش
 التي تقع في مستوطنة (جرابيس) الحالية على بعد حوالي ٨٠ كيلو متراً
 منعطف الفرات في اعلى مستوطنة بالس وفوق الخط الفاصل بين
 المنطقة المأهولة والصحراء فان كانت سوخي تمتد حتى هذا الخط فيكون
 اذن بقدور الملك الآشوري الوصول الى كركيش بعرباته في يوم واحد

بسهولة . ومن المحتمل أنه كان يقوم بغارة خاطفة مكثفياً بالغنائم التي صادفها في طريقة ليعود ببلون تأخير لحصار أي كان من المدن المسورة . كانت كركميش عاصمة للدولة كان حدها الطبيعي في أغلب الاحتمال يتكون من الصحراء التي تقع الى جنوبها . ولهذا يمكن الافتراض بان سوخي كانت تمتد مباشرة الى نقطة في أعلى المستوطنة بالس الحديثة عند منعطف الفرات . هذا ومكث تكلات يليصر الأول بعض الوقت بالقرب من سلسلة البشري (جبل البشري الحديث) الذي يصل الى الفرات - واستولى على ست مدن في سفحها . ولا تُعرف مواقع هذه المدن واسماها ، وتذكر الكتابة المنقوشة على المسلة المكسورة (رولنسن . المرجع السابق . المجلد ٣ . اللوحة ٤ . رقم ١) . عمود ٢ . الاسطر ١٩ - ٢٤ (بيج وكثك . المرجع السابق . ص ١٣١) . ان تكلات يليصر رحف من الخابور مخترقاً ارض (خاركي) الى مدينة كركميش في بلاد (خاني) واستناداً الى هذا يبدو ان الاسم الحقيقي لذلك الجزء من سوخي الممتد شمال غرب منبب الخابور كان خاركي . ولا نعلم ان كان تكلات يليصر الأول قد ذهب كذلك الى الجنوب الشرقي من الخابور ، فلم يرد في السجلات ذكر لمثل هذه الحملة .

طريق توكولتي انورتا الثاني

لأجل دراسة الضوابط عرافية التاريخية للفرات الأوسط يُعتبر سجل زحف الملك الآشوري توكولتي انورتا (او توكولتي نيب) الثاني (٨٨٩ - ٨٨٤ ق.م) على جانب كبير من الأهمية . لم يكن هذا الزحف حملة عسكرية . ولم يكن ثمة عصبان على الفرات الأوسط . ولكن الملك الآشوري ذهب الى هناك لينسَلِم بنفسه الهدايا والأناوة وليقوي نفوذه . لقد سار من آشور (قلعة شرقاط الحالية) باتجاه جنوبي الى مدينة سيار (ابو حبة الحالية) . ومن هناك

سار باتجاه الشمال الغربي على الضفة اليسرى من نهر القرات الى مقربة من مصب الخابور ومن ثم سار بمحاذاة الضفة اليسرى لنهر الخابور متجهاً شمالاً. وقد مرّ ببلدة مدن ، معروفة وغير معروفة ، واحتفظ لديه بسجل لمختلف اماكن المخيمات والمستوطنات ، وبهذا نستطيع ان نحدد بدقة بالغة أطوال مسيراته اليومية وتثبيت مواقع الاماكن على طريقه . وكانت مسيراته في العادة ٢٣ كيلو متراً وفي حالات مستثناة فقط كانت تطول او تقصر عن ذلك .

تفاصيل طريق توكولتي انورتا

خرج توكولتي انورتا الثاني بحسب الحوليات (شاييل، حوليات [١٩٠٩] ،
الوحدات ٢-٤) ، الوجه المقابل ، السطور ٤١ -- ٨٢ ، الوجه المعاكس ،
السطور ١ - ٢٤) (شاييل . المرجع السابق ، من ص ١٤ الى ص ٢٢)
من آشور في اليوم السادس والعشرين من نيسان وخيّم في السهل
الواقع شرق الثرثار . وبعد عبوره نهر الثرثار خيّم ثانية واستقى الماء طوال
الليل كما يفعل البستاني . وفي اليوم التالي لم يشرب هذا الماء المر مطلقاً .
ثم اخترق الصحراء ونام بجانب الثرثار . وسار اربعة أيام بحذاء هذا النهر
ودبح تسعة ثيران برية . ثم خيّم عند مصب الثرثار . وبعد ان تزود بكميات
من الماء انطلق بحث السير في مجاهل سهل حماته حتى وصل الى حقول
المركاني حيث وجد جداول الري وطعاماً وفيراً . فخيّم هناك يوماً وليلة
لان جيشه كان يستقي الماء وعيند وصوله الى نهر دجلة ومستوطنات ارض
(الاورتوانه) استولى على المقابر الواقعة على دجلة وتل كثيراً من الأهلين
ونقل معه بضائع متنوعة ثم عسكر في (اصوصي) . ولدى
مغادرتها لم يسر على الطريق بل شق طريقه خلال الأعراس حتى وصل
(دور كوركازو) وعسكر هناك . واستمر في رحلته وعبر قناة

(باتي ييل) حيث قضى ليلته وبعدها رُصل الى (سَبُورُو شَا شمش ومن هناك ذهب الى القرات وخيّم في (سلاته) مقابل (دور بلاطي) على الجهة الأخرى من القرات وكذلك في (رحيمة) مقابل (ريقبو) على الجهة الأخرى ؛ وفي حقول (كبسيته) بجانب القرات ؛ وفي (دايا شتي ؛ وبجانب عين القير مقابل مدينة (إد) ، التي كانت على الجهة الأخرى من القرات . وفي إد توجد حجارة ('أو شميئا) ، وهناك تكلم كبار الآلهة أيضاً . وبعد مغادرته اد عسكر مقابل (حرييه) ؛ ثم في مروج بجانب القرات ، حيث استقى الماء طول الليل والنهار . ومن هناك انعطف ودخل في سلسلة مقفرة من التلال الواطئة حيث لا يتوفر طعام ولا ماء بات ليلته هناك، ثم سار الى مروج حلو ييلي بجانب القرات حيث خيّم ثانية . ونصب المخيّم التالي بين زديلداني وسبريته ، وهي قرية تقع وسط القرات . ومن هناك ذهب الى (سوري) قرب (تلبش) ، وكانت تقع أيضاً وسط القرات . ومن سوري زحف الى (انات) في بلاد سوخي حيث سلّم له واليها ، (إيلو إيني) مدفوعات وديوناً مستحقة مختلفة . وبعد إن استمر في زحفه خيّم في (مشقيته) ، مقابل خردة في كيليته ومقابل خنداني أو (خندانو) . فأدى له أمّي — الابا حاكم المدينة المذكورة أخيراً ديوناً مختلفة . ولدى مغادرته القرات أمر بشق طريق خلال المضارب المؤدية الى مستعمرة نجيات التي عسكر فيها، كما عسكر في (اقرباني) حيث سلّم له (مُداد) من بلاد (لقي) الأتاوة المستحقة . بعدها استمر في سيره وتوقف في مستوطنة (صُبري) ليستلم الديون من حمتاي من بلاد لقي وعسكر في اربانة ، حيث دفع له خرائني من بلاد لقي الأتاوة . وفي ماوراء اربانة خيّم في كصبي ومن ثمّ مقابل بلدة سرقي حيث دفع له مُدادا والي سرقي ، ما عليه من ديون ، كما دفع خرائني من بلاد لقي الديون للمرة الثانية . وبعد مغادرته سرقي اجتاز مروج القرات وعسكر بالقرب من البال — كوشا نهر خابور (أو القنساء المتفرعة من الخابور) ، قبل قرية رمو نيدو ،

وبالقرب من مستوطنة سوري الواقعة على نهر الخابور والعائدة الى (خديبي) ،
حيث قدم له حمّاي من بلاد لقي الديون المطلوبة للمرة الثانية . وبعد ان
سار ابعده خيم في اوسلا حيث تسلّم ديونه ؛ وفي دور كليمّ الواقعة
في لقي الخ . . .

اعادة تحديد طريق توكلتي انورتا

وفيما يلي الاعادة المحتملة لتحديد طريق توكلتي انورتا :
نصب أول مخيم على سفح سلسلة المكحول ، ربما بالقرب من عين
المنجور .

وربما كان المخيم الثاني عند آبار الحديدية . عبر الملك مع حاشيته
مجرى نهر التّرار المتناقص الذي يجري في ارض يكثر فيها الجبس
المتبلور والملح الصخري . ونتيجة لهذا يكون الماء في الآبار الضحلة
المتعددة هناك ذا مذاق مالح ومع . وعلى مايلوفان الملك شرب في الأيام
الثلاثة الأولى الماء العذب الذي جلبه معه من دجلة فقط .

وربما كان المخيم الثالث في العرسة .

وربما كان للمخيم الرابع في ام غروبة .

وربما كان المخيم الخامس في النخيلة .

وربما كان المخيم السادس في القرس .

وربما كان المخيم السابع قرب مصب نهر التّرار في بحيرة (ام رحل)
الملحية . ويوجد في هذه المنطقة عديد من الآبار الضحلة تحوي ماء على
مدار السنة . ومن المحتمل ان الملك في موضع ما قرب بشر (الخضية)
ارتحل عن التّرار وتوجه شرقاً مخترقاً ارض حماة ؛ وهذا الاسم لا يزال
محفوظاً في (مرقب الحما)

واحده موضع المخيم الثامن عند بئر الخمّاش

هذا ووجد الملك في حقول المركني قنوات للري .
وبالنظر الى الطوبوغرافيا ، ينبغي الآن بحث عن هذه القنوات شمالاً
أبعد من الأرض الغرينية في غرب قرية إصطبلات الحديثة ، قرابة خمسة
وأربعين كيلو متراً شرق الثرثار . فاعلم الاحتمالات ان المخيم التاسع
نصب هناك . وتعني كلمة مركني زهرة زكية الرائحة . ويدعى الاقليم
غرب اصطبلات الآن (الشنانات) وهي كذلك تشير الى نبتة طيبة الرائحة
تعرف بالشنان .

وكان المخيم العاشر في اصوصي . اقترب الملك من دجلة وانتهب
قرى الاوتواتة التي تقع على جانب النهر . واحدده موضع اصوصي قرب
(عزيز بلد) الحالية .

ومن اصوصي سار باتجاه الجنوب حتى وصل في ثلاثة أيام الى القلعة
الحلودية دور كور يكالزو ، وهي عرقوف اليوم؛ واغلب الاحتمال انه
لتحقيق ذلك. غادر دجلة وتقدم بمحاذاة سفوح هضبة (ردايف)
على الحافة الغربية للمنطقة الغربية . فلو انه سار بمحاذاة النهر لكان لزاماً عليه
ان يشق طريقه خلال حقول وخلال قنوات يمر بترع للري متعددة ، بينما
لو سار بمحاذاة سفح ردايف لكان طريقه وترع للري متعددة ، بينما
ميسوراً ، سوى انه كان يضطر في بعض الاماكن فقط للخروج عن مساره
لتحاشي آجام الاكاسيا .

وكان المخيم الثالث عشر في دور كوريكالزو .
وكان المخيم الرابع عشر بجانب قناة باتي ييل التي عبرها وهو
متجه جنوباً ، ربما بالقرب من موضع قرية (الزرجة) الحديثة .
ان عبور الملك العظيم هذه القناة دليل على انها تأخذ من القرات
وليس من دجلة ، اذ ان الطريق من عرقوف الى ابو حبة ، وهو موقع
المخيم التالي ، يقع كله على ارض أعلى من مجرى دجلة .

وكان المخيم الخامس عشر في سبورو شاشمش ؛ وربما تتطابق هذه البلدة مع خرائب ابو حبة . ان المسافة من عقرقوف الى ابو حبة لا تتكاد تبلغ ثلاثة وثلاثين كيلو متراً ، الا ان الطريق كان يمرّ خلال اراض مفلوحة وعلى قنوات وترع كثيرة مما يجعل تغطية المسافة في يوم واحد متعزراً .

ومن سبورو (سبار) اتبع الملك اتجاهاً شمالياً غربياً . واستغرقت المسيرة الى إدا (هيت) ستة أيام . ونعلم انه سار بمحاذاة الفرات ولم يفارق ضفافه . إن المسافة من ابو حبة الى هيت هي ١٤٠ كيلو متراً ولتغطية هذه المسافة في ستة أيام يتطلب معدلاً قدره ثلاثة وعشرون كيلو متراً كيلو متراً لمسيرة كل يوم . ولا بد ان كانت بعض المسيرات اقصر بقليل واخرى اطول ، اذ كان من الضروري الحصول على تجهيزات كما ان الملك كان يرغب في التفاوض مع الرؤساء المحليين الذين يمر بهم في طريقه . ولسوء الحظ لم يحفظ لنا شيء من الأسماء القديمة ، (ربما باستثناء واحد وهو كبسيته) التي أحدد موضعها في كاوشة ؛ وكان يمكن ان نفيدنا هذه الأسماء كثيراً في تحليل ادق لأطوال المسيرات اليومية . ويؤسفني هذا خاصة بالنسبة الى بلدة (رييقو) ، وهي قلعة ثغرية يرد اسمها كثيراً في السجلات . وحيثما لا يذكر ان المخيم كان في الحقول نسقون بالبحث عن بقايا القسرى القديمة او الخرائد مهما تكن صغيرة . وما يدعو الى الأسف انه لم توضع في السجلات قناة واحدة بين سبار والطرف الشمالي الغربي للاراضي الغرينية البابلية برغم انه كان على توكلتي انورتا الثاني عبور قنوات متنوعة ، تأخذ الماء من الفرات كما فعلت قناة باتي بيل .

ومن سبورو شاشمش او ابو حبة سار الملك (أكسا شاك) الى الفرات ، ربما ليس بمحاذاة ضفته اليسرى ، بل بمحاذاة الضفة اليمنى ، لقناة عريضة او فرع من النهر الرئيس ، الى مخيمه السادس عشر الذي نُصب

في ملاتة ، ربما بالقرب من مجموعة الخرائب التي تُعرف الآن باسم المجرم .

اما المخيم السابع عشر فقد كان مقابل قلعة (دور بلاطي) على الضفة اليمنى من الفرات . وربما تشير خرائب (أحيمر) التي تبعد مسافة اثنين وعشرين كيلو متراً عن المجدّم الى موضع المخيم المذكور .

وكان المخيم الثامن عشر في (رحيمي) مقابل حصن ربيقو . فلو قدّرنا المسيرات اليومية بثلاثة وعشرين كيلو متراً لكل منها لومب اذن البحث عن رحيمي في خربة (ماحوز) وريقو في خرائب (الرحاية) الواقعة قرب ضريح صخير على رابية صخرية على الضفة اليمنى للفرات .

على انني افضل مطابقة ربيقو مع البادية الحديثة المزدهرة (الرمادي) التي تبعد سبعة عشر كيلو متراً غرب الرحاية ، ولكن هذا كان يجعل لزاماً على الملك ان يقطع ثلاثة وثلاثين كيلو متراً يومياً في الاقل ليصل من ابو حبة الى الموضع المقابل للرمادي في ثلاث مسيرات ، بينما يكون معدل المسيرات اليومية من هناك الى إد (هيت) ستة عشر كيلو متراً فقط . ومن الناحية الاخرى ، لو كان المخيم التاسع عشر بدلاً من الثامن عشر قد نصب مقابل ربيقو لتطابقت البيانات عن موضع المخيم أو الرمادي بدرجة كافية .

وكان المخيم التاسع عشر على حقول كبسنتة ، ولعلها الحقول الخصبة شرقي خرائب كوشته .

اما المخيم العشرون في (دياشتي) فربما كان في الموضع الذي تقع فيه خربة الأسود الآن ، على بعد اثنين وعشرين كيلو متراً من كوشة بين الفرات وقناة قديمة .

وكان المخيم الواحد والعشرون في إد ، او هيت الحديثة ، على بعد عشرين كيلو متراً من الأسود .

وكان المخيم الثاني والعشرون مقابل حربية ، وربما تقوم على خرائبها ضيعة القطبية الحالية . وينتهي السهل الخصب قرابة عشرة كيلو مترات الى الشمال الغربي من هناك وتقرب اجراف شديدة الانحدار من مجرى نهر القرات ذاته قاطعة الطريق في بعض الاماكن . وبما ان النهر ينحطف عدة مرات في هذه المنطقة فان الطريق يفترق عن القرات ويمتد خلال سهل صخري باتجاه شمالي غربي ولا يعود الى النهر حتى نصل الى السليمية على بعد اربعة وخمسين كيلو متراً من القطبية . تقدم الملك على هذا الطريق ايضاً ونصب مخيمه الثالث والعشرين في صحراء لاماء فيها ، ربما في (شبيب النهل) وربما كان المخيم الرابع والعشرون على مروج في حدوبيي بالقرب من موقع السليمية الحديثة . على أنني لم أعثر على خرائب هناك ، ولكن القرات قبالة السليمية يشكل جزراً متعددة ؛ فمن الممكن ان تكون حلوبيي قد اختفت في مجراه .

وكان المخيم الخامس والعشرون بين زديداني وجزيرة (سبرينة) . انني اعتبر هذه الجزيرة الصغيرة هي جزيرة السواري الصغيرة الحالية ، في الوقت الذي قد تتطابق زديداني مع خرائب (المحددة) .

وكان المخيم السادس والعشرون قريبا من سوري مقابل جزيرة (تلبش) او (تلمش) . ان خرائب (سور) الحالية الواقعة بجوار جزيرة (تلبش) على بعد مسافة اثنين وعشرين كيلو متراً من (السواري او سبرينة القديمة) ، تقع في موضع هذا المخيم .

وكان المخيم السابع والعشرون قبالة جزيرة آتات في بلاد سوخي . وآتات هي عانة ، الحديثة التي بُني حصنها ومسجدها الجامع على جزيرة تبعد مسافة ستة عشر كيلو متراً من سور .

وكان المخيم الثامن والعشرون في (مشقيته) ومن المحتمل انها قرية صريصر الحديثة .

وكان المخيم التاسع والعشرون قبالة القرية (خردة) على الضفة اليمنى .
وربما تدل خرائب (الدينية) عليها .

وكان المخيم الثلاثون في كيايتة ، ربما بالقرب من (الجعبرية) الحديثة
في سفوح روابي الغياوي وربما تبينا في هذا صدى لاسم كلية القديم .
وكان المخيم الحادي والثلاثون مقابل بلدة (خندانى) على الضفة اليمنى .
ويستدل على هذه البلدة بما لايقبل الشك بخرائب الشيخ جابر الواسعة
يومنا هذا ولم يكن في مقدور الملك السير من آتات الى (خندانو) بسرعة تزيد
على ثلاثة وعشرين كيلو متراً يومياً .

وتصل الاجراف مقابل الشيخ جابر الى ضفة النهر تماماً مما يجعل السير
بحذائها صعباً بل مستحيلاً تماماً في موسم الفيضان . ولهذا السبب يفضل
الناس السفر على مسافة من النهر مخترقين سهلاً صخرياً وعراً . وهذا ما
فعله الملك أيضاً . فقد ترك ضفة النهر وأمر ببناء طريق الى المخيم الثاني
والثلاثين عند بجاية التي يمكن القول بإنها خربة اكمة الطاوي
وهي ويقع في الطرف الجنوبي الشرقي لشريط من سهل فيضي يبلغ طوله في
هذا الموضع تسعين كياو متراً ويصل عرضه في اماكن اخرى الى ستة كيلو
مترات وقد انتشرت عليه بقايا قرى قديمة بين صغيرة وكبيرة .

واحد مخيم (أقرباني) او قرباني الثالث والثلاثين في خرائب
(البهسا) قرابة ثلاثة وعشرين كيلو متراً من الطاوي .

وفي اليوم التالي توقف الملك في بلدة (صبري) وأمر بنصيب
المخيم الرابع والثلاثين في (ارباته) . وقد تكون صبري مطابقة لخربة الصفاء
وارباته مطابقة (للجعاوي) وأقدر مسيرة ذلك اليوم بستة عشر كيلو متراً ، وذلك
لتأخر الملك في صبري .

وكان المخيم الخامس والثلاثون في حقول كصي ، واخترق الطريق
اراضي مزروعة ومروية فلم يتسن للملك ان يقطع اكثر من عشرين

كيلو متراً في ذلك اليوم ومن المحتمل ان مخيمه كان امام موقع خربة (المجتلة) الحالية .

وكان المخيم السادس والثلاثون مقابل بلدة سرقى التي كانت تقع على الضفة اليمنى . فاذا احتسبنا مسيرته اليومية المنتظمة تتراوح بين عشرين وثلاثة وعشرين كيلو متراً فسوف نصل الى موضع مقابل بلدة (الميادين) الحديثة التي يمكن ان نعلمها سرقى القديمة . على ان الاسم سرقى يذكرنا بترقة وهو اسم عاصمة دولة خزانة التي تطابق العشارة او القرية (انظر اعلاه ، ص ٥) . وربما يمكن التثبت من الموقع الحقيقي لترقة بالتقنيات الأثرية التي قد توضح ايضا ماذا كانت هذه البلدة سرقى ام لا .

وعند سرقى غادر الملك نهر الفرات وتقدم باتجاه شمالي بمحاذاة الضفة الغربية لنهر الخابور حتى المخيم السابع والثلاثين قرب قسريه (رمّو نيدو) التي لا تبعد كثيراً عن الموضع الذي تنسحب منه قناة من الخابور . وتتفرع من هذا النهر قناة كبيرة واحدة تدعى (دورين) اسفل من قرية (السجر) الصغيرة قرابة واحد وعشرين كيلو متراً شمال الميادين وشمال قرير (طامة التي تقع مقابل الميادين على الضفة اليمنى . فان كانت سرقى مطابقة للقرية فتكون اقصر مسافة من هناك الى مدخل دورين خمسة وعشرين كيلو متراً ، لذا يمكن تحديد موضع المخيم السابع والثلاثين في رمّونيدو الى الشمال من قناة الخابور الكبيرة ، او بالقرب من خرائب (حجنا) الحالية .

واستناداً الى السجل الآشوري فان هذا المخيم كان لا يزال في « مروج الفرات » ، ولعل هذه التسمية كانت تعني السهل الخصيب الممتد من الفرات الى مابعد السجر . ويحدد شاييل (المرجع نفسه ، ص ٤٨ وما بعدها) موضع رمّونيلو بالقرب من الفرات ، ويظن أنه كان على

الملك ان يصل هذا الموضع قبل ان يتمكن من من التقدم شمالاً
يبد ان هذا كان امراً مستحيلاً : بعضه بسبب ذكر قناة
الخابور الكبيرة ، اوقفطة بداية قناة دورين ، وبعضه الآخر
بسبب المسافة من هناك الى المخيم الثامن والثلاثين الذي كان في
سوري . وكان هذا الموضع ، اي الصوار الحديثة ، قرابة اربعين كيلو متراً من
الفرات ، فلو تأملنا حقيقة انه كان على جيش الملك عبور القناة الخارجة من
الخابور والسير خلال ارض مزروعة لوجدنا ان المسافة من الفرات الى سوري
لا يمكن اجتيازها باي حال من الأحوال بمسيرة يوم واحد . ومن الناحية
الأخرى فلو اعترفنا بتطابق رمونيلو مع حجتنا لحصلنا على المعدل الاعتيادي
وهو ثلاثة وعشرون كيلو متراً .

ويكتب شايل (المصدر نفسه ، ص ٤٩) ان الصوار تقع على بعد عشر
ساعات ، او اربعين كيلومتراً ، من الفرات ويعتبر هذا ايضاً مجرد مسيرة
يوم واحد ، كما ورد في النص . الا انه هنا لا يناقض تحليده لمواقع الاماكن
المختلفة حسب بل يناقض النص نفسه ؛ لان الملك لوسار بسرعة اربعين كيلو
متراً يومياً لوصل الى رمونيلو من آثات بخمس ساعات وليس بعشر .
ومن سوري (الصوار) سار الملك شمالاً بمحاذاة الخابور عائداً الى وطنه
بالطريق الاعتيادي .

ان سجل حملة توكولتي انورتا الثاني هذه لا تجعل تحديد مواقع القسرى
المتعددة بصورة دقيقة الى حلما ممكناً فحسب بل انه يكشف ايضاً عن التنظيم
السياسي في منطقة الفرات الأوسط . فقد امتدت سوكي في زمن تكلات ييليصر
الاول حتى وصلت الى حدود (بيت اديني) او فوق قسرية بالس الحديثة
حيث تنتهي الصحراء وتبدأ الارض المزروعة . وفي ظل حكم توكولتي
انورتا الثاني فان الاسم الحقيقي لذلك الجزء من سوكي شمالي فاني
العربي الصحري كان قمي (الحوليات) [شايل ، المرجع نفسه ، الوجه ٤]

مقابل ، السطران ٣ و ٥ ؛ المرجع السابق ، ص ٢٠) . وعلى هذا النحو ترجع البلدتان سوري (الصوار) (المرجع نفسه ، السطران ١٩ و ٢٠ ؛ ص ٢٢) ودور كتليمة (تل فدغمي الحديثة على الخابور) (المرجع نفسه ، السطر ٢٢ وما بعده ؛ ص ٢٢) الى منطقة لقي . ووضع تكلات يليصر الأول دور كتليمة في ارمه لانه كان يجهل لقي آنذاك . (المسلة المكسورة) [رولسن ، المرجع نفسه ، المجاد ٣ ، اللوحة ٤ ، الرقم ١] العمود ٣ ، السطر ٢٢ ؛ بيع وكتك ، الحوليات [١٩٠٢] ، ص ١٣٦) .

وكان كلا البلدين ، سوشي ولقي مقسماً الى دول مدن كبيرة وصغيرة يحكمها رؤساء خاصون بهم . وكانت مراكز هذه الدول المدن الآتية :
آئات ويدعى رئيسها ايلو — ابني (الحوليات) [شاييل ، المرجع السابق ، اللوحة ٣] ، المقابل ، السطران ٦٩ و ٧٠ ؛ المرجع نفسه ، ص ١٨) ،
وخندانو ويدعى رئيسها امي — الابا (المرجع نفسه ، السطران ٧٦ و ٧٩ ؛ ص ١٨) ،
ومدينة سرقى ويدعى رئيسها مدادا (المرجع نفسه ، اللوحة ٤ ، المقابل ، السطران ٨ و ١٠ ، ص ٢٠) .

اما خرائي من بلاد لقي الذي قدم مدفوعاته في سرقى فقد كان ملكا على مملكة لم يدخلها توكولتي انورتا بعد، ولهذا يجب ان تكون واقعة شمال غربي مصب الخابور (المرجع نفسه ، السطر ١١ ، ص ٢٠) . وكان حمتاي رئيس سُوري (المرجع نفسه ، السطر ٥ ، ص ٢٠ ؛ السطران ١٥ و ١٩ ؛ ص ٢٢) ، اما الاقليم الذي كانت هذه المدينة عاصمة فيدعى خدبة او (بيت خدبة) نسبة لسكانها (ووردت ايضاً ، خطوبة) .

كان الملك الآشوري يمين دائما بعض رؤساء دول المدن ليكونوا ممثلين له . وفي عهد توكولتي انورتا الثاني كان ايلو — لابني ، رئيس آئات ، في سوشي وحمتاي ، رئيس سُوري ، في لقي ممثلين من هذا النمط كل عن بلده .

كان موقف مثل هذا المندوب او والي الملك الآشوري في سنجي او لقي صعباً للغاية، اذ كان لرعاياه في الغالب ، خاصة عندما يقوم جيرانهم بتحريضهم ، مصالح سياسية مختلفة تمام الاختلاف عن مصالح سيده الآشوري .

حملات آشور ناصربال وطرقها

يروى آشور ناصربال (٨٨٤ - ٨٥٩ ق. م .) (الحوليات) [رولنسن ، المرجع السابق ، المجلد ١ ، اللوحات ١٨ وما بعدها] ، العمود ١ ، السطور ٧٤ - ١٠١ ؛ بيج وكنك ، المرجع السابق ، ص ٢٧٩ - ٢٨٩) انه علم بعد ارتقائه العرش بفترة قصيرة ان الوالي حمتاي قد اغتاله أهل بلدة (سورو) في بلاد بيت خدبة وحل مكانه شخص اسمه (اخيا بابا) من بلاد بيت - اديني . لهذا زحف الملك من كوماجين ، حيث كان آنذاك بعرباته الحربية وقطعاته ضد سورو (او سوري) .

ان مملكة بيت اديني تتاخم لقي من الجهة الشمالية الغربية . وكان ملكها يحاول ان يبسط نفوذه وان يكسب حلفاء ضد ملك بلاد آشور العظيم ، ولهذا فانه تحالف مع الطرف الساخط في سوري ، وهم الذين كانوا قد قتلوا رئيسهم ، الوالي الآشوري حمتاي ، وقدموا الولاء للرئيس الجديد (واسمه اخيا بابا) المرسل اليهم من ملك بيت اديني . فانزل ملك بلاد آشور العظيم بالعصاة عقوبة فتاة وعين (ازي - ايلو) والياً جديداً على لقي . ويبدو انه كان ملكاً على دولة مدينة (كيننا) الواقعة على الفرات غربي مصب الخابور . وعملت العقوبة القاسية التي لحقت بمدينة سورو وعصاتها كتخدير لباقي الملوك في بلاد لقي الذين اخلوا على الفور يغفرون اشورنا صربال الثالث بالهدايا . كما ارسل خياني رئيس مدينة خنداني (الحوليات) [رولنسن ، المرجع السابق] العمود ١ ، الاسطر ٩٦ - ٩٩ ؛ بيج وكنك ، المرجع السابق ، ص ٢٨٧) رسلاً محصلين بالهدايا الى الملك

العظيم في سورو . الا ان السلام لم يدم طويلاً ، لانه بعد عودة اشورة صربال الثالث الى نينوى بقليل جاءه والي سوشي زبلو - لابني لطلب اللجوء . ويتضح من ذلك انه بقي وفيّاً لسيده الآشوري ولهذا طرده مواطنوه الذين فضلوا تحالفاً مع ملك بلاد بابل .

تفاصيل حملة آشور ناصربال الاولى

وتأكد هذا الافتراض بالتقرير الخاص عن حملة اشورنا صربال الجديدة الى لقي وسوشي الملون بالحواليات (رولنسن ، المصنر السابق ، اللوحة ٢٣ وما بعدها) ، العمود ٣ ، السطور ٥ - ٢٦ ؛ يج وكتك ، المرجع السابق ، الصفحات ٣٤٨ - ٣٥٣) .

سار الملك العظيم من بلدة (قتني) الى بلدة دور كتليمه ومن هناك الى البلدة التابعة الى ارض بيت خديّة ، ومن ثم الى مدن سرقتي وصبري ونقرباني وضرب مخيمه قبل مدينة خندانني (او خندانو) ، الواقعة على الضفة اليمنى من الفرات . وبعد ان استلم هدايا كثيرة توغل في تقدمه حتى خيم في السلسلة الجبلية فوق الفرات . ثم توقف في ارض (بيت كراباة) مقابل مدينة خريديو (او خريدي) على الضفة اليمنى من الفرات . بعدئذ عجل بالوصول الى بلدة آئات الواقعة على جزيرة وسط الفرات ووصل اخيراً امام حصن سورو (او سوري) حيث ابدى كدورو ، والي ارض سرخي ، مقاومة مع القطعات التي ارسلها لنجدته (نبو - ايال - الدين) ملك بلاد بابل . وبعد اقتحامه الحصن قام اشور ناصربال بأسر صابرانو (اخي ملك بلاد بابل) وييل - ايال - الدين (قائد قطعات الاسناد الاجنبية) وثلاثة الاف رجل من الجيش البابلي وخمسين فارساً . اما الوالي وسبعون من رفاقه فقد نجوا بانفسهم من طريق الفرات . ثم هُتمت سوري وأقيم نصب في اطلال المدينة لتمجيد انتصار آشور ناصربال .

اعادة تنظيم هيكل حملة آشور ناصريال الاولى

من المحتمل تطابق دور كتليمة مع تل فدغمي ، ومدينة بيت خلدبة مع سورو ، الصوار الحديثة . وكانت المسافة بين دور كتليمة وسورو قرابة ثمانية واربعين كيلو متراً . فلو كانت سرقي تقع في موقع الميادين لكانت المسافة بينها وبين سورو خمسة واربعين كيلو متراً ؛ اما لو كانت تقع في موقع العشارة لكانت المسافة اثنين وخمسين كيلو متراً ، وهي مسافة يتعذر على جيش آشورنا صريال قطعها في يوم واحد . اما صُبري فربما كانت تقع في موضع الصفاء الحالية ، اما موقع نقر باتي (او اقرباني) كما هو مذكور في سجلات حملة توكولتي انورتا الثاني فمن المحتمل ان يستدل عليها بخرائب البهسنا الحالية . ان المسافة من الميادين الى الصفاء هي ٤٢ كيلو متراً ، ومن العشارة الى الصفاء ٣٧ ، الا انها من الصفاء الى البهسنا قرابة اثني عشر كيلو متراً ؛ ومن هنا الى خرائب الشيخ جابر ، اي خندانو القديمة ، ٤٢ كيلو متراً . وفي موضع أبعد الى الجنوب الغربي خيّم للملك العظيم في الجبال اولاً ، ومن ارض بيت كربابة ، مقابل بلدة خريلو . وبلاستعانة بالتقرير الخاص بزحف توكولتي انورتا الثاني حددنا موضع هذه البلدة في موقع خرائب الدينية الحالية على بعد ٤٦ كيلو متراً من الشيخ جابر . ولما كان الوصول الى نقطة مقابلها يتطلب مسيرتين يتبين لنا ان مسيرة آشورناصريال الثالث نفسه لم تكن إلا بمعدل يقارب ٢٣ كيلو متراً يومياً . ان هذا يقدم لنا دليلاً على موقع مخيمه بين خندانو (الشيخ جابر) وخريلو (الدينية) . وينعطف القرات على مسافة تقارب الستة عشر كيلو متراً من خندانو ثلاث انعطافات كبرى . وفي هذا الموضع يكاد خط الاجراف الصخرية يصل الى حافة الماء بحيث ان الطريق يؤدي الى فوق الهضبة مبتعداً

عن ضفة النهر مسافة تصل الى عشرة كيلو مترات . وكان على الملك ان يسلك هذا الطريق ، وفي اغلب الاحتمال كان مخيمه قرابة ثلاثة وعشرين كيلو متراً الى الجنوب الشرقي لخنذانو ، بالقرب من ضريح السلطان عبد الله الحالي . وكانت منطقة بلدة خريلو تدعى بيت كربة ، تماماً كما كان اقليم سورو يسمى بيت خديبة .

وتقع المدينة الجزرية اناث ، اي عانة الحديثة ، على بعد اربعين كيلو متراً من خريلو . ولا يذكر السجل اين خيّم الملك العظيم قبل الوصول الى اناث . ولا يتعدى الطريق المباشر من ذلك الموضع الى حصن سورو (سور الحديثة) اكثر من مئة عشر كيلو متراً . وكانت سورو قلعة بلاد سوخي حيث احتوى بها كلورو ، الوالي الذي عينه البابليون ، مع الجيش الذي ارسله البابليون لاسناده . ولم تكن القلعة قادرة على المقاومة فدمرت وتم اسر الجيش البابلي مع ضباطه ولم ينج الا الوالي كلورو ونحو سبعين من اتباعه فقط وذلك بالالتجاء الى بعض الجزر في نهر الفرات .

ومع ان الملك العظيم يؤكد تعزيزه ثانية لسلطته في ارض سوخي وتوسيع نفوذه حتى حدود بلاد بابل وادخاله الرعب في نفوس سكان المناطق الجبلية على كلا الجانبين لنهر الفرات ، فانه بالرغم من ذلك لم يتوغل في هذه المرة بعيداً باتجاه الجنوب الشرقي وانه لم يزحف بحذاء حصن (دور كوريكا لزي) في طريقه الى بلاد آشور ، بل عاد بنفس الطريق الذي جاء منه تقريباً ، اي انه سار بمحاذاة الضفة اليسرى للفرات ثم الى أعلى الخابور ومن هناك عبر الى محل سكناه في (كلخ) .

تفاصيل محطة آشور ناصريال الثانية

وقبل ان يصل آشور ناصريال الى وطنه تسلم تقريراً مفاده ان الأهليين في بلاد لقي وسوخي قد ثاروا عليه وعبروا الفرات . وعليه ان يتحرك ينازلتهم ولعل ذلك كان في عام ٨٧٧ ق . م . (الحواليات) [رولنسن ، المرجع السابق ،

المجلد ١ ، اللوحة ٢٤] ، العمود ٣ : السطور ٢٧ - ٥٠ ؛ يج وكتك ، المرجع السابق ، ص ص ٣٥٣ - ٣٦١) . وتقدم في بادئ الأمر الى بلدة سوري في بيت خلويه حيث امر بصنع اكلاك من الخشب والقرب المنفوخة . وحتى قبل انجاز هذه الاكلاك سار الى مضايق القرات (خنتي) ، واستولى على بعض المدن التابعة للرئيسين (خنتي - ايلو) و(أزي - إيلو) من بلاد لقي واسر أهلها وقتل بعضاً منهم ، وحمل معه غنائم كثيرة . ثم احرق المدن وهدمها . ولدى عودته عبر الخابور عند مصبه وسار خلال بلاد سوخي حتى بلدة (صباقة) محرقاً ومدمراً المدن في اراضي لقي وسوخي . وقتل ايضاً ٤٧٠ محارباً وامر بموت عشرين على الخازوق . ثم عبر الى الضفة اليمنى لنهر القرات على الاكلاك المصنوعة من الخشب والقرب المنفوخة عند باسدة خريلو حيث التقى بجيوش لقي وسوخي وبلدة خندانو للتحالفه الذي بلغ تعدادهم ستة آلاف رجل بين راكب عربة وراجل . هزمهم الملك العظيم وحطم عرباتهم ؛ وذبح خمساً وستين مائة (كلدا) من محاربيهم، وهلك الباقيون عطشاً في صحراء القرات . ومن بلدة خريلو في بلاد سوخي وحتى بلدة (كيبينا) استولى على البلدان الواقعة على الضفة اليمنى التابعة الى مملكة خندانو والتابعة الى سكان لقي الآخرين ، فنهب هذه المدن وهدمها واحرقها .

اما أزي - إيلو من ارض لقي فانه تحصن في بلدة كيبينا ولكنه فر عندما لم يعد قادراً على حماية نفسه ؛ فقتل الف من محاربيه وحطم الكثير من عرباته وأسرت آثته . والتجأ أزي - إيلو الى سلسلة (بيسورو) الجرداء على القرات ، فحاربه الملك العظيم مدة يومين وقتل الكثير من رجاله، ومن ثم وصل في مطاردته له الى بالتي (دميته) و(أسمو) التابعتين الى شعب أديني . فاستولى عليهما ايضاً وقام بنهبهما وهدمها وحرقهما . ولم يفقد أزي - إيلو ابقاره فحسب بل خسر ايضاً اغنامه التي أخذها

الملك العظيم على انها غنائم حرب .
كذلك وقع في الأسر في ذلك الوقت (ابلا) من ارض لقي مع عرباته
وخمسائة محارب .
وصل الملك العظيم الى مضائق الفرات حيث أنهى حملته . وذهب
أزي - إيلو امامه . وخرصر خمتي - أيلو من أرض لقي في بلدته والتمس
الرحمة . فأخذ الملك جميع ما كان في قصره من فضة وذهب
ورصاص ونحاس واواني نحاسية ومنسوجات ملونة ؛ وزاد الضريبة
عليه . ثم اسس بلدين على الفرات وسمى البلدة على الضفة اليسرى
(كار - آشور ناصريال، كما سمى تلك التي تقع على الضفة اليمنى
(نيبرتي - آشور) .

اعادة هيكمل حملة آشور ناصريال الثانية

من المحتمل ان القوارب التي صنعت في مسوري (الصوار)
كانت ارمائاً مشلولة الى جلود الماعز المنفوخة . ولعل الجلود كانت تؤخذ
من الحضر والباو على السواء . وأما الخشب فيؤخذ من اشجار الحور والطرفاء
التي لاتزال تنمو بكثرة على الخابور وعلى الفرات ايضاً . ومن هذه الاشجار
بُنيت قوارب ايضاً للامبراطور الروماني سبتيميوس سيفروس عام ١٩٨ م
(كما سيوس ديو . التاريخ . ج ٧٥ ص ٢ وما بعدها) .

لم ينتظر آشور ناصريال ، في مسوري حتى الانتهاء من صنع القوارب ؛
بل استمر في فتح المدن على الضفة اليسرى من الفرات العائدة الى الرئيسين
خمتي - إيلو وأزي - إيلو . وربما كان لإزي - إيلو هو الوالي الذي كان
الملك قد عينه بعد ارتقائه العرش بزمان يسير . وصل الملك العظيم الى مضائق
الفرات ؛ اي الى زلبية الحديثة حيث يترك مجرى الفرات المضائق على بعد
خمسة وسبعين كيلو متراً شمال غربي مصب الخابور . ومن المحتمل ان

كانت في ذلك الموضع أقوى مدن الرئيس خنتي - إيلو ، ولم يحاول الملك العظيم حصارها في هذا الوقت .

وبعد عودة آشورناصريال من هذه الغارة الى تقاطع الخابور مع الفرات صار بحذاء الضفة اليسرى للفرات باتجاه جنوبي شرقي ، مهتماً بلدة بعد أخرى الى ان وصل أخيراً الى بلدة صباتة . وتقع هذه دون شك جنوب شرقي خريلو او حتى جنوب شرقي حصن سورو ولما صبح ان يكون الملك قد أخضع ارض موخي بأكملها . ولا يُعَيَّننا التقرير الموجز كثيراً في التحديد الدقيق لموقع صباتة ، الا انني أظنه مطابقاً مع البلدة الجزرية (سبيريته) الوارد ذكرها في سجلات حملة الملك توكونتي انورثا الثاني . فبدلاً من (قو - را - صي - تي) الصحيحة تكتب احياناً قو - صي - تي (اسطوانة رسام) [رولنسن ، المرجع السابق ، المجلد ٥ ، الجزء ١ ، اللوحات ١ - ١٠] العمود ٨ ، السطر ١٢١ ؛ لوحة المتحف البريطاني لك ٢٨٠٢ [رولنسن ، المرجع السابق ، المجلد ٣ ، اللوحتان ٣٥ و ٣٦ ، العمود ٦ ، السطر ٤١ ؛ سترك ، آشور بانبال [١٩١٦] ، المجلد ٢٠ ، ص ٧٣ و ٢٠٦] . وعلى هذا القياس يمكننا الافتراض ان صباتة تمثل سبريته الصحيحة التي طابقتها مع جزيرة السواري الحديثة على بعد عشرين كيلو متراً جنوب شرقي جزيرة تلبس الصغيرة . وبالطبع فان سبريته مكتوبة بحرف السين اما صباتة فبحرف الصاد . وعلى كل حال لم يفرق الآشوريون بكل وضوح بين صوت الصاد والسين في الأسماء الاجنبية ؛ فعلى سبيل المثال ان السين الآشورية كما في سوري قد تدل على كلا الحرفين الصاد العربية كما في صوار ، او السين العربية كما في سور .

ولم يستطيع آشورناصريال الماضي أبعد من ذلك الى الجنوب الشرقي لأنه كان سيأتي بالجيش البابلي بينما كان العصاة يتجمعون خلفه في خريلو . فعندما استدار لملاقاة العصاة عبر الفرات في خريلو (الدينية) ودحر القوات

المشتركة لسوخي ولقي وبلدة خندانو . ولم يُذكر عددُهم على وجه صحيح . واستناداً الى التقرير الآشوري فان الجزء الأعظم منهم سقط في ساحة المعركة . وهلك الباقون عطشاً في الصحراء لان الآشوريين لم يدعواهم يقتربون من الفرات . ثم تقدم الملك العظيم بمحاذاة الضفة اليمنى الى الشمال الغربي .

ومن خريدو التي كانت لاتزال في سوخي نهب الملك اولاً البلدان المعتمدة على خندانو ومن ثم قرى سكان لقي ؛ واخيراً وصل الى بلدة كيبينا حيث التجأ أزي -- إيلو الوالي الخائن من لقي . ولا بد ان يكون أزي -- إيلو حاكماً إقطاعياً لا يقيم في حصن سوري (الصوار) المهدم في بيت خدبة بل في مملكته الخاصة التي ابحت عنها بجذاء ضفتي الفرات شمال غربي مصب الخابور . لقد انتهت البلدان الواقعة على الضفة اليسرى للفرات اثناء الزحف من سوري (الصوار) الى مضائق الفرات . بينما قامت البلدان الواقعة على الضفة اليمنى المصير نفسه بعد الهزيمة في خريدو . ويفغل السجل الآشوري الاشارة الى ما اذا استولى الملك العظيم ايضاً على بلدة كيبينا ودمرها ، وهذه قرينة توصلنا الى الاستنتاج ان أزي -- إيلو هُزم بالقرب من هذه البلدة وليس بدخولها فعلاً وتقهر مع ما تبقى من جيشه الى سلسلة جبال ييسورو الواقعة على الفرات . ويشهد مجرى الأحداث بكامله على ان هذه السلسلة هي سلسلة البشري التي ذكرها تكلات يليبصر الأول (الكتابة على الاسطوانة) [رولنسن ، المصنوع السابق ، المجلد ١ ، اللوحة ١٣] العمود ٥ : السطر ٥٩ ؛ بج وكتك ، الحوليات : ص ٧٤) . دافع أزي -- إيلو عن نفسه في الجبال مدة يومين ولكنه بعد فقد اعلاداً كبيرة من اتباعه المخلصين اضطر الى الهرب ثانية . ويبدو من هذا ان بلدة كيبينا يجب ان يُبحث عنها بالقرب من سلسلة البشري ؛ ولعلها قرب دير الزور الحالية .

وعند وصول الملك العظيم الى السفح الشمالي لسلسلة البشري قام بتعقيب الوالي أزي -- إيلو حتى قريتي دميثا وأسسو الواقعتين في ارض بيت -- اديني

ومن ثم الى ما وراء القرية بالنسبة الحديثة . (فورر) ، (فسي تقسيمات المنطقة الادارية [١٩٢١] ، ص ٢٦ ، للملاحظتان ٣ و ٤) يحدد موقع دميثا في جنوب غربي دير الزور . وأسمو مقابل مصب البليخ ، الا ان هذا لا يتفق مع التقرير الآشوري . نهب الملك العظيم كلكتا هاتين البلديتين الواقعتين على الحدود الجنوبية لبيت - اديني . بعد ذلك عبر الى الضفة اليسرى لنهر الفرات وعاد باتجاه الجنوب الشرقي ونهب في طريقه قرى (إيسلا) وملاك لقي الذي ربما كانت تعسود له كلكتا ضفتي الفرات غرب ملتقى نهر البليخ . وعلى حدود هذه المملكة على الضفة اليسرى فسي ضواحي خرائب زابيه الخالسية تقع المملكة التابعة للملك (خمتي) - إيلو التي نهب الملك العظيم قراها الشرقية في غارته من سورو ونهب قراها الغربية فسي عودته من بيت - اديني . ولما لم يكن خمتي - إيلو قادراً على المقاومة اضطر الى الخضوع ودفع ضريبة كبيرة .

ولا يسمى آشورنا صربال مكان ضواحي البشري بالأخلامنة كما يدعوه تكلات بيلعصر الأول برغم انه غالباً ما يستعمل هذا التعبير عند ذكر الفلاحين الآراميين (الكتابة على المسلة) [رولنسن : المصدر السابق ، المجلد ٣ ، الصفحة ٦] الوجه المقابل ، السطر ٤ ؛ بج وكنك : المصدر السابق ، ص ٢٤٠) . فهو غالباً ما يفاخر أنه أخضع . جميع لقي وسوخي وكذلك بلدة ريبقي (اللوحة الجيرية) [المتحف البريطاني رقم ٩٨٦ ، ٩٢] ، الوجه الأمامي ، السطران ٨ و ٨ ؛ الكتابة القياسية [لا يارد ، كتابات اللوحة ١] ، السطر ٨ ، الحوليات [رولنسن . المصدر السابق ، المجلد ١ ، اللوحات ١٧ وما بعد] ، العمود ٢ . السطر ١٢٨ ؛ بج وكنك ، المصدر السابق ، ص ١٦٣ و ٢١٦ و ٣٤٤) . ولما كانت ريبقي ودور كوريكا لثري حصنين على حدود بلاد آشور فلا بد ان كانت ريبقي واقعة على الحدود

الجنوبية الشرقية لأرض سونخي التي يجب ان تكون قد امتدت آنذاك الى ما بعد
بلدة الرمادي الحديثة وربما وصلت الى خرائب الرحابة جنوباً وإلى صخور
العربي شمالاً .

وتسلم للمعصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٤ ق . م .) ما يستحقه من مردك
- ابلو - اوصور من اراضي سونخي من فضة وذهب وعاج ومنسوجات
ماوثة (الكتابة البارزة على المسلة [لاينارد ، المصدر السابق ، اللوحة ٩٨] ،
الرقم ٤ ، فينكلر . في : شريدر . مكتبة الكتابات المسمارية [١٨٨٩ :
- ١٩٠٠] . المجلد ١ . ص ١٥١) . ومن المحتمل ان قام بعلمة الى
اراضي سونخي في عام ٨٣٨ (فورر . الماونة [١٩١٥ ، ص ١٠١) .

القليم رصيا

وفي عهد شمشي - ادد السابع (٨٢٤ - ٨١١ ق . م .) كانت اراضي
سونخي تابعة للامبراطورية (نقش على مسلة) [رولنسن ، المصدر السابق ،
المجلد ١ . اللوحة ٢٩] ، العمود ١ ، السطر ١٣ ، آييل في : شريدر ،
المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ١٧٩) لأنها تحولت مع لقي الى اقليم آشوري
واقام الحاكم الآشوري (شكنو بي رصيا . وتُخبرنا بلاطة حجرية
للكاكم (اور يكالو - اريش) المؤرخة في ٨٠٥ كيف تم تقسيم
هذا الاقليم الى اثن امتدت حدوده (نحت بارز على بلاطة حجرية من
عهد (ادد نيراري الرابع) [اونكر . نحت بارز على بلاطة حجرية من
عهد ادد نيراري الثالث ، اللوحة ٢] الاسطر ٢٣ - ٢٥ ؛ اونكر ،
المصدر السابق ، الصفحتان ١٠ و ١٢) . وتألف من المناطق الادارية
الثلاثة : مدن نيميت - اشتار وابكو وماري : اراضي رصياي وقتني ؛
وبلدة دور كرباتي ، مقابل بلدة كار - اشور ناصر بال ؛ بلدة ميروقو ؛
اراضي لقي وشندانو ؛ بلدة آتات ؛ اراضي سونخي ؛ وبلدة الشور - اصبات .

ان المقاطعات المشار اليها هنا تظهر ان مناطق الخابور الأسفل والفرات الأوسط كانت جزءاً من إقليم رَصَبًا . وتقع قنني على الخابور بالقرب من قل جلال الحديث ، نحو مائة وخمسة كيلومترات من ملتقى النهرين . وكانت كار — اشور ناصربال التي بناها اشور ناصربال في حملته لعام ٨٧٧ (انظر ماسبق ، ص ٢٢) تقع على الضفة اليسرى للفرات . وكانت تقابلها على الضفة اليمنى دور كرباتي . وبما ان كار — اشور ناصربال تقع في سلسلة البشري غرب مصب الخابور ، فعليه يمكننا مطابقتها مع زلية الحالية ، ودور كرباتي مع حلبية . ان موضوعهما على جانب كبير من الأهمية ، لأنهما لا يتحكما في الاراضي وحدها بل وبالطرق المائية ايضا . ومن الممكن ان دور كرباتي كان الاسم الاصلي للبلدة التي سمّاها آشور ناصربال باسم نبرتي — آشور مع ان هذا غير مؤكد لأننا نتوقع من الحاكم الآشوري ان يكتب على بلاطته الحجرية الاسم الرسمي وليس الاسم الاصلي . ولعل سيرقو ، كما رأينا ، إما تطابق الميادين او القرية الحديثة او العشارة . وكانت ارض لقي جوار سورو (الصوار الحالية) . وهو الحصن الرئيس في لقي سابقاً . وكانت مملكة خندانو تشمل البلاد التي تقع حول الشيخ جابر اليوم . اما بلدة آثات فهي التي اصبحت في العصر الوسيط عاثات وعانة الحديثة . وكانت اراضي سوخي جوار سوري (سور الحديثة) ، الحصن الرئيس لسوخي القديمة . ولم يكن اسم الشور — إصابات أصلياً ؛ وكانت هذه البلدة تقع في موضع أبعد الى الجنوب الشرقي من السهل الفيضي الخصب . شمال غربي زيبقي (الرخابة) ، التي أُسّرت حدود اراضي سوخي .

ويمكن البحث عن قيميت -- إشتار . وابكو وفري في موقع بالس الحديثة وبني ذلك للموقع وسلسلة البشري ؛ ، بما ان لقي القديمة امتدت على الجهة الغربية حتى بالس فيكون من القريب حقاً الا يكون هناك في الجزء الممتد من البشري الى بالس بكامله منطقة ادارية منظمة واحدة . فبين البشري وبالس

تمتد ثلاثة سهول فيضية كبيرة إلى حد ما أحدها قرب بالس والثاني قرب ابو هريرة والثالث قرب الرقة . إنني اعتبر بالس العلامة المؤشرة إلى موضع نيميت - إشتار وأبو هريرة العلامة المؤشرة إلى أبكو والرقة إلى مري . وبما لا شك فيه أن نيميت - إشتار كان يسميها السكان الاصليون تسميه مختلفة ، على أن أبكو ومري كانتا تسميتين أصليتين . ولم اجد بعد تسمية حديثة لاسم أبكو ، ولكن اسم مري بقي محفوظاً في اسم قناة مري التي كانت تُسقى منها اراضي بلدة كالينيكوس (الرقة الحديثة) ، ومن ثم قد تكون مري أو هي الاسم الأصلي للمدينة التي بنى عليها سيلوقس نيكاتور المستعمرة اليونانية نيقفوريم والتي أطلق عليها فيما بعد كالينيكوس (انظر الملحق الحادي عشر) .

ولاحظت اراضي رصبي بعاصمة لإقليم رَصَبَّا الذي امتد: كما رأينا آنفاً ، من نيميت - إشتار (بالس) في الشمال الغربي إلى الشور - إصبيا في المنطقة المجاورة للرمادي الحديثة الواقعة على الجهة الجنوبية الشرقية ، كما امتدت شمالاً لتشمل ارض قتي في ضواحي جلال الحديثة .

ويضع اميل فورر (تقسيمات الاقليم الادارية [١٩٢١] ص ١٥) رَصَبَّا الآشورية على سلسلة منجار الجبلية ويجعلها مطابقة لبلد منجار ، أي منجارة الرومانية . ولكن يبدو لي أن هذا يتعارض مع السجلات الموجودة كما يتعارض مع موقع بلد منجار ذاته . فجميع المناطق الأهلية مدار البحث يمكن العثور عليها على الخابو والأسفل والقرات الأوسط ، وبقيت بلدة رَصَبَّا محفوفة في اسم الرصافة ، وذلك بلا ريب بالنظر إلى أهمية موقعها التجاري . وتقع بلد منجار على بعد مائة كيلومتر فقط غرب العاصمة العظمى نينوى وأن الآشوريين كانوا يسيطرون على الطرق المؤدية إليها منلزم من سحق . ولذا يصعب أن نفهم كيف يستطيع حاكم آشوري مقيم في منجاره أن يحكم ويدير اراضي تبعد أكثر من ثلثمائة وخمسين كيلومتراً عن محل اقامته وتفصله عنها صحراء .

السجلات الاشورية والكلدانية المتأخرة

ومن نهاية القرن الثامن لم يصل إلينا إلا القليل من السجلات وهي مؤرخة بالبلدة التي قضاها حاكم سوشي ومري بوظيفته . وكان اسمه شمش - ريش --- أوصور (الكتابة البارزة رقم ٢) [قايسباخ ، متفرقات بابلية ، اللوجات ٢ - ٥] ، العمود (١٩٠٣) ٢ ، السطور ٢٧ - ٤١ ؛ الاعمدة ٣ - ٥ ؛ قايسباخ المرجع السابق ، الصنحات ٩ - ١١ ؛ بايزر ، علم الآثار الشرقية - [١٩٠١] ، ١٤٤ وما بعدها) . ونعلم من هذه السجلات انه بعد ان انطمرت القناة القديمة في سوشي بفعل الترسبات الطينية أمر شمش - ريش --- أوصور بحفر قناة جديدة عرضها اثنان وعشرون ذراعاً وطولها ألف قدمية . وكانت صالحة للملاحة وتصب ثانية في الفرات في موضع يسمى اي --- سالآ . وبأمر الحاكم زرعت الاشجار على ضفتي القناة لتوفير الخشب اللازم لصناعة قوارب الميول . وبلغ نمو هذه الاشجار حداً عاق الوصول الى قصيرة . وكان على الناس ان يحفروا قناة من بلدة خارزة وحتى بلدة لباني . وكان لشمش - ريش --- أوصور قصر في بلدة ريبانيش . وكان في الامكان ارواء حدائق هذا القصر من القناة الجديدة ، واوز الحاكم بزوع اشجار النخيل فيه تشبه تلك المزروعة في الحدائق الواسعة في القصور المشيدة في را - ليلو وكارنابو وإيادورو و او كلاي . كذلك بلدة جديدة سمّاها كباري --- كاك وامر ببناء معبد للأله اداد وابنه شالا فيها . وذات مرة عندما كان شمش - ريش --- أوصور مقيماً في بلدة بقا قام اربعمائة محارب من قبيلة نومانو بهجوم ريبانيش وحال استلامه تقريراً عن هذا بادر بعبور الفرات ولحق بالقبيلة التي كانت قد وصلت الى حقول ارداتو فذبح ثلاثمائة وخمسين منهم وأخذ الباقيين اسرى . - وليس في الامكان تثبيت موضع القناة في سوشي ولا مواضع المدن التي احتفظت لنا السجلات باسمائها باي درجة من الدقة . فاذا كان النصف الأعلى

من سوخي القديمة يدعى لقي حتى نهاية القرن الثامن فعلينا تحديد موضع قناة سوخي الى الجنوب الشرقي من صخور العُقبَة والأسود فقط، وهو الموضع الذي يتدمج فيه سهل الفرات الفيضي مع سهل بابل الغربي . ومن المحتمل ان بلاد لقي (او مري) امتدت باتجاه الجنوب الشرقي حتى صخور العرصي وبلدة ابو جمال الحديثة . وأسفل من هذا الموضع في المنطقة التي كانت ذات يوم بلاد سوخي لا يوجد امتداد لسهل فيضي فيه من الطول ما يجعل حفر قناة اروائية باهظة التكاليف عملاً مربحاً . ولا يأخذ السهل الفيضي بالانساع عرضاً الا بعد ان نصل الى جنوب شرقي العُقبَة . وبما يلتفت نظرنا ان في النصف الجنوبي من بلاد سوخي أشجار النخيل التي سبق ان زرعتها شمش -- ريش -- اصور في اماكن متعددة . ان اقصى موضع شمالي قد تنمو فيه اشجار النخيل بصورة مربحة في وادي الفرات هو عانة . وتهب الرياح الجنوبية الشرقية الحارة دون عائق الى أعلى الوادي حتى هذه البليدة وجزيرة الكرابلة الصغيرة ؛ الا انه أبعد من هذا الموضع شمالاً يستدير الوادي فجأة الى الغرب كلما صعدنا في النهر ويقطع ترسب الهواء الأدنى القادم من الجنوب الشرقي .

ان الاسم بقّة، وهو اسم البلدة التي كان شمش -- ريش -- او صور يقيم فيها عند قيام جنود تومانو بغزوة على ريانيش، يوحى ببلدة بقّة التي يحدد الكتاب العرب موقعها جنوب غربي هيت والتي اراها تطابق قرية البق الصغيرة جنوب غربي المدينة المذكورة اخيراً . وبما ان البقة تقع على الضفة اليسرى وان الحاكم اضطر الى عبور الفرات عندما اراد ملاحقة الغزاة فيمكن الاستنتاج ان بلدة ريانيش كانت تقع عن الضفة اليمنى، وان القناة الجديدة بدأت عند صخرة العُقبَة وامتدت الى موقع الرمادي الحالية .

وبما انني احدد موقع بلدة ربيقي الواقعة على حدود بلاد سوخي إما في بلدة الرمادي الحديثة او في خرائب الرحاية التي تبعد مسافة ثمانية عشر كيلومتراً جنوب شرقي الرمادي فانه ينبغي البحث عن بلدة ريانيش بين

الرمادي والعقبه .

وفي أثناء الصراعات النهائية بين الآشوريين والبابليين دخلت جيوش كلا البلدين منطقة القرات الاوسط . ففي عام ٦١٦ ق . م احتل ملك بلاد بابل نبوبولصّر سونخي وخندانو دونية مقاومة تذكر ؛ الا انه اضطر بعد ثلاثة اشهر للدفاع عن هذه المناطق ضد جيش آشوري انطلق من قاعدة في مدينة قبلينو، فقهر الآشوريين واحتل المدينة وارسل مفرزة من جيشه ضد مدن ماني (او ماري) وساخيرو وبالنحو وعاد بفنائم جسيمة . وعندما زحف عائداً الى بابل أخذ معه كثيراً من سكان مدينة خندانو وأهلها . وفي تلك الاثناء عقد الآشوريون حلفاً مع مصر واتخذت الجيوش المتحدة معسكراً لها في قبلينو . فهُرِع نبوبولصّر للملاقاةهم الا انه لم ينشب قتال بينهما ؛ وبذل الأهليون في سونخي جهداً لاستعادة استقلالهم . وتوقفت هذه المحاولات عام ٦١٣ عندما قام نبوبولصّر بهجوم عن رخيلا وهي مدينة تقع اواسط القرات . فسقطت المدينة في اليوم ذاته . ثم ضرب مخيماً مقابل مدينة اثاتو، وقدّم من جهة الغرب ادوات الحصار الى مقربة من سور المدينة، وقام بهجوم عليها الا انه لم يستولِ عليها اذ أقبل الملك الآشوري وأجبره على التراجع (المنحف البريطاني ، اللوحة ٢١٩٠١ ، الاسطر ١ - ١١ و ٣١ - ٣٧ ؛ منشورة ومترجمة في كاد (سقوط نينوى [١٩٢٣] ، ص ص ٣١ - ٣٤) .

يذكر نبوخذ نبصر (٦٠٤ - ٥٦١) انه من بين الهدايا المقلعة الى الاله مردوخ نبيذ من سلسلة جبال نخي - إل لي بو - نم وسولي او - خالي ام (كتابة كروتفند) [رولنسن ، المصدر السابق ، المجلد ١ ، اللوحتان ٦٥ و ٦٦] العمود ١ ، السطران ٢٣ - ٢٤ ، الكتابة من وادي بريسا [فايسباخ ، كتابات نبوخذ نصر الثاني المنقوشة (١٩٠٦) ، اللوحة ١٢] ، العمود ٤ ، الاسطر ٥٠ - ٥٢ ؛ لانكلن كتابات الأبنية [١٩٠٥] ص ٨٢ و ١٥٨ ؛ فايسباخ ، المصدر السابق ، ص ١٧ ؛ فينكلر في شريدلر ، مكتبة الكتابات

المسمارية [١٨٨٩ - ١٩٠٠] ، المجلد ٣ ، ص ٣٣) .
وتتطابق خي - ال - بو - نم مع الارض البركانية حول حلبان شمال شرقي
حماء اما مو - او - خا - ام فهي بلاد سوخي الواقعة على القرات الاوسط
حيث يُشيد المؤلفون العرب في اغانيهم واشعارهم بالتبذ المصنوع في
ضواحي عانة .



الملحق الثاني

زنيوفون على الفرات الاوسط

ومن قدامى المؤلفين الكلاسيين يُقدم زنيوفون (زنيوفون) . وايسيلدور الكرنخي واميانوس مارسيلينوس وزوسيموس أكثر البيانات تفصيلاً عن الضفة اليسرى للفرات الأوسط .

وصف زنيوفون لطريق العشرة الاف

يصف زنيوفون (انابسيس ، ج ١ ، ص ٤ : ٦ - ١٠ : زحف المرتفعة الاغريق بقيادة قورش ، ابن دارا الثاني ، ضد أخيه ارتاكسيركيس الثاني مختزلاً شمال سوريا وبحذاء الضفة اليسرى للفرات الاوسط في ربيع عام ٤٠١ ق . م . فمن ميرياندروس وهي مدينة يقطنها الفنيقيون وبعد اربع مسيرات (اي عشرين فرسخاً) وصل قورش نهر خالوس . وهو نهر عرضه بلثرم (١) واحد وممتلئٌ بسمك كبير أليف . ومن هنا اندفع في خمس مسيرات (ثلاثين فرسخاً) الى منابع نهر دردس وعرضه بلثرم واحد ايضاً . وهناك وسط حديقة فسيحة رائعة ازدهرت فيها فواكه جميع الفصول قام قصر بليسيس حاكم سرورية . فأمر قورش باتلاف الحديقة وحرق القصر .

ومن دردس وصل في ثلاث مسيرات (خمسة عشر فرسخاً) (المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٤ : ١١) نهر الفرات الذي كان عرضه اربعة سنادات (٢) وتقع بجانبه مدينة ثيساكوس الكبيرة العامرة ، ثم عبر قورش النهر وحذا حذوه الجيش بأسره . ولم يصل منسوب الماء الى صدر اي منهم .

(١) بلزم : وحدة قياس تساوي ١٠١ قدم اغريقي اي نحو ٣٠ متراً . (المترجم)

(٢) ستاد : وحدة قياس تساوي ١٨٠ ميل انكليزي او ٦٠٠ قدم اغريقي .

(المترجم)

واكد سكان ثيساكوس انه ما من احد قط عبر النهر مشياً على الأقدام ، وانما كانوا يعبرونه دائماً بالقوارب وهذه كانت قد أحرقت مؤخراً بأمر من ابروكوماس . قائد ارتاكسيركيس للحيولة دون عبور قورش عليها . وبعد تسع مسيرات (خمسين فرسخاً) وصل الجيش الى نهر اراكسيس حيث وجدوا قرى متعددة وتجهيزات وفيرة من النبل والقمح (المرجع نفسه ١ : ٤ ، ١٩) .

واصل قورش تقدمه خلال بلاد العرب على الجهة اليسرى من الفرات وقطع خمسة وثلاثين فرسخاً في خمس مسيرات خلال منطقة مقفرة . وكانت المنطقة التي اخترقها مستوية كسطح البحر ومغطاة بغطاء كثيف من الاعشاب (نباتات الافسنتين ، . ولم يكن ثمة اشجار في اي مكان ولكن بدلاً من ذلك كثرت فيها الحيوانات وخاصة الحمر الوحشية والنعام وكذلك الحبارى والغزلان . وكان يمكن صيد الحبارى بسهولة عند مطاردتها بسرعة وذلك لانها لا تستطيع الطيران بعداً وتتعب بسرعة . وكان مذاق لحمها طيباً . وبعد اجتياز قورش هذه المنطقة وصل الى نهر مسكاس وعرضه بلثرم واحد هويجري حول مدينة كورسوته المعزبة من جميع اطرافها (المصدر نفسه ١٠ ، ٥ ، ١ : ٤٠٠) .

واخترقت المسيرات الثلاث عشرة التالية (تسعون فرسخاً) مناطق موحشة على الجهة اليسرى للفرات حتى بلایه حيث هلك الكثير من الحيوانات المسخرة جسوعاً . لان الارض كلها على مسافة كبيرة كانت جرداء ليس فيها عشب ولا احراش . وفي الغالب كانت المسيرات صعبة خاصة عندما كان الجيش يريد الوصول الى ماء او مرعى . وغطست العربات مرة في مستنقع منخفض ولم تستطع التقدم ابعد من ذلك ... وعلى الجهة الاخرى من الفرات (المصدر نفسه ١٠ ، ٥ ، ٥ : ١٠) في اتجاه الصحراء تقع بلدة خرمندي المزدهرة . . . وعندما تقدموا بالسير وجدوا آثار ما يقارب من الفي الحصان

كان راكبوها يتقدمون الجيش يدمرون ويحرقون كل شيء في طريقهم (المصدر نفسه ، ١ ، ٦ : ١) .

ومن بلاية اندفع قورش بثلاث مسيرات (١٢ فرسخاً) داخل بلاد بابل وفنش في منتصف ليلة اليوم الثالث كلا قواته من اليونانيين ومن الأجانب غير اليونانيين في احد السهول (المصدر نفسه ، ١ ، ٧ : ١) . ثم تقدم مسيرة يوم واحد (ثلاثة فراسخ) بتشكيل قتالي ظناً منه ان الملك العظيم سيشتبك معه في معركة في ذلك اليوم لانه وجد في منتصف مسيرته خندقاً يعمق ثلاث قامات وعرض خمس قامات حفرها الملك العظيم لتكون خطاً دفاعياً ضد الغزاة وتمتد عبر السهل مسافة اثني عشر فرسخاً حتى السور الميدي (ويضيف تعليق هنا انه وجد في المنطقة ذاتها اربع قنوات اخرى آخذ من نهر دجلة . وكانت هذه بعرض بلثم واحد وبعمق يكفي لمرور سفن محملة بالقمح وكانت تصب بالفرات ، وبين الواحدة والأخرى فرسخ واحد ويمكن عبورها بجسور) . وعلى ضفة الفرات بين النهر والخندق الذي امر الملك بحفره يوجد ممر ضيق قرابة عشرين قدماً عرضاً . وقد عبر قورش خلال هذه الفتحة الضيقة وهكذا خلف الخندق ورائه . ولما لم يواجهوا اية مقاومة ظن الملك وظن الآخرون معه انه ليس في نية الملك العظيم محاربتهم بعد وعليه تقدموا في اليوم التالي (الخامس منذ مغادرة بلايه) بحلر أقل (نفس المصدر ، ١ ، ٧ : ١٤ - ١٩) .

وفي اليوم الثالث (من زحفهم في تشكيل قتالي ؛ السادس من بلايه) تقدم قورش في عربة ومعه عدد قليل من الجنود على استعداد للقتال ، بينما سار الجزء الأعظم من جيشه دون اي تشكيل منظم . . . (المصدر نفسه ، ١ ، ٧ : ٢٠) . وكانت الشمس قد ارتفعت في السماء ولم يكن الموضع المقصود لضرب خيامهم بعيداً عندما اعلن بانتحياس الفارسي فجأة ان الملك العظيم يقترب مع جيش كبير في تشكيل قتالي . . . فقفز قورش من العربة

وامر الجميع بالتسلح وبأخذ مواضعهم . وتمّ ذلك بسرعة كبيرة .
وضع كليرخوس جناحه الأيمن بحيث يكون الفرات في مؤخرته . . .
(المصدر نفسه ١٠ ، ٨ : ١-٤) . وكان النهار قد انصف ولم يظهر
العدو بعد . ولكن لاحت بعد الظهر غمامة من غبار ايض . . .
(المصدر نفسه ١٠ ، ٨ : ٨) وتبع ذلك معركة سقط فيها قورش قتيلاً
(المصدر نفسه ١٠ ، ٨ : ٢٧) . . ولم يشأ كليرخوس مع جنوده
الاغريق سحب الجناح الأيمن من النهر ، الا ان ارياس
مع قطعاته من البرابرة على الجناح الايسر لم يستطع مقاومة الفرس وهرب
مخترقاً المخيم الى الموضع الذي كانوا قد زحفوا منه في الصباح . ويقال ان
هذا كان على بعد اربعة فراسخ (المصدر نفسه ١٠ ، ١٠ : ١) . واثناء
مطاردة ارياس قام الملك العظيم بنهب المخيم (الموضع نفسه) ثم استدار
لمحاربة جنود كليرخوس الاغريق . . . الا ان الجنود البرابرة بدأوا بالهرب . .
ولاحقهم الجنود الاغريق حتى بعص القرى . فتوقفوا هناك لانه
تراخت لهم وراء البلدة آفة تجمع فوقها ثمانية فرسان ملكيون . . .
(المصدر نفسه ١٠ ، ١٠ : ٤ - ١٢) . فعندما تقدم الاغريق ترك الفرسان
الآفة . . . تلك الآفة التي عند أسفلها توقف كليرخوس مع رجاله قبيل
غروب الشمس . بعد ذلك عاد الى المخيم المستباح حيث قضى الليلة
بأكملها واليوم الذي تلاها (المصدر نفسه ١٠ ، ١٧ : ١٧ - ١٩ ، ١٠ : ٢) .
وعندما اقترب المساء بدأ الاغريق بقيادة كليرخوس بالانسحاب ووصلوا
في منتصف الليل الى ارض مخيمهم الأسبق حيث التقوا بأرياس (المصدر
نفسه ١٠ ، ٢ : ٨) . وفي الفجر انطلقوا ثانية بحيث كانت الشمس على
يمينهم ظناً منهم انه بحلول غروب الشمس سيصلون الى قرى بلاد بابل .
وبعد الظهر ظن نفر قليل منهم انهم رأوا فرسان العدو في الافق البعيد . . .
الا ان هذا لم يحمل كليرخوس على الانحراف عن طريقه . . . انه اتبع

طريقاً مستقيماً في تقدمه حتى وصل الى القرى الاولى وقت الغروب تماماً مع حرس المقدمة (المصدر نفسه ، ٢ ، ٢ : ١٣ - ١٦) . وفي الصباح المبكر من اليوم التالي امر كليرخوس جنوده الاغريق بمواصلة الزحف في تشكيل قتالي . . . (المصدر نفسه ٢ ، ٢ : ١٨ - ٢١) . وفي اليوم التالي بعد شروق الشمس أقبل رسل الملك يعرضون الهدنة . وبعد فترة اعلن كليرخوس انه يوافق على الهدنة الا انه طلب ان يدلّ على مكان يستطيع الحصول فيه على مؤن (المصدر نفسه ٢ ، ٣ : ١ - ٥) . وعندما تم له ما اراد خرج كليرخوس لعقد الهدنة . فتقدم الجيش بتشكيل قتالي بينما تولى هو حماية حرس المؤخرة . وضع الاغريق اشجار النخيل المقطوعة سابقاً والمحفوفة هناك او التي كان لابد من قطعها على الترع العديدة وعلى القنوات المملوءة بالماء التي كان متعلماً عبورها دون جسور . وبهذه الطريقة وصلوا الى القرى حيث قدم لهم رؤسائها الطعام (المصدر نفسه ٢ ، ٣ : ١٠ - ١٤) وبعد توقعهم مدة ثلاثة ايام زارهم تيسافيرنس (الراجع نفسه ٢ ، ٣ : ١٧) الذي كان الملك العظيم قد أرسله مع رجال آخرين من الفرس وهو الذي عاد الى الملك في اليوم نفسه بعد التفاوض مع كليرخوس . ولم يعد في اليوم التالي . . . الا انه جاء في اليوم الثالث (المصدر نفسه ٢ ، ٣ : ٢٥) ليعقد معاهدة مع الاغريق ثم عاد ثانية الى الملك العظيم . وفي أعقاب ذلك انتظر تيسافيرنس لاكثر من عشرين يوماً (المصدر نفسه ٢ ، ٣ : ٢٥) ، بعدها استأنفوا مسيرتهم بإرشاده (المصدر نفسه ٢ ، ٤ : ١ - ٨) . وبعد ثلاثة أيام وصلوا الى مايسمتي سور ميديا ثم قطعوا الرقعة المحصورة به . ان هذا السور المبني بالطابوق المثبت بالقيصر والذي بلغ عرضه عشرين قدماً وارتفاعه مائة قدم كان طوله قرابة عشرين فرسخاً ولم يكن بعيداً جداً عن بابل (المصدر نفسه ٢ ، ٤ : ١٢) . ومن هنا قاموا بمسيرتين (ثمانية فراسخ) وعبروا قناتين ، احدهما على جسر دائم والأخرى على جسر مكوّن من سبعة قوارب . وتشعبت هاتان

القناتان من دجلة . . . ، وهو النهر الذي وصلوا اليه اخيراً ايضاً في موضع
يبعد ١٥ ستاداً اي حوالي ثلاثة كيلو متوات من سيتاس البلدة الكبيرة
المأهولة حيث ضربوا خيامهم (المصبر نفسه ٤٢ : ١٣ - ١٩) .

سأل كليرخوس رسولاً قدم إليه عن سعة المنطقة المحصورة بين دجلة
والقناة (ثانية) فأجابه بأنها بلاد واسعة فيها قرى كثيرة ومدن متعددة
كبيرة الحجم . فخشى الجنود البرابرة (٣) ان يقوم الجنود الاغريق بتدمير
جسور دجلة والبقاء في هذا البلدة الذي شكل جزيرة محصورة بين دجلة
والقناة ، وهنا يضمنون الطعام الوفير والأيدي العاملة لزراعة الأرض (المصبر
نفسه ٢ ، ٤ : ٢١ - ٢٢) .

ومع الفجر بدأ الاغريق بحذر شديد عبور الجسر المقام على دجلة واستند
الى نهر فيسكوس ، وعرضه بلثرم واحد وكان عليه جسر ، حيث
كانت تقع بلدة اويش الكبيرة (المصبر نفسه ، ٢ ، ٩ : ٢٤ - ٢٥) .
ومن هنا ساروا مخترقين ميديا واخيراً وصلوا بست مسيرات (٣٠ فرسخاً)
بعد اختراقهم مناطق مقفرة الى قرى تابعة لبريساتس والدة كل مسن
قورش والملك العظيم . . . (المصبر نفسه ٢ ، ٤ : ٢٧) حيث وجدوا
حبوباً وفاكهة وقوناً أخرى . ومن هناك بعد ان وضعوا دجلة على
يسارهم وصلوا بأربع مسيرات (٢٠ فرسخاً) مخترقين متعلقة وعرة الى
نهر زبناس ، الذي عرضه ٤ بلثرمات (المصبر نفسه ٢ ، ٤ : ٢٨ ، ٢٩ : ١) .

اعادة هيكل طريق العشرة الاف

ان الذي يهمننا من الطريق الذي وصفه زنيوفون هو الجزء الذي بين
ميسناء ميريانثروس على البحر الابيض المتوسط الى بلدة ثيساكوس

(٣) كانت كلمة البرابرة تستعمل عند الاشارة الى الجنود الاجانب غير الاغريق
في الجيش الاغريقي . (المترجم) .

على القرات بمحاذاة الضفة اليسرى لهذا النهر حتى الموضع الذي خسر فيه قورش الاصغر المعركة وفقد حياته . وعلى مسافة غير بعيدة عن هذا الموضع يفتقر الطريق عن القرات ويعبر دجلة عند ميتاس ويستمر على الضفة اليسرى للنهر الأخير حتى يصل عند بلدة اوبس الى رافده فيسكوس . وليس من السهل ان نحدد بدقة اكبر الطريق الذي اتبعه الجيش اذا كان علينا ان نعتمد على ملاحظات زنيونون فقط . فهو لا يعطي الاتجاه الا مرة واحدة ولا يذكر الا اماكن قليلة، ويشير الى مواقعها بصورة سطحية أجد . انه يحدد المسافات بالمسيرات اليومية والفراسخ . فلو كانت المسافات محددة بدقة والسجلات محفوظة لنا لكان اتباعها امراً سليماً، الا انه يبدو ان جنود المشاة الاغريق لم يقوموا بقياس المسيرات وانما تمّ تقديرها بصورة تقريبية فقط ؛ وفضلاً عن ذلك فمن المحتمل ايضاً انه قد طرأت تغيرات كثيرة على الارقام الاصلية عند انتساخها . فيورد زنيونون خمس مسيرات يومية طول كل منا اربعة فراسخ ؛ وسبعاً طول كل منها خمسة ؛ وتسعاً طول كل منها خمسة ونصف وخمساً على ستة فراسخ ؛ وثماني عشرة على سبعة فراسخ . ومن بين المسيرات الثماني عشرة الاخيرة كانت ثلاث عشرة منها خلال منطقة وعرة يكاد يتعذر اجتيازها وحيث لم يكن في مقدور انسان ولا حيوان التقدم مدة ثلاثة عشر يوماً بمعدل سبعة فراسخ يومياً

ويما ان زنيونون (المصدر نفسه ٢٠ ، ٢ : ٦ ، ٥ ؛ ٥ : ١) يحسب ثلاثين ستاداً للفراسخ الواحد فتكون المسافة بين تيساكوس والقرية التي قُتل قورش بالقرب منها ٥٩٤٠ ستاداً . ويسمي بلوتاوك في كتابة ارتوكسيركيين ، ٨ ، هذا الموضع باسم كوناكسا ويذكر انها تقع على بعد ٥٠٠ ستاد من بابل . وهذا يجعل تباكوس تبعد ٦٤٤٠ ستاداً عن بابل . غير ان إراتوشينس يضعها على بعد ٤٨٠٠ ستاد فقط عن بابل .

ان المسيرات اليومية هي اعظم خدمة لنا من الفراسخ بكثير في تحديد مواضع

الاماكن في العشرة آلاف . فـمـن يـلـايـه الـتي يـمـكـن تـحـديـد مـوقـعـها بـدقـة فـي ضـوء المـعـالـم الفـيزيـوغـرافـية الـى نـهـر اـراـكـيس — الـذي لا يـمـكـن ان يـكـون سـوى الخـابـور — تـكـون المـسـافـة ٣٥٥ كـيلـو مـتـراً . ويـثـبـت زـنيـوفـون هـذه المـسـافـة بـ ١٢٨ فرسـخاً ويـقـول ان الجـيـش قـطـعـها بـثـمـانـي عـشـرة مـسـيرـة . فـعـلـيـه يـبـلـغ طـول المـسـيرـة الواحـدة قـرابـة عـشـرين كـيلـو مـتـراً ، او سـبـعة فراسـخ ؛ وبـهـذا يـكـون الفـرسـخ ثـلاثـة كـيلـو مـتـرات فـتـقـط . وـهـذا عـلـى كـل حـال غـيـر صـحـيـح بـالنـظـر الـى مـراجـع اـخـرى . وـمـن نـاحـية اـخـرى فـان نـقـس التـطـابـق فـي عـلاقـة المـسـيرـات اليـومـية بـالمـسـافـات الحـقيـقـة ونـقـس التـبـايـن حـول طـول الفـرسـخ مـوجـود ايضاً فـي فـقـرات اـخـرى عـنـد زـنيـوفـون

موقع ثيساكوس

كانت نقطة بداية طريق زنيوفون هي ميناء ميرياندروس الذي تقع اطلاله ١٣ كيلواً متراً الى الجنوب الغربي من اسكندرون ؛ وكان هدفها الأول نهر الفرات عند مدينة ثيساكوس . ان اقصر خط بين ميرياندروس والفرات يبلغ طوله ٢١٠ كيلو مترات وذلك حتى منعطف النهر حيث يغير مجراه الجنوبي - الجنوبي الغربي مستديراً الى الجنوب الشرقي . ومن العبث البحث عن ثيساكوس جنوب او شمال هذا المنعطف لانه كان على زنيوفون ان يسير لمسافة ما بحذاء الضفة اليمنى للنهر ، ان روايته بأقلها تظهر بأنه لم يصل الى الفرات قبل وصوله الى ثيساكوس . إنه لم ينحرف الى الداخل باتجاه شمالي - شرقي لانه كان عليه حينئذ ان يعود بسحاذاة الضفة اليسرى وكان من المتعذر عليه بالدرجة نفسها ان يستدير باتجاه جنوبي شرقي لان ملمحة جبّول مع الأهواء المحيطة بها ، وكذلك المنطقة القاحلة المنقرعة الى الماء بين الأهوار والنهر ، تُجبر جميع القوافل القادمة من الغرب او الشمال الغربي على الذهاب الى الفرات عند المنعطف مباشرة فضلاً عن ذلك فنحن نكسـاد نـفـسـطـرّ الـى البـحـث عـن مـخـاضـة ثـيسـاكـوس

في المنطقة المجاورة تماماً لمنعطف الفرات عندما تقارن بين عبارتين لسترابون .
 اذ يكتب سترابون في (الجغرافية ١١ ، ١٢ ، ٣ : ، ١١ ، ١٤ :
 ٢) : عندما يغادر الفرات الجبال ويدخل سوريا يستدير باتجاه الجنوب
 الشرقي حتى بابل . . . والنص الثاني (المصدر نفسه ، ١٦ ، ١٦ : ١ : ١٣)
 مؤداه كالآتي : ثم يخترق الفرات طوروس ويجري حتى ثيساكوس . . .
 ينحدر مشكلاً خطاً فاصلاً بين سوريا السفلى وبلاد ما بين النهرين حتى بابل ، .
 لقد اوصلنا اريان الى المنعطف نفسه في كتابه (انابيسس ، ٣ ، ٧)
 اذ قال : عبر الاسكندر مع جيشه الى الجهة ومن هناك وضع الفرات وجبال
 ارمينيا على يساره وزحف في عرق البلاد مخترقاً بلاد ما بين النهرين
 حتى بلغ دجلة . ان الكلمات « وضع الفرات على يساره »
 تكون صحيحة اذا عبر الاسكندر الفرات عند المنعطف ثم استدار الى الشمال
 الشرقي ، لانه بهذا يكون قد رأى الفرات على يساره لمدة ثلاثة
 أيام بينما يكون امتداد النهر على يمينه قد اختفى عن النظر في اليوم الأول .
 اما لو كان قد عبر النهر في موضع أبعد الى شمال المنعطف او جنوبه لكان
 رآه على هذا الجانب وذلك لنفس الوقت تقريباً .

ويمكن ان نؤكد ايضاً موقع ثيساكوس عند هذا المنعطف من سترابون
 حيث يقول (المصدر السابق ، ١٦ ، ١ : ٢١ والسطر الذي يليه) ان المسافة
 بين الفرات ودجلة تكون على أبعدها عند سفح السلسلة الجبلية وان هذه قد تكون
 المسافة نفسها البالغة ٢٤٠٠ ستاداً التي حدها ايراتوستينس على انها المسافة من
 ثيساكوس — حيث كان في وقت من الاوقات جسر على الفرات — الى مخاضة
 دجلة التي عبرها الاسكندر . ان نظرة واحدة على الخريطة ترينا ان اعظم مسافة
 بالعرض لارض ما بين النهرين تقع بين منعطف الفرات الكبير ودجلة اسفل من
 جزيرة ابن عمر يحذاء قاعدة جبال طوروس . وان وحدة القياس المسماة ستاد
 عند ايراتوستينس كما يمكن استنتاجه من بليني : (التاريخ الطبيعي

١٢ ، ١٤ : ٥٣) ٥ و ١٥٧ م او ما لا يزيد على ٧٥ و ١٥٩ م طولاً ؛
وعليه فان ٢٤٠٠ ستاد تساوي نحو ٣٧٨ أو ٣٨٣ كيلومتراً ، وهي مسافة تتفق
أساساً مع المسافة بين المنعطف (ثيساكوس) الى مخاضة دجلة (حوالي ٤٠٠ كيلومتر) .
واستناداً الى سترابون (المصدر السابق ٢ ، ١ : ٢١ و ٢٦ وما بعده و ٣٦)
فان ايراتوستينس حدد المسافة بين ثيساكوس وبابل بمحاذاة الفرات بـ ٤٨٠٠
ستاداً مما يعادل ٧٥٦ أو ٨ و ٧٦٦ كيلومتراً . فلو قسنا الطريق المستخدم حتى
يومنا هذا بحذاء الضفة اليسرى للفرات لوصلنا الى الكيلومتر ٧٦٥ أعلى النهر من
بابل عند خربة سموما في المنعطف مدار البحث نفسه . وكان هذا الطريق
مطروفاً كثيراً في زمن الاسكندر والسلوقيين الأوائل بحيث يجوز الافتراض
انه قد تمّ قياسه بدقة . وعليه فان الرقم ٤٨٠٠ ستاد يمكن ان يكون قد
أصبح متداولاً . ومن هنا فان هذا يبرر اشارتنا الى هذه المصادفة وفي
تحديدنا لموضع مخاضة ثيساكوس عند خربة سموما .

ويستشهد سترابون (المصدر السابق ٢ ، ١ : ٢٦) بقول ايراتوستينس الذي
يحراه ان المسافة المقيسة شمالاً من ثيساكوس الى البوابات الارمنية قيل انها
١١٠٠ ستاد . واذا اتبعنا خطأ مستقيماً لمسافة ١١٠٠ ستاد او ما يقارب ١٧٣
كيلومتراً شمالاً من سموما بخط مستقيم وصلنا الى مقربة من مخاضة زوكا
القديمة قرب شمشاط في كُماجين ، أي ١٦٦ كيلومتراً فعلاً شمال
سموما . فيبدو إذن أن زوكما هذه لا بد أن شكلت أبعد نقطة في منح مباشر
من ثيساكوس باتجاه شمالي لان سترابون في موضع آخر يذكر ان المسافة الى هناك
بحذاء الفرات لا تقل عن التي ستاد (المصدر السابق ١٦ ، ١ : ٢٢) . على ان هذا
الأخير ليس إلا بياناً سطحياً وبضلاً تماماً كما يتضح من السياق لان المسافة الحقيقية
من سموما الى شمشاط بمحاذاة النهر ليست ٣١٥ كيلومتراً أو ٢٠٠٠ ستاد
بل انها ٢٤٠ كيلومتر أو ١٥٠٠ ستاد . ولهذا فان كلمة لا ينبغي حذفها من
النص فيصبح « اقل من التي ستاد » .

ان البرهان على موضع ثيساكوس على منعطف الفرات الذي تكون المسافة منه الى البحر الابيض المتوسط أقصر من اية نقطة تدعّمه ايضاً قصة اريستوبولوس (اريان ، انابسيس ٧ ، ١٩ وسترابون ، المصدر السابق ، ١٦ ، ١ : ١١) مفادها ان الاسكندر أمر ان تصنع له قوارب في فينيقية وفي جزيرة قبرص ونقلت مفككة الى ثيساكوس التي تبعد مسافة سبع واصل حيث تم تركيبها وعلقت منجولة في النهر الى بابل. فلما صنعت هذه القوارب في ميرياندروس التابعة للفينيقيين او في قبرص ومن هناك سُلّمت في موقع الاسكندرون لأمكن نقلها على عربات او حيوانات التحميل الى ثيساكوس في سبعة أيام. وإن المسافة بأسرها ، اذا اتبعنا الطريق الحالي ، تبلغ ٢١٠ كيلو متر التي لو قطعت في سبعة أيام لجعلت من الضروري ان تكون السرعة ٣٠ كيلومتراً لقافلة من الحيوانات. الا ان هذه المسافة يمكن تقصيرها لو تم ازالة هذه الحمولة من القوارب في نهر الاورنتس في موقع انطاكية المتأخرة. ان سرعة ثلاثين كيلومتراً يومياً هي السرعة القصوى لقافلة محملة حمولة ثقيلة في رحلة تستغرق طويلاً.

واكد ايضاً بطليموس بصورة غير مباشرة موقع ثيساكوس عند المنعطف عندما نقارن بياناته بما ذكره المؤلفون العرب والسكان الحاليون. فاستناداً الى بطليموس (الجغرافية ٥ ، ١٥ : ٧) ، تقع ثيساكوس على حدود سوريا وبلاد العرب. واستناداً الى الكتاب العرب فان بلدة بالنس الواقعة في منعطف الفرات على بعد ستة كيلومترات من سموما تؤثر ايضاً الحدود بين بلاد العرب وسوريا.

ويجيد إدنست هرتزفلد (ساره وهرتزفلد ، رحلة آثارية ، [١٩١١] ، المجلد ١ ، ص ١٤٣ وما بعد) موقع ثيساكوس عند تل ثنين الذي يبعد ٦٦ كيلومتراً شرقي سموما وليس بعيداً عن الرقة ، على موقع نيقفوريم القديم. ويحدد طول الطريق الحالي من الاسكندرون الى تل ثنين من طريق حلب

به و ٣٢٧ كيلومتراً ويذكر (المرجع نفسه ، ص ١٤٥) ان القافلة تكمل الرحلة في الوقت الحاضر في سبعة أيام فقط . ان هذا ، على كل حال ، غير صحيح لانه لا تستطيع اية قافلة بحمولة ثقيلة قطع المسافة المطلوبة وقلدها ٤٧ كيلومتراً يومياً وخاصة في منطقة جبلية و متموجة كذلك التي بين الاسكندرون وحلب او بين خان الشعر وتل ثديين .

وعلاوة على هذا يناقش هرتزفلد (المصدر نفسه) انه لا بد ان يكون

ثيساكوس قرب نيقفوريم على الاسس التالية : انه يرجع الى بليني (المرجع السابق ، ٦ ، ١١٦) الذي يقول ان نيقفوريم لا تقع بعيداً عن القرات وهي التي بنيت بأمر الاسكندر لموقعها الملائم . كذلك يستشهد باينسليور الكرخني الذي يذكر ان الاسكندر سار على طريق نيقفوريم (الرقة) . وبما ان الاسكندر عبر القرات عند ثيساكوس فان هذا يحمل هرتزفلد على الاستنتاج ان ثيساكوس لا بد ان كانت قرب نيقفوريم لان الاسكندر لم يؤسس مدناً الا في المواقع التي زارها بنفسه . وقبل التسليم بهذا ، على كل حال ، فمن الضروري اثبات ان الاسكندر أسس فعلاً جميع المدن التي تدعى ذلك لنفسها ، واثبات ايضاً انه زارها شخصياً . ومن المؤكد ايضاً ان حكاهما آخرين ، وليس الاسكندر وحده قد نُسب اليهم فضل تأسيس نيقفوريم . وعلى هذا فان المناقشة هذه حول موضع ثيساكوس تفقد كل اهميتها . ويلاحظ بليني نفسه (المرجع السابق ، ٣٤ ، ١٥٠) ان الاسكندر عبر نهر القرات على الجسر الذي عند زوكما ، على ان هذه النقطة بعيدة جداً عن نيقفوريم وعن تل ثديين هرتزفلد موضع ثيساكوس . وعلاوة على ذلك واستناداً الى هرتزفلد (المرجع السابق ص ١٥٣) الذي يتقبل تطابق ثيساكوس التي ذكرها زنيوفون مع تلك التي ذكرها بطليموس . ان بطليموس استخدم دائماً المادة العلمية التي تراكمت اثناء مسيرات الاسكندر ، ولهذا السبب فان تحديده لموقع ثيساكوس بالنسبة لطريق الاسكندر وبالنسبة لنيقفوريم يجب ان يكون حاسماً في تحديد الموقع الحقيقي لثيساكوس .

ومع ذلك فإن بطليموس لا يضع المدينة شمال شرقي نيقفوريوم بل بعيداً الى الجنوب الشرقي منها ، وبهذا فانه يستبعد امكانية قيام الاسكندر بالسير من ثيساكوس الى المدينة الأخيرة .

وتقع سموما على الحدود الجنوبية الشرقية للمنطقة المأهولة وتشكل ملتقى طرق هام تؤدي من القرأت الى سوريا وبلاد ما بين النهرين الحصية . اذ غادرت القوافل القادمة من بلاد بابل او بلاد ما بين النهرين الفرات عند ثيساكوس (سموما) وتقدمت مخترقة منطقة آهلة ومزروعة اما غرباً الى خالسيس او شمالاً غربياً الى يبرويا وشمالاً الى بيميس (هيرابوليس) . وبما ان السهل الفيضي عند سموما عريض الى حد ما فان المر المؤدي الى المجرى سهل على كلا الجانبين هنا ؛ وبما ان النهر ذاته عريض جداً ايضاً فان عبوره ليس صعباً ؛ وحتى يومنا هذا تستخدم القوافل التجارية المخاضة وكذلك تستخدمها القبايل الرحل . ومقابل سموما على الضفة اليسرى لنهر الفرات ينتهي الطريق الذي يؤدي من جهة الشمال الشرقي الى حرّان (كرمي التي من المحتمل ان يكون الاسكندر العظيم مرّ بها في تقدمه . ازدهرت بلدة ثيساكوس ما دامت بلاد بابل وما بين النهرين وسوريا .

تدين بالطاعة لملك واحد ، وخربت عندما انفصلت هذه الاقطار بعضها عن بعض وكانت هذه هي النتيجة الطبيعية لموقعها على الحدود الجنوبية الشرقية لسوريا الأصلية . وحالما حصلت تدمير على نوع من الاستقلال سعت ونجح مجهدها في السيطرة على الطرق التجارية من بلاد بابل ومن جنوب ووسط بلاد ما بين النهرين الى البحر الابيض المتوسط . وهكذا اضمحلت اهمية مخاضة ثيساكوس بشكل لا يمكن تعويضه . ولم يساعد الحكام المحليون الصغار تدمير في سياستها هذه فحسب بل ساعدها رؤساؤهم الملوك البارثيون الكبار الذين ارادوا ، ان لم يكن لأي سبب آخر ، فللوانع سياسية صرفة ان يروا تدمير تزداد قوة كدولة عازلة . وعندما جعل البارثيون نيقفوريوم مركزهم التجاري اخذ النقل التجاري من مصر ومن جنوب ووسط سوريا يمر خلال

ويتم عبور الفرات بالقرب من نيقفوريوم . ثم لو كانت ثيساكوس القديمة مطابقة لثديين ، لكونها على خط التجارة هذا ، لازدهرت في هذه الفترة ايضاً ولما كسان لأهلها . مساييرر مغادرتها وبناء سورا عسلى بعد سبعة كيلومترات الى شرقها . ان الأرض المحيطة بثديين تساوي في انتاجها المنطقة المجاورة لسوريا في الوقت الذي تكون فيه مخاضة ثديين اسهل بكثير من مثيلها في البلدة الأخيرة . ولكن اذا كانت ثيساكوس واقعة عند المنعطف في سَموما فان إنحلالها في ظل الظروف السياسية المتبدلة هو أمر سهل فهمه . وركزت نيقفوريوم وسورا فسي ابديهما جميع تجارة الأمباطورية الباثية والدول التدمرية ؛ وكان لامباطورية السلوقيين المتداعية الى الشمال الغربي والشمال الشرقي مدينتا سلوقية وافاميا مراكز تجارية لها ؛ وهكذا حدث ان مخاضة ثيساكوس القديمة الواقعة على الحدود بين هاتين الدولتين غير الصديقتين أخذت تتحاشاها القوافل بالتدريج . ولهذا السبب لم يعطنا اي مؤلف كلاسيكي موضوع البلدة الصحيح الذي من المحتمل ان يكون أجربائها قد استعمل في بناء بلدة بربايسسوس التي تبعد مسافة ثلاثة كيلومترات الى الجنوب الشرقي فيها . (وللمزيد من المناقشة عن ثيساكوس ، انظر ما يلي ، الملحق ٨) .

فيريا نديروس الى ثيساكوس

اذا رجعنا الى زينوفون نلاحظ ان الجيش استغرق اثني عشر يوماً في قطع المسافة من ميريانديروس الى ثيساكوس (سَموما) . فبعد الايام الاربعة الاولى وصل الى نهر خالوس . ولابد ان يكون هذا نهر عفرين ؛ وربما كان خالوس ايضاً اسم البلدة الواقعة على ضفتيه . وفي غالب الاحتمال عبر الجيش هذا الجدول حيث تقع مراتا كوى الحديثة . ان المسافة من ميريانديروس ، من طريق ممر ييلان مع الانحراف الضروري خلال الوادي الذي تتخلله المستنقعات ، الى مراتا كوى هي ٦٥ كيلومتراً ، مما يتطلب من القطعات الاغريقة

شرعة ستة عشر كيلومتراً يومياً وهو إنجاز يمكن تصديقه اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار مئات الامتار التي كان عليهم صعودها ثم الهبوط منها .

ومن جالوس وصلوا بعد خمسة أيام الى منابع نهر دروس . وبما ان زفيروفون يقول ان عرض هذا النهر كان بلترماً واحداً فمن الواضح انه يبلغ في ذلك وان الجيش لا يمكن ان يكون قد بلغ المنبع الاصل ، بل ربما كان عند ملتقى جدولين يتدمجان فيشكلان النهر . وفي هذه الحالة نستطيع البحث عن « منابع دروس في الموضع الذي يلتقي فيه رافدان فعلاً » ليكونا نهر ذهب . وعلى الرافد الغربي تقع قرية يطلق عليها الآن ابو ططل ولكنها كانت تعرف في العصور الوسطى طرطر (ياقوت ، المعجم ، [فستقلد] مجلد ٣ ص ٥٢٩) ؛ ويمكن اعتبار هذا هو الاسم الاغريقي لدرس (او درو حسب بعض المخطوطات) . فتكون حينئذ المسافة من خالوس (مرانا كوى) الى دروس (ذهب) حوالي تسعين كيلومتراً بضمنها مسيرة طويلة ثمانية عشر كيلومتراً يومياً خلال منطقة تكثف فيها التلوي وكاد يتعذر عبورها في بعض الاماكن .

ومن دروس وصل الجيش الى الفرات عند ثيساكوس في ثلاثة أيام . ولما كانت بداية نهر ذهب لا تبعد الا ٥٥ كيلومتراً من سموما فان مسيرة اليوم الواحد هنا تبلغ تسعة عشر كيلومتراً ؛ ونستطيع ، على كل حال ، الافتراض ان آخر مسيرة كانت أقصر بكثير من الاخريات ، تماماً كما كانت عليه الحال قبل الوصول الى خالوس ودرس . ان مسيرة يوم الوصول تحتسب دائماً يوماً كاملاً .

ثيساكوس الى بلاية

وعند ثيساكوس خاض الجيش الفرات الذي يبلغ عرضه هنا اربع ستادات (اي حوالي ٦٤٠ م) وتقدم بحسابه نصفه اليسرى حتى وصل

الى نهر اراكسيس في تسعة أيام . واستناداً الى زنيوفون فان هذا النهر يمثل الحدود بين سوريا وبلاد العرب وتقع على طول ضفتيه عدة قرى غنية . ومن الواضح ان اراكسيس المذكور عند زنيوفون هو نهر خابوراس او الخابور ، الذي يشكل الخط الفاصل بين منطقتي البلو والحضر . ومن المحتمل ان الاسم « اراكسيس » ذاته قد اشتق من التسمية العربية للقناة الفعلية التي تجلب الماء من الخابور الى بلدة كورسوته القديمة . وكانت هذه القناة ، التي كانت معروفة قبل ذلك لدى الملك الآشوري توكولتي اينورثا الثاني ، تدعى في العصر الوسيط كما تدعى اليوم دورين وكانت تصب في الفرات عند سفح صخور العرصي او العرصي . ان كلمة اراكسيس هي النقل الاغريقي لحروف الكلمة العربية عراسي (عرصي في اللهجة الدارجة) ، تماماً ، كما يطابق الاسم الاغريقي لنهر اكيوس الاسم العربي عاصي . وهكذا حوّل زنيوفون التسمية العربية للقناة المتفرعة من الخابور والتي تابعها مدة خمسة أيام حتى وصل الى نهر الخابور نفسه الذي عبره الجيش . والآن وبما ان المسافة من ثيساكوس (سموما) بمحاذاة الفرات الى اراكسيس (الخابور) هي ٢٤٠ كيلومتراً فلا بد ان الجيش كان يسير ستة وعشرين كيلومتراً يومياً ، وهو إنجاز غير اعتيادي حقاً . فليس من جيش يمكنه الاستمرار بالزحف مسافة ستة وعشرين كيلومتراً لأية فترة من الزمن .

ان كلنا ضفتي الخابور الأسفل وكذلك الضفة اليمنى لقناة دورين مغطاة بالخرائب وخصبة الى هذا اليوم . ومن الخابور سار قورش على الضفة اليمنى للفرات مدة خمسة أيام الى خرائب بلدة كورسوته التي يحيط بها من كل جانب نهر ما سكاس . - ان « كورسوته » (كورسوته هي الشكل الارامي للكلمة العربية عراسي (اراكسيس)) وهو اسم التصق بالبلدة التي سبق ان سكنها الآراميون ، ويظهر ان سكان البلاد في زمن زنيوفون كانوا يتلفظون الكلمة الآرامية « كورسوته » بالطريقة العربية « عراسي » . ويمكن البرهنة على ذلك من استخدامهم هذه التسمية بشكل « اراكسيس » بالنسبة الى القناة .

ويظهر من السياق ان بلدة كورسوته كانت تقع عند الطرف الجنوبي

الشرقي من سهل خصب ؛ ولذا يجب البحث عنها في سفح صخور العرصي
الشديدة الانحدار . ويمتد على الضفة اليسرى للفرات بين الخابور والعرصي
سهل فيضي منبسطة تبرز منه اكمام خرائب وهي بقايا مدن متعددة . وخلال
النصف الشرقي لهذا السهل تجري قناة دورين (اراكسيس) بصورة متعرجة .
وهي الآن جافة تماماً . اما النصف الغربي فمتخذ بعدد لا يحصى من ترع
اروائية قديمة وحديثة تتشعب عن الفران ودورين (اراكسيس) ، مما يشكل
عائقاً كبيراً للسير والنقل على حد سواء . ونظراً لهذا يتبع الطريق التجاري ضفة
القناة اليسرى وهي الترم جيش قورش باتباعها ايضاً . ويمكن وصف
هذا الشريط من السهل على انه مقفر حقاً خاصة اذا قام الخيالة الفرس بطمر قناة
اراكسيس في بدايتها الاولى بطريقة محكمة بحيث لا يستطيع الماء الجريان فيها .
ان « نهر » ماسكاس او بالأحرى القناة الاروائية لم تشعب من اراكسيس
الذي كان فيما يظهر جافاً تشعب من الفران واحاط ببلدة كورسوته المخربة .

وينطبق وصف هذه البلدة على خرائب الطاوي الواقعة على سفح صخور العرصي
التي يجري حولها من كل جانب خندق قديم يمتلئ بالماء في موسم الفيضان
فقط . يفترق الطريق هنا عن السهل الفيضي مخترقاً التلال الوعرة بحذاء ضفة
النهر . ان المسافة من النقطة التي وصل فيها قورش الى اراكسيس (الخابور)
الى كورسوته (الطاوي) هي ٩٠ كيلومتراً ، وهذا يعني سرعة ثمانية عشر
كيلومتراً لمسيرة يوم واحد ، اذا استبعدنا الامكانات المتمثلة في ان مسيرة اليوم
الآخير ربما كانت اقصر من المسيرات الأخرى ، وان الجيش لا بد انه كان
متعباً اذ ذاك ، وان عبور الخابور استغرق بعض الوقت .

ومن كورسوته سار الجيش الى بلابة (« البوابات ») في ثلاثة عشر يوماً .
وهذا يؤدي بنا الى حيث ينتهي تشكيل صخري في الدور الثالث من التكوين

ويبدأ السهل الغربي لبلاد بابل فسي نقطة مؤشرة على الضفة اليمنى للفرات بألف جبل العفة الصخري وبصخور الأسود على الضفة اليسرى ولذا يمكننا البحث عن بلابة التي اشار اليها زنيوفون عند الممر الواقع على السفح الشرقي للجرف الصخري الأخير .

ان الصورة التي رسمها زنيوفون لهذا الجزء من وادي الفرات مطابقة للطبيعة . فالضفاف بالقرب من ذلك المكان تشكلت من الاجراف الصخرية المسامية العالية التي تحتوي على كثير من الجبس المتبلور ، والمشطرة بأخاديد عميقة وقصيرة لا تحصى . ففي بعض الاماكن وعلى مسافة كيلومترات متعددة يرتطم ماء الفرات بسفح الصخور العالية على الضفة اليسرى ولا يترك مجالاً للطريق الذي يجب ان يتبع مساراً بعيداً عن النهر على ارض صخرية وخلال أخاديد . وحيث تنحدر الاخاديد الى الفرات تتكون خلجان مستقيمة غالباً ما يتعذر عبورها . وفي ارض هذه طبيعتها لا يمكن ان تكون المسيرات اليومية بأطوال متساوية لان الجيش لابد ان يكون قد احسن التدبير للوصول ، إن لم يكن كل يوم فعلى الأقل بين يوم وآخر ، الى خليج كبير نوعاً ما حيث يستطيع الحصول على الماء والمرعى .

ويتضح من السياق ان بلدة خرمندي لابد انها كانت تقع بالقرب من بلابة . واكد هذا سوفينيتس الذي اسهم في حملة قورش ووصفها اسطيفان البيزنطي (علم الأجناس [ما ينكة I ، ص ٦٨٩) . ويبدو ان الاسم يتألف من كرم وإندي . ان كرم هي كرماء الآرامية وكرم العربية وتعني بستان العنب ؛ اما اندي فهي الاسم الأصلي للبلدة . ويسجل بطليموس (الجغرافية ج ٥ ص ٨ : ٧) في نفس المنطقة تقريباً بلدة اسمها ادغيا وربما حل الحرف المشدد محل الأصلي . وتقع جنوب غربي صخرة الأسود على الضفة اليمنى للفرات خربة عدّي الضخمة التي تطابق باسمها وكذلك بموقعها خرمندي التي يشير اليها زنيوفون . ومقابل هذه الخربة على الضفة اليسرى يمكن رؤية بقايا بناية محصنة تحصينا قوياً ؛ فهناك على المنحدرات الصخرية شرفات واكوام حجارة من بساتين الكروم

القديمة . ومن المحتمل جداً ان كلا البناية وبساتين الكروم كانت تابعة لبلدة اندي وانه على خريطة بلاد ما بين النهرين التي نقلها بطليموس حُدِدت بلدة ادنيا على الضفة اليسرى للفرات . ان كل بلدة كبيرة على الضفة اليمنى حتى يومنا هذا لها ضاحية ما على الضفة اليسرى المواجهة لها ، ولا يفرق الأهليون بين الضفة اليمنى واليسرى عند التحدث عن مثل هذه المدن .

ان المسافة من كورسوته (الطاوي) ابى بلايه (الاسود) هي ٢٦٥ كيلومتراً ، مما استلزم ان يقوم جيش قورش بقطع مسافة تزيد بقليل على العشرين كيلومتراً يومياً برغم ان هذه المسيرات لم تكن دائماً متساوية الطول لاسباب شرحناها سابقاً .

بلاية الى كوناخا

ومن بلاية سار الجيش بحذاء الضفة اليسرى لنهر الفرات حتى وصل ساحة المعركة التي امتدت ، استناداً الى بلر تارك ، فاحاطت ببلدة كوناخا التي تبعد مسافة خمسمائة ستاد عن بابل . ان مسافة خمسمائة ستاد او ثمانين كيلومتراً من بابل بحذاء الضفة اليسرى للفرات توصلنا الى خربة القنيصة على بعد اربعة كيلومترات من النهر . وقنيصا ، او قنيصة في اللغة الدارجة ، هي الاسم المصغر لقناصا ، وهذه ايضاً هي الصيغة العربية للكلمة اليونانية اذ ان حرف الصاد يقابل حرف الـ اليوناني . واذا تابعنا زينوفون ايضاً نصل الى ضواحي القنيصة المباشرة . ان المسافة من الاسود (بلاية) الى القنيصة هي تسعون كيلومتراً ، وتلك مسافة تطلب من الجيش ان يقطعها في ستة ايام بمعدل خمسة عشر كيلومتراً لليوم الواحد . ويجب الا يغيب عن البال حقيقة ان المسيرة اخترقت في شطرها الثاني سهلاً غربياً تتخلله ترع قديمة وحديثة متعددة بالإضافة الى عبور اربع قنوات كبيرة . وكانت المسيرات في الايام الثلاثة الاولى اطول منها في الايام اللاحقة وخاصة اليوم الرابع عندما كان الجيش بكامل اهبطه للقتال وكان عليه ان يخترق مراً يكاد يصل عرضه الى عشرين

قدماً وذلك بين الفرات والخنديق الذي حفره الفرس لعرقلة تقدم العدو .
 وفيما وراء الاسود (بلاية) كان السهل الغريني ولا يزال متخدداً بترع
 متعددة الا انه لم يكن من الضروري عبورها اثناء مسيرات الأيام الثلاثة الاولى .
 فالطريق اتبع سفح الاجراف للدور الثالث من التكوين الصخري . فلو
 سلمنا بان الجيش قطع ثمانية عشر كيلومتراً يومياً في المسيرات
 الثلاثة الأولى من بلاية (الأسود) ومسن المؤكد انهم لم يستطيعوا
 اكثر من ذلك اذ كان لزاماً عليهم ان يكونوا في حالة استعداد لهجوم مفاجيء
 فقد كانت آثار خيالة العدو ظاهرة للعيان ، فكان لا بد من استراحتهم في
 نهاية المسيرة الثالثة قرب الوشاش في منخفض الخور . وينحدر هذا المنخفض
 الذي يبلغ عرضه ستة كيلومترات الى الشرق ويجري خلاله الوشاش الذي
 يعرف أيضاً بالقدمة . والوشاش ليس قناة حقيقية الا انه فرع طبيعي من الفرات
 يستمد منه الماء بقناتين . وإلى الجنوب من منخفض الخور فوق الضفة اليسرى
 للفرات تبرز هضبة في الدور الثالث من التكوين الصخري يصعب الى حد ما
 ارواؤها او زراعتها . ولعل الجيش اضطر في اليوم الرابع الى العبور على جسر
 في موضع هو الآن المجرى الشمالي للوشاش ومن ثم عليه ان يمر خلال الفتحة
 الضيقة بين الفرات والترعة المحفورة حديثاً . ولما كانوا على أهبة القتال فلم يكن
 في امكانهم قطع مسافة كبيرة . وبما ان زينوفون نفسه يقدر مسيرة اليوم الرابع
 بما لا يزيد على ثلاثة فراسخ فلدينا ما يبرر الاعتقاد بان المسيرة لم تزد على عشرة
 كيلومترات .

ان الخندق وعمقه ثلاث قامات (٥ م) وعرضه خمس قامات (٨ م)
 الذي وصل اليه الجيش في نحو منتصف المسيرة الرابعة ربما كان المجرى
 الجنوبي الحالي للوشاش الذي — استناداً الى زينوفون — إما كان قد حُفر حديثاً
 او ربما كُري قبل وصول قورش بفترة قصيرة ، ولم يكن بلا ريب مجرد خط
 دفاعي ضد الغزاة بل كان أيضاً لأغراض اروائية . ومهما يكن من امر فانه لم

يكن متصلاً بالفرات بعد ، ومن ثم لم يكن فيه ماء . لذا استطاع جيش قورش العبور من الشريط الارضي المتبقي بين التندق والفرات . ويقدر زينوفون طول الخندق بإثني عشر فرسخاً او حوالي ثلاث مسيرات .

وحسب تقديرنا لمعدل السير المحتمل فلا بد ان الجيش عسكر بعد اليوم الرابع من بلاية (الاسود) بالقرب من مدخل قناة الازرقية الحالية ، وبعد المسيرة الخامسة شرقي مدخل قناة دفّار (العيساوي) تماماً . لذا يمكن الافتراض ان الاغريق قطعوا ١٦ كيلومتراً في المسيرة الخامسة (ولم يحدد زينوفون طولها) و ١٤ كيلومتراً في السادسة (ويؤكد زينوفون ان طولها قليل انه اربعة فراسخ ، (المصدر السابق ج ١ ص ١٠ : ١) . ان المسيرة السادسة هذه اوصلتهم تقريباً الى الموضع الذي كانوا ينوون اتخاذه معسكراً لهم (المرجع نفسه ، ج ١ ص ٨ : ١) الا ان المعركة بدأت في عصر ذلك اليوم . ان خطر المعركة لا بد ان كان قد حدد ليكون الى الشرق من الارض التي كانوا ينوون اتخاذاها معسكراً لهم لان الجيش الفارسي في ملاحقته اربابوس اكتسح المخيم الاغريقي ونهب الأمتعة التي كانت قد تركت هناك حين خاضت قطعانهم المعركة (المرجع نفسه ج ١ ص ١٠ : ٥) . ويبدو ايضاً ان هذا الموضع كان المخيم الذي عن طريقه تراجع كليرخوس بعد المعركة (المرجع نفسه ، ج ١ ص ١٠ : ١٧) .

ان تقديرنا لطول المسيرات الست الاجمالي من بلاية (الاسود) الى كوناصا كما اورده زينوفون يوصلنا الى خربة التقيصة . وبما ان كليرخوس لاحق الفرس بعد المعركة حتى « قرية معينة » (كوناصا) الواقعة بجانب احد التلال (المرجع نفسه ج ١ ص ١٠ : ١١ - ١٢) ، فيمكن الافتراض ان الموضع القتالي للاغريق بجنتاهم الأيمن على الفرات لا بد ان كان حوالي خمسة كيلومترات جنوب شرقي كوناصا .

كوناصا الى الزيتاس

ومن كوناصا (القنيصة) عاد الاغريق الى موضع المخيم عند مدخل قناة الدفّار (الميساوي) ومن هناك لابد انهم بدأوا عودتهم—إما الى الشمال او الى الشمال الشرقي ، لان الشمس عند الشروق كانت على اليمين ، بحثاً عن قسرى بابلية لم تنهب بعد ، وهذه لا تكون الا في شمالي الفرات وقد وصلوا اليها قرب الماء .

و يتفق مع تحليلنا موقع ارض المخيم الأغريقي بالقرب من قناة الدفّار ما ورد في رواية زينوفون بشأن المسيرة كذلك في ما يتعلق بطوبوغرافية البلد ايضاً . فعلى مسافة اربعة كيلومترات شمالي الدفار يبدأ المرتفع الصخري القاحل الذي يرجع للطور الثالث من التكوين الصخري . وبما ان القرى الواقعة على الفرات كانت قد نهبها خيالة الملك العظيم نهباً تاماً فلم يستطيع الاغريق العثور على أية أرزاق في الشريط الخصب الذي يبلغ عرضه قرابه اربعة كيلومترات ممثلاً بمحاذاة النهر هنا ، ولا على اية قرية على المرتفع المجاور فقد كانت القرى تقع قرابة سبعة عشر كيلومترات بعيداً من هذا الموضع وذلك في منخفض الخور بجوار تل خربة الأشهابي الحالية ، ففي هذا المنخفض المزروع والمتج الآن وكذلك بين موقع الأشهابي وخربة أم قتيمة عند السور الميدي كانت هناك قرى بابلية غنية حيث ادّخر الاغريق مخزوناً من الأرزاق .

وحتى هذا الموضع كان في مقدورنا تتبع المسيرة التي وصفها زينوفون بدقة ، اذ لم يكن دليلنا في ذلك ما ورد في زينوفون فحسب بل والفرات كذلك الا انه شمالي ارض المخيم في الدفّار غادر زينوفون النهر دون ان يذكر الاتجاه او المسافة التي قطعها الجيش قبل وصوله الى السور الميدي في المسيرة الرابعة من القرى البابلية .

وفي المسيرتين من السور الميدي الى جوار ستياس لم يحرز الاغريق تقدماً

كبيراً اذ كان عليهم عبور قناتين ؛ وكانت المسيرة الثانية ، استناداً الى سياق الحوادث ، قصيرة جداً . فقد كان السير آنذاك ، ولا يزال ، صعباً جداً لانه يتخلل الارض في تلك المنطقة عدد لا يحصى من الترع القديمة والحديثة المتقاطعة .

ومن الجدير بالملاحظة ان زينوفون الذي تتفق اوصافه للبلاد عموماً مع الوقائع جعل جميع القنوات البابلية آخذة من دجلة في الوقت الذي يحتمل فيه ان جميع القنوات التي اضطر الى عبورها كانت تأخذ مياهها من الفرات وتصب في دجلة كما هو شأن قناة باتي بيل (انظر ما تقدم ، ص ٩) .

ويكتب في (انابسيس ، ج ٢ ص ٤ : ١٣) ان الاغريق فيما وراء السور الميدي عبروا قناتين آخذتين من دجلة . غير ان موقع الارض يكاد يجعل من المستحيل لقناتين من هذا النوع ان تأخذوا من دجلة في هذه المنطقة في الوقت الحاضر ، ويصبح هذا دون ريب في عهد زينوفون . وهناك امكانية ضعيفة جداً ان تكون القناة العليا او الثانية قد أخذت من دجلة على مسافة تسعين كيلومتراً في الأقل شمالي النقطة التي من المفروض ان عبرها الاغريق بالمنطقة المجاورة لمصب نهر فيسكوس ؛ ولكن في هذه الحالة كان من الضروري تقوية ضفتها اليسرى بسد كبير ليمنع مياهها من الانصمام ثانية الى دجلة في مكان ما بالقرب من موقع بغداد الحديثة . لذا نستطيع الافتراض ان كلا القناتين اللتين عبرهما زينوفون فيما وراء السور الميدي اخذتا فعلاً من الفرات ولنه من المحتمل ان تطابق الاولى نار ملخا (النهر الملكي ، او نهر الملك الحالي) وتطابق الثانية نهر صرصر الذي ذكره الكتاب العرب الاوائل .

ولا يقل لفتاً للنظر ان يذكر ان الخندق الذي تم حفره بأمر من ارتاكسيركيس يخترق سهلاً لمسافة ١٢ فرسخاً حتى السور الميدي ومع ذلك لا يعود لذكره ثانية . فلو أنه وصل الى السور الميدي لكان لزاماً عليه ان يمر به مرتين ، الاولى في مسيرته من كوناها نحو الشمال والثانية في مسيرته من السور الميدي باتجاه جنوبي

شرقي نخلو ستياس . ويذكر ان طول السور الميدي عشرون فرسخاً ، وهو تقدير مبالغ فيه قليلاً . واستناداً الى ايراتومثينيس (سترابون ، الجغرافية ، ج ٢ ص ١ : ٢٦) فقد امرت الملكة سميراميس ببناء جدار في الموضع الذي يتعد فيه الفرات ودجلة بعضهما عمن بعض ٢٠٠ مستاد . ولا يمكن ان يكون هذا الجدار سوى السور الميدي الذي تحدث عنه زينوفون . وبجوار جدار سميراميس حيث يكون النهران اقرب ما يكون بعضهما عن بعض يحدد ايراتومثينيس موقع بلدة اوبس (المرجع نفسه) . ويضع زينوفون اوبس خطأ عند ملتقى نهر فيسكوس مع دجلة ، كما ستوضح ذلك فيما يلي .

وبغية تحديد هذا الجزء من طريق زينوفون يجب ان نثبت بالدقة الممكنة التقاطع التي مر بها على الضفة اليسرى من دجلة . وهنا نجد ان النهرين اللذين سماهما زبتاس (اربع بلترات [ما يزيد على ١٢٠ م] عرضاً) وفيسكوس او النهر الحنودي (وعرضه بلثرم واحد [٣٦ م]) الذي يفصل بلاد بابل عن ميديا ، يشكلان عاملين لهذا الغرض ، ويمكننا مطابقة زبتاس مع الزاب الكبير : ويدل على هذا الاسم نفسه وكذلك عرضه المنصوص عليه . ولا يمكن ان يكون نهر فيسكوس قناة آخذة من دجلة اذ لم تشعب مثل هذه القنوات قط من دجلة الاوسط لمسافة كافية لتكون حنوداً . لذا لا بد ان كان فيسكوس نهراً له طول معين ، ومن المحتمل أنه نهر العظيم الحالي . وفي زمان زينوفون فان دبالى الى الجنوب كان محولاً آنذاك الى قنوات للري لا تحصى وليس في الامكان ان يكون عرضه بلثرم واحداً .

وقسم زينوفون الرحلة من فيسكوس الى زبتاس الى جزئين : من فيسكوس الى قرى بريساتس ، ست مسيرات ؛ ومن هناك حتى زبتاس اربع مسيرات . ان المسافة بين نهر العظيم ونهر الزاب بحذاء دجلة هي ٢٦٠ كيلومتراً . ومرت المسيرات الست من فيسكوس (العظيم) في ارض مقفرة ولم يصل الجيش الا في المسيرة السادسة الى المنطقة الخصبة لقرى

بريساتس التي توفرت فيها حبوب وفواكه وتجهيزات اخرى . وعلى مسافة تقارب ١٦٠ كيلومتراً شمالي العظيم يمتد الحوض الخصب لنهر الزاب الصغير الذي كان في الامكان الوصول اليه بمسيرات ستة ايام بمعدل سبعة وعشرين كيلومتراً لكل مسيرة . ولهذا يمكننا تحديد موضع قرى بريساتس هناك . ان المسافة من هناك الى مصب الزاب الكبير هي ستة وتسعون كيلومتراً . وهي مسافة كان في الامكان قطعها في أربعة ايام بمعدل يقارب اربعة وعشرين كيلومتراً يومياً . ومن المحتمل ان كانت آخر مسيرة أقصر من الأخريات .

ونلاحظ ان الجيش الاغريقي ذهب من فيسكوس الى مستوطنات بريساتس بسرعة سبق ان ساروا عليها في مسيرتهم من ثيساكوس الى اراكسس . فلو سلمنا ان الاغريق تقدموا بهذه السرعة نفسها بعد عبورهم دجلة قرب سيتامس فان الخسب التراجعي لأربع مسيرات طول الواحدة خمسة وعشرون كيلومتراً من العظيم (فيسكوس) بحذاء دجلة يؤدي بنا الى حدود بلدة ساوقية المتأخرة باعتبارها الموقع المحتمل لستيامس . ان مسافة خمسة وعشرين كيلومتراً يومياً يمكن اعتبارها سرعة جديرة بالانتباه اذا اخذنا بنظر الاعتبار انه كان من الضروري عبور جميع قنوات نهر دبالى . ووفقاً لذلك فلا بد ان كان الاغريق قد عبروا دجلة قرب خرائب تل عمر الحالى الى مسافة قليلة شمالي موقع سلوقية . لذا يجب البحث عن السور الميدي على بعد اكثر من مسيرتين يوميتين نحو الشمال الغربي من هناك ، وعن القرى البابلية على بعد اكثر من ثلاث مسيرات يومية قصيرة نحو شمال الشمال الغربي من السور الميدي .

الملحق الثالث

ايسيدور الكرخي يتحدث عن الفرات الاوسط وحدة القياس (السكونوس) عند ايسيدور

يصف ايسيدور الكرخي [من كرخ ميسان] في كتابه المحطات البارثية، (ملر) ص ٢٤٧-٢٤٩، الطريق البارثي الرئيس من فيقفزريم على امتداد ضفاف الفرات الى سلوقية ويسجل اماكن التوقف التي كانت معروفة جداً في القرن الاول الميلاد . ان بياناته ذات قيمة كبيرة لانه يعطينا المسافات بين المحطات المختلفة بوحدة القياس المسماة سكونوس (٤) وكذلك مجاميع هذه السكونات من محطة فاليكيا ، الواقعة على نهر ابوراس (الخابور) حتى سلوقية . ويقدم لنا مؤلفه اسباسباً ممتازاً لتحديد مواضع اماكن التوقيفات المختلفة . إن كانت ارقامه الاصلية قد نقلت اليها على وجه صحيح . وثرينا حتى مجرد النظرة العابرة على كتابه المحطات ان الارقام الحالية لا يمكن ان تكون صحيحة . فقد ذكر ان المجموع الاجمالي للمسافة من فاليكيا الى سلوقية هو ١٠٠ سكونوس ؛ ولكن اذا جمعنا المسافات بين المحطات تكون النتيجة ١١٨ سكونوس . ولما كان الاكثر احتمالاً بقاء المجموع الاجمالي المؤلف من رقم واحد مسليماً من بقاء ارقام المسافات المختلفة دون تغيير النسخ فيمكن الافتراض ان الرقم ١٠٠ سكونوس صحيح ، ولكننا نرغب في اثبات ذلك .

وعند مناقشة بيانات ايسيدور الحالية والمناقشات اللاحقة لتفاصيل رحلات عربية معينة فمن المهم جداً ان نتبنى في كل حالة رقم عمل لأطوال وحدات

(٤) سكونوس Schoenus وحدة قياس رومانية وجمعها باللاتينية سكوني Schoeni . وقد عرّبناها الى سكونات بصيغة الجمع .
(المترجم) .

القياس المتنوعة . وقصد بـ « رقم عمل » ذلك الرقم الذي يمثل النسبة بين المسافة الفعلية بين نقطتين معروفتين مقيسة بالكيلومترات وبين المسافة ذاتها كما تقدمها مراجعنا في وحدات القياس المعروفة بالاستادات والسكونات والفراسخ والاميال العربية الخ . ومن الصحيح ان رقم عمل كهذا قد لا يمثل طول الاستاد او السكونس او الفرسخ او الميل كما ادركه الكتاب العرب او الاغريق ، الا انه من الناحية الاخرى ، فان لأي دراسة خاصة بالدقة النسبية للمسافات المختلفة التي قدموها وكعامل مساعد في تحديد المواقع المشكوك فيها بالنسبة لمواقع معروفة فمن الواضح ان رقم عمل يتضمن قيمة اكبر من الرقم النظري .

دعنا نحدد رقم عمل لوحدة القياس السكونوس عند ايسيلور . ولذا الغرض

اخترنا المسافات التالية كما ذكرها بين نقاط معينة معروفة المواقع :

من فاليكيا الى دورا : ١٠ سكونات ؛ وهي في الواقع ٤٧ كيلومترا ؛ لذا فان السكونوس الواحد = ٧ ر ٤ كيلومترا .

من دورا الى كدّ : ١٠ سكونات ؛ وهي في الواقع ٤٧ كيلومترا ؛ لذا فان اسكونوس = ٧ ر ٤ كم .

من كدّ الى اثنا : ١٧ سكونوس ؛ وهي في الواقع ٨٠ كيلومترا ؛ لذا فان اسكونوس = ٧ ر ٤ كم .

من اثنا الى ثيلابوس : ٢ سكونوس ؛ وهي في الواقع ٤١ كيلومترا وفي الحالة الاخيرة يساوي السكونوس الواحد ٧ كيلومترات ؛ اما اذا كان الرقم ٢ قد نقل خطأ بدلاً من ٣ فتكون النتيجة اسكونوس ٧ ر ٤ كم .
ومن ثيلابوس الى لزان : ١٢ سكونوس ؛ وهي في الواقع ٥٨ كيلومترا ؛ لذا فان السكونوس الواحد = ٨ ر ٤ كم .

ومن لزان الى لاس : ٢٢ سكونوس ؛ وهي في الواقع ٥٧ كيلومترا ؛ وفي هذه الحالة يكون السكونوس الواحد ٦ ر ٢ كيلومترا فقط . اما اذا كان

الرقم ٢٢ قد نسخ خطأ بدلاً من ١٢ فنحصل على معدل مقدار ٤٧٥ و٤ كيلومتراً للسكونوس الواحد .

وعليه نستطيع قبول رقم عمل بطول السكونوس كما استعمله إيسيدور على أنه ٧ ر ٤ كيلومتراً تقريباً . وبهذه الطريقة نحدد موقع المحطتين اللاحقتين اللتين لم نتأكد من موقعيهما تأكدنا من مواقع المحطات السابقة .

لقد أعطيت المسافة من إيس إلى بسيخانة على أنها ١٢ سكونوس (٥٦٥ كم) . وتقع على بعد خمسة وخمسين كيلومتراً من إيس ، التي تطابقت مع بلدة هيت الحديثة ، مدينة الرمادي العامرة التي في اعتمادى لتحديد موقع محطة بسيخانة .

وأدى طريق من بسيخانة بحداء الضفة اليمنى للفرات أيضاً إلى محطة نيابوليس ، ومن هناك استدار عبّر النهر وعبر النهر الملكي إلى سلوقية . وكانت المسافة من هنا (نيابوليس) إلى سلوقية ٩ سكونوات ، أو قرابة ٤٧ كيلومتراً ، وهي المسافة الفعلية من موقع سلوقية إلى الفرات باتجاه غربي وجنوبي غربي .

فاذا جمعنا الأرقام التي حصلنا عليها حتى الآن بالسكونوات وصحبنا كما اقترحت (أي ١٠ ، ١٠ ، ١٧ ، ٣ ، ١٢ ، ١٢ ، ١٢ ، ٩) نحصل على ٨٥ : أو أقل من المجموع الذي أورده إيسيدور وقدره ١٠٠ . أما إذا كانت المسافة ، كما سنوضح ذلك فيما بعد ، بين بسيخانة ونيابوليس ١٥ سكونوس وليس ١٠ ، كما ورد في النص فيصبح المجموع ١٠٤ ، وعلى بعد ١٥ سكونوس أو حوالي ٧٠ كيلومتراً من الرمادي (بسيخانة) على امتداد الضفة اليمنى للفرات فصل إلى خرائب بتر ، غرب سلوقية مباشرة ، ومن ثم يمكن مطابقتها مع محطة نيابوليس القديمة .

اعادة تنظيم هيكل خط رحلة ايسيدور نيقفوريم الى فاليكا

وبعد ان كنا قد حددنا رقم عمل لطول الكونوس كما استخدمه ايسيدور واجماليات المسافات بين فاليكا وسلوقية توجه انتباهنا الى تعريف المحطات المختلفة .

اذا جئنا اطوال المسافات بين نيقفوريم وفاليكا نحصل على مجموع يبلغ ٣٠ سكونوس ، او ١٤١ كيلومتراً ؛ ولكن المسافة في الواقع هي ١٦٥ كيلومتراً او ٣٥ سكونوس . الا ان بيانات ايسيدور هنا لم تحفظ لنا على وجه الدقة . والوقوف على مصدر الخطأ نستطيع تقسيم المسافة الكلية الى جزئين : من نيقفوريم الى خندق سميراميس ومن هناك الى فاليكا .

نستطيع تحديد موضع « خندق سميراميس » عند خربة زلية الحالية فقط ، وهو الموضع الذي يغادر الثرات فيه المضائق وأسفل منه منبسط سهل غريني خصب على امتداد ضفته اليسرى . وهنا فقط يمكننا حصر تيار النهر وتحويل المياه الى « خندق » او قناة . ونجد فعلاً قرب زلية بقايا قناة اروائية قديمة تدعى الآن المتصران ، واستناداً الى ايسيدور فان المسافة من نيقفوريم الى « خندق سميراميس » هي ١٦ سكونوس ؛ الا ان المسافة الحقيقية من موقع نيقفوريم الى القناة التي جعلناها مطابقة للخندق هي ٩٠ كيلومتراً ، وهو ما يساوي ١٩ سكونوس .

ان المسافة من زلية الى موقع فاليكا على الخابور هي ٧٥ كيلومتراً او ١٦ سكونوس ، بينما يعطي ايسيدور المسافة من « خندق سميراميس » الى فاليكا على انها ١٤ سكونوس فقط .

المعطيات التي زودنا بها ايسيدور وذلك في ترتيب عكسي من « خندق سميراميس » الى نيقفوريم : عند الكيلومتر ٣٣ الى الشمال الغربي

من زلية فصل الى مجموعة خرائب تل مطب [كذا] الذي نعتبره المحطة الملكية.
ثيلادا مرآدا على بعد ٧ سكوانات من «خندق سميراميس» . ان مسبة سكوانات تساوي
٣٣ كيلومترا . ومن تل مطب الى الغرب ليس ثمة خرائب كبيرة باستثناء الهداوي
عند الكيلومتر ١٩ ، وهو مكان نستطيع مطابقته مع قريسة خبابة ،
اربعة سكوانات من ثيلادا مرآدا .

ويذكر ايسيدور ان المسافة من خببانه الى اقرب محطة وهي قريسة كلبانا
المهجورة كانت سكونوس واحداً فقط . وعلى هذه المسافة من الهداوي تقع
خرائب تل السلطان .

واستناداً الى ايسيدور كانت المسافة من كلبانا الى نيقفوريم ٤ سكوانات ؛
ولكن في الواقع ٣٣ كيلومتراً ، او ٧ سكوانات ، من تل السلطان الى موقع
نيقفوريم .

فاذا جمعنا هذه المسافات الحقيقية المتعددة بين «خندق سميراميس»
ونيقفوريم يكون المجموع ١٩ سكونوس وليس ١٦ كما اورده ايسيدور . ومن
المحتمل ان يكمن الغلط في النقل المخطئ للمسافة من نيقفوريم الى كلبانا
الذي ربما تغير عند النقل من الرقم ٧ الى ٤ .

ومن زلية على امتداد الفرات الى الخابور نعلم بوجود خربتين اثنتين فقط
لهما اهمية تذكر . تقوم الأولى سعوى على جرف يطل على السهل الفيضي بينما
تشكل الثانية ، السن ، وفيها مزار مشهور في جميع ارجاء المنطقة ،
هضبة صغيرة ملورة في المنطقة الغربية . وكذلك علم ايسيدور بوجود محطتين
اثنتين فقط في هذه الارض المنبسطة وهما : الان ويونان ، ويشير الى وجود
هيكل ارتيميس (في الأخيرة منهما ٢ ، ان المسافة من زلية الى سعوى هي
٢٥ كيلومتراً ، أو ٥ سكوانات ؛ ومن سعوى الى السن ٢٨ كيلومتراً او ٦
سكوانات ؛ ومن السن الى الخابور ٢٥ كيلومتراً او ٥ سكوانات .

ويذكر: إيسيلور المسافة من «خندق سميراميس» الى الان انها ٦ سكوانات ، ومن الان الى يونان انها ٤. سكوانات ، ومن يونان الى فالريكا أيضاً ٤ سكوانات . ويصبح بذلك المجموع الكلي ١٤ ، او أقل باثنتين من مجموعنا الكلي البالغ ١٦ للمسافة من زلية الى الخابور . وعلى كل حال فان الغلط في النسخ لنص إيسيلور يسهل فهمه . ففسي الامكان ان نطابق بكل امانة بلدة الان الصغيرة مع خرائب سعوى ، ونطابق يونان وهيكل اوتيميس مع خربة تل السن الكبيرة ومزارها

فالريكا الى ايس

كانت قرى فالريكا ، التي يترجم إيسيلور اسمها بعبارة «منتصف الطريق» (المصدر السابق ، ص ٢٤٨) مطابقة لجزء من قرقيسيوم المتأخرة . وكانت تقع بالقرب منها ، وفقاً لايسيلور ، بلدة نيكات الصغيرة على نهر ابوراس ، احد روافد الفرات . واعتادت القطعات المرسلة الى الاقاليم الروماني وراء الفرات ان تمر بهذه البلدة .

ويعطي إيسيلور المسافة من فالريكا الى قرى اسيخا على انها ٤ سكوانات ، او ١٨ كيلومتراً . وتؤدي بنا هذه المسافة من الخابور الى خرائب المسايح الحالية . ويحتوي جدر كلمة «مسايح» على نفس الحروف الصحيحة الموجودة في «اسيخا» التي اوردتها إيسيلور .

وكانت المحطة التالية ، دورا . التي يصفها إيسيلور بأنها بلدة تيقنخور القديمة التي بناها المقلونيون وسموها الاغريق المقلونيون وسموها الاغريق بـ (اويروبس) تقع على مسافة ٦ سكوانات ، او حوالي ٢٨ كيلومتراً . وتقع على بعد تسعة وعشرين كيلومتراً من المسايح الخرائب الواسعة لمدينة الجعابي المحصنة ، التي في امكاننا مطابقتها مع ضاحية من بلدة

دورا المقدونية او اوروبس ، الصالحية الحديثة .

واستناداً الى ايسيلور فقد كانت المسافة من دورا الى قلعة مرّان ٥ سكونات او ٢٣,٥ كيلومتراً . وعند الكيلومتر ٢٣,٥ من الجعابي نصل الى مستنقعات يتغلغل فيها الفرات بعمق الآن . ولعل الفرات قد جرف ايضاً بقايا حصن مرّان، اذ غالباً ما تختفي قسرى على كلا ضفتي الفرات ذلك لان مجراه يتبدل على الدوام . فلو لم تُفقد مرّان برمتها لكان في الامكان تحديد موضعها عند خرائب الكشمه غير بعيد عن شعيب المسارين . ان الكلمة الاصلية التي اشتقت منها مسران (مفرد مسارين) ربما تبدلت الى شكل مرّان . الا أنه اذا تطابقت الكشمه مع مسران ، وهي تقع فعلاً على بعد ٢٩ كيلومتراً او ٦ سكونات من موقع دورا وليس ٥ سكونات كما اوردها ايسيلور ، فيجب ان تكون المسافة منها الى محطة ايسيلور التالية ، بلدة كدّن ، ٤ سكونات، وليس ٥ كما عند ايسيلور .

وتطابق كدّن خرائب الشيخ جابر الواسعة التي تمتد على ضفتي الفرات والتي تبعد مسافة ٢٣,٥ كيلومتراً عن المستنقعات و ١٧,٥ كيلومتراً عن الكشمه ، وهذه الارقام تتطابق مع تحديدنا للمسافتين ٥ او ٤ سكونات من الموقعين المحتملين لمرّان . ويذكر ايسيلور ان المسافة بين كدّن و بليسي بيلادا هي ٧ سكونات او ٣٣ كيلومتراً . وعلى تلك المسافة نفسها بالضبط على الضفة الصخرية اليسرى للفرات تقوم الخرائب التي في ضمنها قلعة ارتاجه وهما علامتان مهمتان بالنسبة لموقعهما لان الفرات يشكل خليجاً عميقاً أسفل منهما مباشرة حيث تجد زوارق النهر مرفأً آمناً .

ان المسافة من ارتاجه الى جزيرة سريسر الصغيرة هي ٣١ كيلو متراً واستناداً الى ايسيلور فان المسافة من بليسي بيلادا الى الجزيرة التي نجهل اسمها حيث احتفظ الملك البارثي فراتسر بكنوزه

كانت ٦ سكونات . . لذا في الامكان مطابقة سريسر مع جزيرة فراتس .
وعلى هذه الجزيرة الصغيرة ، استناداً الى ايسيدور (المصنر السابق ، ص
٢٤٩ ، قتل فراتس زوجته عندما عاد تيريداتس من المنفى .
كان هذا هو فراتس الرابع ، الذي ثار ضده تيريداتس الثاني عام ٣٢ ق . م .
وكان تيريداتس قد عاد الى الفرات وهاجم فراتس بغتة بعد فتيه الى سوريا
ان المسافة من سريسر الى عانة تبلغ ١٨ كيلو متراً ؛ واستناداً الى ايسيدور
فان المسافة من جزيرة اثنا كانت ٤ سكونات وهي مطابقة تماما .

ويسمى ايسيدور المحطة التالية وراء جزيرة اثنا بجزيرة ثيلايوس
وهي تبعد ٢ سكونوس فقط او ٥ و ٩ كيلو متراً ، وفي الامكان
مطابقة ثيلايوس مع جزيرة تلبس . الا ان هذه تقع على بعد ١٥ كيلومتراً
او ٣ سكونات من عانة .

ومن جزيرة ثيلايوس الى بلدة عزول الجزيرة كانت المسافة ١٢
سكونوس ؛ ومن تلبس الى جزيرة الاخزاة تكون المسافة ٥٨ كيلو متراً ،
او ١٢ سكونوس بخط مباشر .

وكانت المسافة من عزول الى بلدة ايس ذات العيون النقطية حسب ايسيدور ٢٢
سكونوس او ١٠٣ كيلومتراً ؛ الا أنها من الاخزاة الى هيت في الواقع مجرد ٦٠
كيلو متراً او ١٢ سكونوس . وكما اقترحنا سابقاً فمن المحتمل ان يكون
الرقم ٢٢ ناشئاً عن قراءة خاطئة للرقم ١٢ .

ايس الى سلوقية

وبعد ايس (هيت) يمتد طريق رئيس بمحاذاة الضفة اليمنى للفرات ايضاً .
ولا نعلم في اية نقطة تحوّل هذا الطريق من الضفة اليسرى الى اليمنى ، كما اننا
لا نعلم ما اذا كان ذلك في ايس أم سبعة أميال رومانية أعلى من هذه البلدة حيث
عبر جيش جوليان (اميانوس) مارسلينوس في كتابه . ، ص ٢٤ : ٢٣ .

كانت الضفة اليمنى هي المفضلة لتجنب القنوات والترع الكثيرة ، ما بين كبيرة وصغيرة ، التي تشعبت من الجانب الأيسر للفرات على بعد بضعة كيلومترات أسفل من إيس لا رواء الأرض الغرينية الخصبة . وبرغم أن إيسيدور لا يبين بوضوح أن الطريق الذي وصفه كان يتبع الضفة اليمنى ، فقد يتضح من بيانه أن المسافرين الذين استخدموا هذا الطريق من نيابوليس كان عليهم عبور كل من الفرات نهر الملك قبل الوصول إلى سلوقية .

ويذكر إيسيدور المسافة من إيس إلى بسيخانا حيث يقع هيكل أتركاتس تبلغ ١٢ سكونوس أو ٥٥ كيلو متراً مما توصلنا إلى ضواحي الرمادي . أن الأعراف المحلية في الشرق لامتوت بسهولة ، ومن الممكن بل يكاد يكون مؤكداً أن هيكل أتركاتس العتيق ظل قائماً تحت اسم مختلف في العهدين الإسلامي والمسيحي على حد سواء . فقد عرف المؤلفون المسلمون بلدة صندوداً قرب الرمادي وعلى الشرق منه تخرج القناة الكبيرة الأولى من الفرات . وربما تتطابق بسيخانا التي أوردتها إيسيدور أيضاً مع ماسكين التي أوردتها بليبي في كتابه (التاريخ الطبيعي ، ص ٩٠) لأن ماسكين أو ماسكين هي الصيغة لبسيخانا الآرامية .

وكانت المسافة من بسيخانا إلى نيابوليس وفقاً لإيسيدور ٢٢ سكونوس ، وإلى سلوقية ٩ سكونات . ويبلغ مجموع المسافات بين المحطات من فاليكا (على الخابور) إلى بسيخانا ، بعد استبعاد الأخطاء المحتملة في النسخ ، ٧٦ سكونوس . فإذا أضفنا إلى هذا الرقم التسع سكونات وهي المسافة من نيابوليس إلى سلوقية . كما رأينا آنفاً (ص ٥٣) فسيبقى يعوزنا ١٥ سكونوس لبلوغ المجموع الذي أوردته إيسيدور وقدره ١٠٠ سكونوس فاليكا إلى سلوقية . فإذا يجب أن تمثل هذه الخمسة عشر سكونوس المسافة من بسيخانا إلى نيابوليس . إلا أن رواية إيسيدور الحالية تعطي هذه المسافة على أنها ٢٢ سكونوس .

وثوصلنا المسافة الأخيرة من الرمادي ، موقع بسيمخانا ، الى بلدة المسيب الصغيرة الحديثة الواقعة بصورة مباشرة تقريباً في جنوب - الجنوب الشرقي من موقع سلوقية ، ولكن ليس ثمة من سبب يدعو الى خروج المسافرين عن طريقهم الى هذا الحد . فقد نتوقع ان الطريق الرئيس امتداد شرقاً في نقطة وصل عندها خط عرض سلوقية ، في مكان ما بين خرائب بئرا ومدخل قناة المحمودية الحالية . ووراء بلدة بئرا مباشرة (استناداً الى زوسيموس في كتابه ، التاريخ الحديث ٣ ص ١٩) في عام ٣٦٣ م غادر الرومان بقيادة جوليان نهر الفرات وكانوا في اغلب الاحتمال يسرون بمحاذاة الطريق الرئيس واستداروا نحو طيسفون ، التي تقع على الضفة اليسرى للجلة مقابل سلوقية . ان مسافة ١٥ سكونوس وحوالي ٧٠ كيلو متراً من الرمادي بئرا المطابقة لبلدة تفضي بنا الى خرائب بئرا التي اوردها زوسيموس . ولهذا يمكن ان نفترض ان بئرا كانت الاسم المحلي للبلدة الاثرية نيا بوليس . ومن نيا بوليس الى سلوقية بحسب ايسيلور كانت المسافة ٩ سكونات او حوالي ٤٢ كيلو متراً ، وهي تطابق المسافة الحقيقية من خرائب بئرا الى خرائب سلوقية .

ولا بد ان الطريق الرئيس كان يعبر جسراً من الضفة اليمنى للفرات الى الضفة اليسرى ويستمر بعدئذ على الضفة اليمنى لنهر الملك (نارملخا) التي عبرها قبل الوصول الى سلوقية بقليل .

وفي نيا بوليس نستطيع ان نحدد موقع جسر دمره الفرس في عام ٥٨٠ م عندما كان الجيش الروماني بقيادة موريس بصاحبه الامير الفساني المنلو بن الحارث يتقدم مع قوات عربية احتياطية . ويكتب يوحنا الافسومي بوضوح (التاريخ الكنسي ، ٣ ص ٤٠ و ٣٦ ص ١٦ وما بعد) ان هذا الجسر المؤلف من القواب كان قد اقيم على الفرات في بيت ارمية قرب العاصمة الفارسية . وكانت بيت ارمية الاسم السرياني للجزء الشمالي

من بلاد بابل الاصلية . وكانت عاصمتها المدائن تقع مباشرة شرق نيابوليس او (بترا) . وكان لدى الرومان بقيادة موريس قوارب ايضاً حملوا فيها مؤنهم ومعداتهم العسكرية . وليس ثمة تقرير يوضح ما اذا كانوا قد ساروا بحذاء الضفة اليسرى ام اليمنى لنهر الفرات ام بمحاذاة كلا الضفتين . فان كانوا قد ساروا على الضفة اليسرى فلا بد انهم عبروا بقواربهم الخاصة بهم الى الضفة اليمنى أعلى من هيت الحالية ، لان المنطقة الغرينية تبدأ جنوب شرقي هيت ، ويتخللها على الجهة اليسرى للفرات قنوات وترع لاثمصى . وبما لاريب فيه ان القرس الذين فطنوا لتقدم الجيش الروماني ، كانوا يقومون بحراسة مشددة لحدود المنطقة الغرينية لبلاد بابل . انه لمن الواضح انهم سيدمرون الجسر عند نيابوليس ؛ لذا فمن الصعب ان نتيبن سبب توجيه بعض السجلات الاغريقية اللوم للمنذر على ما صادفه الرومان من عقبة في هذا الموضع . لعلهم قصدوا من وراء ذلك انه كان عليه البقاء على الضفة اليسرى للفرات ثم بعد الالتفاف على القرس مهاجمتهم في المؤخرة والضغط عليهم للتراجع عن الجسر المدمر . ولو كان فعل هذا لتمكن الرومان من بناء جسر جديد بقواربهم وعبروا عليه الى الضفة اليسرى تحت حماية عرب المنذر . ويبدو لم يستطع ان يقرر محاملة القيام بانزال مثل هذه الضربة ، ونتيجة لذلك لم يكن في مقدور موريس بناء جسر له ولجيشه .



الملحق الرابع

زحف الامبراطور جوليان في عام ٣٦٣م

وصف شهود العيان ما كنوس من كارهي وبيتيكيانوس من كبادوسيا واميانوس مارسلينيوس زحف الامبراطور جوليان بمحاذاة الفرات الاوسط . ان تقرير شاهد العيان الأخير وحده وصل إلينا كاملاً . اما الآخران فلا نعلم عنهما سوى شذرات قليلة نشرها مي ملر في المجلد الرابع من كتابه شذرات من التاريخ الاغريقي (باريس ، ١٨٥١) ، ص ٤ - ٦ . على ان الكثير منه قد قله زوسيموس ، الذي كان معاصراً للامبراطور زينو ، من ما كنوس الكارهي وهو ما يشكل جزءاً من كتاب زوسيموس الموسوم (التاريخ الروماني) الذي لا يزال باقياً .

زحف جوليان كما رواه اميانوس مار سلبوس

استناداً الى اميانوس مارسلينيوس فقد وصل جوليان في ٢٦ آذار (مارس) عام ٣٦٣م مع جيشه الى نهر بلباس عند المركز التجاري كالينيكوس المحصن تحصيناً قوياً . ومع فجر اليوم التالي انطلق بمحاذاة الضفة اليسرى للفرات . وفي احدى محطات التوقف قدم رؤساء عرب فروض الطاعة له وقدموا له تاجاً ذهبياً وعرضوا عليه قطعات احتياطية فتقبلها بسرور . وبينما كان يتفاوض مع الرؤساء وصل اسطول يتألف من الف قارب شحن وخمسين قارباً لنقل الجنود وعدد مائت من العوامات (اميانوس مارسلينيوس ، ج ٢٣ ص ٣ : ٧ - ٩) .

وبمصاحبة القوات البلوية الاحتياطية أسرع في السير ودخل في اليوم الاول من نيسان (ابريل) قرقيسيوم (قرقيسيا) ، وهي حصن متين البناء يحيط اسواره نهراً ابورا (الخابور) والفرات مما جعل الفسحة الداخلية تبدو كأنها جزيرة .

وكان هذا الحصن في الأصل صغيراً ولا يمنح الحماية بسيطة الى أن أمر دقليانس عندما كان ينظم الاحوال الداخلية للامبراطور الرومانية ، باحاطتها بأسوار وإبراج مراقبة عالية لمنع الفرس من القيام بغارات داخل سوريا وإحداث اضرار كثيرة في الأقاليم كالتي فعلوها في زمن الامبراطور كاليغوس .
(المصدر نفسه ، ص ٢٣ : ٥ - ١ - ٣)

لبث جوليان في قرقيسيا الى أن عبر الجيش وكل الذين رافقوه بأمان على الجسر العائم على نهر ابورا . ثم بعد أن عبر النهر بنفسه أمر بإزالة الجسر ليحول دون فرار الجند . ومن ابورا وصلوا الى مكان يسمى زيثا ، ويعني « شجرة الزيتون » حيث قام نصب تذكارى للامبراطور كورديان يمكن رؤيته من بعيد . وبعد ان قام جوليان بتكريم ساقه أسرع نحو بلدة دورا المهجورة . وفي طريقه اصطاد جنوده اسداً كبيراً . (المصدر نفسه ص ٢٣ : ٥ - ٤ - ٨)

وبعد أن ساروا بمحاذاة الفرات وصلوا دورا في يومين . وهناك شاهدوا عدة قطعان من الغزلان ، وعبر الجزء الاعظم منهم النهر سباحة وهربوا الى اعماق الجزيرة . وبعد اربع مسيرات مهلة أخرى ارسل الامبراطور في المساء قوارب عليها الف رجل مسلح بقيادة لوكيان للاستيلاء على حصن أنثا الواقع ، شأنه شأن العديد من الآخرين ، على جزيرة بالفرات . فقامت القوارب المسلحة بهجوم ليلي ولكن دون جدوى . وعند الفجر التمس الأهليون الرحمة وكانوا يسوقون امامهم ثوراً مزيناً باكليل كان رمزاً للرغبة في السلام عند هؤلاء الناس . الا ان الحصن أحترق بعدئذ وعين لوكيان قائدته بوسايوس مستولاً مدافعاً عن حقوق العامة ومصالحها ، وأرسل الالهين مع جميع ممتلكاتهم الى بلدة خالكيس السورية (المصدر نفسه ، ص ٢٤ : ١ - ٥ - ٩)

وفي اليوم التالي هبت عاصفة قوية جداً مزقت خياماً كثيرة ، كما هدم النهر الغاضب السد الذي كانت تحتمي به القوارب وغرق بعضها بما كان محملاً

بالحبوب (المصدر نفسه > ٢٤ ص ١ : ١٤ - ١٦ .)

وبعد ان تزود الجيش بالطعام أمر الامبراطور باشمال النار بالحبوب الفائضة
وبجميع الاكوخ ايضاً وسبب بذلك ضرراً للعدو الذي كان يراقب افعاله من
الضفة المقابلة . وعندما عبر جندي سكران الى الجانب الآخر للنهر القوا القبيض
عليه وقتلوه امام أعين رفاقه . (المصدر نفسه > ٢٤ ص ١ : ١٤ - ١٦ .)
وبعد أن ساروا متابعين للنهر وصلوا الى حصن ثلوثا الذي
برز وسط النهر كتل^١ شامخ وقد زادت قوته قوة بفعل الطبيعة والانسان على
حد سواء . وخشية من تعرضهم لسخرية الاعداء في حالة هزيمتهم ، لم يحاولوا
الاستيلاء على الحصن بل اكتفوا بمجرد الطلب من الأهليين الاشتسلام ؛ فكان
جواب الاهليين بانهم لا ينضمون الى الرومان الا اذا انتصروا واستولوا على المملكة ،
وظلوا بعدئذ يشاهدون بدون تدخل القوارب الرومانية وهي تمر امامهم . وثمة
حصن جزري آخر اخياخاخالا قدم رفضاً مشابهاً الى الرومان ، وكان اجتياز
هذا الحصن الجزري أمراً صعباً جداً . وفي اليوم التالي اضرم الرومان النار بحصن
كانت قد هجرته حاميته بسبب تحصيناته الضعيفة . (المصدر نفسه ، > ٢٤ ص
١ : ٢ - ٢ .)

وبعد أن أتموا زحف مائتي ستاد اثناء اليومين التاليين وصلوا الى مكان يدعى
براخملخا حيث عبروا النهر وهاجموا بلدة دياكيرا ، على بعد سبعة أميال ،
والتي كان أهلها قد هجروها الا انها كانت تحتوي على مخازن كبيرة للحبوب
والملح النقي . وهناك رأوا هيكلاً مبنياً في حصن على تل عال ؛
وبعد ان احرقوا المدينة وقتلوا عدداً قليلاً من النساء هناك ساروا بجانب عين
نقط واحتلوا بلدة اوزوكاردانا التي هرب سكانها الملعورون ايضاً .
وهناك عرضوا كرسي القضاء الخاص بالامبراطور تراجان . وبعد
الاستراحة هناك مدة يومين تقدموا الى قرية ماكبراكتناحيث وجلوا بقايا تحصينات
نصف مهلمة امتدت الى مسافة بعيدة . وقيل عنها انها كانت تحمي بلاد آشور ومن

الغزاة الأجانب في غابر الأزمان . (المصائر نفسه ، ص ٢٤ : ٣-٦) .
وعند هذا الموضع ينقسم القرات : فرع من النهر يجري الى داخل بلاد بابل
ويفيد الحقول والبلدان المحيطة به فائدة ليست بالقليلة ؛ واما الفرع الآخر ويدعى
نارملخا والذي يعني نهسر الملك . يجري نحو طيسفون (كلاً) .
وعند مدخل الأخير يرتفع برج عال يشبه الفنار فاروس (اي فنار
الامكنثرية) . عبر جميع الجنود المشاة الجسور التي شيدها
الرومان بعناية وسرعان ما وصلوا الى مدينة بيرسابوراس الكبيرة
والمكتظة بالسكان وكانت محصنة . كلدينة جزرية . طاف الامبراطور حول المدينة
راكباً وفحص موقعها عن كتب بعناية بهدف ترويع الناس من حصار قادم ،
كذلك حاول بالوعد والوعيد حملهم على الخضوع . ولا لم يجده كل ذلك نفعاً
احاط المدينة بثلاث حلقات من الرجال المسلحين وربما بالقذائف ليل نهار
ومن ثم قدّم في جنح الليل ادوات الحرب وأمر بـ"دبل" الخنادق . وعندها هدم
الرومان برج الزاوية ترك المدافعون الاسرار المزروجة للدينة وشغلوا قلعة مشيدة على
تل منعزل عال داخل التحصينات . وشمعت هذه القلعة في الوسط الى ارتفاع
شاهق وانحدرت من الجانب الشمالي انحداراً حاداً الى القرات ؛ وكانت مبنية
بالطابوق المفخور المثبت بالقار . واخيراً اسلم المدافعون . وكانوا في جملتهم
٢٥٠٠ شخص فقط . اما الباقيون فكانوا ١٢٠٠ هربوا بقوارب صغيرة في الوقت المناسب
الى الضفة الثانية من النهر . وقد وجد الرومان في القلعة كميات كبيرة من الأسلحة
والمؤن فأخذوا من كل ذلك ما احتاجوا اليه واحرقوا الباقي والمدينة ايضاً . (المصدر
نفسه ، ص ٢٩ : ٧-٢٢) .

وبعد ان ساروا قرابة اربعة عشر ميلاً من هنالك وصلوا الى حقول ذات مستنقعات
بطبيعتها سبق أن أغرقها القوس بالمايه كلاً . وفي ذلك المكان استراحوا يومهم
التالي . وفي تلك الاثناء أمر الامبراطور ببناء جسور متعددة من الجاود والعوامات
وكذلك سعف التخليل وعبر الجيش عليها بصعوبة بالغة . (المصدر نفسه ،
ص ٢٤ : ٣-١٤) .

وهنا أحرق الجنود قسرية محاطة بأسوار واطئة نوعاً ما . وكان الالهون يهوداً
الأنهم كانوا قد هربوا .

وبعد أن توغل الامبراطور في التتبع ، أمر بتشييد مخيم قرب بلدة ميوزاملخا
(مأخوذة المملك) الكبيرة والمحصنة التحصين وبعد أن وزع الحراس
حول المخيم بأكمله تقريباً لمجوم مباغت يقوم به خيالة الفرس حاصر البلدة
واستولى عليها . (المصدر نفسه . ص ٢٤ : ١ - ٢٦ .)

وبعد استيلاء جوليان على ميوزاملخا بدأ هو وجيشه بالعبور على جسور
عائمة شيدتها جنوده على ترع كثيرة العدد للوصول الى خط مزدوج من
التحصينات حيث حاول ابن الملك الفارسي مقاومتهم بجيش من طيسفون .
الا ان الفرس الذين ارهبهم منظر الرومان ، ولوا الادبار دون قتال . (المصدر
نفسه ص ٤٥ : ٣١ .)

وبعد ان وصلوا سيرهم وصلوا الى قلعة ملكية مشيدة على الطراز الروماني
ومن ثم وصلوا منطقة ملكية محظورة لصيانة حيوانات الصيد وكانت على
شكل دائري تغطي مساحة شامعة مليئة بالحيوانات الوحشية : وعسكر
وراءها الجيش الروماني داخل تحصينات ليست بعيدة عن كوخة وتدعى
سلوئية ايضاً . ومن هنا ذهب جوليان لمشاهدة مدينة (سلوئية) التي
كسان الامبراطور فيدوس قد هدها ، وكان بالقرب منها عين
غزيرة تتدفق منها المياه التي سرعان ما تصب في دجلة . انطلق الرومان
ثانية بعد يومين وكان عليهم صد هجمات مستمرة من حامية المدينة المحاصرة
وكذلك صد هجمات على مؤخرتهم من الجيش الفارسي على الضفة اليسرى
النهر . كل هذا ملأ جوليان بالهتاف فقرر الاستيلاء على حصن منيع وعال
يقع قرب طيسفون . (المصدر نفسه . ص ٢٤ : ٥ - ١ - ٦ .)

وثناء حصار هذا الحصن لم يمان الجيش من غارات المحاصرين في
الحامية فحسب بل ايضاً من الهجمات المباغتة القادمة من الجانب الايسر للنهر .
ومع كل ذلك تم الاستيلاء على الحصن وأحرق وأحكم المخيم بخنادق عميقة

وسور متين ضد الهجمات المتواصلة من «ليسفون» . (المصدر نفسه ح ٢٤ ص ٥ : ٩ - ١٢) .

وصل الجيش الى مجرى نهر نارملخا الذي كان جافاً آنذاك . كان هذا «النهر» في الاصل قناة وكانت قد عُمِّمت باوامر الامبراطور تراجان وفيما بعد باوامر «ساوروس» لجعلها صالحة للملاحة القوارب من الفرات الى دجلة . وكان الفرس قد ملؤها بنحجارة في بعض الاماكن خشية هجوم معاد . وبأمر من جوليان تمّ تطهير القناة ودخلت القوارب دجلة الذي كان يبعد ثلاثين ستاداً فقط . بعد ذلك عبر الجيش القناة على جسور عائمة واقترب من كوحه (المصدر نفسه - ح ٢٤ ص ٦ : ١ - ٢) .

ان عبور الجيش الى الضفة اليسرى من دجلة كان مقدراً ان يتمّ على قوارب أمتن . وعندما أنجز قسم من هذا العمل ونزل جزء من الجيش أتت القوارب الأخرى لمساعدتهم وذلك بصدد العدو مما جعل الممر مأموناً (المصدر نفسه ، ح ٢٤ ص ٦ : ٤ - ٧) .

تقدم الجيش الآن على الضفة اليسرى لدجلة حتى كاد يصل طيسفون ، وهو يحارب طول الطريق . (المصدر نفسه : ح ٢٤ ص ٦ : ١٢) .

زحف جوليان كما يرويّه زوسيموس

يروي زوسيموس عند وصفه حملة جوليان ان الامبراطور سار من كاريي الى كاليينوس ومن هناك الى قرقيسيا ؛ وانه عبر الاسبورا (الخابور) ومن ثم ابخر بالقوارب منحلواً مع الفرات . (زوسيموس - التاريخ الحديث ، ح ٣ ص ١٣) . وحال اختراقه الجبهة الفارسية وضع جنداً من الخيالة على الجناح الايسر ومن المشاة على اليمين على ضفة النهر مباشرة . ووراء هذه الطليعة من الحراس نُقلت الارزاق وكان الجيش جُلّه يتبع على مسافة سبعين (او ثمانين) متاداً

(يوحنا ملائيم : المدونات [الكرونوغرافيا] ص ١٣ ص ١٨) . وبعد ستين ستاداً ثم الوصول الى بلدة زاونا ومن ثم المدينة المهلمة دورا التي ضمت ضريح كورديان . وبعد اربع محطات من دورا جاء الجيش الى بلدة فاثوسا . مقابل حصن على جزيرة أهلة بالسكان . وتمت محاصرتها بقوة متقدمة لبثت هناك طوال الليل دون ان يلحظها أحد . (المصدر نفسه ص ٢٩ .)

وبعد هذا وصلوا الى حصن جزري آخر الا انه كان من الضخامة بحيث انهم اكتفوا بالمرور به فقط كما فعلوا مثل ذلك مراراً بحصون أخرى . وبعد ان تقدموا عدة محطات أخرى^{١٥} بموا بلدة داكيرا الواقعة على الضفة اليمنى بأكملها . وعلى الجانب الآخر للفرات من داكيرا جرت عين نبط غزيرة . ومن هنا وصل الجيش الى سينا وميجيا ، واخيراً الى زارا كارديا ، حيث يمكن مشاهدة مقعد عال ينسب السكان الاصليون الى زاراكارديا وانتهبت البلدة وأحرقت . ارسل جوليان مساعده هور سداس مع عدد من جنوده طليعة للعثور على العدو الذي تخفى وراء قناة تتفرع من الفرات . فلو استطاع العدو الخوض هناك بسهولة لقام بمهاجمة هور سداس اما الذي حدث فهو ان سداس قام بالتفاف حولهم مما اجبرهم على الفرار (المصدر نفسه ، ص ٣٥ ص ١٥ .)

وصل جوليان بعدئذ الى قناة آخذة من الفرات وتجري خلال ارض منبسطة في اتجاه بلاد آشور ودجلة . وكانت القناة عميقة ومظورة بالوحل مكوّنة مستنقعات متعددة ومن ثم لم تكن مهلة العبور وخاصة لان العدو احتل ضفتها اليمنى . وعلى ذلك ارسل الامبراطور ١٥٠٠ رجل عبروا القناة من مسافة معينة وهاجموا العدو . وفي الوقت ذاته عززت هذه المفزة بنجدة تحت إمرة القائد فيكتور الذي غادر الجيش الرئيس ليلا دون ان يشعر به أحد وعبر القناة وانضم الى مجموعة الالف وخمسمائة رجل وازاحوا العدو

(المصدر نفسه . ٣٠ ص ١٦) . ان هذه المناورة مكنت الجنود الخيالة من العبور الى الجهة الأخرى بسفن رومانية والمشاة بقوارب مستولى عليها (المصدر نفسه . ٣٠ ص ١٧) . ثم ساروا الى بيرسابورا (اي بيريسابوراس) ، وهي بلدة محاطة بجدارين وقلعة مستديرة في وسطها . ولا يمكن الوصول الى القلعة من البلدة إلا بطريق شديد الانحدار يصعب ارتقاؤه .

ويمكن الدخول الى البلدة من الغرب والجنوب من خلال بوابة وممر متعرج . بينما يحيطها من الشمال فرع عريض من النهر الذي كان يزود الأهالي بالماء . وكان يحميها من الشرق خندق عميق معزز بأجراف شاهقة شديدة الانحدار وابراج متينة . القسم السفلي منها مبني بالأجر المثبت بالقا ، والقسم العلوي بالأجر المجفف بالشمس والمثبت بالجبس (المصدر نفسه ٣٠ ص ١٧ - ١٨) . لقد استولى جوليان على هذه المدينة التي تعد اعظم بلاد آشور بعد طيسفون بيومين ؛ بعد ثلث اسرع بمحاذاة الفرات الى بلدة فيسينيا المحاطة بخندق عميق ملأه الفرس بالماء من القناة القريبة المسماة بالنهر الملكي (باسيلوس بوناموس) . اخترق جيشه هذه البلدة ثم وصل الى منطقة غمرها الفرس بالماء من القناة الملكية وكذلك بمساء مباشر من الفرات . وبعد ان عبروا هذه المنطقة بصعوبة بالغة احتلوا بلدة بئرا ، حيث وجدوا قصرأ ملكياً وابنية فسيحة (المصدر نفسه ٣٠ ص ١٩) . وبعد ان وصلوا سبرهم وصلوا الى بستان نخيل واسع وحصن متين قرب بلدة تيسو خيس . وكان لالحصن المشيد على رابية سور مزدوج يتخلله ستة عشر برجاً ويحيط به خندق مليء بالماء . تمت محاصرة هذا الحصن أيضاً والاستيلاء عليه (المصدر نفسه ، ٣٠ ص ٢٠) . ان الوقت الذي قضاه الامبراطور بفتح هذه القلعة إستغله الجيش ببناء طريق رئيس الى طيسفون التي تبعد تسعين ستاداً (المصدر نفسه ، ٣ ص ٢١) . وبعد ان استمر جوليان بزحفه وصل الى المنطقة المحظورة لصيانة حيوانات

الصيد حيث احتفظ ملوك القرمس بحيوانات مختلفة ؛ ووصل أيضاً الى بناية مشيدة على الطراز الروماني ثم وصل لخيراً الى بلدة ميناس سباتا (اوميناس) ، حوالي ثلاثين ستاداً من بلدة كانت تدعى زوخاسة الا انها عرفت على عهد جوليان بسلوقية . وتسم الاستيلاء على ميناس سباتا عترة (المصدر نفسه ، ص ٣٠ ، ص ٢٣ .)

وفي هذه الاثناء كان الجيش الروماني يتعرض الى مضايقات قام بها القرمس من الجانب الآخر للنهر (دجلة) . وعلى كل حال وصل الرومان أخيراً الى قناة ينسب المواطنون الأصليون حفرها الى اوامر صدرت عن تروجان التي من خلالها تصب القناة المسماة نارملخا (النهر الملكي) في دجلة . أمر جوليان بتطهير هذه القناة وبهذا هياً عمراً لقواربه للوصول الى دجلة حيث يمكن استخدامها لبناء جسور لعبور الجيش (المصدر نفسه ، ص ٣٠ ، ص ٢٤) هذا وامتدت المنطقة المحظورة لصيانة حيوانات الصيد الملكية حتى هذه القناة التي عن طريقها عبر الجيش دجلة (المصدر نفسه ، ص ٣٠ ، ص ٢٥ .)

امادة تركيب طريق جوليان

ان سجل اميانوس مارسلينوس وسجل زوسيموس يكمل بعضهما بعضاً ويضيفان كثيراً الى معرفتنا للطوبوغرافية المحلية لبلاد ما بين النهرين في الزمن القديم . سار الجيش الروماني مع الامبراطور جوليان من كالينيكوس بحذاء الضفة اليسرى لنهر الفرات الى الثغر الحدودي المنع قرقيسيا . ومن المستحيل معرفة عدد المسيرات اللازمة للوصول الى هناك لاننا لا نعلم كم استغرق الامبراطور في التفاوض مع الملوك (الرؤساء) البدو ، كما لا نعلم كم طال انتظاره للقوارب التي كان لا بد ان يصطحبها معه . وما يدعو الى الغرابة ان السجلات لا تذكر اية بلدة بين كالينيكوس وقرقيسيا . وبالقرب من قرقيسيا ، حيث تقع الآن قرية البسيرا الحديثة ، نُصب جسر من القوارب على نهر ابورا (الخابور) لينخل الجيش عليه الى الامبراطورية الفارسية . وفيما وراء هذه

النقطة . كما هو الحال قبل الوصول اليها ، تشكل الجناح الايسر الحرس المتقدم من الخيالة والجناح الأيمن من مفرزة من المشاة ، وتأتي وراءها قافلة الامتعة وآخر الجميع يأتي الجيش الرئيس .

وامتداداً الى زوسيموس ، يبدو وكأن غالبية الجيش تبع في اعقاب الجناحين المتقدمين على مسافة تبعد سبعين (او ثمانين) ستاداً . ولقد وقع الاختيار على الجنود الخيالة للجناح الأيسر لانه يتوقع عموماً أن يقوم خيالة العدو بهجمات مباغتة من ذلك الجانب . ورافق الجيش دائماً خمسون قارباً نقل وعدد مماثل من العوامات . تقدم الامبراطور إما بقارب او على ظهر حصان في اماكن اخرى . وعندما قطع الجزء الرئيس من الحملة مسافة ستين ستاداً من ابورا (الخابور) وصل الى قريسه زيثا (شجرة الزيتون) حيث كان قد شيد ضريح تكريماً للامبراطور كورديان .

ويورد يوتروبيوس في موجزه ٩ ، ص ٢ ان هذا الضريح كان على مسافة عشرين ميلاً من قرقيسيا - ومن الممكن مطابقة قرية زيثا مع الروائية الحديثة ، ٢٩ كيلومتراً او ما يقارب ميلاً رومانياً جنوب شرقي البسيرا (قرقيسيا) ؛ لذا لا يمكن قبول المسافة التي اوردها زوسيموس والبالغة ستين ستاداً (٦ ر ٨) على انها تمثل المسافة الحقيقية بين قرقيسيا وزيثا . ويبدو كأن زوسيموس قد وقع في خطأ في النسخ وكان السبعين (او الثمانون) ستاداً التي يذكر انها المسافة الفاصلة بين الحرس المتقدم وبين غالبية الجيش كان يجب اضافتها في الواقع الى الستين ، لان (٦٠ - ٨٠) ١٤٠ ستاداً فيليترياً الذي يساوي ٢٩٤ كيلومتراً . او قرابة عشرين ميلاً رومانياً . ويؤيد عدة كتاب ان ضريح كورديان نُصب في زيثا وليس في دورا كما يذكر زوسيموس . ومن زيثا تقدم الجيش الى بلدة دورا المخربة ووصلوا اليها في مسيرتين من قرقيسيا .

وتدعى خرائب دورا على الضفة اليسرى للفرات الآن بالجبايي وتبعد ٥٠

كيلومتراً من البسيرا (قرقيسيا) ، أي مسيرة يومين كل منهما يبلغ ٢٥ كيلومتراً .
وقطع الجيش مسافة من دورا الى المكان الذي ارسل منه الامبراطور القوارب
مع الف رجل مسلح للمداخلة حصن اثنا الجزري - بأربعة أيام . فان كانوا
لا يستطيعون السير أكثر من خمسة وعشرين كيلومتراً يومياً في مثل ذلك السهل
الذي يمتد بين قرقيسيا ودورا فلا يمكن ان نتوقع سرعة اكبر في الروابي الوعرة
شرقي دورا . ان اربع مسيرات من الجعابي (دورا) توصلنا بمسافة تسعين كيلومتراً
الى خربة ارتاجة حيث تجد قوارب القرات اسفل منها مرفأ أميناً في الأزمنة
الحديثة . فلو انطلقت السفن الحربية الرومانية من هذا المرفأ بعد الثالثة عصراً -
او قرب المساء كما يذكر اميانوس مارسيتينوس في كتابه (ح ١٤ ص ١ : ٦)
وهم يندفعون بمجازيفهم ومحمولين مع التيار لاستطاعوا الوصول الى قلعة اثنا
(عانه الحالية) قبل الساعة الخامسة صباحاً ، اي وقت الفجر .
ولم يكن عسيراً عليهم الانحدار مع المجرى وقطع المسافة الضرورية البالغة
٥٥ كيلومتراً في اربع عشرة ساعة مع الالتفات الى منعطفات النهر بين
ارتاجة وعانة) .

يذكر زوسيموس ان الرومان أتوا بأربع مسيرات من دورا الى بلدة
فانوساس التي تقع مقابل حصن جزري (اثنا) ، وهذا يدل على انه هنا
قد نسخ ايضاً بصورة غير صحيحة . فالمسافة من الجعابي (دورا) الى الموضع
المقابل لعانة هي ١٣٠ كيلومتراً ، ثلثاها تماماً كانت تخترق منطقة صخرية وعرة
حيث ليس بمقدور اي جيش مواصلة السير بمعدل ٣٢٥ كيلومتراً وهي السرعة
التي كان من الضروري السير بها لو قطعت هذه المسافة في اربع مسيرات ،
ان تثبيت موضع فانوماس ليس بالأمر اليسير . فلو اعتمدنا عبارة زوسيموس التي
مفادها ان الجيش الروماني وصل اليها بأربع مسيرات فلا بد من البحث عنها عند
ارتاجة ؛ الا اننا لو تأملنا في نصه العبارة التي تضع فانوماس مقابل جزيرة عانه
الصغيرة ، لوجب اذن مطابقتها مع بلدة راوة الحالية . ان المسر الضيق بين

الفرات والجرف الصخري شديد الانحدار ، وقد بنيت على قمته راوة الأصلية ، يدعى الآن القنح وهو اسم يوحى بـ (فاثوساس) ، مع انه من الممكن ايضاً ان يكون هذا الاسم تحريفاً للاسم ييثونا (عانة) . ومن الواضح ان سكان حصن اثنا الجزري كانوا متواطئين مع الرومان واستسلموا دون مقاومة تذكر . وبهذا فقط نستطيع تفسير السبب الذي من أجله ، جنوب غربي حلب الحالية .

هذا وتحطمت قرب اثنا بعض القوارب الرومانية المحملة بالحبوب لان النهر الهائج اطاح بالسد الذي كانوا يحتمون وولاه . وربما كان السد جداراً حجرياً متصلاً بقنطرة مثبت على نهايتها الخارجية ناعور . وكانت مثل هذه الجدران او السدود شائعة جداً لمدة طويلة في المنطقة المجاورة لعانة ، وربما تحطمت قوارب الحبوب بسهولة عند ارتطامها بواحد منها . وكانت كل من الجزر والصفتين حول اثنا مزروعة زراعة جيدة ، وهكذا تمكن الجيش من التزود بكميات من الحبوب والنبذ . اما العدو فكان يراقبهم من الضفة اليمنى فقتلوا جندياً كان قد وقع في اسرهم .

والى الجنوب الشرقي من اثنا شاهد الامبراطور معقلاً جزرياً يدعى ثلوثا وكان هذا الحصن بدرجة من المتانة بحيث لم يجرؤ على محاصرته . ولا يمكن ان يكون هذا الثلوثا سوى جزيرة تلييس الصخرية التي كانت قد تحصنت من اقدم الازمنة وتقع على بعد ١٤ كيلومتراً جنوب شرقي عانة . ومن ثلوثا وصل الجيش الروماني الى حصن اخياخالا الذي كان محاطاً بالنهر مما جعل الاقتراب منه امراً صعباً للغاية . وفي امكاننا الافتراض ان هذه البلدة تقع على الضفة اليمنى ، ويفصلها عن اليابسة قناة ضيقة اوفرع من الفرات ، لان امبانوس مارسيلينوس (المصدر السابق ، ص ١٤ : ٢٠)

لا يذكر انها بُنيت وسط النهر ، كما هو معتاد عند الحديث عن الجزر . ويتفق وصفه مع موضع بلدة الحديثة الحالية التي تنفصل كذلك عن اليابسة بخندق اصطناعي يملأ من ماء الفرات . ان اسم الحديث (اي الجديدة) هي تسمية متأخرة . ولعله من اخياخالا (او اخالاخالا) نشأ الاسم المحلي (العال) الذي يدل الآن على جرف عال شديد الانحدار على الجانب المقابل . ان تحديدنا لموضع اخياخالا يتفق مع البيانات التالية التي وردت في كتابات اميانوس مارسلينوس .

ومن اخياخالا (الحديثة) وصل الجيش في اليوم التالي الى حصن صغير مهجور واحرقوه . وعلينا ان نبحث عنه على الضفة اليسرى ؛ وفي الحقيقة نجد على بعد ٢٠ كيلومتراً شرقي الجنوب الشرقي من الحديثة خربة سفلة ، التي ربما تتطابق مع الحصن موضوع البحث ، ومن هنا زحف الجيش مائتي ستاد في يومين ووصل الى مخاضة براكسملخا التي تبعد مسافة سبعة أميال من بلدة دياكيرا . وكانت « دياكيرا » او « داكيرا » (من ذو فير ، وتعني « الذي يعطي قيراً » التسمية القديمة لبلدة هيت ، وعلى بعد سبعة أميال رومانية . او قرابة عشرة كيلومترات مصعداً مع النهر من هيت تقع خرائب العويرا (٥) على الضفة اليسرى ومنها تؤدي مخاضة ميدة بجانب جزيرة الفاوي الى الضفة اليمنى . ولعل هذا يبرر قيامنا بتطابق عويرة مع براكسملخا . ان المسافة من سفلة الى عويرة هي ٣٤ كيلومتراً التي تكاد تساوي مائتي ستاداً فيليبترياً . وربما تكون « براكس » تحريفاً لجذر الكلمة العربية فرض أو (مخاضة النهر) ، ومن هنا فان « براكسملخا تعني « المخاضة الملكية » . وفي اللهجة العامية يتشابه تلفظ حرفي الضاد والصاد ؛ وغالباً ما ينقله الاغريق الى لغتهم باستعمال حرف X .

وكانت بلدة هيت « معطاء القير » (دياقيرا) تقع على تلين ، اعلاهما

(٥) ان هذه الكلمة وردت مرة بحرف « عويرا » في نهايتها ومرارا تنتهي بحرف « عويرى » (المترجم) .

ينحدر بشدة الى النهر . وعلى الضفة اليسرى ، مقابل البلدة الحالية ، تندفق عيون فقط متعددة . وبجانب الطريق تماماً الى الشمال الشرقي من البلدة تنساب عين عطماط ، وإلى الجنوبي الشرقي عين النفاطة ، ولعل العين الأخيرة هي التي اشار اليها اميانوس مارسلينوس .

وبعد ان دمر الجيش دياقيرا استمر في زحفه بجلاء الضفة اليسرى . واستناداً الى زوسيموس اخترق الجيش قرى سيثا وميجيا وزراكارديا . وليس من المؤكد ما اذا كانت سيثا وميجيا تقعان قبل عين النفاط او بعدها . ويبدو ان اميانوس مارسلينوس يضع ازوكاردانا التي تتطابق مع زراكارديا التي ذكرها زوسيموس بعد العين مباشرة . وفي الامكان تحديد موضع قرية سيثا في خرائب الاسود على حافة سهل الزوية ، وموضع ميجيا في الخرائب الصغيرة غربي عين النفاطة . وزراكارديا في صاري الحد . وإلى الجنوب الشرقي من الخربة الأخيرة ينبسط سهل عريض فيه عدد قليل من الترع الاروائية القصيرة ، وربما اختفى وراء احدها جنود من الفرس والعرب كما يشير الى ذلك زوسيموس . اما قرية ماكيراكتا فايجاها أمر سهل لانها تقع ، استناداً الى اميانوس مارسلينوس (المصدر السابق ، ص ١٤٠ : ٢ : ٦) ، بالقرب من بقايا تحصينات كانت في الأزمنة الغابرة تحمي الامبراطورية الآشورية ضد هجمات معادية ، وكذلك لانه ليس بعيداً من هناك تفرعت اول قناة عريضة من القرات . ان السور الذي يبدأ من خرائب أم الروس ويمتد من الضفة اليسرى للفرات شمالاً حتى دجلة يمكن اعتباره بقايا التحصينات مدار البحث . وفضلاً عن ذلك ، فان القناة الكبيرة الاولى او فرع القرات عندما ينحدر المراء مع المجرى - القرمة وهي قناة تمّ تمحيقها اصطناعياً في جزئها الاول فقط وتلتوي لأكثر من اربعة أخماس طولها مخترقة منخفض الخورايضاً تبدأ قرب ام الروس . ولذا ففي الامكان تطابق هذه القسرية المخربة مع ماكيراكتا . اما قناة القرمة فلم تدع سابقاً نارماخا ، كما يذكر اميانوس مارسلينوس ، لان نارملمخا ،

كما نعلم من مصادر أخرى تشعبت من الفرات في موضع أبعد الى الجنوب الشرقي بمسافة كبيرة . ان ضفتي القرمق قرب الفرات شديتا الانحدار وان القناة نفسها مليئة بالوحل الى حد كبير مما يجعلها صعبة العبور جداً ؛ ولكن على مسافة أبعد الى الشرق ، حيث تهجج الضفتان واطنيتين ، يكون العبور سهلاً . وفي هذا الموضع ، ربما قرب خرائب الاشهابي الحالية ، استطاع الجنود الذين ارسلهم جوليان الى الضفة الجنوبية الخوض دون ان يتنبه اليهم أحد ومداهمة الفرس من وراء الاكاث الواطئة . بعد هذا عبر الرومان القناة وحاصروا حصن بريسابوراس (فيروزسابور) ، الانبار في يومنا هذا ، واستولوا عليه في يومين . ومن بريسابوراس مار جوليان (المصدر نفسه ، ح ١٤ ص ٣ : ١٠) مسافة اربعة عشر ميلاً ووصل الى موضع كان من الضروري فيه اجتياز مستنقعات طبيعية ، واخرى مغمورة اصطناعياً ؛ وبين هذه كانت ، استناداً الى زوسيموس ، تقع بلدة فيسينيا ، المحاطة بخندق عميق مليء بالماء من « النهر الملكي » المجاور الذي استخدم في اغراق المستنقعات ؛ ويتبين من النص ان المؤلفين كليهما يصف المستنقعات ذاتها .

ان مسافة اربعة عشر ميلاً من الانبار (بريسابوراس) توصلنا الى مدخل قناة دقار الحالية . وهذا السهل المنخفض الواقع الى الجنوب الشرقي لا يزال يفيض عليه نهر الفرات بين حين وآخر مكوناً بحيرة او اخدوداً موحلاً يزيد طوله على خمسة عشر كيلومتراً وعرضه كيلومتر واحد .

وربما كانت بلدة فيسينيا ، التي يقول زوسيموس ان خندقها لم يملأ من الفرات مباشرة بل من « النهر الملكي » (باسيليوس بوتاموس ، او نار ملخا) ، متطابقة مع خربة عقر النعيلي الواقعة قرابة كياموترين من الفرات على الضفة اليسرى لقناة قديمة .

وفي امكاننا ان نستنتج من اميانوس مارسلينوس (المصدر السابق ح ١٤ ص ٣ : ١٤) ان الجيش استمر في سيرة على الضفة اليسرى للفرات . ماراً بجزر

متعددة ، حتى جاء أخيراً الى منطقة كاد النهر العظيم يختفي فيها لكثرتها أروايتها وقنوات كثيرة . ورغم ذلك فإنه لا يذكر شيئاً عن طول هذه المسيرة ولا وقت مغادرة الجيش الفرات ثانية . وهنا يقدم لنا زوسيموس (المصدر السابق ، ص ١٩) بطريقة ما ، نوعاً من المساعدة وذلك بذكره بلدة احتلها الرومان . وكانت هذه بلدة « بثرأ » ، التي لا تزال باقية الى يومنا هذا في مجموعة من الخرائب (بثرأ) منبسطة على مسافة ستة كيلومترات اعتباراً من الكيلومتر ٢٢ الى ٢٨ جنوب شرقي عقر التليي (فيسينيا) على كلتا الضفتين اليمنى واليسرى للفرات . وكانت غالبية مدن الفرات القديمة تقع على الضفتين كليهما ، وكانت الضواحي تسمى باسمائها ؛ وعلى هذا يمكن تحديد موضع بلدة بثرأ التي ذكرها زوسيموس بخرائب بثرأ الواقعة بجانب ضريح ابراهيم الخليل . وعلى الجانب الشمالي من هذه الخرائب تفرعت قناة نار ملخا القديمة والكبيرة (نهر ملكي ؛ النهر الملكي عند بليني ، التاريخ الطبيعي ، ص ١٢٠ ؛ نهر الملك عند العرب) من الضفة اليسرى للفرات وكذلك تشعبت قناة العلقمي ، وهي المعروفة بمارساريس في الازمنة القديمة ، من الضفة اليمنى قرب الخرائب . وبفضل قنوات أخرى اصغر حجماً وترع في هذه المنطقة تحول الماء من المجرى الرئيس بطريقة بحيث أدت الى ان يزداد النهر ضيقاً باستمرار حتى كاد يختفي في بعض الأماكن . ولا يظهر أن بثرأ التي ذكرها زوسيموس بما فيها من قصر ملكي ومبان واسعة ، هي نفس البلدة التي هجرها اهلها الى اليهود بسبب وضعها المعرض للخطر الذي يشير اليه ميانوس مارسليانوس (المصدر السابق ، ص ١٤ : ٤) . أما عن موضع الأخيرة فلا تزال في شك مما اذا كانت تقع على الفرات او الى الداخل بمسافة بعيدة .

غادر الجيش الروماني نهر الفرات بعد بثرأ مباشرة . ومن المحتمل ان السفن أبحرت على نارملخا وان الجيش تقدم بحذاء ضفته اليمنى . وكانت المسافة من بثرأ الى دجلة عند طيسفون ثلاثة واربعين كيلو متراً . سار الجيش

اتجاه شرقي حتى حصن مايوزاملخا . واستناداً الى زوسيموس (المصدر السابق ، ص ٣٠) الذي لا يذكر اسم الحصن فإنه يقع بجانب بلدة بيسوخيس على مسافة تسعين ستاداً من طيسفون . وتعني مايوزاملخا « حصن الملك ، او الحصن الملكي » ولنا ان نفترض انه سمّي هكذا لانه وقع على نارملخا . وعلى مسافة تسعين ستاداً ، او قرابة ثمانية عشر كيلو متراً غربي طيسفون نجد ركام خربة عند خان الزاد الحالي ، الواقع على الضفة اليسرى من نارملخا القديم .

وبعد مغادرة الرومان مايوزاملخا واصلوا سيرهم في اتجاه طيسفون مارّين ببنية فخمة على الطراز الروماني ثم اخترقوا منطقة محصورة لصيانة وصيد الحيوانات محاطة بجدار عال تعود الى ملوك فارس امتدت حتى قناة نارملخا . ان منطقة الصيد هذه دون شك تتطابق مع المئذنة الذي ذكره زينوفون (اناباسس ، ص ٢ : ٤ : ١٤) والواقع على قناة كبيرة بالقرب من بلدة سيثاس .

وباجتياز الرومان منطقة الصيد ضربوا خيامهم قرب بلدة ذات حصن عال لم يذكر اميانوس مارسلينوس اسمه . الا انه استناداً الى زوسيموس (المصدر السابق ، ص ٣٠ : ٢٣) كان يدعى ميثاس سباتا (ووردت ميناس) وكان يبعد حوالي ثلاثين ستاداً ، او ستة كيلو مترات من زوخاسة ، وهي جزء من مدينة سلونية المهذبة . اما اميانوس مارسلينوس (المصدر السابق ، ص ٤ : ٣) فيضع الحصن قرب كوخة ، وهي ايضاً جزء من سلوقية . وبعد مقاومة عنيدة تم الاستيلاء على حصن سباتا وأضرمت النيران فيه ، ومن المحتمل ان القوارب الرومانية أبحرت على نارملخا الى ما وراء سباتا ، وهي خربة المئذنة الحالية . وفي هذا الموضع يستدير نارملخا باتجاه جنوبي بزاوية تكاد تكون قائمة ويجري حول خرائب سلوقية ثم يختفي في فروع لا تحصى هناك .

ولا يؤكد اميانوس مارسلتيوس ان تراجان وسفيروس أمرا بحفر نارملخا
بأكمله من الفرات الى دجلة ، كما انه لا يؤكد ان الفرس أمروا بعرقلة الملاحة فيه
فيه بأكمله وذلك بوضع جلاميد صخرية كبيرة . ومن المحتمل انه لا يشير
إلا الى فرع موصل طوله ستة كيلو مترات يؤدي من سباتا شرقاً مباشرة الى
دجلة . وكان هذا هو الفرع الذي اعطى للاسطول الروماني الصغير حرية
الوصول ليس الى دجلة فحسب بل والى سلوقية وطيسفون ايضاً . وكان تراجان
وسفيروس قد امرا قبل ذلك بتعميقه الا ان الفرس اغلقوه بسد عظيم . ان
جوليان بتدمير هذا السد سيمكن القوارب من الوصول الى دجلة دون عائق ،
وعلى ذلك فان عبور جيشه الى الضفة اليسرى لدجلة وزحفه الى طيسفون
المجاورة سيصبح امراً سهلاً . وبقيام الفرس بطمر الفرع الموصل بين القناة
والنهر فمن المحتمل انهم كانوا لا يأمنون منع قوارب العدو من دخول دجلة
فحسب بل إنهم كانوا يأملون الاحتفاظ بماء نهر الملك للمنطقة المجاورة
الواقعة الى الغرب من سلوقية .

وتنفيذاً لأمر جوليان تمت ازالة العائق الصخري وتدفق الماء من نهر الملك
مما مكّن القوارب الرومانية من الوصول الى دجلة . ثم قام الجيش الذي
اتخذ موضعه على الضفة اليمنى نهر الملك بعبوره على جسور وتقدم الى دجلة
ايضاً ، الى الشمال من بلدة كوخة المجاورة . وكانت هذه
البلدة التي لم يدخلها الرومان ، على الضفة اليسرى لنهر الملك مقابل طيسفون
وتبعد حوالي ثلاثين سناداً او ستة كيلو مترات من سباتا .

هذا وعرف بليني (التاريخ الطبيعي ، ص ١٣٢) بوجود بلدة سباتا
ووردت بصيغة سبداتا الا انه لم يوفق الى تحديد موقعها بالضبط .

ويذكر ابو الفضائل (في مرصد الاطلاع [يويتبول] ، مجلد ٢ ،

ص ١) ان بلدة ساباط قرية كانت قريباً من المدائن عندها قنطرة كانت
على نهر الملك . وكان القرية سميت بالقنطرة لانها ساباط

(عبور ، ارتباط ، حلقة وصل- ماباط) ويتفق موضع ماباط كسرى كلياً مع موقع بلدة سباطا التي نحن بصدددها . وكذلك لاتقع سباطا بعيدة عن المدائن (اي سلوقية القديمة وطيسفون) الواقعة على نهر الملك (نارملخا القديم) ، وكما يبدو من عبارات زوسيموس واميانوس مارسلينوس فانها تقع على الضفة اليمنى من هذه القناة على بعد ثلاثين ستاداً ، او ستة كيلو مترات ، من كوخة ، التي شكلت جزءاً من المدائن . واستناداً الى هو فمان ، مقتطفات (١٨٨٠) ، ص ١١٠ فقد أرسل الشهيد كيوركيس الى ماحوزى وسجن في قلعة دعيت بـ (اكرافض خوخى وتعني ماحوزى في الارامية قفس ماتعنيه المدائن العربية ، وخوخى هي كوخة الكلاسيكية . واحد موضع سباطا في خرائب المنير الحالية ، التي تبعد نحو خمسة كيلو مترات الى الشمال الغربي من تل عمر (كوخة القديمة) وعلى بعد ٥ ، ٥ كيلو مترات من دجلة .



الملحق الخامس

الطرق البرية على الفرات الأوسط وفقاً للمراجع العربية

الطرق من بغداد الى الكوفة

كان الطريق من بغداد الى الكوفة ذا اهمية كبيرة فى العهد العربي .
وبما انه يشكل جزءاً من طريق الحج الكبير الى المدينة ومكة فقد ورد وصفه
كثيراً ؛ ومع ذلك فان أقوال الكتاب المتقدمين لا تتفق بعضها مع بعض ،
كما لا تتفق مع الحقائق الواقعية .

ويقار ابن خرداذبه في المسالك (دي خويه ، ص ١٢٥) المسافة
من بغداد الى الكوفة بـ ٣١ فرسخاً ؛ وبما ان المسافة الحقيقية هي ١٤٦ كيلو متراً
فهي الامكان اعتبار ٧ ، ٤ كيلو مترات كعدل (انظر ماسبق ص ٥٢)
لطول الفرسخ عند ابن خرداذبه ؛ على انه في حالات أخرى نحصل من مقارنة
المسافات المعلومة مع تلك التي يعطيها ابن خرداذبه على خمسة كيلو مترات
في الأقل كعدل للفرسخ الواحد (انظر مايلى ص ٨٣) . فعلى الاسباس الأخير
يجب الا نتوقع اكثر من ٢٨ او ٢٩ فرسخاً بين المدينتين . وفي المناقشة التالية
اعتبرنا ٥ كيلو مترات معدلاً للفرسخ فيما عدا الحالات الموضح فيها خلاف ذلك.
ذكر ابن خرداذبه المسافة من بغداد الى قصر ابن هيرة على انها
اثنا عشر فرسخاً . انني احدد اليلة الأخيرة في الخرائب المجاورة لصريح
السيد ابراهيم الصغير ، على مسافة ٦٢ كيلو متراً او ما يقارب اثني عشر
فرسخاً ، جنوبي بغداد .

ويذكر اليعقوبي ، في البلدان (دي خويه) . ص ٣٠٨ والصفحة التي
التي تليها) ان المسافة من بغداد الى الكوفة هي ٣٠ فرسخاً ؛ ولهذا يكون

الفرسخ استناداً اليه ٩ ، ٤ كيلو متراً ؛ ويذكر ان المسافة الى قصر ابن هبيرة هي ١٢ فرسخاً .

اما ابن رسته ، فيذكر في الاعلاق النفيسة (دي خويه) ، ص ١٧٤) ان المسافة من بغداد الى قصر ابن هبيرة هي ١٢ فرسخاً ؛ ومن هناك الى الكوفة ٢٠ فرسخاً . ولكن في الواقع ان المسافة من قصر ابن هبيرة الى الكوفة لا تزيد على ١٦ فرسخاً .

وفي اماكن اخرى يذكر ابن رسته (المصدر السابق ، ص ١٨٢) المسافات بالأميال (٣ لكل فرسخ) : من بغداد الى قصر ابن هبيرة ٣٦ ميلاً او فرسخاً ؛ ومنها الى الكوفة ٥٧ ميلاً او ١٩ فرسخاً ، وهي اكثر مما يلزم . ويذكر قدامة ، في الخراج (دي خويه) ، ص ١٨٥) أن المسافة من بغداد الى قصر ابن هبيرة هي ١٢ فرسخاً ، ومنها الى الكوفة هي ٧١ فقط ؛ وفي الجملة ٢٩ فرسخاً ؛ وهذا اكثر اتفاقاً مع الواقع .

ويسجل الهمداني ، في صفة جزيرة العرب (ملر) ، ص ١٨٥) من بغداد الى قصر ابن هبيرة ٣٦ ميلاً ، او ١٢ فرسخاً ، ومن هناك الى الكوفة ٤٦ ميلاً فقط ، او ١٥ فرسخاً زائلاً ميلاً واحداً ؛ وفي الجملة ٢٧ فرسخاً وميلاً واحداً . وتبدو بيانات الهمداني أقرب الى الصواب مما ورد في الكتابات الأخرى . ويذكر ابن خرداذبه في نفس الموضع ، ان المسافة من بغداد الى جسر كوثي (جسر قوارب كوثي) هي ٧ فراسخ ؛ ومنه الى قصر ابن هبيرة ، ٥ فراسخ ؛ ومنه الى سوق أسد ، ٧ فراسخ ؛ ومنه الى شاهي ، ٧ فراسخ ؛ ومنه الى الكوفة ، ٥ فراسخ ؛ والمجموع : ٣١ فرسخاً . احدد موضع جسر كوثي في خرائب ام سفوح ، وهي تبعد ٣٧ كيلو متراً من بغداد ، وهي مسافة تتطابق مع ٧ فراسخ اذا قسنا المسافة من البوابة الخارجية لبغداد القديمة . وفي الامكان تتبع السلود الضبخمة لقناة كوثي من ام سفوح الى مسافة بعيدة . ومن هناك الى ضريح السيد ابراهيم ،

او قصر ابن هبيرة ٢٥ كيلو متراً او ٥ فراسخ . ومن هذا المكان الى الكوفة ٨٠ كيلومتراً او ١٦ فرسخاً فقط ، وليس ١٩ الذي هو المجموع الكلي الذي اورده ابن خرداذبه . وعلى كل حال ، فان بيانات ابن خرداذبه تجعل من الصعب علينا ان نقرر اي المسافات المشتركة في هذا المجموع صحيحة واي منها غير صحيحة ؛ كما انه ليس في مقدورنا التأكد من موقعي محطتي سوق أسد وشاهي . ويحدد مؤلفون عرب آخرون موضع شاهي على الضفة اليسرى للفرات بجانب المخاجفة وجسر القوارب في بلدة الكفل الحديثة ، ٢٥ كيلومتراً شمالي الكوفة .

ويقدر يعقوبي ، في نفس الموضع ، عدد الفراسخ من بغداد الى الكوفة بثلاثين ويقسم هذا الامتداد الى ثلاث محطات . وكانت المحطة الاولى حتى بلدة قصر ابن هبيرة ١٢ فرسخاً من بغداد وقرابة الميادين فقط من الفرات الأصلي . وهنا يعبر النهر على جسر قوارب ، يدعى جسر سورا . ومن هناك تؤدي المسيرة الثانية الى بلدة تدعى سوق أسد غربي الفرات في منطقة الفلوجة الادارية . وكانت المسيرة الثالثة من سوق أسد الى الكوفة . ويعتبر يعقوبي الفرع الذي يجري بجانب بابل والحلة على انه الفرات الأصلي وهو لا يعطينا اطوال المسيرتين الثانية والثالثة .

وفيما يلي الارقام التفصيلية التي قدمها ابن رسته في المصدر السابق (ص ١٧٤)

من بغداد الى جسر قوارب كوئي ، ٧ فراسخ ؛

ومن جسر كوئي الى قصر ابن هبيرة ، ٥ فراسخ ؛

ومن ثم الى سوق أسد ، ٦ فراسخ ؛

ومن ثم الى شاهي ، ٧ فراسخ ؛

ومن شاهي الى الكوفة ، ٧ فراسخ : —

ان مسافات ابن رسته بين المحطات جنوبي قصر ابن هبيرة تختلف عما ورد في ابن خرداذبه .

هذا وسجل ابن رسته تفاصيل اضافية تتعلق بهذا الریق في النص الثاني الذي اشرنا اليه (المصدر نفسه ، ص ١٨٢) :

من بغداد الى جسر نهر صرصر ، ١٠ أميال ؛
ومن ذلك المكان الى نهر الملك ، ٧ أميال ؛
ومنه الى نهر كوئی ، ٤ أميال ؛
ومنه الى بز یقیاء ، ٦ أميال ؛
ومنه الى قصر ابن هبيرة ، ٩ أميال ؛
ومنهما الى جسر سوران ، ميلين ؛
ومنه الى ذماد (او ذمار) ، ٩ أميال ؛
ومنه الى سوق أسد ، ٧ أميال ؛
ومنه الى اليعقوبية ، ٤ أميال ؛
ومنه الى القناطر ، ٧ أميال ؛
ومنه الى شاهي ، ١٠ أميال ؛
ومنه الى الكوفة ، ١٨ ميلاً .

ان المسافة من بغداد الى جسر نهر صرصر ، او جسر القوارب على قناة صرصر (نل الأبيض) ، هي ١٠ أميال ، او ما يقارب ١٧ كيلو متراً .
والرقيمين التاليين ، اللذين يمثلان المسافة من جسر صرصر الى نهر الملك (٧ أميال) . ومن هذا المكان الى نهر كوئی (٤ أميال) ، قد تحولوا من مكان الى آخر . ان المسافة من جسر صرصر (الأبيض) الى نهر الملك بجوار خرائب الدير هي حوالي ٨ كيلو مترات ، وهي توازي ٥ أميال تقريباً . ومن ذلك المكان الى نهر كوئی بالقرب من خرائب آمسفوع ١٣ كيلو متراً ، او ما يقارب ٧ أميال . ان مسافة ستة أميال ، او عشرة كيلو مترات ، من آمسفوع توصلنا الى مزرعة الهراوي التي نطابقها مع بز یقیاء ؛ ومن هناك توصلنا ٩ أميال ، او ما يقارب ١٥ كيلو متراً الى الخرائب الواسعة بجوار ضريح السيد ابراهيم

الصنبر ، حيث كانت تقع بلدة قصر ابن هبيرة القديمة . ويمكن البحث عن جسر قوارب سورا الذي يبعد ميلين على الجانب الأيسر بالقرب من مدخل قناة المحاول الحديثة . ويُحدث الفرات هناك انعطافاً كبيراً برغم ان هذا المنعطف لا يبدو أنه يعود الى فترة زمنية طويلة . ان تحديد مواقع اية محطات اضافية من سجلات ابن رسته وحده غير ممكن .

من بغداد الى جسر كوئي على نهر الملك ، ٧ فراسخ ؛
ومن ذلك المكان الى قصر ابن هبيرة ، ٥ فراسخ ؛
ومنه الى سوق أسد ، ٧ فراسخ ؛
ومنه الى شاهي ، ٥ فراسخ ؛
ومنه الى الكوفة ، ٥ فراسخ . -

وغير صحيح ان جسر كوئي كان يعبر نهر الملك . فلعل الكلمات « على نهر الملك » سربت الى النص من ملاحظة هامشية ترجع الى بعض المحطات الأخرى . ان مسبعة فراسخ ، او تقريباً ٣٥ كيلو متراً ، من قصر ابن هبيرة (قسرية السيد ابراهيم الحديثة) تؤدي بنا الى شرق قرية غضبان الحديثة ، التي ربما كانت موقع محطة سوق أسد . ان مسافة ٥ فراسخ ، او ٢٥ كيلو متراً ، من ذلك المكان الى شاهي تجعل محتملاً ان نبحث عن شاهي بالقرب من بلدة الكفل على بعد ٢٥ كيلو متراً او ٥ فراسخ من الكوفة .

ويعطي الهمداني (الموضع نفسه) ، خط عرض بغداد على انه ٣٣° ٩' والمسافة من هناك الى قصر ابن هبيرة ، التي تقع على خط عرض ٣٢° ٣٠' ٣٦ ميلاً . ويعطي أيضاً المسافة من قصر ابن هبيرة الى القناطر (على خط عرض ٣٢° ١٠') على انها ٢٤ ميلاً والمسافة من هناك الى الكوفة على انها ٢٢ ميلاً . -
وعند تحويل هذه المسافات الى فراسخ نحصل على :
من بغداد الى قصر ابن هبيرة ، ١٢ فرسخاً ؛

ومن هناك الى القناطر ، ٨ فراسخ ؛
ومنها الى الكوفة ٧ فراسخ زائداً ميلاً واحداً .

ان تحديد موقع القناطر عند خرائب البريس تؤكد سجلات أخرى .
ان مسافات الهمداني التي تدعمها خطوط العرض المذكورة تتفق مع
المجموع الكلي البالغ ٢٧ فرسخاً زائداً ميلاً واحداً ، او ٨٢ ميلاً .

وبما ان المسافة الحقيقية هي ١٤٦ كيلو متراً ، مع افتراض ان الهمداني
لم يقع في خطأ في مجموع الكلي ، ففي الامكان تبني ٧٩ - ١ كيلو متراً على
انه الطول المعدل لليل الواحد عند الهمداني و ٣٧ ، ٥ كيلو متر للفرسخ عنده
ويذكر ابن حوقل ، في مسالكه (دي خويه) ، ص ١٦٦ أنه وبين
بغداد والكوفة سواد مشبك غير متميز تخترقه انهار مما يلي الفرات فاو لها مما يلي
بغداد نهر صرصر ، عليه مدينة صرصر تجري فيه السفن ، وعليه جسر من مراكب
يعبر عليه ، ومدينة صرصر عامرة بالتخيل والزروع وسائر الثمار صغيرة من بغداد على
ثلاثة فراسخ ثم ينتهي على فرسخين الى نهر الملك ، وهو كبير ايضاً اضعاف نهر صرصر
من غزر مائه ، وعليه جسر من سفن يعبر عليه .

ثم ينتهي الى قصر ابن هبيرة . وهي بقرب نهر الفرات الذي هو العمود ، ويطلع عليها
هناك عن يمين وشمال انها مقترقة ليست بكبار ، الا انها تعهم لحاجتهم وتقوتهم ، وهي
اعر نواحي السواد ثم ينتهي الى نهرونا وهي مدينة مقتصدية ونهر كثير الماء ، وليس
للفرات شعبة اكبر منه .

ولعل بلدة صرصر ، الواقعة على بعد ثلاثة فراسخ من بغداد ، تتطابق مع
خرائب الأييض . والنقطة التي كان يُعبر منها نهر الملك على جسر القوارب
وهي على مسافة لا تزيد على الفرسخين من صرصر يمكن البحث عنها
عند نيشان الدير .

ويعطي المقدسي ، في (احسن التقاسيم) (دي خويه) ، ص ١٣٤ هذه التفاصيل :

من بغداد الى نهر الملك ، مرحلة واحدة ؛

ومنه الى القصر ، مرحلة واحدة ،

ومنه الى حمام ابن عمر . مرحلة واحدة ؛

ومنهما الى الكوفة ، مرحلة واحدة :

وكانت مرحلة اليوم الأول من بغداد الى نهر الملك حوالي خمسة وعشرين كيلومتراً . اما المراحل التي تلتها ، كما سنرى فيما بعد ، فكانت حوالي اربعين كيلومتراً للمرحلة الواحدة . ان هذا السجل هام جداً لأنه يجعلنا قادرين على تحديد موقع حمام ابن عمر وفي الوقت ذاته تحديد اتجاه مجرى نهر النرس الذي يتفرع عند مدينة الحلة الحديثة . اذ تقع محطة حمام ابن عمر على الطريق الرئيس بين القصر (وهو قصر ابن هبيرة دون ريب) والكوفة ، وهو على التحقيق طريق كان خالياً من انعطافات كبيرة . ومن المحتمل اننا لا نخطئ كثيراً في تحديد موضع حمام ابن عمر في نحو منتصف الطريق بين قصر ابن هبيرة والكوفة الى الجنوب او الجنوب الغربي من الحلة . ودعماً للموضع الذي هو الى الجنوب الغربي من الحلة وليس جنوبها يمكننا ان نذكر مسافات مرحلة واحدة من حمام ابن عمر الى كل من قصر ابن هبيرة والكوفة . كان جسر القوارب على نهر الملك على بعد مرحلة واحدة من القصر ، ويقع الجسر نعلًا على مسافات تقارب اربعين كيلومتراً الى الشمال من القصر . ومن القصر الى الكوفة مرحلتان ؛ وبما ان هذه المسافة كانت بالحقيقة ٨٢ كيلومتراً فان المرحلة الواحدة في هذه الحالة ايضاً تكون حوالي اربعين كيلومتراً . فاذا حسبنا مسافة اربعين كيلومتراً من القصر نأتي الى خرائب البريس جنوب غربي الحلة . وهذا يحدد موضع حمام ابن عمر جيداً بل درجة كافية ، ويرينا مجرى نهر النرس التي يقول عنه ابن سيرايون ، في العجائب ، (مخطوطة المتحف البريطاني) . ورقة ٣٤ يمين وما بعدها ، (لوسترنج) ص ١٦ وما بعدها ،) انسه كان يأخذ من سورا الأسفل -- او استناداً الى آخرين ، من الفرات - عند

الجامعين القديمة ، اي الحلة الحديثة ، ماراً بحمام ابن عمر .

وما لاشك فيه ان محطة حمام ابن عمر ، مطابقة لمحطة القناطر (الجسور) التي اشار اليها ابن رسته والهمداني . ومن المحتمل ان جسوراً مبنية بالأجر امتدت فوق نهر النرس وبعض فروعها اسفل من حمام ابن عمر .

ويكرر الادريسي (في الترحه ، ح ٤ ص ٦) عبارات ابن حوقل مع تغييرات قليلة فقط . فيجعل المسافة من قصر ابن هبيرة الى بغداد ثلاث مراحل خفيفة ويقصد بذلك مراحل طول كل واحدة منها حوالي واحد وعشرين كيلومتراً ، او المسافة التي يستطيع جمل محمل حملاً ثقيلاً تغطيتها في يوم واحد .

غادر ابن جبير (الرحلة [دي خويه] ، ص ٢١٢ والصفحة التي بعدها) الكوفة مع قافلة الحاج في الصباح الباكر ووصل قبل الظهر بقليل الى نهر أخذ من الفرات الذي كان يجري على مسافة نصف فرسخ تقريباً شرقي الكوفة . وبعد ان واصلوا رحلتهم قضاوا الليلة قرب بلدة الحلة التي دخلوها في الصباح . وكانت الحلة تقع على الضفة الغربية للفرات : فعبروا على جسر قوارب ، ثم خيموا على مسافة تقارب فرسخاً واحداً من البلدة . وعند استئنافهم الرحلة حوالي الساعة التاسعة ساروا فوق جسر قوارب على نهر النيل الذي تفرع من الفرات ، وعند كل ميل تقريباً كانوا يصلون الى جسور من الأجر ممتدة على قنوات اروائية متنوعة . وقبل غروب الشمس ضربوا الخيام في بلدة في القنطرة ، او حصن بشير ، كما كانت تدعى ايضاً . ثم وصلوا الى بلدة الفرائس ، وفي المساء الى بلدة زريان التي كان جزؤها الشرقي يرى من دجلة والغربي من الفرات . ومقابلها الى الشرقي برز ايوان كسرى .:

ولم يحقق ابن جبير في التفاصيل عن اسماء القرى والقنوات المختلفة ولهذا يصعب متابعته . فمن الصباح الباكر وحتى منتصف النهار تقريباً من اليوم الأول من المؤكد ان قافلة الحاج لا بد ان قطعت خمسة وعشرين كيلومتراً ، وهكذا وصلت الى بلدة الكفل . ومن المحتمل ان تتطابق القناة الآخذة من

الفرات والتي بإحداثياتها ، على ما يبدو . تقدمت القافلة الى الحلة ، مع نهر
النرس . ان ابن جبير يطلق اسم الفرات ليس فقط على الفرع الذي يجري قرب
الكوفة بل ايضاً على الفرع القريب من الحلة . ومن الحلة سلك الطريق في اغلب
الاحتمال مساراً مستقيماً الى ايوان تسرى ، طيسفون القديمة ، وبما ان ابن
جبير لم يذكر بابل على الاطلاق ، فمن الواضح انه بقي الى الشرق منها .

ذهب ابن بطوطة ، التحفة (دفر يميري وسانكونيتي ، مجلد ٢ ص
٩٦ - ١٠٠) من الكوفة مخترقاً بر ملاءة ، وهي بلدة جميلة تكاد تكون
مختفية بين بساتين النخيل ، الى الحلة . وهنا كان الأهلون منقسمين الى فريقين
متخاصمين ، الاكراد وأهالي الجامعين . وكان جسر قوارب يؤدي الى
الجانب الآخر من الفرات . ومن الحلة زار ابن بطوطة كربلاء ولم يذهب
الى بغداد الا فيما بعد . وكانت البلدة الصغيرة بر ملاءة تقع على الطريق
الرئيس من الكوفة الى الحلة ، الا انه من الصعب تحديد موقعها على الوجه
الصحيح . ولا بد ان (الجامعين) ، وهو الاسم الأصلي لمدينة الحلة الحديثة ، كان اسماً
متداولاً حتى منتصف القرن الرابع عشر . وبما يؤسف له ان ابن بطوطة لم
يصف بتفصيل اوسع رحلته من الكوفة الى الحلة ، او من هذا المكان الى كربلاء
ويذكر حاجي خليفة ، في (جهان نامه القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ ،
ص ٤٧٠) ، ان الطريق من بغداد الى النجف يمر بـ (تل صرصر) وتل فراشر،
وشط النيل والكوفة . وبحلول نهاية القرن السابع عشر اخترق طريق الحاج هذه
المنطقة في نفس الاتجاه الذي يتبعه الطريق الحالي تقريباً . ويمكن البحث
عن تل فراشر (او بالأحرى . الفراش) شمالي شط النيل ، الذي تفرع
من الفرات ، او سورا الأسفل ، هنا . بابل .

ويذكر نيور ، في كتابه وصف الرحلة (كوبنهاكن ، ١٧٧٩ - ١٨٣٧ ،
المجلد ٢ ص ٢٩١) ، انه في ٥ كانون الثاني (يناير) ، ١٧٦٦ م خرج راكباً
من الحلة الى بغداد في اتجاه يكاد يكون شمالياً . وفي اربع ساعات وصل الى

مهافية ؛ ومنها استغرق اربع ساعات في الوصول الى سكندريه ؛ ومنها وصل بثلاث ساعات الى بير ونس ؛ ومنها بثلاث ساعات الى خان السد ومنها باربع ساعات الى بغداد . وكان في كل من هذه المسكن خان كبير . وتقع الى الشرق من مهافية باسلة تحمل الاسم نفسه وبين (بير ونس) وخان السد هناك قرية المحمودية التي اسستها قبل سنواب قليلة فقط عادلة خاتون ، زوجة سليمان باشا . اما بقية المنطقة فكانت مقفرة تماماً .

اما مهافية فقد قللت محرفة عن محاول . وسكندريه هي خان الاسكندرية الحديث وخان السد هو خان الزاد الحديث . اما المسافات فعلى احسن تقدير صحيحة تقريباً . ويقع خان المحاويل في منتصف الطريق تقريباً بين الحلة وخان الاسكندرية ، على بعد سبعة وعشرين كيلو متراً عن كل منهما . ان المسافة من خان الزاد الى بغداد هي ثلاثة وعشرون كيلو متراً . و (بير يونس) يمكن مطابقته فقط مع خان البيض المهجور في منتصف الطريق بين خان الاسكندرية وخان الزاد ، والمسافة عن كل منهما هي اثنا عشر كيلو متراً ، رغم ان نيويورك يجعلها ثلاث ساعات باعتبار سبعة كيلو مترات في الساعة تارة واربعة كيلو مترات في الساعة تارة أخرى . وتقع محمودي (المحمودية) على القناة التي تحمل الاسم نفسه بين خان الزاد وخان البيض .

الطريق من بغداد الى الشام

يسمي الطبري ، (التاريخ (دي خويه) ، السلسلة ١ ، ص ٢٠٧٥) الطريق الممتد بمحاذاة ضفتي الفرات اليمنى واليسرى من الكوفة الى الشام بطريق القيراض (طريق المخاضات ،) ربما لانه ربط بين المخاضات المتنوعة ونقاط العبور على الفرات . وله اسمان آخران وهما طريق الشام وطريق الفرات (المصدر نفسه ، السلسلة ٣ ، ص ص ٢٢٣٧ و ما بعده) و ص ٢٢٧٨) .

بعاء. مبركة صنين . سنة ٦٥٧ م ، لم يزحف جيش على (ع) (المصدر نفسه ، السلسلة ١ ، ص ٣٢٤٥) بمحاذاة الضفة اليسرى كما فعل في مجيئه ، بل اخترق الصحراء وبحذاء الضفة اليمنى الى هيت ومن هناك من الطريق صندوداء والنخيلة الى الكوفة . -- وربما ادى هذا الطريق من صنين (ابو هريرة) من طريق الرصافة ، ابا - ل - جبر والكواثل الى القرصة (الصالحية) ومن هنا بحذاء الفرات من طريق هيت وصندوداء (المشيهد او الرمادي) مباشرة خلال الصحراء الى النخيلة (خان ابن نخيلة) ، وبعدها سرعان ما ظهرت خيام الكوفة ويوتها .

وفي أيام العباسيين تم مسح الطريق الرئيس المؤدي من بغداد عن طريق هيت الى الرقة ومن ثم الى سوريا بصورة مضبوطة وجّهز باماكن للتوقف . ويسجل الجغرافي العربي . الخوارزمي ، في أقدم عبارة محفوظة لدينا في كتابه صررة الارض (محفوظة ستراسبورك) ، ورقه ٤٢ المقابل ، هذه المسلك على الفرات : قرقيسياء ، عانات في وسط النهر ، حديثه عانات ، الناورمة وصف ابن خرداذبه الطريق من بغداد الى الرقة آلوسا ، هيت ، والانبصار. اما ابن خرداذبه ، في المسالك (دي خويه) ص ص ٧٢ وما بعدها) ، فلا يعدّد المحطات الفردية فحسب ، بل يعطي المسافات كذلك . من بغداد الى السيلحون ٤ فراسخ ؛ ومنها الى الأنبار ٨ فراسخ ؛ ومنها الى الرب ٧ فراسخ ؛ ومنها الى هيت ، ١٢ فرسخاً ؛ ومنها الى الناورمة ، ٧ فراسخ ؛ ومنها الى آلوسا ، ٧ فراسخ ؛ ومنها الى الفحيمة ٦ فراسخ ؛ الى النهاية ، ١٢ فرسخاً خلال الصحراء ؛ ومنها الى الدازقي ، ٦ فراسخ ؛ ومنها الى القرصة . ٦ فراسخ ؛ ومنها الى وادي سباع ، ٦ فراسخ ؛ ومنها الى خليج بني جديع ، ٥ فراسخ ؛ ومنها الى التامش مقابل قرقيسياء ، ٧ فراسخ ؛ ومنها الى نهر سعيد ، ٨ فراسخ ؛ ومنها الى الجردان ، ١٤ فرساً ومنها الى المبارك ،

١١ فرسخاً ؛ ومنها الى الرقة ، التي سماها الاغريق قالانيقوس ، ٨ فراسخ .
ما هو الرقم العملي الذي في امكاننا تبينه (انظر ماسبق ص ٧٥)
لتحديد طول الفرسخ عند ابن خرداذبة ، فهو يحسب المسافة من بغداد الى
الأنبار اثني عشر فرسخاً ؛ وهي في الواقع ٦٢ كيلو متراً ؛ فيكون ؛
الفرسخ الواحد في هذه الحالة مساوياً الى ما يزيد على الخمسة كيلو مترات
بقليل . ويبدو ان هذه النسبة تنطبق جيداً على كل ارقام ابن خرداذبة
كما سنرى من الفحص التفصيلي التالي للبيانات التي قدمها . وهنا يُحسب
الفرسخ خمسة كيلو مترات الا اذا جاء في النص خلاف ذلك .

انه يحسب المسافة من بغداد الى السيلحين (صالحين الحديثة)
اربعة فراسخ ؛ اما قياسي لها فهو ٢٦ كيلو متراً او خمسة فراسخ في الأقل.
ويحسب المسافة من السيلحين الى الأنبار ٨ فراسخ ، وهي في الحقيقة
٣٦ كيلو متراً او حوالي ٧ فراسخ .

ويحسب المسافة من الأنبار الى الربّ (الشيخ حديد الحديثة مقابل الرمادي)
٧ فراسخ ؛ وانا عدتها ٣٦ كيلو متراً ؛ وهو مايتفق مع قياسه .
وبعد المسافة من الربّ الى هيت ١٢ فرسخاً ؛ وهي في الحقيقة ٥٠
كيلو متراً ، او عشرة فراسخ في الاكثر . ولا يذكر ابن خرداذبة ما اذا امتد
الطريق من الربّ بمحاذاة الضفة اليمنى أم اليسرى للفرات .

ويعتبر المسافة من هيت الى الناوروسة ٧ فراسخ . وتقع محطة او مكان
توقف الناوروسة على جزيرة في متعطف للفرات ، والمسافة من هيت بحذاء
بحذاء الضفة اليمنى هي ٣٥ كيلو متراً ، او ٧ فراسخ . اما بمحاذاة الضفة اليسرى
فتكون المسافة ٤٥ كيلو متراً في أقل تقدير ، وهو مالا يتفق مع المسافة التي
اعطاها ابن خرداذبة . وفي رأيي عندما يسير المرء متجها نحو سوريا
فان الطريق يعبر الى الضفة اليمنى في مكان ما أعلى من هيت ، عند المخاضة
القديمة بالقرب من جزيرة القليوي الصغيرة الحالية ؛ وبقي الطريق

اسفل من هيت على الضفة اليسرى نحاشياً لصعود العُقبَة الوعرة .
ويحسب ابن خرداذبه المسافة من الناورسة الى آكوسا (آكوس الحديثة)
٧ فراسخ ؛ وهي في الحقيقة ٢٨ كيلو متراً فقط بمحاذاة الفرات و ٢٥
كيلو متراً بخط مستقيم ، او ٦ فراسخ في الاكثر .
ويحسب المسافة من آكوسا الى الفحيمة ٦ فراسخ ؛ وهي في الحقيقة
٣٥ كيلو متراً ، او ٧ فراسخ . وربما استبدلت هذه المسافة بالمسافة التي
سبقتها . اذ ان المسافة بحذاء الضفة اليسرى من آكوس الى الفحيمي الحديثة
تكون ٥٤ كيلو متراً في الأقل ، او ١١ فرسخاً — وهذا دليل آخر على ان الطريق
الرئيس اتبع الضفة اليمنى .

في مخطوطة B في اوكسفورد (انظر ابن خرداذبه ، المصدر السابق
ص ٧٢ ، ملاحظة K) قد اضيفت ملاحظة بين آكوسَة و « الفُحيمة » نصها
« الى الداري ، ستة فراسخ » ان هذه الملاحظة لاعلاقة لها مطلقاً بالسياق
المباشر وربما نشأت من تحريف كلمة « الدازقي » عند الكتابة ، او من أي
اسم كان يطلق على المحطة التي تأتي بعد النهاية . وهذا اول تصريح نحصل
عليه بهذا الصدد يشير الى ان نص ابن خرداذبة لم يحفظ لنا بشكله
الأصلي .

ويعطي ابن خرداذبه المسافة من الفحيمة خلال الصحراء الى النهاية على
انها ١٢ فرسخاً . ان المسافة الحقيقية الى النهاية بمحاذاة الفرات بطريق عانة
هي ٦٠ كيلو متراً (١٢ فرسخاً) ، بينما تبلغ المسافة بطريق مباشر خلال
الصحراء ٥٠ كيلو متراً فقط ، او ١٠ فراسخ . ويظهر ، على كل حال ،
ان المسافرين اعتادوا السفر بحذاء الفرات وليس من خلال الصحراء وان
محطة واحدة بين الفحيمة والنهاية قد حذفت . ويظهر ان الدليل على هذا
الحذف قد توفر بادخال الاشارة الى : « فراسخ الستة » الى الداري « في مخطوطة
B ، التي ربما تمثل المسافة التي كان ينبغي ذكرها باعتبارها المسافة من
الفحيمة الى بلدة عانة الحالية .

ويعطينا ابن خرداذبه المسافة من الزهية الى « الدازقي » على انها ٦ فراسخ ولا نعرف الاسم الصحيح لهذه المحطة . فمخطوطة B (المصدر نفسه ، ص ٧٣ ، ملاحظه C) تعطي « الداري » ؛ وقدامة ، في الخراج (دي خويه) ، ص ٢١٦) يعطي « اللواقي » او « اللوامي » ؛ والادريسي (المصدر ٤ ، ص ٦) يعطي « اللرافي » ؛ او كما ترجمها جويرير (المجلد ٢ ، ص ١٤٥) « دورقي » . ان المحطات التي عدناها حتى الآن توضح ان المسافرين في زمان ابن خرداذبه توقفوا على الاغلب حيث يتوقفون اليوم تماماً . ولذا يمكن تحديد موضع محطة الدازقي ، او مهما كان اسمها ، عند مكان توقف القائم الحالي ؛ ولكن هذا يبلغ ٣٥ كيلو متراً ، او ٧ (وليس ٦) فراسخ ، من الزهية .

ويعطي ابن خرداذبه المسافة من الدازقي الى الفرضة على انها ٦ فراسخ . ان اسم محطة الفرضة غالباً ما يذكره المؤلفون السابقون ، ومع ذلك فلا يذكره ياقوت او ابو الفضائل . والاسم ذاته يعني « المخاضة » — على ان هناك مخاضات كثيرة على الفرات ، ولذا نحتاج الى تعريف ادق . ويسجل بعض المؤلفين السابقين مخاضة باسم فرضة النعم ، ويطابقونها مع بلدة الرحبة المتأخرة . وقد يفسر هذا السبب في ان الكتاب المتأخرين كانوا يجهلون استخدام اسم الفرضة في مكان آخر . ومهما يكن فلا يمكن ان تكون الفرضة عند ابن خرداذبه فرضة النعم والرحبة نفسها . وربما ينبغي لنا البحث عن الفرضة التي اوردها ابن خرداذبه عند بلدة « الدالية » الصغيرة ، التي تدل عليها خرائط الصالحية الحالية . وكما يفعل الجغرافيون العرب في الغالب فلعل ابن خرداذبه ارتبك هنا في ترتيب اسماء اماكن التوقف . ويبدو ان « الفرضة » كان يجب ان يحدد موضعها عند الفرسخ ٥ ما وراء بني جُمُيع بدلاً من الفرسخ ٦ وراء الدازقي . فيكون ترتيب المحطات والمسافات حينئذ كالاتي : الدازقي الى وادي سباع ، ٦ فراسخ ؛ ومنه الى خليج بني جُمُيع ، ٦ فراسخ ؛ ومنها الى الفرضة ، ٥ فراسخ .

ومع انبثاها الى هذا التغيير ، نستطيع ان نستأنف فحوصنا المفصل لبيانات ابن خرداذبه .

انه يحسب المسافة من الدازقي (القايم) الى وادي سباع ١٦ فرسخاً ، ورغم ان المسافة من القايم الى ابو كمال قرب شعيب الرزقة هي ٢٥ كيلو متراً فقط او ٥ فراسخ فمن المحتمل ان يكون من الواجب علينا أن نقرون وادي سباع بـ (ابو كمال) بدلاً من شعيب ام سباع الحالية على الضفة اليسرى للفرات شرقي ابو كمال ، نظراً لان ابن خرداذبه لا يذكر عبور الطريق الرئيس الى الضفة اليسرى .

ومن المحتمل انه كان يحسب المسافة من وادي سباع الى خليج بني جُميع ٦ فراسخ وليس ٥ كما هو وارد فعلاً في النص المطبوع بسبب الخطأ في موضع القرضة (مع ان مخطوطة B تذكر ان المسافة ٦) . وتقع على بعد ٢٠ كيلو متراً او ٤ فراسخ فقط الى الشمال الغربي من ابو كمال تلون خربة شعبان التي يمكن ربطها بخليج بني جُميع وبالقرب منها يمكن التعرف على مجرى قديم (خليج) للفرات . سبيل قدامة هذا الامتداد على انه ٥ فراسخ وليس ٦ ؛ ومن الواضح ، على كل حال ، فان الأرقام لم تحفظ بصورة صحيحة في كلتا الحالتين . وما يشك فيه ان يعتمد ابن خرداذبه الى تسجيل بعد النهاية ٦ فراشح لثلاث مرات متعاقبة ، واستناداً الى مخطوطه ب (B) لأربع مرات . ومن خليج بني جُميع الى القرضة . ان كان تصحيحنا لموقع الأخيرة له ما يبرره ، فان ابن خرداذبه يعطي المسافة على انها ٥ فراسخ ؛ ومن شعبان الى الصالحية ٢٥ كيلو متراً ، او ٥ فراسخ ايضاً . وعليه في الامكان تحديد موقع محطلة القرضة اسفل من خرائب الصالحية الحالية ، حيث لاتزال في الحقيقة محطة حتى الآن .

ويحسب المسافة من القرضة الى الفاش مقابل قرقيساء ٧ فراسخ ؛ ومن هناك الى نهر سعيد ، ٨ فراسخ . ان موقع هذه القناة معروف

لدينا . فاستناداً الى ابن سرايون في العجائب (مخطوطة المتحف البريطاني ، ورقة ٣٣ يمين ، (لوسترنج) ، ص ١٤ لأنها تصب في الفرات فوق بلدة الدالية بقليل وكان مدخلها اسفل من ضريح مسمي باسمها (سعيد) ، فوق بلدة الرحبة بمسافة غير بعيدة . ولا يزال هذا الضريح قائماً على الضفة اليمنى قرابة ثلاثة عشر كيلو متراً في شمال غرب موقع قرقيسيا ويدعى الآن ابو نهود . وأحدد موقع بلدة الدالية الصغيرة عند خرائب الصالحية ، ولا بد ان محطة القرصة كانت تقع في نقطة في هذه الناحية . وفي زمن ابن خرداذبه يحتمل ان الطريق الرئيس كان يبدأ من هذه المحطة التي تحاذي نهر سعيد . وبما ان المحطة المسماة نسبة الى الفاش تقع فوق قرقيسيا فمن المحتمل ان لدينا ما يبرر وضعها عند مدخل القناة حيث حدد قدامه على وجه التحقيق موقع محطة (المصلر السابق ، ص ٢١٧ . ومن ٢١٧) ومن الصالحية الى ضريح ابو نهود تبلغ المسافة بخط مستقيم ٦٠ كيلو متراً ، او ١٢ فرسخاً ، وليس ١٥ كما يتصورها ابن خرداذبه . ولهذا يمكننا مطابقة نهر سعيد بضريح ابو نهود الصغير .

وعلى بعد ٨ فراسخ ، او ٤٠ كيلو متراً ، الى الجنوب الشرقي من ابو نهود نصل الى قسرية العشارة التي فيها او بالقرب منها نستطيع البحث عن محطة الفاش . وعند قدامه (المصلر السابق ، ص ٢١٧) كتبت كلمة العاسر وهي كلمة تحتوي على نفس الحروف الصحيحة كاسم العشارا حيث حيث توجد محطة حتى يومنا هذا . الا ان العشارا تقع على بعد ٢٤ كيلو متراً الى الجنوب الشرقي من قرقيسيا القديمة ، ومن ثم فإن التسمية المحددة « حيا ل قرقيسيا » (مقابل قرقيسيا) تثبت ان النص الاصيل لا يمكن ان يكون هنا محافظاً عليه .

ويحسب ابن خرداذبه المسافة من خايح بني جُميع الى الفاش ٧ فراسخ ؛ وانها في الحقيقة ٢٣ كيلو متراً ، او ٧ فراسخ ، من الصالحية الى العشارة .

وانه يحسب المسافة من نهر سعيد الى الرقة ٣٣ فرسخاً ، وفي الواقع هي ١٥٠ كيلو متراً وهي متوافقة تقريباً .

من الصعب تحديد المحطات بين نهر سعيد والرقة ، لاننا لانعلم ما اذا امتد الطريق بمحاذاة الضفة اليمنى ام اليسرى من الفرات . وعلى الضفة اليسرى عند قرية الخانوقة يصل شعيب الحليقة الى النهر . وهناك في هذا الشعيب عين الجردية ويوحى اسمها بمحطة الجردان . الا ان المسافة تكاد تبلغ ١٦ فرسخاً من ابو نهود الى هذا الوادي ، وليست ١٤ فرسخاً ، كما يجب ان تكون ، لتتسبب مع ابن خرداذبه . وهناك على الضفة اليمنى ، خلف محطة التبنى الحديثة ، الخرائب التي تحتوي على ضريح الشيخ مبارك ، الذي يشبه اسمه اسم المحطة الثانية على الطريق من نهر سعيد الى الرقة . ولا بد ان يكون الطريق الذي وصفه ابن خرداذبه قد عبر الفرات عند نقطة ما للوصول الى الرقة على الضفة اليسرى ، الا اننا لانعلم ما اذا تم هذا العبور عند محطة نهر سعيد ام عند الرقة ذاتها . غير اننا نعلم ان القوازل في العصر الوسيط المسافرة من بلاد ما بين النهرين منحدرة مع الخابور ومنه الى دمشق كانت تعبر النهر عند محطة نهر سعيد . فلو سلمنا ، اذن ، بان الطريق الرئيس امتد بمحاذاة الضفة اليمنى لكان في الامكان تحديد موضع المبارك عند محطة التبنى الحالية او عند الشيخ مبارك . ان هذا ، على كل حال ، يصبح فقط على افتراض ان ابن خرداذبه كان قد بدل ترتيب موقع محطتي الجردان والمبارك ، ويبدو ان هذا الافتراض يتأكد عندما نعتبر المبارك تقع على المسافة ١٤ فرسخاً (وهو الرقم الذي خصصه في الحقيقة للجردان) من نهر سعيد . فاذا ما أدخلنا في الحساب جميع التواءات الطريق ، فان الشيخ مبارك تبعد في الحقيقة ٦٦ كيلر متراً عن ابي نهود (نهر سعيد) ، وهي مسافة توازي ١٤ فرسخاً تقريباً .

وعلى نفس الافتراض ، فان المسافة تكون ١١ فرسخاً من المبارك الى الجردان ،

وهي محطة يمكننا حينئذ اعتبارها خربة الجريبة ، وهي في الحقيقة على بعد ٥٣ كيلو متراً (١١ فرسخاً تقريباً) من التبنّي و ٤٠ كيلو متراً أو ٨ فراسخ من الرقة ، والرقم الأخير يتفق مع السبعة فراسخ التي يَعدّها ابن خرداذبة المسافة من المبارك الى الرقة .

وصف قدامة للطريق من بغداد الى الرقة

يصف قدامة كذلك^١ في الخراج^٢ (دي خوية) ، ص ٢١٦ وما بعدها (، الطرق من بغداد الى الرقة . فيذكر ان المسافة الاجمالية بحذاء الفرات على انها ١٢٦ فرسخاً . وعلى كل حال ، إن جمعت المسافات المنفصلة بين المحطات فانها تبلغ ١٣٢ فرسخاً ؛ بينما المسافة في الواقع هي ٦٢٠ كيلو متراً او ١٢٤ فرسخاً باعتبار ٥ كيلو مترات للفرسخ الواحد . بدون قدامه نفس المحطات التي دونها ابن خرداذبة مع بعض الاضافات . فانه يذكر ، على سبيل المثال ، ان طريقين من الانبار يؤديان الى الرب ، طريق مستقيم يخترق سهلاً يسقى بالماء وطريق ثاني يخترق الصحراء . ومن المحتمل ان يكون هذا الطريق الثاني قد تشعب باتجاه شمالي شرقي تقريباً عند الانبار واتبع سفح الهضبة العائدة للدور الثالث من التكوين الصخري حتى خرائب السحلات التي منها وصل الى الشيخ حديد بعد اتخاذ مساراً باتجاه جنوبي غربي . ومن الواضح ان الرب كانت تقع على الضفة اليسرى للفرات ، لان هناك طريقاً واحداً فقط امتد بحذاء الضفة اليمنى على عهد قدامة — ولا يزال .

وعام قدامة ايضاً بوجود طريقين اثنين من الفحيمة الى النهاية : اولهما ، وهو بطول ١٢ فرسخاً ، امتد خلال الصحراء ؛ والآخر ، الذي اتبع الفرات وكان يستخدم طريقاً للبريد ، كان بطول ٦ فراسخ فقط . — ويخترق اقصر الطرق بين الفحيمي والنهاية الصحراء وطوله ٥٠ كيلو متراً ، او ١٠ فراسخ ؛ بينما تكون المسافة باتباع النهر العظيم ٦٠ كيلو متراً في الاقل ،

او ١٢ فرسخاً . ولا بد ان الستة فراسخ التي اوردها قدامة ترجع الى المسافة الى بلدة عانة ، التي لا يذكر اسمها .

ويؤكد قدامة ان الطريق الرئيس يتفرع عند محطة الفرضة الى فرعين : فرع يخترق الصحراء والآخر يسير بحذاء الفرات .

انه يعطينا المسافة من الفرضة الى وادي سباع على انها ٥ فراسخ فقط . ويسمى المحطة التالية خليج ابن جُمُيع ، وليس خليج بني جُمُيع كما يسميها ابن خرداذبه .

ويذكر ان المسافة من هناك الى الفاش (او كما ورد في مخطوطة القسطنطينية ، العاصر المصدر نفسه ، ص ٢١٧ ، الملاحظة ل (L) ٦) فراسخ فقط .

انه يحسب للمسافة من الفاش الى قرقيسياء ، او الى منفذ (فم) نهر سعيد ٨ فراسخ . وتقع قرقيسياء ، على كل حال ، على الضفة اليسرى ، وفم نهر سعيد على اليمنى وتفصل بينهما مسافة لا تقل عن ١٣ كيلو متراً بما يبرهن على ان الموضعين لم يشكلوا محطة واحدة .

ويسجل قدامة (المصدر السابق : ص ٢١٧ وما بعدها) الطريق من محطة الفرضة مخترقاً الصحراء بطريق الرُصافة (الرِصافة) الى الرقة كالاتي :

من الفرضة الى القمروني ، ٣ فراسخ ؛

ومنها الى العوامل ٩ فراسخ زائداً ميلاً واحداً ؛

ومنها الى العصبة (او القصبة) ، ٨ فراسخ ؛

ومنها الى العرير ، ٩ فراسخ ؛

ومنها الى الرصافة ، ٨ فراسخ ؛

ومنها الى الرقة ، ٨ فراسخ ؛

فهر يعطي المسافة من بغداد الى الرقة بطريق الصحراء على انها ٢٧ فرسخاً وميل واحد . --

وتبرهن التفاصيل المتعلقة بهذا الطريق ان موقع الفرضة ينبغي ان يحدد

عند الصالحية الحديثة . واستناداً الى قدامة فان المسافة من الفرضة بطريق الرصافة الى الرقة هي ٤٥ فرسخاً ؛ ومن الصالحية بطريق الرصافة الى الرقة هي ٢٢١ كيلو متراً ، وهو رقم يتفق تماماً مع الرقم بالفراسخ (٢٢٥ كيلو متراً) . وتاد تقع على الطرق المباشر من الصالحية الى الرصافة الاماكن التالية : القمري وجوائل وابا الجير ، التي يمكننا مطابقتها بمحطات معينة لقدامة . ويقع الى الشرق من هذا الطريق منهل القصبية (مصغر القصبية) التي يوحى اسمها ايحاء قوياً الى العصبية او القصبية عند قدامة ، برغم علم وجود ما يبرر انحراف الطريق الى هذا المكان عندما يكون الماء متوفراً حتى على المسار المستقيم .

ويعطي قدامة المسافة من الفرضة (الصالحية) الى القمري على انها ٣ فراسخ . والقمري واد ذو ماء قرابة ١٦ كيلو متراً الى الشمال الغربي من الصالحية ؛ وهذه المسافة تنسجم اساساً مع ٣ فراسخ .

ويحسب المسافة من القمري الى العوامل ٩ فراسخ زائداً ميلاً واحداً . ولا أعلم بوجود محطة في شمال غربي الصالحية تسمى العوامل . كما لا يرد اسم كهذا في الكتابات الجغرافية العربية . على أنه غالباً ماتذكر محطة باسم الكواثل في تلك المنطقة . ويطلق خليل الظاهري ، في الزبدة (رافيس ، ص ١١٩) على هذه المحطة اسم الكواامل ، مما يوضح ان الصيغة الصحيحة العوامل ربما كانت الكواثل . ويقع مكان السقاية الذي يعرف الآن ؛ (جوائل) او عقوله على بعد ٣٧ كيلو متراً شمال غربي القمري . ولهذا يمكننا مطابقتها بمحطة العوامل (او الأصح ، الكواثل) ، الا ان المسافة في هذه الحالة لا تكون ٩ فراسخ زائداً ميلاً واحداً ، بل ٧ فراسخ زائداً ميلاً واحداً فقط . وقد يكون الرقم العربي الصحيح سبعة قد تغير بسهولة الى الرقم تسعة ، خاصة اذا كان الرقم قد كتب بدون علامات مميزة .

ويحسب قدامة المسافة من الجوائل (العوادل) الى العنقة (او التنبية)
 ٨ فراسخ . وتوصلنا بسافة ٤٨ كيلو متراً بنفس الاتجاه الشمالي الغربي الى
 محطة ويثر القبايج الحالية ، التي ربما تتطابق مع العنقة . ولكن الأصوب
 ان تكون المسافة ١٠ فراسخ . وليس ٨ .

ويحسب قدامة المسافة من العنقة الى العرير ٩ فراسخ ومن المحتمل
 انه لم يحفظ لنا اسم هذه المحطة بشكل صحيح . ويعبر دي خويه عن
 شيكوكة باضافة كلمة " كلنا " الى ملاحظته (المصدر نفسه : ص ٢١٧ ،
 الملاحظة إس (S) . وربما كانت الكنيسة العربية العرير قد دثأت بسهولة من
 كلمة القير او الجير ، خاصة لأن ابا الجير هو اسم المنهل الواقع على بعد
 ٤٠ كيلو متراً ، او ٨ فراسخ ، الى الشمال الغربي على الطريق من القبايج
 الى الرصافة .

ويحسب قدامة المسافة من ابا الجير (العرير) الى الرصافة ٨ فراسخ ؛
 وهي في الواقع ٥٥ كيلو متراً ، مما يساوي ١١ فرسخاً .
 ويحسب المسافة من الرصافة الى الرقة ٨ فراسخ ؛ وفي الحقيقة انه
 ٣٩ كيلو متراً .

واستناداً الى قدامة فإن المسافة الاجمالية من بغداد الى الرقة بهذا الطريق هي
 ١٤٧ فرسخاً زائداً ميلاً واحداً ، الا انه اذا ما جمعنا المسافات بين المحطات
 المختلفة ، تاركين الفرضية حيث حدد قدامة موضعها ، انحصاراً على ١٢٠
 فرسخاً زائداً ميلاً واحداً . ومن الناحية الأخرى ، فإذا ما طابقنا الفرضية مع
 الضالحة الحديثة فيستكون النتيجة ١٣٠ فرسخاً زائداً ميلاً واحداً . وهنا
 نرى اننا نحصل على استشهد اضافي ان الفرضية يجب ان يتم البحث عنها في
 الضالحة الحالية ، لأن المجموع ١٢٧ أقرب الى ١٣٠ التي هي المجموع
 النهائي للمسافات بين المحطات المختلفة من ١٢٠ . ان المسافة الحقيقية هي
 ٦٣٤ كيلو متراً وهي ما يتساوي ١٢٧ فرسخاً .

الاصطخري والمقدسي : وصفهما للطرق من بغداد الى الرقة

يذكر الاصطخري في المسالك (دي خويه) ، ص ٧٢) ان المسافة بين بالس والرقة هي مسيرة يومين ، وبين الرقة والانبار مسيرة عشرين يوماً ، ومن هناك الى تكريت مسيرة يومين . ان المسافة من بالس الى الرقة بحذاء الضفة اليسرى للفرات هي حوالي ٩٠ كيلو متراً ، او مسيرتان طول الواحدة منهما ٤٥ كيلو متراً في اليوم الواحد . ان المسافة من الرقة الى الانبار هي ٥٦٠ كيلو متراً ، وهذا يتضمن السير بمعدل ٢٨ كيلو متراً في اليوم الواحد فقط ، وهي سرعة بطيئة بالمقارنة بتلك السرعة الملمح اليها في العبارة التي اعقبتها ومفادها ان المسافة من الانبار الى تكريت ليست اكثر من مسيرة يومين . وبما ان تكريت تقع على بعد يكاد يبلغ ١٣٥ كيلو متراً في شمال الانبار ، فان الوصول اليها في يومين يتطلب مسيرة ٦٨ كيلو متراً كل يوم . ويدون ابن حوقل في المسالك (دي خويه) . ص ١٣٩ المسافات نفسها الواردة عند الاصطخري .

ويحسب المقدسي في (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (دي خويه) ، ص ١٣٤ وما بعدها) المسافة من بغداد الى السليحين مرحلتين للبريد ؛ ومنها الى الانبار مرحلة واحدة ؛ ومنها الى الربّ مرحلة واحدة ؛ ومنها الى هيت مرحلتان : ومنها الى الناوروسة مرحلة واحدة ؛ ومنها الى عانة مرحلة واحدة ؛ ومنها الى آرسا مرحلة واحدة ؛ ومنها الى الفحيمة مرحلة واحدة ؛ ومنها الى الحديثة مرحلة واحدة ؛ ومنها الى النهاية مرحلة واحدة . وقد حذفت بقية المراحل على هذا الطريق . ولا يشير الا في صفحة ١٤٩ الى ان المسافة من الرحبة الى قرقيسياء هي مرحلة واحدة ومن الرحبة الى الدالية ، او من الرحبة الى يبراء مرحلة واحدة كذلك .

ان المسافة من بغداد السليحين هي ٢٦ كيلومتراً فقط ، فلا بد ان كان بين كل مرحلتين بريتين ما يقارب ١٣ كيلو متراً طولاً فقط .

وكانت مرحلة اليوم الواحد من سالحين الى الأنبار ٣٦ كيلو متراً ومنها الى الربّة (الشيخ حديد) المسافة نفسها .

واستناداً الى المقدسي فقط كانت المسافة بين الربّة وهيت مرحلة واحدة . ولهذا فهي مرحلة طولها ٢٥ كيلو متراً فقط . ويعطي المسافة بين هيت والناوسية على انها مرحلتان ، ولذا يكون طول كل منها ٣٢ كيلو متراً .

ان الترتيب الصحيح للمحطات المختلفة عند المقدسي إنها ما بعد الناوسية . فمحطتا عانة والفحيمة ليستا في موضعيهما الصحيحين ؛ وينبغي ان تندرج الاسماء على هذا الترتيب : الناوسا . آلوما ، الحديثة . الفحيمة ، عانة والنهية . ونجد هنا ايضاً ان المراحل المختلفة متفاوتة الطول . فمن الناوسا الى آلوس ٢٨ كيلو متراً ؛ ومنها الى الحديثة ١٢ كيلو متراً ؛ ومنها الى الفحيمي ، ٣٠ كيلو متراً ؛ ومنها الى النهاية ، ٣٢ كيلو متراً . واستناداً الى المقدسي فان جميع هذه المحطات تفصل احداها عن الأخرى مرحلة واحدة . ويبدو وكأن محطة الحديثة كانت قد تسلت الى متن النص من ملاحظة هامشية من الناسخ ، لان الحديثة لم يرد ذكرها في اي منهج رحلة أخرى وكان يجب ان توضع حيث تقع عانة فعلاً .

واستناداً الى المقدسي فان المسافة من الرحبة الى قرقيسياء هي مرحلة واحدة ان الرحبة الى الدالية ، او يبراء مرحلة واحدة كذلك . ومن المياذين . الرحبة القديمة ، الى قرقيسياء ١٠ كيلو مترات فقط ، وليست واحدة باتجاه شمالي غربي . ولكن المسافة هي ٣٣ كيلو متراً باتجاه جنوبي شرقي من المياذين الى الصالحية التي يجب النظر اليها استناداً الى روايات أخرى على انها الدالية (انظر ماسبق ، ص ٨٦) . هذا وطابق دي خويه الاسم قرقيسياء ، الملون في مخطوطات برلين والقسطنطينية (المصبر نفسه ، ص ١٤٩ ، ملاخظه ن (N)) بلون تشكيل ، مع برثا القديمة والدير الحالية . ولكن بما ان برثا كانت تعود الى منطقة اوسروئين فلا يمكن ان

تكون واقعة على الضفة اليمنى (انظر ماسياني فيما بعد ص ص ٢٠٨ - ٢١٢) ،
ومن المستحيل تماماً اثبات ان الدير الحالية كانت تدعى بيراء في العصر
الوسيطة . والاكثر احتمالاً على ما يبدو ان الدير الحديثة مطابقة لدير الرمان
في العصر الوسيط (ياقوت ، المعجم [فستفلد] ، المجلد ٢ : ص ٦٦٢)
وان بيراء مطابقة لخرائب زليبه على الضفة اليسرى (وعليه فهي في اقليم
اوسروئين القديمة) على بعد مسيرتين من الرحبة - وليست واحدة ، كما
يبين المقيمي .

الادريسي : يصف الطريق من بغداد الى الرقة

يذكر الادريسي ، في النزعة (ح ٤ ص ٦) المسافات بين المحطات المختلفة
من بغداد الى الرقة حيثاً بالأميال وحيثاً بالمراحل : من بغداد الى السيلحون
١٢ ميلاً ؛ ومنها الى الانبار ، ٢٤ ميلاً ؛ ومنها الى الرب ، ٢ ميلاً ؛ ومنها
الى هيت ٣٦ ميلاً ؛ ومنها الى النابوسة ٢١ ميلاً ؛ ومنها الى آلوسة ، ٢١ ميلاً ؛
ومنها الى عانات ٢١ ميلاً ؛ ومنها الى الداليا ، ٢١ ميلاً ؛ ومنها الى رحبة
مالك بن طوق ، الواقعة على الفرات ايضاً لكنها على ضفته اليسرى ، ٣٠
ميلاً ؛ ومن هناك الى الخابور مرحلتان ؛ والى قرقيساء مرحلتان . وتقع
في شرق الفرات ويصب فيه أسفل المدينة نهر المرماس ، الذي يدعى الخابور
الآن . ومن قرقيساء الى الخانوقة مرحلتان ؛ ومن هناك الى الرقة مرحليان .

وروي الادريسي ايضاً ان الرحلة من بغداد الى الرقة يمكن كذلك
اتمامها بنحو عشر مراحل وذلك بمغادرة الفرات عند النابوسة والاستدارة
الى اليمين شرقاً في الصحراء : من النابوسة الى آلوسة ٢١ ميلاً ؛ ومنها الى
الزراقي (الرازي) ١٨ ميلاً ؛ ومنها الى القرضة ١٨ ميلاً ؛ ومنها الى العجيمة
(الفحيجة) ١٨ ميلاً ؛ ومنها الى وادي صباع ١٥ ومنها الى محطة (الفاش)
مقابل (حبال) وليس جبال [تلؤل] ، كما هو مطبوع (قرقيساء ٢١ ميلاً ؛
ومنها الى المبارك ٣٣ ميلاً ؛ ومنها الى الرقة ٢٤ ميلاً . ان مجموع المسافات

من بغداد الى الرقة يبلغ ٣٧٢ ميلاً .

هذا ونجد في ترجمة جوير للادريسي (المجلد ٢ ، ص ص ١٤٤ وما بعدها الرواية نفسها ، ولكنه يضيف اليهان الربّ بلدة مزدهرة ومحاطة بالمزارع والجنان الواسعة وان آكوسة تقع على مسافة قصيرة من النهر (آكوس في الحقيقة جزيرة ، ولهذا بنيت المحطة على اليابسة الى الغرب ووصفت الدالية في هذه الترجمة انها بلدة صغيرة على الضفة الغربية من النهر . واحتسبت المدة اللازمة لقطع المسافة من بغداد الى الرقة بطريق الخانوقة خمسة عشر يوماً . وكتبت على الصفحة ١٤٥ « العجيمة » بدلاً من الفحيمة ؛ و دورقي « بدلاً من الدازقي ؛ وحسبت المسافة من بغداد بطريق الجردان الى الرقة ٣٧٢ ميلاً .

وعند فحص البيانات التي قدمها الادريسي بالتفصيل نجد أنه يذكر المسافة فيما يتعلق بالطريق الاول من بغداد الى الأنبار ٣٦ ميلاً ؛ وتبلغ في الحقيقة ٦٢ كيلو متراً . وعلى فرض ان المسافة بالأميال قد ذكرت بصورة دقيقة فلنا ان نعتبر ٧ - ١ كيلو متراً تقريباً الرقم العملي لطول الميل عند الادريسي .

انه يحسب المسافة من بغداد الى سيلحون اثني عشر ميلاً ؛ وتبلغ في الحقيقة ٢٦ كيلو متراً ، او ١٥ ميلاً تقريباً .

ويحسب المسافة من السيلحون الى الأنبار ٢٤ ميلاً ، وهي في الحقيقة ٣٦ كيلو متراً او حوالي ٢١ ميلاً .

ويحسب المسافة من الأنبار الى الربّ (الشيخ حديد) ٢١ ميلاً : وهي في الحقيقة ٣٦ كيلو متراً ويتفق ذلك مع رقم الادريسي .

ويحسب المسافة من الربّ الى هيت ٣٦ ميلاً ؛ وهي في الحقيقة ٥٢ كيلو متراً او ٢٠ ميلاً فقط .

ويحسب المسافة من هيت الى الناوروسة ٢١ ميلاً ؛ والواقع انها في اقصر

الطرق ٣٥ كيلو متراً . وتكون المسافة بحذاء الضفة اليسرى ٤٥ كيلو متراً . في الأقل .

ويحسب المسافة من التاوروسة الى الكوسة ٢١ ميلاً ؛ وهي في الحقيقة ٢٨ كيلو متراً او حوالي ١٧ ميلاً فقط .

ويحسب المسافة من الكوسة الى عانات ٢١ ميلاً ؛ وهي في الحقيقة ٢٢ كيلو متراً ؛ او ٣٦ ميلاً .

ويحسب المسافة من عانات الى الدالية ٢١ ميلاً ؛ ومن الدالية الى رجة مالك بن طوق ٣٠ ميلاً : المجموع ٥١ ميلاً من عانات الى الرجة . وتبلغ في الحقيقة هذه المسافة ١٧٣ كيلو متراً الذي لا يعادل ٥١ ميلاً بل ١٠٠ ميل . ولا شك في ان بعض المحطات بين عانات والدالية كانت قد حذفت .

ولا يمكن ان تكون الدالية أسفل من الصالحية الحالية لانه استناداً الى ابن سرايون ، العجائب ، (مخطوطة المتحف البريطاني) ، ورقة ٣٣ يمين ، (لوسترنج) ، ص ١٤ ، برغم ان نهر سعيد الرئيس كان قد يصب في الفرات في موضع ما فوق الدالية فان فروعاً متعددة منها وصلت الى الحقول المحيطة بذلك المكان . وليس في استطاعة الماء ، على كل حال ، ان ينساب من القناة الى الحقول في جنوب الصالحية ، لان هذه الحقول تقع أعلى مستوى من السهل الفيضي بين الفرات واجراف الصالحية العالية . ان عبارة الادريسي التي يذكر فيها ان رجة مالك بن طوق ، او الرجة ، تقع في شرق الضفة اليسرى للفرات صحيحة بمعنى واحد . وهو ان كل بلدة تقريباً كان لها ضاحية على الضفة المقابلة .

ويحدد الادريسي المسافة من الرجة الى الخابور على انها مرحلتان ، والخابور يرجع اما الى النهر او الى بلدة قرقيساء التي غالباً ما كانت تدعى الخابور ، وخاصة عند المؤلفين السريان . وكانت محطة الخابور في اي حال مطابقة لمحطة قرقيساء التي ، على كل حال ، كانت على بعد عشرة كيلومترات فقط من

الإيدين (الرحبة) . ومن هنا يتخنا الامتتاج ان مسافة اليومين الى
الخابور كان القصد منها من محطة وادي سباع (ابو كمال بدلاً من الرحبة)
ويحسب الادريسي المسافة من قرقيساء الى الخانوقة على انها يومان .
وهي في الواقع ٩٠ كيلومتراً ، وهذا يعني مرحلتين طول كل منهما ٤٥ كيلومتراً .
ويحسب المسافة من الخانوقة الى الرقة مرحلتين ؛ وهي في الواقع ٨٠ كيلومتراً
وتشمل مرحلتين طول كل منهما ٤٠ كيلومتراً .

ويحسب الادريسي المسافة بين بغداد والرقة عشر مراحل في الاقل ؛ وبما
ان المسافة هي ٦٢٠ كيلومتراً فمن الضروري ان يكون السير بمعدل ٦٢ كيلومتراً
للمرحلة الواحدة . ويمكن قطع هذه المسافة بهذه السرعة بالنقل على عجلات
او على ظهور الخيول او الجمال ، ولكن حينما تستبدل الحيوانات في الطريق فقط .
دعنا الآن نعود الى الطريق الثاني الذي وصفه الادريسي . تشعب هذا الطريق
من الفرات عند الناورسة وسار باتجاه شرقي في الصحراء . والواقع ان هذا الطريق
اخترق الصحراء ، ومع ذلك كان يعود الى الفرات من حين الى آخر .
ويحسب المسافة من الناورسة الى قرقيساء ١١١ ميلاً ، او حوالي ١٨٩ كيلومتراً ، اذا
واصلنا احتساب ١/٧ كيلومتر لكل ميل . اما المسافة الحقيقية فهي ٢٨٣ كيلومتر
انه يحسب المسافة من الناورسة الى آكوسة ٢١ ميلاً ؛ وهي في الحقيقة ٢٨
كيلومتراً ، او حوالي ١٧ ميلاً .

ويحسب المسافة من آكوسة الى الفحيمة (وليس العجيمة ، كما هو مطبوع)
١٨ ميلاً ، وهي في الحقيقة ٣٥ كيلومتراً ، او حوالي ٢١ ميلاً .
ويحسب المسافة من الفحيمة الى الذرافني ١٨ ميلاً ، أو ٣٠٫٦ كيلومتراً .
ولا بد ان الذرافني هذه هي المحطة التي سمّاها ابن خرداذبه الدازقي ،
التي نحدد موضعها عند القايم . ان المسافة من الفحيمة الى الذرافني هي
في الحقيقة ٩٢ كيلومتراً ؛ ولهذا فلا بد ان الادريسي كان قد أغفل ذكر محطات
متعددة . انه يحسب المسافة من الذرافني الى القرص ١٨ ميلاً ومنها الى وادي
سباع ١٥ ميلاً .

لقد حُدِّثت محطتنا خليج بني جُمُيع والفاش مقابل قرقيساء . ويُدخل
الادريسي بدلاً من الأخيرة ، شأنه في ذلك شأن ابن خرداذبه ، عبارة « من
قرقيساء » مع العلم بأنه مما يؤكد معرفة الادريسي بمحطة الفاش هو المسافة
الى المحطة التالية ، اي نهر سعيد ، التي يحددها بـ ٢٤ ميلاً ، وهي مسافة تتفق
تقريباً مع المسافة الحقيقية البالغة ٣٧ كيلومتراً من الفاش (العشرة) .

ويحدد الادريسي المسافة من نهر سعيد الى الرقة بـ ٩٩ ميلاً . والمسافة الحقيقية
هي ١٥٠ كيلومتراً فقط . ويحدد المسافة من نهر سعيد الى الجردان بـ ٤٢ ميلاً ؛
ومنهما الى المبارك ٣٣ ميلاً ؛ ومنها الى الرقة ٢٤ ميلاً . وتطابق هذه الأرقام تلك
التي قدمها ابن خرداذبه للمسافات بين هذه الاماكن .

ويحدد الادريسي المسافة الاجمالية من بغداد الى الرقة بهذا الطريق على
انها ٣٧٢ ميلاً ، على ان المجموع الذي يذكره للمسافات بين المحطات يبلغ
٣٤٨ ميلاً فقط ؛ اما المسافة الحقيقية فهي ٦٢٠ كيلومتراً ، التي تساوي حوالي
٣٦٤ ميلاً إن استخدام الادريسي الميل الذي يساوي ١٧٧ كيلومتراً .

بيانات اخرى عن طريق محاذية للفرات

في مطلع عام ١٣٤٨ م غادر بغداد الرحالة الذي لا يعرف الكلل ابن بطوطة
(التختة [دفريميري وسانكويتي] ، المجلد ٤ ص ص ٣١٤ وما بعدها)
ووصل الى عانة بطريق الأنبار وهيت والحديثة . ولدى مروره في منطقة مزروعة
بعناية وجد نفسه باستمرار تقريباً بين بيوت مأهولة مما دفعه الى مقارنة هذا الطريق
بالوادي الرئيس الخصب جداً في الصين . ومن عانة سافر الى بلدة الرجبة
التي كانت تُمثّر آنذاك الحدود بين العراق ولول بلدة في سورية . ومن الرجبة
واصل سفره بطريق السخنة وتلدمر الى دمشق ، ان الطريق الذي سلكه من الرجبة
الى السخنة مرّ دون شك بالجوائل والقباجب ، كما هو مدون ايضاً عند الظاهري ،
في الزبدة (رافيس) ، ص ١١٩ وما بعدها) .

وكان حاجي خليفة (جهان نامه) (القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ ، ص ٤٨٣) ،
يعرف ايضاً الطريق المحاذي للفرات وحدد المسافة من الحلة الى هيت بمرحلتين ؛
ومنها الى عانة بثلاث مراحل ؛ ومن هناك الى الرجة بثلاث مراحل ؛
ومنها الى الدير بمرحلة واحدة ؛ ومنها الى بالس بخمس مراحل . ان
بيانات حاجي خليفة لاتتفق مع الحقائق . فان الطريق المباشرة بين الحلة وهيت
هي ٢١٠ كيلو متراً تقريباً ؛ ومن المستحيل قطعاً قطعها بيومين . ان المسافة
من هيت الى عانة هي ١٣٠ كيلو متراً ، ومن عانة الى الرجة تكاد تبلغ ١٧٠
١٧٠ كيلو متراً ؛ ومسح ذلك فقد حدد ثلاث مراحل لكل منهما . ان
المسافة من الرجة الى الدير هي ٥٤ كيلو متراً ؛ ومن الممكن قطعها بمرحلة
واحدة . والمسافة من الدير الى بالس قرابة ٢١٠ كيلو متراً مما يتطلب خمس
مراحل طول الواحدة منها ٤٦ كيلو متراً .

ويسمّي ابن خرداذبه في المسالك (دي خويه) ، ص ٧٤ على الطريق
من الرقة الى حلب : محطتي دوسر وبالس ، وعلى الضفة اليمنى للفرات :
خُصاف والناعورة . — ومن الطريق ان نلاحظ ان ابن خرداذبه يكتب
رقة مجردة من اداة التعريف . وأدى الطريق اولاً بحذاء الضفة اليسرى الى محطة
دوسر التي تبعد نحو خمسين كياو متراً . وكانت دوسر الاسم القديم لحصن
دُعي فيما بعد ولا يزال يُدعى قلعة جعبر . ومن هنا أدى الطريق على بعد
أربعين كيلو متراً بحذاء الضفة اليسرى للفرات الى بلدة بالس الواقعة على
الضفة اليمنى . حيث استوجب عبور الفرات على جسر القوارب . وكانت
المسافة من بالس الى خُصاف او تل خُصاف الحديث ٤٨ كيلو متراً ، وتقع
محطة الناعورة على بعد خمسة عشر كيلو متراً الى الجنوب الشرقي من حلب .
ويشير الادريسي في (التهذهد؛ ص ٥) الى المحطات ذاتها كما فعل ابن
خرداذبه الا انه يبدأ بحلب .

ويذكر الطبري في التاريخ (دي خويه) السلسلة ٣ ، ص ٢٢٠٠) أنه في

ختام عام ٩٠٠ م عاد الخليفة المعتضد من حملة ضد البيزنطيين بطريق حلب والتاعورة ونصاف الى صفين . ومنها تقدم بحذاء الضفة اليسرى — ماراً بقرية على بن ابي طالب (ع) على الجهة المقابلة — بطريق بالس ودوسر وبطن دامان الى بلدة الرقة — وأدى هذا الطريق ايضاً بخساف وبالس . ولم يوضح الطبري الموضع الذي عبر منه الطريق الى الضفة اليسرى ، ولعل ذلك تمّ عند بالس . وليس النص هنا دقيقاً جداً اذ ان صفين ، ابو هريرة ، الحديثة ، تقع في الحقيقة بين بالس ودوسر (قلعة جعبر) .

ويكتب ياقوت في معجمه (فاستنفلد) (المجلد ٢ ، ص ٥٣٨) ان بلدة دامان تقع على بعد خمسة فراسخ من الرافقة مقابل مدخل قناة النهمية ، وان نوعاً معيناً من التفاح حمل اسمها وهو الداماني . ان اسم هذه القناة في المخطوط هو النهي (المصدر نفسه ، المجلد ٥ ، ص ١٨٤) .



الملحق السادس

انهار الفرات الاوسط

ملاحظات عامة

لقد وصلت الينا سجلات كثيرة عن انهار العصر القديم والوسيط في العراق ، الا ان تحديد مجاريها الدقيقة غير ممكن في العادة . ان السهل الغربي متخدد بصورة عميقة بترع اروانية موجودة حالياً ومتقاطع تماماً بسلود ذات احجام مختلفة . وهناك حواجز ضخمة شبيهة بالاستحكامات كانت تحيط ،انهار العصر الوسيط وتمتد لسافات بعيدة جداً في كل اتجاه بحيث ان مسالكها لايمكن تحديدها الا بالحفريات فقط رغم احتمال بقاء مخلفات الأزمنة الفارسية او حتى الأبعاد قديماً منها هنا وهناك . ان انهار العراق تختنق بالطين بسرعة نسييا ، وإن لم يتم كَرِّئُها بانتظام فان صيانتها تكلف بعد سنوات قليلة اكثر من حفر انهار جديدة . واذا كانت الحالة كذلك فان مجاري الانهار القديمة كانت تملر من سلودها او ببساطة تترك السلود القديمة على ما هي عليه وتحفر قنوات جديدة على امتدادها . وعند الاضطراب الى عبور السلود القديمة فقط فانه يتم تسويتها بالمناطق المحيطة بها . فلو ان جميع الانهار التي شُقَّتْ في الماضي بقيت دون ان تُمس لكان من المحتمل ان لا تبقى ارض صالحة للزراعة في بلاد بابل ، وفي الحقيقة لا يسعنا الا الافتراض ان القنوات المهجورة في الأزمنة القديمة دُفنت كذلك وحُوِّلَت الى حقول خصبة . ان بقايا مثل هذه الانهار المهجورة في الريف ليست بالغة الأهمية ابداً ، وان المراقب العابري يلاقي صعوبة في تمييزها عن انهار العصر الوسيط .

ومن المهم مسألة ما اذا كان الفرات، في الأزمنة القديمة يجري في مجراه الحالي مخترقاً بلاد بابل العليا ام أنه قد تغير مجراه منذ ذلك العهد . والرأي الذي يكاد يتم الاجماع عليه هو انه في وقت ما كان النهر يجري بمحاذاة بلدة سبار (ابو حبة الآن) ، على بعد عشرة كيلو مترات من مجراه الحالي . ولكن حتى لو كان الأمر كذلك فما كان في الامكان انحرافه عن مجراه الحالي الاحوال خمسة كيلو مترات جنوبي مدينة القلوجة لانه لانتحول الهضبة من الدور الثالث للتكوين الصخري الى السهل الغربي البابي قبل تلك النقطة ، وليس ثمة دليل قاطع على ان الفرات شق له مجرى خلال الهضبة الصخرية شرقي القلوجة . وعلى نحو عشرة كيلو مترات جنوب غربي موقع سبار تمتد هضبة المحضة المنزلة ، مشكلة الحد الأبعد للهضبة ، لمسافة عشرين كيلو متراً من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ؛ وهذه المنطقة لم يخترقها الفرات قط الذي يتلاطم مع منحدرها الغربي . على ان النهر ان كان قد جرى بجانب سبار في وقت ما فانه إما ان يكون قد استدار الى الجنوب الغربي ثانية بعد البابة مباشرة ، مستديراً حول الطرف الشمالي لهضبة المحضة ، او أنه جرى في اتجاه الجنوب ماراً بالطرف الجنوبي الشرقي للهضبة الى مدينة بابل . انه كان يجري دائماً بمحاذاة الموضع الأخير .

لاني لم اجد آثاراً ملموسة لأي من هذين المجرىين المحتملين واني ارى ان مجرى الفرات من أقدم الازمنة قد كان حيث هو اليوم ، ولكن قناة ضخمة تشعبت منه باتجاه سبار لعله مرّ خلالها من المياه ما يزيد على ما كان يمر بمجرى النهر الأصلي ، ولعلها حلت اسم الفرات لبعض الوقت في الأقل .

يذكر الملك حمورابي في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد أنه أمر بحفر قناة من الفرات الى سبار (الكتابة بلفظين [كنتك ، حمورابي (١٨٩٨ — ١٩٠٠) ، المجلد ١ ، الأرقام ٥٧ وما بعدها] ، العمود ١ ، السطور ١٠ —

٢٤ ؛ كنتك ، المصدر السابق ، المجلد ٣ ، ص ١٧٧ وما بعدها) .
واستناداً لهذا ، فلا بد ان كان المجرى الرئيس للفرات آنذاك على مسافة
كبيرة من سبار .

كذلك أمر نبوبولصر (المتحف البريطاني ، ٧٢ ، ٧ - ١٤ ،
العمود : ١ ، السطور ١٠ - ١٥ ؛ العمود ٢ ، السطور ١ - ١٢ ؛ لانكدن ،
كتابات منقوشة في الآبنة [١٩٠٥] ، ص ٥٤) بربط سبار بان قد انحسر
بعض الشيء عن البلدة . أمر الملك حفر مجرى جديد واحاطته بجدار من الآجر
المفخور . ويظهر من هذه العبارة ايضاً ان مجرى القرات الرئيس كان
على مسافة ما من سبار . وربما يتطابق المجرى الذي أمر نبوبولصر بحفره مع
مع القناة الملكية المتأخرة ، او تارمخا .

سد نبوخذنصر وخزانة الماء

رغب نبوخذ نصر ، الذي اعقب نبوبولصر ، في تقوية تحصينات
بابل ضد الهجمات الميدية (الكتابة ب من وادي يريسا [فايزباخ ،
كتابات نبوخذ نصر الثاني (١٩٠٦) ، اللوحه ٣٣] ، العمود ٦ ، السطور
٦٧ - ٧٦ ، فايزباخ ، المصدر السابق ، ص ٢٧ ؛ لانكدن ، المصدر السابق
، ص ١٦٦) . ولهذا أمر باقامة سد ضخّم من التراب طوله خمسة أميال ،
بأبلية ، ممتداً من اوبس حتى جوار سبار ، بين ضفتي دجلة والفرات ؛
كذلك أمر بأن تحاط مدينة (بابل او باباون) « بكثلة من الماء كالبحر العميق »
لمسافة عشرين ميلاً . وبغية حماية السد الترابي من الأمواج أمر بتبطينه بالآجر
المغلف بالغير .

واستناداً الى هذه الرواية فقد بُني السد بين بلدتي اوبس وسبار . ونحن
نعلم موقع هذه الأخيرة الا اننا لا نعرف موقع البلدة السابقة . وعندما تقرأ
بان السد ربط دجلة بالفرات وكان الغرض منه حماية بابل من الميديين .

نستنتج أنه لابد أن أدى الى الشرق مباشرة (او قليلاً الى الشمال او جنوب الشرق) من سبار . وعليه يجب البحث عن اوبس في ذلك الاتجاه ، على الضفة اليمنى من دجلة ، اذ ان سبار لم تكن واقعة بعيداً عن الضفة اليسرى للفرات . ان هذا الموقع يدل عليه أيضاً طول السد الذي ذكر أنه خمسة أميال ، او حوالي ستين كيلو متراً . إن أقصر مسافة من سبار الى دجلة في اتجاه شرقي هي ثلاثون كيلو متراً . ان الرقم الذي اعطاه نبوخذنصر ، على كل حال ، يتطابق مع هذا الرقم — كما ستوضح لاحقاً — لاننا نفسره بأنه لا يمثل مجرد حاجز (سد) مفرد بل أنه يمثل الطول الاجمالي لمخططين من الحواجز المحيطة بالخزان .

ان الماء الذي يحتويه مثل هذا الخزان كان يمكن أخذه من الفرات فقط ، إما من مجراه الرئيس او من القناة الكبيرة المؤدية الى سبار . وتقول الكتابة ، على كل حال ، ان نبوخذنصر أمر ان تحاط المدينة (بابل) بـ « كتلة من الماء كالبحر العميق » على مسافة عشرين ميلاً . ان هذا غير واضح تمام الوضوح . فمن المؤكد ان العشرين ميلاً لا يمكن ان تمثل طول البحيرة الاصطناعية او ضفافها (سداتها) . ان بحيرة يمثل هذا الطول يمكن فقط ان تكون على شكل حرف (U) المفتوح بذراعين يمتدان من بابل حتى وادي دجلة والفرات . ولأجل تكوين بحيرة كهذه كان يقتضي حواجز (ضفاف) ضخمة على امتداد دجلة والفرات كليهما لمنع الماء من الهرب باتجاه الشرق او باتجاه الجنوب الغربي على التوالي .

ولأجل تفسير عبارات نبوخذنصر فان سجلات هيرودوتس وايبدينوس وديو دورس ذات عون كبير . انها أخذت إما عن المؤلفين البابليين او عن شهود عيان .

يذكر هيرودوتس (التاريخ ، ص ١٨٤) أن سميراميس أمرت ببناء ملود كبيرة بشكل ملحوظ عبر السهل لمنعه من التعرض للفيضان .

ومن المؤكد ، على كل حال ، ان السدود لم تبني عبر السهل ، وانما فقط على امتداد ضفة النهر اوكلتا ضفتيه بنفس الطريقة التي يبني بها سكان تلك المناطق حتى في يومنا هذا عندما يرغبون في حماية حقولهم التي تقع على مستوى اوطأ من مجرى الفرات من الفرق . ويجب ان نضيف ان هذا المجرى كان يرتفع على اللوام بفعل الغرين الذي كان يجرفه الجداول .

ويذكر هيرودوتس في تاريخه (حا ص ١٨٥) ان الملكة نيتوكريس هي التي أحدثت تعرجاً في الفرات وذلك ببناء قنوات جديدة . وقد تم " بأمرها حفر حوض ليحتضن بحيرة أعلى من بابل بكثير وعلى بعد قليل من الجداول . وكانت البحيرة اعمق من النهر وكان محيطها ٤٢٠ ستاداً . ومن التراب الذي نتج عن اعمال الحفر تم بناء سدود على امتداد ضفاف النهر ارتفاعها وقوتها مثار الاعجاب .

وكانت نيتوكريس زوجة نبوخذنصر ، ويعزو اليها هيرودوتس الأعمال التي انجزها زوجها ، غير انه لا يذكر موقع الخزان ، ولكنه لما كان ينسب الى زوجة نبوخذنصر فلنا ان نفترض انه يتطابق مع الكتلة المائية « الواردة في كتابات نبوخذنصر المقوشة . واستناداً الى هيرودوتس فان محيط هذا الخزان نبوخذنصر بان طول السد - اي محيط الخزان - كان خمسة أميال . ونستنتج من هذا ان البحيرة لا بد ان كان طولها حوالي ٣٠ كيلو متراً وعرضها واكثر من كيلومتريين . ان السد الطويل على الجانب الجنوبي وكذلك السد على امتداد امتداد الضفة اليمنى للحجلة كان قوياً بوجه خاص .

فلو ربطنا رواية هيرودوتس مع سجل نبوخذنصر لأمكن الحصول على صورة للبحيرة بالقرب من بلدي سبار واوبس . ولعل هذه البحيرة كانت محصورة من الجنوب بين القرات ودجلة بسد عظيم ، وهو الذي تمت تقويته من الشمال ببطانة من الآجر المغلف بالقيصر . وبما ان السد الجنوبي ، وفقاً لتفسيرنا لنصوص نبوخذنصر وهيرودوتس ، كان طوله ثلاثين كيلو متراً فقط ، فمن

الواضح انه لا بد ان ادى من الفرات قرب مبار باتجاه شرقي الى نقطة على
دجلة كانت تبعد ثلاثين كيلو متراً . وعلى هذا لا بد من تحديد موقع اوبس على
نقطة كهذه على الضفة اليمنى للدجلة جنوبي السد .

وقد وصلت الينا رواية ايدينوس كما حفظها لنا مؤلفان للمؤرخ يوسيبوس ،
التاريخ (شونه) ، المجلد ١ ، الأعمدة ٣٨ وما بعد ، والتهديب الانجيلي
ج ٩ ، ص ٤١ : ٧) ووفقاً لأيدنيوس فان نبوخذنصر بعد ارتفاعه
العرش أمر بان تحاط مدينة بابل بسور من التحصينات وثلاثة حواجز
واقية . وأمر بحفر قناتي ارما كالن واكرا كانون على ان تأخذوا من
الفرات ، وأمر بحفر بحيرة فوق بلدة سيريانس وعمقها عشرون
قامة ومحيطها اربعون فرسخاً . ويمكن ارواء السهل بفتح بوابات معدة
لذلك .

ان تحديد ايدينوس لموقع الخزان العظيم الذي بناه نبوخذنصر يظهر
مطابقته مع جزء من الأعمال الدفاعية المشار اليها في كتابة نبوخذنصر في
وادي بريساه . ان المحيط المستطيل البالغ اربعين فرسخاً يساوي تقريباً العشرين
ميلاً التي ذكرها نبوخذنصر وان العمق البالغ عشرين قامة هو رقم مبالغ فيه
دون ريب . وما لا يخلو من الاثارة ان ايدينوس ، ويحتمل انه اخذ روايته
عن الكاتب البابلي بيروسوس (شابل ، بيروسوس [١٩٢٣] ، ص ٢٧١) ،
يربط « نهر الملك » ، (نارملخا) ذلك الاسم الذي إما كان قد حرقه هو
اونساخه الى « ارما كالن » — بهذا الخزان العظيم الضخم . لذا فان الماء
الذي جرى الى الخزان وفقاً لايدينوس لم يأت من الفرات مباشرة
بل من نهر الملك الذي انحرف : عن الفرات الى الغرب او الشمال
الغربي من مبار لأرواء الارض حول هذه البلدة . ولا اجد اية اشارة عند
الكتاب الكلاسيين الى القناة الثانية اكر كانون التي ذكرها ايدينوس ، الا
ان اسمها يوحى ببلدة اكرانيس حيث يتشعب نهر الملك (نارملخا) استناداً الى بلييني ،

التاريخ الطبيعي . ح ٦ ص ١٢٠) . ولعل أيبديوس وجد عبارة كهذه عند
بيروسوس وحضر من بلدة اكرانيس قناة سمّاها اكرانكانون ،

ووفقاً لأيبديوس فقد بنيت البحيرة الكبيرة لارواء السهل المجاور الذي لا بد
انه حاذها من الجانب الجنوبي فقط لان الماء كان يمكن ان يخرج من بوابات
او أقفال او خنادق في ذلك الاتجاه ليس غير . ولا بد ان الخزان كان يملأ
في شهر أيار (مايو) عندما يكون مستوى الفرات في اعلاء ،
ولا بد انه كان يجري تصريفه الى السهل من شهر أيلول (سبتمبر) الى كانون
الأول (ديسمبر) ولا بد ان السدود وخاصة في الجانبين الجنوبي
والشرقي كانت مبنية ببناء محكما للغاية ، وان السد الجنوبي لابد ان إمتد من
الى الشرق مباشرة . وتقوية النصف الشرقي للسد الرئيس وتقوية كامل
السد المحاذي للفتحة اليمنى للجلة فقط كان يمكن حدوث ثغرة فيه .

ويظهر ان ديودورس قد تأثر باكتاثارخيدس الذي اتبع في معظم الامر
تهساس وكتيثارخوس ، وهما مؤلفان كان قد زار بلاد بابل ، وعلى هذا كانا
على دراية بالسجلات المحلية . ووفقا لديودورس (المكتبة التاريخية ،
ح ٢ ص ٩) فان سميراميس كانت قد أمرت بحفر بحيرة مربعة واختارت
لهذا الغرض اوطاً بقعة في جميع بلاد بابل . وكانت البحيرة محاطة
بجدران مبنية بالآجر المغلف بالقيز . وكان طول كل جدار ٣٠٠
ستاداً وارتفاعه ٣٥ قدماً .

ويتحدث ديودورس دون شك عن الخزان فاته الذي تناوله بالبحث ايبديوس
وهيرودوتس ، الا انه لا يعزوه الى نبوخذنصر ولا الى زوجته نيتوكريس ،
بل الى الملكة الاشورية الأسبق سميراميس ، ولا يدون شيئاً قد يفيدنا بالنوصل
الى تفسير لذلك . كذلك فانه يغفل ذكر موقع البحيرة . ان قوله ان الموضع
الذي حفرت فيه البحيرة كان في اوطاً بقعة في جميع بلاد بابل لا يتفق مع
الحقائق ، ويتعارض كذلك مع القول بان البحيرة قد أحيطت بأربعة جدران

مبنية بالآجر والقيمر ، لان بحيرة محفورة في اوطأ بقعة لا تتطلب جدران تحيط بها . وقيل ان طول كل جدار كان ٣٠٠ ستاداً وبارتفاع ٣٥ قدماً ان ٣٠٠ ستاداً (ابراتوشينياً (١) تساوي ٤٧ كيلومتراً)؟. ان هذا الطول مضروباً في اربعة يوحى بالأميال العشرين التي رويت عن نبوخذنصر والفراسخ الاربعين عند ايدينوس . ولا يمكن تفسير الفقرة بأي حال من الاحوال ، لانه ، في الوقت الذي تكون فيه المسافة المتوسطة بين الفرات ودجلة فوق سبارحوالي اربعين كيلومتراً ، فان ٣٠٠ ستاداً (٤٧ كيلو متراً) جنوباً من سبار لا تصل حتى الى بابل ، التي تبلغ المسافة منها الى دجلة اكثر بكثير من ٤٧ كيلو متراً . ان المرتزة الاغريق الذين رافقوا في عام ٤٠١ قورش الاصغر في حملته

ضد الملك الفارسي العظيم ارتاكسير كيس اخترقوا المنطقة الشاسعة حول بعد هزيمتهم في كوثا صا . وقد أحسن زينوفون ، الذي كان احد المشاركين في هذه الحملة ، في وصف ما آكل إليه مصير الاغريق . وعلى هذا ينبغي ان نتوقع في مؤلفه تفصيلات قد تعيننا على حل الغاز كثيرة . ولكن زينوفون في فقرة واحدة فقط من كتابه انابسيس يذكر بقايا آثار قديمة يمكن مطابقتها مع سد نبوخذنصر . ففي الانابسيس (٢ ص ٤ : ١٢ وما بعد) يذكر ان اليونانيين وصلوا الى السور الميدي . وقيل ان هذا كان قد بُني ، غير بعيد عن بابل ، بالآجر المغلف بطبقة من القيمر ، بسمك ٢٠ قدماً وبارتفاع ١٠٠ قدماً وبطول عشرين فرسخاً وفقاً للاشاعات . وبعد ان عبروه وصلوا بعد مرحلتين (تساويان ٨ فراسخ) الى جسر القوارب المنصوب على دجلة الذي يبعد ١٥ ستاداً عن بلدة سبتاس .

وكلا الارتفاع والعرض على ما ذكر لا يمكن ان تمثل سوى المعدلين واما الطول فانه مأخوذ من الاشاعات فقط . ويبدو ، على كل حال ، ان

دراسة دقيقة لكتاب زينوفون تظهر ان ما عبره الجيش الاغريقي كان سد نبوخذنصر ولذلك فان السور الميدي الذي ذكره زينوفون يمكن ، بل يجب ، ان يتطابق مع البقايا التي ذكرها هيرودوتس وايلدوينوس وديودورس . وصل الاغريق الى السور من الشمال الغربي ؛ ولم يجدوا بحيرة على ذلك الجانب منه ، وانما وجدوا سهلاً منخفضاً فقط متقاطعاً بقنوات وترع متعددة وكانت صعبة العبور جداً . ولا نعام من زينوفون الطريقة التي عبر بها الجيش الاغريقي السور ولا الغرض من بنائه . والقول بأنه لم يمتد بعيداً عن بابل يتبني الا يؤخذ حرفياً ، اذ ان زينوفون لم يعلم اين كانت تقع بابل ، والسبب الوحيد الذي حملته على الاعتقاد بان الجيش كان يقترب من المدينة العظيمة لا يتعدى حقيقة ان الجيش كان يسير في اتجاه جنوبي شرقي .

وفيما بعد السور الميدي اخترق الاغريق متنزها فسيحاً ، ومن الممكن ان السور يشكل حاجزاً للمتزّه في جزء منه في الأقل . ان احتمال بناء السور فوق سد نبوخذنصر قد يكون سبباً جيداً في انه بدا في نظر زينوفون عالياً وسميكاً جداً . اما الطول البالغ عشرين فرسخاً فانه عام به عن إشاعات كما يذكر هو نفسه . وربما مثل هذا الرقم محيط خزان نبوخذنصر ؛ اما السد الشمالي فلا يذكره زينوفون على الاطلاق ، ربما لتوهمه انه أحد الاجراف المتشابهة المتعددة التي احاطت بالقنوات القديمة ؛ كما انه لا يبرر انتباهاً الى الخزان اذ لم يعد فيه اي ماء آنذاك .

وفضلاً عن زينوفون ، فان متعاقبة سد نبوخذنصر زارها كذلك اميانوس مارسلينوس الذي رافق عام ٣٦٣ م الامبراطور جوليان في حملته ضد الفرس . ففي كتابه (٢٤ ص ٣) يصف اميانوس مستنقعا وصل اليه الجيش الروماني بعد مسيرة اربعة عشر ميلاً من بيرسابورا ، ان زوسيموس ، الذي استقى معلوماته من ماكناس الكرهبي بصورة رئيسة ، وكان مشاركاً آخر في الحملة ، يذكر في تاريخه الحديث

٣٠ ، ص ١٩) ان هذا المستنقع كان يُغمر من الفرات ومن نارملخا وتطابق ييريسابورا الأخبار الحديثة . ان اربعة عشر ميلاً رومانياً من هنا على امتداد الفرات توصلنا الى حوالي مدخل قناة دقَّار الحالية ، الذي يمتد منه في اتجاه شرقي الى جنوبي شرقي سهل منخفض يغمر بالماء كلما فاض الفرات . ويربط زوسيموس مستنقعه ؛ (نارملخا) تماماً كما يربط به ابيلديوس خزان نبوخذنصر .

واورد اميانوس مارسلينوس ايضاً (المصلر نفسه ٢٤٠ ص ٥ : ١ وما بعد) ان الرومان وصلوا الى بساتين وحقول خصبة ، حيث وجدوا سكناً ملكياً مبنياً على الطراز الروماني ، ووجدوا ايضاً حظيرة للصيد محاطة بأسوار عالية وملئية بأنواع الحيوانات المفترسة . ولم تكن المسافة بعيدة من هناك الى كوخه ، التي دُعيت فيما بعد بسلوقية .

ومن الواضح ان المتنزه العظيم عند زينوفون (الابسيس ، ٢٠ ، ص ٤ : ١٤) كان مطابقاً لحظيرة الصيد التي ذكرها اميانوس مارسلينوس . وعلى هذا يمكن الافتراض ان السور المحيط بحظيرة الصيد كان يُؤلف ايضاً جزءاً من السور الميليدي عند زينوفون . وفي الحقيقة يمكن ان نتوقع من زينوفون ، الذي اتصفت ببياناته دائماً بالمبالغة فيما يتعلق بعرض الانهر المختلفة ، ان يصف لنا هذا السور بأنه اكبر وأعلى مما هو عليه .

موقع اوبيس وعلاقته بخزان نبوخذنصر

ولأجل معرفة مجرى سد نبوخذنصر فمن المهم جداً ان نعرف اين كانت تقع اوبيس بالضبط . ومن الروايات المتنوعة الخاصة بالأول شيئاً ان الأخيرة يجب ان يُبحث عنها على الضفة اليمنى لدجلة . وكانت اوبيس ، التي تطابق اكشاك البابلية القديمة (تورو — دانجن ، التاريخ [١٩١٨] ، ص ٦١) ، تدعى ايضاً او — بسي — يه ،

والاسم الذي اشتقت منه « اويس » انكلاسيكية . وكانت مركزاً للمملكة لها أسرة حاكمة خاصة بها واحتفظت باستقلالها لزم من طويل .

ولا يذكر مؤلفوا العهد الآشوري هذه البلدة مطلقاً ، بينما ملوك العهد البابلي الجديد يأتون بها من جديد ، ليس بالاسم المألوف آنذاك او — بي — بل بالاسم القديم اكشك . ولم يعرف الكتاب الكلاسيون الأقدم عهداً بلدة ما عند اواسط دجلة اعظم اهمية من اويس .

ويذكر هيرودتس (التاريخ . ١٠ ص ١٨٩) كيف وصل قورش في حملته ضد بابل الى نهر جنديس ، الذي يتصل بنهر آخر يدعى دجلة الذي يجري ماراً بازاء بلسة اويس ويصب في البحر الارثري [كندا]

وبالطبع لا يذكر هيرودتس ما اذا كانت اويس هذه تقع فوق قم جنديس او اسفل منه ، الا ان السياق يؤدي بنا الى الافتراض بان جنديس يصب في دجلة فوق بلدة اويس ، وبالتالي الى الشمال منها . فاذا كان جنديس مطابقاً لنهر دبالى الحالي فينبغي البحث عن اويس الى الجنوب من فوته . ومثل هذا الموضع يكاد يضع اويس الى الشرق من (ابو حبة) الحالية (سبار القديمة) او في نفس المنطقة التي تشير اليها جميع سجلات خزان نبوخذنصر . ان تحديد موقع اويس اشير اليه في الانابيس (٢٠ ، ص ٤ : ٢٥) .

يدون زينوفون انه من جسر القوارب على دجلة في سبتاس قام الاغريق بأربع مراحل (٢٠ فرسخاً) ووصلوا الى نهر فيسكوس ، السدي عرضة بلثرم واحد وعليه جسر ، وعلى هذا النهر كانت تقع مدينة اويس العظيمة .

وبما ان موضع سبتاس غير معروف لدينا فلانستطيع ان نذكر على وجه الدقة في اية نقطة شيد الجسر الذي عبره الاغريق من الضفة اليمنى الى اليسرى للدجلة ، وهكذا نقصنا نقطة البداية للمراحل الأربع منها الى اويس .

وامتداداً الى الانابيسس (٢٠ ، ٤ : ٢٧) تقدم الاغريق من نهر فيسكوس في ست مراحل (٣٠ فرسخاً) الى مدن بريستاس المصدر نفسه ، (٢٠ ص ٥ : ١) وعلى امتداد دجلة بأربع مراحل (٢٠ فرسخاً) الى نهر زيتاس وعرضه اربع بلثرات .

واذا كان نهر زيتاس مطابقاً ، كما هو محتمل جداً ، للزاب الكبير الحالي فينبغي البحث عن اوييس على بعد عشر مراحل (٥٠ فرسخاً) جنوباً على امتداد دجلة من فم زيتاس . وهذه الطريقة تفصل الى نهر العظيم الحالي الذي ينطبق عادة على فيسكوس ، واذا ذلك تقع اوييس في مكان ما بالقرب من تقاطعه مع دجلة ، ولا يذكر زينوفون ما اذا كانت على الجانب الايمن ام اليسر من النهر الأخير . ومع ذلك فان موقع اوييس هذا ، على بعد اكثر من تسعين كيلو متراً بصورة مباشرة تقريباً الى الشمال من ابوجيه ، سبار القديمة ، يعارض كل ما قلناه حتى الآن لتفسير سجلات خزان نبوخذنصر والسور الميدي . ان هذه التفسيرات لا بد ان يستعاض عنها بغيرها ان كان لابد من الاعتماد على زينوفون وحده .

عل ان دراستنا لمؤلف زينوفون تبرهن انه ، في الأقل في وصفه للفرات الاوسط ، لا يعتمد عليه تمام الاعتماد . وعلى سبيل المثال ، كما اوضحنا لا يعتمد عليه تمام الاعتماد . وعلى سبيل المثال ، كما اوضحنا آنفاً ، انه يلتبس ؟ عنده نهر خابوراس بقناة اراكسيس انه اهمل ذكر اكثر من نقطة عبور لخنق ارتاكسير كيس برغم ان الجيش لا بد ان عبره مرتين بعد كونها فيما لو وصل هذا الخندق الى السور الميدي ؛ وانه يؤكد ان الاغريق فيما وراء السور الميدي عبروا قناتين تأخذان من دجلة ، برغم ان هاتين القناتين لا بد ان كانتا تأخذان من الفرات .

ولعل زينوفون وقع في خطأ آخر من النوع نفسه في الفقرة (المصدر نفسه ، ١٠ ، ٤ : ١٠) التي فيها يحدد موضع سكن المرزبان بيلييس

بجانب نهر دردامس بدلاً من جعله بجانب قناة آخذة من الفرات غير بعيدة عن بلدة ثيساكوس ، حيث كانت بلدة بربليسوس (ابن بليسوس او بيليسيس) معروف ، للمؤلفين الكلاسيين وكذلك للمؤلفين السريان والعرب .

وبالنظر الى الميل لعدم دقة الملاحظة عند زينوفون فمن المحتمل جداً انه توهم بموقع سبتاس على انه موقع اوييس ، وعلى هذا فان اوييس ينبغي البحث عنها بالاستناد الى زينوفون ، في جنوب السور الميدي ، على مسافة خمسة عشر ستاداً جنوب جسر القوارب الذي عبر عليه الاغريق الى الضفة اليسرى لدجلة . ولا يذكر زينوفون انه شاهد اوييس ، وانما يذكر ان الاغريق التقوا هناك بالقطعات الفارسية من سوسة واكبتانا (همدان) لنجدة الملك العظيم . ومن السهل ان يكون هذا اللقاء في موقع عند نهر فيسكوس اذ كانت هذه القطعات في اغلب الاحتمال زاحفة على الطريق المار بمحاذاة هذا النهر من بلاد فارس . وبما ان جلّ انتباه الاغريق كان منصباً على الجيش الاضافي هذا ، فمن المحتمل ان يكون زينوفون قد استدل خطأ اسم سبتاس باوييس . ومن الصحيح ان هيرودوتس يذكر اوييس ، ولكن مما يشك فيه كثيراً ان يكون زينوفون قد قرأ هيرودوتس في وقت ما قبل الحملة ، ذلك لان عباراته الخاصة ببلاد بابل كانت تكون أوفى بكثير لو كان درس كتاب مواطنه او لو كان آخذة معه في هذه الرحلة .

فلو كانت اوييس حقاً تقع عند مصب نهر فيسكوس (العظيم الحالي) ، كما يقول زينوفون ، اذن لكان من الصعب ان نفهم لماذا أمر الملك نبوخذنصر ببناء سور واثق او سد طوله تسعون كيلو متراً لحماية بابل ، من سبار في اتجاه الشمال الى اوييس . ان هذا السور الواقى او السد كان ينبغي ان يكون

موازيا تقريباً لضفة دجلة اليمنى ، وإلى الغرب منه كان يمتد سهل فسيح وطويل يمكن ان تغمره مياه الفيضان، كما لايزال يحدث في كل فيضان كبير لنهر الفرات . بيد ان هذه البحيرة نصف الطبيعية ونصف الاصطناعية على بعد ستين كيلومتراً شمالي بابل لايمكن لها باي حال ان تقوم بالدفاع عن المدينة ، وان قورش الأول كان في امكانه تجنبها بصورة كاملة .

واستناداً الى فقرة في كتاب هيردوتس (التاريخ - ١ ، ص ١٨٩) والذي أشرنا اليه ، فان قورش وصل في زحفه الى بابل عام ٥٣٩ ق . م الى نهر جنديس الذي يطابق كما قلنا آنفاً نهر ديبالى ليومنا هذا ؛ ثم ، استناداً الى نيونيدس (تاريخ نيونيدس] سمث . نصوص تاريخية بابلية (١٩٢٤) ، اللوحة ١٣ ، الوجه المعاكش ، العمود ٣ ، الاسطر ١٢ - ١٦ ، سمث ، المصدر السابق ، ص ١١٣) ، فانه دحر الجيش البابلي عند اوبيس فان كانت اوبيس تقع عند فم نهر فيسكوس ، او العظيم ، لكان عل قورش ان يعود من نهر ديبالى شمالاً ، برغم ان هذا كان نفس الاتجاه الذي قدم منه ، اما اذا كانت ، من الناحية الثانية ، اوبيس واقعة اسفل من فم جنديس عند النقطة المؤشرة بالمجرى المحتمل لسد نبوخذنصر فما كان عليه الا الاستمرار بزحفه وشق طريقه عبر دجلة واخترق الخط الدفاعي للبابليين عند اوبيس ، واحتلال سبار والرحف دون قتال الى بابل .

ويذكر اريان (انابيس ، ٧ ص ٧) انه في عام ٣٢٤ ق . م دمر الاسكندر العظيم جميع الحواجز الخاصة برفع مستوى الماء او تحويل مجراه المنصوبة على دجلة ، وبهذا جعل الملاحة حرة على هذا النهر من الخليج العربي حتي اوبيس ، التي كانت واقعة على ضفته . وقد ظل هناك (المصادر نفسه ، ٢ ص ٨) طوال الصيف وارسل المحاربين المقدونيين الى الوطن من هناك ، وشرع (المصدر نفسه ٧ ص ١٣) في حملة من اوبيس الى اكباتانا (همدان) .

ويظهر من رواية انه بالنظر لموقع اوييس فلا بد انها كانت مدينة بالغة الأهمية ومفترق طرق مؤدية من بابل الى بلاد فارس وبلاد ما بين النهرين الشمالية . ولكان من المستغرب لو ان اتباع الاسكندر الذين أعقبوه لم ينشئوا مستعمرة هامة في مكان له مثل هذه الأهمية وكاد يكون مقدماً نتيجة مكوته فيه ، ولم يرد ذكر مستعمرة اغريقية في اي مكان عند مصب فيسكوس ، وكانت أشهر مستعمرة إغريقية في المنطقة هذه هي سلوقية أسفل من مصب نهر ديالى وكادت تكون شرقي ابو حبة مباشرة ، او في نقطة حيث ينبني البحث عن اوييس طبقاً لتقارير خزان نبوخذنصر وسدها . لذا فمن المحتمل جداً ان المستعمرة الاغريقية سلوقية شيدت في أقرب مكان للمدينة اوييس القديمة ولذا اصبحت حليفاً لها . ويبدو ان هذا الافتراض قد اكده سترابون (الجغرافية ، ج ١٦ ، ص ١ : ٩) حيث يذكر ان دجلة صالح للملاحة حتى اوييس ، وهي مدينة وسوق للمنطقة المحيطة بها ، وكذلك لسلوقية الحالية . وهكذا يربط سترابون بسلوقية القديمة ، التي شكلت ، ان صح التعبير ، ضاحية من البلدة الأحدث عهداً • ان لكل بلدة كبيرة في الشرق الحديث ضاحية من هذا النوع تقوم بمثابة سوق للمواطنين المحليين من المناطق المجاورة بأسرها ، الذين يتجنبون المخازن الكبيرة في الشوارع الرئيسة ، اذ كانوا يهتمون بالشراء اكثر من اهتمامهم ببيع منتجاتهم نوعاً ما .

واستناداً الى ايراثو مشينس (سترابون ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ١ : ٢٦) فان اقصر مقرب من الفرات الى دجلة مثنا سناد ، وكان ذلك عند سور سمير اميس وبلدة اوييس ؛ وفي موضع آخر (المصدر نفسه ، ج ١١ ، ص ١٤ : ٨) يذكر ان دجلة يجري بجانب اوييس وما كان يدعى بسور سمير اميس . ان كلتا الروايتين وكذلك سجلات نبوخذنصر وايبدينيوس تربط اوييس بسورود الخزان العظيم الذي عراه ايراثو مشينس ، طبعاً ، وكذلك دبودورس الى سمير

اميس . ونتيجة لذلك فان اراتو ستينس يضع اويس شرقي ابو حبة الحديمة (سبار) .

وتؤكد هذا الموقع ايضاً عبارة ايراتو ستينس ان مور سمير اميس شديد عند اويس في الموضع الذي تكون فيه المسافة بين النهرين العظيمين أقصر ما يكون ، اي بين سبار القديمة وبين المستعمرة الاغريقية سلوقية . وبين الموضعين المذكورين اخيراً ليس ثمة أكثر من مئتي ستاد ايراتو ستيني ، او حوالي ٣١ كيلومتراً ، بين النهرين . ولا بد ان نستنتج من الدليل الجيولوجي ان المجرى الرئيس للفرات انساب على بعد حوالي عشرة كيلومترات غربي سبار في زمان نبوخذنصر وكذلك في زمان ايراتو ستينس . ويبدو ان أقصر المسافات هذه بين سلوقية والفرات الأصلي مسجلة لدى سترابون في فقرتين : ففي الأولى (المصدر السابق ، ح ١٦ ص ١ : ٥) لا يقلدها بدقة كبيره اذ يقوم انها ثلاثمائة ستار ؛ وفي الفقرة الأخرى (المصدر نفسه ، ح ١٦ ص ١ : ٢١) فقرأ انها « أكثر من مئتي ستاد . » وفي كلتا هاتين الفقرتين يتضح من السياق انه بدلاً من « بابل » ينبغي ان فقرأ « الفرات » . فلو كانت اويس في حقيقة الأمر واقعة عند فم نهر فيسكوس فلا يمكن بأي حال من الأحوال ان يكون الفرات على أقرب ما يكون من دجلة عند اويس ، اذ ان أقصر مسافة بين النهرين عند فم فيسكوس هي حوالي ثمانين كيلومتراً في خط عرض سلوقية .

ويبدو مما سبق أنه ، فيما عدا بيانات زينوفون ، ليس ثمة حجة في الأدب القديم تحول دون تحديد موضع اويس بجوار سلوقية مباشرة على الضفة اليمنى للدجلة . وان سد خزان نبوخذنصر آنذاك يطابق السور الميدي عند زينوفون ويمتد شمال سبار باتجاه شرقي الى دجلة ، الذي يبلغه شمالي اويس .

ان امكانية التباس اويس مع ستياس بق كدها سترابون (المصدر السابق ، ح ١١ ص ١٣ : ٦) حيث يقول ان منطقة ابولونيا تاس كانت في الأصل

تدعى سيتامين . وتقع هذه المنطقة على الضفة اليسرى لدجلة حيث تنضم إليها سوميس (المصدر نفسه ، ١٥ ، ٣ : ١٢) . ولأن اسمها مشتق من اسم سيتامس فعلينا البحث عن الموضع الأخير على الضفة اليسرى لدجلة أيضاً ، وليس على الضفة اليمنى حيث حدد زينوفون موقعها .

واستناداً إلى بطليموس (الجغرافية ، ٦ ، ١ : ٦) أيضاً ، كانت تقع على الضفة اليسرى لدجلة في بلاد آشور وليس في بلاد بابل ، ولكانت تتبع الأخيرة لو أنها كانت واقعة على الضفة اليمنى أسفل من السورالميدي .

قنوات الفرات الأوسط

وبالإضافة إلى خزان نبوخذنصر فإن قنوات كثيرة في جزئنا من بلاد بابل قد ذكرت في السجلات البابلية والآشورية والكلاسية ، ولكن نادراً ما تكون بدقة كافية تجعل تحديد موقعها ممكناً .

عبر توكولتي اينورتا (نينب) الثاني (الحوليات [شاييل ، الحوليات (١٩٠٩) ، لوحة ٢] ، الوجه الأمامي ، السطر ٥٢ وما بعده ، شاييل ، المصدر السابق ، ص ١٦) قناة باتي بيل في مسيرته الرابعة عشرة ، بينما كان يتقدم من دور كوريكازري (عقرقوف) إلى مبار (أبو حبه) . وبما أنه كان يزحف في مسار مستقيم وأخذ قسطاً من الراحة عند القناة ، فلا بد من البحث عنها في مكان ما قرب قرية الجرية الحالية ، على فرع من قناة العيساوي . إذن لا بد أن كانت باتي بيل آخذة من الفرات أسفل من بلسية الفلوجة الحديثة تقريباً عند النقطة التي كان نهر صرصر في ازمة لاحقة يأخذ منها . ومن المؤكد أن توكولتي اينورتا عبر قنوات كثيرة في طريقه من سبار إلى الشمال الغربي على امتداد الضفة اليسرى للفرات ، ومع ذلك فإنه لا يذكر اسم أي منها ، بل يكتفي بمجرد ذكر أسماء المدن التي عسكر بالقرب منها .

نظام القنوات الكبير في اقص الشمال

المراجع الكلاسيكية تتحدث عن النظام في اقص الشمال

يشير تعليق لزينوفون (انا بسيس ، ط ص ٧ : ١٥) ، بعد ذكر التربة التي صادفها الاغريق عند اقترابهم من ميدان المعركة في كونا صا بعد مغادرتهم بيلايه ، انهم وصلوا الى اربع ترع أخرى آخذة من دجلة ، عرض كل واحدة منها بلترم واحد (٣١ متراً) وعمقها كاف للملاحة فيها . وكانت جميعها تنصب في الفرات وبين الواحدة والأخرى مسافة فرسخ واحد .

ولا يذكر زينوفون ما اذا عبر الاغريق اياً من هذه القنوات في زحفهم الى ميدان المعركة ، ومع ذلك فانهم لا بد ان عبروا جميعها لانه يصف في فقرة تالية (٢ ، ٣ : ١٠ - ١٣) الصعوبات التي واجهت الاغريق في طريقهم عودتهم الى السور الميدي عندما كانوا يعبرون القنوات والترع الاروائية المختلفة .

ان زينوفون في الانابيس (حـ ص ٧ : ١٤ - ١٦) عند وصفه التربة « التي حفرها الملك العظيم على انها للنفاح ضد الغازي » والتي صادفها الاغريق عند اقترابهم الى كونا صا ، يذكر بدقة موقع القناة البابلية الأولى بالنسبة الى القادم من الشمال الغربي . وصل الاغريق مسن بلايه في اربع مراحل (١٥ فرسخاً) الى ترعة عرضها خمس قامات ، وعمقها ثلاث قامات وطولها ١٢ فرسخاً ، التي امتدت حتى السور الميدي .

اعتقد زينوفون ان هذا « الخندق » حفر بأمر من الملك العظيم لمنع قورش من دخول بلاد بابل ، وقد أخطأ في ذلك . فلو انه كان خندقاً دفاعياً لكان ولا شك ممتلئاً بالماء . والواقع انه كان لا يزال بينه وبين الفرات حاجز من الارض عرضه عشرون قدماً ، وهو الذي منع اولاً دخول الماء الى القناة ، وثانياً سمح للاغريق بالعبور من دون عائق . فلا بد ان كان « الخندق » قناة في طور التنظيف

فقط ، ومن المحتمل ان يكون مدخلها قد طُمر بالتراب لتسهيل العمل في داخلها . ويمكن تحديد موقعها بدقة نسبية من كلمات زينوفون . ويمكن مطابقة بلاتية بآخر تنوء للارض المرتفعة من الدور الثالث للتكوين الصخري الذي يأخذ بالانحدار حتى الفرات نفسه ويحيط بالمنطقة الغربية الاصلية لبلاد بابل من الشمال الغربي ، أي تنوء جبل الأسود الحالي. الذي تقع عليه الخربة التي تحمل الاسم نفسه . وإلى شرق — الجنوب الشرقي من سهل اسود الفيضي تعترض المنطقة الغربية على الضفة اليسرى للفرات بين النهر والارض المرتفعة وهنا تبدأ بلاد بابل الأصلية . وبعد أربع مراحل (حوالي ٦٠ كيلومتراً) من الأسود نصل الى قناة الكرمه او الصقلاوية التي تأخذ من الفرات عند الأنبار . ان رواية زينوفون صائبة حين ذكر ان طول « الخندق » اثنا عشر فرسخاً (حوالي ٦٠ كيلومتراً) ، اذ ان هذه هي المسافة من الفرات الى دجلة الذي كانت تصب فيه هذه القناة التي كانت نصف طبيعية ونصف اصطناعية . ولا يمكن للقناة الرئيسة ، بل يمكن لاحد فروعها ، ان يمتد حتى السور الميدي . وبما ان زينوفون لا يقول ما اذا عبر الاغريق للقناة الرئيسة اثناء تواجهم من ميدان المعركة الى الشمال الشرقي ، فلنا ان نستنتج إما انه نسي ذكرها او أنهم لم يتوغلوا هذه المسافة شمالاً ؛ وعلى أي حال فان التربة الرئيسة لم تكن تمتد الى السور الميدي . ومن المحتمل جداً ان هذه القناة هي التي كانت على بال بلييني (التاريخ الطبيعي ، ج ٥ ص ٩٠) عندما كتب ان الفرات يتفرع عند بلدة مسيكن ، على بعد ٥٩٤ ميلاً من زوكما . ويضيف ان الجدول الايسر بعد ان يأخذ طريقه الى بلاد ما بين النهرين وبعد ان يجري مخترقاً سلوقية يصب في دجلة ، بينما يجري الجدول الأيمن في مجراه الى بابل .

ان بلييني إما ان يكون قد نسخ ارقامه بشكل مغلوط او ان النسخ اللاحقين نقلوها خطأ ، ذلك ان ٥٩٤ ميلاً من زوكما كانت توصلنا حتى الى

انانا ، عانة الحديثة ؛ وان القرات لا ينقسم إلا اسفل من ذلك المكان بمسافة غير قليلة ، وذلك عند النقطة التي يدخل النهر فيها الارض الغربية لبلاد بابل . وبين هذه الاخيرة وهضبة بلاد ما بين النهرين من الدور الثالث التكوين الصخري منخفض يدعى الآن الخور ، كانت تجري فيه مياه القرات في عهد بليني ، ولا تزال تجري خلال ما يدعى الآن قناة القرمة او الصقلاوية ، وهي اول قناة تشعب من النهر ، ومنها يمكن توجيهها بقنوات اصطناعية او طبيعية حتى ملوقية القديمة . وعلى هذا يمكن البحث عن مسكن التي اوردها بليني عند مدخل القرمة ، وربما كانت البلسة مطابقة مع بسيخانة التي ذكرها ايسيدور الكرخي او مع الرمادي الحديثة .

ويورد اميانوس ، في كتابه (٢٤ ، ٢ : ٧) كما لاحظنا اعلاه (ص ٦٤ و ٧١) ان القرات ينقسم عند مسابراكتا . فيجري فرع في مجرى عريض الى بلاد بابل الداخلية مما يأتي بخير عظيم لحقول القرى المجاورة ؛ اما الفرع الذي يدعى نارملخا ، ويعني نهر الملك او النهر الملكي ، فيجري نحو طيسفون . وفي بداية هذا الفرع ، قيل ان برجاً يشبه الفئار قائم هناك . وبعد اجتياز الرومان له وصلوا الى حصن ييريسابوراس .

وفي هذا الصدد يتحدث زوسيموس ، في التاريخ الحديث (٣ ، ١٦) عن قناة فقط ، دون ذكر اسمها ؛ ويقل انها تمتد نحو بلاد آشور ودجلة .

ويذكرنا سجل اميانوس مارسليوس كثيراً بسجل بليني ، الا ان اسم البلسة عند الاول هو مسابراكتا وليس مسكن . ولعل نارملخا ، الواقع في الحقيقة على مسافة غير بعيدة الى الجنوب ، تسرب الى سجل اميانوس

مارسلينوس في هذا الموضع نتيجة لعدم الانتباه ، ربما من بليني او من مصنفه . ولم يعرف ماكنوس الكرخي ، الذي غالبا ما استعان به زوسيموس ، اسم هذه القناة ، برغم انه يذكر اماكن اكثر من اميانوس مارسلينوس . ومثل اميانوس مارسلينوس (المصدر السابق ، ٢٤ ، ٣ : ١٠) ، يتحدث زوسيموس ايضا (المصدر السابق ، ٣ ، ١٩) عن المستنقعات الطبيعية والأصطناعية التي وصل اليها الرومان بعد سيرهم اربعة عشر ميلا ما وراء حصن يريسابوراس والتي بينها تقع مدينة فيسينيا .

واستنادا الى زوسيموس ، فان خندق هذه البلدة كان يملأ من نار ملحا ومنه كانت تغمر المستنقعات ايضا . على ان القناة المشار اليها في هذه الحالة لا يمكن ان تكون القناة التي يدعيها اميانوس خطأ بنهر ملحا ، لان الأخيرة (الكرمة الآن) كان مدخلها اميالا كثيرة شمال غربي فيسينيا (عقر النعيلي) والأكثر من ذلك ، فبين مستنقعات فيسينيا وحصن يريسابوراس (الأنبار) تمتد بقعة منعزلة من نجد يعود الى الدور الثالث من التكوين الصخري لمسافة عشرين كيلومترا تقريبا من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي . ولعل بلدة مسابراكنا تطابق خرائب إم الروس التي يقع بجوارها مدخل مجرى الوشاش الذي ينضم الى مجرى الصقلاوية مكونا قناة الكرمة .

نظام اقصى الشمال في المراجع العربية

يسمى الكتاب العرب اول قناة كبيرة في بلاد بابل تنفرع من الضفة اليسرى للفرات الدقيل او الرقيل او النجيل ، وغالبا ما يخلطون بينها وبين قناة نهر عيسى ، التي لم تحفر الا في زمن الحكم الاسلامي . ويكتب قدامة ، في الإخراج (دي خويه) ، ص ٢٣٤) أنه عند نقطة أسفل من الأنبار يأخذ نهر يسمى الدقيل الماء من الفرات . ومنه يفصل نهر عيسى ، الذي يجري نحو بغداد حيث يصب في دجلة . ان هذا لا يتفق مع الحقائق : لا يمكن لنهر عيسى ان يكون قد تفرع من نهر الدقيل ، اذ ان كليهما يأخذ من الفرات .

لقد قام ابن سيرايمون في العجائب [مخطوطة المتحف البريطاني] ،
ورقه ٣٣ الوجه المعاكس [لوسترنج] ، ص ١٤) بتمييز صائب بين قناة
الدقيل ونهر عيسى عندما يقول ان قناة تدعى عموماً باسم الدجيل ، تأخذ
من الفرات على بعد فرسخ ، او اكثر بقليل ، من قرية الرب ومنها تجري شرقاً .
وتتفرع هذه القناة الى فروع كثيرة وتروي مزارع طسوجي مسكن وقطربل
حتى مصبها في دجلة ، بين عكبرا ومدينة بغداد .

لقد كانت قرية الرب معروفة جيداً عند المؤلفين العرب . انني اطابقها مع
تل الخربة عند ضريح الشيخ حديد . ولا بد ان قناة الدجيل في هذه الحالة
كانت تأخذ من الفرات قرب نفس النقطة التي تأخذ منها قناة عزار الحديثة ،
ولا بد انها امتدت من هنا بمحاذاة انحافة الشمالية الشرقية للسفلى الغربي
وعرضه هنا قرابة خمسة كيلومترات — الى الأنبار ، ولا بد انها الى الشمال من
هذه النقطة دخلت منخفض الخور ومن هناك تعرجت في طريقها بين خربة
الأشهابي على اليمين وخربة المقيس على اليسار ، حتى صبت اخيراً في دجلة ،
قرب سراحه في يومنا هذا . فكانت لذلك سلفاً لنهر الكرمة الحالي .

ويذكر ياقوت ، في المعجم (فستند) ، المجلد ٤ ، ص ٨٣٩) ، الرّفيل
نهر يصب في دجلة عند بغداد مأخذه من نهر عيسى ، وهو
الذي عليه قنطرة الشوك ، ويصب في دجلة عند الجسر .

اما ابو الفضائل ، في المراسد (جوينبول ، المجلد ٣ ، ص ٢٤٧ —
٢٥٠) ، فيصحح ياقوت ويكمّله . انه يذكرنا ان الرّفيل ، بالأصل ،
هو اسم لاعلى النهر الكـبير المعروف بنهر عيسى . وكان
يرمى فاضله الى الصراة فاستخرج عيسى بن علي هذا البر الذي يرمى
الى دجلة عند قصره ، ليكون جارباً عنده فسمى بنهر عيسى لذلك .

ويتضح من رواية ابي الفضائل ان نهر عيسى الأصلي (قرب بغداد) كان متصلاً في الشمال بنهر الرفيل ، وان الاسم « نهر عيسى » بدأ إطلاقه على الأخير ايضاً . ان نهر الرفيل الحقيقي يُعدُّ العضو الشمالي لنظام قناة له مدخلان من الفرات ، الفرع من الشمال يحمل اسم « الرفيل » والذي من الجنوب يحمل اسم « عيسى » . ان تسمية « الرفيل » نشأت ولاشك عن قتل محرّف « اللقيط » . ففي هذه الكلمة غالباً ما يكون للحرف (ق) صوت حلقي (اي من أعلى باطن الفم) وربما كان من السهل استبداله بحرف (ج) ويسهل بعد ذلك تحريف « رافيل » الى « دجيل » .

ويميز ابن سيرايون (المصلح السابق) بين نهر عيسى ونهر الدجيل . فيزعم ان نهر عيسى يأخذ من الفرات عند قرية دما حيث اقيم عليه جسر متين دُعي قنطرة دممّا ، وانه يروي منطقة فيروز مسابور . وعلى ضفتيه تقع قرى ومزارع متنوعة ، وينشطر عند المحوّل الى بضعة فروع تجري فيما بعد خلال بغداد .

ان الطبري ، في كتابه التاريخ (دي خويه) ، السلسلة ٣ ، ص ١٢ وما بعدها) يعاونا كثيراً في تحديد موقع قرية دممّا . فقد وصل قحطبة بن شبيب في عام ٧٤٩ م الى عكبرا ، وعبر دجلة ، ووصل الى اوانسا . ولكنه قبل هذا ارسل مؤتمنه حازم من خافقين ومعه اوامر بعبور دجلة والاسراع من هناك الى الدجيل والانتظار في كوثي ربّا . ثم ارسل اليه في ذلك المكان كتاباً بالتوجه الى الانبار ومصادرة جميع القوارب التي يوجد هناك والانحدار بها الى اسفل المجرى (يُحلى في الاصل) الى دما ، حيث كان عليه انتظاره . وتمّ تنفيذ هذا كله وعند دممّا عبر قحطبة نفسه الفرات في القوارب .

ان هذا يوضح لنا ان قرية دممّا كانت تقع اسفل من الانبار وانه لهذا السبب لا يمكن ان يكون نهر عيسى مطابقاً لنهر الدجيل الذي أخذ من الفرات فوق الانبار .

والاصطخري ، في مسالكة (دي نخويه) ، ص ٨٤ كان ايضاً على دراية بمدخل نهر عيسى عند جسر دما الحجري . فعلى هذه النهر تجرى السفن من الفرات مخترقة بغداد الى دجلة .

وابن حوقل ، في مسالكة (دي نخويه) ، ص ١٨٥) عند كلامه على الجزء الغربي لبغداد ، يذكر ايضاً ، نهر عيسى ، يتفرع من الفرات في مكان غير بعيد عن الأنبار ، تحت جسر دما الحجري .

اما ابو الفداء ، في التوقييم (رينو وديسلان) ، ص ٥٢) فيثبت مدخل نهر عيسى عند خط الطول ٦٨ شرقاً ، وخط العرض ٣٢ شمالاً ، مقابل الكوفة عند قريه تدعى دما ، ويضيف ان نهر عيسى يخرج من قرب الأنبار تحت جسر دما المتين . ويستشهد بسليمان بن مهنا الذي يؤكد على ان نهر عيسى كان اسفل من الأنبار وليس بعيداً عن ذلك المكان ، اي بجانب مزرعة الفلوجة . ويفترض ان الاسم عيسى كان قد أطلق على النهر نسبة الى عيسى بن علي بن عبدالله بن عباس ، عم الخليفة المنصور .

وهكذا يقدم ابر الفداء ثلاث روايات عن موقع مدخل نهر عيسى . ان كانت الروايتين الاولى والثانية تُسمّى القرية دما . ووفقاً للاولى فان القرية كانت تقع قرب الكوفة ، الا ان هذا لا يتفق مع الحقائق ، اذ لا يقول اي مؤلف عربي آخر ان نهر عيسى يأخذ من قرب الكوفة . اما الرواية الثانية فاكتر احتمالاً ، لانه ينبغي ان نفهم ان « دما » هي تحريف لكلمة « دميما » . ونحن نعلم ان دما تقع أسفل من الأنبار ونعلم من ابي الفداء انها لم تكن على مسافة بعيدة من هذا المكان . ولكن اوثق الروايات هي الثالثة ، التي استبدل فيها لأول مرة اسم دما بالفلوجة ، حيث يعبر طريق بغداد في يومنا هذا الفرات على جسر القوارب .

ويذكرنا ابو الفضائل (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٤٢٢) ان قطيعة عيسى دعت هكذا نسبة الى عيسى بن علي ، عم الخليفة المنصور . وانها بنيت عند مصب نهر الرّيفل في دجلة . ويؤكد انه في زمانه (النصف الاول من القرن الرابع عشر) لم يرد ذكر هذه الضبعة .

ويصحح أبو الفضائل (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٢٦٧) عبارة ياقوت التي مفادها ان عقروق هي قرية في ضواحي دجيل ، قائلاً انها أخرى ان تكون قرية قرب نهر عيسى ، على مسافة اربعة فراسخ من بغداد .

على ان ياقوت وابو الفضائل كاليهما على صواب . فعروق تقع على الجهة الشمالية من قناة الدقيل القديمة ، او كما كانت تدعى في اللغة الدارجة ، للدجيل ، الذي يتصل به ، في الجزء الشمالي ، نهر عيسى والذي كان يطلق عليه الاسم الاخير احياناً ، كما رأينا آنفاً .

واستناداً الى ابي الفضائل (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ١٥١) فان نهر الصراة تفرع من نهر بلسة المحوّل ، على بعد فرسخ واحد من بغداد ، وروى مزارع بادوريا ، وانقسم الى فروع متعددة تجري خلال بغداد .

ويقول حاجي خليفة ، جهان نما (القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ) ، ص ٤٦١) ان بلدة المحوّل الصغيرة تقع على بعد فرسخين شرقي بغداد ، بجانب نهر عيسى وفي اوقات سالفه . قام هناك قصر رائع للخليفة المعتصم بالله ، الا أنه لم يكن لهذا القصر أثر عندما زاره حاجي خليفة (النصف الأول من القرن السابع عشر) .

واستناداً الى هذه الروايات فان المدخل الى نهر عيسى يجب البحث عنه في منطقة ليست بعيدة عن بلسة الفلوجة الحديثة . اذ يقع على بعد حوالي كيلو مترين الى الجنوب الشرقي من هذا المكان اكمة خرائب كبيرة بجانب الترات ، تعرف باسم الخراب ، والى الجنوب منها بقايا قناة قديمة تدعى العيساوي حتى يومنا هذا . وعليه فلنا ما يبرر مطابقة خرائب الخراب مع دما ومطابقة هذه القناة مع نهر عيسى القديم . فالعيساوي يحيط بالهضبة العائدة للدور الثالث من التكوين الصخري ، ويستدير الى شرق - الشمال الشرقي ، وتتضمن بعض فروعه الى فروع لقناة القرمة ، الدقيل القديمة ، حوالى ٢٥ كيلومتراً شرقي بغداد .

نهر صرصر

يسجل ابن سريابون (العجائب ، [مخطوطة المتحف البريطاني] ، ورقة ٣٣ الوجه المعاكس [لوسترنج] ، ص ١٥) . ان نهر صرصر اوله اسفل من دمما يأخذ من الفرات على بعد ثلاثة فراسخ اسفل من قرية دمما . وكان نهراً كبيراً عليه جسر قوارب ومحاط بمزارع وقرى كثيرة ؛ ويمتدح مجراه منطقة بادوريا ليصب في النهاية بدجلة بين بغداد والمدائن على مسافة اربعة فراسخ شمالي المكان الأخير . وتقضي بنا ثلاثة فراسخ (١٥ كيلومتراً) من الخراب ، وهي دمما القديمة ، بامتداد الضفة اليسرى للفرات الى قل السلطان ؛ حيث تأخذ الآن قناة الرضوانية . ويمكن ايضاً مشاهدة سداد نهر صرصر القديمة هناك حتى الآن .

ويذكر ابن حوقل (المصدر السابق ص ١٦٦) بين بغداد والكوفة سواد مشتبك غير متميز تخترق اليه أنهار من الفرات ، فالولها مما يلي بغداد نهر صرصر عليه مدينة صرصر ، تجري فيه السفن ، وعليه جسر من مراكب يعبر عليه ؛ ومدينة صرصر عامرة بالنخيل والزرع ومائر الثمار ، صغيرة ، من بغداد على ستة فراسخ ، ثم تنتهي على فرسخين الى نهر الملك وهو كبير ايضاً اضعاف نهر صرصر في غزر مائه وعليه جسر من سفن يعبر عليه . ويذكر ابو الفداء (المصدر السابق ص ٥٢) ان نهر صرصر ، مخرجه من الفرات تحت مخرج نهر عيسى ، ويسير في سواد العراق الذي بين بغداد والكوفة حتى يصل الى (مدينة) صرصر ، ويسقى ما عليه من البلاد ،

ويذكر ابو الفضائل (المصدر السابق : المجلد ٢ ، ص ١٥٣) : « صرصر موضعان من نواحي بغداد العليا من قرى نهر الملك ، على جانب السبب الجنوبي ، والسفلى بليدة على جانبه الشمالي ، وهي في طريق الحاج ، وكان عندها جسر السفن على المسبب ، كان الناس يلقون فيه شدة ، فبنى موضعه ابو المحاسن رحمه الله قطرة من آجر ذات خمسة ابواب كبار وصغار ، وغرم عليها مالا طائلاً ، وهذه تعرف بصرصر الدبير ، لان ديراً كان فيها يعرف اثره الى اليوم (النصف الاول من القرن الرابع عشر) ، » .

ولا يتزل ابو الفضائل إن* كانت تنساة صرصر مازوال قائمة فسي زمانه لا يذكر من اين أتي الماء الذي يجري تحت الجسر عند صرصر الدير (خرائب الدير الحديثة) . ويمكن التسايم بانسه ليست المناطق المجاورة لمدينة صرصر الأعلى فحسب ، بل ايضا تلك المجاورة لصرصر الأسفل كانت تروى مسن من نهر الملك ، او القناة الملكية ، وإن نهر صرصر كان انذاك مسدوداً بالطمي في زمان ابي الفضائل ، عند ملخه في الاقل.

ويكرر حاجي خليفه (المصنر السابق) ، ص ٤٦١ ، كلام ابي الفضائل ، ما عدا انه يحدد موقع صرصر الاعلى في بغداد بالقرب من قناة عيسى ، بينما يضع صرصر الاسفل على طريق الحاج الى مكة على بعد ثلاثة فراسخ مسن بغداد وفرسخين من نهر الملك .

ويبدو ان عبارة حاجي خليفه أصبح من تلك التي اوردها ابو الفضائل ، الذي نتوقع منه ان يكون عارفاً بضواحي بغداد معرفة كافية لاتسمح له ان يسمي مدينة صرصر الى الشمال من قناة نهسر الملك « الاسفل » ، بينما يجري كل من دجلة والفرات في اتجاه جنوبي شرقي . ولا يذكر حاجي خليفه نهر صرصر .

النهر الملكي

ان النهر المهم التالي في جنوب صرصر هو الذي كان يعرف في التاريخ القديم والصنور الوسيطة باسم « النهر الملكي » او « القناة الملكية » (نارملخا ، نهر الملك) . وبرغم اننا غالباً ما أتاحت لنا فرصة الاشارة الى هذا في مناسبات اخرى ، فاننا نقترح ان تقدم هنا خلاصة موجزة لما ورد من اشارات في الكتابات الجغرافية والتاريخية .

فلما ان افترض ان قناة ارمكان التي اوردها ابيدينوس يوسيبوس (التاريخ
[شونه المجلد ١ ، العمود ٣٨ ؛ ايضاً ، التهذيب الانجيلي ، ج ٩ ، ص ٩١ :
٧) كانت هي القناة الملكية ، ومن المحتمل ان الكلمة « ارمكان » كانت تمثل
تحريفاً خطياً لكلمة « نارملخا » (انظر ما سبق ص ص ٧١ وما بعدها ،
١٠٢ وما بعدها) . ويبدو محتملاً ايضاً ان النهرين اللذين يقول
زينوفون (انايبسيس ج ٢ ، ص ٤ : ١٣) بانهما يأخذان من دجلة
كانا في الحقيقة يأخذان من الفرات ، وفي الامكان مطابقتها مع القناة الملكية
ونهر صرصر (انظر ما سبق ، ص ١٠٧) .

واستناداً الى بوليبيوس (التاريخ ج ٥ ص ٥١ : ٦) فقد حذر زيوكسيس
(في ربيع ٢٢٠ ق . م) انتيوخس الثالث بان لا يذهب من ليا بمحاذاة
الضفة اليمنى لدجله ، لأنه بعد ست مراحل يصل الى « الترع الملكية » ، ويكون
لزماً عليه ان يعود فيما اذا كان مولود مسيطراً عليها ولم يكن في مقدوره
العبور عنوة .

ولابد ان تكون « الترع الملكية » مطابقة لنهر الملك ويمكن ان
تطابق ايضاً سد نبوخذنصر والسور الميدي الذي اورده زينوفون . وتروي
القصة ان هذه الترع الملكية تجري بين الفرات ودجله ؛ ولا بد انها
وصلت الى الضفة اليمنى من النهر الأخير في شمال بابل وشمال سلوقية
عند النقطة التي حددنا فيها السد الجنوبي لخزان نبوخذنصر العظيم .
وعرف سترابون (الجغرافية ، ١٦ ، ١ : ٢٧) نهراً بين الفرات ودجلة
كان يدعى ؛ « الملكي » : اي نارمانا .

ونعلم من ايسيلور الكرخي ، قصور البارثيين (ملر) ، ص ص ٢٤٧ -
٢٤٩) ان طريق النقل الكبير من سوريا الى سلوقية كان يتبع الضفة

اليدنى القنات الملكية في اتجاه شرقي من نيابوليس (خرائب بترا الآن) ، عابراً الى الضفة اليسرى قبل الوصول الى سلقية مباشرة (انظر ماسبق ، ص ص ٥٧ ومابعدها) .

ويسجل بليني (المصدر السابق > ٦ ص ١٢٠) ان الحاكم الروماني كوبيريس أمر بأن يُحوّل جزء من ماء القرات لحماية بابل من خطر تياره البالغ القوة . ان هذا الفرع تفرع من القرات عند بلدة اكرانيس وهو معروف عند الأشوريين جميعاً باسم نارملخا ، وتعني النهر الملكي . ولعل الاسم «اكرانيس» الذي اوردته بليني له صلة بقناة اكرانوس التي اقترنت عند ايديئوس (يوسيبس ، المصدر السابق) بقناة اراماكن (انظر ماسبق ، ص ١٠٢) .

ووفقاً لبطليموس (الجغرافية ج ٥ ص ١٨ : ٨) فان النهر الملكي شكل "خط الحدود الفاصل بين بلاد ما بين النهرين وبلاد بابل . انه تفرع من القرات على نفس خط عرض سلقية ، او مباشرة في غرب ذلك المكان . ولا بد ان يؤدي هذا بنا الى البحث عن أصل نهر الملك ، او نارملخا ، حيث تأخذ قناة المحمودية من القرات في الوقت الحاضر ، اي عند اكمة الخرائب بالقرب من ضريح الشيخ ابراهيم .

ان عبارة بطليموس هذه تضع مدخل القناة الملكية مباشرة في غرب سلقية في الموضع الذي يلبو ان "ايديئوس وايسيلور الكرخي يضعانه ، إن كان تفسيرنا لتوضيحها صحيحاً (انظر ما سبق ، ص ٥٧ وما بعدها و ١٠٢ وما بعدها) . اما من الناحية الأخرى فان اميانوس مارسلينوس ، (ج ٢٤ ص ٢ و ٧) عندما يعصف حملة جوليان يخلط بين القناة الملكية واول قناة كبيرة آخذة من الضفة الشرقية للقرات ، وهي القناة التي تدخل الآن في نظام القرمه (انظر اعلاه ، ١١١ - ١١٧) . اما زوسيموس ، في

(التاريخ الحديث ، ٣٠ ص ١٩) فعند مناقشته نفس الأحداث يضع القناة الملكية أبعد الى الجنوب ، قرب بلدة فبسينيا (عقر النعيل) . ان الشهادة اللاحقة التي يدلي بها كل من اميانوس ، اوسلتيوس (المصدر السابق ، ٢٤ ، ٦ : ١) وزوسيموس (المصدر السابق ٣ ، ٢٤) تحملنا على الاعتقاد بان جوليان ، بعد ان ازاح العوائق التي كان القوس قد سدوا فيها فرعاً يوصل القناة الملكية بدجلة ، استخدم القناة الملكية والفرع [المذكور] لتعويم قواربه ونقلها من الفرات الى حجلة

ولنا ان نستنتج من البيانات التي بين ايدينا المتعلقة بزحف الامبراطور جوليان انه في نهاية القرن الرابع تفرعت القناة الملكية من الفرات غربي سبار مباشرة تقريباً (ابو حبة في يومنا هذا) ، بجوار بئرا ، التي بقي اسمها الى هذا اليوم في الخرائب الواقعة على كلتا ضفتي الفرات اليمنى واليسرى غربي ابو حبة ، وان هذه القناة لم تصب في دجلة في شمال كوخة ، التي هي احلى ضواحي ساوقية ، بل امتدت بمحاذاتها اما الى الجنوب او الى الجنوب الشرقي .

ان الكتابات التي تركها المؤلفون العرب عن القناة الملكية نادرة . انهم يذكرونها في معرض وصفهم (لطريق الحاج) من بغداد الى الكوفة ، الا أنهم باستثناء واحد يغفلون تحديد موقع مدخلها .

ان ابن سيرايون وحده (في العجائب ، (مخطوطة المتحف البريطاني) ، الورقة ٣٤ بيمين (لومستنج) ، ص ١٥) يقول ان نهر الملك اوله اسفل من فوهة نهر صرصر خمسة فراسخ ؛ وهو نهر كبير الضياع خصب وعليه جسر وقرى كثيرة وعمارات ويتفرع منه انهار ، وهو طسوج من السواد ومصبه في دجلة اسفل من المدائن بثلاثة فراسخ اسفل من الجانب الغربي .

ان خمسة فراسخ من مدخل نهر صرصر ، الذي حددنا موضعه عند تل السلطان ، تقضي بنا الى مدخل نهر المحمودية الحالي ، مباشرة الى الغرب من ابني حبة تقريباً ؛ او بعبارة أخرى : الى النقطة التي بحثنا فيها من مدخل

القناة الملكية لدى متابعتنا زوسيموس . ان (طريق الحاج) من بغداد بطريق قصر ابن هبيرة الى الكوفة يعبرها على جسر قوارب قرب خرائب الدير الحالية ، على بعد ٢٥ كيلو متراً فقط من بغداد . ان المدائن هي الاسم العربي لكلمة ماحوزه الارامية ، كما كانت آثار سلوقية القديمة تدعى .

يقول الاصطخري في المسالك ردي خويه ، ص ٨٥) ان نهر الملك ينتهي الى قصر عمر بن هبيرة الغزاري باحدى شعبيته ، والاخرى ترمى في دجلة عند كوثى ، نحو ضبعة تعرف بالكيل »

ويذكر ابن حوقل في المسالك (دي.خويه، ص ١٦٦) ان نهر الملك اضعاف نهر صرصر في غزره .

ويذكر ياقوت في المعجم (فستفلك. المجلد ٣ ص ٥٢) « نهر الملك كورة واسعة تحت نهر عيسى، يقال انه يشتغل على ثلاثمائة وستين قرية . ثم يصب الى دجلة »
اما اليوم فليس لنهر الملك وجود ، الا أن سداذه ظاهرة للعيان لأميال كثيرة .

نهر كوثى وسورا

استناداً الى ابن سيرا يون (المصدر السابق) ، فان نهر كوثى يأخذ من الفرات: اول اسفل من نهر الملك بثلاثة فراسخ . وهو نهر كثير الضياع والقرى ، وعليه جسر ، ويتفرع منه انهار تسقى طسوج كوثى من كورة اردشير بابكان وبعض طسوج نهر جوبر ، ويمر بكوثى ربا ، ويصب في دجلة اسفل المدائن بعشرة فراسخ في الجانب الغربي

انني احلدهم نهر كوثى عند القاعدة الجنوبية لهضبة الحصنة المنعزلة

قراية النقطة التي يترك فيها نهر الاسكندرية الحديث نهر الفرات . وقد شكل
جسر القواب حاققة وصل في (طريق الحاج) من بغداد الى الكوفة .
وفي وصف هذا الطريق الرئيس ، غالباً ما يرد ذكر نهر كوثى وبلدة
قصر ابن هبيرة .

ويصف البغوي ، في البلدان (دي خويه) ، ص ٣٠٨ وما بعدها
مدينة قصر ابن هبيرة ومدينة عامرة جالية ، يتزلها العمال والولة ، واحها ،
اخلاط من الناس ، وهي على نهر يأخذ من الفرات يقال لها الصراة ، وبين قصر
ابن هبيرة وبين معظم الفرات مقدار ميلين (ما يوازي اقل من اربعة كيلومترات)
الى جسر على معظم الفرات يقال له جسر سورا .

واستناداً الى ابن سيراينون ، (المصدر السابق) ، (منخطولة المتحف
البريطاني) ، الاوراق ٣٤ يمين وما بعدها (لو سترنج) ، ص ١٦ وما بعدها ،
فان الفرات يتفرع بعد ستة فراسخ الى الجنوب الشرقي من فم نهر كوثى
الى فرعين . اولهما ، وكان محتفظاً باسم الفرات ، فاذا جاوز الفرات نهر كوثى
لسته فراسخ انقسم قسمين ، فيمر الفرات الى قنطرة الكوفة ويمر مدينة الكوفة
وعليه جسر هنالك ، ويمر الى البطائح ويمد القسم الآخر نهراً عظيماً ،
اعظم من الفرات واعرض وهو النهر الذي يقال له سورا الاعلى يمر بقرى
وضبايح ، ويتفرع منه انهار كثيرة تسقى طسوج سورا وبربسا وباروسما ،
ويمر بازاء مدينة قصر ابن هبيرة ، بينهما اقل من ميل ، وهناك على النهر
جسر وهو جسر سورا . ويحمل منه نهر ابي رجا اوله فوق القصر بفرسخ ،
ويمر هذا النهر مع مدينة القصر ، ويصب الى سورا اسفل من
القصر بفرسخ ويمر نهر سورا بين القصر ماداً الى ستة فراسخ ،
فيحمل منه هنالك نهر يقال له سورا الاسفل . وعلى
فوهة هذا النهر قنطرة عظيمة يقال لها قنطرة القامغان ، والماء فيها منصب
عظيم ، يمر هذا النهر بقرى وعمارات ويتفرع منه انهار كثيرة تسقى طسوج

بابل وخطرنية والجامعين والقلوجة انبليا والسفلى ، ويمر هذا النهر فيما بين مدينة بابل ، ويمر بالجامعين المحدث والقديم ، ويمر الى احمد اباد وخطرنية ، ويمر الى قسمين ، ويتفرع منه هناك انهار تسقى طسوج جنبلاء وما والاها ويصب في النهر الذي يأخذ من الفرات ، وهو البداة ، اسفل من الكوفة في سوادها . ويحمل من نهر سورا الاسفل نهر يقال له الترس اوله مع الجامع القديم ، يمر بقرى وضياح ويتفرع منه انهار تسقى سواد الكوفة او بعضه ، ويمر بالحارثية وبحمام اعين .

ومن قنطرة القامغان الى فم الترس ستة فراسخ ، ومن فم الترس الى حمام عمر ستة فراسخ ، فيصب في البداة التي في سواد الكوفة الذي من شرقي الفرات . فاذا جاوز سورا الاعلى قنطرة القامغان سمي هناك الصراة الكبيرة ، يمر بالصقر وبقري وضياح ، ثم يمر الى صابر نيتا ، ويتفرع منه هناك تسقى الضياح التي في غربيه ويحمل منه نهر يقال له صراة جاماس ، اوله عند النواعير ، ويمر فيسقى الضياح هناك ، ويصب في النهر الكبير اسفل مدينة النيل بثلاثة فراسخ . وتمر الصراة الكبيرة الى مدينة النيل وعليها هناك قنطرة يقال لها الماس فاذا جاوز النهر القنطرة سمي النيل ، فيمر بقرى وعمارات الى موضع يقال لسه الهول بينه وبين النعمانية التي على شاطئ دجلة اقل من فرسخ ، ومنه يحول الى دجلة . وكانت هذه الانهار تجري ندلال مناطق تقع على اطراف منطقة بحوثنا وما وراءها . لذلك فالتفسيرات التالية يمكن ان نعلها تخمينية فقط اذ ان مطابقات محددة للقنوات المتنوعة والموانع المذكورة يجب ان تنتظر مزيداً من البحث .

ان ستة فراسخ (٣٠ كيلو متراً) من فم نهر كوثي (الاسكندرية) تكاد تؤدي بنا بالضبط الى النقطة التي يفترق فيها شط الحلة وشط الهندية . ومن المحتمل ان شط الحلة كان هو نهر الفرات الاصلي الذي كان يجري حول مدينة بابل . فيبينما يطلق ابن سيرابون اسم الفرات على الهندية الحديث ، فان ابن حوقل ، (المصلح السابق ، ص ١٦٨) يذكر ان الحلة تقع غربي

الفرات ، ومن ثم لا يعتبر فرع الهندية الذي يجري محاذياً الكوفة هو الفرات الاصلي . ان نهر سورا ، الذي كان استناداً الى ابن سيراويون اكبر من الفرات الرئيس ، كان يجرى حذاء بابل والجامعين ، كما كانت مدينة الحلة تدعى في الاصل . وعند الجامع القديم تفرع نهر النرس من نهر سورا . وبما ان مدخل نهر النرس معروف بانه كان حيث تقع الآن مدينة الحلة الحديثة ، فانه يزودنا بنقطة البدء لمزيد من التعريف بالانهار التي وصفها ابن سيراويون . ان المسافة من الجامع القديم صعوداً مع النهر الى جسر قنطرة القامغان ذكرت انها ستة فراسخ . وهذه تشير (اذا اخذنا في الاعتبار تمرجات النهر) الى المنطقة المجاورة الى قرية البطة الحالية ، قرابة ستة كيلو مترات جنوب غربي خان المحاويل . وحتى الى هذا الجسر فالنهر الآخذ من الفرات كان يسمى سورا الأعلى ، ومن هنا الى الجنوب الشرقي بسورا الأسفل . ويقع سورا الأعلى على نحو كيلو متر ووصف جنوبي مدينة قصر ابن هبيرة . ان جسر القوارب الذي يعبر هذا النهر قرب هذه المدينة كان يدعى بجسر سورا . وكانت مدينة قصر ابن هبيرة تستمد الماء من نهر ابى رجا ، الذى يأخذ من سورا الأعلى ، على بعد فرسخ واحد غربي المدينة ويصب ثانية فيها على بعد فرسخ واحد الى الجنوب الشرقي من المدينة . ولا يمكن وضع مصدر سورا الأعلى الى الشمال اكثر بكثير من النقطة التي ينقسم عندها الفرات الآن الى شط الحلة وشط الهندية . ويتفق هذا الموضع إتفاقاً كاملاً مع ما ورد في بيانات ابن سيراويون المتعلقة بفروع جميع الانهار المختلفة من النقيض الى الجنوب الغربي .

ويشير اتجاه طريق الحاج من بغداد الى الكوفة الى السيد الحديث ، شمال غربي قرية البطة ، على انها الموضع الذي عبر فيه الطريق المذكور سورا الأعلى . عبر هذا الطريق جسر سورا ، ومنه أدى الى جسر قوارب الكوفة ؛ وعلى هذا خلا بد أنه اتبع الجانب الشرقي ، وليس

الغربي ، لفرع الهندية الرئيس من الفرات وكان يتجه مباشرة تقريباً الى الشمال والجنوب .

اننا نرى ان رواية ابن سيرايون تظهر ان مدينة قصر ابن هبيرة تقع عند ضريح الشيخ ابراهيم الحالية بجوار خرائب فينوى . فمن المحتمل ان نهر ابى رحا كان يأخذ من سورا الأعلى قرب الموضع الذي انفصل فيه الأخير عن الفرات ثم يعود الى الاتصال بسورا الأعلى فوق جسر قنطرة القامغان . ان هذا الجسر لم يشيد على سورا الأعلى ، بل على سورا الأسفل ، وبهذا جعل الممر من الغرب الى الشرق ممكناً . فالى الشمال منه انحرف امتداد نهر سورا الأعلى الى الشرق تحت اسم الصراة الكبيرة ، وهو الاسم الذي كان يطلقه في الحقيقة البعوثي ، في البلدان ، (دي خويه) ، ص ٣٠٨ وما بعدها) على سورا الأعلى كله ابتداء من مأخذه من الفرات وعلى مسافة ستة فراسخ شرقي قصر ابن هبيرة ، قسرب قرية النواير (ماوراء قصر المحاويل الحديثة) ، كان يأخذ الصراة جاماسب من صراة الكبيرة ، بعدها استدار النهر الأخير جنوباً الى بلدة النيل ، حيث شيد عليه جسر متين يسمى جسر الماسي ، ومن هذه البلدة اتخذ النهر اسم النيل ، وعلى مسافة ثلاثة فراسخ الى الشرق صب في نهر الصراة الكبيرة هذه (او النيل) صب صراة جاماسب . انني احدد موضع بلدة النيل عند خرائب العسبية على قناة شط النيل القديمة حوالي عشرين كيلو متراً شرقي كومبريش (بابل) .

ان نهر سورا الأعلى مع فرعيه الصراة الكبيرة وصراة جاماسب ، كان يروي الأرض المحيطة بقصر ابن هبيرة ومناطق سورا وبريسما وباروسما . اما الماء من سورا الأسفل فقد جرى فوق مناطق بابل وخطرتية والجامعين والقلوحة الأعلى والأسفل ، ويمكن التحري عن المنطقتين الأخيرتين الى الجنوب الشرقي من الجامعين ، حيث كان نهر النرس يأخذ هناك من سورا الأسفل . ثم يجرى النرس جنوباً - جنوباً غربياً لمسافة ستة فراسخ الى محطة حمام عبر التي تقع ، وفقاً

للمقامسي ، (احسن التقاسيم) . (دي خويه) ، ص ١٣٤) على الطريق الرئيس من قصر ابن هبيرة الى الكوفة ، في مكان ما الى الجنوب الشرقي من خرائب البرس . وامتناداً الى ابن سيراويون فقد كان نهر الترس يصب في قناة البداية ، الذي يروي الأرض المحيطة بالكوفة . وعلى هذا فمن المحتمل ان نهر البداية كان يأخذ من فسرع الهندية للفرات الذي جرى مساراً بالكوفة بين الكوفة والبرس . ان موضعاً كهذا يؤدي بنا الى بلساء الكفل في يومنا هذا ، ومن ثم تخرج ترع اروائية كثيرة جداً من الفرات باتجاه الجنوب الشرقي . فان تفرعت قناة البداية ، كما يذكر ابن سيراويون ، من الفرات الأصلي (اي فرع الهندية) في نقطة لا يمكن ان تكون في تقديري الا قرب بلساء الكفل الحالية ، فان الكفل نفسها (حيث كان قبر النبي حنظل) او احدى ضواحيها ، كانت تستحق ان تدعى : « فم الباءة » او قم بدنيا ذلك الاسم الذي كثيراً ما يرد في التلموذ .

وينقل ياقوت ، (في المعجم) (فستفلد) ، المجلد ٤ ، ص ٧٩٨) عبارة الخطيب مفادها ان نُفَرَّ هي بلساء بازاء نهر الترس في إقليم قَرَس (بلاد فارس) . ولم يعرف اي من ياقوت او ابي الفضائل موقع نُفَرَّ ، ولكن كان كلاهما على علم بان قناة الترس لا تخترق بلاد فارس ، وقد قاما بتصحيح هذا الخطأ . ولعل نهر الترس انما ذكر في تحديد موضع نُفَرَّ إما لان الكلمة تنتهي بقافية مماثلة لقَرَس ، او لان « الترس » سحرقة من كلمة « النيل » . وكانت نُفَرَّ تقع عند فرع من النيل .

ذكر الاصطخري ايضاً (في المسالك (دي خويه) ، ص ٨٥) ان سوراً وهو نهر كثير الماء ليس يخرج من الفرات لشعبة اكبر منه حتى ينتهي الى سوراً ثم الى سائر سواد الكوفة ويقع الفاضل في البطائح بينما يروي الفرات الاراضي حول الكوفة ثم يثمر مستنقعات البطائح :

ويصف ابن حوقل ، (في المسالك) (دي خويه) ، ص ١٦٦ نهر سورا
وليس للفرات شعبة اكبر منه ؛ ويشير اليه ايضاً ، على كل حال ، كما لو كان الفرات
الأصلي حيث يؤكد (المصدر نفسه ، ص ١٦٨ ، ملاحظة أ) ان مدينة الحلة
تقع غربي الفرات .

انهيار على الضفة اليمنى من الفرات

انهيار المحدود والمارسارس والمققي

تشير المراجع الى انهيار كثيرة في ارض بابل على الضفة اليمنى من الفرات .
فالى أقصى الشمال كان يجري نهر يدعى بالمحدود . اذ يكتب ياقوت (المصدر
نفسه ، المجلد ٤ ، ص ٤٢٤) «المحدود اسم نهر بارض العراق قرب الانبار
في جانب الديار الغربى منها امرت بحفره الخيزران ام الخلفاء وسمته الربان ،
وكان وكيلها قد جعله اقساماً وحد كل قسم ، وكل بحفرة قوماً فسمى المحدود »
عاشت الخيزران في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي . وقد أخذ
قناة المحدود من الفرات أسفل من نتوء العقبة الصخري الذي كان يبرز في
النهر العظيم على بعد ستة عشر كيلومتراً جنوب شرقي هيت .

اما بطليموس ، (في جغرافيته) ج ٥ ص ٢٠ : ٢) فكان يعلم كذلك ،
علاوة على النهر الملكي والنهر الذي يجري بجانب بابل ، بـ « نهر » في بلاد
بابل يدعى بـ (مارسارس) (وورد كذلك مرسارس وبارسارس
ونارس وفارساك [المصدر نفسه ج ٥ ص ١٩ ؛ طبعة ملر ، ص ١٠١٨ ،
ملاحظه]) . وقد تفرع من الفرات على خط عرض ٣٥ ٤٠ شمالاً ، وبالتالي
عند ٤٠ في شمال بابل . اما المدن الواقعة على امتداده (المصدر نفسه ج ٥ ص ٢٠ :
٦) فكانت فولكيسيا على خط عرض ٣٤ ٣٠ شمالاً وخط طول ٧٨ ٢٠ شرقاً ،
وبارسيا على خط عرض ٣٤ ٢٠ شمالاً وخط طول ٧٨ ٤٥ شرقاً . فاذا اخذنا

بهذه الأرقام فينبغي تحديد موضع فولكيسيا الى الشمال الغربي من بارسييا وبعيداً الى الجنوب من قسم قناه مارسارس . ان جسدول بويتنكر (فيتا ، ١٨٨٨ ، المقطع ١٠) يجعل المسافة من بابل الى فولوكيسيا (فولكيسيا) ثمانية عشر ميلاً ، التي توصانا الى جوار خرائب الحوطة في جنوب الميسب .

وكما نعلم من نقوش تاسمر (دي فوكه ، سوريا ، [١٨٦٨] ، نقوش تدمر رقم ٤ ؛ مجموعة الكتابات الاغريقية [١٨٢٨ - ١٨٧٧] ، رقم ٤٤٨٩) ان تجار تدمر اعتادوا استيراد سلعهم من « اولوكيسياس » ، فنحن نميل الى البحث عن هذا المكسان غربي مسلوقية - طيسفون وغربي القنرات ، اي في المنطقة المجاورة لنيابوليس . وبمجيئهم الى هنا تكون قوائل الجمال المحملة من تدمر قد تفادت الحر المهلك ويعوض بلاد بابل الاصالية . وكان يمكن ان تجلب السلع الى فولكيسيا - نيابوليس إما على الطريق الرئيس او على النهر الملكي . ولعل الاسم المحلي للمكان كان بتراء ، ومن المحتمل ان الاغريق دَعَوْهُ بِـ (نيابوليس) ، والبارثيين اطلقوا عليه اسم فولكيسيا ؛ على ان الاسمين الاجنبيين اختفيا وبقي الاسم المحلي بتراء فقط .

تفرعت قناة مارسارس من الضفة اليمنى للقنرات ؛ ولكن تفرعت من الضفة ذاتها ايضاً ، وفقاً لبطليموس ، القناة الملاكية ، برغم اننا نعلم من كتاب آخرين ان الاخيرة أخذت من الضفة اليسرى . ولهذا السبب لا يمكن الوثوق بعسارة بطليموس . ان نصه يعني ضمناً ان كلتا القناتين ، الماكية ومارساوس ، تفرعت عند خط العرض نفسه وان كليهما جرت جنوباً ، وهذا لا يمكن ان يكون صحيحاً .

ان المساعدة الرحيمة الممكنة التي يقدمها بطليموس الينا بعدد تحديد مجرى مارسارس هي وضعه فولكيسيا وبارسييا على ضفافه ؛ وذلك لاننا سبق ان عرفنا مصادنة مرقع بارسييا . انها البرس في يومنا هذا ، على بعد ٢١ كيلومتراً الى

الجنوب الغربي من بابل. ومعروف من السجلات البابلية ان بلدة بارسيسا كانت تقع على قناة أخذت من الفرات عند مدينة بابل بالضبط . ومن المحتمل - بل يكاد يكون مرجحاً حقاً - ان فرعاً ، طبيعياً في جزء منه ، واصطناعياً في جزء آخر ، تشعب من الضفة اليمنى للفرات فوق مدينة بابل بمسافة ملحوظة ، وان مياهه روت المستوطنات حول موقع الهنابية الحديثة . ولعل هذا الفرع جرى الى القرب من بارسيسا ، ومن المحتمل ان انضمت اليه هناك قناة قديمة ضخمة على بعد احدى عشر كيلومتراً غربي المسيب . أخذت هذه القناة من الفرات عند حقول بترا ، وكانت قد احتفرت في منخفض طبيعي في هضبة من الدور الثالث للتكوين الصخري ، وامتدت الى جنوب - الجنوب الشرقي من بلدة بارسيسا القديمة ، او البرص الحديثة . ان نصفها الأعلى مطمور الآن ، على ان النصف الجنوبي لا يزال باقياً ، لانه يستمد الماء من الفرات بوساطة فرع الهنابية ، الذي يستدير غرباً عند السد الحديثة ويجري بجانب الكوثة .

ويسجل اميانوس مارسليتيوس (٢٣ ، ٦ : ٢٥) ، ان فسي بسلاذ بابل نهر المارسس (مارسارس) ، والنهر الملكي ، والفرات الذي يعتبر اعظمها . فيذكر (المصبر نفسه ، ٢٤ ، ٣ : ١٩) كما يفعل زوسيموس (التاريخ الحديث ، ٣ ، ١٩) انه عنا . بترا يختمى الفرات تقريباً ، بعد ان يكون قد ملأ انهاراً كثيرة في طريقه .

اما اميانوس مارسليتيوس ، الذي رافق الجيش الروماني متوغلاً فسي بلاد بابل ، فانه في وصفه لهذه الرحلة لا يشير ابداً الى المارسارس ، ولنا ان نستخلص من هذا انه بما ان الرومان لم يعبروا القناة على الاطلاق ، فاما ان تكون قد أخذت عند نقطة ادنى من النقطة التي وصل اليها الرومان على الضفة اليسرى من الفرات ، او انها تفرعت من الضفة اليمنى . ولعل الافتراض الأخير صحيح ، لانه ، وفقاً لبطليموس ، كانت فوهة نهر الملك أسفل من المارسارس ، الذي لا يمكن ان

يكون صحيحاً فيما لو تفرع الأخير من القرات من ناحية اليسار . ولا كان اميانوس مارسليينوس يلوذ بالصمت عن هذه النقطة ، فليس لنا الا ان نفترض ان المارسارس تفرع من الضفة اليمنى .

. ولا يذكر اي مؤلف عربي نهر المارسارس ، فاذا كان ينبغي البحث عن مجراه وفقاً لبطليمز فانهم يشيرون الى نهر يدعى بالعلمي .

يقول قدامة ، في الخراج (دي خويه) ، ص ص ٢٣٣ وما بعدها . ان القرات ، يمر بهيت والانبار فيجاولهما فينقسم قسمين ، منه قسم يأخذ نحو المغرب قليلاً المسمى بالعلمي الى ان يعبر الكوفة ، وقسم مستقيم ويسمى سورا حتى يمر بمدينة سورا الى النيل وما يتصل بها فيسقى كثيراً من اعمال السواد ويخرج منه اسفل من الانبار ، نهر يعرف بالثقليل ، يحمل منه نهر عيسى ، الذي يأخذ الى بغداد ويصب في دجلة .

كان نهر العلمي يترك القرات على مسافة ١٤ كيلومتراً جنوبي حقول بتر ، ويجري جنوباً - جنوباً غربياً عبر المجرى الجاف لقناة مارسارس القديمة ، وبالقرب من الزبيبة ، ١٣ كيلومتراً جنوب شرقي كربلاء ، انضم الى فرع القرات الذي يروي اليوم مزارع الكوفة .

وفي عام ١٠٨٥ م تمّ تطهير نهر العلمي وكان يجري متعرجاً

قرب المشهدين (البنداري ا التوارينج [هوتسا] ، ص ٧٧) .

والمشهدان هما مدينة كربلاء والتجف ويسميان احياناً : بمشهد الحسين ومشهد علي (ع) . وكلاهما يأخذ ماءه من العلمي ، الذي كان فسي نصفه الأسفل يطابق مارسارس الاقدم عهداً .

قناة البكوناس او الفلوجة

تشير السجلات البابلية الى نهر اسمه فار بلوكات وهو بلكوتاس عند الكتاب الكلاسيين والفلوجة في المراجع العربية .

ويقدم اريان ، في انابسيس ، ٧ ، ٢١ أفضل وصف لهذا النهر حيث يقول :
أبحر الاسكندر من بابل منحدرًا مع الفرات حتى «نهر» بلكوتاس (ووردت
بلكوتاس) . تفرع هذا النهر من الفرات قرابة ثمانمائة ستاد أسفل من بابل
وكان في وقت الفيضان يُصرف الماء الزائد الى البرك والبحيرات التي تمتد من
النهر الكبير حتى تبلغ حدود بلاد العرب وتشكل حزاماً طويلاً من المستنقعات
التي يجري الماء منها الى البحر بطريق قنوات كثيرة غير ذات بال . وكان
النهر قرب فمه من السعة والعمق بحيث انه حتى في فصل الصيف كان المساء
من الفرات يجري فيه ويبقى قليل منه لارواء بلاد آشور . وكان فم نهر
البلكوتاس يصعب إحكام اغلاقه لامتلائه بالموجل ، وكانت المنطقة المجاورة باكملها
بلا استثناء تقريباً متكونة من الطين . ورغم هذا صمم الاسكندر على سد الفم .
وعندما وجد تربة صخرية على حوالي ثلاثين ستاداً أسفل من هناك ، اصدر
اوامره بان تحفر ، وهكذا يكون قد استحدث فماً جديداً لنهر البلكوتاس . فكان
في رأيه انه اذا دعت الحاجة ، فسيكون من الأسهل سد فم في تربة صخرية
منه في الطين ، بعد ذلك أبحر في البلكوتاس وعلى امتداده حتى البحيرات ،
وحتى الى بلاد العرب ، حيث وجد بلداً جميلاً وبنى مدينة رائعة وضع فيها
حامية من الجنود الاغريق .

وكذلك يذكر اريان ، في (الحرب الأهلية ، ج ٢ ص ١٥٣) ، ان
الاسكندر أبحر من بابل على الفرات منحسداً الى نهر البلكوتاس ،
الذي جرى فيه المساء من النهر الكبير الى البحيرات والمستنقعات ، بحيث
لم يعد في الامكان ارواء الاراضي الآشورية من الفرات ، كما لم
تتمكن القوارب من الابحار عليه . وكان الهدف من رحلة الاسكندر اقامة سد
على هذا النهر .

ويكتب بليني ، في التاريخ الطبيعي (ج ٦ ص ١١٨) ان بسلدة بورا
تقع على نهر البلكوتاس .

ويتضح من كلا اريان وايبان ان نهر البلكوتاس تفرع من الضفة اليمنى للفرات اسفل من بابل . ويقدر اريان المسافة بنحو ثمانمائة ستاد . فلو كانت الاستادات هي ايراتوسينية فتكون المسافة ١٢٥ كيلومتراً . وإذا سلمنا ان الفرث الحقيقي اسفل من بابل كان يجري بالاتجاه نفسه تقريباً الذي هو عليه اليوم ، فان مسافة ١٢٥ كيلومتراً تؤدي بنا الى نقطة قرب الديوانية . وحينئذ يكون الفرث القديم مطابقاً لشط الخار ، ونهر البلكوتاس مسع شط الفرث . ان هذا التطابق لا يمكن ان يكون موهلاً في الخطأ ، اذ لا يفترض ان يكون الفرث قد وصل الى اي نقطة أقرب الى دجلة من شط الخار في يومه هذا . ويحدد كيرت (طبيعة العالم القديم (١٩٠٥) ، خارطة (٥) قسم نهر البلكوتاس الى الشمال الغربي من قم نارملخا ، (نهر الملك) وهذا يناقض البيانات الكلاسية المقتبسة اعلاه .

وكان يهودي من بيت ارميا من قرية بلوكتا ، وهي المكان الذي تنفصل فيه مياه الفرث لارواء الاراضي المجاورة ، قد ذكر في مواعظه عام ٦٤٠ م ان المسيح قد جاء . فجمع حوله قرابة اربعمائة رجل ، من حاكّة وصناع سجاد وقصاري اقمشة الكتان ، واحرقوا ثلاث كنائس وقتلوا المسؤول عن المنطقة . فارسل لقمعهم جنود مسن عاقولاً قاموا بقتلهم جميعاً مسح نساءهم واطفالهم وصابوا زعيمهم في قريته (نولدكه ، تاريخ السرياني [١٨٩٣] ، ص ٣٦ ، كويلي ، نص جديد [١٨٩١] ، ص ص ٢٨ وما بعدها) .

ويطابق نولدكه (ملاحظه ٤) هذه القرية مع قلعة فلوجة (الفلوجة) ، الا ان هذا لا يكاد يصحح ، اذ ان فلوجة هذه لم يرد ذكرها قبل القرن الثالث عشر قط . ويبدو ، الأرجح ، ان قرية بلوكتا (١) تقع شرقي عاقولا (الكوفة) او جنوب شرقها ، حيث عرف المؤلفون العرب قرية تحمل الاسم نفسه .

(١) (او كما وردت هنا بلوكتا - المترجم) .

ولنا بعد هذا ان نفترض ان البيشون تفرع من الضفة اليمنى للفرات وجرى جنوباً وإلى جنوب - الجنوب الشرقي . وكان هذا مجرى المارساس عند القدماء ونهسر العلقمي في المصادر العربية ، التي نعلم انها شكلت الحدود الغربية لسهل بلاد بابل الخصب . وعلى بعد عشرين كيلومتراً الى الشمال الغربي من فم قناه ماسارس ، يذكر زوميموس ، في التاريخ الحديث ، ٣ ، ١٩ ، أنه بالقرب من الفرات تقع بلدة فيسينيا (خرائب عقر النعيل) ، التي توجي باسمها وبموقعها على السواء الى بيشون التوراتية . تقع فيسينيا على الضفة اليسرى للفرات ، بينما تفرع البيشون من الضفة اليمنى ؛ ولكننا نجد في بلاد بابل في اماكن اخرى ايضاً قسرى وقنوات تنسب الى اسماء القرى الواقعة على الضفاف المقابلة .

وعلى هذا فاني أقدر بان البيشون تفرع من الضفة اليمنى للفرات قرب خرائب عقر النعيل الحديثة ، وجرى جنوباً شرقياً ، ثم استدار جنوباً ، وبعدئذ جنوباً شرقياً ثانية ، وسقى الاراضي حيث تقع الآن مستوطنات وخرائب الكوفة والشنافية والمقير . وقد شكل هذا الحدود الشمالية الشرقية لأرض حويله ، او بلاد العرب السعيدة .

اما الفرع الثاني ، او القناة المسماة جيحون ، فقد جرت حول ارض كوش ويمكن التأكد من موقع هذه الارض بالرجوع الى سفر التكوين ، ١٠ : ٨-١٠ ، حيث نقرأ ان كوش كان سيد بابل وايرح واكد وكلنه في ارض سنيار (شنعار) . وبما ان اكد كانت الجزء الشمالي لبلاد بابل فلن نخطيء اذا بحثنا عن جيحون في قناة كبيرة كانت تجري خلال بلاد بابل الشمالية . وكانت نار ملخا الكلاسيه ، او نهر الملك في المصار العربية ، مثل هذه القناة الكبيرة ، التي تفرعت من الفرات . مقابل ماسارس تقريباً ثم جرت الى شرق - الخبز الشرقي ساقية السهل الواقع الى الشمال وإلى الشرق من بابل . ولعلها في السابق استدارت الى الجنوب الشرقي فيما وراء بابل مباشرة وروت المنطقة المجاورة لبلدة كلنه (نيفر الحديثه) ، وكذلك منطقة ليرح (الورقاء الحديثه) ، ثم انضمت الى الفرات .

اما الفرع الثالث ، او القسنة ، فكانت الحدقل التي جرت باتجاه
ببلاد آشور . وحسب تفسيرنا فلا يمكن ان تمثل الحدقل مسوى
قناة القرمة الحامية ، التي اتبعت في عهد التورات ، كما هو الحال في الوقت
الحاضر ، الحدود الشمالية للسهل الغربي الحقيقي لبلاد بابل . فإلى الشمال منها
امتدت الهضبة من الدور الثالث للتكوين الصخري ، التي إعتبرت دائماً تقريباً
تابعة للبلاد الآشورية . ومقابل فم هذه القناة على الضفة اليمنى للفرات كانت
تقع ريقو ، التي غالباً ما ذكرت على انها مدينة ثغرية آشورية . وسمى المؤلفان
العرب هذه القناة الدقيل او الدجيل (اسم التصغير للدقل او دجل) ، وكلا
الاسمين يذكرنا بحدقل التوراتيه ، خاصة مذ تحوت « حدقل » (حد - قل ،
تعني دقل السريع الحاطف) في العربية النصحي الى « دجله » ويقول زوسيموس ايضاً ،
في التاريخ الحديث ، ٣ ، ١٦ في حديثه عن قناة الدقيل انها جرت نحو بلاد آشور .
اما الفرع الرابع فكان القرات نفسه . إنه النهر الأصلي الذي كان يمر
بالعاصمة البابلية بعد ان نُقِدَ مأوّه الى حد كبير .



معارك خالد بن الوليد على امتداد الفرات

تقدم خالد الى الحيرة

وردت اخبار كثيرة ، فسي بعضها كثير من التضارب عن حركات المسلمين الاولى لفتح بلاد فارس . ان الصعوبات الطبوغرافية بوجه خاص كثيرة وتعلق بتفسير الاخبار عن أعمال المسلمين بقيادة خالد بن الوليد والمعلومات المتعلقة بأعمال قبيلة بكر بن وائل تحت قيادة رئيسها المشنى بن حارثة .

زحف خالد على الحيرة

سنُعى في الملحق الحالي بحركات خالد والمثنى في العراق وعلى امتداد الفرات في المدة من نهاية ربيع عام ٦٣٣ م الى ربيع عام ٦٣٤ م . ان غارة خالد الشهيرة التي تلت مهاجمته واحة دومة الجندل وزحفه الذي اخترق فيه الصحراء الى بلاد الشام قد عالجت بالتفصيل الى حد ما في كتابي (بادية الشام ، ص ٥٣٩ - ٥٥٢ و ٥٥٣ - ٥٧٣) . ان خالداً كاد يصل ، في النصف الثاني من عام ٦٣٢ م والنصف الاول من ٦٣٣ م بعد قضاائه على ردة اليمامة ، الى حدود قبيلة بكر بن وائل التي كانت تقاوم الفرس لبعض الوقت وتقوم بغارات في داخل الاراضي الفارسية . وسرعان ما فطن المثنى الى اهمية ارتباطه بالمسلمين للقيام بهجوم مشترك ضد الفرس . فعندما كان خالد في اليمامة اتصل المثنى بالخليفة ابي بكر وانضم الى خالد الذي بدأ زحفه على العراق تنفيذاً لأمر الخليفة .

اما فيما يتعلق بالهدف من مسيرة خالد فثمة اختلاف في الرأي بين روايات المدينة والكوفة . كما اننا لا نجد حتى بين ممثلي كل مدرسة على حدة اتفاقاً في الرأي . فاستناداً الى بعضهم يبدو كأنه كان من المقرر على خالد ان يفتح الضفة اليمنى للفرات من الخليج العربي باتجاه الشمال الغربي ، وبهذا يحقق التقدم الأبعد للمسلمين ، بينما يقتصر آخرون على وصف عمليات خالد في المنطقة المجاورة للحيرة ، وكأنها هي الغرض الوحيد من تقدمه الى العراق وهنا سوف اوضح واعيد صياغة بعض الفقرات من الاخبار التي تتعلق بزحف خالد على منطقة الحيرة ومن هناك الى الشمال الغربي ، موجهاً اهتمامي أولاً بكتاب مدرسة المدينة (البلاذري والواقدي والمدايني وابن نبيشه وابن اسحاق وابو يوسف وهشام ابن الكلبي) وبعدئذ برواية سيف بن عمر ، الممثل الرئيس لجماعة الكوفة .

روايات مدرسة المدينة

حديث البلاذري عن خفان والحلف مع قبيلة بكر

ينقل البلاذري ، في كتابه « فتوح البلدان » ، (دي خويه) ، ص ٢٤١) ، عن هشام ابن الكلبي وابي مـ حنـف . واستناداً اليهما فقد كان المثنى بن حارثة ، رئيس قبيلة بكر بن وائل ، « يغير على السواد في رجال من قومه ، فبلغ ابا بكر الصديق رض خبره » ثم ان المثنى قدم على ابي بكر الصديق فقال له يا خليفة رسول الله استعماي على من أسلم من قومي اقاتل هذه الاعاجم من اهل فارس ، فكتب له ابو بكر في ذلك عهداً فسار حتى نزل خفان ودعا قومه الى الاسلام فاسلموا .

وكانت خفان تقع على بعد اربعة فراسخ (٢٠ كيلومتراً) الى الجنوب الشرقي من القادسية في طرف الصحراء وكانت مضرب الخيام المفضل لابي العشائر البدوية الأقل عدداً . وهي مطابقة لتقصر القايم الحالي .

يقول كاتباتي ، في الحوليات (١٩٠٨) ، المجلد ٢ ، ص ٩١٧) أن المثنى جمع قبيلته باكملها عند خفان وانهم اسلموا

نمياً . وهذا لا يتفق مع النص وهو غير محتمل جداً ، اذ لا يمكن ان تجد القبيلة
بالكمها مرعى لقطعانها حول خفّان التي كان يحدها الى الشمال ارض محروثة وإلى
الجنوب صحراء رميلة .

ويزعم كايثاني ايضاً (المصدر نفسه ، المجلد ٢ ٩٢١ ص ، الملاحظات
٦ ج ، د) ان خفّان تقع ما وراء بادية الشام في المنطقة الغربية (السواد) ، وانها
لم تكن تعود الى بكر بن وائل ولذلك لا يمكن ان تكون مضرراً لحياهم ، كما
كتب البلاذري ، ولكنها كانت اول محطة تفتتح في ارض العدو حيث اقام
المسلمون معسكرهم الاول وراى حدود الجزيرة العربية ، وبهذا الصدد يشير كايثاني
الى بيت شعر يفخرون فيه بهذا النصر الذي احرزوه بجوار التمارق .

غلبنا على خفّان يبدأ وشيخة الى الذخلات السمر فوق التمارق
وانا لرجسو ان تجول خيولنا بشاطي الفرات بالسيوف البوارق

ويقال ان بيت الشعر هذا المثنى وان ياقوت اورده في المعجم (فستفند) ، المجلد
٤ ، ص ٨١٢ ، السطران ٢١ - ٢٢) . يفسر كايثاني هذه الفقرة بانها تبين ان
المسلمين حينما تقدموا على بلاد فارس وذلك بعد مغادرتهم الصحراء ، تحركوا
من خفّان ، اي من المنطقة المجاورة للحيرة مباشرة . الا انه لم تذكر
واحدة من كافة المصادر التاريخية الكثيرة العدد جسداً ان المسلمين تجاوزوا
الصحراء عند خفّان عند تقدمهم الى الحيرة . فيكتفي البلاذري بالقول ان
المثنى بعد ان كتب له ابو بكر عهداً سار الى خفّان . وتجري عين خفّان
بالقرب من حدود الصحراء ، والواقع انها تجري في الصحراء ذاتها وليس في المنطقة
الغربية . ويدعي البدو والحضر على السواء انهم المالكون لامثال هذه البنايع او
الواحات ، وفي الواقع ان السيطرة على هذه الواحات تكون للأقوى فقط . وفي اثناء
خلافة ابي بكر كانت الحكومة الفارسية من الضعف بحيث انها لم تقو حتى
على الدفاع عن حدودها وكانت مكروهة على التخلي عن محطات متعددة . وتبعاً
لذلك اضطر سكان المناطق الحدودية الى حماية انفسهم بقدر المستطاع . ونص

البلاذري ان المثنى كان يغير على اطراف بلاد الدولة الفارسية حتى قبل تحالفه مع المسلمين ؛ لذلك كان في استطاعته الاستيلاء بسهولة على عين خفان . فان كان المثنى حقاً قائل الشعر الذي رواه ياقوت (المصدر نفسه ، المجلد ٤ ، ص ٨١٢ وما بعدها) ، فلا بد انه قد قاله قبل تحالفه مع المسلمين ، لانه لم يذكرهم على الإطلاق . وعندما يشرح ياقوت الشعر ، قائلاً ان التمارق هي موضع قرب الكوفة في العراق حيث عسكر جيش المسلمين اثناء غزوهم الأول ، فانه لا يشير الى خفان ولا تؤيده اية رواية اصالية ، وانما يكشف فقط عن معرفته المتبورة بطوبوغرافية المنطقة المجاورة للكوفة .

ان الطريق من خفان على عهد خالد كان ولا يزال ، يؤدي على امتداد حافة الصحراء باتجاه الجنوب الشرقي الى البصرة ، ومنها يتفرع طريق آخر باتجاه الجنوب الغربي الى النجاف التي تقابل المثنى وخالد فيها . وعُهد الى خالد بالتقدم الى العراق ومحاربة القوس بالتعاون مع قبيلة بكر بن وائل. وتُجمع المصادر كلها على ذكر ان خالداً كان قد تسلم اوامر بالزحف على العراق ، ولكن لا يقول اي منها بان هدفه كان الحيرة . ولا بد ان نأخذ في الاعتبار ان الحيرة تقع على الحدود بين قبائل بكر وتغلب المتعاديتين ، وان قبيلة بكر استطاعت بسهولة فاقسة غزو المستوطنات الفارسية المحاذية لمنطقتهم التي امتدت من القادسية وحتى الخليج العربي . ويحدد كايثاني ، في المصدر نفسه (المجلد ٢ ، ص ٩٢٠ ، ملاحظه ٣) الحد الشمالي لقبيلة بكر بأنه يتجاوز هيت ويشير الى الهمداني ، في صفة [جزيرة العرب] (ملر) ، المجلد ١ ، ص ١٦٩ ، السطر ٢٥) كرجع لما ذهب اليه . والهمداني خبير رائع فيما يتعلق بجنوب شبه الجزيرة العربية، ولكنه لا يعتمد عليه عندما يتعلق الامر بشمالها . وفضلاً عن ذلك ، فان مخبريه يعالجون امور عصرهم ، وهو القرن العاشر ، شؤون النصف الأول من القرن السابع . اذ تثبت جميع المصادر انه في زمان خالد لم تمتد منطقة قبيلة بكر الى شمال الحيرة .

فالببدو لا يحتاجون الى أدلاء اجانب في مناطقهم ، ومع ذلك بحث المقاتلون المتحالفون من قبيلة بكر ومن المساميين عن أدلاء اجانب في جميع حملاتهم شمالي الحيرة . ففي شمالي الحيرة كما ، على سبيل المثال ، في عين التمر ، كانت هناك ثكنات لتغلب ، التي من المؤكد لم يكن في الأماكن الحفاظ عليها في منطقة تعود لقبيلة بكر . وفي مواضع أخرى أيضاً غالباً ما نجد بيانات مفادها ان منطقة تغلب امتدت حتى الحيرة جنوباً ؛ ولهذا يذكر البكري ، في المعجم (فستفلك) ص ٩٧ ، ان (نجد لإلهه) ، الواقع غربي الحيرة ، كان يعود في وقت ما الى تغلب .

ولم يكن في نية قبيلة تغلب مهاجمة الحيرة ذاتها ، بل كانت مكنتية بمهاجمة مستوطنات فارسية منفردة غير بعيدة عن منطقتها الخاصة . وقامت بعض العشائر بمهاجمة الأبلّة ، وهي نقطة البداية الهامة للقوافل التجارية ، وتقع حوالي عشرين كيلومتراً الى شرق مدينة البصرة الحديثة . وعلى هذا فمن المحتمل جداً ان خالداً اختار أقصر واسهل طريق من النابج شمالاً - شمالاً شرقياً الى الأبلّة في العراق ، واسهم في القتال هناك ، ومن ثم تقدم شمالاً - غربياً ، مهاجماً المستوطنات الفارسية على الضفة اليمنى للفرات تارة وعلى اليسرى تارة أخرى . وبما ان المنطقة الى الجنوب الشرقي من خفان غير معروفة لدي شخصياً فلن أحاول معالجة حملته هناك بالتفصيل . ويكفي ان نلاحظ انه في عام ٦٣٣ م كانت الحدود الغربية للعراق خالية خلواً بكاد يكون تماماً من الحاميات الفارسية مما يسهل مهمة خالدا في هجماته دون ان يبدي الفرس اية مقاومة . قبل نهاية عام ٦٣٤ م ؛ ثم في عام ٦٣٥ م قام الفرس بهجوم ، الزم المسلمين على القتال من اجل المستوطنات التي كان خالدا قد هاجمها من قبل .

روايات الواقدي والداثني وابن نبيسه

يذكر الواقدي (البلاذري ، الفتوح ، [دي خويه] ، ص ٢٤٢) ان خالداً بعدد أن اخضع اليمامة ، قام المدينة ثم خرج منها الى العراق (بطريق) فيسد والتعليبة ثم اتى الحيرة . - اما العودة الى المدينة فغير محتمله جداً . لماذا كان على خالدا ان يقوم بتحويلة استغرقت اكثر من ثمانمائة كيلو متر ؟ اما اذا كان خالدا قد عاد الى المدينة فعلاً فلا يمكنه حينئذ ان يكون قد ذهب من هناك الى الحيرة الا بطريق النقل الكبير ماراً بـ (فيد) والتعليبة ، وهذه المحطة الأخيرة كانت على بعد ما يقارب الثلاثمائة كيلومتر شمالي النجاف . ولكن ، في كل الأحوال ، لا يبدو ان الواقدي قد حصل على معلومات صحيحة في هذا الشأن . اما فيما يتعلق بالتمسك الموحد مسح الرئيس المثنى فلا يذكر شيئاً على الإطلاق .

ويزعم كابتاني (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٢١ ، ملاحظه ٩ب) ان خالداً ذهب من النجاف الى الحيرة بطريق فيد والتعليبة ، كما كان قد أكدته سابقاً أفضل مراجعنا التاريخية ، الواقدي « (البلاذري ، في المصدر السابق) . والواقدي ، على كل حال ، لا يتطرق الى ذكر النجاف على الإطلاق . وحتى لو كان الواقدي حقاً أفضل مراجعنا التاريخية ، وكان مخبروه اشخاصاً على دراية جيدة بموقعي النجاف ومحطة فيد ، لما كان يكتب ان خالداً زحف من النجاف بطريق فيد . وبما ان النجاف تقع قرابة مئتي كيلومتر الى الجنوب الشرقي من فيد ، فقد كانت المسافة من فيد الى الابلّة بطريق النجاف اقرب من النجاف بطريق فيد الى الحيرة (انظر ايضاً عريب ، في الصلة [دي خويه] ، ص ١٧) .

ويكتب كابتاني (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٢٢ ، ملاحظه ١٢) ان العرب زحفوا مباشرة على الحيرة . النبي ها جموها من الصحراء دون ان يقابلوا

اي عدو في طريقهم . ويؤكد ان ابن اسحاق يتفق مع الواقدي بهذا الصدد . ويضيف كايثاني (في ص ٩٢١ ، ملاحظة ٥٦) ، ان مقاومة الحيرة الضعيفة ، تقريباً بدون ابداء اية مقاومة ، تبرهن على انهزم فوجئوا وان العرب لذلك لا بد ان هاجموا المدينة وغنموا منها في اول يسوم من وصولهم . واستناداً الى كايثاني فان حجباً نفسانية وعسكرية لا تسمح بإمكان قيام خالد بالاقتراب من الحيرة اثناء حملته من البصرة (الابللة) الى الشمال الغربي . ومهما يكن من شيء فاني اؤكد انه لا يذكر اي مصدر على الاطلاق ان ابا بكر أمر خالداً بالزحف على الحيرة مباشرة . ان كلمات ابن اسحاق تتعارض هي ايضاً مع استنتاج كايثاني هذا رغم رأي الأخير المناقض ، لانه استناداً الى ابن اسحاق فان خالداً استولى على عدة قسرى في المنطقة المحيطة بالحيرة قبل ان يأتي الى المدينة نفسها . فيذكر ابن اسحاق ان خالداً اجتاز المدينة من الجنوب والغرب والشمال ولم يعد إلا من الشمال باتجاه الجنوب ثانية لمهاجمة المدينة . لذلك كان الهجوم المفاجئ غير وارد .

ويروي المدائني (الطبري) ، في تاريخه [دي خويه] ، السلسلة ١ ، ص ٢٠١٦) ان ابا بكر وجه خالداً الى ارض الكوفة ، وفيها المنى بن حارثة الشيباني « فجعل طريقه البصرة » ، وفيها قطبة بسن قتاده السدوسي . ولا يقصد بارض مدينة الكوفة المنطقة المجاورة لهذه المدينة بالتحديد ، وهي المدينة التي أسست بعد عام ٦٣٧ م ، بل يقصد بها جميع المنطقة التي حول موقع الكوفة في القرن الاول الهجري - اي العراق بأكمله . وهذا يدل ايضاً على اعتقاد المدائني ان خالداً لا بد ان زحف من اليمامة مباشرة الى العراق بطريق النقل المؤدي الى الابللة .

وينكر كايثاني (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٢٣ وما بعدها ، ملاحظه ٢) ان المدائني قصد ان خالداً ذهب الى البصرة ، ويعتبر ان هذا يناقض بداية الحملة مناقضة مباشرة حيث ورد ان خالداً كان قد تقدم بـ

« الطريق الذي دُعي عادة بطريق البصرة » . وبما ان هذا الطريق انقسم فسي نقطة معينة الى فرعين : فرع يؤدي الى البصرة ، وآخر الى الكوفة (الحيرة) فقد افترض كاتباتي ان خالداً اتبع الطريق الأخير . على ان هذا التضمير متكلف جداً ويناقض النص . وفضلاً عن ذلك فإن المدائني لا يقول ان خالداً اتبع « الطريق الذي دُعي عادة بطريق البصرة » ، بل انه تقدم بطريق البصرة . ان عبارة وذهب بالطريق المؤدي الى الكوفة « لا يمكن ان تستبدل بـ » ذهب عن طريق البصرة ، « كما يسلو ان كاتباتي ، في الحوليات (١٩٠٥) ، المجلد ٢ ، ص ٩٢٥ ، ملاحظه ٣) يعتقد ان ذلك جائز . فالأولى لا تذكر ما اذا تم الوصول الى الكوفة ، بينما يتضح من العبارة الثانية ان البصرة تم اجتيازها قبل وصول خالد الى المحطة الأخيرة .

ويذكر هشام بن الكلبي (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٢٠١٨) ولما كتب ابي بكر الى خالد ابن الوليد وهو باليمامة ان يسير الى الشام امره ان يبدأ بالعراق فيمر بها ، فاقبل خالد منها يسير حتى نزل النجاج « اي ان خالداً لم يذهب الى المدينة .

ويروي يزيد بن نبيشه (البلاذري ، المصدر السابق ، ص ص ٢٤٣ وما بعدها) وقدمنا العراق مع خالد بن الوليد فأنتهينا الى مسلحة العذيب ثم أتينا الحيرة ، وقصد تحصن اهلها في القصر الأبيض ، وقصر ابن بقله ، وقصر العلميين ، فاجلنا الخيل من عرصاتهم . ثم صالحونا « ولم يذكر يزيد بن نبيشه من أين وبأي طريق جاءوا مسج خالد الى العراق . فهو لا يبدأ روايته إلا عند محطة العذيب ، الواقعة على بعد ٣٢ كيلو متراً مباشرة تقريباً الى الجنوب من الحيرة وعلى مفترق طريقين . احدهما يأتي من الجنوب من طريق فيد ، والآخر من البصرة بطريق خفان . ان موقع العذيب عند مائتي طريقين يجعل من

المتعذر علينا ان نحدد الاتجاه الذي وصل خالده منه الى هناك . ولما كان ابن نيشه لا يذكر التحويه في الطريق ولا الاستيلاء على حصن العذيب فلنا ان نفترض ان الاخير كان القرس قد هجروه .

الحيرة

وصل المسلمون الى الحيرة من الجنوب . وكانت هذه المدينة المشيدة على حافة الصحراء تماماً تتكون من بضع مجموعات من ابنية محصنة تتخللها بساتين وحقول . ومثل هذه المجموعات من الابنية التي كانت تسمى قصوراً تكون على شكل مستطيل يتكون مركزه مسن فناء محاط بأبنية منفصلة إحاطة تامة . وكانت الجدران الخارجية ، وهي أعلى من الجدران الداخلية ، مبنية باحكام ومزودة بفتحات للرماية في اقسامها العليا ، وبأبراج في زواياها ، يعطي المجموعة بأكملها هيئة الحصن . وفي الجدار الخارجي بوابة محصنة واحدة تؤدي الى الفناء ، ومنه تفتح ابواب الى الابنية المفصلة ، التي ليس لها أي مخرج آخر . وهذه القصور تكون إما ضيقة او عريضة ، حسب عدد افراد العشائر ككل على حدة التي تعيش فيها سوياً .

وعند اقتراب العدو ما يسوق سكة القصر افضل حيواناتهم ، وخاصة الخيل ، الى داخل الفناء ويقفلون البوابة ويحكمونها بالزلاج ويصعدون الى السطح المستوي ويصعدون المهاجم من خلال ثغرات الرماة . فان كان العدو من الحضر ايضاً ، فانهم يجلبون معهم معاولهم وسلالمهم ويخترقون جدار الحديقة ، وبعد ان يحتموا وراء اشجار النخيل يقتربون من القصر . وعند وصولهم الى الجدران يرفعون السلالم اولاً ، محاولين بذلك الصعود الى السطح . فان صدوا ، فانهم يتجمعون في نقاط مختلفة قريبة من الجدار لكي يحدثوا ثغرة فيه . أما إن قسام البدو بالمهاجم للغلبة

دون أن يهدفوا الى اخضاع الحضرة، فانهم يستولون قبل كل شيء على القطعان التي لم تكن قد سبقت الى داخل الفناء ويستولون بعدئذ على اكساد سنابل الحنطة المكوّمة على ارضيات البيدر ؛ ويقطفون الثمار الناضجة ، ويتركون حيواناتهم ترعى سنابل القمح القائمة ، ثم يخفون بالسرعة التي قدموا بها . أما إن اراد البدو الرحل ان يحملوا الحضرة على دفع جزية منتظمة لهم ، فانهم يخيمون امام القصر ويسوقون الحيوانات التي جلبوها معهم الى الحقول والبساتين ويوقدون ناراً تحت احدى اشجار الفاكهة الكبيرة ويمنعون الحضرة من الوصول الى الآبار ويهددون بحرق وتكسير جميع اشجارهم وأحراشهم ، وهذه الطريقة يجبرونهم على الاستسلام . لقد حدث هذا كله ، استناداً الى يزيد بن نيشه ، في القصور المختلفة في الحيرة ويقال ان الأهالي كانوا قد انقذوا انفسهم من جيش المسلمين في ابنتهم المحكّمة ، مما يبرهن على ان المدينة لم تكن محاطة بسور مشترك . خيّم المسلمون امام القصور المختلفة وساقوا حيواناتهم في البساتين والحقول ، واجبروا الاهاليين على التفاوض والاستسلام اخيراً .

رواية ابن اسحاق

روى ابن اسحاق عن صالح بن كيسان (الطبري ، المرجع السابق السلسلة ١ ، ص ٢٠١٦ وما بعدها) وان ابا بكر رحمه الله كتب الى خالد بن الوليد يأمره ان يسير الى العراق . فمضى خالد يريد العراق ، فنزل بقريات من السواد يقال لها بانقيا وباروسا وأتسى ، فصالحه أهلها . - ووفقاً لهذا النص فإنّ خالداً لم يرجع الى المدينة قبل تقدمه الى العراق . كما لم يرد ذكر الطريق الذي سلكه ؛ الا ان من الواضح انه لم يتقدم مباشرة الى الحيرة ، لانه لو كان قد زحف مباشرة باتجاه شمالي على ما أصبح فيما بعد طريق الحاج او سار اولاً نحو البصرة باتجاه شمالي شرقي ، فانه

في اي من الحالتين توقف قبل وصوله الى الحيرة عند قرى بانقيا وباروسما وأليس . وكانت القرية الاخيرة هذه معتقلاً هاماً للمعجم عند مفترق طرق النقل الى الجنوب الشرقي من الحيرة ؛ وكان الرئيس هناك وفي الاراضي المحيطة بها المالك الثري ، ابن صلوبا . وتسمي مصادر أخرى شخصاً يدعى جابان على أنه رئيس أليس ، وتنسب لابن صلوبا قرية بانقيا وباروسما فقط ؛ وفي معاهدة الصلح يشير ابن اسحاق نفسه الى ابن صلوبا على انه صاحب القريتين المذكورتين اخيراً ، وبذلك ينانض نفسه . ويحدد موقع بانقيا على انها تمتد على كلتا ضفتي الفرات في ضواحي محطة أليس . وكان نصف بانقيا والجزء المأهول من باروسما بأكمله مع افضل حقوله يقع على الضفة اليسرى الفرع الغربي من الفرات . وبالنظر لهذا الموقع فلم يكونوا مهددين مباشرة من المسلمين ، ولذلك فانه من اللافت للنظر ان ابن صلوبا بدأ مباشرة بالتفاوض من أجل السلام دون إغارة أي اهتمام للحكومة الفارسية ، كما انه لم يحاول طلب المساعدة من الحيرة ، برغم ان هذه المدينة لم يكن قد تم الاستيلاء عليها بعد من جانب المسلمين . ويستمر ابن اسحاق في روايته قائلاً ثم اقبل خالد بن الوليد بمن معه حتى نزل الحيرة واستسلم اهلها اليه دون اية محاولة للمقاومة . - وهكذا استولى خالد ، كما يروي ابن اسحاق ، على أهم جزء من الحدود الفارسية دون قتال وارقة دماء ، وبالمسلمين الذين معه فقط ، اذ لم يرد ذكر الرئيس الكبير المثني وقبيلته . ولا يوضح ابن اسحاق استسلام الحيرة دون قتال ، وهي مركز منطقة الحدود بأكملها ، بينما نحدد حتى الموضع العسكري البسيط في عين التمر يسدي مقاومة شديدة . ولا تفيد الدعوى القائلة بان اهل الحيرة أخذوا على حين غرة ، اذ كان في امكانهم مراقبة جيش المسلمين لوقت طويل قبل اقترابه من الجنوب ، وعلاوة على ذلك فلا بد أنهم تلقوا الأخبار عن الغزو الذي يتهددهم من قسوى ابن صلوبا ، التي كانت آنذاك قد ضمم للمسلمون جزءاً منها في الأقل .

ويقول كايثاني (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٣١ ، ملاحظة ٨)
أنه في ضواحي الحيرة وبين القلاع ، او التكنات الموجودة على خط الحدود
المحصن الروماني القديم والتي كانت تدعى برايسيليا ، قامت هناك اديرة مسيحية
غنية . وفي حقيقة الأمر فان خط الحدود المحصن كان على بعد
اربعمائة كيلو متر من الحيرة .

رواية ابو يوسف

روى ابو يوسف في كتابه الخراج (القاهرة ١٣٠٢ هـ) ص ٨٢ وما بعد
عن ابن اسحاق

لما قدم خالد بن الوليد من اليمامة دخل على ابي بكر الصديق -- (رض)
وخرج فاقام اماماً ، ثم قال له ابو بكر : تهياً حتى تخرج الى العراق ، فوجه
ابو بكر الصديق الى العراق ، فخرج في الفين ومعه من الاتباع مثلهم ، فمر بفيد ،
فخرج معه خمسمائة من طى ، ومعهم مثلهم ، فانتهى الى شراف ومعه خمسة
الاف او اقل او اكثر ، فتعجب اهل شراف من خالد ومن معه ودخلهم في
ارض العجم ، فانتهوا الى المغيبة ، فاذا طلائع خيل العجم ، فنظروا اليهم ورجعوا
فانتهوا الى حصنهم ودخلوه ، فاقبل خالد ومن معه الى الحصن فحاصروهم وفتح
الحصن وقتل مسن فيه من المقاتلة ، وسبى النساء والنراى ، واخذ جميع
ما كان فيه من السلاح والمتاع والذباب وهدم الحصن

ثم مضى حتى انتهى الى العذيب وفيه حصن فيه مسلحة لكسرى فواقعهم
خالد فقتلهم واخذ ما كان في الحصن من متاع وسلاح وذواب وهدم الحصن
وضرب اعناق الرجال وسبى النساء والنراى ، وعزل الخمس مما افاء الله عليه
وقسم الاربعة اخماس بين اصحابه الذين افتتحوه ، فلما رأى ذلك اهل القادسية
طلبوا الصلح واعطوه الجزية

فمضى خالد من القادسية حتى نزل النجف وبه حصن حصين لكسرى فيه رجال من اهل فارس مقاتلة ، فحاصروهم وافتتح الحصن واستزلهم . . واخذ ما في الحصن من المتاع والسلاح والدواب ، ولم يكن في هذه الحصون التي افتتح أحصن منه ولا اكثر مقاتلة ولا صلاحاً ولا متاعاً ولا رجالاً اشد من رجال كانوا في حصن النجف ، فانحرب الحصن واحرقه ، فلما رأى اهل التيس ذلك وما صنع خالد باهل الحصن طلبوا منه الصلح على اداء الجزية فاعطاهم فأدوا اليه الجزية

ثم مضى الى الحيرة فتحصن منه اهلها في قصورهم الثلاثة : قصر الايض وقصر العديس ، وقصر ابن بقليلة ، فأجسال اصحاب خالد الخيل في ذلك الظهر ، وتعرضوا لهم لئلا يقاتلهم أحد اويخرج اليهم ، فلم يروا أحداً يخرج اليهم ولا يريد قتالهم ، فاشرف ولدان من فوق القصر ، فارسل خالد رجلاً من كبار اصحابه الى القصر الايض . . فقال له اباس بن قبيصة مالنا في حربك من حاجة وما تريد بان ندخل معك في دينك نقيم على ديننا ونعطيك الجزية فصالحه على ستين ألفاً ورجل . .

ثم ان خالداً مضى الى قرية اسفل الفرات يقال لها باقيا وفيها مسلحة لكسرى في حصن لهم فحاصروهم ، فافتتح الحصن وقتل من فيه من الرجال وسبى نساءهم وذرايرهم واخذ ما كان فيه من المتاع والسلاح ، واحرق الحصن وهدمه ، فلما رأى ذلك اهل القرية طلبوا الصلح منه على اداء الجزية ، فكان على الصلح عنهم هاني بن جابر الطائي فصالحه عنهم على ثمانين ألف درهم ثم سار حتى نزل باقيا على شط الفرات ، فقاتلوه ليلة الى الصباح وحاصروهم واشتد قتالهم ، فافتتحها بقوة الله تعالى وعونه ، وفيها اساورة كان كسرى صيرهم فيها ، فقتلهم وسبى ذرايرهم ونساءهم واحرق الحصن وهدمه ، فلما رأى اهل باقيا ذلك طلبوا الصلح منه فاعطاهم .

ثم بعث جريز بن عبد الله الى قرية بالسواد ، فلما اقحم جريز القرات
ليجبر الى اهل القرية ناداه دهقانها صلوا : لاتعبر انا عبر اليك ، فعبر اليه فصالحه
على مثل ما صالحه عليه اهل الحيرة

ثم ان خالداً رجع الى النجف فاستبطن بطن النجف ، واتخذ الادلاء من
اهل الحيرة حتى انتهى الى عين التمر ، فترل بعين التمر ..

يحتوي هذا الوصف لحملة خالد على تناقضات كثيرة وامور مستحيلة ،
ولذلك لا نستطيع ان نثق بأبي يوسف برغم إشارته الى ابن اسحاق . فالأخير
لا يذكر عودة خالد من اليمامة الى المدينة . اما ابو يوسف فيروي ان خالداً
ذهب من اليمامة الى المدينة ومن هناك سلك الطريق — طريق الحاج فيما بعد —
الى الكوفة . وابو يوسف هو الكاتب العربي الوحيد الذي أجده يصف النجف
بأنها اكبر وأقوى ثغر على الحدود . وبالرغم من ان خالداً استولى عليها عنوة ، فان
اهل الحيرة لم يتخوفوا برغم قربهم من النجف . ومن المنطقة المجاورة القرية
للحيرة تحرك خالد جنوباً شرقياً الى أليس ومن هناك فقط شمالاً شرقياً الى
الحيرة . وبعد استحواذه على هذه المدينة ، عاد ثانية جنوباً شرقياً الى قرية
بانقيا التي فتح خالد حصنها مرتين وأحرقه وهدمه مرتين — وهذا خبر آخر
لنفرد ابو يوسف بتلويحه . ولم يشكل عبور القرات اية مشكلات لجريز . ومن
بانقيا عاد خالد ، ليس الى الحيرة بسبل الى النجف المحترقة والمهدمة — برغم
انه لم يكن باستطاعته ايجاد اي مخزن للطعام او مأوى هناك — ومن ذلك
المكان بدأ زحفه على عين التمر .

واستناداً الى ابي يوسف فان كل الاراضي التي يحكمها الفرس المتغللة بعيداً في
الصحراء (حتى الميثة) كانت مشغولة بالجند ، وهذا يتعارض تماماً مع ما هو
معروف عن الأحوال الادارية في ذلك الزمان في دولة فارس . ان الحاميات
الفارسية النظامية لحصني الميثة والعذيب الجلوديتين لا تستطيع الصمود ضد
هجوم خالد المؤلف من ٢٥٠٠ من الفرسان والجمالة ، الا ان الفرس كانوا

وزودين جيداً بالذخائر والماء وعندما كان المهاجرون المسلمون يعانون من نقصهما .
 ان المصير المظلم لهاتين الحاميتين كان ينبغي ان يحفز جنود الفرس على الدفاع
 بمقاومة يائسة عن حصن النجف الحاوذي الذي كان أمنح حصون الحدود .
 ومن المؤكد ان المسلمين لم يجلبوا معهم سلاكم او معاول ثقيلة ولذلك لم يكن
 بمقدورهم هدم التحصينات الفارسية المبنية بالحجارة ، ومع ذلك فانهم
 فتحو هذا الحصن المنيع الجبار كما لو كان قلعة من الرمال ، برغم عدم
 تعودهم محاصرة الحصون ، كما يتبين من حصارهم للحيرة . اذ لا زم اهل
 المدينة المذكورة اخيراً قصورهم ولم يجزؤ المسلمون ، الذين لم يستطع
 حتى أقوى الحصون مقاومتهم حتى ذلك الحين ، على مهاجمة هذه الابنية المحصنة
 فقسط . وبالاجمال فإن غياب ذكر للمساعدة التي قدمتها للمسلمين قيسلة
 بكر بقيادة رئيسها المثنى ، انما هو مسن السمات المميزة لجماعة المدينة .
 فأبو يوسف لم يعرف أحداً في العراق سوى المسلمين الذين هم مع خالد . اما
 عشائر بكر ورئيسها الحكيم ، المثنى ، فسلا ذكر لهم ابدأ ؛ برغم انه كان
 مستحيلاً على المسلمين دخول العراق والعودة منه محملين بالنفائس دون معاونتهم .
 انني لا أتفق مع كابتاني (المصدر السابق ، المجلد ٦ ، ٩٣٢) ، الذي
 يقبل بيانات ابي يوسف الغريبة هذه على اساس انها تأتي من مصدر جيد
 وقديم . ولعل عدد المقاتلين في جيش خالد الذي اورده ابو يوسف وحده هو
 الصحيح . ولكن حتى هذه الجملة تصبح غير محتملة نظراً للملاحظة التي
 مفادها ان الألفي مقاتل كان يرافقهم عدد مماثل من غير المحاربين . ففي غارة
 للغزو ، ويعتبرها كابتاني كذلك ، فإن عدداً كبيراً من التابعين غير وارد ، اذ ان
 ذلك كان يخرم المحاربين الحقيقيين من حرية الحركة ، كما انه يستنفد ما لديهم
 من طعام وماء . ان وجودهم لا يمكن فهمه الا اذا كان القصد قيامهم بتقديم
 المساعدة اثناء اعمال الحصار او للاستيطان . ان جمع البيانات الاخرى التي
 اوردها ابو يوسف تعود الى تلك الروايات المنمقة بصورة رومانسية والهزيلة
 وغير الواضحة عن حملة خالد ، وهي روايات كانت متداولة في المدينة وكانت
 تهدف الى تمجيد خالد ورفاقه اكثر مما كانت وصفاً حقيقياً لحدث تاريخي .

رواية هشام بن الكلبي

روى هشام بن الكلبي عن رجل من قبيلة بكر بن وائل (الطبري : التأريخ دى خويه السلسلة ١ ص ٢٠١٨ فما بعدها) ان المثنى بن حارثة الشيباني سار حتى قدم على ابي بكر رحمه الله ، فقال امرنى على من قبل من قومي اقاتل من يلينى من اهل فارس واكفيك ناحيتى ففعل ذلك ، فاقبل فجمع قسومه واخذ يغير بناحية كسكر مرة وفي اسفل الفرات مرة . ونزل خالد بن الوليد التباغ والمثنى بن حارثة بخفان معسكر ، فكتب اليه خالد بن الوليد ليأتيه وبعث اليه بكتاب من ابي بكر يأمره فيه بطاعته ، فانقض اليه جواد حتى لحق به . . .

واقبل خالد بن الوليد يسير ، فعرض له جابان صاحب التيس ، فبعث اليه المثنى بن حارثة فقاتله فهزمه وقتل جل اصحابه الى جانب نهر ثم يدعى نهر دم لتلك الوقعة ، وصالح اهل التيس ، واقبل حتى دنا من الحيرة ، فخرجت اليه خيول ازاديه صاحب خيل كسرى التي كانت في مسالح ما بين وبين العرب ، فلقوهم بمجتمع الانهار فتوجه اليهم المثنى بن حارثة فهزمهم الله . فلما رأى ذلك اهل الحيرة خرجوا يستقبلونه . . فمالحهم على تسعين ومائة الف درهم فكانت اول جزية حملت من العراق .

ثم نزل على بائقيا فصالحه بصهر بن صلوبا على الف درهم وطيسان وكتب لهم كتاباً .

وكان صالح خالد اهل الحيرة على ان يكونوا له عيوناً ففعلوا . ولعل البدوي لم يسرد كل هذا بالذمة التي عرضها النص ، مع انه كان على صواب عموماً . فمن المحتمل جداً ان المثنى وهو الرجل القطن الواعي ، عند ادراكه ما نزل بالمرتدين ، سارع الى المسدنة حيث طلب موافقة ابي بكر على اعماله . وبهذه الخطوة فإنه قام بتقوية مركزه الخاص ، اذ لا يمكن للرؤساء الآخرين مهاجمة بسهولة ؛ وفضلاً عن ذلك ، فإنه كان قد

ضمن قبيلته من غارات المسلمين او القبائل الغريبة المتصلة بهم عندما يكون مشغولاً بالغارة على القرى الفارسية . اما ابو بكر فاراد ان يكسب المثنى كلياً لجانبه ويفتح اطراف الدولة الفارسية ، فارسل ابو بكر الى العراق فيما بعد خالداً الذي يعرف كيف يتعامل مع العشائر العربية . ولدى وصول خالد الى النجاف طلب من المثنى ، الذي كان غنياً في خفان آنذاك ، ان ينضم اليه هو ومقاتلوه ؛ ويبدوان هذا يؤيد عزمه على اتباع طريق بعيد عن خفان ، والا لكان التقى بالمثنى في خفان . ولسم يكن خالد حتى حسب هذه الرواية ميالاً للذهاب الى الحيرة مباشرة ، لانه بدلاً من ذلك ، هاجم بلدة أليس الفارسية الواقعة على « نهر الدم » ، الى الجنوب الشرقي من الحيرة . ولعل هزيمة الفرس امام المثنى في كل من هذا النهر و « مجتمع الأنهار » هو السبب في عدم ذكر الواتدي او ابن اسحاق ، الذي لم يكن يعرف شيئاً عن الرئيس المثنى ، هذه الانتصارات . وفقاً لشام بن الكلبي فان خالداً لم يعقد صلحاً مع رئيس قرية باقيا الا بعد ان استسلمت الحيرة ؛ ومع ذلك فلا بد انه اجتاز هذه القرية وبالتالي هدها اثناء زحفه على أليس وكذلك عندما كان يقوم بالتفاف للوصول الى الحيرة .

اما بصدد المعركة عند « مجتمع الأنهار » فلقد احتفظ لنا بالقول المأثور المسجع التالي (الطبري - المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٢٠٢٦) : « صفر الاصفار فيه يقتل كل جبار على مجتمع الأنهار » . ان هذا القول ذو اهميته كبيرة لانه حفظ لنا التاريخ الاصيل اي الصحيح للمعركة . ان الجنود المسلمين الأوائل لم يراعوا التواريخ المضبوطة وكان اهتمامهم بها قليلاً ، كما يفعل الاعراب في يومنا هذا . ولكن حتى لو تم الاحتفاظ بالتاريخ الاصيل بوجه صحيح ، فان العرف لا يستطيع الاحتفاظ به إن لم يكن مدعوماً بقول مأثور او اغنية او حدث معاصر مشهور . وبغية التحديد الدقيق للتسلسل الزمني لهذه الأحداث ، فان تواريخ معاهدات الصلح المختلفة كان يمكن ان تفيدنا لو انها وجدت . وعلى كسل حال علينا التأكد من ان هذه الوثائق كما نقلها المؤرخون

المتأخرون ، كانت حقيقة وتتفق مع المعاهدات الأصلية . ومع ذلك ، فليست لدينا هذه التواريخ ، كما انه لم تكن بحوزة جامعي الروايات المختلفة . وعلى هذا فلا عجب ان ينشأ صراع بشأن التسلسل الزمني للأحداث موضوع البحث . ويُسْتدل على ان القول المأثور يحدد المعركة عند « مجتمع الأنهار » في فصل الخريف ، بل وفي شهر تشرين الأول (أكتوبر) بالذات ، من حقيقة ان صفر الاصفار يعني بالنسبة لبعض الاعراب المحليين منتصف صفر (ويشمل فصل صفر السنوي أشهر أيلول وتشرين الأول وتشرين الثاني) ، اي ، تشرين الأول (موسيل ، بلاد العرب الصحيرية المجلد ٣ ، ص ٧) . وقد سبق ان اقترح هذا فلهاوزن في كتابه تخطيطات وأعمال تمهيدية (المجلد ٦ ، ص ٤٠ ، ملاحظه ١) ويشك كايثاني (المصنر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٦٠ ، ملاحظه ٢) في احتمال رأي فلهاوزن هذا لانه ، من بين اسباب أخرى ، في فترة الفتح الاسلامي كانت اسماء الأشهر العربية قد فقت آنذاك المعنى القديم للفصول السنوية ودلت على أشهر قمرية متحركة .

ان كايثاني يهمل حقيقة انه علينا التعامل مع قول مأثور نابع من الشعب وان اسماء الأشهر بالنسبة لقبائل عربية كثيرة حتى في يومنا هذا لم تفقد معناها الاصلي للفصول السنوية . ويكاد جميع السكان الحاليين لمؤاب وادوم يسمون الخريف بـ (صفريات ثلاثه) . اما الأشهر القمرية المتحركة فيكادون يجهلونها تماماً .

الخلاصة

وللحصول على رأي صائب عن هذه الأحداث من بين جميع الأدلة المتضاربة التي قلمها كتاب جماعة المدينة ، فلا بد لنا ان نقرر اولاً ما اذا كان المثنى وقيابة بكر قد أسهما في حملة خالد على القرى ام لا . ان الانحياز التي قاسمناها آنفاً ، والتي ستلاقي دعماً إضافياً تحملنا على القول ان خالداً ما كان

ليستطيع المجازفة بغارة واحدة فضلاً عن حملة على الفرس بنون رضى البكرين ومعاونتهم . فإذا اعترفنا ان اعراب هذه القبيلة قدموا له الاسناد ، حينئذ يكون الاحتمال الأقوى انهم هاجموا المدينة التي كانت تنطلق منها القوافل التجارية التي تيسر خلال اراضي البكرين متجهة الى الجنوب او الجنوب الغربي او الغرب او الشمال الغربي . وكانت نقطة الانطلاق هذه ، هـى الأُبُلَّة ، متصلة بالجزء الشرقي من اراضي البكرين . وبما لا ريب فيه ان خالداً كان يعرف كل شيء عن القوافل التجارية التي تغادر الأُبُلَّة ، لأنها كانت تحمل منتجات متنوعة الى كل من مكة والمدينة . ولا بد انه عرف المزيد عنهم في اليمامة ، وعند النباخ وجد نفسه أخيراً على الطريق الذي يسلكونه عادة . وبما انه لم يكن قد تلقى تعليمات دقيقة من ابي بكر عن الطريق الذي عليه ان يسلكه ، فقد كانت له حريسة التقدم من النباخ عن طريق القوافل الى الأُبُلَّة ومن هناك يقوم بمساعدة البكرين في غاراتهم على القرى الفارسية . إنه بتقديمه سوية مع المثنى لم يتمكن ضمان حقبة اكبر من الغنائم فحسب ، بل التأكد من وصولها دون عائق الى المدينة . ومن المحتمل ان السرواة البارزين الذين يمثلون المدينة لا يدكرون الرئيس الأعلى المثنى ، لانه لم يكن ممن مصلحة اهل المدينة ان رئيساً اعرابياً لا ينتسب الى اهل مكة او المدينة حديث عهد بالاسلام ، يعطى شرف نشره في العراق وشرف فتح بلاد فارس . وقام آخرون ممن هولاء الرواة بذكر المثنى ، الا أنهم حاولوا التقليل قدر المستطاع من اهمية إسهامه في انتصارات خالد .

رواية اهل الكوفة

رواية سيف بن عمر

ان سيف بن عمر هو الممثل الرئيس لروايات اهل الكوفة (الطبري : المصنر السابق ، السلسلة ١ ص ص ٢٠٢١ وما بعدها) وهو ينتقل عن عدد من الرواة وكتب ابو بكر الى خالد بن الوليد اذ أمّره على حرب العراق ان يخلطها من اسفلها ، والى عياض اذ أمّره على حرب العراق ان يخلطها من اعلاها ، ثم يستبقا الى الحيرة ، فايهما سبق

الى الحيرة فهو أمير على صاحبه ، وقال اذا اجتمعنا بالحيرة وقد فضضتما مسالح فارس وامتما ان يؤتى المسلمون من خلفهم فليكن احداكم رداء للمسلمين ولصاحبه بالحيرة ، وليقتحم الآخر على علو الله وعدوكم من اهل فارس دارهم ومستقر عزهم المدائن » وبموجب هذا فان الحملة انتهت بالحيرة ، ولكنها لم تبدأ منها .

ويؤكد سيف (المصدر نفسه ، ص ص ٢٠٣٢ - ٢٠٣٥) ان خالداً زحف شمالاً غربياً من ضواحي المدينة التي عرفت فيما بعد بالبصرة . وبعد لقاء مع القوس عند الولجة قام بمباغثة القائد الفارسي ، جابان ، قرب محطة أليس على الفرات ، وهزمه وأمر بقتل جميع السجناء . وقد تفرع نهسر من هناك ، وكان المسلمون قد سكره ثم فتحوه بعد قليل عسلى جثث السجناء المقتولين الملقاة في المجرى . فصينغ دمهم الماء في النهر بحيث أصبح فيما بعد يدعى دائماً ؛ « نهر الدم » . - وكانت محطة أليس ، وقد كتبت في المخطوط (المصدر نفسه ، ص ٢٠٣٦ ، ملاحظة هـ) بلام مشددة ، على منعطف للفرات ولا تزال على الضفة اليمنى . ويستدل من السهولة التي اوقف فيها المسلمون الماء في النهر هناك انه لم يكن فيه ماء كثير آنذاك ومن ثم فلا بد ان المعركة حدثت في الخريف . انني أحدد موقع الولجة بجوار عين ضاحج ، نحو خمسين كيلومتراً جنوب شرقي الحيرة ، وأليس عند قرية الشاطي في الشمال الغربي من عين ضاحج .

وبعد استيلاء خالد على أليس زحف (المصدر نفسه ، ص ٢٠٣٦) على بلدة امغيشيا ، التي استولى عليها ثم هدمها . وكانت هذه « مصرأ كالحسيرة ، وكانت أليس حصنها وكان نهريادقلي ينتهى اليها .

ويظن كايثاني ، المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ص ٩٢٩ وما بعدها ، ملاحظة ٣ ب) ان التيس وامغيشيا هما اسمان مختلفان للموضع نفسه وان الاسم امغيشيا محرف عن الجيشية ، وهو الاسم القديم لفولوجيسياس ، التي جعلها العرب فيما بعد التيس . انه يحدد موقع امغيشيا عند قرية أميشكيديه (كيبرت ، في خارطة الأقاليم الاميوية [١٨٨٤]) على الضفة الغربية لنهر الهندية مقابل برس لمرود .

انني لا أرى في امغيشيا تحريفاً عن الجيشية وفولوجيسياس . فالحرف العربي الغين (غ) صوت واضح جداً يتعذر استبداله بحرف الجيم (ج) وكذلك من الصعب ان نفهم السبب في ان العرب عبروا عن الحرف الصحيح السين الوارد في الاسم فولوجيسياس بحرف الشين في امغيشيا ، وبالسين في أليس . اما سيف فيفرق بوضوح بين أليس وامغيشيا ، ولذلك لا يجوز المطابقة بينهما بلون دليل قاطع . ان مقارنة امغيشيا بأميشكيديه غير ممكن من ناحية فقه اللغة ، ومستعدة طوبوغرافياً كلياً . وبجانب ذلك فانها على خارطة كيبرت لسم تكتب اميشكيديه وانما كتبت ام ايشيديه ، وهو اسم ليس فيه اي تشابه مع امغيشيا وتقع أليس نحو خمسة وثلاثين كيلومتراً جنوب شرقي الحيرة ، وشكلت (وفقاً لسيف) الحصن المنيع لقرية امغيشيا . وهذا سبب اضافي آخر يفسر لماذا لا ينبغي مطابقتها مع قرية ام ايشيديه ، التي جاء في الروايات انها تقع في موضع ابعد شمالاً من الحيرة . وبالطبع فإن كايثاني (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٣٦ ، ملاحظة ٢) مقتنع اقتناعاً راسخاً ان خالداً هاجم الحيرة من الشمال ، الا ان هذا الرأي لا يتعارض مع جميع المصادر العربية فحسب بل ايضاً مع الاسباب النفسية الصرفة والعسكرية التي يسعى بها لدعم نظريته .

والجغرافيون العرب اما انهم لا يذكرون امغيشيا اطلاقاً او يذكرون نسخة حرفية لرواية سيف ، التي اُقتُبست عن المغيرة (الطبري ، الموضع نفسه) . وهذا يوضح

ان هذه البلدة اندثرت في القرن الأول للإسلام ، وان اسمها اختفى بعد ذلك .
ولما بلغ القائد الفارسي في الحيرة خبر سقوط امغيشيا ، أخذ يستعد لمقاومة
زحف خالد (المصدر نفسه ، ص ٢٠٣٧) ، الذي كان قد حملّ امتعته كلها
على قوارب والتي استقلها ايضاً جنوده المشاة . أبحرت القوارب على فرع الفرات
الغربي ، بينما قام خالد وفرسانه بمرافقتهم بحذاء ضفة النهر . وبغية عرقلة تقدم
خالد أرسل القائد الفارسي ابنه مع مفرزة ضد خالد ، وخيّم هونفسه خلف الحيرة .
أمر الابن بفتح بعض القنوات ، فملأها ماء مما ادى الى هبوط منسوب الماء في
فرع الفرات هبوطاً كبيراً بحيث ان قوارب خالد جنحت ولم تستطع حراكا .
وعندما أخبر رجال القوارب المحليين خالداً بسبب هذه العرقلة ، سارع مع
فرسانه ضد الفرس ، والتقى بطلائع جناحهم عند مصب نهر العتيق ، ولاحقهم
وابادهم قرب المقر . ثم فاجأ خالد ابن القائد الفارسي عند دم فرات
بادقلى وقتله . وسدّ القنوات ثانية واصبح فرع الفرات بذلك صالحاً للملاحة ،
وتمكنت السفن من التقدم .

يرينا هذا النص بوضوح ان خالداً زحف مُصعباً من أليس ، وعلى
هذا لا يمكن ان تكون أليس واقعة الى الشمال بل لا بد انها كانت الى الجنوب
الشرقي من الحيرة . ولم يكن في امكان خالد ابدأ مرافقة قواربه المبحرة سريعاً
مع المجرى ، فإنه لو فعل ذلك لكان من الضروري الركوب على جمل حول
مستقعات وقنوات وترع كثيرة . ولكن عليه العودة ثانية لفتح الماء الى فرع
الفرات ، وتلك حركة كان يمكن ان تنزي به بقواربه الى وسط الجيش الفارسي .
ان نصيحة الملاحين المحليين له بسد القنوات وبالتالي جعل الابرار في الفرات
ممكناً يشهد انه لم يكن هناك ماء كثير في النهر في ذلك الوقت . وبما ان النهر
يبدأ بالارتفاع بعد الامطار النزيرة الاولى التي تبدأ بانتظام في نهاية تشرين
الثاني (نوفمبر) ، وتستمر بالازدياد حتى منتصف أيار (مايو) او نهايته ،

فلإننا نرى من هذا الظرف ان خالداً لا بد ان كان قد استولى على اليمس في فترة
صفر الأصفار ، في وقت ما في شهر تشرين الاول (اكتوبر) ،

وحدث آخر في نفس الموضع تقريباً ، يمجله لنا الطبري (المصدر السابق ،
السلسلة ٢ ، ص ٧٢٥) المقتبس عن ابي مخنف . ففي اثناء الحرب بين ابن
الزبير والخليفة عبدالمالك (٦٨٥ - ٧٠٥ م) تقدم مصعب بن الزبير من البصرة
براً ونهراً لقتال المختار الذي كان مهبطاً على الكوفة .

« ولما بلغ المختار انهم قد اقبلوا اليه من البحر وعلى الظهير سار حتى نزل
بهم السيلحين ، ونظر الى مجتمع الانهار : نهر الحيرة ونهر السيلحين ونهر القادسية
ونهر برسف ، فسكّر القرات على مجتمع الانهار ، فذهب ماء القرات كله من هذه
الانهار ، وبقيت سفن اهل البصرة في الطلين ، فلما رأوا ذلك خرجوا من السفن
يمشون ، واقبلت سبلهم تركض حتى اتوا ذلك السكر فكسروه وصمدوا صمد
الكوفة ، فلما رأى ذلك المختار اقبل اليهم حتى نزل حروراء » .

تقع السيلحين على مسافة خمسة عشر كيلومتر جنوب شرقي الحيرة أسفل من
بلدة ابي صخير الحديثة ، ولا بد من البحث عن مجتمع الانهار ، وبتعبير اصح نقطة
ابتداء هذه الانهار من القرات ، الى الجنوب الشرقي من الحيرة عند ابي صخير في بساتين
الجعارة ، حيث بأخذ القرات العتيق الذي يجري الى القادسية ، وكذلك نهر بادقلى
الذي يجري الى جنوب - الجنوب الشرقي . كان نهر الحيرة وبرسف ينتهيان
هناك . ومن « مجتمع الانهار » هذا زحف خالد على الحيرة (المصدر نفسه ،
السلسلة ١ ، ص ٢٠٣٨ وما بعدها) ، وخيّم بين الخورثي والنخف ،
وانتظر في الخورثي وصول بقية جنوده . وفي هذه الاثناء كان القائد الفارسي
في الحيرة قد هرب وعبر القرات . تحرك خالد وقد اكتمل جيشه الآن من الخورثي
وانهذه موضعاً بين النرين والقصر الأبيض الذي كان جنود الفرس قد سلبوا
قبل ذلك بقليل . اما أهل الحيرة فقد اجتسوا وراء المناريس في قصورهم المختلفة ،

مما جعل خالد ، الذي لم يستطع أخذهم عنوة ، على تدمير المنطقة المجاورة وهكذا اضطر المحاصرون الى الاستسلام .

ويقع الخورق ، حيث انتظر خالد السفن التي تحمل جنده ، على نحو ستة كيلومترات شمال غربي « مجتمع الانهار » وعلى نفس المسافة تقريباً جنوبي الحيرة . والنجف ، الواقعة على حافة المصب التي تقع الحيرة عليها ، وهي تقع ايضاً الى الغرب من الحيرة .

اتخلاصة

وعند تلخيصنا النتائج التي توصلنا اليها بصدد الأحداث التي ادت الى الاستيلاء على الحيرة ، نلاحظ ان الممثلين الرئيسيين لكلتا الجماعتين ، جماعة المدينة وجماعة الكوفة ، يقرون بالتعاون بين خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة ، وان خالداً حاول بكل الوسائل الاستيلاء على جميع القرى الواقعة على الضفة اليمنى للفرات من الخليج العربي وحتى الحيرة . اما على الضفة اليسرى فقد وطلت اقدام جنوده الارض فقط في اماكن قليلة ، ولم يكن ذلك الا عندما تعرضوا للخطر من ذلك الجانب او توقعوا ان يجدوا غنائم كثيرة هناك ؛ وهذا النهج سار عليه خالد ايضاً بعد ان اتم الاستيلاء على الحيرة .

خالد في الانبار

يروى المناثني (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ص ٢٠٧٦ وما بعد) وان خالداً بن الوليد اتى الانبار فهاجمه على الجلاء ، ثم اعطوه شيئاً رضي به ، وأنه اغار على سوق بغداد من رستاق المال ، وانه وجه المثنى فأغار على سوق فيها جمع لقضاة وبكر ، ناصاب ما في للسوق ، ثم سار الى عين النمر ففتحها عنوة ، فقتل وسى وبعث السبي الى ابي بكر ، فكان اول سبي قلم المدينة من المعجم ، وسار الى دومة الجندل ، فقتل اكيكر ، وسبي ابنة الجودي ، ورجع لاثام بالحيرة

سمع خالد للحامية الفارسية في الأنبار بمغادوتها ، وعقد معاهدة صلح مع
الأمليين . ان الغارة على المركز التسويقي قرب الموقع الذي شيدت عليه بغداد بعد ذلك
دليل على شجاعة خالد الفاتحة ، اذ كان عليه عبور قنوات اروائية كثيرة للوصول
الى مشارف طيسفون [المدائن] ، العاصمة الفارسية .

يعطي كابتاني (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٤٠ ، ملاحظة ٣) ،
على العموم رواية المدائني اهمية كبيرة باعتبارها تقدم لنا معياراً لتقدير قيمة رواية
سيف ، انه يرفض قبول اخبار المعارك غير التي دونها المدائني . ومع ذلك فلانني
اشك فيما اذا كان من الاسلم ان نعتمد على صمت المدائني فيما يتعلق بالأحداث
المختلفة التي ذكرها سيف . ومن الناحية الأخرى ، فإن كابتاني لا يعترف بالأحداث
التي دونها المدائني بهذا الخصوص ، رافضاً جميع الانتصارات على الضفة
اليسرى للفرات ، وتبعا لذلك الاستيلاء على الأنبار والسوق القريب من بغداد
وكذلك الغارة على دومة الجندل . ويكتب كابتاني (المصدر نفسه ، ص ٩٤٢
وما بعدها ، ملاحظة ١) ان رواية المدينة الذين كان يمثلهم المدائني لم يكونوا
على علم بالاستيلاء على الأنبار ، برغم ان المدائني يروي ذلك بتوثيق من عمر بن شبة .
ويطابق كابتاني (المصدر السابق ، ص ٩٣٩ ، ملاحظة ١) الأنبار مع
خرائب الصفيرة ، الا ان خرائب الأنبار الواسعة حافظت على اسمها الى يومنا
هذا ، وهي تقع على مسافة عشرة كيلومترات جنوب غربي الصفيرة .
ومهما يكن فان رواية المدائني موضع تساؤل وغير مترابطة بحيث لا نستطيع
الاعتماد اعتماداً تاماً على بيانه من ان الاسرى من عين الثمر كانوا اول وجبة
أرسلت من بلاد فارس الى المدينة .

ويورد البلاذري في كتابه «فتوح البلدان» (دى خويه ٢٤٥) واتي خالد
الفلايخ منصرفه من باقيا ، وبها جمع للعجم ، فتفرقوا ولم يلق كيداً ، فرجع
الى الحيرة ، فبلغه ان جابان في جمع عظيم بنسرت ، فوجه اليه المنى بن حارثة الشيباني
وحنظلة بن الربيع الاسدي فلما انتهيا اليه هرب » .

وسار خالد الى الانبار فتحصن اهلها ، ثم اتاه من دله على سوق بغداد ،
وهي السوق العتيق الذي كان عند قرن الصراة ، فبعث خالد المثني بن حارثة
فاغار عليه ، فملا المسلمون ابايهم من الصفراء والبيضاء وما خف حملهم من
المتاع ، ثم باتوا بالميلحين . اتوا الانبار وتالد بها ، فحصبوا اهلها ، وحرقوا
في نواحيها . فلما رأى اهل الانبار ما نزل بهم صالحو خالد على شي " رضى
به لأقرهم .

ويقال ان خالد أقدم المثني الى بغداد ، ثم سار بعسده فتولى الغارة عليها
ثم رجع الى الانبار ، وليس ذلك بثبت .

ويشير كاتباتي (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٤٢ وما بعدها)
ملاحظة (١) انه في هذه الرواية ذكرت الفلاليج للدلالة على موضع معين ،
بينما هي ليست في الواقع إلا الاسم الشائع لقسرى في المنطقة الرسوبية من
ارض السواد ، ويا . كرنا ايضاً ان الاسم ذكر فقط في الروايات الاولى عن
الحملة الى العراق ، ولم يذكر مرة أخرى البتة . ومن المحقق انه لم يصب بصد
الثقلة الأخيرة . فالفلاليج لم تذكر في الروايات عن الحملة الاولى فحسب بل
كذلك في تلك الروايات عن الستين ١٣ هـ (٦٣٤ - ٦٣٥ م) و ٧٢ هـ
(٦٩١ - ٦٩٢ م) الطبري المصدر السابق ، السلسلة ١ . ص ٢٢٠٣ ،
السلسلة ٢ ، ص ١٠٧٢ . كما ذكرت ايضاً كثيراً في كتب البلدان والجغرافية العربية .
وتقع على نهرى تدعى الفلاليج جنوب دوقى الحيرة بجانب قناة الفلوجة
الكبيرة ، وهي بلدة قديمة ، كما تقع قسرى من هذا التيميل الى الجنوب
الشرقي من الانبار . حيث تقع المونتان العليا والسفلى .

وينكر كاتباتي (في المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٤٣ ملاحظه ٢)
الانبياء على الانبار ، انه لم يرد ذكره في اوثق المصادر : ابن اسحاق ،
وابو يوسف : والواقدي . على ان ابا يوسف الذي تناقض روايته
الروايات الأخرى عن حصاره الانبار ، لا يمكن

بالتأكيد ان نحتسبه من بين افضل المصادر . اما ابن اسحاق والواقدي فهما
موجزان جداً ، بل وسطحيان . وعن مايتاني استيلاء خالد على الانبار يمكننا
الاستشهاد بالعرف المحلي الذي كان يسود الانبار والذي بموجبه تسم^٢
عقد معاهدة صلح بين اهل الانبار والمسلمين اثناء حكم الخليفة عمر ، وقام جرير
بن عبدالله بدور الوساطة في ذلك . اما اذا كان هذا لا يشير صراحة الى معاهدة
الصلح هــله ، وربما بعد هزيمة المسلمين عند الجسر ، فحينئذ
ينبغي وضع تأكيد مناسب على رواية فتح الانبار الواردة عند البلاذري
في المصدر السابق (ص ٢٤٦) ، ويرى كاتباتني ان المسلمين ما كانوا يستطيعوا
العبور من الضفة اليمنى الى اليسرى ، حيث كانت تقع الانبار ، دون مساعدة
اهل تلك البادية ، ومع ذلك فإنه يذكر في موضع آخر (المصدر نفسه ، المجلد ٢ ،
ص ١٢٣٦) ، عند التعليق على الاحداث التي وقعت بعد مغادرة
خالد ، ان المسلمين خاضوا الفرات القيام بغارات في المنطقة الواقعة بين
الفرات ودجلة بأكمها . وهكذا كان بإمكانهم عبور الفرات بسهولة ،
بعد مغادرة خالد وليس قبلها ، برغم وجود ماء في النهر بعد مغادرته ،
في الربيع والصيف اكثر من كان في الخريف والشتاء السابقين .

ان عبور الفرات لم يكن يشكل عقبة كبيرة للمسلمين لو حاصروا الانبار ،
في بداية تشرين الثاني فيما نعتقد ، ففي ذلك الوقت من السنة يكون من السهل
خوض النهر العظيم إما فوق الانبار او اسفل منها . وفضلاً عن ذلك كان
في استطاعة المسلمين ايجاد عدد كبير من القوارب بمختلف الحجم على الضفة
اليمنى ، ومن ثم كان يتسنى لهم عبور النهر ليس بجميع تجهيزاتهم فحسب بل
ومع خيولهم وجمالهم كذلك ، تماماً كما فعل القرامطة في وقت لاحق وذا
يفعل الآن البلو في غزواتهم حيث يتجنبون جسر القوارب فيسي الفلوجة
والمسيب . وثمة حجة ثانية تناقض حصار الانبار وهي تأكيد كاتباتني ان خالداً
غزا العراق من أجل الغنائم وحدها ، فلو صح ذلك لكان من الحماقة ان يهمل وقت

وقوته امام تحصينات قلعة ما . على ان كائتاني لا يثبت بالبرهان ان خالداً ذهب الى العراق من اجل الغنائم وحدها وليس في حماة عسكرية . فلو كانت حملة خالد مجرد غارة لما توقف لحصار الحيرة او عين التمر التي استولى عليها ووضع حامية فيها . ففي الأنبار مخازن قمح عظيمة كان خالد والمثنى يحتاجان اليها لرجالهما ولخيولهما ، اذ كانت التجهيزات على الضفة اليمنى شحيحة . وعلى اي حال فإن خالداً ، وفقاً للبلاذري ، حاصر الأنبار كما فعل بالهيرة تماماً . لأنه قام بمحاصرة البلدة وإتلاف البساتين ، وبذلك أجبر الأهليين على الاستسلام . وبسبب موقعها على حدود الصحراء فقد كان اهل الأنبار معتادين على مثل هذا الحصار . ولكي ينقلوا بساتينهم ، وافقوا على دفع الجزية للمغيرين ، وهذا الالتزام ، بطبيعة الحال ، كان نافذاً فقط عندما تكون الحكومة الفارسية أضعف من ان تقوم بحمايتهم .

خالد عند عين التمر وصندوقها

يروى البلاذري (المصدر السابق ص ٢٤٦ وما بعدها) ، دون ان يسمى مصبها انه بعد فتح الأنبار «ثم أتى خالد عين التمر فالصق بحصنها، وكان فيها مسلحة للاعاجم عظيمة ، فخرج اهل الحصن فقاتلوا، ثم لزموا حصنهم فحاصروهم خالد والمسلمون حتى سألوا الامان ، فأبى ان يؤمنهم وافتتح الحصن عنوة وقتل وسبي ، ، ووجد في كنيسة هناك جماعة سباهم »
غير ان البلاذري يذكر ايضاً «وقد قيل ان خالداً صالح اهل حصن عين التمر وان هذا السبي وجد في كنيسة ببعض الطسوج »
ويكتب كائتاني في المصدر السابق (المجلد ٢ ، ص ٩٤٤) أن خالداً بعد أخذ الأنبار تقدم الى مسافة أبعد شمالاً الى عين التمر . وفي النص الذي أورده البلاذري لا نجد ذكراً لرحف في اتجاه الشمال ، وعلاوة على ذلك فان هسلداً الاتجاه غير وارد على الإطلاق ، اذ ان عين التمر تكاد تقع مباشرة جنوب الأنبار .

وعلى العموم ، تتفق رواية البلاذري مع تلك التي جاء بها سيف . ويدون البلاذري ايضاً (المصدر نفسه ، ص ٢٤٨) ان هلالاً بن عقة قاد قطعات الاسناد العربية التي كانت تقاتل مع خالد . وفيما يتعلق بإوحسة عين التمر لا بد من التمييز بين الحصن الذي فيه حامية من جنود وبين القسرية الحقيقية نفسها . اما جنود الحامية فقتلوا الا أن صلحاً عُقد مع السكان الاصليين . وهذا يفسر أيضاً التباين الواضح بين الروايات المختلفة . وفي الحيرة ايضاً استسلم الأهليون بعد ان هربت الحامية الفارسية . على انه كما اريقق للدماء امام الحيرة ، كذلك اريقق الدماء امام عين التمر . والرواية تعطي اسماء الانتصار (وهم اولئ المؤمنين الذين ناصروا النبي (ص)) الذين استشهدوا أمام عين التمر (البلاذري في الموضوع نفسه) . ولهذا السبب يناقض كابتاني (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٤٠ ، ملاحظة ٣ ؛ ص ٩٤٥ ، ملاحظة ٢ ، وفي اماكن أخرى) المباحث عندما يذكر ان الحملة الأولى ضد بلاد فارس كادت تتم دون اراقة الدماء . ويذكر البلاذري ، في المصدر السابق ، (ص ٢٤٩ وما بعدها) ان خالداً ، وفقاً لبعض الروايات ، سار من عين التمر متوجهاً الى الشام ، الا انه وفقاً لآخرين ، أتى دومة من عين التمر ففتحها ثم اقبل الى الشام ، وأصبح ذلك مضيه من دومه وبعد استيلائه على هذه الواحة ، عاد الى عين التمر وسار الى الشام منها وليس من الحيرة . اما تاريخ الحملة فكان في شهر ربيع الأول وفقاً لبعضهم ، و ربيع الثاني وفقاً لآخرين . ويضيف كابتاني على هذا (في المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٤٧ ، ملاحظة ١) ان البلاذري أبى تصديق رواية حملة خالد على دومة الجندل على الاطلاق . الا أن هذه الملاحظة ليس لها ما يبررها . فالبلاذري لا ينامر برأيها عن الحماية على دومة الجندل ، برغم انه يتابع شهوداً ثقات ، فيذكرها مرتين بدون تعليق . وكلما يفعله انه يحدد نقطة بداية حملة خالد على الشام .

ويناقش كابتاني (في المصدر السابق ، مجلد ٢ ، ص ص ١١٩٣ وما بعدها ، ملاحظة ١) أن البلاذري لا يلتزم نفسه بصراحة بشأن الموضوع الذي

بأ. خالد مند . ويصحيح كلا من البلاذري والمدايني بالاصرار على ان الرواية
 تعطى التاريخ الدقيق لمغادرة خالد من اليمامة (وليس من العراق) على انه
 عام ١٢ هـ (١٨ آذار (مارس) ، ٦١١٠ م حتى ٦ آذار ٦١٤ م) . ومع ذلك
 فان محتويات الرواية باكملها تبين انها تتعلق بالحملة من العراق الى الشام وليس
 بتلك الحملة من اليمامة الى العراق . ثم اننا اذا أخذنا برواية البلاذري
 واعتدنا بانها يحدد مناورة خالد الى الشام ، فإننا نجد ثانية انه في الرواية الأصلية
 لا بد ان كان المقصود بها الفترات السنوية الثابتة للربيع وليست شهور الربيع
 المنحركة . وقد عرف الاعراب النهر الاول والثاني ، وحتى الثالث ، من فترة الربيع
 وهي فترة سنوية من النماء الغزير تمتد من حوالي ٢٠ شباط (فبراير) الى ٢٠ ايار
 (مايو) ، وهكذا يتوافق شهرهم الاول والثاني من الربيع مع الجزء المتأخر من
 شباط وآذار والنصف الأول من نيسان (ابريل) عندها .

روى ابو يوسف في « الخراج » (القاهرة ١٣٠٢ ص ٨٥ - ٨٧) عن
 ابن اسحاق وآخرين ان خالداً بعد استيلائه على الحيرة مضى الى باقيا على شط
 القرات ثم ان خالداً رجع الى الجف ، فاستبطن بطن النجف واخذ الادلء
 من اهل الحيرة حتى انتهى الى عين التمر ، فترل بعين التمر وبها رابطة في
 حصن ، فحاصروهم حتى استتر ففهم فقتلهم وسبى نساءهم وذريتهم واخذ ما
 كان في الحصن من المتاع والسلاح والدواب ، واحرق الحصن وخربه ، وقتل
 دحقان عين التمر . وكان رجلاً من العرب ، وسبى نساءه وذريته ، واهل بيته ،
 واعطاه اهل عين التمر الجزية كما اعطاه اهل الحيرة وغيرهم من اهل القرى ،
 وكتب لهم كتاباً على ما كتب لأهل الحيرة وكذلك لاهل أليس فهو عندهم .
 ثم بعث سعد بن عمرو الانصاري في جمع من المسلمين حتى انتهى الى
 صندودا وفيها قوم من كتلة ومن اباد نصارى فحاصروهم اشداً الحصار ثم
 صالحهم على جزية يؤدونها وأسلم من اسلم .

وكان خالد اراد ان يتخذ الحيرة داراً يقيم بها فاتاه كتاب من ابي بكر

(رض) ان الحق بابي عبيدة حين اناه كتاب ابني عبيدة يستمده ، فتوجه من
من الحيرة مع الادلاء منها ومن عين التمر حتى قطع المقازة ، فلما قطعها
وقع في بلاد بني تغلب فقتل منهم قوماً كثيراً وسبى ،

ثم مضى من بلاد تغلب ومضى معه ادلاء من اهلها حتى اتى النقيب
والكواثل فلقى جمعاً كثيراً لم ير مثله إلا في اهل اليمامة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى
قتل خالد عدة بيده ، واغار على ما حولها من القرى فاخذ اموالهم وما كان لهم
وحاصرهم ، فلما اشتد الحصار عليهم طلبوا الصلح على مثل ما صالح عليه اهل
عانات ، وقد كان مريبلاد عانات فخرج اليه بطريقة فطلب الصلح فصالحه
واعطاه ما اراد . .

وخرج منهم عدة ادلاء فاخذوا على النقب والكواثل فصالحوه على مثل ما
صالحه عليه اهل عانات ، وجرى الصلح بينهم وكتب بينه وبينهم الكتاب على ذلك
ثم مضى حتى اتى الى بلاد قرقيسيا فأغار على ما حولها فانصد الاموال وسبى
النساء والصبيان وقتل الرجال وحاصر اهلها اياماً ، ثم انهم بعثوا يطلبون الصلح
فاجابهم الى ذلك واعطاهم مثل الذي اعطى اهل عانات .

ويرى كاتباتي ، في المصدر السابق (المجلد ٢ ، ص ١١٩٩ ، ملاحظة ١٢)
ان رواية ابني يوسف هذه قيّمة بوجه خاص لأنها لا تذكر الاستيلاء على الانبار
بما قد يحتملنا على اعتبارها بسبب ذلك حكاية من نسيج خيال أجيال لاحقة .
ويبدو لي ان كاتباتي يعلق اهمية كبيرة جداً على صحت هذه الرواية لان ابا
يوسف لا يشير الى قراق ولا الى سواء برغم ان خالداً زار الموضعين كليهما .
وبرغم ذلك يبدو ان ابا يوسف يؤكد رواية الاستيلاء على الانبار بذكر
سندودا . ووفقاً لابن المقفد ، فسي الاعتبار (ديربورك ، ص
١٢٧ وما بعدها) فقد كانت سندودا ، الواقعة بقرب الرمادي الآن ، تعتبر
ضاحية من ضواحي الأنبار .

وفي رواية ابني يوسف الكثير مما هو مفقود في رواية ابن اسحاق ،

التي يشير إليها ، الا انها تتفق اجمالاً مع الرواية التي قلمها لنا سيف ، لان ابا يوسف ، مثله كمثل سيف ، كان يعلم بأنخبار الحملة الى الشمال الغربي من عين التمر . فهو يتحدث أولاً عن هذه الحملة في سياق حملة خالد الى الشام ، الا انه بعد وصفه الاستيلاء على قرقيسيا يقطع الرواية دون ذكر ما اذا عاد خالد من هناك الى الحيرة ام توجه مباشرة الى انشام . فهو يذكر عين التمر ايضاً على انه تم الاستيلاء عليها قبل مغادرته الى الشام : ومن الطريف ذكره ان خالداً بحث عن ادلاء في الحيرة لايصاله الى عين التمر ، وهو أمر ما كان ليفعله لو كانت الأرض بين الحيرة وعين التمر تعود الى حلفائه ورفاقه من قبيلة بكر بن وائل . وفي عين التمر يميز ابو يوسف بين السكان الاصليين الذين لم يهلبوا مقاومة لخالد ، وبين الحامية الفارسية مسع اعوانها العرب ممن كان على خالده ان يخضعهم . ان الدهقان العربي الذي أعلم بأمر من خالده كان دون شك قائد هؤلاء الأعوان الذين سبق ان اعترفت بهم الحكومة الفارسية .

ويذكر ابو يوسف بعد روايته الخاصة بالاستيلاء على عين التمر ، رواية من المحتمل انها نشأت في العراق وترسخت في قرية صندودا . فبالاستناد الى ابي الفضائل (المرصد [جوينبول] المجلد ٢ ، ص ١٦٨) ، الذي توفي في عام ١٣٣٨ م ، ان صندوداء قرية كانت في غربي القرن خربت وبها مشهد لعلي بن ابي طالب . وفي زمان ابن الكلبي (توفي عام ٨١٩) كانت صندودا ملكاً لعائلة ابن حرام الأنصاري التي عاشت هناك . ومن المحتمل ان هذه العائلة هي التي خلقت الاسطورة التي دونها ابو يوسف عن سلفها سعد بن عَمْرٍو بن حرام ، الذي ارسله خالد الى صندودا . نقل ابن الكلبي هذه الرواية من العراق الى المدينة حيث قوبلت بالتصديق ، لأنها كانت تتعلق بأنصاري . ومن الغريب ان شيئاً لم يذكر شيئاً عن هذه الحملة الى صندودا . وان سعد بن عَمْرٍو لم يرد ذكره في اي موضع آخر ماعدا كتاب ابي يوسف . حقاً إنه ليس من المحتمل جسداً ان يكون سعد قادراً على الاقامه في قرية صندودا على

أثر وفاة ابي بكر ، عندما أُخرج جميع المسلمين تقريباً من العراق . ومسح كل ذلك ، فإن نص ابي يوسف التالي ، « أقام سعد بن عمرو في صندودا في خلافة ابي بكر وعمر وعثمان حتى مات ، وولده هناك الى اليوم » ، « ما يبرهن على أنه حتى جماعة المدينة اشتهرت ان حملة خالد ليست مجرد غارة بل حملة عسكرية منتظمة ، هدفها فتح قطر والتمسك به بعد فتحه .

واستناداً الى ابي يوسف فمن المحتمل أنه كانت نية خالد جعل الحيرة محل اقامته والبقاء في العراق بصورة دائمة . ومن المؤكد ان هذه الفكرة ما كانت لتخطر بباله لو كانت مجرد غارة بحسب تفكيره . ان نية خالد المقترضة هذه او خطته تفضي بنا الى الاعتقاد انه في ذلك الوقت كان مستولياً على منطقة اوسع من مجرد المنطقة المجاورة للحيرة . انه ما كان في مقدوره الاقامة في الحيرة والقيام منها بغارات متكررة لازعاج الفرس إلا بعدئذ كد من طاعة جميع الاعراب أو تعاطفهم ، وهم الاعراب المقيمون الى الشمال الغربي والجنوب الغربي من البلدة . ولو كان الامر بخلاف ذلك لكانت اصبحت اتصالاته بالمدينة معرضة للاضطراب بسهولة . إنَّ ضرورة ضمان هذه البقعة من القطر تجعل مساعي خالد الحربية السابقة بين الخليج العربي والحيرة تبدو محتملة جداً . كما توضح سبب عدم توفر اي دليل لخالد سوى كسب قبيلة تغلب الى جانبه ، وهي التي كانت تتنقل من الحيرة الى الشمال الغربي حتى الرصافة .

حملة خالد على قبيلة تغلب

وفي بحثنا حملة خالد على قبيلة تغلب ، كما في معالجتنا لتقدمه على الحيرة ، دعنا أولاً تناقش الأخبار التي وصلت إلينا في كتابات ممثلي جماعة رواة المدينة ، ومن ثم نتطرق بعد ذلك الى الرواية الأكثر تفصيلاً وهي تلك التي قدمها سيف ابن عمر من جماعة الكوفة .

رواية جملة أهل المدينة رواية أبي يوسف

استناداً إلى أبي يوسف (انظر ماسبق ص ٤٧١) وما بعدها فإنّ أبا بكر طلب من خالد الذهاب لنجدة أبي عبيدة في الشام . ان هذا الأمر يحملنا على الاعتقاد ان جيش أبي عبيدة لا بد انه كان قد مضى قبله بعض الوقت في الشام . ولا يصف أبو يوسف تنام خالد إلى الشام ، وانما يصف الفترات على اراضي تغلب فقط . تقدم خالد من الحيرة إلى عين التمر ومن هنا ، بإرشاد ادلاء من أهل مانين المدينتين تقدم إلى الشمال الغربي . ولا يحسد أبو يوسف الطريق الذي سلكه خالد الا انه يتحدث عن المفاوز التي كان عليه اجتيازها فقط للوصول إلى مغارب تغلب . ولنا ان نستنبط من هذا انه تقدم من عين التمر باتجاه الشمال عن طريق عقاة حوران إلى اراضي قبيلة تغلب . مما يصادف الأحداث اللاحقة فيسبوا ان ابا يوسف قد دمج روايتين . فاستناداً إلى الأولى يبدو ان خالداً كان قد تقدم إلى الشمال من البصري ، ومن هناك ، وبعد ان شتت التغلبين ، عاد إلى شعيب النقيب ومن طريق الكواثل إلى عانة ؛ واستناداً إلى الرواية الأخرى فإنه ، على كل حال ، زحف عن طريق عانة والنقيب والكواثل إلى قرقيسية وأجبر هذه البلدة على الاستسلام . وتتضمن الرواية الأولى ان خالداً اخترق النقيب والكواثل في عودته من الشمال إلى الجنوب ؛ اما الثانية فإنه اجتازهما في طريقه من الجنوب إلى الشمال .

ان موقع عانة معروف . فهي عانة الحديثة ، على الضفة اليمنى للفرات . وكانت تدعى سابقاً عانات (جمع عانة) لأنها كانت في الحقيقة تتألف من أربع قرى ، اثنتان منهن تقعان على النصف اليسرى ، وواحدة على اليمنى ، وواحدة على الجزر . ثم صارت القرية الرئيسية على الضفة اليسرى تدعى (راوة) ؛ ولما هجرت القرية الشرقية إلى القرية التي على الجزيرة ، بقيت عانة التي تقع على الضفة اليمنى . ان الكواثل (او الكواثل) محطلة هامة ، ومعروفة لدى المؤلفين العرب ، على الطريقين من القباقيب إلى الرحبة وهي تقع غرب بلدة الميادين الحديثة وتحمل اسم الجواثل (او عقولا) .

ويود كابتاني، في المصدر السابق (المجلد ٢ ، ص ١٢٠٣ ، ملاحظة ١ ب)
ان يطابق الكواتل بكرة الحالية الواقعة على الضفة اليمنى للفرات ، فوق
بلدة عانة . الا انه يستحيل ذلك ، لانه يناقض ما يؤكد الجغرافيون العرب .
وانها حقيقة ثابتة ان الكرابلة ليست على الضفة اليمنى ، وانما هي جزيرة سكنها
مهاجرون من كربلا ، والذين يدعون بكرة .

فالتقيب (شُعيب صغير) هو اسم الشعب عبر سلسلة جتب البشري الحلبية
على الطريق من عطة القصبي الى الدركلي . وتقع قرقيسيا ، وهي قرقيسوم
القديمة ، على الضفة اليسرى للفرات عند فم الخابور . وعلى عهد خالد كانت
قرقيسيا حصناً ثغرياً منيعاً للامبراطورية البيزنطية ضد الفرس ، وكانت فيها حامية
رومية كبيرة . فلو كان خالد قد استولى على هذه البلدة لتناقلت الرواية الحدث
تخليلاً له ، لانه كان سيعتبر اول لقاء مع الروم (البيزنطيين) ولما كان
بامكان سيف اغفال ذكره . وعلى الاثر في الامكان استبعاد الرواية الثانية لعدم
كفاية الأدلة في قصة ابي يوسف التي اشرنا اليها والتي وردت فيها الاشارة الى
الاستيلاء على قرقيسيا . وبما ان الرواية الاولى تتضمن ان خالداً عاد من البشري
حتى عانات بني الأقل ، فلنا ان نفترض ههنا ان استمر في عودته باتجاه جنوبي
الى الحيرة ، وان الحملة على التغلبين كانت مستتلة تماماً عن زحفه التالي على الشام .
وباختصار فان تفسيرنا لهذه الحملة هو كما يلي : سلك خالد في حملته
الخارجية الدريق المار بمحلة حرران عنقراً الصحراء ووصل الى مخيم تغلب قرب
الرصافة ، وشنا استدرا الى الجنوب . وفي عودته تقدم باتجاه الفرات . وبعد ان
اجتاز جبل البشري من خلال مضيق التقيب ختم في الكواتل . ومنها
قامت تدانته بالاعارة على القرى الواقعة على الضفة اليمنى للفرات مقابل
قرقيسيا . وبما ان كثيراً من هذه القرى كانت تعود الى أهل هذه البلدة ، نشأت
عن ذلك فيما بعد رواية مفادها انه أجبر البلدة على الاستسلام ايضاً . ومن ثم
سار باتجاه الفرات حتى بلغ بلدة شانات الكبيرة ، التي وافق أهلها ايضاً
على دفع جزية سنوية ، ومن هناك عاد الى الحيرة .

رواية اليعقوبي والدينوري

يلتزم اليعقوبي في تاريخه (مؤسدا ، المجلد ٢ ص ١٥٠ وما بعدها) ثم كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد أن يسير إلى الشام ويخلف المثنى بن حارثة بالعراق ، فنفذ خالد في أهل القوة ممن كان معه وخلف المثنى بن حارثة الشيباني مسح بقية الجيش بالعراق ، وسار خالد إلى الشام فلما صار إلى عين التمر لقي رابطة لكسرى عليهم عقه بن أبي هلال النمرى فتحصنوا منه ، ثم نزلوا على حكمه فضرب عنق النمرى

ثم سار حتى لقي جمعاً لبنى تغلب عليهم الهذيل بن عمران فقدمه فضرب عنقه وسبى منهم سبائاً كثيرة بعث بهم إلى المدينة ، وبعث إلى كنيسة اليهود فاخذ منهم عشرين غلاماً

وصار إلى الأنبار فاخذ دليلاً يذله على طريق المفازة ، فمر بتمر فتحصن أهلها فاحاط بهم ففتحوا له وصالحهم ، ثم مضى إلى حوران فقاتلهم قتالاً شديداً فقبل أن خالداً سار في السرية والمفازة ثمانية أيام حتى وافاهم ، يفترض اليعقوبي في روايته مقسداً ، شأنه كشأن رواية أبي يوسف ، أن خالداً أرسل لنجدة جيوش المسلمين لاحتراز نصر في الشام . ولا يحدد اليعقوبي المكان الذي انطلق منه خالد متوجهاً إلى الشام ، إلا أن السياق يشير إلى الحيرة ومن هناك زحف إلى عين التمر .

ويذكر كابتاني ، في المصدر السابق (المجلد ٢ ، ص ٩٤٩ ، ملاحظة ١) أن عين التمر تقع شمال غربي الأنبار ؛ وعلى أي حال فإن ذلك غير صحيح . إذ أن هذه القرية الهامة كانت ولا تزال تقع على بعد تسعين كيلومتراً تقريباً جنوبي الأنبار . ويستبدل كابتاني (الموضع نفسه) ، بالأنبار — خطأ كذلك — منهل قُراقر . ويتجاهل كابتاني ما ثبت من أن مراجع أخرى تذكر أن المناوشة التي قتل فيها الرئيس الهذيل بن عمران وقعت عند المصيخ . ويفترض أنه لو كانت الأنبار صحيحة لكان لزاماً على خالد أن يعود ادراجه من عين التمر

الى الأنبار . ولما كانت مثل هذه العودة تبادلية مستحيلة فقد تجاوز كاتباتني هذه الصعوبة بوضعه قراقرم مكان الأنبار ، التي لا يضعها اي جغرافي او مؤرخ عربي في منطقة الفرات .

ويظن كاتباتني ان خالداً ما كان يستطيع ايجاد دليل في مدينة الانبار الثغرية ، ولكن اليعقوبي لا يقول بوضوح ان الدليل كان فعلاً من اهل هذا المكان . فالأنبار كانت نقطة بداية ختلوط النقل المؤدية عبر الصحراء ؛ وتبعاً لذلك يمكن بالتأكيد ايجاد عدد كبير من الأدلاء العارفين بطرق الصحراء هناك . ففي مراكز تجارية من هذا النوع من الطبيعي العثور على أدلاء أفضل من أولئك الذين تجدهم في الصحراء ذاتها . فلو كان خالداً ، على اي حال ، قد تقدم شمالاً غربياً بمحاذاة الفرات ، كما يتصور كاتباتني ، الذي يبحث عن قراقرم في تلك المنطقة ، لما احتاج الى دليل على الاطلاق .

ويقول اليعقوبي ان خالداً اثناء ذهابه من الحيرة الى الشام وصل الى عين التمر وقام بغارة على التغلبين بزعامه الهذيل بن عمران . وكما نعلم من مصادر أخرى ، فان الهذيل خيّم عند المصيخ . ففي هذه الحالة كان ينبغي لخالداً قطع ٢٧٠ كيلومتراً من الحيرة الى المصيخ (عين العرب) باتجاه شمالي غربي ثم العودة باتجاه جنوبي شرقي مسافة ١١٥ كيلومتراً الى الانبار . وهناك ، بعد حصوله على دليل متدبر ، كان ينبغي عليه التقدم خلال منطقة موحشة الى الشمال الغربي حتى يبلغ تدمر ، ومن هناك كان يمكنه الوصول الى حوران . ولأسباب طوبوغرافية ، فان مثل هذا الزحف غير محتمل اطلاقاً . فليس من السهل أن نفهم لماذا لم يقم خالداً ، وهو اللهايب لتجدة جيوش المسلمين في الشام ، بالذهاب مع صفوة محاربيه من أقصر الطرق واسهلها عن طريق قراقرم ، او لماذا كان عليه اللجوء الى اراضٍ غريبة لم تفتح بعد . وبما ان التغلبين لا بد ان كانوا ساخطين لذبح اقربائهم في عين التمر والمصيخ ، فانهم ولا شك كانوا سيهاجمون خالداً او في الاقل يهرقلون تقدمه اثناء زحفه من الانبار الى تدمر خلال ما يقارب خمسمائة كيلومتر في اراضيهم . وعندما عاد خالداً

الى الانبار بعد مصرع الهذيل ليستعد هناك للزحف على تلمر خلال الصحراء فان التغلبين او علموا بهذه الخطة فكان لهم متسع من الوقت للجمع وخلق متاعب له . وكل ما كان ينبغي لهم فعله هو القيام بتسميم منهلين في الصحراء بالقار أو الجراد أو الحيوانات النافقة، وحينذاك ما كان خالد يستطيع انقاذ جنده من الموت عطشاً . اما إن كان قد تقدم بحذاء القرات فكان عليه التغلب ليس على مقاومة التمرى الكبيرة المتعددة فحسب بل والتغلب ايضاً على هجمات التغلبين الموترين من أمامهم ومن خلفهم . لأنني اشك إن كان في استطاعته التغلب على كل هذه العصابات بجيشه المنتقى ، والصغير مع ذلك ، في مسيرة تتجاوز ثمانمائة كيلو متر .

وفي ظل الحكم الزركي . الذي من المحقق لم يكن أقوى من الفرسان والبيزنطيين في تلك اليهود . ما كان لأي رئيس حاز واحتي دومة الجندل ومنتهى السرحان ان يسير بحاذية القرات الى الشام بجيش لا يفوق جيش خالد قوة . بل كان سينتار الطريق المار بقرقر (قراجر) الأسهل والأكثر اماناً . ومن المناسب ان نضيف ان خالداً في زحفه على الشام لا بد أنه لم يكن مجهزاً تجهيزاً كافياً لمحصار حصن ثعربي في منعة عين التمر . ويمكن ان يقال مثل ذلك بالنسبة لالانبار . ولهذا يمكن ان نفترض ان العقوبي يربط بزحف خالد على الشام احدائاً سابقة بالضرورة ذلك الزحف . وفضلاً عن ذلك، لا يقدم العقوبي اية تفاصيل تتعلق بزحف خالد عبر الصحراء . واستناداً الى رواية واحدة ذكرها العقوبي (نفس الموضع) ، فان خالداً لم يلبث في الصحراء وفي منطقة تقتصر الى الماء مدة ثمانية أيام . ولم يظهر لنا من أين وإلى أين يجب احتساب هذه المسيرات الثماني . وفي رأيي فان المسيرات الثمان يجب ربطها بالليالي الدنيس (اي ست مسيرات) بين قرقر وسوء ، مما يرد عنها الشيء الكثير في الروايات الاسلامية، كما نربط بالمسيرتين من سوء الى مرج راهط بالقرب من دمشق في الشام (انظر كتابي « اديبة الشام » ص ٥٥٣ - ٥٧٣)

فلو حكمنا على رواية أبي يعقوب في ضوء هذا لوجدنا انها تتألف من شذرات كثيرة غير مترابطة لا يمكن تفسيرها الا بمعونة مصادر أفضل فقط.

ويدون الدينوري ، في اخباره ، (كوبركاس) ، ص ١١٧ وما بعدها) ان خالداً تسلم من ابي بكر. اوامر بالاسراع بجنوده المسلمين لنصرة ابي عبيدة في الشام ؛ وتلبية لهذه الاوامر زحف خالد بطريق الانبار الى عين التمر وضرب حصاراً حول البلدة ، وقتل الحامية الفارسية هناك. وبعد ذلك هاجم بعض التغلبيين والتمريين وفي الاخير وصل الى الشام .

وتقول هذه الرواية ان خالداً في زحفه على الشام انعطف اولاً شمالاً الى الانبار ، ١٧٠ كيلو متراً من الحيرة ، ثم عاد تسعين كيلو متراً جنوباً الى عين التمر ، ومن هناك واصل سيره شمالاً شرقياً الى المصيخ ، لان الهجوم على التغلبيين مرتبط ولا يرب بالمصيخ . ان مثل هذا الزحف الى غير محتمل الى درجة بحيث أننا لا نطلع من الدينوري على خبر ذي قيمة فيما يتعلق بالطريق الحقيقي الذي اتبعه خالد الى الشام . فاذا ما قارنا بين بيانات يعقوبي والدينوري فنسجد انها لا تعالج الا بعض وقائع حرب خالد في العراق وعلى امتداد الفرات قبل غزوه للشام .

رواية البلاذري

يقول البلاذري (فتوح ص ١١٠ فما بعده) قالوا : لما أتى خالد بن الوليد كتاب أبي بكر وهو بالحيرة خلف الثني بن حارثة الشيباني على ناحية الكوفة وسار في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمان مئة ويقال في ست مئة ويقال في خمس مئة . فأتى عين التمر . ففتحها عنوة . ويقال إن كتاب أبي بكر وافاه وهو بعين التمر وقد فتحها ، فسار خالد من عين التمر فأتى صنعاء ودام . وبها قوم كثر واياهم والعجم ، فقاتله أهلها فظفر ، وخلف بها سعد بن حزام الأتصاري ، فولد اليوم بها ، وبان خالداً أن جمعاً لبني تغلب بن وائل بالمصيخ والحضيض مرتين ، عليهم ربيعة بن بجير .

فأتاهم ، فقاتلوه فهزمهم وسبي وغنم ، وبعث بالسبي الى أبي بكر .
فكانت منهم أم حبيب الصهباء بنت حبيب بن بُجَيْر ، وهي أم عمر بن أبي
طالب . ثم أغار خالد على قُرَاقِر ، وهو ماء لكلب ، ثم فوز منه إلى سُوى ،
وهو ماء لكلب أيضاً ، وبمعهم فيه قوم ، ن بهرآه . فقتل حرثُوص بن النعمان
البهراني من قُضاعة واكتسح أموالهم . وكان خالد لما ركب المفازة عمد إلى
الرواحل فأرواها من الماء ، ثم قطع مشافرها وأجرها لثلاث تجتر فتمطش ،
ثم استكثر من الماء وحمله معه ، فنفذ في طريقه ، فجعل ينحر تلك الرواحل
زاحلة زاحلة ويشرب وأصحابه الماء من أكراشها . وكان له دليل يقال له
رافع بن صُمَيْر الطائي ففيه يقول الشاعر :

لله دُرٌّ نافعٍ أنسى اهتدى فوز من قُرَاقِرٍ إلى سُوى
ماء إذا ما رامه الجيـشُ انشى ماجزا قبالك من إنسٍ يرى

وكان المسلمون لما انتهوا إلى سُوى وجدوا حرثُوصاً وجماعة معه
يشربون ويتغثون ، وحرثُوص يقول :

ألا عُلَّائي قبل جيش أبي بكر لعلّ منا يانا قريبٌ ولا نلرى

فلما قتله المسلمون جعل دمه يسيلُ في الجفنة التي كان فيها شرا به . ويقال
إن رأسه سقط فيها أيضاً . وقال بعض الرواة : إن المغنّى بهذا البيت رجل ممن
كان أغار خالد عليه من بنى تغلب مع ربيعة بن بُجَيْر .

ومن الجدير بالذكر ان بعضاً من رواة البلاذري يصفون الاستيلاء على
عين التمر قبل ابتداء حملة خالد على الشام ، لأنه وفقاً لآخرين ذهب خالد لاحتلال
استلامه امر أبي بكر من الحيرة الى عين التمر واستولى عليها ، ثم زحف
على صندودا وهزم التغلبين على المصبيخ والحُصيد ، ثم بعد أن اخترق الصحراء
وصل الى قراقِر . ومن الصعب ان نلهم سبب اضطراب خالد الى التحول من
المصبيخ الى الحُصيد التي يحتمل انها كانت تقع الى الجنوب الشرقي . وحتى

الزحف بذاته من المصبيخ مباشرة الى قراقر كان يتطلب التفاقاً كبيراً ، وفي اثناء هذا الالتفاف والى مسافة بضعة مئات من الكيلومترات ما كان خالد يستطيع العثور على عين ماء . فلو أخذنا بهلذه الرواية كان علينا ايضاً الاعتراف انه زحف ما يقارب ستمائة كيلومتر قبل ان يبدأ حملته على الشام بصورة جادة . الا ان هذا بعيد الاحتمال بحيث اننا نفضل الاتفاق مع المجموعة الثانية من رواة البلاذري ومع ثقات آخرين ، اي مع اولئك الذين اعتقدوا ان الاستيلاء على عين التمر والغارة على المصبيخ كليهما حدثا قبل ابتداء الحملة على الشام . ولا يذكر غير البلاذري قتالاً مع الكلبيين عند قراقر .

ان معاملة الجمال التي ذكرها البلاذري فقد تمت مناقشتها في كتاب المؤلف (بادية الشام) ، ص ص ٥٧٠ وما بعدها .

ويكتب البلاذري ان بعض المراجع تحدد موقع حكاية المغني او الشاعر في غميم حرقوص ، بينما يحدد آخرون موقعها في غميم ربيعة بن بجبر . وتفترض الحكاية ان المغني او الشاعر كان على علم بتقدم المسلمين . ولا يكاد يمكن ان يكون الأمر كذلك عند سوء حيث لم يكن في استطاعتهم توقع المسلمين ، الا أنه من الممكن جداً ان تكون الحالة كذلك في المصبيخ او الحصيد او البشر حيث كان التغليون يتجهزون بالسلاح لمقاومتهم . فضلاً عن ذلك ، يبدو من غير المحتمل ان يحتفل المسيحيون العرب بالقرب من سوء بالشرب والغناء في الاسبوع المقدس (انظر كتابي « بادية الشام » ، ص ص ٥٦١ - ٥٦٣) ، وهو الوقت الذي قدم فيه المسلمون ، وفقاً للمناثني (الطبري) ، في تاريخه دي خويه [، السلسلة ١ ، ص ص ٢١٠٨ وما بعدها] .

رواية الواقدي

يروى الواقدي (البلاذري ، المصدر السابق ، ص ١١١) « خرج خالد من سوى الى الكواثل ثم الى قرقيسيا فخرج اليه صاحبها في خلق فتركه وانحاز الى البر ومضى لوجهه »

ان هذه الرواية التي اوردها أفضل ممثل لجماعة المدينة هي دليل على قلة ما كان معروفاً في المدينة عن الأحداث المختلفة لحملات خالد، وعلى عدم قدرة مؤرخي المدينة على ترتيب هذه الأحداث بتسلسلها الصحيح من حيث الزمان والمكان .

ويعتقد كايثاني ، في حواياته (١٩٠٥) ، المجلد ٢ ، ص ١٢٢٨) وهو الذي يود إدخال المعارك عند المصيخ والحصيد في الحملة على الشام ، ان خالداً بعد مغادرته سِوَاء قام بالتفاف حتى قرقيسياء ، مدعياً ان أفضل مصلرين يدعمان هذا الرأي هما الواقدي والبلاذري . إلا ان كايثاني عندما اقترح هذه النظرية لم يضع في حسابه موقع كل من سِوَاء او قرقيسياء . ومن المعروف ان سِوَاء كانت تقع على حدود الشام . ولهذا فان خالداً ، وفقاً لنظرية كايثاني ، برغم أنه كان قد طُلب منه تقديم العون بسرعة الى الشام ، لم يعجل بالتحرك من سِوَاء الى الغرب مباشرة الى دمشق ، بل استدار شرقاً، وسار ثلاثمائة كيلومتر عبر صحراء مقفرة حتى الكوائل قرب الفرات ، ثم استدار شمالاً شرقياً الى قرقيسياء ، ومن هناك ذهب الى الصحراء ، ومن خلالها عاد ثانية الى الشام . أظن اننا هلى حق في افتراض ان رواية الواقدي عن مسيرة خالد من سِوَاء الى الكوائل وقرقيسياء لا علاقة لها بالحملة على الشام وانها ليست في موضعها الصحيح . ان ذكر الواقدي للكوائل وقرقيسياء ، مع هذا ، مهم جداً ، اذ انه يبرهن على ان جماعة المدينة ربطوا هذه الاماكن بحملة خالد في العراق، وعلى هذا فان غارته على التغابيين لها اساس تاريخي . ان معاهدة الصلح التي اوردها ابو يوسف ، في خراجها ، (القاهرة ، ١٣٠٢ هـ) ، ص ٨٧ (انظر ما سبق ، ص ٤٧٢) لا يمكن تصورها ، لان الواقدي يؤكد ان خالداً انما نجا بنفسه من هزيمة تامة بفراره الى الصحراء فقط . ولا يُسَعَفنا الواقدي بالقول الى اين ذهب بعد هذه الانتكاسة واي اتجاه سلك . واغلب الاحتمال ان عودته بمحاذاة الفرات الى الخيرة تتضح من إغفاله ذكر ذلك .

رواية جماعة الكوفة رواية سيف بن عمر من الحيرة الى عين التمر

قدمت لنا جماعة الكوفة رواية اكثر تفصيلاً عما حدث بعد سقوط الحيرة ،
وكان سيف بن عمر ممثلاً الرئيس (الطبري) ، في تأويحه [دي خويه] ،
السلسلة ١ ، ص ٢٠٤٩ . فيروي سيف :

« ولما صالح اهل البصرة خالد خرج صلّوا بن نسطوراه صاحب قُسن
الناطف حتى دخل على خالد عسكره فصالحه على بانقياً وبسما وضمين له ما عليهما
وعلى ارضيهما من شاطئ القرات جميعاً واعتقد لنفسه واهله وقومه على عشرة
الآف دينار سوى الخرزة خرزة كسرى ، وكانت على كلّ رأس اربعة دراهم
وكتب لهم كتاباً فتمتوا وتمّ ولم يتعلّق عليه في حال غلبه . » وقد روى
سيف ان الاتفاق بين خالد وصلوا تمّ في شهر صفر ، وهذا من المحقق لا يعني
شهر صفر المتحرك ، بل الفصل السنوي الثابت صفر ، اي الخريف .

ويظن كاتبنا (، المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٦٦ ، ملاحظه ١)
أن موقع قسيانا (او قسيانها ، كما ينقل حروفها كيتاني) غير معروف وان هذا
الموضع غير مذكور في أي مكان آخر . ولذا فهو يصنفها مع الاسماء
غير المألوفة المتعددة الأخرى التي حافظ عليها سيف وحده . وسع ذلك فإن
كاتبنا نفسه يعرف ويحدد موقع هذا المكان حينما يكتب في موضع آخر (المصدر
نفسه ، ص ٩٢٩ وما بعدها ، ملاحظة ٣ د) أنه غير بعيد عن باروسماء
تقع : « باقسيانها » حيث هزم ابو عبيدة القوس عام ١٣ للهجرة . ان قسيانا
تطابق وقسيانها عند كاتبنا (الطبري) ، المصدر السابق ، سلسلة ١ ، ص ٢٠٣٢)
وتطابق باقسيانها (يا [بيت] قسيانها) عند الطبري (المصدر السابق ، السلسلة ١ ،
ص ٢١٧٢) وهو مكان معروف ايضاً عند الجغرافيين العرب باسم قُسن الناطف .

ويأكر يا قوت، في معجمه (نستفقد)، المجلد ٤ ، ص ص ٩٧ وما بعدها) ان
« قُس الناطف موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي ، والروحة
موضع على شاطئ الفرات الغربي كانت بسه وقعه بين المسلمين والفرس
في سنة ١٣ للهجرة . . »

ويستمر سيف قاتلاً « اقسام خالد بن الوليد فيما بين فتح الحيرة الى
خروجه من الشام اكثر من سنة يعالج عمل عياض الذي سمي له
(الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٢٠٥٦) في منطقة كان إخضاعها
« وكولاً الى عياض بن غنم . الا ان عياضاً كان تحت ضغط شديد
في دومة ، وان جنود الفرس كانوا يقومون بحماية العين والأنبار والفراص .
وحسب السياق فان دومة هذه لا بد أن كانت دومة الجندل ، تماماً كما
كانت العين ولا شك عين النمر الشهيرة . وعين النمر والفراص تقعان غربي
الفرات والأنبار الى شرقه ، وكانت جميع المواقع الثلاثة مراكز قتل هامة للغاية .
فكل من يسيطر عليها وكذلك على واحة دومة الجندل الواسعة يعتبر السيد الحقيقي
لبلاد العرب الشمالية . والآن ، إن كانت نية ابي بكر فتح بلاد العرب بأكملها ،
كما يزعم سيف ، متابعاً ما ادعته عدة مراجع ، في اربعة اماكن مختلفة ، فان
ارسال عياض بن غنم الى الشمال الشرقي لبلاد العرب كان عملاً يدل على
حنكة فائقة . وكان واجب عياض تهديد الطريق لخالد ومن ثم بصورة غير
مباشرة حماية المسلمين الذين كانوا يتقدمون في الشام من التعرض للالتفاف عليهم .
ولما لم يكن عياض قادراً على انجاز هذه المهمة ، وكان القصد منها اولاً احتلال
واحة دومة ، فلم يكن لخالد من خيار سوى الذهاب لمساعدته (المصدر نفسه ،
ص ص ٢٠٥٧ وما بعدها) . وفي ذلك الوقت كانت المنطقة غربي الفرات
بأكملها من الفلاليج والحيرة الى الخليج العربي قد دخلت تحت سيطرة خالد .
وكان حلفاؤه الاعراب بقيادة الرئيس المثني يراقبون تحركات الفرس شرقي
الفرات ، بينما انطلق خالد الى الشمال الغربي من الحيرة متجهاً الى كربلاء .
ويزعم كايثاني في المصدر السابق (المجلد ٢ ، ص ص ١١٩٣ وما بعدها ،

ملاحظه ١) استناداً الى رواية جماعة المدينة ، ان منجزات خالد العسكرية في العراق كانت غير ذات شأن بحيث ان ملتها المزعومة البالغة سنة واحدة غير ممكنة ابداً ، ان أفضل الرواة يؤكّدون ان جميع اعماله شمالي الحيرة وقعت اثناء حملته على الشام . - وانما يقول كاتباني كل هذا لانه يتعرف في جميع هذه التواريخ تلك الاشهر الخاصة بازمة لاحقة ، وليس الفصول السنوية الثابتة التي وردت في الرواية الأصلية . انه يحاول التخلص من الصعوبات المتراكمة دون ان يعتبر انه ما كان من طبيعة خالد القيام بمغامرات متنوعة تتطلب رجالاً كثيرين ووقتاً طويلاً بعد تسلمه الاوامر من ابي بكر ، الذي تمنى له التوفيق ، بحثه فيها على الاسراع لنصرة المسلمين في الشام .

ويخبرنا سيف ان خالداً إنطلق من كربلاء الى الكربلاء (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ص ٢٥٩ وما بعدها) .
 « قالوا خرج خالد بن الوليد في تعبته التي خسر جريح فيها من الحيرة وعلى مقدمته الأقرع بن حابس فلما نزل الأقرع المنزل الذي يسلمه الى الأنبار انتج قوم من المسلمين ابلهم فلم يستطيعوا العرجة ولم يجدوا بداً من من الاقدام ومعهم بنات مخاض تتبعهم فلما نودي بالرحيل صرّوا الأمتها واحتقروا المتوججات لانها لم تطلق السير فانتفوا ركباً الى الأنبار وقد تحصن اهل الأنبار وخندقوا عليهم واشرفوا من حصنهم وعلى تلك الجنود شيرزاد صاحب ساباط وكان اعقل اعجمي يومئذ واسوده واقنعه في الناس العرب والعجم فتصايح عرب الأنبار يومئذ من السور فينباههم كذلك قدم خالد على المقدمة فاطاف بالخندق وأنشبت القتال وكان قليل الصبر عنه اذ ارآه او سمع به وتقدم الى رمايته فأوصاهم وقال لاني ارى اقواما لا علم لهم بالحرب فأرموا عيونهم ولا تتخووا غيرها ، فرموا رشقا واحداً ، ثم تابعوا فقتل الف عين يومئذ فسُميت تلك الوقعة ذات العيون ، وتصايح القوم ذهب عيون اهل الأنبار فقال شيرزاد ما يقولون ففسّر له فقال . آباء.

فراسل خالدا في الصلح على امر لم يرضه خالد فردّ رسله ، وأتى خالد
اضيق مكان في الخندق بزدايا الجيش فنحروها ثم رمى بها فيه فافعته ثم اقتحم
الخندق والرذايا بصورهم فاجتمع المسلمون والمشركون في الخندق وأرز
القوم الى حصنهم وراسل شيرزاد خالدا في الصلح على ما اراد فقبل منه على
ان يخليه ويُلحقه بأمنه في جريدة خيل ليس معهم من المتاع والاموال
شيء فخرج شيرزاد .

والأنبار الواقعة كما هي الآن على التواء الشمالي الغربي من السهل
الروسي للعراق ، سيطرت في الأزمنة القديمة على معبر هام على القرات .
وخالدا أصبحت هذه البلدة الثغرية بيد خالد لسم يقر ما يستوجب التوجس
من هجوم فارسي مفاجي على الحيزة من الشمال الغربي . وكان أهل الأنبار
عرباً يردون سبل التعامل مع الاعراب ، لما تركوا امر الدفاع عن البلدة الى
الحامية الفارسية في الحصن وقادوا هم انفسهم بعقد ميثاق مع جيش المسلمين
المتفوق عليهم .

وبعد استيلاء خالد على الأنبار ، يسمي سيف قائلاً (المصلو نفسه ،
السلسلة ١ ، ص ص ٢٠٦٢ وما بعدها) ، ولما فرغ خالد من
الأنبار واستحكمت له استخلف على الأنبار الزبير بن بكرة
وقصد لمعين التميمي وبها يومئذ ميهشان بن بهرام جوين
في جمع عظيم من العجم ، وعقته ابن ابي عقبة في جمع عظيم من العرب من التمر
وتغلب واباد ومن لا فقههم . ، ونزل عترة لخالد على الطريق وعلى ميمته بجير
بن فلان احد بني عبيد بن ساعد بن زهير ، وعلى مسرته الهذيل بن عمران وبين
عقته وبين مهران روحة او غدة ، ومهران في الحصن في رابطة فارس ، وعقته
على طريق الكرخ كالخفير ، فقام عليه خالد وهو في تعبته جندته ، فبعث خالد جنده
وقال لمحبتيه اكتبونا ما عنده فأتى ، حامل ووكّل بنفسه حوامي ثم حمل

وعقّة يقيم صفوفه، فأحتضنه فأخذته أسيراً وانهزم صفته من غير قتال فأكثروا فيهم الأسر: وهرب بُجَيْر والهذيل، واتبعهم المسلمون. ولما جاء الخبر مهران هرب في جنده وتركوا الحصن؛ ولما انتهت فأكّلت عقّة من العرب والعجم إلى الحصن اقتحموه واعتصموا به، وأقبل خالد في الناس حتى نزل على الحصن ومعه عقّة أسير وعمرو بن الصّعق وهم يرجون أن يكون خالد كمن كان يُغير من العرب فلما رأوه يحاولهم سألوه الأمان فأبى إلاّ على حكمه، فسلسوا له به، فلما فتحوا دفعهم إلى المسلمين فصاروا مساكاً، وأمر خالد بعقّة وكان خفيّر القوم فضربت عنقه ليؤثس الأسراء من الحياة ولما رآه الأسراء مطروحاً على الجسر يشوا من الحياة، ثم دعوا بعمرو بن الصّعق فضرب عنقه وضرب اعناق أهل الحصن اجمعين وسبى كلّ من حوى حصنهم وغنم ما فيه، ووجد في بيتهم اربعين غلاماً يتعلّمون الانجيل عليهم باب مُغلّق فكسره عنهم وقال ما انتم؟ قالوا رُهْن، فقسمهم فسي أهل البلاء. وبعض اجزاء هذه الرواية لا يخلو من فائدة كبيرة، فنرى ان الواحة العظيمة التي تقع عين التمر فيها لم تعد ملكاً لقبيلة بكر بن وائل، بل ان قبائل أخرى وخاصة تغلب ادّعت ملكيتها. وما لاريب فيه ان الشبان المحتجزين هناك بصفة رهائن كانوا ابناء مختلف الرؤساء آتى بهم اقرباؤهم إلى مدرسة الدير في الحصن تعبيراً عن حسن النية من ناحية وبالاكراه من ناحية أخرى، تماماً كما أعطى رؤساء مختلفون في العصور اللاحقة ابناءهم او ابناء اقربائهم إلى السلطات العثمانية، التي قامت هي كذلك بارسالهم إلى القسطنطينية بغية ضمان اخلاصهم ونرس احتشام السلطة والحكومة فيهم. ان الكلمات التي استعملها سيف في وصف المسافين للموضع الذي احتله عقّة وعين التمر تشبه إلى حد كبير عبارات يستعملها البدو الآن. «روحه» وتعني مسيرة يوم، او المسافة التي يمكن قطعها قبل استراحة الليل، «يرواح». وتنعني «غلوة» كذلك نهاراً بأكمله زائداً فترة كبيرة قبل شروق شمس النهار التالي.

ولا يترجم كاتاني في المصدر السابق (المجلد ٢ ، ص ٩٧٨) الجملة التي ترد فيها هذه الكلمات ولا يشرحها: إذ أنه لا يحدد موقع طريق الكرخ حيث كان عقه يكمن لخالد . وفي اعتقادي ان الاخير كان الطريق المباشر المؤدي من الأنبار الى عين التمر ويمتد بين مستنقعات الحبانية والبحيرة (التي اشتق منها اسم الكرخ) ؛ اما المكان الذي كمن فيه عقه فدن المحتمل انه كان على مسافة خمسة وخمسين كيلو متراً شمالي عن النسر ، حيث المستنقعات الواقعة شمالاً و جنوباً على السواء ما كانت لتسمح لخالد بالانحراف عن الطريق .

عين التمر الى المصيخ

وبعد ان تم لخالد الاستيلاء على الانبار وعين التمر فلهب وجماعته الى واحدة دومة الجندل استجابة الى طلب النجدة المستعجل عياض . وعندما كان خالد مقيماً بلومة (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٢٠٦٧ ؛ انظر ايضاً كتابي : بادية الشام (ص ص ٥٥٠-٥٥٢) قام القرس بمحاولة لاستعادة الانبار وقالوا وقد كان خالد اقام بلومة ، فظن الاعاجم به ، وكانهم عرب الجزيرة غضباً لعقه ، فخرج زرمهر من بغداد ومعه روزه ، يريدان الانبار ، واتعلوا حصيداً والخنافس فكتب الزرقان وهو على الانبار الى القعقاع بن عمرو وهو يومئذ خليفة خالد على الحيرة فبعث القعقاع أعبد بن قديسي السحدي وأمره بالحصيد ، وبعث عروة بن الجعد البارقي وأمره بالخنافس ، وقال لهما ان رأيتما مقدماً فأقلما ، فخرجتا فحالا بينهما وبين الريف واغلقاهما ، وانتظر روزه وزرمهر اجتماع من كاتبهما من ربيعة ، وقد كانوا اتكأوا واتعلوا . فلما رجع خالد من دومة الى الحيرة على الظاهر وبلغه ذلك وقد عزم على مضادة اهل المذائن كره خلاف ابي بكر وأن يتعلق عليه بشيء ، فبعث القعقاع بن عمرو وابا ليلى بن قديسي الى روزه وزرمهر فسبقاه الى عين التمر ، وقدم على خالد كتاب امرى القيس الكلبى ان الهذيل بن عيران قد عسكر بالمصيخ ونزل ربيعة بن بجير بالثنى وبالبشر في عسكر غضباً لعقه يريدان زرمهر وروژه ، فخرج خالد وعلى مقدمته لأقرع بن حابس

واستخلف على الحيرة عياض بن غنم وأخذ طريق القعقاع وأبى ليلي إلى الخنافس حتى قدم عليهما بالعين، فبعث القعقاع إلى حصييد وأمره على الناس، وبعث أبا ليلي إلى الخنافس وقال ليجمعوا ومن استثنأهم والأقوا فاعلم فأبى إلا المقام.

خبر حصييد

فلما رأى القعقاع ان رزمهر وروزبه لا يتحرر كان سار فحسب حصييد وعلى من مر به من العرب والعجم وروزبه ولما رأى روزبه ان القعقاع قد قصد له استمد زرمهر، فامده بنفسه واستخلف على عسكره المهيوذان فالتقوا بحصييد، فاقتلوا فقتل الله العجم مقتلة عظيمة، وقتل القعقاع زرمهر، وقتل روزبه قتله عصمة بن عبد الله أحد بني الحارث بن طريف من بني ضبة، وكان عصمة من البررة، وكل فخذ هاجرت بأسرها تلجى البررة، وكل قوم هاجروا من بطن يدعون الخير فكان المسلمون خيررة وبررة. وغنم المسلمون يوم حصييد غنائم كثيرة، وأرز فلأكل حصييد إلى الخنافس فاجتمعوا بها.

الخنافس

وسار أبو ليلي بن فديكي بمن معه ومن قدم عليه نحو الخنافس، وقد أرزت فلأكل حصييد إلى المهيوذان، فلما أحس المهيوذان حرب ومن معه وأرزوا إلى المصبيح وبه الهذيل بن عمران ولم يلق بالخنافس كيذا وبعثوا إلى خالد بالخبر جميعا. ويقول ياقوت، في معجمه (فستفقد)، المجلد ٢، ص ٢٨٠ (الحصييد موضع في أطراف العراق من جهة الجزيرة. أي على الضفة اليمنى من الفرات؛ قال نصر حصييد وأد بين الكوفة والشام أوقع به القعقاع بن عمرو سنة ١٣ بالمعجم ومن تجمع الها من تغلب وربيعة وقعة منكورة.

ويكتب كاي تاني في المصدر السابق (، المجلد ٢، ص ٩٨١، ملاحظة ١٢، ان ياقوت ٢ و ١٠ وما بعده) (والأصح، المجلد ٢، ص ٢٨٠، الأسطر ١٠ وما بعد)، يؤكد ان المعركة وقعت في عام ١٣ هـ، أي بعد مغادرة خالد إلى الشام، وبمساعدة القائد المتني بن حارثه فقط. أما ياقوت فيذكر القعقاع بن عمرو فقط ولا يذكر المتني. والسنة ١٢ المكتوبة بالعربية كان يمكن بسهولة على ياقوت نقلها ١٣ خطأ.

ويتابع سيف كلامه فيقول : « قالوا ولما انتهى الخبر الى خالد بمُصاب
اهل الحصيد وهرب اهل الخنافس كتب اليهم ووعدهم القمعاق واما لبلى وأبعد
وعُروة ليلة وساعة يجتمعون فيها الى المصبيخ وهويين حوران والقنذت وخرج
خالد من العين قاصداً للمصبيخ على الإبل يجنب الخيل فتزل الجناب فالبردان
فالحنى ، واستقل من الحنى فلما كان تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا
جميعاً بالمصبيخ فأغاروا على الهذيل ومن معه ومن اوى اليه وهم نائمون
من ثلاثة اوجه فقتلوههم وأفلت الهذيل في اناس قليل وامتلأ الفضاء قتلى » .
ان هذا التقرير يُظهر ان الرواة الذين استقى سيف معلوماتهم كانوا
على دراية جيدة بجميع الظروف وبالترتيب الطبوغرافي لتلك المنطقة ايضاً .
وما دام العدو محتلاً للحصيدوالخنافس ، فما كان في استطاعة خالد مغادرة
عين التمر ، لانه في تلك الحالة كان يمكن ان تنقطع بسهولة اتصالاته مع
الحيرة . اذ لم يعد يخوض حرباً في اراضي قبيلة بكر بن وائل ، وهم الذين
تحالفوا معه ضد الفرس ، بل في اراضي اعوان الفرس ، قبيلتي تغلب وربيعة ،
الذين كانوا انذاك يتجمعون في نقاط مختلفة ليخرجوه من ديارهم بمساعدة
الفرس . إلا أنه لكي يتجمع الاعراب على هذه الشاكلة فانهم على العموم يحتاجون
الى وقت طويل ، فالعشائر المتعددة غالباً ما تخيم على بعد مسيرة أيام كثيرة
بعضها عن بعض ، خاصة في موسم الأمطار ، وحتى عندما يصل الخبر الى
مقاتليهم ، لا يستطيعون دائماً ترك قطعاتهم فوراً والاسراع الى مضارب خيامهم
المشتركة . فلا بد ان تُتخذ التدابير أولاً لحماية عوائلهم وقطعانهم . وعليهم ان
يجدوا لنصب خيامهم اماكن قريبة من آثار غزيرة الماء ووسط مرعى جيداً
يمكن الدفاع عنه بسهولة . وربما تمضي عدة اسابيع احياناً قبل ان يحصلوا
على كل هذا ويجلبوا عوائلهم وماشيتهم الى هناك . وبعد اكمال كل هذه
التدابير فقط يستطيع المقاتلون التوجه الى موقع التجمع المحدد ، حيث يتناولون
في جميع الأخبار التي يجلبها جواسيسهم مما يقوم به العدو من تحركات
جديدة .

ولاريب انسه كان من الضروري التداول في قضايا كثيرة في المصبيخ
اذ ان الهاربين من الحصيد والخنافس لم يكونوا من عوامل اشاعة الانسجام .
إلا ان خالداً ، كعادته في التكتيك الحربي المداهم ، فاجأ العرب قبل ان
يتمكنوا من اتخاذ قرار . فبعد أن تخلّص من العدو على جناحيه في الحصيد
والخنافس تمكن من التقدم بجراًة ضد قبائل الشمال الشرقي وأحمد تحسبهم
للقتال . وكان يعرف جيداً أنه إن استطاع مفاجأتهم وسحقهم في خيامهم فإن
شمال بلاد العرب بأسره سيخضع للمسلمين ، وإن خطته معقود لها النجاح اذا
إنطلق حال أسلمه خبر الهزيمة عند الحصيد والقرار من الخنافس . ففي حالة
وصول الخبر الى خالد في الصباح في عين التمر فإن الجيش الموجه على الخنافس
كان يمكن ان يتلقى الأمر الجديد بالترحف في تلك الليلة والتقدم على المصبيخ ،
بينما يستطيع خالد - وجيشه على اهمية الاستعداد - الشروع من عين التمر
قبل ظهر اليوم التالي . ويقع هدفه : المصبيخ ، بين حوران والقلت ، وكلا الموضعين
باق حتى الآن .

ويرغم كابتاني في المصدر السابق (مجلد ٢ ، ص ص ٩٨٢ وما بعدها ،
ملاحظة ١) ان حوران هذه لا بد ان تكون غلطة أخرى وقع بها سيف او أحد
نساخه ، او ان سيفاً يشير الى اسماء خيالية ، انه يعتقد ان هذا ايضاً ينطبق على
القلت . فيذكر في الملاحظة ٢ د ، ان البكري والهمداني ، وهما اثنان من
أقدم وافضل مصادرنا الجغرافية عن الجزيرة العربية ، لا يعلمان شيئاً البتة عن
هذين الموضعين اللذين ، وفقاً لسيف ، يقعان في السماوة . ولذا فإن كابتاني
صنفهما مع المواضع الجغرافية الكثيرة التي انفرد سيف بذكرها ، وهذا مما يجعل
وجودهما عند كابتاني موضع شك كبير . ومع ذلك فإن حوران التي ذكرها سيف
كانت معروفة لدى الجغرافي بطليموس : (اورانتيس)
(الجغرافية ، ٥ ، ٢٠ : ٣) ، وأنه واد طويل ينتهي عند الفرات نحو ١٦٠
كيلومتراً شمال غربي عين التمر . كما تقع ايضاً القلت وبردان والحني في المنطقة
التي يحدد سيف مواقعهم فيها . ولذا من غير المقبول واتهام التشكك بوجودهم
سيف بالاختلاق . اما ان الهمداني الذي يشير اليه كابتاني قلما يعلم عن

طوبوغرافية شمال بلاد العرب فهي حقيقة معروفة عموماً . كما ان اطلاق
 البكري المحلود على المنطقة نفسها يظهر في حالات كثيرة . وفيما يتعلق
 بالقلت فاني اوجه النظر الى بئر ابي جلته نحو خمسة وسبعين كيلومتراً في
 جنوب - الجنوب الشرقي من عقلة حوران . ان مضرب خيام المصبيخ ، الذي
 يمكن البحث عنه في مكان ما بينهما ، كان له ولا ريب منهل جيد . ولم اعثر
 على اسمه ، الا ان موقعه كما يتطلبه السياق يكاد يكون مؤكداً ، اذ ان اسماء
 المواضع التي مرّ بها خالده تؤيدنا في الموضع الذي حددناه لها . فمن عين التمر
 ركب خالده عن طريق الجنب وبردان والحني الى المصبيخ . انني احدث موضع
 الجنب عند عين العصيبة اللدافقة ، على بعد ٢٧ كيلومتراً في شمال - الشمال
 الغربي لعين التمر . وتتطابق بردان مع منهل بردان ، على مسافة عشرة
 كيلومترات أبعد الى الشمال الغربي ، بينما تكون الحني على بعد ٦٠
 كيلومتراً من بردان ، الى الشمال الغربي ايضاً . ان هذه المواقع تُظهر
 جلياً الاتجاه الذي سار فيه خالده . ولا يمكن ان نأخذ (الجنب) التي اوردها
 سيف على انها الموضع الذي حدده ياقوت في المصدر السابق (المجلد ٢ ،
 ص ١١٩ وما بعدها) في منطقة الكلبين ، كما فعل كايثاني في المصدر السابق ،
 (المجلد ٢ ، ص ٩٨٣ ، ملاحظة ٣ أ) لان جميع الاماكن التي ذكرت سوية
 مع الجنب هذه في الاشعار التي اقتطفها ياقوت تقع في النصف الغربي من
 بلاد العرب الشمالية . فهنا ، شرقي منطقة مآب وشرقي المشتى ، يوجد مخيم
 الجنب الريعي المعروف الذي كان وقتاً ما مُلكاً لقبيلة كلب التي لم
 يكن موطنها بجوار عين التمر قط .

وقد استشهد الطبري برواية شاعر شامه. عيان (المصدر السابق السلسلة ١
 ص ٢١٤) قال فاغار بناخالدمن سؤى على مصبيخ بهراء بالقصواني ، ماء من
 الماء فصبيح المصبيخ والنمير وانهم لغارون وان رفقة لتشرب في وجه
 الصبيح وساقهم يغنيهم بقول

الأصبيحاني قبل جبيش ابي بكر

فضربت عنقه فاخطط دمه بخمره ٥

وبرغم الاستشهاد بشاهد عيان فإن هذا السجل يحتوي الكثير مما يستحيل تعيين موضعه بعد وصول خالد الى سِوَاء ، أما ان يكون خالد قد هاجم مخيم بهراء بعد وصوله الى سِوَاء فيؤيده تقريباً جميع رواة هذه الأحداث . فاستناداً الى بعضهم فإن أحد المغنين لقي حتفه في القوضى التي صاحبت الهجوم ، واستناداً الى آخرين فإن مغنياً يدعى حرقوص سقط قتيلًا إما في البشر او في المصيخ . والمصيخ وفقاً لهذا التقرير هو منهل يقع في القصواني . وقد رأينا ان رواة سيف ، على اي حال ، لا يحددون موضع المصيخ قرب سِوَاء وإنما يقولون انه بين شعيب ابو جلته (القلت) ووادي حوران . وتدعى المنطقة المتاخمة لوادي حوران في الجنوب بالقاصي .

ويظهر ان هذه تناظر القصواني ، وبهذا تقدم حجة جديدة على صحة بيانات سيف الطوبوغرافية . وعلى هذا قد يكون المصيخ هو منهل عين الارنب في يومنا هذا ، فضلاً عن ذلك ، فإن هذا الموقع تؤيده الحقيقة بان هذه المنطقة المجاورة كانت في العادة مضرب خيام قبيلة النمر ، التي تعزو اليها بعض الروايات ملكية الاراضي شمال غربي عين التمر (ابو الفرج ، الاغانى [القاهرة ، ١٢٨٥ هـ] ، المجلد ٢٠ ، ص ص ١٢٧ وما بعدها و ١٣٤) .

الى البشر والعودة الى الحيرة

يخبرنا سيف (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ص ٢٠٧٢ وما بعدها) ان خالداً زحف من المصيخ مسافة ابعد الى الشمال الغربي لمباغنة التغلبين ايضاً في ساحات تجمعهم الأخرى فيذكر « وزحف القعقاع وقد نزل ربيعة بن بَحِيرِ التغلبي التَّسَبَّى والبشترَ غضباً لِسَقَّةِ وواعد رُوْزبه وزرْمهر والهذيل ، فلما اصاب خالد أهل المصيخ بما اصابهم به تقدم الى القعقاع والى ابني ليل بأن يرتحلا امامه وواعدهما الليلة ليفترقا فيها للغارة عليهم من ثلاثة اوجه كما فعل بأهل المصيخ . ثم خرج خالد من المصيخ فنزل حوران ثم الرق ثم الحماة ، وهي اليوم لبنى جنادة بي زهير مسن كلب ثم الزُمَيْل

وهو البشر والثَّنيّ معه، وهما اليوم شرقيّ الرُّصافة ؛ فبدأ بالثَّنيّ واجتمع هو واصحابه فيبيته من ثلاثة اوجه يائناً ومن اجتمع له واليه ومن تأشَّب لذلك من الشَّان فجردوا فيهم السيوف فلم يُقْلَت من ذلك الجيش مُخْبِر، وامتبى الشَّرخ . .
ثم عطف خالد من البشر الى الرُّضاب وبها هلال بن عَقَّة وقد ارفض عنه اصحابه حين سمعوا بدينو خالد واقشع عنها هلال فلم يلق كيلاً بها . »

ووفقاً لهذا الجزء من الرواية فان خالداً زحف من المصيخ الى البشر .
والبشر (او كما تدعى اليوم ، البشري) هو أقصى الطرف الشرقي ،
نحو مئة كيلومتر طولاً ، من السلسلة الجبلية الممتدة بأسماء مختلفة من
مسلسلة جبال لبنان شمالاً شرقياً والمنتحية عند القرات .

ويحدد كايثاني في المصدر السابق (المجلد ٢ ، ص ١٢٢٩) موقع
البشر الى يسار القرات شمالي تدمر ، برغم ان جميع الكتاب من الألف
الثاني قبل المسيح كانوا يعرفون البشر على انه يقع على يمين النهر . وكانت
تلمر بعيدة الى الجنوب الغربي من البشر بمسافة بعيدة . »

وحتى اليوم فان قبائل ضنا البشر ، وهم من مجموعة عنيزة ، الذين
يتجولون بين النجف وحلب ، تعتبر البشري مركزاً لمخيماتهما ، اذ انهم
دائماً يجلبون ماءً هناك وفي استطاعتهم الدفاع عن انفسهم بسهولة حتى
ضد عدو يفوقهم قوة . ومن هذه المنطقة كان خالد مهتداً بخطر كان
يرغب في تفاديه بسرعة . فقد اجتمع التغليبيون عند الثني والزُميل . وتقع
الثني عند السفح الجنوبي لجبيل البشر . انه واطى نسبياً ومنعزل ويمكن
رؤيته من بعيد ويدعى الآن جبيلة الثني او الجبيلة (التل الصغير) اختصاراً .

ومن على قمته يمتد منظر رائع بعيداً الى الشرق والجنوب والغرب ، وإلى
الجنوب الشرقي منه توجد عدة اماكن للسقاية . وتشكل الاراضي المجاورة
موقعاً جيداً يصلح لاقامة الخيام . ويمكن قول الشيء نفسه عن مرتفع الزُميل
(الزُميل في رواية سيف) في الارض المستوية شمالي البشري .

ولأجل الوصول الى مضربي الخيام هذين أسرع خالداً الآن بأقصى سرعة ممكنة . ان الامر الذي اصلده للقائدين القعقاع وابي ليلي بالسير قبله كان حكيماً جداً ، فهذه الطريقة خففت شعورهم بالحاجة الشديدة الى المراعي . وأمكن تجنب الازدحام عندما مكن السقاية بسهولة اكثر . اما خالداً نفسه فسلك الطريق المؤدي من المصبيخ الى الشمال الغربي . ولعل مضرب خيام حوران الذي اورده سيف يطابق مع مكان سقاية عقلة حوران في وادي حوران . ويطابق مضرب الخيام التسالي ، «الرنسق» ، مع الرنقه . والكلمة الاخشيرة فسي العربية يمكن بسهولة تهجتها خطأ وكتابتها «الرنق» . ويرغم ان اسم «الرنق» غير معروف شمالي عقلة حوران ، فإن الرنقه منهل مشهور يبعد نحو ١٤٠ كيلو متراً شمال غربي عقلة حوران . ولا اعرف المحطة التالية ، حمه .

وبرغم المنظر الواسع الذي يتجلى من قمم تل الثني ، فإن مجيء قوة خالدا لم يلاحظها الحراس التغليبيون المقيمون هناك . فمن المحتمل انه اخترق الاراضي المنخفضة بين المرتفعات المجاورة المختلفة واقترب من المخيم ليلاً . وحدث الشيء نفسه قرب الزميل حيث كان البدو يعتقدون انهم يخيمون في مأمن تام من الاختلاس ، اذ علموا ان مواطنيهم كانوا يقومون بحراسة الطرق المخترقة للجيل من الجنوب الى الشمال . واستناداً الى سيف فقد كان مضرب خيام الرضاب خارج حدود البشري ، واعتماداً على السياق يجب البحث عنها شمالي الزميلي .

ويطلق ياقوت في المصدر السابق (المجلد ٢ ، ٧٨٩) اسم الرضاب على المكان الذي بنى فيه الخليفة هشام فيما بعد مسكنه ، الرصافة . ولكن بما ان الرصافة كانت قد بنيت قبل عهد هشام وخالدا بوقت طويل فالاستنتاج الوحيد من قول ياقوت هو ان رواته وضعوا الرضاب قرب المنطقة المجاورة للرصافة . فإن كانت هذه هي الحالة فنستطيع بسهولة ان نفهم كيف استطاع التغليبيون المخيمون عند الرضاب ، الهرب . فعندما علموا في الوقت المناسب بالغارة على الزميل فروا وزوجاتهم واطفالهم ومواشيهم الى بلدة الرصافة المجاورة التي حذرت

جيرانها البيضاء خالداً من بعيد . فهو يستطيع ترك هذا المكان وشأنه ، فإن المهمة التي وضعها نصب عينيه قد انجزها على النحو الذي اراد تماماً . فكان النصف الشرقي لشمال بلاد العرب يرتجف امام المسلمين .

وبعد دحر التغلبيين دحراً مفاجئاً وكاملاً (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٢٠٧٤ وما بعدها) يمضي سيف ليروي ان خالداً استلدار نحو القراض ، وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة . ان السياق بأكمله يبرر الاعتقاد ان خالداً لم يذهب من الرضاب ابعداً الى الشمال او الشمال الغربي ، بل انه عاد الى الجنوب الشرقي بعد ان تطهرت اماكن تجمع التغلبيين . على ان قلاع البيزنطيين لم تكن بعيدة عنه . ومن المؤكد ان خالداً لم ينو محاربة البيزنطيين ايضاً . ولهذا قفل عائداً . وفي زحفه الى البشري اتبع طريق النقل خلال الصحراء بعيداً عن القرات . ومن المحتمل انه وفي اثناء رجوعه ، اقترب من النهر العظيم ليتمون من القرى في تلك المنطقة . ان التقرير الذي استشهدنا به يذكر بالاسم قرية القراض . وهي جمع الفُرصة ، وهي اسم محطة معروفة لدى جميع الجغرافيين العرب على الضفة اليمنى للفرات فيها يفرع طريق الى البشري . انها تطابق خرائب الصالحية الحالية .

وفي تلك الاثناء اخذ البيزنطيون وحاميات الحدود الفارسية وكذلك القبائل البدوية المختلفة يتجمعون مقابل القراض على الضفة اليسرى للفرات . ثم عبروا منطقة اسفل من القراض الى الضفة اليمنى وهاجموا خالداً ، الا انه سم (المصدر نفسه) اصابوا بهزيمة تامة . ويروى ان مئة الف رجل سقطوا قتل . وبقي خالد عشرة ايام أخرى عند القراض حيث عاد منه الى الحيرة . — والأرقام تكاد تكون دائماً مبالغاً فيها ، الا ان القتال نفسه ربما كان حقيقياً . فقد كان من بين أسرى خالد بدو وفرس من رعايا الروم والسامانيين . وما لا شك فيه ان التغلبيين الذين كانوا قد هربوا من البشري الى

الضفة اليسرى ، تسد اخبروا الحراس الروم والفرس هناك بما حدث ، وان
الأخيرين معززون بالبلو المقيمين على الضفة اليسرى ، قاموا بمحاولة
لقطع الطريق الذي كان المسلمون عائدین منه ولإطلاق مراح الأسرى . وعند
هبورهم الفرات جنوب شرقي الفراض قاموا بمهاجمة المسلمين ، فكان نصيبهم الاندحار .

واستناداً الى الطبري (المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ص ٢٠٧٥ وما
بعدها) ، الذي لسم يذكسر مصدره ، « فإن خالداً اثناء عودته من الفراض
خروجاً مكتئباً بحجة ، ومعه عدة من اصحابه ، يعتسف البلاد حتى اتى قلة
بالسبت ، فتأثى له من ذلك ما لم يتأتى للبلبل ولا لريال .. فكانت غيبته عن
الجند يسرة ، فما توانى الى الحيرة آخرهم حتى وافاهم .. وكان مسير خالداً من
الفراض ان استعرض البلاد ، متعسفاً متسماً ، فقطع طريق الفراض ماء
العنبري ثم منقبا ثم انتهى الى ذات عرق فشرق منها ، فاسلمه الى
عرفات من الفراض .

ان المسافة من مكة الى الفراض يخط مستقيم هي اكثر من ٨٠٠ كيلومتر
والى الحيرة من مكة ما يزيد على ٧٠٠ ، ولهذا فقد كان خالد يتطلب لرحلته
وحدها خمسة وعشرين يوماً في الأقل ، حتى لو كانت معه عدة جمال جيدة ؛
لانه لم يكن في امكانه إجهاد قواه الجسمانية لمدة غير محدودة . ومن الناحية
الأخرى ، فلو كان جنده المقاتلون قد واصبوا سيرهم على مقربة من الفرات ،
آخذين قسطنهم من الراحة مع حيواناتهم بجانب الطريق وكانوا مضطرين للحصول
على تموينهم من الترسى التي مروا بها ، فانهم ما كانوا يقدرّون على قطع
المسافة من الفراض الى الحيرة في ثلاثين يوماً . وعليه فليس من المستحيل تماماً
ان يكون خالد قد عاد من مكة الى الحيرة في الوقت الذي عاد فيه مقاتلوه .
ومع ذلك لا استطيع فهم سبب اضطرار خالد ترك جيشه والسفر متكرراً الى
مكة . إن الاماكن التي كان عليه اجتيازها في هذه الرحلة وهي : العنبري ومنقب
وذات عرق يمكن ، بالطبع ، التعرف بها في شمال بلاد العرب ، ولكن من
الصعب حقاً معرفة سبب عدم قيام خالد عندما كان قريباً جداً من المدينة
بزيارة ابني بكر المتسني له التخير والتفاخر بانتصاراته .

الملحق الثامن

بربالييسوس وبالس وثبساكوس للمؤلف زينوفون وابانيس

بربالييسوس وبالس

بالس هي بربالييسوس القديمة ، بيت بلش ، او باختصار بلش .
واستناداً الى بطليموس ، في جغرافيته (٥ ، ١٥ : ١٧) فقد كانت
بلدة بربالييسوس تقع في خاليونيتس على الفرات .

فعلى جدول بوتنكر (فينا ، ١٨٨٨ ، الجزء ١٠) تظهر بربالييسوس
بكخط على الطريق الروماني الممتد بمحاذاة الضفة اليمنى للفرات .

وبعد عام ٢٩٣ م كانت بربالييسوس تعود الى اقليم اوغسطا الواقعة على
الفرات وكانت حاميها مكونة من فرسان دالماتيا الألبانيين (أخبار المشاهير
، المشرق ٣٣ ، العدد ٢٥) .

وفي نهاية القرن الثالث او بداية الرابع للميلاد اصدر القائد اثنيوخوس
وامره بأن يعذب باخوس ، نائب قائد حرس فلسطين الاجنبي حتى
الموت ، ورفض ان يسمح بدفن جثته . حدث هذا في حصن برباريسوس
الواقع في ابرشية اوغسطا عند القرات على الحدود بالقرب من السراقة .
الا انه في المساء جاء بعض الاخوان المنتسكين ، وكانوا يسكنون في الكهوف
القرية ، ودفنوا الجثة في أحد كهوفهم . وبعد هذا بفترة قصيرة اخذوا جثمان باخوس
من الكهف واعادوا دفنه بجانب القديس سيرجيوس في الرصافة (بولاند
لوثائق الكنسية ، الثمن ، المجلد ٣ ، [١٧٧٠] ص ص ٨٣٥ وما بعدها ،
[شنرات بولانديه ، المجلد ١٤] ، ص ص ٣٨٤ وما بعدها) .

ان قائمة للتواقيع العربية للمجلس الكنسي فسي نكائيه لعام ٣٢٥ م

تتضمن توقيع المطران انطونيوس البرباليسي . ويفسر جلازرو في مؤلفه (اسماء مشاهير الآباء من نكاية (١٨٩٨) ، ص ١٧١) برباليس بأنها هيرابوليس ، الا ان القائمة نفسها (المصدر نفسه ، ص ص ١٤٧ و ١٦٥) تتضمن ايضاً توقيع المطران فيلوكسينوس من منبج التي تتطابق مع هيرابوليس . ولا يرد ذكر المطران انطونيوس من برباليسوس في النصوص الاخرى . وفي اثناء الاثناقات بين الاسكتار مطران هيرابوليس ، ويوحنا بطريك انطاكية ، بعد مجلس افسوس في عام ٤٣١ قام البطريك يوحنا بطرد المطران اسيلينوس البرباليسي من الحصن (منسي) ، في المجمع الكني [١٧٩٨ - ١٧٥٩] ، المجلد ٥ ، العمود ٩٦٦) وعين في منصب مطران بدله بصورة غير مشروعة شخص يدعى ماريتيانوس (المصدر نفسه ، العمودان ٩٠٨ و ٩١٣) .

ويكتب اسطيغان اليزنطي في كتابه الأجناس (مانيكه) ، ص ١٥٨) ان برباليسوس هي بلدة محصنة . ويذكر ليودوميوس ، في كتابه موقع الارض المقدسة (جاير ص ١٥٠) ان المسافة من كورفو الى برباريسو ، حيث قُتل القديسان سيرجيوس وبأكتو ، ستون ميلاً . ومن برباريسو وحتى اينيابولي . . . في كالونيكو ثمانون ميلاً . ومن كالونيكو الى قسطنطينة ، ستون ميلاً . ومن المحتمل ان اينيابولي محرفة عن ليونتوبولي ، كما كانت تدعى كالينيكيوس احياناً . والمسافة هي ليست ثمانين بل مائتارب سبعين ميلاً فقط (اي ٩٨ كيلو متراً) .

وفي ربيع عام ٥٤٠ م سار كسرى الأول بطريق زنوبيا (حلبية) وسورا (سوريا) على بلدة هيرابوليس (منبج) ، التي اقتدت نفسها ، ثم تقدم على يبروثيا وانطاكية ، فاستولى عليهما وهدمهما .

وبعد مغادرته انطاكية . هاجم ميناء سلوقية اخامية وخالكيس ، وكانت البلدة الاخيرة على بعد ٨٤ ستاد من يبروثيا . ولما عزم كسرى على ايصال

غنائمه الى بلاد فارس بأمان لم يعد من الطريق الذي أتى منه بمحاذاة الضفة اليسرى للفرات ، إنما أمر بنصب جسر قوارب على النهر عند بلدة أباتيس التي تبعد أربعين ستاداً من حصن برباليسوس ، وهناك عبر الى الضفة اليسرى ووصل الى إديسا من طريق بلدة بتنا الصغيرة (بروكويوس في كتابه الحرب الفارسية ، ٢ ، ٥ - ١٢) . فان كان كسرى قد استطاع الانطلاق من أباتيس الى بلاد ما بين النهرين مع هذا العدد من آلاف الأسرى والغنائم الكثيرة جداً ، فلا بد أن كان هناك طريق جيد من ذلك المكان . ويمكن البحث عن مخاضة أباتيس في حقول الاسحاقية بجوار مخزائب سموما .

ويروي ميخائيل السوري في مدونته التاريخية (شابو) ، المجلد ٤ ، ص ٣٤٨) انه في العام التاسع من حكم الامبراطور جستنيان خرج القائد اذمون ، بأوامر من كسرى ونهب بيت بلش وقصرين (قاصرين) وبيت داما وضواحي بلدة كبول وقنيسرين وعساد بأسرى كثيرين (ييجان في سجل الشهداء والقديسين ، مجلد ٣ ، ص ٣٩٩) .

وفي العام الخامس عشر من حكم الامبراطور جستنيان نهب الفاروس كاليينيكوس وبيت بلش واخذوا معهم مخلفات الشهيد باخوس وكذلك الزينات الذهبية من للتابوت الحجري للقديس سرجيوس (ميخائيل البوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٢٩٦) .

وقد اولى جستنيان انتباهاً كبيراً لجميع المدن والقصر المحيطة على حدود إقليم الفرات مثل برباليسوس وفوقيساريه وكابولون (كابولا) الخ . (بروكويوس ، المباني ، ٢ ، ٩ : ١٠) .

ويقبل اتونين من ياجترا ، في رحلته (جابر ، ص ١٩١) انه قام برحلة من كران (كاري) مسقط رأس ابراهيم ، الى بلدة برباريسو حيث استراح القديس باخوس ، اخو القديس سرجيوس . وكذلك

يرهن هذا السجل ، وكان القصد منه ان يكون دليلاً للحجاج ،
ان طريقاً للنقل ، امتد من كاري (حران) الى برباليسوس ،
وان مخاضة القنرات . كانت : في جوار بالس في يومنا هذا .

في السهل الممتد بين بالس والرتقة - ح ديسر مارحانيا (مية خائيل
السوري ، المصدر السابق ، المجلد ص ٣٧٩) . - ولعل مارحانيا
يتطابق مع خربة مدينة القار .

وعندما تقدم ابو عبيدة بالجيش الاسلامي الى هذه المنطقة « قدم مقدمته الى بالس ،
وبعث جيشاً عليه حبيب بن مسلمة الى قاصرين ، وكانت بالس وقاصرين لاختوين
من اشراف الروم .

فلما نزل المسلمون بها صالحهم على الجزيرة والجللاء ، فجلا اكثرهم
الى بلاد الروم وارض الجزيرة وقرية جسر منبج .. ورتب ابو عبيدة بالس جماعة
من المقاتلة واسكنها قوماً من العرب الذين كانوا بالشام فاسلموا بعد قدوم
المسلمين الشام وقوماً لم يكونوا من البعوث فزعوا من البوادي من قيس ،
واسكن قاصرين قوماً ثم رفضوها واعقابهم بها .. وكانت بالس والقرى المنسوبة
اليها في حينها الاعلى والاووسط والاسفل اعداء عشيرة فلما كان مسلمة بن عبد الملك
بن مروان توجهه غازياً للروم من نحر الثغور الجزرية عسكر ببالس فأتاه
اهلها واهل بولس وقاصرين وعابرين ، صنفين ، وهي قرى منسوبة اليها ،
فأتاه اهل الجبد الاعلى فسأله جميعاً ان يحفر لهم نهراً من القنرات يسقي
على ان يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعد عشر السلطان الذي كان يأخذه ، ففعل ،
فحفر النهر المعروف بنهر مسلمة ، ووضوا له بالشروط ، ورم سور المدينة
وأحكمه . فلما مات مسلمة صارت بالس وقراها لورثته فلم تزل في ايديهم
الى أن جاءت الدولة المباركة (العباسية) ، وبقي عبد الله بن علي اموال بني امية قد
دخلت فيها (البلاذري ، الفتوح [دي خويه] ، ص ص ١٥٠ وما بعدها) ، الشيه
بذيو نيسوس النملجري ، الدولة [شابو] ، ص ص ٢٦ وما بعدها) .

ويذكر البلاذري قسراً أعلى من بالس دون تسمياتها وتلك التي ذكر أنها واقعة أسفل من بالس يجب البحث عنها بين هذه القرية وصفين . وربما أمكن الاهتداء الى بوبلس في ركام الخرائب عند الطرف الشرقي لشعيب أم خروم ؛ وقاصرين في خرائب الحويره شرقي قصير الاسبى ؛ وعابدين في ركام الخرائب على الجانب الايمن لقناة ري قديمة أبعد الى الشرق بمسافة اكبر . وعليه فلا بد ان صفين كانت ، استناداً الى هذه الرواية ، مطابقة مع ابي هريرة الحالية ، لان القناة التي تروي بالس والقرى الاخرى كان يمكن ان تمتد الى هذا الحد فقط . وما لاريب فيه ان هذه القناة تفرعت من الفرات أسفل من بلدة الطنوزه عند الموضع الذي ينحرف النهر فيه من اتجاه جنوبي الى شرقي . إن بقايا مثل هذه القناة القديمة ، وهي دون شك نهر مسلمة ، ظاهرة للعيان من حقول الملاح حتى ابو هريرة . وما بين طرف شعيب ام خروم وخربة الدبس وكذلك بالقرب من ابو هريرة غير الفرات مجراه واخذ هذه القناة . ومن غير المؤكد ما اذا كان مسلمة قد أمر بحفر نهر جديد ، والاكثر احتمالاً أنه أمر بتطهير نهر قديم . ويمكن الاستدلال على هذا ايضاً من واقع ان المؤلفين العرب اللاحقين لا يذكرون نهر مسلمة على الاطلاق . فلا بد اذن انها انضمرت ثانية .

ويربط ميخائيل السوري ايضاً قاصرين بصفين (المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٣٤٨) ، وكذلك يفعل ثيوفانيس ، في كتابه كرونوغرافيا (دي بور) ، ص ص ٣٤٦ وما بعده (ويقولان انه في عام ٦٥٧ م عسكر معاوية ما وراء برباليسومي قرب قيسريون (قيساريوم) وعسكر جيش علي (ع) عند سابفين . — وتتطابق قيسرون مع قاصرين التي نعرفها ، وسابفين مع صفين .

ويذكر الشاعر عمرو [بن كلثوم] (المعلقات [تولدكه] ، ص ٢٤) قاصرين ، على انها المكان الذي شرب فيه نبيلاً جيداً .

ذكر باقوت في معجمه (فستقلد) ، المجلد ٤ ، ص ١٦) أن « قاصرين
بلد قسرب بالس التي تقسح على الفرات .

عاش أحفاد مسلمة عند بالس في الحصن الذي بناه هناك . وفي عام
٧٥٠م اغار مئة وخمسون من فرسان الجيش العباسي على بالس ، واساؤا
وقاقتهم معاملة اولاد مسلمة وزوجاتهم ثم وصل انصارهم لئجلتهم
وقتلوا المعتدين جميعاً (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ٣ ص
٥٢) .

وفي عام ٨٢٠م تشاور البطريك ديونيسيوس من تل محرى مع بضعة
مطارند في حصن بيت بلش وميخائيل السوري ، المصدر المجلد ٤ ، ص ٥٠٤).

وفي عام ٨٢١ م قام نصر بن شيبث ، زعيم المناوئين للنقوذ الفارسي
المتزايد ، بشراء حصن بيت بلش ، ووضع فيه حامية من أنصاره ، ثم
تقدم الى قناة الهني الذي يجري حول كاليينيكوس (المصدر نفسه ، ص ٥٠٥).

وقد هزم عبدالله بن طاهر اتباع نصر ؛ وفي عام ٨٢٥ م استولى على
حصن بيت بلش ، وكان يسكنه فيه كثير من المسيحيين الذين عانوا كثيراً أثناء
الحصار (المصدر نفسه ، ص ٥١٠) .

وفي عام ٨٥٩ م أحدث زلزال ضرراً جسيماً في بالس والرقه وبعض
المدن الأخرى (انطري ، المصدر السابق ، السلسلة ٣ ، ص ١٤٤٠) .

ويصف الاصطخري ، في مسالكة (دي خويه) ، ص ٦٢ بالس بأنها
« مدينة على شط الفرات صغيرة ، وهي اول مدن الشام من العراق والطريق
اليها عاصر ، فهي فرضة الفرات لاهل الشام وهذا يسدل
على انه من مخاضة بالس كان طريق نقل هام يؤدي الى المناطق الداخلية
لببلاد الجزيرة .

ويذكر ابن حوقل في المسالك (دي خويه) ، ص ١١٩ ، ان بلدة بالس
المسورة عانت كثيراً بعد موت صيف الدولة (٩٤٤ - ٩٦٧ م) ، الامير
٥٠٥

القوى المنطقة حلب . وكانت النتيجة ان القرائل التجارية توقفت عن المجيء الى هناك واقتصرت صادراتها على القمح والشعير فقط . وكانت بين البلدة والقرات مزارع واسعة . وفي آذار ، ١٠٦٠ م ، كانت بالس يحكمها عطية ، أخو عامسل حلب (ابن تغري بردي ، النجوم [الزاهره] [بوهر] المجلد ٢ ، الجزء ٢ ص ٢٢٧) .

ويذكر سيط ابن الجوزي (المرأة (دي مينار ، ص ٥٥٤) (مشيراً الى عام ١١١٥ م) ان الطريق من حلب الى الرقة كان يعبر القرات عند بالس ، اما الطريق من الرقة الى دمشق فكان يعبره عند الرمر (وهذه الكلمة نُقلت بحرفه في الترجمة الفرنسية على انها « الزور ») .

وفي عام ١١١٧ م حاصر الصليبيون حصن بالس ؛ ولكن دون جدوى ، فقد اضطروا الى الانسحاب امام الامدادات القادمة من ماردين (كمال الدين ، في تاريخه [دي مينار] ، ص ٦١٣) .

وفي عام ١١٨٢ - ١١٨٣ م ، في الحرب من أجل تركة نور الدين ، هُدم حصن بالس ، وفي عام ١٢٠٠ - ١٢٠١ م ، اثناء النزاع بين ورثة صلاح الدين انتهت بلدة بالس (كمال الدين ، التاريخ [ترجمه بلوشيه] ، مجلة الشرق باللاتينية ، المجلد ٤ ، ص ١٦٢ و ٢٢٣) .

ويصحح ابو الفضائل (المرصود [يوينبول] ، المجلد ١ ، ص ١٢٢) ما اورده ياقوت ويذكر انها على القرات من الجانب الغربي بينها وبين شاطي القرات يسير وهي تحت صفيين .

ان عبارة ياقوت لا تتفق مع رواية البلاذري ولا مع الحقائق . فعلى مسافة غير بعيدة الى الشرق من بلدة بالس يمكن رؤية قناة قديمة ، الا انه ليس ثمة اي أثر لمجرى قديم لنهر القرات . والمسافة من خرائب بالس الى القرات

تبلغ كيلو مترين تماماً ، ولا تقع بالس أسفل من صفين بل أعلى منها .

وفي عام ١٢٤٠ م عبر الخوارزميون على القرات جسر القوارب عند الرقة وانتهبوا بالس وفتكوا بجميع سكانها الذين لم يستطيعوا الحرب اما الى حلب او الى منبج . ثم عبروا ثانية القرات على الجسر ذاته في بداية عام ١٢٤١ م ووصلوا الى القاياء وديسر حافسر وجبّول وحتى نسل عرّن . وفي اثناء عودتهم نهبوا سلمية والرصافة (٨) ، حيث هزمهم العرب بقيادة علي بن حديثة ، وأخذت منهم غنائمهم . وثناء هروبهم متجهين صوب القرات عسكروا في ١٩ شباط (فبراير) مقابل الرقة والى الغرب والشمال من باليل . فاسرع الجنود الحلييون من طريق صفين لمتهم من عبور النهر إلا أنهم وصلوا متأخرين بساعة واحدة . فخذق الخوارزميون عند بستان باليل وراء استحكام وخذلق وصلوا جميع هجمات الحليين حتى غروب الشمس . وبعد ساعة من غروب الشمس عاد الجنود الحلييون الى صفين ولم يتركوا الا عسداً قليلاً من السرايا ، فقام الخوارزميون بقتلهم ومن ثم عبروا الى الرقة (كمال الدين ، المصدر السابق ، المجلد ٦ ، ص ٣ ، المقرزي ، السلوك [ترجمة بلوشية] ، ص ص ٤٦٨ وما بعدها) . ان دير حافر ، جبّول ، وتل عرّن هي قسرى تقع في غرب — الشمال الغربي من بالس .

وفي عام ١٢٥٧ م قام المافريان (المطران) صليبية التكريتي برحلة من طريق بلش الى حلب ، (ابن العسبري ، التاريخ الكنسي [ايلولس ولامي] المجلد ١ ، العمود ٧٢٣) .

وفي عام ١٢٦٠ م استولى المغول على حصن بلش ، وقتلوا جميع أهله ، وتركوا حاميتهم الخاصة بهم هناك (المؤلف السابق ، التاريخ السوري [بجان] ، ص ٥٣٢) .

(٨) وردت هذه الكلمة عند المؤلف بفتح الراء والصحيح الرصافة بضم الراء (المترجم) .

وينقل القزويني في عجائبه (فستنفلد) ، المجلد ٢ ، ص ٢٠٣ ماورد
في ياقوت ويذكر ان « بالس بلدة على ضفة للفرات بجانب الغربي ، فلم
تزل الفرات تشرق عنها قليلا حتى صار بينهما في ايامنا هذه اربعة أميال .
ويقول الدمشقي في النخبة (ميرين) ، ص ٢٠٥ » ان بالس
كانت مهجورة آنذاك ويقول انها بلدة قديمة بجانب الفرات غير
بعيدة عن صفين والرصافة ، والأخيرة بناها هشام بن عبد الملك على انقاض
ابنة اغريقية قديمة .

ويذكر حاجي خليفة ، في جهان نامه (٩) (القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ ،
ص ٥٩٣) الذي استخدم مصادر قديمة ، ان ناحيتي بالس والرصافة تعودان
الى ولاية قنسرين التي عاصمتها حلب ، وانها ، مثل بالس وقلعة جعبر
مأهولة بالتركمان ايضاً .

ويقول اوليا جلبي في تاريخه (ترجمة فون هامر) ،
المجلد ١ ، ص ٩٤) ان بالس منجق تابع لولاية حلب وانها تدفع لها
سنوياً ٢٠٠٠٠ قطعة من النقود .

ثيساكوس عند زينوفون

الى الشمال من بالس أحدد موقع مخاضة تفسح (ثيساكوس) القديمة
وذكر في سفر الملوك ، ٥ : ٤ ، أن سليمان حكم جميع البلاد التي
على الجالب الآخر من النهر (الفرات) من تفسح حتى غزة .

وتنص فقرة (٢) في سفر التواريخ ، ٨ : ٤ ، ان سليمان قام ايضاً بتحصين
تلعر في الصحراء . وحتى بلدة رصف ، الرصافة الآن ، ورد ذكرها

(٩) وردت جهان نومه هند مؤلفنا ، انصحبح جهان نامه وتعني سجل العالم
(المترجم) .

هسد الحديث عن سليمان ، وهسلما يوضح ، وفقاً لروايات التوراة ، انه سيطر على طرق نقل هامة . اما فيما يتعلق بتدمر فليس لدينا حتى الان سجلات أقدم عهداً ، الا أنه لا ينكر ان هذه الواحة كانت ذات اهمية كبيرة وذلك منذ وقت مبكر يرجع الى حكم الأخمينيين . ففي المشرق تعتبر اخبار النشاط العمراني للحكام الأوائل مصادر تاريخية على جانب كبير من الأهمية .

عبر زينوفون (انابسيس ، ١ ، ٤ : ١١) القرات من مخاضة ثساكوس في ربيع عام ٤٠١ ق . م مع جيش قورش الأصغر .

ويروي اريان (انابسيس ، ٣ ، ٧) الخبر نفسه عن الاسكندر الكبير ، الذي وجد في نهاية حزيران ، ٣٣١ ق . م ، عند ثساكوس جسري قوارب .

ويذكر سترابون (الجغرافيه ، ١٦ ، ١ : ١١) أنه وفقاً لارستوبولوس فقد امسر الاسكندر ببناء زوارق في فينيقيا وفي جزيرة قبرص حملها مفككة ، وأتى بها بمسيرة سبعة أيام الى ثساكوس حيث تمّ تجميع الاجزاء وإبحرت الزوارق منحدرة الى بابل (اريان ، المصدر السابق ، ٨ ، ١٩ ، بلوتارك ، الأسكتلو [مستتيس] ، ص ٣٥٤) .

واستناداً الى ارستوبولوس نفسه (سترابون ، المصدر السابق ، ١٦ ، ٣ : ٣) فإن شعب كرما حملوا بضائعهم على سفن خفيفة الى بابل ومن هناك على القرات حتى ثساكوس ، ومنها وزعت في انحاء القطر .

ويكتب كاسيوس ديو (التاريخ ، ٤٠ ، ١٧) أن كراسوس (في عام ٥١ ق . م) عبر القرات عند زوكما ، وأطلق اسم زوكما على هذا المكان منسلذ حملة الاسكندر ، الذي خاض النهر هناك .

ويذكر بليني (التاريخ الطبيعي ، ٣٤ ، ١٥٠) سلسلة حديدية بجانب القرات في بلدة تدعى زوكما استخدمها الاسكندر الكبير في تثبيت الجسر هناك .

ولا تتطابق زوكما التي اوردتها كاسيوس ديو ولا تلك التي ذكرها بليني .
مع ثيساكوس القديمة ، بل مع مخاضة زوكما المتأخرة ، حيث كان الفرات .
يُعبّر في الفترة السلوقية . والمنطقة حول زوكما هذه كانت مليئة بالروابي
(انظر الى كاسيوس ديو ، المصدر السابق ، ٤٩ ، ١٩) .
ويذكر بليني (المصدر السابق ، ٥ ، ٨٧) في سوريا مدن : اوروبوس
وثيساكوس السابقة ، التي كانت تدعى في زمانه امفيبوليس ، وكذلك
عرب الاسكينيون . ويصل الفرات الى سورا حيث يستدير الى الشرق
ويغادر صحارى تدمر السورية التي كانت تمتد حتى بتر [البترا]
واراضي بلاد العرب السعيدة .

ان بيانات بليني ، شأنها شأن كثير غيرها ، شاهد على إهماله في ترتيب
مقتبساته ، واستناداً الى اسطيفان اليزنطي الاجيوس (ما ينكسه) ، ص
٩٠ و ٧١١) فإن امفيبوليس تقع بجانب بلدة اوروبوس وكان ، اسمها
الاصلي تلميسوس (كركيش) ، بينما كان السوريون يطلقون على
امفيبوليس اسم ترميدا . وكانوا يطلقون على اوروبوس اسم اغريبوس
الذي حولوه فيما بعد الى جرايش العربية .

ويلتون اسطيفان اليزنطي (المصادر السابق ، ص ٣٠٧) عن ثيساكوس
انها بجانب الفرات ، وكان ثيوبميس المصدر الذي اعتمد عليه .
وفيما يتعلق بثيساكوس انظر ايضاً ما سبق ، ص ٣٢١ - ٣٢٨

ابانيس وسوموما

على مسافة غير بعيدة من ثيساكوس يحدد اسطيفان اليزنطي موضع بلدة
اينوس (المصدر نفسه ، ص ٥٢) . وتُقارن بلدة « اينوس » اسم بلدة
أبانيس ، حيث عبر الفرس الفرات عام ٥٤٠ م ، (بروكوبيوس ،
الحرب القارسية ، ج ٢ ، ١٢ : ٤) . وتعني عباً في اللغة السريانية

خليج او انعطاف نهر او ذراع من البحر ، او منخفض في سهل ، تماماً كما تعني الكلمة العربية عُب . ولذا يمكننا تقسيم الاسم أبانيس الى عب وانيس . والكلمة الأخيرة هذه تشبه كثيراً إينوس ؛ وربما يسهل ان تكون قد نشأت عنها إما نتيجة خطأ في السماع او عن خطأ فسي الاملاء . وكانت البلدة تدعى « إينوس » ، والخليج المجاور - حيث كانت تقع المخاضة او محل العبور - ربما كان يدعى عب ايتيس نسبة للبلدة ، وهكذا ربما سميت البلدة نفسها فيما بعد بهذا الاسم .

وتقع مخاضة أبانيس على مسافة اربعين ستاداً ، او نحو ستة كيلومترات أعلى من براليوسوس (بالس) . فإن صح ما نراه فيما يتعلق بهوية ابانيس وإينوس ، فلا بد من البحث عن ثيساكوس في المنطقة المجاورة لإينوس ، ومن ثم بالقرب من براليوسوس . ونستمد تأييد ذلك من زينوفون (انابسيس ، ج ١ ، ٤ : ١٠ وما بعد) الذي يتحدث عن ثيساكوس مباشرة بعد ذكر عزبة بليسيس ، والمرزبان السوري . ومن المؤكد ان العزبة لم تكن قائمة على انفراد فهي ، شأنها شأن البلدة - وليس المرزبان الذي كان يقيم هناك - ، من المحتمل انها كانت تدعى بليسيس . ويتطابق هذا الاسم مع بليوسوس بـ بلش وبالس ، لان المقطع بر في الكلمة براليوسوس انما يعني ابن . وبالطبع يحدد زينوفون موقع عزبة بليسيس على نهر درداس ، وليس على القسرات ، الا ان هذه ليست سوى غلطة من اغلاطه المتعددة .

وكان من السهل الوقوع في هذا الخطأ لانه حتى بليسيس (بالس) التي نحن بصدددها لم تكن واقعة على القرات مباشرة ، بل على قناة آخذة منه .

والوصول الى هدف معين ، لا تزال تستعمل في المشرق نفس الوسائط وغالباً نفس الطرق ايضاً كما كان الحال في الأزمنة الغابرة . ففي عام ١٩٠٦ م ارادت الحكومة العثمانية ان تقوي نفوذها السياسي في العراق وعلى الساحل الشمالي الغربي من الخليج العربي . فتم شحن المعدات العسكرية المؤلفة من

مدافع وعتاد وخيام ومؤن ضرورية جداً في نهاية العام تقريباً بسفينة بخارية الى بيروت ومن هناك بالقطار الى حلب . حيث تمّ تحميل السلاح الذي يزن ٤١٠٠ قنطاراً بأكمله على شاحنات ، ونُقل الى المسكنة الواقعة على الفرات، على مسافة اربعة كيلومترات من خرائب بالس . وكان سبب اختيار هذا المكان قرب من كل من حلب والبحر الابيض المتوسط . وفي المسكنة (قرب سمومما وضعت كل هذه الأشياء في ستة وسبعين زورقاً ثقيلًا مسطح القعر ، يدعى شاختوره ، وتمّ تعويمها في ثلاثة اقسام الى الفلوجة ، ووصلت اليها في ثمانية أيام (ريل، مدونة الأخبار [١٩١٣] ، ص ص ١٧٧ وما بعدها) .

وما لا شك فيه ان الرجال الذين نقلوا اوامر الاسكندر الكبير كانوا يعرفون شمال سوريا معرفة تامة كما عرفها الجنرال التركي برتو باشا . فهم كذلك نقلوا الزوايا محمولة الى الفرات بأقصر الطرق ، وبما ان اريستوبوبوس يذكر (سترابون ، المكان نفسه) بأن القوارب بعد انزالها تم تعويمها على الفرات عند ثيساكوس ، فلنا ما يبرر البحث عن ثيساكوس التي اقترنت بحملة الاسكندر عند سمومما بالقرب من بالس .

ويقول اميانوس مارسلينوس (ج ٢١ ، ٧ : ٧) أنه في عام ٣٦١ أمر الامبرطور كونستانتينوس ببناء جسر على الفسرات عند كبرسنام ، وزار اديسا ، ثم عاد الى هيرابوليس ،

ويكتب ثيودوزيتوس (التاريخ الديني ، (ميني ، العمود ١٤٢٧ ، ان الراهب سلمانيس رحب بهسم من قرية كبرسنا على الضفة اليمنى للفرات . ويوحى اسم خرائب سمومما بقرية كفر (قرية) سنم ، إن جاز لنا قراءة سنم بدلاً من سمم (سمومما) .



الملحق التاسع

سبهي وصفيين وانبو هريرة

ان ابو هريرة هي سبهي القديمة وصفيين في المراجع العربية . ولا يمكن مشاهدة اية مادة من مواد البناء القديمة في اي مكان حولنا . وفي اغلب الاحتمالات انها نُقلت الى حصن جعبر المجاور لها .

ويسمى جغرافي رفيثا المجهول في كتابه ، الكوزموغرافيا (ج ٢ ، ص ٥٠) (بنابر وبارثي ، ص ٥٤) ، سبهي ، وايضاً سبهي . وتسمى سبهي الى الصافية ، وهو الاسم الذي تُعرف به مصادر شبيب سلماس المنتهية عند ابو هريرة . ويذكر سقراط في التاريخ الكنسي (ج ٣ ، ص ٢٥٠) .

ويقول حمزة الاصفهاني ، التاريخ (كوتقتل ، ص ١١٩) ان جيله بن النعمان وهو صاحب عين نياغ وقاتل المنذر بن ماء السماء كان مترله في صمنين . وفي عام ٦٣٤ - ٦٣٥ م « لما رجع المثنى الى الانبار سرح فرات بن حيان وعتبة بن النحاس وامرهما بالغارة على احياء من تغلب والنمر بصفيين ثم اتبعهما . فلما دنوا من صفيين افترق المثنى وفرات وعتبة . وفر اهل صفيين وعبروا القرات الى الجزيرة وحصنوا . واراهل المثنى واصحابه من الزاد حتى اقبلوا على رواحلهم الامالابد منه فاكلوها حتى اخفافها وعظامها وجلودها ، ثم ادر كوا عيراً من دياف وحوران فقتلوا النعمان واصحابوا ثلاثة نذر من بني تغلب » (الطبري ، التاريخ (دي خويه) ، السلسلة ، ص ٢٢٠٦ وما بعدها ، ابن الاثير ، لكامل [نورفرك] المجلد ٢ ، ص ٣٤٣) .

يقع صفيين على الضفة اليمنى للفرات ، وعليه فلا بد ان المثنى زحف بمحاذاة هذه الضفة . وعلى الضفة اليمنى من القرات على مسافة ١٣٥ كيلومتراً الى شرقي

الجنوب الشرقي من صفين كانت تقع بلدة الزباء المحصنة ؛ لذا فالقراءة الصحيحة يجب ان تكون زباء ، وليس « دباء » كما هو مطبوع في طبعات كتب كل من الطبري وابن الأثير . وعلى الضفة اليمنى للفرات ، على مسافة ٣٤٠ كيلومترًا من زب-اء ؛ وليس بعيداً عن بلدة جبة ينتهي وادي حوران العريض . ومن المحتمل ان مقيمين او بدأ كانوا يخيمون هناك في ذلك الوقت ، واستولى المثنى على ما يملكون ايضاً .

وفي نحو نهاية ربيع عام ٦٥٧ م. حاثت معركة عند صفين بين الخليفة علي (ع) وخصمه معاوية . وفتزل معاوية ، واهل الشام متزلاً اختاروه مستوياً مبسوطاً واسعاً ، اقبلوا الشريعة فهي في ايديهم وبذلك حالوا بين جيش علي والماء فهدد علي باستعمال القوة والقتال مما حمل معاوية على الاذعان (الطبري ، المصادر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٣٢٦٨) .

ويكتب ثيوفانيس (الكروغرافيا) (دي بور) ، ص ص ٣٤٦ وما بعدها) أنه في عام ٦٥٧ تقابل معاوية وعلي بجانب الفرات . وخيم معاوية فيما وراء بلدة برباليسوس قرب قيصر ، يوم ، بينما خيم علي في صفين .

ويقول الدينوري ، الأخبار (كويركاس) ، ص ص ١٧٨ وما بعدها ، ان علياً بعد ان مكث ثلاثة أيام قرب البليخ ، امر ببناء جسر قوارب عليه عبر الفرات . وقابل رجلاً: اوسلها للاستطلاع جيش العدو في سور الروم ، واثناء الليل عسكر معاوية مع فرسانه هناك صفين ، وهي بلدة مهدمة بناها الاغريق اصلاً على مرمى سهم من الفرات . وتمتد بينها وبين النهر احراش على مدى فرسحين ينتشر خلالها نزيز الماء من الارض . ويقتضي طريق واحد فقط ، الا أنه مرصوف بالحجارة . الى الفرات . ومعتلم منطقة الأدغال ليست سوى اوحال او ارض سبخة ولما كانت الابحار الشديدة الانحدار تشكل عائقاً آخر للسفر ، فيبقى الطريق الوسيلة الوحيدة الذي يمكن الوصول الى النهر بسهولة . ومن نهاية

شعيب الشعبة الى بنات ابو هريرة يكون السهل الفيضي محاطاً من الجنوب بأجراف صخرية لا تتيح مجالاً للتزول الى النهر الا من خلال فجوات قليلة . والسهل الفيضي ذاته عبارة عن مستنقع مغطى بالطرفاء واحشاش أخرى التي تجعل الاقتراب من النهر امراً صعباً .

ويكتب الاصطخري ، في مسالكه (دي خويه) ، ص ٧٥ وما بعدها : انه في غربي الفرات ، بين الرقة وبالس ، تقع ارض صفين وبها قبر لعمار بن ياسر .

ويقول البكري ، في معجمه (فستفك) ، ص ٦١٠) ان صفين موضع في العراق كانت فيه الحرب بين امير المؤمنين علي بن ابي طالب ومعاوية ، وفي هذا الموضع -زم سيف الدولة الحمداني الاخشيدي محمد- بين طنج وملك الشام . ويحدد البكري موقع منطقة صفين في العراق ، وهي في الحقيقة لم تكن من العراق مطلقاً . وقد استولى سيف الدولة على بلاد الشام عام ٩٤٤ م واختار حلب لاقامته .

وفي عام ١١٠٨-١١٠٩ م هاجم رجال من قبيلة نمير علي بن مسالم ، صاحب الرقة وطردوه وملكوا البلدة ، فبلغ ذلك الملك رضوان نزار من حلب الى صفين وصادف تسعين رجلاً من الفرنج ، معهم مال من فدية النقص صاحب الرها قد سيره الى جاولي (والى الرها) فاختذه واسر عدداً منهم وأتى الرقة ، فصالحه بنو نمير على مال . فرحل عنهم الى حلب (ابن الاثير ، الكامل [تورنيرك] ، المجلد ١٠ ، ص ٣٢٤) .

وفي مستهل عام ١١٢١ م اغار جوسيلين ، حاكم قل باشسر مع جندائه الصليبيين على العرب والتركمان المقاتلين بصفين ، وغنم منهم ومن مياشيهم بناطي الفرات (ابن القلانسي ، السيل [ملروز] ، ص ٢٠٣) .

وفي عام ١١٣٩ م دفن القاضي بهاء الدين بن الشهرزوري في جامع في صفين (المصدر نفسه ، ص ٢٦٦) .

وفي ١٤ أيلول (سبتمبر) ١١٤٦ م قُتِلَ السلطان عماد الدين الزنكي عندما كان يحاصر قلعة جعبر التي كانت ملكا لعائلة الامير سالم بن مالك العقيلي ، فثك به جواده افسهم ودفن في صفيين (ابن الأثير ، التاريخ [دي سسلان] ، ص ص ١٣٢ - ١٣٥) ، واستناداً الى كتابه الكامل [القاهرة ، ١٨٨٤] ، المجلد ١١ ، ص ٥٠ ، فإنّ زنكي دفن في الرقة . وفي اول ايار (مايو) ١١٩٥ عمّد اجتماع في صفيين بين الملك الأفضل وعنه الملك العادل . فأعطى الأخير ابنه أخيه حصن جعبر لسكانه . (المقرئزي ، المواعظ [ترجمة بلوشية] ص ص ٢٢٩ وما بعدها) .

ويقول ياقوت ، في معجمه (فستقلد) ، المجلد ٣ ، ص ص ٤١٢ و٤١٣ : « صفيين موضع بالقرب من الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس ، وكانت وقبة صفيين بين علي ومعوية في غرة صفر سنة ٤٣٧ وفي خلال مئة وعشرة أيام وقعت بيننا ما تسعون مناوشة .

ويذكر القزويني ، في العجائب (فستقلد) ، مجلد ٢ ، ص ١٤٢ : « ان صفيين قرية قديمة البوار من بناء الروم بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي ، وما يليها خيضة مائة ذات بزور طولها نحو فرسخين وليس في ذلك الفرسخين طريق الى الماء الا طريق واحد مفروش بالحجارة ، وسائر ذلك غرب وخلاف ملتفة » .

والمسافة من قلعة جعبر الى الرقة سبعة فراسخ . والسهل النضفي المغمور بالمستنقعات ماأر الحديث لا يزال باقياً ويمتد مقابل قلعة جعبر حتى بناتق ابو هريرة .

ويقول ابو الفداء في تقويمه : (رينو ودي سسلان) ، ص ٢٦٩ : « ان بالس منها الى قلعة دوشر ، المعروفة الآن بقلعة جعبر في شرقي القسرات خمسة فراسخ . وفي غربي من القسرات ، مقابل قلعة جعبر ، ارض صفيين التي كانت بها الواحة بين علي (خ) ومعوية » .

ويعصحح ابو الفضائل ، في مراصمه (يونبول) ، المجلد ٢ ، ص ١٦٦)

ياقوت وذلك بملاحظة ان صفين منطبقة أعلى من بالس وتقع على نصف مرحلة منها على الضفة اليمنى للفرات ، بينما تقع الرقة شرقي النهر العظيم أسفل من بالس . ويحدد ابو الفضائل في مكان آخر (المصارف نفسه ، المجلد ٢ ، ص ٤٤٢) موضع حصن جبر عندما يذكر ان المسافة منه الى الفرات ميل واحد تقريباً ، بينما تبعد صفين اكثر من عشرة أميال صعوداً في النهر من هذا الحصن . ان بيانات ابي الفضائل هذه لم تحفظ بصورة صحيحة . فمن قلعة جبر الى بالس اربعون كيلومتراً . فإن كانت صفين تقع أعلى من هذه البليدة ، فإنها لا يمكن ان تكون على بعد عشرة أميال من قلعة جبر . ومن بالس الى ابو هريره سبعة وعشرون كيلومتراً ، أو قرابة نصف مرحلة ، ليس صعوداً بل متحدراً مع النهر . ومن ابو هريره الى قلعة جبر اربعة عشر كيلومتراً ، أو عشرة أميال بخط مستقيم . وهكذا يؤدي بنا ابو الفضائل ايضاً الى ابو هريره .



الملحق العاشر

سورا أو سوريّا

وفي اثناء تدهور السلوقيين تغير مسار طرق النقل الكبرى ، فانخلدت تاحر تزداد أهمية ، واصبحت تعبر الفرات عند سوريّا ، لذلك فقد تمّ الحفظ على سجلات كثيرة عن هذه البلدة .

ويذكر بليني ، (التاريخ الطبيعي ، ج ٥ ، ٨٧) ان الفرات عند سورا يتقرب شرقاً ، تاركاً وراءه صحراء تندر ، ونهر الفرات لا يستدير شرقاً عند بلدة سورا المسورة بالضبط ، بل على بعد خمسة وسبعين كيلومتراً الى الغرب .

ويذكر بطليموس (الجغرافية ، ج ٥ ، ١٥ : ٢٥) سورا من بين المدن التندرية الواقعة على الفرات .

ومن المحتمل ان يكون افديوس كاسيوس في عام ١٦٥ م قد هزم البارثيين عند سورا واستول على بلديتي نيقفوريم ودوسرا (سويلداس ، المعجم ، تحت مادة زوكما [بكر ، ص ٤٥٩] ، لوميان ، تلوين التاريخ ، ٢٩ ، فرونتو ، رسالة حول الحقيقة ، ج ٢ ، ١) . ويسجل جلول بويتسكر (فينّا ، ١٨٨٨) ، الجزء ١١) سوره [كذا] على انها المحطة الاخيرة للطريق الروماني الرئيس من دمشق من طريق تندر واوروبا (الطيبة) الى الفرات . وعند سوره تنتهي حدود الامبراطورية الرومانية وتبدأ حدود بلاد البرابرة .

وبعد عام ٢٩٣ م كانت سورا تعود الى إقليم اغسطا الواقعة على الفرات وكانت استناداً الى اخبار المشايير (المشرق ٣٣ ، العدد ٢٨) محل لقائمة قائد جيش الاسناد الامبراطوري السادس هشر .

وفي نهاية القرن الثالث او بداية الرابع للميلاد أخذ قائد الحرس البلاطيني الاجنبي ، ميرجيوس ، من حصن برباريوسوس (بالن الحالية) الى حصن تترابرجيوم (قصير السيل في يومنا هذا) على مسافة تسعة اميال

رومانيه (بولان ، الوثائق الكنسية ، القسطنطينية ، المجلد ٣ ، ص ٨١٥) .
وكانت قرارات المجمع المسكوني لعام ٤٥١ م قد وقعها المطران
اسطيفان من هيرا بوليس (منيج) نيابة عن اسقفه المساعد ، شخص اسمه
اورانيوس بوليوس سورون (اورانيوس من بلدة سورا) (هاردان :
مجموعة القرارات [باريس ، ١٧١٥] ، المجلد ٢ ، ٤٨٥) .

وفي حزيران (يونيو) من عام ٥٥٤ م ، عاد قسطنطين البيزنطي
الذي كان قد انضم الى الفرس مخترقاً الصحراء الى سوريا . وعلى مدى
اسبوعين سافر مع زوجته نهراً ولبلاً دون ان يصادف احداً . ولم يقابل
احداً من العرب الا بعد وصوله الى شिला (ووردت ، شينا) . وقام
هؤلاء العرب بمرافقته الى حصن شورا ، ومن هناك الى بلدة اديسا
(يشوع العمودي ، المدونة [مارتن] ، ص ٧٥) . وربما تكون شिला
جزء السيلة ، على بعد اثني عشر كيلومتراً جنوب - الجنوب الغربي من
شورا ، وهو الاسم الذي يطلقه السوريون على سورا .

وفي عام ٥١٢ م أسهم ماريون ، مطران بلدة شورا الرومية
فسي مراسيم تكريس المطران سيفيروس فسي منصب البطريرك
(ملاحظات تتعلق بسيفيروس [كوجنر] ، ص ص ٣١٩ و ٣٢١ ، المدونة
الصغرى [كويسدي] ، ص ٧٢١ ، حياة مشاهير الرجال المونوفيست
[بروكس] ص ٤١) :

وكان ماريون مطراناً حتى عام ٥٢١ م ، وقد توفي في هذا العام (ميخائيل
السوري ، المدونة التاريخية [شابو] المجلد ٤ ، ص ٢٦٧) .

ونظالم في حوليات جون ميلاس (متي ١٨ ، ١٧٥) أن الامبراطور
جستنيان ارسل الى المشرق عدة شخصيات بارزة لادارة امر الدفاع
من بعض المدن ضد الملك الفارسي قيساذ الأول (٤٩٦ - ٥٣١) .
ومن بين مدن أخرى أعلنت مرسدن برويه (بروثيا او حلب) وسورون
(سورا او سوريا) وكونستانتينا . (قسطنطين) العاة للدفاع عن نفسها .

وفي عام ٥٣١ م طارد بليسا ريوس مع جيشه الفرس العائدين مع غنائمهم
من سوريا . وذهب حتى بلدة سورون (سورا) ، حيث نشبت معركة بين

الطرفين (بروكوبيوس ، الحرب الفارسية ، ١٨ : ١٤) .

وفي ربيع عام ٥٤٠م زحف خسرو بن قباد (المصدر نفسه ، ص ٢٠٥ ، كويدي ، نصي جديد [١٨٩١] ، ص ١٣ ، تحويلات ادريانا [هالينر] ص ١٥٦ وما بعدها ، اسيمانوس ، المكتبة الشرقية [بروما ، ١٧١٩ - ١٧٢٨] ، المجلد ١ ، ص ٤١٦ ؛ جيمس من ادريانا ، القانون [بروكس] ، ص ٣٠٠ ؛ ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٢٨٧) على امتداد الضفة اليمنى للفرات ووصل الى نقطة مقابل حصن قرقيسيا الروماني ، الا انه لم يقم بالهجوم عليه ، كما انه لم يعبر القرات . وزحف بعد ذلك ثانية الى الحد الذي يستطيع رجل قوي الذهاب اليه . في ثلاثة ايام ، ووصل الى امام بلدة زنوبيا على الضفة اليمنى . عندما لاحظ ان المنطقة غير آهلة بالسكان ، وكانت معجبة ولا اهمية لها البتة ، قام بمحاولة اقتناع اهل البلدة على الاستسلام . وعندما أخفق في مساعه هذا واصل سيره . وبعد قطع ما يماثل المسافة بين قرقيسيا وزنوبيا ، وصل الى بلدة سورون (سورا) على القرات وأمر بالاستيلاء عليها عنوة . فبعد القائل ارساكيس الهجمة الاولى ، ولما قتل تمكن الفرس من دخول المدينة التي انتهبوا وأخلوا بجميع اهلها امرى . ويقول بروكوبيوس (المباني ، ٢٠ ، ٩ : ١ . وما بعد) ان تحصينات سورون بوليسما (بلدة سورا الصغيرة) كانت ضعيفة جداً بحيث انها لم تقاوم خسرو اكثر من نصف ساعة . لذا امر الإمبراطور جستنيان باعادة تعمير البلدة وأحاطتها بسور قوي وتجهيزها بمختلف المتطلبات الدفاعية الأخرى . وفي عام ٥٤٣م كان شخص يدعى سيزيجيوس مطرانا لشسوراء (ابن العمري ، المتوننة الكنسية [ايلوس ولامي] ، المجلد ١ ، العمود ٢١٥) .

ويندون انطونين من بياجرا ، في رحلته (كبير) ، ص ١٩١) كيف انه (انطونين) قدم من برباريسو (برباليسوس ، بالنس الحديثة) الى بلدة سراس (سراً) التي يخترقها نهر القرات ، وعبره هناك فوق جسر وفي هذه البلدة تم تعذيب القديسين سيزيجيوس وباجوس حتى الموت ويرقد القديس سيزيجيوس على مسافة اثني عشر ميلاً أبعد في صحراء السراقنة

عند بلدة تترابرجيو . وقد عُدَّ تب باخوس في برباريسو (بالس) ، وسيرجيوس في الرصافة حيث دفن هناك ايضاً . وفي تترابرجيو ، التي تدعى الآن بقصير السيلة ، قضى الأخير الليلة فقط .

وورد ذكر بلدة سرا الصغيرة في نهاية القرن السادس في كتاب نيقفورس الموسوم بـ (حياة القديس سيمانوس الأصغر (منه) ، العمود ٣١٨٤) .

وفي عام ٦٥٧ م قطع الخليفة علي الفرات ثم دعا زياد بن النضر وشريح بن هانيء فسرجهما امامه نحو معاوية على حالهما التي كانا خرجا عليها من الكوفة ، قال وقد كانا حيث سرجهما من الكوفة اخذا على شاطئ الفرات من قبل البر مما يلي الكوفة حتى بلغا عانات ، فبلغهما اخذ علي طريق الجزيرة ، وبلغهما ان معاوية قد اقبل من دمشق في جنود اهل الشام لاستقبال علي ، فقالا لا والله ما هدا لنا برأي . ان نسير وبيننا وبين المسلمين وامير المؤمنين بهذا البحر ، وما لنا خير في ان نلقى جنود اهل الشام بقلة من معانقطين من العسدد والمدد ، فذهبوا ليغبروا من عانات ، فمعهم اهل عانات وجسوا عنهم السفن ، فاقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت ، ثم لحقوا علياً بقرية دون فرقيسيا ، وقد ارادوا اهل عانات فتحصنوا وفروا ، ولما لحقت المقدمة علياً قال : مقدمتي تأتي . من ورائي ، فتقدم اليه زياد بين النضر الحارثي وشريح بين هانيء فاخبراه بالذي رأيا حين بلغهما من الامر ما بلغهما ، فقالا سددتما ، ثم مضى علي ، فلما عبر الفرات قدماه امامه نحو معاوية ، فلما انتهى الى سور الروم لقيهما ابو الاعور السلمي عمرو بن سفيان في جند من اهل الشام (الطبري ، التاريخ [دي جوييه] ، السلسلة ١ ، ص ص ٢٣٦٠ . وما بعدها) . وسور الروم هي الترجمة العربية الصحيحة للاسم السوري شورا الرومانية . ولم يكن ياقوت ، في معجمه (فستفلك) ، المجلد ٣ ، ص ١٨٤) علي علم ببلدة شورا ويذكر فقط انها ، استنادا الى ابي الحسن الادريسي ، موضع بالجزيرة ، وتلفظ شورا .

ولوردها البتاني (الزيج (نلينو) ، الجزء ٣ ، ص ٢٤٠) بصيغة شورا ، يحدد موقعها الجغرافي على خط العرض ٣٦° وخط الطول ٣٠° ٨٠' . ويذكر ابن الفبري (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، الاعمدة ٥٤٥ وما بعدها) حتى وقت متأخر ، اي عام ١٤٧١ م ، دير مار امي عند شورا .

الملحق الحادي عشر

نيقفوريم ، كاليينيكوس ، والرقّة

كان سترابون (الجغرافية ، ١٦ ، ١ : ٢٧) على علم بنهر يسمى باسيلوس بين الفرات ودجلة . وفي اقليم اثيموسيا كان يعرف نهراً اسمه ابوراس . وفي باسيلوس يختفي الاسم بليخوس . اما راوية سترابون ، الذي كان يعرف الارامية ، فقرأ الاسم مليخوس (ملك) وترجمه على انه باسيلوس . وتقع بلدة اثيموسيا . (ايسيدور الكرشسي : المحطات الباثية [ملسر] ، ص ص ٢٤٤ وما بعدها) على الطريق من زوكا - افاميا الى اديسا ، على مسافة ثمانى سكونات شرقي افاميا ، ومن ثم فهي بعيدة عن حوض نهر ابوراس ، او الخابور لئلا يحافظ نهر بليخوس على اسمه الى هذا اليوم ، اذ يدعى الآن البليخ .

ويمكن ارواء السهل الفيضي على الضفة اليسرى للفرات من البليخ ويمكن قنات آخذة من الفرات نفسه . ويمكن البرهنة على ان هذا السهل كان في زمن ما اكبر بمرتين مما هو عليه اليوم ، منذ غير الفرات مجراه ، وذلك بنظرة على ارض المستنقعات الواسعة التي على الضفة اليمنى للنهر في هذه المنطقة . ومن بين الانهار على الضفة اليسرى يعتبر نهر الهني والمرى من اكثرهما اهمية . وظل الاسم الأخير باقياً حتى العصور الوسطى في اسم البلدة التي كانت المنطقة

المحيطة تعود إليها في وقت ما . ويمكن تحديد موضع مدينة مري هذه بين الضفة اليسرى لنهر المري والبلخ. ومنذ ان امتد خط تجاري مهم بمحاذاة الأخير من بلاد ما الجزيرة العليا الى الفرات ومنذ ان عبر خط آخر عند مري متابعاً الضفة اليسرى للفرات ، فإن أهل المري وقد كانت تدعهم ارض خصبية يسيطرون عليها ، كان في امكانهم التهيئة بسهولة على القوافل التجارية وكذلك على القسرى الاخرى الأقل ثراء على امتداد الفرات . فلا عجب اذن ان تكون مدينة مري قد سيطرت منذ وقت مبكر يناهز ختام الألف الثالث قبل الميلاد على النصف الأعلى للفرات الاوسط كله كما سيطرت خانه (ريماعانه) على النصف الأسفل (هرزفلد ، خانه ومري [١٩١٤] ، ص ١٣٦) . وعلى موقع مري القديم او بجانبه عند مصب البلخ في الفرات كانت تقع المدينة المشهورة نيقفوريم (ايسيدور الكرخي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٧) . ويروي ايبان (تاريخ سوريا ، ٥٧) ان سلوقس نيقاتور (٣٠١ - ٢٨١ ق.م) اسس عدة مدن في سوريا ومنحها اسماء اغريقية او مقدونية ، ومنها نيقفوريم في بلاد الجزيرة . ومن المؤكد ان بلدة كانت قد وجدت عند هذا المكان من قبل . وكانت تدعى ماري (اونكر ، نقوش بارزة على مسلة اداد نيراري [١٩١٦] ، لوحه ٢ ، السطر ٢٣ ، ص ١٠) ؛ وبقي الاسم متداولاً باسم قناة مري (ميخائيل السوري في مدونته [شابو] ، المجلد ٤ ، ص ٤٥٧) ؛ البلاذري في فتوحه [دي خويسه] ، ص ١٨٠) . اما ان الأغريق كانوا يفضلون تغيير الأسماء المحلية فكانت حقيقة معروفة اذ ذاك لدى بوسيدونيوس (سترابون ، المصدر السابق ، ج ١٦ ، ٤ : ٢٧) ، إلا ان اميانوس ماسرسلينوس (المصدر السابق ، ج ١٤ ، ٨ : ٦) وجد في مصباحه ملاحظة مفادها ان سلوقس نيقاتور والذين جاؤا من بعده ، مع انهم كانوا يغيرون اعتباراً أسماء مواقع كثيرة ، فانهم لم يحووا الاسماء الأصلية التي ظلت مستعملة .

ويعزو إيسيدور الكرخي (المصنوع السابق) تأسيس نيقفوريم إلى الاسكندر الكبير ، كما فعل بليني أيضاً الذي ذكر فسي تاريخه الطبيعي (٦٠ ، ١١٩) انه بالقرب من القرات تقع نيقفوريم التي بناها الاسكندر بعد ان تبين له أهمية الموقع . ولا نملك اي دليل قاطع على ان الاسكندر قد وصل في وقت ما الى فم نهر البليخوس ، ولذا لا يتسنى لنا الحكم بأنه هو الذي أمر ببناء مدينة نيقفوريم . ان رواية مماثلة نشأت عن مدن أخرى على امتداد القرات ، وكل منها ينسب تأسيسها إلى الاسكندر ، رغم انفسا نعرف دون شك ان الأمر لم يكن كذلك .

وعند مصب البليخوس في القرات ، اي قرب الموضع الذي كانت نيقفوريم تقع فيه ، نشأت فيما بعد كالينيكوس (اميانوس مارسلينوس ، المصنوع السابق ، ٢٣ ، ٣ : ٧) .

وتعزو حوليات باسكاله (منه) ، العمود ٤٢٩ ، وميخائيل السوري ، في مدونه (شابر) ، المجلد ٤ ، ص ٧٨) تأسيس هذه المدينة إلى سلوقس الثاني كالينيكوس (٢٤٧ - ٢٢٦ ق . م) وذلك اما في عام ٢٤٤ أو ٢٤٢ ق . م .

ويقول ليانيوس ، في رسائله (١ ، ٢٠) ان مدينة كالينيكوس الواقعة على القرات سميت نسبة إلى استاذ البلاغة كالينيكوس الذي أقام هناك . — عاش استاذ البلاغة هذا ، وهو من أهل (بطرا) ، في زمن حكم كالينوس ، حوالي ٢٦٩ م . وما يشك فيه كثيراً ان يكون المسيحيون (وكان عدد كبير منهم في المدينة في وقت مبكر يرجع إلى القرن الثالث والذين احكموا السيطرة عليها في القرن الرابع) قد وافقوا واحتفظوا للمدينة بالاسم الجديد المعطى لها نسبة إلى استاذ البلاغة الوثني . ويبدو انه وجدت بلسنتان عند مصب نهر البليخوس في القرات منذ زمن مسيحي : اولاهما وهي التي احضار بناءها سلوقس نيقاتور ، سميت نيقفوريم ؛ والثانية ، وهي التي اعاد تعميرها

ملوقس الثاني (كاليينيكوس) صنيعة كاليينيكوس . وكانت نيقفوريوم لعدة قرون أكثر أهمية من كاليينيكوس ، إلا أن الأمر انعكس فيما بعد لصالح المدينة الثانية التي بدأت بالانتعاش إلى حد كبير . وأخيراً ، في القرن الثالث للميلاد اضمحلت نيقفوريوم بوصفها مدينة ، وبقيت مجرد ضاحية من ضواحي كاليينيكوس . أن هذا الأمر يؤيده الكتاب العرب ، وبوجه خاص شعراء ذلك العهد قبل زمن العباسيين ، الذين يطلقون على المدينتين اسم الرقتين ، ويدعون واحدة بالرقّة «السوداء» ، والأخرى الرقة «البيضاء» . ويدعون الرقة البيضاء أيضاً بالاسم القديم كاليينيكوس . ومن هذا استنتج أن المدينة «السوداء» أو «المحترقة» كانت نيقفوريوم القديمة .

ويحدد درويسن ، في تاريخه (١٨٧٨ المجلد ٣ ، ص ٢ ، ص ٣١٠) موقع كاليينيكوس في خرائب هرقلّة ، إلا أن هرقلّة كانت قصراً بناه الخليفة هارون الرشيد لحساء بيزنطية رفيعة الأصل ، كان قد أخذها أسيرة (ياقوت ، المعجم [فستنفلد] ، المجلد ٤ ، ص ٩٦٢ ، الطبري : التاريخ [دي خويه] ، السلسلة ٣ ، ص ٧١٠) .

وكان كراسوس في عام ٥٤ ق . م يستولي بسهولة على مدن تسكنها غالبية اغريقية ، كما كانت الحالة مع نيقفوريوم (كاسيوس ديو ، التاريخ ، ص ٤٠ ، ١٣) . ويروي فلورس فسي الخلاصة (، ص ٣ ، ١١) أنه حينما خيم كراسوس عند نيقفوريوم زاره هناك مبعوثو روديس .

واستناداً إلى سترابون (المصدر السابق ، ص ١٦ ، ١ : ٢٣) فقد عاش في المنطقة الحصبة جداً الواقعة بين زوكا في كوماجين وزوكا القديمة بالقرب من ثيساكوس شعب سماه المقدونيون باسم مكدونيس . وكانت فسي منطقتهم مدن نسييس وكرانوسيرتا وكارهي ونيقفوريوم : الخ .

وكان بليني (المصدر السابق ، ص ٥ ، ٨٦) أيضاً يعلم بمدينة اسمها نيقفوريوم في ولاية الجزيرة .

واستناداً الى بطليموس (الجغرافية ، ج ٥ ، ١٧ : ٥) فإن نيقفوريوم كانت تقع على الفرات في بلاد الجزيرة .

ويـلـبـن كـل مـن يـوثـو رـيـوس فـي مـوجـزه (ج ٩ ، ، ٢٤)
وثيوفانيس في الكرونوغرافياً (منه) ، العمود ٦٩ (أن كاليوريوس
ماكسيميانوس هُزم هزيمة تامة في عام ٢٩٧ بين مدينتي كالينيكس وكارهي .
ويـلـبـن لـيـبـانـيـوس (المـصـدـر السـابـق ، ج ١ ، ٢٠) أن حامية كالينيكوس
لم تستطع تموين نفسها ، فكان على حاكم اقليم الفرات ان يمونها .

وفي عام ٣٦٣ قام اميانوس مارسلينوس بزيارة كالينيكوس ووصفها
بأنها حصن ضخم وانها هامة باعتبارها مركزاً تجارياً (المصدر السابق ، ج ٢٣ ،
٣ : ٧) .

ويذكر يورانيوس ، في الشذرات (ملتر) ، ص ٥٢٩ الاسم القديم
نيقفوريوم ويضيف الى ذلك ان المدينة تدعى ايضاً (قسطنطينة) وانها
تقع قرب ادبسا .

وفي عام ٣٩٣ أشعل المسيحيون النار في الكنيس اليهودي في كاستروم
كالينيكوم . فأمر الامبراطور ثيودوسيوس مطران تلك البلدة ان يعيد بناء
الكنيس . واستجابة لهذا قام المطران امبروز من ميلان بالكتابة الى الامبراطور
مشتكياً ان اليهود سبق لهم أن أحرقوا كنائس متعددة دون ان يدفعوا شيئاً
لإعادة بنائها (امبروز ، رسالة الى ثيودوسيوس [منه] ، الاعمدة
١١٥ وما بعد) .

وقد حضر داميانوس مطران كالينيكوس المجمع المسكوني (٥٤١ م)
ووقع على رسالة مطارنة إقليـم اوسروثين الى الامبراطور ليو
(منسي ، المجمع [١٧٥٩ - ١٧٩٨] ، المجلد ٦ ، العمود ٥٧١ ؛
المجلد ٧ ، العمود ٥٥٣) .

وفي عام ٤٦٥-٤٦٦ م قام الامبراطور ليو بإعادة بناء مدينة كالينيكوس

ففي اقليم اوسروئين ، واطلق عليها اسم ليونتوبوليس ، ونصب مطراً فيها (ابن العبري التاريخ السوري [بيجان] ، ص ٧٧ ؛ اسيمانوس ، المكتبة الشرقية [روما ، ١٧١٩ - ١٧٢٨] ، المجلد ١ ، ص ص ٢٥٨ و ٤٠٥ ؛ تاريخ اديسا [هالير] ، ص ١٥٢) .

وفي اواخر عام ٥٠٣ م كن الملك الفارسي قباذ الأول عائداً بحذاء الفرات من اراضي بلدة سروج . وعندما وصل الى كاليينيكوس أمر أحد قاداته بمهاجمة البلدة . فنفذ القائد ما أمر به ، الا أنه فوجيء بالقائد الروماني تيموستراتس الذي اخذه اسيراً . ثم هدد قباذ بمحاصرة كاليينيكوس وتدميرها تدميراً تاماً إن لم يطلق تيموستراتس الاسير . فقام تيموستراتس بتنفيذ ذلك . (يشوع العمودي ، المدونة [مارتن] ، ج ٥ ؛ اسيمانوس ، المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٢٧٦) .

وفي بداية القرن السادس للميلاد ورد ذكر الديرين مار زكاي وقدر او عمود ، بالقرب من كاليينيكوس (حياة مشاهير الرجال الموثقيست [بروكس] ، ص ٣٨ ؛ ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ص ٤١٤ وما بعدها) .

وفي عام ٥٢٩ م اصدر جستنيان أمراً ان تنحصر اعتباراً من ذلك التاريخ فصاعداً جميع الأعمال التجارية بين البيزنطيين والفرس في المدن الثغرية نصيبين وكاليينيكوس وارثاكساتا فقط ، وذلك لمنع التجار البيزنطيين من التجسس في الامبراطورية الفارسية ، والتجار الفرس من القيام بنفس العمل في الامبراطورية الرومانية . (مجموعة قوانين جستنيان ج ٤ ، ٦٣ ؛ ٤ ؛ [كروكر] ، ص ١٨٨) . ومن الطريف ان نلاحظ ان جستنيان لا يترقب باسم ايونتوبوليس الذي اطلقه سلفه على كاليينيكوس .

ويحسب ثيودوسيوس ، في كتابه موقع الارض المقدسة (كثير ، ص ١٥٠) المسافة من كالونيكو (كاليينيكوس) الى قسطنطينية مئتين ميلاً

ومن قسطنطينيه الى اديسا ثمانين ميلاً . وفي المدينة الأخيرة عاش الملك ابجر الذي كتب الى يسوع المسيح .

ويذكر هيروقليس (في حوالي ٥٣٥ م) ان من بين مدن ايرشيه اوسروئين مدينة ليونتوبوليس او كالينيكيه [يركهارد] ، ص ٣٩ .
ويروي بروكوبوس ، في كتابه الحرب الفارسية (٥٢٠ ، ٢١ ، ان كسرى استولى في عام ٥٤٢ م على كالينيكوس بسهولة كبيرة .
ولما كانت التحصينات متداعية في بعض الاماكن ، فان جستنيان كان قد أمر باعادة بنائها (المؤلف السابق ، المباحثي ، ٢ ، ٧) .
وكانت الخطة أن يتم ذلك بهدمها جزءاً فجزءاً واعادة بنائها في الحال .
وعند ما لم يتمكن كسرى من الاستيلاء على سيرجوبوليس ، فإنه أمر بمد جسر قوارب على القرات ، وبهذا اقترب من كالينيكوس ، ودخل المدينة من موضع كان الجدار فيه قد هُدم آنذاك تماماً . فلجأ الجنود والأهلون الأكثر ثراءً الى محل آخر ، إلا أن المدينة كانت مكتظة بالفلاحين من المنطقة المجاورة . الذين اخذوا اسرى وهدمت المدينة ، ولكن جستنيان سرعان ما قام بتحسينها ثانية (جيمس الراوى ، القانون التاريخي [بروكس] ، ص ٣٠٠ : ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٢٨٧) .

وكان المطران العلامة كيرياك الاملبي (٥٧٨ - ٦٢٣) يأتي من دير مار زكاي في كالينيكوس (المصدر نفسه ، ص ٣٩٩) .

وفي المجمع الكنسي الذي عقد في دير مار حنانيه : الواقع في الصحراء بين بريايموس وكالينيكوس تم انتخاب القس الشاب بطرس ، ابن بولص من كالينيكوس ، بطريكة لانطاكية (المصدر نفسه ، ص ٣٧٠ و ٣٧٩ : ابن العبري ، المسبوبة الكنسية [ابيلولس ولايني] ، المجلد ١ ، العمود ٢٥٠ ؛ يوحنا من افيسوس ، التاريخ الكنسي ، ٤ ، ٢٢) .

وبعد ازدياد الامبراطور جستين الثاني العسكرو قدام بارسال الشريف
الروماني يوحنا من كاليثيكوس مع هدايا الى كسرى : وعند عودته
عقد مجمع كنسي في دير ماز زكاي . وفي هذه الفترة ورد ذكر مار
قيروس في كاليثيكوس : (ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ،
ص ٣٣١ و ٣٣٤) .

وفي بداية القرن السابع (٦٠٢ م) يستخدم جورجios قبريوس (الوصف
[جلستبر] ، ص ٤٥) في قائمة مدن ابرشية اسروثين الاسم الاقدم
كاليثيكوس . ولكن يضيف انها تسمى ايضاً ليونوبوليس .
ويذكر هذا (تاريخ مروثا [ثاو] ، ص ٧٠) قبل عام ٦٢٩ بقليل
دير زكاي في كاليثيكوس .

وفي عام ٦٢٩ م استولى المسلمون على كاليثيكوس . او الرقة ، كما كان
الكتاب السريان يدعونها ايضاً . فقد ارسل قائدهم ، « عياض طبة الى الرقة ،
فاغاروا على حاضر كان حولها العرب وغلبى قوم من الفلاحين ناصبوا
مغنماً ، وهرب من نجا من اولئك قد تخلصوا الى الرقة . واتبل عياض من عسكره حتى
نزل باب الرها .. فلما تمت خمسة ايام او ستة وهم على ذلك ارسل بطريق المدينة الى
عياض يطلب التعاون : فصالحه عياض على ان آمن ببيع اهلها على انفسهم
وذرايرهم واموالهم ومايتهم » ، (ايايا للنصيري : المدونة التاريخية الكبرى
[بروكس] ، ص ١٣٣ ، البلاذري ، الفتوح ، [دي خويه] ، ص ١٧٢
وما بعدها وص ١٧٥)

وفي حملة على بن ابي طالب على معاوية في عام ٦٥٦ م خرج على من الخيلة
بمن معه ، فلما دخل المدائن ... فلما انتهى علي الى الرقة قال لاهل الرقة اجسروا
لي جسراً حتى اعبر من هذا المكان الى الشام . فبعثوا اليه انا ناصبون لكم جسراً
فاقبلوا ، وجاء علي فصبوا له الجسر ، فذبح عليه بالانقال والرجال .
(الطبري ، التاريخ [دي خويه] السلسلة ١ ، ص ٣٢٥٩ ، ابن مسكويه ،

التجارب [كابتاني] ، ص ٥٧١ .) وتنطبق النخلة على خان ابن نخيلة الذي يبعد مسافة متين كيلو متراً شمال - الشمال الغربي للكوفة . والملائكة هي التسمية العربية لطيسون الملائك المجاورة ، وهي ضواحي ساروقية السابقة . ويذكر ابن قيس الرقيات ، في ديوانه (رودوكتاكيس) ص ٢٢٢ ، انه حوالي عام ٦٩٠ كانت بلادنا الرقة والتلس - ميجورين ، كما أن اسم يسكن بهما أحدهما ، وحتى الديور بالقرب من بليخ كان خالياً وارتفعت جدرانها العالية كنسب تذكاري لشعب بائد . ويقتول في موضع آخر . (ص ٢٨٥) نفسه ، أثناء رحلته من الجنوب الغربي أو الجنوب لاجل له جيل البشر بالتدرج ثم الرقة السوداء انجباراً .

أما ان هذه القرى المتعددة حول الرقة كانت مهيورة وأنه لذلك اضطر أناس كثيرون الى مناصرة بالدرقة ، فذلك مما ثبتنا به من مصادر عربية أخرى . واما القول بأنه لم يكن فيها سكان على الاملاحة فانه ولاريب من قبيل مبالغت الشعراء . ومن المحتمل ان تكون التلس اسماً حرفة الشعراء كالبنيكوس . وبما لاريب فيه ان الدير القائم بالقرب من البليخ مطابق لايسر اممونا لواله . (ميخائيل السوري ، المعبر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٤١٤) ، الا انه حتى هذا اسم يكن مهيوراً آنذاك . وينسج رودوكتاكيس (المكان نفسه ، ملاحظة ٣) ديور الجانائين (كاوليكوس) على دجاء ، وده و امم و ميجورين على الاثنان : والبشر هو جيل البشري الحالي ، والرقة السوداء كانت إحدى المدينتين السابقتين ، ولعلها نيقوسيم . وكانت المدينة الثانية تسمى الرقة البيضاء ، وقد ورد ذكرها على ان الشاهر الانجيل . في ديوانه (الصالحاني ص ٣٠٤) الذي يصف برين ابراهيم .

وقد أمر الخليفة هشام الذي آلت اليه المنطقة المجاورة للرقة على

شكل اقطاعية ببطهير نهري المنى والمري ونزلا . في بداية القرن الثامن الميلادي ، كما
تأسست عدة مسان على ضفافهما ، وُشيد جسر على القرات (ميخائيل
السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٤٥٧ ؛ المنسوب لديونيسيوس من
الثل مجري ؛ المدونه [شابو] ، ص ص ٢٦ و ٣١ ؛ ابن الطبري ،
التاريخ السرياني [ييجان] ، ص ١٥٦) .

وفي عهد مروان الثاني (٧٤٤ - ٧٥٠ م) ورد ذكر اسم يوحنا
مطران كاليينيكوس ، الذي انتخب بطريركاً في عام ٧٦٠ م (ميخائيل
السوري ، المصدر السابق ، ص ٤٦٨ ؛ المنسوب لديونيسيوس الثل مجري ،
المصدر السابق ، ص ٧٠ ؛ ابن الطبري ، التاريخ الكنسي
[ايبيلوس ولاهي] ، المجلد ١ ، العمودان ٣٢١ و ٣٢٣ ؛ ايليا النصيبى ،
المصدر السابق ، ص ١٧٦) .

وفي عام ٧٧٢ م شُيد الخايضة المنصور مدينة الرافقة بالقرب من
كاليينيكوس . وأمر هارون الرشيد باحاطتها بسور آخر (ميخائيل
السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ص ٤٧١ و ٤٨٣ ؛ المنسوب لديونيسيوس
من ثل مجري [لملها ثل مجري] ، المصدر السابق ، ص ص
١٢٠ وما بعدها ؛ اليعقوبي ، التاريخ [حوتسما] ، المجلد ٢ ص ٤٣٠) .

وفي عام ٧٩٣ م أُنْتُخِبَ كيريك بداريركا ، وهو راهب من دير بيزونا ،
أو استونا ، (عمود) في كاليينيكوس ابن الطبري : التاريخ الكنسي
(ايبيلوس ولاهي) ، المجلد ١ ، العمود (٣٢٩) .

ويذكر ابن الطبري المصدر السابق ، المجلد ٢ ، العمود (٢٠٥)
انه في سنة ٨٧٢ كانت كنيسة القديس توماس تعود الى اهالي تكريت
المقيمين بالرقعة . وفي عام ٨٧٣ دُفِنَ البطريرك يوحنا في دير مار زكاي ،
حيث كان زاهباً فيما سبق (المصدر نفسه ، المجلد ١ ، العمودان ٣٨٥
و ٣٨٧) .

ويذكر ابن الفقيه ، في البلدان (دي خويه) ، ص ١٣٢ ان الرقة في ديار مصر ..

ولم يكن لرافقة اثر ، وإنما بناها المنصور على بناء مدينة بغداد ، ورثب فيها
جنداً من أهل محرمسان

ويقول ابن سيريون ، في العجائب (لوسترنج) ص (١٢) ان نهر البليخ
اوله من ارض جبال من عين يقال لها الذهبانية يدور فيه ثلث نسيماً ورسائق
ويمر في ظهر مدينة الرقة ويصب في الفرات اسفل من الرقة السوداء في الجانب
الشرقي ،

ويذكر الاصطخرى قسى مالكة (دي خويه) ص ٧٥ فما به... ،
ديار مض فان الرقة اكبر ما فيها من المدن ، والرقة والرافقة مدينتان
متلاصقتان ، وفي كل واحدة منهما مسجد جامع ، ومنها على شرقي الفرات
كثيرة الاشجار والمياه في مستوى ، وفي غربي الفرات بين الرقة وبالس ارض
صفين وبالرقة موضع يقال كان بيت علي أيام صفين .

وبالاضافة الى الرقة ، مركز ديسار مغر ، يادكر المقدسي ، في
سمن التماسيم (دي خويه) ص ١٣٧ و١٤١) ايضاً المدن المحترقة : الرقة
(الرافقة) وخانوقة الحريش وتل بيري (١٢) . والرقة حصن عريض
يسير على متنه فارسان ، غير كبيرة ، وانها بابان ، غير ان لها دليلاً نسيحة
قديمة الخفلة ، حسنة الاسواق ، كثيرة الثرى والبساتين والخيرات ، ومكان الصابون
الجيد والزيتون ، ولها جامع عظيم ، وجماعات طيبة . قد نالها اموالاً وبرقت
قصورها ، وانتشر في الافليمين ذكرنا ، فاشام على تخمها . والفرات الى جنبها ،
والعلم كثير بها ، الا ان الماء راب بها ، واللسر ، اليها صعبة
والرقة المحترقة قريبة منها قد خفت وشربت .

والرافقة في ريف الرقة : الجامع في الاصاغة ، وجامع الرقة في النيزالين ،
فيه شجرتا عناب وشجرة توت ، والقرب مسجد مقام علي بن ابي طالب

ويكتب الشابشتي الديارات (مبولة برلين) ، ورقة ٩٥ الوجه
المقابل) ان دير زكاي يتبع في الرقة على الفرات ومن نهر البليخ

وهو من احسن الديارات موقعا وانزهها موقعا ، وكانت الملوك اذا اجتزأت به
 نزلته واقامت به ، لانه يجتمع به كل ما يزبلونه من عمارته ونفاسة ابنيه
 وطيب المواضع التي به ، وتزهة ظاهرة ، لان له بقايا عجيبة ، وبناحيته
 من الغزلان والارانب وما شاكل ذلك مما يصطاد بالجارج من طير الماء
 والجماري واصناف الطير ، وفي القنارات بين يديه مطارح الشباك للسماك .
 وفي شباط (فبراير) ، ١١٣٥ م ، ذهب زنكي الاتابكي من الرقة
 بطريق العبيدية الى حماة (كمال الدين ، التاريخ [دو مينار] ، ص ٦٦٩) .
 وكان ياقوت ، في معجمه (قسطنط) ، المجلد ٤ ، ص ٩٩٤ ، على
 دراية بنهرى الهني والمري عند الرقة والرائقة . فقد ذكر الهني والمري نهران بازاء
 الرقة والرافقة حضرمهما هشام بن عبد الملك واحديث . فهما
 واسط الرقة ، ثم ان تلك الضيعة ، اعنى الهني والمري قبضت في اول ايام
 البلوة العباسية ، وانتقلت الى ام جعفر وزادت في عماراتها قال ذلك البلاذري ، .
 وفي نحو ١١٢٧ م كان حنادق مطرانا في كاليينيكوس (ابن العبري ،
 المصدر السابق ، للمجلد ١ ، العهد ٥٦٥) .
 ويذكر الدمشقي (النخبة (ميرن) ، ص ١٩١) ان الرقة هي المركز الرئيس لبلاد
 مضير . ويفترض ان تكون الرقة البيضاء مدينة رومانية موغلة في القدم .
 وقام الخليفة المنصور في عام ٧٧٢ ببناء مدينة جديدة بجانبها واطلق عليها
 الرافقة . ويقال ان المدينة الاولى (اي الرقة البيضاء) كانت قد هدمت ، الا
 ان اسمها ظل باقيا ولا يزال يستعمل فيما يتصل بمدينة الرافقة . ويجري نهر
 الهني والمري بجانب المدينة وعلى ضفافهما قري . وتعتبر هذه المنطقة المجاورة
 من اجمل بقاع العالم . واصبحت مدينة حران عاصمة بلاد مصر .
 ويروي ابو الفداء ، التبريم (رينو وديسلان) ، ص ٢٧٧ ان الرقة في
 زمانه (في بداية القرن الرابع عشر) كانت مهلمة ومهجورة تماما .
 ويذكر اوليا جلبي ، التاريخ (ترجمة فون همي) ، المجلد ١ ، خ ١ ،
 ص ٥٩ ، ستاج : جماسا وخازيود ودير رجة وبني ربيعة وسروج وحران
 ورقي وورما (اواورفه) حيث يقسم الباشا .

الملحق الثاني عشر

بيرثا وزنوبيا وحلبية

وفي حلبية أحدد موقع مدينة دور كرباتي ، او نيرتي اشور التي بنيت في عام ٨٧٧ ق . م بأمر من اشور فاصربال الثالث (الحوليات [رولنسن ، كتابات مسمارية (١٨٦١ - ١٨٨٤) ، المجلد ١ ، الاوجه ٢٤] ، العمود ٣ ، الأسطر ٤٩ وما بعدها ، بج وكنك ، الحوليات [١٩٠٢] ، ص ص ٣٦٠ وما بعدها ، انظر ما سبق ، ص ٣٠١) .

وسميت حلبية فيما بعد زنوبيا ومن ثم الزباء .

ذكر بروكوبيوس في كتابه الموسوم بالمباني (٢ ، ٨ : ٤ - ٨) انه بين إقليم كوماجين الحنودي ، وهو الاسم الذي كان يطلق على اقليم الترات سابقاً ، والامبراطورية الفارسية تمتد منطقة شاسعة متفرة لا تحتوي على شيء يستحق القتل . قال من اجله وقد بنى كل من الفرس والرومان على حدود هذه الصحراء حصوناً من الآجر التي لم تهجم قط لانها لم تكن تحمي شيئاً يستثير الطمع في الزناهم . وفي هذه الصحراء امر الامبراطور دقيانس بناء ثلاثة حصون من الآجر ، ومن بين هذه الحصون الثلاثة أمر الامبراطور جستينان إعادة بناء - من ميري (ورد ايضاً ميري) المنهدم الذي يقع على بعد خمسة أميال رومانية تقريباً من زنوبيا) . ويمكن البحث عن ميري او ميري ، في خرائب الشيخ مبارك عند محطة التيني الحالية ، على مسافة سبعة كيلومترات من حلبية .

ويدون بروكوبيوس (الحرب الفارسية ، ٢ ، ٥ : ٤ - ٧ ، المؤلف نفسه ، المباني ، ٢ ، ٨ : ٨ - ٢٥) ان مدينة زنوبيا تقع على مسيرة ثلاثة أيام كاملة من قرقيسيوم . وقد استنساها زنوبيا وسميت نسبة اليها . وزنوبيا هي

زوجة اودونوس [اي اذنه] ، ملك سراقنة تلك المنطقة .
الذين كانوا متحالفين مع الرومان . وبمرور الزمن عندما تحولت التخصيمات
الى خرائب غادر الأهليون المدينة ، مما اتاح للفرس دخول الاراضي الرومانية
متى شاقوا دون ان يعلم الرومان بذلك . إلا بعد وقت طويل . ثم أمر جستنيان
 بإعادة بناء هذه المدينة واسكان الناس فيها ووضعت حامية قوية هناك وعلى
 رأسها قائد . ولم تقصر التخصيمات على المدينة القديمة فحصب بل على الروابي
 المحيطة بها كذلك لكي لا يتعرض الأهليون للرمي من القمم الأعلى منها .
 ويجري الفرات بين الاجراف الصخرية النالية القريبة من المدينة . وغنمنا
 بفيض النهر يعزل الى أسوار المدينة ويتخرها . ولهذا السبب امر جستنيان ان
 يبنى هذا الجزء من الاستحكام بجلاميد حجرية كبيرة وقواها اضافة الى ذلك
 بسد واق من الجلاميد البازلت الضخمة حتى لا يتمكن الماء من الوصول الى
 الجلاميد الحجرية . وامتدت المدينة شمالاً ، كما تحصن التل العالي الى الغرب
 منها ، وبنيت كنيسة وحمامات ومبان ذات اروقة . والمسافة من قرقيساء الى
 حابية مئة كيلومتر ؛ اذن يحصب بروكر ييوس ثلاثة وثلاثين كيلومتراً للمسيرة
 الواحدة .

واستناداً الى تاريخ الخلفاء (لاند) ، ص ١٦) ففي ٦٠٩ - ٦١٠ م
 قام الفرس باحتلال مسكن ، ديسا وجران وكالينيكوس وقرقيسيا وكذلك
 جميع المدن شرقي الفرات التي كانت تشكل خطاً حدودياً . وفي ٦ آب
 (اغسطس) ، ٦١٠ م عبر شهر براز النهر واستول على مدينة زنوبيا على
 الضفة الغربية من الفرات .

ويروي ابن قتيبة (المعارف) (قستفلك) ، ص ٣١٧) ان جليلة (الاسطوري)
 خطب الزباء وكانت بنت ملك الجزيرة وملكت بعد زوجها فاجابه فاقبل
 اليها ، فلما دخل عليها قتلته ، فطلب عمرو ابن اخته وقصير غلامه بثأر فتلاها
 وخلفا في بلدها رجلاً ورجلاً بالغيثام

أغلب عمرو ابن اخته وتصير غلامه بئاره فقتلها وخلفا في بلدنا رجلا وجعلنا بالغناعم .
ويروي اليعقوبي (التاريخ) (دو تسام) ، المجلد ١ ، ص ٢٣٨) ان
المتقدمين بلخيمه استدخلوا مكيدة للدخول الى مدينة الملكة الزباء ، اذ قاموا
بجعل اربعة آلاف رجل على القى جعل بهم السيوف ثم ادخلوهم مدينتها وفيهم
عمرو وفرق الصناديق في منازل اصحابها وادخل عدة منها دارها ، فلما كان
الليل خرجوا وقتلوا الزباء .

ذكر ياقوت في معجمه (فستغلك) ، المجلد ٢ ، ص ٩١٢) وابو
الفضائل في مراصده (يوينول) ، المجلد ١ ، ص ٥٠٤ ، أن الزباء مدينة
على شاطئ الفرات سميت بالزباء صاحبة جلدية الابرش .

وفي حوالي نهاية القرن الثاني عشر هدمت مدينة الزباء القديمة ، الا ان عدداً
كبيراً من النصب التذكارية الجميلة ظلت قائمة تثير الاعجاب .

والى الجنوب الشرقي من حلبية عند النقطة التي تأخذ فيها قناة المصهران من
الفرات تمتد خرائب زلبه . ان موقعها ذو اهمية كبيرة . وزلبه تقع على الحد
الغربي لسهل فيضي طويل كان يجهزها بجميع احتياجاتها ، وكانت تسيطر
على كل الطرق البرية والمائية للمنطقة ولهذا السبب كان لسكانها الاصليون
منذ بداية الألف الأول قبل المسيح حصنهم الخاص بهم
وهو الحصن الذي اضطر اشور ناصربال اثناء حملته في ٨٧٧ ق . م
(الخوليات [رولنسن ، المصدر السابق ، المجلد ١ ، اللوحة ٢٤] ، العمود
٣ ، البطور ٢٧ - ٥٠ ؛ ويج وكنك ، المصدر السابق ، ص ٣٥٣ -
٣٦١) امره بتقويته ، وسماه اياه كار - آشور ناصربال . ولنا ان نفترض
ان السكان الاصليين اطلقوا على مركزهم الإداري بيرتو (حصن)
وان الاسم الرسمي كار - اشور ناصربال . كان قد اختفى ، الا ان الاسم
الحلي بيرتو الذي كان يطلق على الحصن الرئيس للمنطقة ظل باقياً (فورر ،
تقسيمات ادارية ، ص ١٠٥) .

ونعلم من ايسيلور الكونجي (المحطات القرطية - ملر) ، ص ٢٤٧)
انه كان يوجد في زلبه فيما مضى عملة ملكية فيها هياكل لآرتميس

وان الملك دارا بنى قصراً ملكياً ، سميّ رحنرت عند اميس قناة لاري . ولكي يجري الماء من النهر الى القناة ، تمّ تضييق الفرات بسد مبني بالحجارة . وفي فصل الخريف عندما يقل الماء في النهر ، كانت قوارب كثيرة تتحطم على هذا السد ويحتمل ان الملك دارا طلب بناء قصره الملكي في مركز المنطقة الادارية ، وان هذا المركز كان بيرثا اي بيرثو الآشورية .

وفي زمن السلوقيين اسس المقدونيون عدداً من القسرى على الضفة اليسرى للفرات الأوسط . ويدعو المؤلفون المتأخرون مدينة بيرثا ايضاً باسم مقدونوبوليس ، مما يحملنا على الزعم بان المقدونيين ايضاً توطنوا في بيرثا ، ولعل هيكل ارتيمس كان نصيباً تذكاريًا لذلك . ومن الواضح ان الاسم الرسمي الجديد لم يصبح شائعاً عند المواطنين الاصليين قط ، وانه اختفى بزوال الحكم السلوقي ، ولم يظهر ثانية حتى العهد المسيحي عندما انعشت الكنيسة استعمال اللغة الاغريقية في منطقة الفرات الاوسط . وهذا يفسر لماذا أغفل انيسدور الكرخي اسم المحطة الملكية التي يقع هيكل ارتيمس فيها .

ويلبون بطليموس (الجغرافية : ٥ ، ١٩ : ٣) قسرية باسم بيرثا إلا انه يضعها على الضفة اليمنى للفرات في بادية الشام جنوب شرقي مصب نهر ابوراس (الخابور) ، وهكذا تكون في منطقة خندانو السياسية القديمة . وبما ان كلمة بيرثا هي تسمية شائعة لحصن وانه كانت عدة اماكن فسي الاراضي التابعة للفرات الاوسط ودجلة تحمل هذا الاسم ، فلعل بطليموس كان يقصد حصناً آخر .

وكانت مقررات مجلس نيقة في عام ٣٢٥ م قد وقعتها شخص يدعى مارياس من مدينة مقدونوبوليس باعتباره أحد مطارنة اقليسم الجزيرة . وفي النص السرياني يُقرأ اسمه مارا من بيرثا (كلتشر ، اسماء مشاهير الآباء من نيكانيه [١٨٩٨] ، ص ٢٢ و ٦٤ و ١٠٢) . ولم يصل لقليم الجزيرة الى الضفة اليمنى للفرات فسي اي موضع كان ؛ فلا بد اذن

من البحث عن اسقفية بيرثا ، او فقد و نوبوليس ، على الضفة اليسرى .
وشارك مطران اسمه دانيال من بيرثا (مقلدونوبوليتانوس ، باللاتينية)
من ابرشية اسروثين في المجمع المسكوني (٤٥١ م) (ميخائيل السوروي ،
المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ١٩٩) . ان اسروثين لا -م تصل الى الضفة
الفرات اليمنى قط .

وبعد هذا المجمع فصل يوحنا ، وهو كاهن محلي يلي الاسقف في المرتبة ،
ولقد ورد ذكر اسم الكاهن الذي يلي الاسقف بالمرتبة تسطنطين من دير من كنرا
بيرثا (المصدر نفسه ص ٢٦٦) . كفرا بيرثا في وثائق ... مونوفيسية .

(شابو) ، ص ص ١٦٣ و ١٧٣ و ١٨١ و ١٨٤ .

وتسلم المطران سيرجيوس ، من حصن بيرثا الواقع على الضفة الفران
اليسرى ، نحو نهاية عام ٥٠٥ م إعانة مالية من الامبراطور انستاسيوس (٤٠٩-٤٥٠ م)
(٥١٨) تمكن بها من ترميم اسوار محل اقامته (يشوع العمودي ، المدونة [مارتن]
٩٣) .

ويذكر هيروقليس في كتابه : السينود (يركهارت) ، ص ٣٩ (وجورجيوس
كبريوس ، في كتابه اسوموم ب) الوصف (كلتسر) ، ص ٤٥) الاسم بيرثا
على انه احد مدن ابرشية روسروانيس (اسروثين) .

الملحق الثالث عشر

فاليكا وقرقيسيموم وقرقيسياء

ان مستوطنة البسيرة الحديثة هي قرقيسيموم القديمة .
يروى ميخائيل السوري في ملونته (شابو) ، المجلد ٤ ، ص ٧٨)
ان الملك السوري سلوس ، ويدعى كاليينيكوس ، بني مدينتين على نهر
خابورا (أو الخابور) سمى احدهما كاليينيكوس نسبة له ، والثانية قرقيس .
ويكتب ، ابن العبري (التاريخ السوري [بيجان] ، ٢٨) قرقيسيون بدلاً
من قرقيس .

ولا يذكر احد من المؤلفين القدامى الذين نعرفهم بلدة باسم قرقيس ، بناها
سلوقس كاليينيكوس (سلوقس الثاني ، ٢٤٧ - ٢٢٦ ق . م) . على ان
السلوقيين كانوا من اعظم البناة ولذا فمن الممكن ان يكونوا قد اسسوا
بلدة قرقيس اليونانية عند ملتقى الخابور بالفرات ، وهي نقطة تجارية
هامة ؛ ومن المحتمل ان كان هناك بلدة محلية قبل ذلك . والاسم اليوناني
قرقيس اعاده الى الوجود فيما بعد ديوقليانس بصيغة قرقيسيموم .

ويشير ايسيدور الكرخي ، في المحطات القرثية (ملر) ، ص ٢٤٨)
الى بلدة فاليكا عند مصب خابوراس في الفرات ، ويذكر ان الاسم
فاليكا يعني متصنف الطريق ، ويذكر ايضاً بلدة صغيرة محصنة باسم
نيكث متصلة بفاليكا .

ونسي وصف اريان ، في شاراته ، ١٠ (ملر ، ص ٥٨٨) ، ابشار
اسطول تراجان على الفرات ، مكاناً كان يطلق عليه فلكا (انظر
روس ، دراسات اريانية [١٩١٢] ، ص ص ٥٠ وما بعدها) .

وقد اصاب اسطيفان البيزنطي في قوله (في كتابه الاجناس (ماينكه) ص ٦٥٦) عندما وضع ان فلكا مكان يقع في منتصف الطريق بين سلوقية يياريا وسلوقية في بلاد ما بين النهرين . والمسافة من فلكا الى سلوقية يياريا بحذاء القرات تبلغ ٨٤٠ كيلومتراً . ومن هناك الى سلوقية في بلاد ما بين النهرين ٨٥٠ كيلو متراً . ويحتمل ان يكون اسم فلكا قد اطلقها القوافل التجارية على البسلدة بينما كان الاسم الأصلي : ولارب ؛ يلفظ بصورة مختلفة تماماً . ولاري ان فلكا مطابقة لقرقيس اليونانية ، بُنيت للتجار بالقرب من بسلدة نيكاث المحلية ؛ وحتى الخراب الحالية تبلى مقسمة الى نصفين غير متكافئين . ففي النصف الجنوبي او البصرة الحالية احدد موقع بسلدة نيكاث المحصنة ، وفي النصف الشمالي ، او المتراص الحالية ، احدد موقع المركز التجاري لقرقيس او فلكا .

ولا بد ان بليني كان يفكر في المركز التجاري لفاليكا حينما ذكر (التاريخ الطبيعي ح ٥٥ ، ٨٩) ، ان بلدة فيليسكوم الثرية تقع قريباً جداً من مدينة سورا الرومانية ، على بعد حوالي عشرة أيام بطريق النهر من سلوقية وعلى نفس البعد من مدينة بابل تقريباً .

ويروي اميانوس مارسلينوس ، ح ٢٣٥ ، ٢ : ٥ ، ان الامبراطور دوقليانسس أمر باحاطة بلدة قرقيسيوم (قرقيسيوم الصغيرة البائسة بجدران عالية مع أبراج وذلك لمنع القرص من نهب سوريا بسهولة كما كانوا يفعلون حتى سنوات قليلة سابقة . ويستنتج من هذا ان ديو كليسيان لم يبين بسلدة جندية ، بل انه قام بتحصين قرقيسيوم القديمة (او قرقيس [فاليكا] فقط ، جاعلاً منها حصناً حدودياً متيناً . وتم وصل بلدة نيكاث ببسلدة قرقيس اليونانية وبذلك انتعشت التسمية اليونانية .

وفي عام ٣٦٣ م ، بينما كان الامبراطور جوليان يحرف ضد القرص ، وصل الى قرقيسيوم ، وهي معسكر روماني على حدود بلاد آشور محاطة

ينوري ابورا (الخابور) والفرات (اميانوس مارسليوس ، المصدر السابق ج ٢٣ ، ٥ : ٢ ، ماكينوس كارمينوس ، الشلرات [ملر] ، ص ص ٤ . وما بعدها ، زوسيموس ، التاريخ الحديث ؛ ج ٣ ، ١٣) .
وكان ابراهام ، مطران قرقيسوم ، من بين من وقعوا على مقررات
المنعج المسكوني في عام ٤٥١ م ؛ ميخائيل السوري ، التاريخ [شابو] ،
المجلد ٤ ، ص ١٩٩ ، هاردوين في مجموعة القرارات [باريس] ،
[١٧١٥] ، المجلد ٢ ، العمود ٤٧٣ ، مانسي ، [١٧٩٨ - ١٧٥٩] ،
المجلد ٧ ، العمود ٤٣٢ .

وفي عام ٥٠٢ م ظهر فجأة المناذرة المنحازون للفرس قرب حصن قرقيسوم
الواقعة على الخابور ، الا ان القائد تيمو ستراتيس من مدينة كاليينيكوس
لحق بهم وأبادهم (يشوع العمودني ، التاريخ [مارتن] ، ص ٥٨) .
وفي مطلع القرن السادس ورد ذكر اسم شخص يدعى نونا من
قرقيسوم باعتباره مطراناً (الحياة الحقيقية لمشاهير المونوفيسيت [بروكس] ،
ص ٦١) .

وفي عام ٥٣٦ م وقع داود مطران قرقيسوم على اعلان المطارنة الشرقيين
ضد الكفاليين (هاردوين ، المصدر السابق ، المجلد ٢ ،
العمود ١٢٢٢) .

وفي ظل حكم جمتينان قسام المنسدر ملك المناذرة المواليين للفرس ،
بنهب المناطق الحدودية على امتداد الخابور والبلخ وكذلك استولوا على
مدينة حُصص (ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ص
٢٧٠ وما بعدها) .

ويقع حصن قرقيسوم الثغري الروماني على الضفة اليمنى لنهر ابوراس
(الخابور) حيث يصب في الفرات ، وكان يشكل بجزرانه المحصنة مثلثاً بين
هذين النهرين (بروكوبوس ، الحرب الفارسية ، ج ٢ ، ٥ : ٢ - ٤) .
ولم يتم دو قليانس بتسوير الحصن بأكمله بل اكتفى بمجرد اقامة

استحكامات خارج المدينة من ابوراس الى الفرات ، مقوياً لهاها ، بالإضافة الى ذلك ، بيرج يطل على كلا النهرين . اما الجهتان الملاصقتان للنهرين فقد بقيتا بايون استحكامات ، لان النهرين وحدهما كانا يشكلان في نظره حماية كافية . وعندما تداعى اساس البرج الجنوبي بجانب ابوراس الى الحد الذي اصبح فيه معرضاً للانهيار ، أمر جستنيان . باعادة بنائه بحجر البازلت ، وكذلك تم تزويد الجانبين المحاذيين للنهرين بأسوار وافية ، ورفعت البلدة الى مرتبة مدينة ، ومنحت حماية بامرة قائد ؛ فضلاً عن ذلك فقد تم بناء حمامات فيها . (بروكويوس ، الباني ، ٢٥ ، ٦ ؛ ١٢ - ٩) .

وفي عام ٥٨٠ م زحف جيش روماني بقيادة موريس ماراً بمدينة قرقيسوم الرومانية . وكان ينوي قطع بقية بادية الشام ومن تم مباغرة بلاد بابل . الا انه يقال ان الامير - الامتدار (المنلر) أخذ - بر الفرس بذلك ، فقاموا بتدمير الجسر على الفرات في اقليم بيت ارميا . وفي الوقت ذاته ظهر جيش فارسي كان يقوده ادورمان (وورد ايضا ذوماهان) امام مدينة كاليبيكوس . وقد قام موريس بتدابير مضادة ، فأمر باحراق قوارب التموين التي على الفرات . ثم أسرع مع صفوفه من جنده لنجدة المدينة المهتدة حتى تمكن من إجبار الفرس على التراجع . (يوحنا الافسوس ، التاريخ الكنسي ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٦٥ ، ١٦ وما بعدها ؛ ثيوفيلكتوس سيموكتا . التاريخ ، ٣٥ ، ١٧ : ٥ - ١١ ؛ ايفاكريوس ، المصدر السابق ، ٥٥ ، ٢٠) .

وفي عام ٥٩٠ م كان كسرى الثاني يترأف أمام خصمه الأقوى منه (وروهان) على امتداد الفرات بين حصون تابعة للفرس من امثال بيروز شابور (الامبار) وديت وعانه ، باتجاه قرقيسوم . وعندما وصل الى قرابة عشرة أميال من هذا المعتل الثوري بعث برسلى الى حاكمها برويوس . وبعد مسيرة ثلاثة ليال وصلوا الى امام البوابات سمح لهم الدخول فوراً ؛ وفي الصباح

التالي دخل كسرى نفسه المدينة مع نسائه واطفاله الرضع . (فولدكه ،
التاريخ السوري [١٨٩٣] ، ص ٥ وما بعدها ؛ كويدي ، نص جديد
[١٨٩٣] ، ص ٧ ؛ ثيوفيلكتوس سيموكاتا ، التواريخ ، ج ٤ ، ص ١٠ ،
: ٤ - ١١ .)

ويذكر جورج جويس كبريوس ، الوصف (كيلزر) ، ص ٤٦)
من بين مسكن ابرشية اسروثين مدينة قرقيسيا (قرقيسوم) الواقعة على حدود
الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية .

وفي عام ٦٣٧ م وصل المسلمون من مدينة هيت الى قرقيسيا (قرقيسوم)
وافتحوا عنوة (الطبري ، التاريخ [دي خويه] ، السلسلة ١ ، ص ٢٤٧٩) .
يذكر البلاذري ، في فتوحه (دي خويه) ، ص ١٧٥ ، ان المسلمين في
٦٣٩ - ٦٤٠ م افتحوا قرقيسيا صلحاً مثل الرقة .

وفي عام ٦٨٤ م ورد ذكر يوحنا ، مطران قرقيسوم او خابورا (الخابور)
(ميخائيل السوري ، التاريخ [شابو] ، المجلد ٤ ، ص ٤١٨ و ٤٤٠) .
ولذا لم يدع المؤلفون العرب والسريان المدينة بقرقيسيا فحسب بل انهم اطلقوا
عليها اسماً مشتقاً من اسم نهر الخابور .

وفي نحو عام ٧٠٠ م فسي زمن الخليفة عبد الملك ، عسكر عمير بن
الحباب مع رجاله التيسيين بجوار نهر البليخ بين حران والرقة ، ومن هناك
قام بغارات على قبائل كلب واليمانية . ، تم تحول بمعسكره الى الخابور .
وكانت قبيلة تغلب تسكن في ذلك الوقت بين أنهار الخابور والفرات ودجلة .
هاجم عمير قرية تغلب عند ماكسين بالقرب من نهر الخابور وعلى
مسيرة يوم من قرقيسيا . وبغية الانتقام بالنار قام مقاتلو قبيلة تغلب بانتهاك
ديار قبيلة قيس بجوار قرقيسيا . (ابو الفرج ، الاغانى ، بولاق ، ١٢٨٥
ج ٨ ، المجلد ٢٠ ، ص ١٢٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل [تورنبرك] ، المجلد
٤ ، ص ٢٥٤ وما بعدها) .

ويذكر ابن رُسته ، في الاعلاق (دي خويه) ، ص ١٠٦) ، من كسور الجزيرة منها : رأس العين وقرقيسيا والرقسه .

ويقول ابن سيراينون ، المعجائب (مخطوطة المتحف البريطاني) الاوراق ٣٢ الوجه الصحيح وما بعدها ، (لوسترنج) ، ص ١٢) ، ان نهري الخابور والهرماس يجتمعان في البرية والهرماس منصب فيه فيصيران نهراً واحداً . والغالب عليه الى مصبه الخاير ، فيسر فيسقى الضياع التي في شمال قرقيسيا ويصب في الفرات بقرقيسيا في الجانب الشرقي .

ويقول ابن حوقل في مسالكة (دي خويه) ص ١٣٩) وما بعدها ، و ١٥٥) . وعلى ظهر الخابور وبنواحي عرابان وبالمعد من الخابور عن مرحلة مدن كثيرة قد غلبت عليها البادية فحكمهم دون اهلها فيها امضى : وامرهم في غلاتهم واموالهم انفذ واملى كالبيادية وتنبير والجشية وطلبان ، وهذه مدن عليها اسوار لا تحصنها ، وقد لجأ الى المخازن والاذمة اهلها ، فكل من ساقهم تبعوه وكل من خانوه اطاعوه ، فاذا ملك الفرات سلطان قادر امنوا ، واذا ضعف السلطان بنواحيهم هم ملكوا وغفوا . واما قرقيس - يا فمدينة على الخابور ، وبسها بساتين واشجار كثيرة وفواكه ، هي في نفسها انزهة ويجلب من فواكهها وفواكه الخابور الى العراق في الشتاء وان كان الاحتمال قد شابها وبينها وبين مدينة الخانوقه يومان .

ويقول الاصطخري ، في مسالكة (دي خويه) ، ص ٧٤) ان نهري الخابور الذي يقع الى قرقيسيا ومسافة هذا النهر نحو عشرين فرسخاً قرى ومزارع ، ويلون الادريسي ، في نزهته (ترجمة جويير) ، المجلد ٢ ، ص ١٤٥ . ان الخابور بلدة على الفرات ، ليست كبيرة ولكنها جوية المنظر . وهي محاطة باشجار وبساتين فيها فاكهة وخضروات كثيرة .

وفي عام ١٢٢٠ م أصبر الملك الأشرف بالقيا القبض على ابن عماد الدين ، حاكم مدينة قرقيسيا ، ومن ثم استولى على بلدة عانة واماكن اخرى تعسده

إليه (كمال الدين التاريخ [ترجمة بلوشي] ، مجلة المشرق باللاتينية .
 ، المجلد ٥ ، ص ٦٣) .
 وفي عام ١٢٦٠ م تم تشييد جسر عائم عند قرقيسيا للمنول (ابن العبري ،
 التاريخ السرياني [ييجان] ، ص ٥٥٤) .
 ذكر أبو الفداء في تقويمه (ريتو ودي سلات) ، ص (٢٨١) ، ان
 وقرقيسيا مدينة الزباء صاحبة جديفة الايرش وبها عمارة .
 ويذكر الدمشقي في تحفته (ميرن) ، ص ١٩٢) ان نهر الخابوز ينبع
 عند رأس العين وطوله سبعة فراسخ ، وتحاذيه مناطق الصوار وماكسين وشمسانيه
 وعرابان وطلابان والمجدل وساعا ، وهو يحاذي قرقيسيا ، الا ان الأخيرة
 كانت قد تهدمت قبل عصر الدمشقي (اي بداية القرن الرابع عشر) .
 ويذكر حاجي خليفة ، في جيهان نامه (التسطنطينية ، ١١٤٥ هـ) ، ص
 (١٤٤) ان مدينة قرقيسيا تقع في ديار مصر على الضفة اليمنى للخابوز
 عند مصبه في الفرات . وقد توفي فيها جرير بن عبد الله البجلي .



الملحق الرابع عشر

ثيشا ودورا و ساوكوراس

كانت الرواية محطّة زيثا وهي المحل الذي دفن فيه الامبراطور كورديان .
ويسروي يوتروبيوس في الموجز (ج ٩ ، ص ٢) ان كورديان
اغتيل غير بعيد عن الحدود الرومانية بتخريض من فيليب الذي أصبح امبراطوراً
بعده . وعند علامة الميل العشرين من قرقيسيوم شيد الجنود ضريحاً تكريماً
له ، الا انهم قتلوا جثمانه الى روما .

ويضيف جوليوس كاييتولينوس (في كورديان الثالث ، ٣٤) الى هذا بقوله
ان الجنود بنوا الضريح لكورديان عند قرقيوم (ووردت قرقيسيوم)
على الحدود النابسية ونقشوا عليه كتابات اغريقية ولاتينية وفارسية وعبرية
ومصرية . ويقال ان هذا الضريح دهره ليكيينوس فيما بعد .

وفي النصف الاول من القرن الرابع للميلاد كان الراهب الناسك بنيامين
يعيش في مدينة دورا المهجورة التي سميت كل الصحراء المحيطة بها نسبة اليها .
وامره ملاك الله (رسول الرب) بان يذهب من هناك الى جبل سنجار الواقعة
الى الشرق . (هو فمان ، تبيانات [١٨٨٠] ، ص ص ٢٨ وما بعدها)
ومدينة دورا هي الصالحة والجماعية في وقتنا هذا .

ويؤمن ايوانوس مارسلينوس ، (ج ١٣ ، ٥ : ٤ - ٨ ، ص ١٤
١ : ٥) أنه في عام ٣٦٣ م وصل الجيش الروماني من ابرو
(الحابور) الى مكان كان يدعى زيثا ، ويعني هذا الاسم « شجرة
الزيتون » حيث اقيم نصب للامبراطور كورديان يمكن رؤيته من بعيد .
وبعد ان كرم جوليان سلفه اسرع نحو مدينة دورا المهجورة . وفي
الطريق اقتنع الجنود اسداً كبيراً . يقع دورا على مسافة رحلتين من قرقيسيوم

(قرقيسيوم) على ضفة النهر . وكانت بضعة قطعان من الغزلان ترعى في المنطقة المجاورة .

ذكر زوسيموس (التاريخ الحديث ، ج ٣ ، ١٤) أن جيش جوليان بعد زحفه مسافة ستين ستاداً (من قرقيسيوم) وصل الى محطة زاونا ومن هناك وصل الى بلدة دورا القديمة حيث اقيم مشهد لكورديان .

لم ينقل لنا زوسيموس المسافة من بلدة زيثا الى قرقيسيوم على وجه صحيح ، كما انه لم يسجل موقع الراية التي شيد عليها ضريح كورديان على وجه صحيح ، اذ لم يكن الضريح في دورا بل في زيثا . وزوسيموس هو اول من يقرن بلدة زيثا ببلدة دورا : ويعزو للأخيرة احداثاً وقعت في حقيقة الأمر في الاولى . وتقع بلدة زيثا في منطقة دورا التي سميت بهذا الاسم نسبة الى بلدة دورا القديمة ، او نيقانوروبوليس . التي بناها المقدونيون والتي منحها الاغريق اسم اوروبوس (ايسيلور الكرخي . المصدر السابق ص ٢٤٧) . ويروي الطبري في تاريخه (دي خويسه) للسلسلة ٢ ، ص ١٧٣٥) ان الخليفة هشاماً اقطع ارضاً يقال لها دورين ، فارسل في قبضتها فاذا هي خراب ومنطقة دورين هذه مطابقة لصحراء او منطقة دورا .

ويذكر الكتاب المنسوب لايونيسيوس النهمري : التاريخ (شابو) ص ٢٢٦ أنه في عام ٧١٧ - ٧١٨ م أمر هشام بخفر قناة اروائية ، وباعادة تعمير مدن متعددة وحصون وقسرى متعددة ، ويزرع اشجار ايضاً كل هذا في منطقة الزيتون . ومنطقة الزيتون التي سميت نسبة الى بلدة زيثا ما هي الا اسم آخر لصحراء دورين او هورا .

ويذكر البلاخري في فتوحه (دي خويسه) ، ص ١٧٩) واما رصافة هشام فان هشام بن عبد الملك احداثها وكان ينزل قبلها الزيتونة ، وحفر الهني والمرى ، واستخرج القرية التي تعرف بالهني والمرى ، واحداث واسط الرقة .

وبالاستناد الى هذه الرواية - ان جشاماً أقام في الزيتونة (شجرة الزيتون) ، بلدة زيثا الرومانية القديمة ، في اقطاعيته دورين او الزيتون . وعندما أصبح خليفة وبنى لنفسه سكناً رابعاً في الرصافة امر بحفر نهري الهني والمري بالقرب من الرقة التي لم تكن بعيدة عن محل سكناه ؛ وهذان النهران يرويان ضواحي الرقة على الضفة اليمنى للبلخ .

تلقى هشام ثباً اختياره خليفة في عام ٧٢٤-٧٢٥ م وهو في بيت متواضع في الزيتون (الطبري المصدر السابق : السلسلة ٣ ص ١٤٦٧ وما بعدها) - أي في بلدة زيثا .

وفي عام ٧٤٤ - ٧٤٥ م (المصدر نفسه ، السلسلة ٢ ، ص ١٨٩٥ و ١٩٠٧ و ١٩٠٨ وما بعدها و ١٩١٣) أرسل الخليفة مروان بن محمد قائد ابن هبيرة ، مع عشرين الف جندي اضافي لارحف نحو العراق ، ولكنه أمره بان يعسكر عند دورين وينتظره هناك . ثم رحف مروان من الرصافة بطريق الرقة باتجاه قرقيسيا ، وكرر أمره لا بن هبيرة بالبقاء في معسكره قرب دورين . وتقول رواية أخرى ان ابن هبيرة عسكر بجانب نهر سعيد بن عبدالمالك . وكلتا هاتين الروايتين ، يرغم اختلافهما ذبي الظاهر ، متضمتان وتؤيدان ما يلي من توضيح للظروف . فلا بد أن مروان رحف من الرصافة بطريق الرقة نحو قرقيسيا متبعاً قائد ابن هبيرة . ووفقاً لذلك فانه يجب تحديد موقع الأخيرة الى الجنوب الغربي من قرقيسيا حيث تمتد منطقة دورين بين الضفة اليسرى لخابور الاسفل والفرات . وكان نهر سعيد - اي القناة المنسوبة الى سعيد بن عبدالمالك - يتشعب من الفرات على مسافة نحو ثلاثة عشر كيلومتراً الى الشمال الغربي من قرقيسيا لارواء البسمل القوسي على امتداد الضفة اليمنى للنهر نازلاً حتى الطرف الجنوبي لمنطقة دورين . ولا ريب في ان الجيش الذي بقيادة ابن هبيرة عسكر على الضفتين الى الجنوب الغربي من قرقيسيا ، وبهذا جعل جزءاً من معسكره في دورين جزءاً آخر في منطقة نهر سعيد .

ويذكر ابن بطوطة في مسالكه (دي حويه ٢ ، ص ٧٤) الزيتون من بين المناطق الادارية الاكثر احمية في تلك الفترة . ومن الواضح ان الزيتون هذه كانت تشير الى المنطقة المجاورة بلدة زيتا القديمة ومن ثم الى منطقة دورين بأكملها . وفضلاً عن ذلك فلما كان هشام الذي ينتسب الى بني مروان قد أقطع منطقة الزيتون (او دورين) اقطاعية ، وأعاد تعمير القنوات مما جعل المساحات الزراعية والمدن والقرى على السواء تزدهر هناك من جديد ، فليس من الغريب ان تبقى ذكرى بني مروان ، السادة السابقين ، حية في نفوس الأهليين ، وأن يطلق اسم المروانية على ساكن هؤلاء السادة ، أي بالـ زيتا ، تكريماً لهم .

انصلح الخليفة مروان الثاني (٧٤٤ - ٧٥٠ م) اتراً بهدم قرى هشام الواقعة على الفرات وفي اماكن أخرى ، الا ان الموالين لهشام تراجعوا الى حصته على الفرات مقابل الرحبة ، ومن هناك تحذوا مروان بطريقة مهيئة فجمع مروان بعض الجند على عجل وزحف على حصنهم واستولى عليه وأمر باعدام اربعة منهم (اغايوس : العنوان [فاسيلييف] ، المجموعة الشرقية ٨ ، ص ٥٦٧ وما بعدها) . ولا نكون موغلين في الخطأ في تحذيد موحخ حصن هشام في معسكر زيتا الروماني ، زيتونة هشام ، المروانية في يومنا هذا . وتقع الرحبة وهي الميادين الحالية ، قرابة عشرين كيلومتراً الى الشمال الغربي على الضفة اليمنى للفرات . واستنادا الى العماد (ابو شامة : الروضتين [القاهرة] ، ١٢٣٧ - ١٢٧٨ هـ)

المجلد ٢ ، ص ٣٢) ، فإن صلاح الدين فسي اوآخر عام ١١٨٢ م استولى على رأس العين ودورين وماكسين . والشمسانية والفدين والمجدل والحصين . وجميعها كانت تقع على نهر الجابور الذي عبوه ما وراء قنطرة التينير على الطريق الى نصيبين . ولم تذكر اسماء الأماكن بحسب ترميزها الجغرافي ، ومن المحتمل ان دورين تمثل المنطقة بأكملها ، ومع هذا فليس من غير المحتمل

ان العماد أطلق هـ . هذا الاسم على بلدة السكير التي عندها تنفرع قناة دورين من نهر الخابور .

وتأخذ قناة دورين من الخابور أسفل من بلدة السجر ، السكير القديمة ، واستناداً الى ابن سيرايون (العجائب (مخطوطة المتحف البريطاني ، الورقات ٣٢ الوجه الصحيح وما بعدها، (أوسترنج) ، ص ١٢) فان نهر الخابور «يجتمع هو ولهرماس في البرية ولهرماس منصب فيه فيصيران نهراً واحداً والغالب عليه الى مصبه الخابور ، فيمر فيمقي الضياع التي في شمال قرقيسيا ، ويصب في الفرات بقرقيسيا فسي الجانب الشرقي . ويخرج من الهرماس ايضاً نهر يقال له الثرثار اوله عند سكير العباس ، ويمر فسي وسط البرية ويصب في دجلة أسفل من تكريت بعد ان يمر بالحضر ويقطع جبل بارماه . ويقدم لنا ابن سيرايون حلاً للغز نهر ساوكوراس ؛ فان هذا النهر وفقاً لبطليموس (الجغرافية ، ح ٥ ، ١٨ : ٣) ينبع الى الشرق من خابوراس (الخابور) ويصب الى الجنوب الشرقي منه في الفرات . ان المجرى العلوي لنهر ساوكوراس الذي اورده بطليموس يطابق الهرماس عند الكتاب العرب ، وهو يجري من الشمال الشرقي منضمماً الى الخابور الاصلي . وينبع الأخير الى الشمال الغربي . وعند بلدة السكير على مسافة خمسة عشر كيلومتراً من قرقيسيا يأخذ نهر دورين من الخابور ولهرماس المتحدين ، ويجري الى مسافة ١١٢ كيلومتراً الى الجنوب الشرقي حيث يصب في الفرات . ومن الواضح ان بطليموس اعتقد ان هذا النهر كان المجرى الأسفل لساوكوراس ، مشتقاً الاسم من بلدة سكير ، حيث ينفرع النهر من الخابور . إنه سجل بصورة صحيحة المجريين الأعلى والأسفل لنهر ساوكوراس ، إلا أنه لم يذكر ان النهر في جزئه الأوسط شكل مع الخابور جدولاً واحداً . وكان بطليموس ، مصدر كثير من معلومات البلدانين العرب والذين ادركوا ادراكاً كافياً ان نهر ساوكوراس عند منبعه كان مطابقاً للهرماس ، «وكانوا يعرفون ايضاً أنه لم يجر الى الفرات بصورة مستقلة ، لذلك ربطوا مجراه الأعلى والأوسط . بالثرثار الغامض .

ثيساكوس بن عنب بطليموس والرحبة عند القهوب

انني اعتبر الميادين مخاضة ثيساكوس التي حدد مكانها بطليموس في جغرافيته (ج ١٩، ٣: ٣) على ضفة الفرات اليمنى أسفل من فوهة نهر خابوراس (الخابور) (انظر كتابي بادية الشام، ص ٥٠٢ وما بعدها). وهذا ما تؤكد الرواية الاسلامية التي تذكر ان هذه البلدة كانت تسمى قبل الاسلام فرضة نعيم. ويقول اللبيري في تاريخه (دي غويه)، «السلسلة ١، ص ٩١٧» ان فرضة نعيم هي رحبة مالك بن طروق.

ويلدكر ابن مسكويه في تجاربه (كتاباتي)، ص ٨٧) أن رحبة مالك بن طروق كان اسمها قديماً الفرضة.

ويؤكد ياقوت (المصدر السابق: المجلد ٤، ص ٧٩٧) ان نعيم تقع عند رحبة مالك بن طروق على الفرات وكسبان. يقرها غير نعيم (المصدر نفسه، المجلد ٢، ص ٧٠٤). ويقول في موضع آخر ان وادي نعمان في سوريا يلتوي قرب الرحبة (المصدر نفسه: المجلد ٤ ص ٧٩٦).

والاسم ثيساكوس (مخاضة) يعني مالتنيه الكلمة العربية الفرضة، وكانت الفرضة اول بلدة رومانية صعيداً في الفرات، بينما كانت القايم اول حصن تغزي فارسي (متحدين مع الفرات) (اللبيري: المصدر السابق، السلسلة ١، ص ٨٦٠؛ ابو الفرج: الاغاني، بولاق، ١٢٨٩، المجلد ٥، ص ١٢٣ وما بعدها؛ البكري: المعجم، [فستفيلد]، ص ٣٥٩؛ ابو القضايل، المراسد [يونيتول]، المجلد ١، ص ٤٣٧).

ويطابق حصن القايم القارسي محطة القايم الحساليه على بعد ١٠٦ كيلو مترات الى شرق - الجنوب الشرقي من الميادين ، ثيسل كوس الرومانية والرحبة عند المسلمين الأوائل .

ويروي البلاذري (الفتوح (دي خويه) ، ص ٩٨٥) انه « لم يكن للرحبة التي في اسفل قرقيسيا أثر قديم ، انما بنادما واحدها مالك بن طوق بن عتاب الغنيلي في خلافة المأمون » (٨١٣-٨٣٣ م) .

ويقول ابن الاثير ايضا (الكامل (تورثيرك) ، المجلد ٧ ، ص ١٨٨) ان مالك بن طوق التغلبي بنى مدينة الرحبة . وتوفي في عام ٨٧٣-٨٧٤ م وقد خلفه ابنه أحمد على البلدة ، ولكنه في عام ٨٨٣ م طرده منها ابن ابي الساج الذي آلت اليه الانبار وطريق القرات ورحبة طوق (الطبري : المصدر السابق ، السلسلة ٣٠ ، ص ٢٠٣٩) .

وفي اليوم الثالث من شهر آذار (مارس) عام ٩٢٨ م هاجمت القرامطة مدينة الرحبة ونهبوها واخلوها منها وما حولها خمسة آلاف اسير (ابن مسكويه ، التجارب (أمسياروز) ، المجلد ١ ، ص ١٨٢ وما بعدها ، حريب ، الصلة [دي خويه] ، ص ١٢٤ ، المسعودي ، التنبيه [دي خويه] ، ص ٣٨٤ وما بعدها ، ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ٨ ، ص ١٣٢) .

وكانت الأهوام التالية حافلة بالقتال المتواصل للاستيلاء على المدينة التي عانت كثيرا نتيجة لذلك . ففي عام ٩٣٨ - ٩٣٩ م وصل جنود كان قد ارسلهم بهجكم تحاكم بغداد الى الرحبة في خمسة أيام وقاموا بأسر الحاكم غيسر الموثوق به وجلبوه على جمل الى بغداد (ابن الاثير : المصدر السابق ، المجلد ٨ ، ص ٢٦٦ وما بعدها) .

وفي عام ٩٤١ - ٩٤٢ م استولى اجد وجسال بهجكم واسمه عاهدك على الرحبة وعلى جميع منطقة طريق القرات وكذلك على جزء من الخابور (المصدر نفسه ، ص ٢٩٥) .

وفي ع.م. ٩٤٧ - ٩٤٨ م أصبح جمان التغلبي وهو موظف غير جدير بالثقة عند ناصر الدولة - حاكماً على الرحبة . وكان جمان قد تمرد على رئيسه ويحاصر مدينة الرحبة ، ولكنه صُد . ثم قسام اهالي الرحبة بالمهجوم على اتباعه وقتلوا كثيراً منهم انتقاماً لظلمهم . لذلك فقد نكس جمان بأهالي الرحبة عنسده عودته ؛ ثم طرده بعد ذلك احد رجال ناصر الدولة ومات غرقاً في الفرات وهو يحاول الهرب (المصدر نفسه ، ص ص ٣٥٧ وما بعدها) .

وكان أبناء ناصر الدولة يحسد بعضهم بعضاً على ميراث أبيهم وتجاولوا من المشاحنات الى التضارب بالأيدي حوله . وكانت الرحبة من نصيب ابن ناصر الدولة ، حمدان ، الا أنه طرد في ربيع عام ٩٦٩ م وهرب الى العراق . وعندما تصالح مع اخوته عاد الى الرحبة في ربيع عام ٩٧٠ م ، ولكنه اضطر بعد ذلك بوقت غير طويل الى التنازل عن مركزه لأخيه ابي البركات واللجوء الى بادية تدمر فلما زحف ابو البركات على الرقة اقترب حمدان وصعبه من المدينة ايلاً ؛ وتسلى بعض جنوده الأسوار وفتحوا البوابة لحمدان ، فدخلوا المدينة ثانية دون ان يعلم بذلك الحاكم الذي كان ابو البركات قد عينه . ثم امر حمدان باستنفار المدينة وذلك بالنفخ بالقرون وقرع الطبول فهب سرح المدافعون الى الأسوار لأنهم اعتقدوا ان العدو يطلق النار خارج السور . فقتل بعضهم وأسر آخرون ، واصبح حمدان حاكماً على الرحبة للمرة الثانية . وبعد ان ترك قائده هناك عبر الفرات وزحف على مدينة عربان . الا ان قائده ، بعد ان سرق جميع ممتلكات سيده ، هرب بها الى اخي حمدان ، ابي تغلب . وحمل هذا حمدان على العودة بسرعة الى الرحبة ، الا انه سرعان ما حاصره جيش ابي تغلب فاضطر الى الهرب . وهكذا اصبح ابو تغلب حاكماً على الرحبة وأمر بإعادة بناء أسوارها . ويقول ابن حوقل ؛ في مسالكه ، (دي خويه) ، ص ١٥٥) ان رحبة

مالك، بن طوق اوسع من الخانوقه ، وهي كثيرة الشجر والماء في شرقي الفرات وقد عراها الاستتلال . وهي ذات مرور صالح وبها نخيل وتمر وسقي كثير من جميع النبل (١٠) . ان رواية ابن حوقل ليست واضحة بصورة كافية ، اذ يبدو ان الرحبة

تقع على الجانب الشرقي للفرات ، بينما هي في الحقيقة بُنيت على الضفة اليمنى . ومن المحتمل ان كان على الضفة اليسرى ضاحية وبقاع مروية يملكها اهل المدينة وتندو فيها اشجار النخيل ، الا ان ثمارها لاتنضج . ويقول السكان الحاليون ان التمر ينضج نادراً فقط في ضواحي ابو جمال وذلك عندما يكون الصيف حاراً جداً وعندما يتأخر حلول الشتاء كثيراً عن مواعده المعتاد . ان حلود حزام التمر تمثل بعزيرة الكرابل الصغيرة قرب عانة ، التي تشق الرياح الجنوبية الشرقية الحارة طريقها اليها صُعداً في وادي الفرات . ويكتب الاصطخري ، في مسالكة ، (دي خويه) ، ص ٧٧) أن «رحبة مالك بن طوق هي اكبر من قوقيساء وهي كثيرة الاشجار والمياه على غربي الفرات» .

وفي عام ٩٧٨ - ٩٧٩ م فقد ابو تغلب الرحبة فاصبحت مع الرقة تحت سيطرة عضد الدولة (ابن الاثير ، المعبر السابق ، المجلد ٨ ، ص ص ٥١١ وما بعدها) .

ويذكر المقدسي في احسن التقاسيم [دي خويه) ، ص ١٤٢ ، «ناحية الفرات ، اجملها الرحبة : مائية كبيرة من نحو البادية طليسان ، ولها حصن وريض ، وبقية المدن من جانب البادية عامرات » .

وفي عام ٩٩١ - ٩٩٢ م إلتبس أهل الرحبة بهاء الدولة ليرسل اليهم والياً ، فلبى طلبهم (ابن الأثير ، المعبر السابق ، المجلد ٩ ، ص ٦٤) . وبعد ذلك بقليل آلت الرحبة الى ابي علي بن ثمال الخفاجي الذي قتله عيسى بن خلاد العقيلي في عام ١٠٠٨ - ١٠٠٩ م ، الا ان الجيش الذي

ارسله ضده السلطان المصري الحاكم بأمر الله ، حزمه وقتله مقابل ذلك . وقد طرد هذا الجيش من قبل بلوان بن المقلد ، وهو عقيلي ايضاً . اذ ان لؤلؤاً قائد السلطان المصري في دمشق استولى بعدئذ على الرقة والرجة كليهما واعادهما مرة أخرى للحكم المصري . وعلى كل حال قام مواطن من الرجة يدعى ابن مُحكان (او مجلكان) بالاستيلاء على المدينة . ولأجل الحصول على تأييد ودعم تحالف في آخر الامر مع صالح بن مرداس الكلابي الذي كانت الحلة في حيازته . كما استولى ابن محكان على مستوطنة عانة ، الا ان حليفه اغتاله واصبح بعدئذ مالكا للرجة (المصدر نفسه ، ص ١٤٨ ، ابن خلدون : العيبر [بولاق ، ١٢٨٤ هـ] ، المجلد ٤ ، ص ٢٧١ .) وخلف ابو علوان ثمال ابن صالح اباه في السيطرة على الرجة ، كما انه استولى على حصن مدينة حلب . في خريف عام ١٠٤٢ م (ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ٩ ، ص ١٦٢) .

وفي هذا الزمن كان في الرجة كثير من المسيحيين ، وكان لهم مطرانهم ايضاً (اسيمانوس ، المكتبة الشرقية ، المجلد ٣ ، ص ٢٦٣) . وكان المؤلفون السريان يسمون هذه المدينة رحبوت (ابن العبري ، التاريخ السرياني [بيجان] ص ص ٢٩١ و ٣٠٥) .

وفي ربيع عام ١٠٦٠ م استولى على المدينة عطية وهو احد ابناء صالح (ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ١٠ ، ص ٨) .

وفي عام ١٠٨٦ - ١٠٨٧ م أقبل السلطان ملكشاه محمداً ابن شرف الدولة الرجة مع جميع ضواحيها ، وكذلك حران وسروج والرقة والخابور (المصدر نفسه ، ص ١٠٥ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، المجلد ٥ ، ص ٩) .

وفي عام ١٠٩٦ م سار شخص يدعى كريبوقا من الحلة على مدينة الرجة ففتحها ونهبها (ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ١٠ ، ص ١٧٧) .

وبعد وفاة كربوقا في عام ١٦٠٢ م ولى الحكم في الرحبة شخص اسمه قايماز ، احد قادة السلطان الب ارسلان سابقاً ، فقام سلطان دمشق بمحاصرته بلون جلدوى . ثم توفي قايماز في نهاية ربيع عام ١١٠٣ م واعقبه قائد تركى يدعى حسن . لذلك ارسل سلطان دمشق حملة جديدة على الرحبة التي استسلمت له على يد أهلها . دافع حسن عن نفسه في الحصن بعض الوقت ، الا انه في الأخير قُتل عفواً وكفى على ذلك باقطاعية تتألف من بضعة قرى في بلاد الشام وقام سلطان دمشق بإعادة النظام في المدينة وعامل الأهلىن بالحنى وترك حامية هناك ، وفي الرقت ذاته عين عليها والياً محمد بن السبّاق من قبيلة بني شسيان الذي أخذ ابنه الصغير معه الى دمشق رهينة . (ابن الاثير : المصدر السابق ، المجلد ١٠ ، ص ٢٤٩)

وفي مستهل عام ١١٠٧ م انطلق جاولي من الموصل بطريق سنجار الى الرحبة ، التي حاصرها من ٢٦ شباط (فبراير) الى ١٩ أيار (مايو) . وظهر الأهلىون مقاومة باسلة ، الا انه عندما بلغ الكُربُ حداً لا يطلق في المدينة ، وعد مدافعو أحد الأبراج قائد العلوان يسمحوا له بالدخول إن ضمن لهم حياتهم وملكاتهم فارسل القائد بعدئذ رجاله بزوارق على النهر الفاض حتى الاسوار ، ومن هناك في منتصف الليل رُفعوا بالرجال الى أحد الأبراج . وما ان وطأوا ارض المدينة حتى اخلوا ينمخون الابراق وترعون الطبول ، فادخلوا الرعب في بقية المدافعين فتمكن جاولي من دخول المدينة في الصباح التالي . وسمح لجيشه بالسلب حتى ظهر ذلك اليوم ، ثم تصالح محمد الشيباني معه وقبل الخيمة تحت امرته (ابن القلانسي : الدليل [امدروز] ، ص ص ١٥٥ ومابعدها ؛ ابن الاثير : المصدر السابق ، المجلد ١٠ ، ص ٢٩٧ .) ومرعان ما اصبحت الرحبة بعد هذا في قبضة عائلة البرسقي (المصدر نفسه ، ص ص ٣٦٠ وما بعدها) . وفي عام ١١٢٧ م توفي عز الدين مسعود

بن البرسقي الذي حاول فتح سوريا هناك . وقد بدأ حملته عند الرحبة ، التي كان قد ضرب حصاراً حولها . ودافع الاهلون عن انفسهم دفاعاً شديداً . ومرض عز الدين ، الا انه شعر بالأرتياح الكبير عندما علم ان حامية الحصن الرئيس قد استسلمت . ولما توفي بعد ذلك بساعة ندم الاهلون لسماحهم لجنده دخول الحصن . وتفرق اصحابه بعد موته وطارد وقتل بعضهم بعضاً غير مبالين بجثمان قائدهم المتوفى الذي لم يدفن الا بعد مضي بعض الوقت . واعقبه في الحكم اخوه الاصغر وهو المملوك جاولي الذي كان يدير شؤونه ، وقد اقلعه السلطان عماد الدين زنكي الرحبة (المصدر نفسه ، ص ص ٤٥٣ وما بعدها) .

وفي عام ١١٤٩ - ١١٥٠ م كان قطب الدين ، ابن زنكي ، والياً على الرحبة . (المصدر نفسه ، المجلد ١١ ، ص ٩٣) . وكانت المدينة الواقعة على ضفاف النهر والى الشرق من الفرات عامرة آنذاك . ويذكر الادريسي ، في زمامته (ترجمة جوبير) ، المجلد ٢ ، ص ١٤٥ ، انها كانت محاطة بأسوار من الآجر الصيني ومزينة بمسارات واسواق متنوعة .

ويسجل ابن اثلاسي (المصدر السابق ، ص ٣٤٤) انه في ١٢ آب [اغسطس] ، ١١٥٧ تهدمت السلامة والرحبة كليهما بهزة ارضية .

وفي نهاية عام ١١٦١ م كان رجال قبيلة خفاجة يسلبون الريف حول الحلة والكوفة ، وعندما تحرك الجند عليهم تراجعوا حتى رحبة الشام حيث استمر الجند في ملاحقتهم . ولما كانت اعداد من بلد آخرين قد انضموا الى قبيلة شمرجة نازحهم فاجموا معسكر الجند واستولوا على تجهيزاتهم وبغالهم ، واذ ذاك لاذ الجند بالفرار وهلك كثير منهم . ولجأ احد قادتهم الى ما وراء اسوار الرحبة ومنها أرسل الى بغداد . (المصدر نفسه ، ص ص ١٨٢ وما بعدها) . وبما تجلر ملاحظته هنا ان هذه الرواية تذكر اولاً رحبة الشام وبعد ذلك الرحبة . وعلى ما يبدو من السياق فان الاسمين لا يشيران الى المدينة نفسها .

أقطع صلاح الدين الرحبة وحمص الى ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ، وكان مدمناً وتوفي بين اقلاده . الا ان الرحبة بقيت بأيدي عائلته حتى عام ١٢٦٤ م عندما عين السلطان بيبرس المصري حاكمه الخاص هناك . (ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ١١ ، ص ٣٤١ ؛ المجلد ١٢ ، ص ١٨٩ ؛ ابو الفداء ، المختصر لادب [] ، المجلد ٤ ، ص ١٤٢ ؛ المجلد ٥ ، ص ١١٠ .)

ويكتب ياقوت الذي زار المدينة انذاك (المعجم فستفيلد [] ، المجلد ٢ ، ص ٧٦٤) ان من رحبة مالداً بن طوق الى دمشق ثمانية أيام ، والى حلب خمسة أيام ، والى بغداد مئة فرسخ ، بينما تزيد المسافة الى الرقة على عشرين فرسخاً بقليل . وتقع الرحبة بين الرقة وبغداد على ضفة الفرات أسفل من قرقيسياء ، ويذكر بعضهم انها كانت قد بنيت على عهد الخليفة المأمون ؛ وعلى عهد هارون الرشيد . في أول آخرين . وهي على خط عرض ٣٣° وخط طول ١٥° ٦٠° .

اما ابو الفضائل في م - ر احبده (بونبول) ، المجلد ١ ، ص ص ٤٦٤ وما بعدها ، فانه كرر عبارة عبارة ياقوت ، ولكن يذكر انه عرضاً عن بغداد ، ويذكر ان الرحبة تقع على الفرات بين الرقة وعانة .

ويذكر اللمشقي في النخبة (ميرن) ، ص ٢٠٢ ان الرحبة الف - راتيه بين المدن السورية الشرقية وانها تقع على - تارد العدو وتهيمن على اراض واسعة .

وفي عام ١٣١٣ م قام خربنده مع جماعته المنول بمحاصرة الرحبة وبغارات داخل سوريا . فتجمع ولاية المدن السورية المختلفة مع جيوشهم في ضواحي حماة وتغلغل جواسيسهم حتى عرض والسفنة . وحينما تقش الجوع والطاعون في معسكر خربنده تراجع تاركاً وراءه آلات الحصار . فقام المدافعون بنقلها الى حصن الرحبة . (ابو الفداء ، المصدر السابق ، المجلد ٥ ، ص ص ٢٦٨ وما بعدها) .

وفي عام ١٣١٥ - ١٣١٦ م توفي في دمشق ابن الاركشي حاكم الرحبة
في الوقت الذي كان خربنده يحاصرها ، (المصدر نفسه ، المجلد
٥ ، ص ٣٠٠) .

ويكتب خليل الظاهري في الزبدة (رافيس) ، ص ٥٠) في النصف الثاني
من القرن الخامس عشر « ان الرحبة مدينة لطيفة ولها قلعة واقليم به
عدة قرى وهي ايضاً من معاملة حلب » .

ولا يقوم حاجي خليفة (جيهان نامه) (للسطنطينية ، ١١٤٥ هـ) ، ص
٤٤٤) الا بتكرار الروايات القديمة عن الرحبة . فيقول : ان مالكا بن طوق
بناها على تل ببنايب الفرات بين عانة والرقعة . وبعد مدة من الزمن تهدمت ،
الا انه في عام ١٣٢١ أمر شيركوه بن محمد والي حمص باعادة بنائها
وكانت على عهده مركزاً هاماً للقوافل بين سوريا والعراق . ومما لاشك
فيه فان حاجي شريف كان يفكر في حصن الرحبة الواقع قرب بلدة الميادين ،
لانه في زمانه كانت جميع القوافل اللداهية من بغداد الى سوريا تعتمد عند
هذا الموضع عن الفرات ، كما يخبرون المؤلفون الأوروبيون . وبهذا الصدد
يكتب تافريه (الرحلات الست) (باريس ، ١٦٧٦) ، المجلد ١ ،
ص ٢٨٥) ان شيد - رابا حصن غير بعيد عن الفرات يقع على تل في
أسفله عين غزيرة تملأ بركة ماء ، وكان هناك سور عال يتخلله عدة أبراج
مستديلة الشكل يحيط اكوخاً بيضاء ، حيث احتفظ الأهليون بماشيتهم .
وشيد - رابا هذه هي التحريف الفرنسي لكلمة مشهد الرحبة وتشير
الى مستوطنة المشهد المحصنة ، او مشهد نلى ، الواقعة على مسافة تسعة كيلو
مترات جنوب غربي حصن الرحبة ، قرب الميادين .

الملحق السادس عشر

انشا أو عانة

يقع مركز بلدة عانة أصلاً على الجزر التي كانت دوماً خصبة جداً . ومن المؤكد أنها لم تكن متآكلة في ازمان غابرة الى الحد الذي هي عليه في يومنا هذا . ولم يكن الأهليون في أمن من الأعراب فحسب بل انهم كانوا فضلاً عن ذلك قادرين على اخضاع المستوطنات المحيطة بهم . ولهذا السبب اعتاد الآشوريون تكليف حكام عانة بإدارة منطقة سونخي السياسية .

تسلم نوكونلي اينورتا الثاني (٨٨٩ - ٨٨٤ ق . م) على شكل جزية مستحقة له من ايسلو ابني حاكم سونخي الذي كان يسكن في مدينة انبات الواقعة وسط الفرات المواد التالية : ثلاثة تالينات من الفضة ، وعشرين من الذهب ، وكرسيًا مطنمًا بالعاج ، وثلاثة بدونات من العاج ، وثمانية عشرة قطعة من الرصاص ، وثلاثة واربعين صندوقاً من خشب المشكاني ، واريكة من خشب المشكاني ، وست مناضد من خشب المشكاني ، واربعة من البرنز ، ونياباً متنوعة ومطرزات ومنسوجات مرقشة ومماشية واغناماً وخيزراً (الحوليات [شاييل ، الحوليات (١٩٠٩ م) اللوحة ٣] ، الخابل ، الأسطر ١٩ - ٦٣ ؛ شاييل ، المصدر السابق ، ص ١٨) . ويدعو اريان عندما كان يصف في كتابه العاشر إبحار اسطول تراجان الى كوشه ، له المخطوطة (أدا) و (تيروس) ايضاً اسطيفان البيزنطي الأجناس [مابنكه] ، ص ٦٤٣ ؛ روس ، دراسات اريانيه [١٩١٢] ، ص ص ٥٠ وما بعدها .

وبعد ان تنصّر معسن السدي كان قائداً تحت امره الملك

الساساني. شاپور الثاني (٣٠٩ - ٣٧٩) ، قام ببناء منبته
وتسعين ديراً وكنيسة ومعبد أخرى، وكرّس القبس وكنهة آخرين في شيكار
(سنجار) . ثم ذهب الى عانات حيث بنى لنفسه على ضفاف القرات على
بعد ميلين من عانات معتكفاً عاش فيه سنيخ سنين . وكان يشفى المرضى
بمنجاح كبير بحيث انتشرت شهرته في جميع أرجاء البسلاد (هوفمان ،
مقتطفات [١٨٨٠] ، ص ٣٠ ، رابت ، الفهرس [١٨٧٠ - ١٨٧٢] ،
ص ١١٣٥ ، العمود ١)

وكان حصن اننا يقع على جزيرة . وفي عام ٣٦٣ م أجاط الاسطول
الروماني بها قبل مطلع الفجر . وعندما اتته الأهلون لليلك عند شروق الشمس
وضع الرومان آلات الحصار في حالة تأهب ودعوا الأهلين الى الاستسلام .
وبعد قيام الأهلين بالتشاور فيما بينهم لبوا طلبهم ومباقوا امامهم ثوراً
مكلاً بالنار علامة دلى رغبتهم في السلام . ثم أضرم النار في الحصن
وانتقل الأهلون من معتملكاتهم الى مدينة خالكيس السورية . وفي اليوم
التالي غرقت عدة بواخر بفعل الرياح والمياه المتزايدة وبهشت على الجدران
المنية في النهر لغرض الإرواء (امانوس ماوسليوس ، ج ٢ ، ١ :
٩ - ٦) .

وكان مبارك ، وهو معاصر لمار بار علقاء في منتصف القرن السادس
للميلاد ، من أهل عانة وهي بلدة بأزاء نهر القرات (بيح ،
التواريخ [١٩٠٢] ، المجلد ١ ، ص ١٢٧) .

وفي بداية عام ٥٩١ م أرسل فراموس - بدأ كبيراً من
الجند الى جنين عانة الواقعة على القرات قرب قرقيسوم للحمولة دون
هوذة كسرى الى بلاد فارس . الا ان الجند قتلوا قائدهم وأعلنوا ولائهم
الى كسرى . (ثيو فيلكتوس سيموكتا ، التاريخ ، ج ٥ ، ٢ : ٥٥ ،
٣ : ٢)

وفي بداية القرن السابع للميلاد كان مطران اعراب انطليبية يقيم في عانة
(اسيمانوس ، المكتبة الشرقية [روما ، ١٧١٩ - ١٧٢٨] ، المجلد ٣ ،
القسم ٢ ، ص ٦٠٧) .

ويذكر امرؤ القيس (الديوان [ديسلان] ، ص ٣٦) ، والأختل
(الديوان [مهالحاني] ، ص ١١٧) وعلقمه (الديوان [موسين]) ص ٧)
نبذ عانة .

ويسمى ابن خرداذبه في مسالكة (دي خويه) ، ص ٧٤ ، من بين
مدن متلفة الثرات الادارية : قرقيساء ، الرحبة ، الدالية ، عانات ،
هيت ، حاديه ، والرب . ويسمى ابن خرداذبه المدن المنفصلة بحسب مواقعها
من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي .

ويكتب قدامة في الخراج (دي خويه) ، ص ٢٣٣ ، ان الثرات ويمر بالرحبة
حتى يلتحق على انا لانها في وسطه ، ثم يندخل سعة ويربوتيت والأنبار .
و كذلك يشير الهمداني : الحفة (ملر) ، ص ١٢٩) الى عانات انها
من بين المدن المشهورة ببيدها .

ويصف الاصطخري في المسالك : (دي خويه) ، ص ٧٨) عانة بانها
مدينة صغيرة في وسط القراء .

ويقول القسيمي في احسن التسميم (دي خويه) ، ص ١٣٨) ان
المدن القرائية اكبر هنن رجة ابن طسوق وقرقيساء وعسانه والداليا
والحاديه . ويذكر الشافعي ، في الديارات (مخطوطة برلين) ،
الاوراق ١٠٠ الوجه المقابل وما بعدها الى دير ماسرجيس ويقول ان « عانة
مدينة على الثرات هامة وبها هسلد الدير وهو كبير حسن كثير
الربان ، والنامية صلونه من (هيت غيرها للتزة فيه وهناك كروم وعاصروساتين
وشجر وانوضع في نهاية الحسن جامع الى يحتاجه ادل التلرب والتفرج .

وبهذا الموضع قبرام الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك ، وكان الرشيد لما شخص من الرقة الى بغداد يريد الحج شخص معه البرامكة : فتوفيت أم الفضل ، وكانت أرضعت الرشيد بلبن الفضل ، وكان يحبها ويجعلها . فامر الرشيد فاشترت له عشرة اجربه من بستان عند وادي القناطر على شاطئ القنات فدفت هناك ، وبنيت عليها قبة فهي تعرف بقبة البرامكة (ياقوت) المعجم [فستفلك] ، المجلد ٢ ، ص ص ٦٩٣ وما بعدها ، ابو الفرج ، الأغاني [(بولاق) ، ١٢٨٥] ، [هـ] ، المجلد ١٧ ، ص ١٢٩ .

وفي عام ١٠٠٨ - ١٠٠٩ م تقبل اهالي بلدة عانة الصغيرة ابن مُحكان والياً عليهم ، فأرسل اليهم عدداً من اتباعه وعهد اليهم بممتلكاته ، لكنه أخذ رهائن منهم .. الا انهم بعد ذلك بوقت قصير ثاروا عليه واستبدلوا اطفاله الأسرى برهائنهم واحتفظوا بممتلكاته . ووجد ابن مُحكان حليفاً له في شخص صالح بن مرداس امير قبيلة كلاب ، وبمساعده استعاد عانة الا ان صالحاً سرعان ما اغتاله واصبح الأمير الوحيد لعانة والرجة . (ابن الاثير : الكامل [تورنبرك] ، المجلد ٩ ، ص ١٨٤ .)

وفي عام ١٠٢٣ - ١٠٢٤ م شكّل حسان امير قبيلة ظبي ، وصالح بن مرداس امير قبيلة كلاب ، وسنان بن عليان عصابة ضد حاكم سوريا المصري واتفقوا فيما بينهم على ان يمنح صالح المنطقة الواقعة بين حلب وعانة وحسان المنطقة من الرملة وحتى مصر ، بينما تكون دمشق من حصّة سنان . وبالفعل نجح صالح في الاستيلاء على جميع الاراضي من بعلبك الى عانة ، وأقام في حلب لمدة ست سنوات (المصدر نفسه ، المجلد ٩ ، ص ١٦٢ .) ويقول البكري : للمعجم (فستفلك) ، ص ٦٤١ « كانت عانة وهيت مضافتين الى مملكتي الاسديين ، وكانت الخضر الطيبة تنسب اليها ، فلما حفر انوشروان الخندق من حيث حتى ياتي كاظمة . مما يلي البصرة

وينفذ الى البحر ، ويجعل المناظر ليث العرب في اطراف السواد وما يليه
خربت عانت وحيث بذلك السبب .

لقد قمنا بفحص المنطقة جنوب شرقي هيت لمسافة تقارب ٢٥٠ كيلومتراً
دون العثور على أثر لخدقٍ للتعصين ، بالرغم من انني بذلت جهداً كبيراً في
البحث عنه . ومن المحتمل ان القبة نشأت بسبب التكوين الطبيعي للأرض .
فعلى مسافة خمسة وخمسين كيلومتراً الى الجنوب الشرقي من هيت تبدأ
هضاب طار الميان وطار الصبها ، وتيزهما ، التي تتميز انحداراً خفيفاً الى
الشرق ، ولكن غريبها ينزل الى منخفضين البحيرة وجعفر المالح ذي
الجرف الشديد الانحدار نوعاً ما . ويمكن متابعة هذا الجرف الذي يتخلله
فجوات متفاوت عرضاً في بعض الاماكن ، بعيداً الى الجنوب الشرقي . وعلى
بعد كيلو مترات قليلة أسفل من موطنة هيت لا تزال ترى بقايا قناة
إروائية ضخمة . امتدت هذه القناة حديثي بداية جرف طار الميان الطبيعي .
وكانت جميع المحطات الحدودية الفارسية قد بنيت الى شرق الجرف الذي
شكل بالنسبة اليهم خطاً طبيعياً للدفاع ، اذ كان لا يمكن صعود الجبال
العربية مع راحيتها او حملتها الا في الاماكن التي يسهل اجتيازها اكثر من غيرها .
والعلماء اهالي عانة مذهب الباطنية . واسم ينظر هذا المذهب
بالاهتمام لمدة طويلة ، حيث انهم في اثناء خلافة الخليفة المقتدي وشي
بهم اليه . فامتحن الوزير ابي شجاع (١٠٨٣ - ١٠٩١ م) شيخهم
في بغداد ، ولما اذكروا مائسب اليهم لم يتخذ اي اجراء بشأنهم .
ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ١٠ ، ص ٢٢١ .

وفي تشرين الاول (اكتوبر) ، عام ١١٠٣ م ، استولى التركمان على بلدتي
عانة والحديثة اللتين كانتا حتى ذلك الوقت تحت تقوّد جيش رة بني يمش
وعندما أقبل على الدولة صدمته بن مزيد لمساعدة العشيرة هرب

التركان . واكن ما ان عاد الى مدينة الحلة حتى استولى التركمان على المدينتين
ثانية . وانتهوا بها . واسروا جميع النساء ، ثم نقلوا على هيت بحذاء
الضفة اليمنى . وعلى مسافة ليست بعيدة من هيت قفلوا عائدين غير راغبين في
مجاهاة الجيش الذي ارسله سيف اللولة ضدهم . (المصدر نفسه ، المجلد
١٠ ، ص ٢٥٢ .)

وفي عام ١١٤٣ - ١١٤٤ م احتل اتابك زنكي عانة (المنذر نفسه ،
المجلد ١١ ، ص ٦٤)

ويكتب الادريسي (التزحه (ترجمة جوير) ، المجلد ٢ ، ص ص
١٤٤ وما بعدها) ان عانات بلدة صغيرة على جزيرة في الفرات . وفيها اسواق
ومصانع

ويذكر ياقوت (المصدر السابق المجلد ٣ ، ص ٩٤ وما بعدها) عانة بلد مشهور
بين الرقة وهيت يعد من اعمال الجزيرة . وهي مشرفة على الفرات قرب حديثة
النورة وبها قلعة حصينة ، فلما ملك انوشروان بلغه ان ملوئث من الاعراب
يغيرون على ما قرب من السواد الى البادية فامر بتجديد سور المدينة تعرف بالوس
كان سابور ذو الاكتاف بناها وجعلها مسلحة لحفظ ما قرب من البادية ، وامر
بحفر خندق من هيت ، يشق طلف البادية الى كاظمة مما يلي البصرة وينفذ الى
البحر ، وبني عليه المناظر والجواسق وفظمه بالمسالح ليكون ذلك مانعاً لاهل
البادية عن السواد وسبب ذلك السور من طسوج شاذ فيروز لان عانات كانت
قري مضمومة الى هيت وكانت هذه التحصينات السبب في دمار هيت وعانات .
وكان انوشروان الذي ذكره البكري وياقوت هو كسري الاول
(٥٣١ - ٥٧٨ م) ، وآلوسر هي محطة الوسة الواقعة قرابة ستين كيلو متراً
الى الشمال الغربي من هيت . اما الملك شابور فهو شابور الثاني (٣٠٩ -
٣٧٩ م) . وابتداءً الى هله الرواية فقد منعت هيت وعانات لوقوعها الى
الشمال الغربي من الحصون الجلودية ولم تستطع حماية حصن الوسي للدفاع عنها .

وفي عام ١٢٣٨ م أخضعت عانة وكذلك الرحبة والخابور الى حاكم حمص (المقرئزي ، السلوك [ترجمة باوشسي] ص ٤٢٧) .
وفي نهاية كأون الثاني (يناير) ، عام ١٢٣٩ م سلم نجم الدين ايوب مدن سنجار والرقّة وعانة الى الأمير يونس الملك الجواد الذي باع عانة الى الخليفة المستنصر . وبالعوائد الناجمة عن البيع عبر الأمير يونس الصحراء الى غزة وانضم الى حصن عكا . (ابو الفداء المختصر [ادلر] ، المجلد ٤ ، ص ص ٤٣٨ و ٤٦٠ وما بعدها) .

وفي ربيع عام ١٢٤١ م كانت عانة ملكاً للخليفة . وقد طلب اللجوء اليها الخوارزميون الحاربون من ملاحقة الملك المنصور الذي كان آنذاك قد قد فتح قلّ خابور وقرقيسيا . (كال الدين ، التاريخ [ترجمة بلوشي] ، مجلة الشرق باللاتينية ، المجلد ٦ ، ص ص ١٢ وما بعدها) .
وفي حوالي نهاية عام ١٢٤٩ م تحرك السلطان الملك المنظم طوارئناه من عانة مع ما يقارب خمسين مرافقاً في رحلة خلال صحراء السادة ووصل من غير حادث الى منسة - وطنة - القصير - شرقي دمشق (المقرئزي ، المصدر السابق ، ص ٥٢٨) .

وفي عام ١٢٥٣ - ١٢٥٤ م أطلق سراح الملك الناصر داود امير الكرك السابق الذي كان قد سجن في حمص ، بشفاعة الخليفة . ثم عبر الملك الناصر الصحراء الى بغداد طلباً للجواهر التي كان قد اودعها هناك ، الا انه لم يسمح له بالدخول الى المدينة . ولذلك مكث بجوار عانة والحديثة . وكان في حالة من النشك والحوّر بحيث ان أمير مدن قلّ باشر وتدمر والرحبة انذاك ارسل اليه بالعجين والشعير . ثم سمح له بالاقامة في مدينة الانبار على مسافة ثلاثة أيام من بغداد . (ابو الفداء ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ص ٥٣٠ وما بعدها) .

ويكتب القزويني في عجائبه (فستفلد) ، المجلد ٢ ، ص ٢٨٠ ، ان عانة الواقعة بين هيت والرقّة ، يحيط بها القرعات من جميع الجوانب . وفيها اشجار وفاكهة ، وكذلك يساتين كروم تنتج نبيذاً مشهوراً .

وفيها حصن قوي . وحينما يمر أهل بغداد بأوقات عصية يقولون ان الخليفة في عانة . ويعود تاريخ هذا القول المأثور الى عام ١٠٥٩ م عندما كان خليفة تلك الفترة ، القائم بأمر الله ، سجيناً في عانة ، والتي لم يعد منها حتى ربيع ١٠٦٠ م .

وفي نهاية شهر آب (اغسطس) ، ١٣١٦ م ، تخيم مهنا بن عيسى الذي كان قد قام بزيارة القائد المغولي خربنده . بالقرب من مكان تواجده «قنغزلان» ، في المنطقة المجاورة لعانة (ابو الفداء ، المصدر السابق ، المجلد ٥ ، ص ٣٠٨) .

ويسجل ابو الفداء في التقويم (رينو وديسلان) : (ص ٢٨٧) ان عانة مستوطنة صغيرة نوعاً ما تقع على جزيرة في وسط القرات . ويكتب حاجي خليفة ، في فلكة التواريخ (مخطوطات في : عدد ١٠٦٤ ، ورقة ١٦٢ الوجه الصحيح ، عدد ١٠٩٥ ، ورقة ١٤٠ الوجه الصحيح) ، انه في عام ١٦١٦ م كان احمد ابيريش اميراً على عانة وحديثة .

وفي عام ١٦٢٩ م جاء فيليب الكرمللي (وصف الرحلة الشرقية - [فرانكفورت ، ١٦٧١] ، ص ٧٨) بعد مرحلتين من ثيامس الى مستوطنة ريبه (الرجبة) ، الواقعة على رابية غربية بعيدة عن القرات . وبعد ان سار مسافة أبعد وجد جسراً صغيراً فتتد بالقرب من بلدة أنثا . وتقول ان هذه البلدة كانت اكبر البلدان في ذلك الجزء من الصحراء وانها كانت مشهورة جداً الى ان قام الفرس بهدمها قبل ذلك بسنوات قليلة وانها امتدت على جانبي القرات قرابة ميل عند سفح جبل كانت مفصولة عنه بحاجز . وعلى الجزيرة الصغيرة في النهر بُنيت قلعة يمكن ان تكون على مرمى النار من جميع التلال المحيطة بها . وكانت البلدة انذاك تصف مشربة وكان يسكنها عرب ويهود فقط .

ويروي تافيزيه (الرجلات الست) (باريس ، ١٦٧٦) ، المجلد ١ ،
 ص ٢٨٥ - ٢٨٧) انه بينما كان ذاهباً من بغداد معشراً الصحراء الى
 بلدة مائة وهي يسميها (أنا) الصغيرة رأى على مسافة خمسمائة خطوة اسداً ودويج لبة .
 ووصف بلدة غانة بأنها ليست كبيرة فقال انها كانت وتعود الى أمير عربي .
 وكانت الأرض مزرعة زراعة جيدة حولها على مسافة نصف ميل . وكانت فيها
 جنان واماكن للتره . ويذكر المره موقعها بباريس لأنها كانت مبنية على
 جانبي النهر مقابل جزيرة صغيرة حيث كان يقوم جامع فخيم .

ويذكر ديلا فاله (الرحلة) (البندقية ، ١٦٦٤ ، المجلد ١ ، ص
 ٥١٥) ان بلدة مائة تقع على كلتا ضفتي الفرات الذي كان
 يُعبر بالقوارب . وكان الأهليون يمتلكون عدداً كبيراً منها .
 وعلى كل من الضفتين كانت البلدة تتألف من شارع واحد يبلغ طوله
 أكثر من خمسة أميال . وكانت معظم الأكواخ مبنية بالطين ، الا انها
 كانت محكمة وجذيلة المنظر . وكان لكل منها حديقة فيها اشجار
 متنوعة كالنخيل والبرتقال والليمون والتين والزيتون والرمان وما شابه ذلك .
 وكانت في النهر جزر صغيرة كثيرة مغطاة ايضاً بأشجار الفاكهة . وكان
 على الجزيرة الوسطى حصن . ولم تكن البلدة معسورة ، الا ان
 الأجراف الشديدة الانحدار كانت تحجز الحدائق من الخلف تاركة على
 كلا الطرفين نمراً ضيقاً فقط على امتداد النهر . وكانت الأجراف شديدة
 الانحدار جداً بحيث كان من المستحيل حتى دخول البلدة منها . وكان
 سيد البلدة والصحراء يأكلها هو الأمير فياض وكان يمتلك بيتاً فاخراً هناك .
 وكان اسم عائلته القديم ابو رزك (ابو الريشه) . وكان
 الأهليون محببين ، الا انهم كانوا يبيعون بعض المذهب
 السرية .

وكان الأمير فياض ابو ريش ينتمي الى قبيلة الموالي التي كانت تسيطر على الضفة اليمنى للفرات من تدمر الى الكوفة .

وفي منتصف القرن السابع عشر شكلت عانة وبيرومك جزأمن عمالة رقة ،
الا ان بالنسبة كانت ضمن عمالة حلب (ريكوت) ، الامبراطورية
العثمانية [١٦٧٠] ، ص ١٧٨ .

ويكتب حاجي خليفة (جيهان نامه : القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ ، ص ٤٦٥) ان بلدة عانة الجزرية تقع أعلى من مستوطنة هيت والحديثة على حدود منطقة بغداد ، وقيل انها كانت المستوطنة الوحيدة في هذه البقاع التي يذكو فيها نمو الزيتون ، وكانت لها سمعة عظيمة باعتبارها موطن كثير من العلماء والاولياء والموسيقين وعلماء الفيزياء . وكان في المنطقة في الازمنة الغابرة كثير من النصيريين ولكن لم يبق منهم في القرن السابع عشر غير عدد قليل .

ويقول اوليا جلبي في التاريخ (ترجمة قون همر) : المجلد ١ ،
القسم ١ ، ص ١٠١) ان عانة كانت تتبع اقليم الرقة .

وفي عام ١٨٠٧ م قام سعود بن عبد العزيز مع جماعته الوهابيين بنهب عانة ودير الزور (روسو : باشوية بغداد : ١٨٠٩ ص ص ١٨٠ وما بعدها) .

المحقق السابع عشر

اد او هيت

نخيم تو كولتي اينورتا الثاني في عام ٨٨٥ ق. م مقابل مستوطنة إد بالقرب من عيسون القصار (إدو) حيث يتوفر حجر الأشميتا وحيث يتكلم كبار الآلهة (الحوليات) شابل ، الحوليات (١٩٠٩) اللوحتان ٢ وما بعدها [، السطر ٥٩ ، شابل ، المصدر السابق ، ص ١٦) . وتقع أثار عيسون القصار على الضفة اليمنى بينما يخرج النفط معبوحاً بفقاعات خاصة على الضفة اليسرى . وهناك الى الغرب والجنوب الغربي من هيت مقالع قديمة للحجارة تجلب منها مواد البناء للسدود المشيدة على الفرات . ولعل حجارة الكلس المائلة الى الاصفرار كانت تؤخذ من هناك لتشييد الابنية البابلية . وبالإمكان مطابقة هذه الحجارة مع حجر الأشميتا . ومع ذلك فمل اشميता تعني القار المتصلب الذي ينبع من عيون متعددة في تلك النواحي محدثاً صوتاً غريباً. وللأسم « إد » او « إت » بعض الصلة بكلمة إدو ، كما كان يدعى القار البابلي (المصدر نفسه ، ص ٣٨) .

ويشير هيرودوتس (التاريخ ، ١ ، ١٧٩) الى بلدة إس على مسافة ثمانية أيام من بابل . يمر بهذه البلدة مجرى نهر صغير ، يدعى إس ايضاً ، ويصب في الفرات . وتحمل مياهه قاراً كالذي كان يستعمل في بناء تحصينات بابل .

ويذكر ايسيلور الكرختي في المحطات القرنية (ملر) ص ٢٤٩) محطة إسبوليس ، وهي الاملاء الصحيح للكلمة وليس ايبوليس كما ورد في المطبوع .

اما بطليموس (الجغرافية ، ٥ ، ١٩ : ٤) ، فيذكر على الضفة اليمنى

للفرات بـلدة اديكارا . ونستطيع تشطير هذا الاسم الى إد وكارا .
 وإد هي الكلمة البابلية وقار هي الكلمة الارامية - العربية للقرار .
 وفي الادب التلمودي ورد ذكر بلدة إهي (بدلاً من ادي) أو إهيداكيرا
 (برلينر ، مقالات [١٨٨٢ - ١٨٨٣] ، ص ٦٢) .

ويروي اميانوس مارسلينوس (٢٤ ، ٢ : ٣) وزوسيموس ،
 (التاريخ - خ الحديث ، ٣ ، ١٥) أنه في عام ٣٦٣ م
 دخل الجيش الروماني بلدة دياكيرا ، وكانت ترتفع فوقها كنيسة شيدت
 في حصن يقع على تل عال . وكانت المدينة مهجورة ولم يبق فيها سوى
 عدد قليل من النساء اللواتي فتكوا بهن . ووجد الرومان فيها قمحاً وفيراً
 وملحاً ايض . ويدعو زوسيموس البلدة داكيرا ويضيف قائلاً انها كانت
 مهدمة تهديباً كاملاً بحيث انها تبدو من الضفة اليسرى وكأنه لم يكن هناك
 بلدة قط . وداكيرا هي الكلمة السريانية داقيرا والعربية ذوقير ، وتعني
 الموضع الذي يخرج فيه القار من الارض .

وفي عام ٥٢٥ م قابل الملك الفارسي قيساذ الاول (٤٨٨ -
 ٥٣١) ، ابن فيروز ، عند قنطرة الفيوم الملك الحارث بن عمرو الكندي
 (الطبري ، التاريخ [دي خويه] ، السلسلة ١ ، ص ٨٨٨) . والفيوم
 يُفترض انها كانت مستوطنة غير بعيدة عن بلدة هيت (باقوت ،
 المعجم [فستفلد] ، المجلد ٣ ، ص ٩٣٣) .

ويروي ابن قتيبة انه بعد هذا اللقاء بفترة غير طويلة طرد الملك المنذر
 الحارث وأغتيال ابنه مالك في هيت . ولجأ الحارث الى مُسحلان
 حيث قتلته قبيلة كلب (ابو الفرج . الأغاني [بولاق ، ١٢٨٥ هـ] ، المجلد
 ٨ ، ص ٦٥) .

وفي عام ٦٣٧ م تخندق أهل هيت في خندق عميق اعتمسوا
 به فحاصرهم المسلمون ، ومنعوا البخورج والدخول

منها . ثم زحف نصفهم يعارضون الفرات يغتمون في طريقهم حتى بانوا قرقisia في غرة واخذوها عنوة . ولما رأى اهل هيت ان المسلمين كانوا يعدون العدة لتطويق البلدة بخندق آخر وبسدة ترابية استسلموا . ثم انسحب المسلمون باتجاه شمالي غربي (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٢٤٧٩ .)

وفي عام ٦٥٩ م وجه معاوية سفيان بن عوف في ستة الاف رجل وامره ان يأتي هيت فيقطعها فسار حتى اتى هيت فلم يجد بها احداً ، ثم اتى الأنبار وبها مسلحة على . (المصدر نفسه ، السلسلة ١ ، ص ٤٤٥ - ٣ .)

وفي عام ٦٨٥ م سار التوابون من موضع قبر الحسين وتقدموا بطريق الحصاصة والأنبار والصدود والقيارة الى هيت ، ومن هناك الى قرقisia (المصدر نفسه ، السلسلة ١ ، ص ص ٥٤٨ - ٥٥١) .

وقبر الحسين في كربلاء الحالية . والحصاصة يمكن البحث عنها شمالي كربلاء بجوار المسيب في يومنا هذا ، وكان يخترقها سابقاً طريق يؤدي الى الأنبار (ابن الاثير ، الكامل [تورنبرك] ، المجلد ٤ ، ص ٣٢٨) والى الصدود الواقعة الى الشامام الغربي من الأنبار . اما القيارة فهي ولايب تطابق عين النفاطه ، على مسافة اثنين وثلاثين كيلومتراً الى الجنوب الشرقي من هيت . وقد سار التوابون من الأنبار الى قرقisia بهذا الضفة اليسرى للفرات .

ويذكر ابن الفقيه في البلدان (دي خويه) ، ص ١٨٧ (على فراسخ من هيت عيون العرق) . ويكرر ياقوت هذا (المصدر السابق ، المجلد ٣ ، ص ٦٥٢) . وتقع عيون ابو عرجاه على مسافة خمسة وثلاثين كيلومتراً الى شرق - الشمال الشرقي من هيت .

ويذكر ابن رسته في الاعلاق (دي خويه : ص ١٠٧) (وقد كانت هيت وعانات ايام الفرس داخلة حد السواد ، تعد من طسوج الانبار الى ان بلغ اقوشروان ان طائفة من الاعراب اغارت على ما قرب من حد السواد الى البادية ، فامر بتجديد سور مدينة تعرف بالكس كان بناها سابور ذي الاكتاف وجعلها مسلحة لحراسة ما قرب من البادية ، وامر بحفر خندق من هيت يشق طرف

البادية - حتى ياتي كاظمة . ما يلي البصرة وينفذ الى البحر ، وجعل عليه المناظر والمسالح ليكون مانعا لمن اراد السراذ من اهل البادية »

وفي عام ٩٠٦ م قام القرامطة من مخيمهم قرب الدمعانة والحاله ، بنارات على هيت ، « وصحودا وادلهيا غارون .. مع طاور الشمس ، فنهب ربضها وقتل من قدر عليه من اهلها واحسرق المنازل ، وانتهب السفن التي في فرضها .. واخذوا ثلث غايه من الاموال والمتاع .. ثم رحل عنها بعد المغرب الى البرية ، وانما اصاب ذلك من ربضها ، وتحصن منه اهل المدينة بسورها » (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ٣ ، ص ٢٢٥٨) . انني اجد موقع مخيمهم بجوار القنارة على طريق درب الساعي من دمشق الى هيت (انظر كتابي بادية الشام ، ص ٦٣ ، ملاحظة ١٥) .

ويذكر علي بن عيسى (كريب : تنديرات الجباية [١٨٨٧] ، ص ٢٧) الطريقة التي كانت تجمع فيها الرسوم في هيت في عام ٩١٨ - ٩١٩ م . وكانت ديت تشكل منطقة ادارية وفقاً للمؤلف نفسه استثنيت منها مزارع السكر ، (المصدر نفسه ، ص ٣١) . هكذا يكتب كريب مشيراً في هامش رقم ١٥ الى المقدسي

في احسن التقاسيم (دي خويه) ، ص ص ٥٣ و ١١٤) حيث يرد ذكر مستوطنة السكر كذلك . على ان هذه المستوطنة تقع في منطقة واسط الادارية وعلى هذا لا يمكن ان تلحق بمنطقة هيت . ويرد في المخطوطات اسم - السكن إما بنقطة فوق حرف النون او بدونها ، او يرد « السكر » . ولا ريب في ان حرف الراء قد و تحريف لحرف النون وينبغي ان نقرأ « سكن » . ان حرف الميم بارتباطه بحرف اللام يمكن ان يفتن لي عني به التباسخ بسهولة . وكانت بلدة السكن الواقعة على مسافة ١٣٣ كيلو متراً الى الشرق - الشمال الشرقي من هيت تؤلف مركز منطقة أخرى .

وفي عام ٩٢٨ م وصل ابو طاهر . وهو زعيم القرامطة في البحرين ، الى شارج هيت حيث كان اهلوهامعززين بحماية الخلافة . وبعد ان قام قسم من ٥٧١

اتباع ابي طاهر بنهب ضواحي الأنبار ، عبروا من الضفة اليسرى الى اليمنى بقوارب كانوا قد استولوا عليها في مكان يدعى فم بقة أسفل من هيت . ثم انفضوا الى ابي طاهر وقاموا بهجومهم الأول في يوم الأحد ، (المصادف ٣ شباط [فبراير] . وأحرق المدافعون كثيراً من آلات الحصار القرمطية . وبعد ان أجبر أبو طاهر على العودة الى معسكره دون تحقيق نجاح ، انسحب صباح يوم الاثنين وتوجه الى منطقة رنية مالك بن طوق حيث استولى على تلك البلدة عنوة وكذلك على قرقيساء . وبعد مرور سبعة أشهر حاول ثانية الاستيلاء على هيت ، الا ان أهلها كانوا في هذه الفترة قد رموا تحصيناتهم وعزوها فصبوا هجومه . ثم ذهب بعد ذلك الى الكوفة . (ابن مسكويه ، التجارب [امدرود] ، المجلد ١ ، ص ص ١٨٠ - ١٨٣ ؛ المدودي ، التنبيه [دي خويه] ، ص ٣٨٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل [تورنبرك] المجلد ٨ ، ص ص ١٢٦ وما بعدها) .

وبدلنا الاسم فم بقة (مدخل بقة) انه تفرعت عند مستوطنة بقة قناة من الفرات . وتقع هذه المستوطنة أسفل من هيت على الضفة اليسرى ، اي الى الجنوب الشرقي . ولا يمكن ان تكون على مسافة بعيدة ، اذ ان المدافعين عن هيت كانوا قد أخذوا قواربهم هناك . انني أحدد موقعها بحوالي كيلومترين الى الجنوب الشرقي من هيت في بساتين البق ، حيث يمكن رؤية بقايا قناة في الوقت الحاضر .

ويكتب الاصطخري في مسالكة (دي خويه : ص ٧٧) وابن حوقل في مسالكة (دي خويه) ، ص ١٥٥ ، هيت مدينة وسطية على غربي الفرات ولها حصن ، وهي عامرة آهلة . وهي بحذاء تكريت ، وبها قبر عبدالله بن المبارك .

ويقول المقاسمي : الحسن التقاسيم (دي خويه) ص ١٢٣) هيت كبيرة عليها سور على الفرات بقرب البادية .

وفي ١٠٣٨ - ١٠٣٩ م توفي في هيت الوزير المخلوع ابو القاسم الذي كان مسجوناً فيها لمدة سنتين وخمسة اشهر (ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ٩ ، ص ٣١٧) .

ويذكر البكري : المعجم (فستقلد) ، ص ٨٣٤) ان وهيت مدينة مذكورة في تحديد العراق وهي على شاطئ الفرات ، والهيث الهوة ، وسميت هيت لانها في هوة ، وقال ابن دريد الهيث الموضع الغامض المنخفض . وقال الراجز : يارب هيت نجنا من هيت وقال آخر والحوث في هيت وداها ديت ، فان ان الحوث هناك التقم يونس عليه السلام ، فقال بغير علم :

وفي ١٠٥٦-١٠٥٧ م كان قريش بن بدران أميراً على المناطق الأتية : نهر الملك وبادوريا وهيت ودجيل ونهر بيطر وعكبرا واوانا وتكريت والموصل ونصيبين (ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ٩ ، ص ٤٣٣) .

وفي عام ١٠٦٥ - ١٠٦٦ م اقتلع شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران ، أمير الموصل ، الأتبار وهيت . (المصدر نفسه ، المجلد ١٠ ، ص ٣٥) .

وفي عام ١٠٨٧ . ١٠٨٨ م أنضغ اهل هيت أنفسهم طواعية الى حاكم العراق الذي كان آنذاك كمال الملك ابو الفتح الدهستاني . (المصدر نفسه ، المجلد ١٠ ، ص ١٠٧) .

وفي عام ١٠٩٢ م قام تشن بن ثلب ارسلان امير دمشق برحلة الى ابيه السلطان ملك شاه في بغداد ، وعند وصوله الى هيت بلغه نبأ وفاة ابيه ، فاستولى على هذه البلدة وعن الرحلة ايضاً (المصدر نفسه المجلد ١٠ ، ص ١٢٩) .

ولم يظل تشن اميراً على هيت لمدة طويلة لان السلطان بركيارق أقدمها لنباه الدولة ثروان بن وهيبه من قبيلة بني عتيل ، وكانت له صلة قريى قوية بسيف الدولة ملقة . وكان الأخير يريد الاستيلاء على هيت .

غيران محاولته الأولى فشلت لاد (ابنه دئيس ، الذي كان قد ارسل الى هناك ، عاد دون ان يحقق شيئاً . ثم استولى صبدقة على بلدة واسط ، ثم عاد يزحف على هيت ثانية حيث وجد ابن اخي ثوران يعارضه هناك . إلا ان بعض رجال قبيلة ربيعه فتحوا البوابات ، فدخل صدقة البلدة واستولى عليها ، وفي عام ١١٠٢ - ١١٠٣ م عين أحد اقاربه حاكماً عليها . (المصدر نفسه ، المجلد ١٠ ، ص ٢٤٧ ، ابن خلدون ، المعبر [بولات ، ١٢٨٤ هـ] ، المجلد ٤ ، ص ٢٨١) .

وقد عين الجاثليق النسطوري الياس الثاني (١١١١ - ١١٣٢ م) الراهب زخرياس مطراناً على الانبار وديت (اسبانيوس ، المكتبة الشرقية ، المجلد ٢ ، ص ٤٤٩) .

ويقول الادريسي في نزهته (ترجمة جوير) ، المجلد ٢ ، ص ١٤٤) ان بلدة هيت المسورة كان فيها من السكان ما يفوق جميع المدن على الفرات قاطبة ، وانها تقع غربي الفرات مقابل تكريت التي تؤلف سد العراق الشمالي على الضفة اليمنى من دجلة .

ويذكر ياقوت (المصدر السابق . المجلد ٤ ، ص ٩٩٧) أن هيت بلدة على الفرات من نواحي بغداد - وق الانبار ذات نخيل كثير وشجرات واسعة . ويقول القزويني في عيائنه (مستفاد : المجلد ٢ ، ص ١٨٦) « ان هيت بلدة طيبة على الفرات ذات أشجار ونخيل وخيرات كثيرة وطيب الهواء وعلو الماء ورياض مؤنثة » .

ويذكر ابو الفداء في تنزيهه (ريند و دي سلاز ص ٢٧٥ و ٢٩٩ ، (نقلاً عن ابن حوقل) ان في هيت . . اثار ابنية امير المؤمنين ابي اليباس القائم وكانت داره التي يسكنها وهي ذات نخل وزروع شرقي الفرات . . وبني على غربي الفرات فريضة من قرص الفرات ، فيها سبعون القار والنبات ، وبينها وبين القادسية ثمانية فراسخ ، وبينها ايضاً وبين الانبار واحد وعشرون فرسناً ، ونرى هنا ان المسافة من هيت

الى القادسية ق.ا. التبت بالمسافة الى الانبار . وتكون المسافة من هيت الى الانبار خمسة وثمانين كيلو متراً ، او ما يقارب اربعة عشر فرسخاً ، بينما هي الى القادسية مئتان وخمسة واربعون كيلو متراً ، او ما يقارب اربعين فرسخاً . وينسب ابو الفداء الى هيت ما كتبه ابن حوقل عن الانبار . فالأخيرة تقع شرقي القرات وبها بنى ابو العباس سكناً له .

وقال حلي خليفه (جيهان نامه) القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ ، ص ٤٦٥ : ان هيت تابعة الى عانة وانها تبعد ثمانية فراسخ عن الانبار وانها مشهورة بالمشهد الذي يضم وفاة عبد الله بن المبارك فحسب ، وانما بسبب ما فيها من عيون القاز والنفط ايضاً .



الملحق الثامن عشر

بيريسا بوراس او الأنبار

يلذكر الطبري ، في تاريخه (دي خويه) ، السلسلة ١ ، ص ٧٤٨ .
« وانما سميت الأنبار انبار لانها كانت تكون فيها انابير الطعام وكانت
تسمى « الاهرء » لان كسرى كان يرزق اصحابه رزقهم منها » .
ويلذكر ايضاً (المصدر نفسه ، السلسلة ١ ، ص ٨٣٩) ان سابور الأول
(٢٤١ - ٢٧٢ م) ، « امر فبنيت بارض السواد مدينة وسماها يزرج
سابور - وهي الانبار - » .

ويلذكر اميانوس مارسلينوس (، ٢٤ ، ٢ : ٩ - ٢٢)
ان مدينة بيريسا بوراس الواسعة والمكتظة بالسكان تقع في منطقة اشبه
بالجزيرة وكانت محاطة بامسوار دفاعية مضاعفة بالغلة المتانة .
وفي احدى الليالي مسن عام ٣٦٣ م نجح الرومان بقيادة الامبراطور
جوليان في تدمير برج قوي عند احد الأركان مما حمل الاهلين على ترك المدينة
والهرب طلباً للنجاة الى قلعة بُنيت على تل منعزل شديد الانحدار ترتطم به
مياه الفرات . وكانت اسوار القلعة هذه مبنية بالأجر والتمار ، فدافع المحاصرون
عن انفسهم ببسالة ، الا انهم استسلموا عندما حصلوا على وعد بأن يسمح لهم
بالمغادرة بحرية . غادر القلعة نحو ٢٥٠٠ رجل ، أما الباقون فنجوا بانفسهم
في قوارب صغيرة حملتهم الى الضفة الأخرى من النهر ، وكانت المخازن في
القلعة مملوءة بالطعام والسلاح ، فأخذ الرومان ما ارادوا واحرقوا الباقي والمدينة
ايضاً .

وفي نهاية القرن الرابع للميلاد إتخذ الناسك ماريونان سكناً له في ضواحي
الأنبار التي كانت مهجورة آنذاك . وبعد موته دفن في ضاحية الأنبار وبُنيت

فوق قبره كنيسة وعدد قليل من الحجرات للدلالة على البقعة. وفي احد الأبنام تجلّى المسيح على القس مسار عبسده وأمره بان يتلو الصلوات عند قبر مار يونا ومن ثم ان ينقل رفاتة الى الكنيسة في الأنبار وقد نفذ ماطلب اليه ، فدفن ماريونان على يمين مذبح الكنيسة غير بعيد عن جرن المعمودية . (تاريخ سمرت [شير] ، آثار الآباء الشرقيين ، المجلد ٥ ، ص ٢٤٨ .)

ويقول ياقوت في معجمه (فستفك : المجلد ٢ ، ص ٧٠٩) ان دير ابار يونا كان يدعى ايضاً (عُمَرُ مار يونا) . وكان كبيراً ومحصناً تحصيناً قوياً ومجاوراً للجامع الكبير .

ويضيف ابر الفضائل في مراصده (يوينول : المجلد ١ ، ص ٤٤١) ان هذا هو الدير المعروف بدير الغراب تحت الانبار ، وكان للنصارى به موسم يخرجون اليه كل سنة . وهذا الغراب كان من نزهات النصارى . ويكتب اسيدانوس (المكتبة الشرقية : روما ، ١٧١٩ - ١٧٢٨ م ، المجلد ٣ ، ص ١٩٨ و ٥١١) ، نقلاً عن عمرو ، انه حوالي ٥٤٠ م كان عبد المسيح من اهل الحيرة قد طلب بناء دير للقديس يونس قرب الانبار ، وقد هدم هذا الدير وكذلك دير القديس كيرياك عام ٨١٥ م ابان خلافة الخليفة المتوكل .

اقام الحارث بن عمرو في الانبار . وعندما قسام المنلو بمهاجمته هرب منه الى الثوية حوث فوجئ بجيش من فرسان تغلب وبهراء وإياد . ولذلك طلب اللجوء الى ديار قبيلة كلب . (امرؤ القيس ، الديوان [ديسلان] ، ص ٤)

وفي عام ٥٣١ م انطلق كسرى الاكبر من بلاد بابل (طيسفون) الى الصحراء قرب مستوطنة ابارون (الانبار) على مسافة خمس مراحل من حصن كركينسيون (كركيسيوم) الثغري الروماني ،

حيث قسم جيشه ، فأرسل القسم الأول بقيادة ادرمانيس بمحاذاة الفرات الى الاراضي الرومانية ، وقام هو بزيادة القسم الآخر الى نهر ابوراس (الخابور) حيث فاجأ الرومان الذين كانوا يحاضرون داراس . عبر ادرمانيس الفرات ثم التف حول كركيسوم ونهب سوريا (ثيو فيليكتوس سيموكتا ، التاريخ ، ٣ ، ١٠ : ٦ - ٨ .)

ويقول يوحنا الاينفاني : الشلرات (ملر) ، ص ٢٧٥ . انه ادرمانيس عبر الفرات قرب كركيسوم .

وفي نهاية عام ٥٩٠ م فر كسرى الثاني بطريق المستوطنتين المحصنتين انابور (الانبار) واثاثون (عانة) الى حصن كركيسيون (كركيسوم) . وعند توقفه عند علامة الميل العاشر من ذلك المكان ارسل التماساً الى القائد (ثيو فيليكتوس سيموكتا ، المصدر السابق ، ح ٤ ، ١٠ : ٤ وما بعد) . وقد فر كسرى بطريق بيروت شابور عانات الى كركيسوم ومنها طلب حماية الامبراطور موريس (التاريخ المختصر [كويدي] ، ص ١٥ ، نولدكه ، التاريخ السوري [١٨٩٣] ، ص ٦) .

وفي عام ٧٥٢ م انتقل الخليفة ابو العباس من الكوفة الى الانبار حيث اذكر ان يُبنى له مسكن هناك (ايليا التصيبي ، التاريخ - شيخ الرئيسي ، [بروكس] ، القسم ١ ، ص ١٧٣) .

وفي عام ٧٥٤ م توفي ابو العباس السفاح ودفن في قصره عند الانبار (البعقوبي ، التاريخ [هوتسما] ، المجلد ٢ ، ص ٤٣٤) .

وفي عام ٧٩٧ م قام هارون الرشيد بزيارة الى الانبار واتخذ مقاماً له في بلدة ابي العباس الواقعة على مسافة نصف فرسخ من الانبار . وفي هذه البلدة ظل يقيم كثير من الناس الذين جلبوا من خراسان (الدينوري ؛ الاخبار [كويركاس] ، ص ٣٨٦ .)

وعندما عاد هارون الرشيد من الحج عام ٨٠٣ م «نزل الحيرة نأمام اياماً ثم مضى على طريق البرية فترل بموضع من الانبار يقال له الحرف بدين يقال له

دير القنبر ، نحيث أُمِرَ بقتل وزيره جعفر بن يحيى (اليقوي ، المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٥١٠ .)

ويذكر الطبري (المصدر السابق ، السلسلة ٣ ، ص ٦٧٨) ان هارون الرشيد شخص من الحيرة في السفن حتى نزل العُمَرُ الذي بناحية الأنبار والعُمَرُ هو دير مار يونا .

ويصف الاصطخري في مسالكه (دي خويه) ، ص ٧٧ ، « الانبار مدينة واسعة ، وبها اثار ابنية ابي العباس السفاح اول خلفاء بني العباس ، وكانت داره التي يسكنها ، وهي مدينة عامرة آهلة ، ذات نخل وزرع وشجر ، وهي شرقي القرات » وكان مما يزرعه الإهاون القوغ والصفصاف التي كانوا يستعملون اجتسابها في بناء القوارب والبيوت وادوات متنوعة . والقوغ والصفصاف كلاهما ينموان نمو أجسنا يوجه خاص الى الشمال الغربي من الامبار .

اما المقدسي في احسن التقاسيم (دي خويه) ، ص ١٢٣) فيصف الانبار «مدينة كبيرة اول ما نزل المنصور بها ، وثم داره ، وقد خفت »

ويكتب الادريسي ، في تقيمه (ترجمة جوير) ، المجلد ٢ ، ص ١٤٤ ، ان الانبار بلدة صغيرة مزدحمة ولها سوق ومعامل متنوعة . ويساين واسعة للخضروات . وعندها يتفرع من القرات نهر عيسى الذي حفره المسلمون للوصول الى بغداد بالقوارب من القرات .

وفي ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٢٥٨ م عبر القائدان المغوليان بايجو و نويان سنجق دجلة وبعد زحفهما بجانب طريق الدجيل وصلوا الى نهر عيسى حيث عسكروا . ومن هنا تقدم سنجق جتي وصل الى جوار الحربية . وعند ذلك قام قادة الخليفة ، وكان معسكرهم يقع بين بعقوبة و باجسرا . يعبر دجلة ايضاً وهاجموا سنجق على مسافة تسعة فراسخ من بغداد في المنطقة المجاورة للأنبار ، غير بعيد من قصر المنصور الواقع فوق المزرقة . ثم غاد سنجق بعدئذ الى البشيرة الواقعة على الدجيل . وفي ١٧ كانون الثاني (يناير) داهم الجيش المغولي فجأة جيش الخليفة ، الذي دُمِرَ وسُحق سحقاً كاملاً بحيث لم يهرب الى مدينتي الحلة والكوفة سوى القليل من الجنود

رشيد الدين في جامع التواريخ [كاترمير] ص ص ٢٧٨ و ٢٨٠) .
وفي عام ١٢٦٢ م قام القائد التركي كبريوقا بنهب الانبار والفتك
بكثير من اهليها (المقريزي السوك [كاترمير : المجلد ١ ، القسم ١ ،
ص ١٧١) .

وكانت بيروت شابور ، اي الانبار ، مقراً للمطران . ويسجل شابو
في المجمع الكنسي (١٩٠٢) ، ص ٥٣) انه في عام ٤٨٦ م شارك
المطران موشي من بيروت شابور في المجمع الكنسي النسطوري . وفي عام ٤٩٧ م
كان المطران هناك اما موشي ، أو شمع (المصدر نفسه ص ص ٦٢ و ٦٧) .
وفي عام ٥٤٤ م كان شخص يسمى شمعون مطراناً في بيروت شابور ،
وهي بلدة الطيبة (المصدر نفسه ، ص ص ٧٠ و ٧٣ ، اسيمانوس ،
المكتبة الشرقية [روما ، ١٧١٩ - ١٧٢٨] ، المجلد ٢ ، ص ٤١٣) .
وطيابه هي الاسم الذي اطلقه المؤلفون السريان على العرب الأوائل .
وفي عام ٥٧٦ م ورد ذكر اسم المطران مراني هناك (شابو ، المصدر
السابق ، ص ١١٠) .

وفي ٦٠٥ م ورد ذكر اسم المطران شمعون فيها (المصدر نفسه ، ص ٢١٤) .
وفي عام ٧١٩ م ورد ذكر اسم المطران يوحنا فيها (المصدر نفسه ،
ص ٦٠٣) .

وكان لليعاقة ايضاً مطران في الانبار . ويذكر ميخائيل السوري في
تاريخه (شابو : المجلد ٤ ، ص ٤١٣) انه في عام ٦٢٩ م كان المطران
اليعقوبي احا مطراناً في بيروت شابور وفي الاراضي التي كان يخيم فيها
عرب (طيابه) من قبيلة النسر .

واستناداً الى المطران الياس اندمشقي الذي نُقل في العقد الأخير من
القرن التاسع من القدس الى دمشق فان الجاثليق النسطوري كان رئيساً
لمطارنة كشكر والطيرهان ودير هرقل والحيرة والانبار والسين وعكبرا
(اسيمانوس ، المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٤٥٨) .

وفي عام ٩٠٠م كان رجل يسمى الياس مطراناً في الانبار (ايليا النصيبى المصدر السابق ، القسم ١ ، ص ١٩٦) . اما اسيمانوس ، المصدر السابق ، المجلد ٣ ، ص ٢٥٨ ، فيذكر ان المطران في عام ٩٨٧ م كان المطران السطوري الياس .

وفي عام ١٠٢٨ م كان للمطران رجلاً اسمه المنذر (المصدر نفسه ، ص ٢٦٤) .

وتقع الانبار على الخط الحدودي الفاصل بين بلاد الجزيرة وبلاد بابل .

ذكر ابن حوقل (المسالك (دي خويه) ص ١٣٨ ، ١٥٥ ، ١٥٨) الجزيرة التي بين دجلة والفرات « ويتقطع الحد عن القرات مما يلي الجزيرة بالانبار ، ثم يعود الحد الجزيرة في تمت الشمال فيكون الى تكريت الحد العراق وتكريت على دجلة ، وينتهي الحد منها مصاعداً على دجلة الى آمد . . ثم يعود ذلك مغرباً على البر الى سميساط ، ثم ينثنى الى مخرج ماء الفرات على حد الاسلام من حيث ابتدائه . وعلى شرقي دجلة وغربي الفرات مسدن وقرى تنسب الى الجزيرة وهي خارجة عنها ونائية منها .

وبالجزيرة براري ومفاوز وسياخ بعيدة الاقطار فتتجمع لامتياز الملح والاشنان والقلى . وكان يسكنها قبائل من ربيعة ، اهل خيل وغنم وابل قليلة ، واكثرهم متصلون بالقرى وباهلها : فهم بادية حاضرة ، فدخل عليهم في هذا الوقت من بطون قيس عيلان الكثير من بني قشير وعقيل وبني نمير وبني كلاب ، فازاحوهم عن بعض ديارهم بل جلها ، وملكوا غير بلد واقليم كحران وجسر منبج والخابور والخانوقه وعرابان وقرقيسيا والرحبة في ايديهم يتحكمون في خفائرها ومرافقها . »

ويحدد الاصطخري في مسالكة (دي خويه) ، ص ص ٧١ وما بعدها (٧٧ و ٨٧) بلاد الجزيرة ما بين دجلة والفرات . ومخرج القرات من داخل بلد الروم

ويمر على ' بالنس والرقعة وقرقيسيا والرحبة والانباز ، وقد انقطع حد الفرات مما يلي الجزيرة . ثم يعدل حد الجزيرة من سمت الشمال الى تكريت وهي على دجلة ، ومنها يتبع هذا النهر نحو الشمال . وإلى الغرب من تكريت عن غربها الى الانبار بين دجلة والفرات قليل العمارة ، وانما العمارة منه ما يحاذي الشاطئ أميالا يسيرة والباقي يادبة .

ويسجل القزويني في عجائبه (فستقلد) ، المجلد ٢ ، ص ٢٨٠) ان العراقي من الموصل الى عبادان طولاً ومن القادسية الى حلوان عرضاً ، فالحدود الشرقية لبلاد الجزيرة ، وفقاً للقزويني ، من خط يمتد من الموصل الى القادسية .

وكان مفهوماً عند ابسي القدماء في تقويمه (رينو دي سلان ص ٢٧٣) ان بلاد الجزيرة هي الاراضي بين دجلة والفرات ومعها المناطق الشاسعة الى الغرب من الفرات مثل الرحبة إلخ . . . التي تعود أصلاً الى سوريا . ويضيف الى ذلك ، على كل حال ، بان الحد المترف به عموماً يتكون من مجرى الفرات . حيث يمر في بالنس وإلى الرقة وإلى قرقيسيا وإلى الرحبة وإلى هيت وإلى الانبار . ثم يعطف من الانبار الى تكريت وهي على دجلة الى السين وإلى الحديثه على دجلة وإلى الموصل .

ويسجل كاتالي ، في حويلاته (ميلانو ، ١٩٠٧) ، المجلد ٢ ، ص ١٩١٩ ، (الملاحظه ١) حدود العراق الشماليه خطأ مستقيماً من هيت على الفرات الى تكريت على دجلة . وبالرغم من ان هذا يتفق مع بيانات بعض الجغرافيين العرب ، فانه مناقض لبيانات المؤلفين الكلاسيكيين ، كما انه لا يمت بصلة الى الشكل الفيزيوجرافي [الجغرافي الطبيعي] للارض .

الملحق التاسع عشر

خفان او القايم

ان القايم الحالية الواقعة على الطريق المسلوكة من الكوفة الى البصرة هي على موقع خفان القديمة .

يقول ياقوت في المعجم (فستفلد) ، المجلد ٢ ، ص ٤٥٦)
« خفان موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج احياناً وهو مأسدة ، قيل هو فوق القادسية وقال ابو عبيد السكوني خفان من وراء النسخ على ميلين او ثلاثة عين عليها قرية لولد عيسى بن موسى الهاشمي تعرف بخفان وهما قريتان من قرى السواد من طف الحجاز ، فمن خرج منها يريد واسطاً في الطرف خرج الى نجران ثم الى عبد بنيا وجنبلاء ثم قناطر بنى دارا وتل فخارثم الى واسط وقال السكري خفان وخفية اجمتان قريتان من مسجد سعد بن ابي وقاص بالكوفة .

ويصف ابو الفضائل ، كما يفعل ياقوت (المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٣٥٩) ، موقع خفان وصفاً غير دقيق ، مما يوضح ان هذا المكان على عهد هذين المرجعين إما كان قد اكتسب آنذاك اسماً مختلفاً او انهما لم يعرفاه شخصياً . ويرينا السكري ايضاً مجرد المام سطحي بالمنطقة عندما يربط خفان بخفية محدداً موقعهما قرب مسجد سعد بن ابي وقاص الذي كان يقع في الحقيقة على طريق الحاج جنوبي المغيثة في صحراء محرقه لا تثبت فيها الادغال . والواضح ان خفيه التبتت على ياقوت بخفان ، لان خفيه وليس خفان هي التي كان يجب على الحجاج اجتيازها كلما غمرت مياها الفيضان الطريق شمالي القادسية .

ان بيانات السكوني على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لنا خاصة حينما يحدد موقع مستوطنة النسخ بانه قرابة عشرة أميال شرقي القادسية على

طريق يؤدي الى خفّان (ياقوت ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٧٨٢) .
 (وأرى ان ضيعة النسخ تلابق خرائب ام العصافير على مسافة خمسة عشر
 كيلو متراً الى الجنوب الشرقي من القادسية) لذلك فالمسافة من القادسية
 الى خفّان ، وفقاً للسكوني ، كانت اثني عشر او ثلاثة عشر ميلاً . ومهما يكن
 فان الشرق في هذه الحالة يعني الجنوب الشرقي . ويتفق الموقع والمسافة
 كليهما بهذا الصدد مع بيان يحيى بن ميمون ، وهو مواطن من اهل القادسية
 (الطبري: التاريخ [دي خويه] ، السلسلة ٣ ، ص ٢٩٥) . فهو يقول ان ابن معقل
 في عام ٧٦٢ م « ولى القادسية ليمنع اهل الكوفة اتيان ابراهيم » في البصرة .
 وكان الناس قد رصدوا طريق البصرة فكانوا ياتون القادسية ثم العذيب ثم
 وادي السباع . ثم يعدلون ذات اليسار من البر حتى يقدموا البصرة . فخرج
 نقر من الكوفة اثنا عشر رجلاً حتى اذا كانوا بوادي السباع لقيهم رجل . .
 من اهل شيراف دون واقصة بميلين . . فاتي ابن معقل فاخبره ، فاتبهم
 فادركهم بخفّان ، وهو على اربعة فراسخ من القادسية . »

على ان هناك ايضاً اخباراً اخرى تدعونا الى البحث عن خفّان الى
 الجنوب الشرقي من القادسية وعلى حدود الصحراء . فيذكر المسعودي
 (التبيين (دي خويه) ، ص ٣٩٠) ان المسافة من القادسية الى
 خفّان هي ستة أميال ، الا انه بعمله هذا يخلط بين هذه المسافة والمسافة
 من القادسية الى العذيب . ويتبين لنا ايضاً ان خفّان تقع الى الجنوب الشرقي
 من القادسية على الطريق الى البصرة وذلك من قيام القائد القرمطي ابو طاهر
 بالزحف باتجاه شمالي غربي الى القادسية ، حيث طلب من جنوده الاستدارة
 ليقطع طريق الحجاج الهاربين شمالاً . وقد ادركهم عند العذيب على مسافة
 ستة أميال (المصدر السابق ، ص ٣٨٩ وما بعد) .

ويكتب كاتبنا في حواريته (١٩٠٧) ، المجلد ٢ ، ص ٩٢١ ، الملاحظة ٦ ب ،

إذا لمسعودي يذكر ان الطريق من جزيرة العرب الى الكوفة يمر بختان ،
وبجوارها كانت لأشراء لخم قصور تدرف بالخورق (وبهذا الصدد يشير
كايتاني ايضاً الى الطبري (المصدر السابق : السلسلة ١ ص ٢٨٥١) ولا تندعم
نصوص المسعودي ولا الطبري ما ذهب اليه كايثاني في هذا الشأن

وفي عام ٩٠٦ - ٩٠٧ م اجتازت خفان (عريب ، الصلة [دي خويه] ،
قطعات من جيش الخليفة عند زحفها لمعاينة زعيم القرامطة زكرويه
الذي كان يحاول الحرب بالحجاج الاسرى والمنهويين من محطة فيد
بطريق النجاج وحفير ابني موسى الاشعري الى البصرة . ص ١٧)

ويروي ابن الأثير في الكامل (تورنيرك) ، المجلد ٩ ، ص ص
٤١١ وما بعدها) ان بني خفاجة في عام ١٠٢٦ م قاموا بنهب الجامعين
والمنطقة المجاورة لها ، فلحق بهم والى المنطقة ابن مزيد ، واركهم
عند حصن خفان الصحراوي ، وبعد ان فرق شملهم واخذ مقادير كبيرة من
ممتلكاتهم حاصر الحصن ، ثم استولى عليه وهدمه . وكان
يريد هدم البرج (قايم) المشيد بالآجر والكلس ، الا انه عدل عن ذلك
عندما قدم له صاحب البرج ربيعة بن مطاع هدايا كبيرة . ويقال ان هذا
البرج (القايم) كان مناراً للسفن عندما كان البحر يصل حتى النجف .
وتظهر جميع البيانات ان خفان القديمة يمكن البحث عنها عند قرية
القايم الحالية .

زار ابن بطوطة (التحفة) دفرميري وسانكوثيني (، المجلد ٢ ،
ص ٢) هذا المكان في رحلته من النجف بطريق الخورق الى البصرة وسماه
(قايم الوراق) . ويبدو ان الخليفة الوراق (٨٤٢-٨٤٧) كان قد أمر
بتشييد مسجد هناك لم يبق قائماً منه على عهد ابن بطوطة أثر الا صومعته .
ويؤكد هذا ابو الفضائل (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٣٨٢) الذي يقول
ان القايم « بناء قديم بختان في بر الكوفة يعرف به » . ومن الممكن ايضاً

ان الخليفة الواثق بنى المسجد على موقع دير قديم ، وان التاييم لم يكن سوى بقايا كنيسة مسيحية او برج مراقبة فارسي .

ذكر ابو الفضائل (المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٤٢٨) ان دير حنا هو دير قديم بالحيرة مقابل منارة عالية كالمقرب يقال لها القايم ، واطنه الذي يقال له خفان .

وينقل ياقوت (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٦٨٤) عن ابي الفرج الاصفهاني « اصبح خفان بجوار الكوفة وعنده دير هو الآن خراباً » ويقو ايضا ان « اصبح خفان بناء عظيم قرب الكوفة من ابنة الفرس واطنهم بنوه هناك ليكون منظره ، ياقوت . المصدر نفسه ، المجلد ١ ، ص ٢٩١) . وهذا ماكرره ابو الفضائل (المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٧١) .

ويصف البكري في معجمه (فستفلك) ، ص ٣٢٣) خفان بأنها « موضع قبل اليمامة اشب الفياض ، كثير الاسد ، ومنازل تغلب بين خفان والعذيب . قال عمرو بن كلثوم :

فبهني ترأسي تغلب بنة وائل اذا نزلوا بين العذيب وخفان
وكان الشاعر الاخطل ، وهو من بني تغلب ، معتاداً ان يخيم في خفان . (الديوان : [صالحي] ص ٢٩٤) .

ويقع التاييم على الحدود الجنوبية الغربية لمستقعات واسعة حيث كان من السهل ان تخفي فيها حيوانات وحشية من انواع مختلفة . وفضلاً عن ذلك فالى مسافة خمسين كيلو متراً غربي القرات يتوفر مساء كثير وإن كان مذاقه ينفيل الى الملوحة قليلاً . وفي السهول والوديان المتعددة لهذا المنخفض تشكل الطرفاء مجموعات من الشجيرات تشمخ

فوقها اشجار نخيل برية كثيرة السعف تكاد تكون صوداء او جافة
ورمادية قاتمة . وبسبب لونها يدعوها اهل البلد بالسُمُر (اي السود) .
وكان في امكان الاحراش السفلى والبرك الضحلة ان تقدم للحيوانات الوحشية
الملجأ والماء .

وينقل باقوت (المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٣٥٩) عن راويته
العُرني « من البصرة الى عين جمل ثلاثون ميلاً ، وإلى عين
صيد ثلاثون ميلاً » ، وإلى الاخادير ثلاثون ميلاً ، وإلى أفسر ٣٠ ميلاً ،
منها الى سلمان ٢٠ ميلاً ، ومنها الى لعلل ٢٠ ميلاً ،
وإلى بارق ٢٠ ميلاً ، وإلى مسجد سعد ٤٠ ميلاً ،
وإلى المنيشه ٣٠ ميلاً ، وإلى العذيب ٢٤ ميلاً ، وإلى القادسية ٦
أميال ، وإلى الكوفة ٤٥ ميلاً . فالمسافة من سلمان إلى الكوفة
اثنان ، وفقاً للعُرني ، هي ١٨٥ ميلاً ، أو ٣١٤ كيلو متراً ؛ وفي الواقع
انها قرابة ١٦٠ كيلو متراً . ولذا فإن المسافات المختلفة المذكورة غير
جديرة بالاعتبار .

أما من القادسية إلى الكوفة فإن المسافة ، وفقاً للعُرني ، هي ٤٥ ميلاً أو
٧٦ كيلو متراً . وهي في الحقيقة ٣٠ كيلو متراً فقط ، أو ١٧ ميلاً .
والمسافة من القادسية إلى العذيب هي ثمانية كيلو مترات ، وهي وفقاً
للعُرني ٦ أميال التي قد تتفق بما فيه الكفاية لو احتسبنا ان كيلو متراً ونصف
تساوي ميلاً واحداً .

والمسافة من العذيب (حين السيد) إلى المنيشه هي ٣٦ كيلو متراً ؛
وهي وفقاً للعُرني ٢٤ ميلاً ؛ وهذه تتفق أيضاً ، عند احتساب كيلو متر
ونصف للميل الواحد .

والمسافة من المنيشه إلى مسجد سعد وفقاً للعُرني هي اربعون ميلاً ، مع
ان المسافة من هناك إلى المسجد ، كما يدعى المكان الاخير الآن ، لا تمثل في
الواقع الا ٢٣ ميلاً .

ان موقع محطة بارق غير معروف . ويجعل ياقوت (المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٤٦٣) بارقاً حداً فاصلاً بين القادسية والبصرة . وعلى كل حال فإني اظن ان جُدَّ (بئر) هي الكتابة الصحيحة ، وليس حَسَدَ (اي النقطة الفاصلة) ، لان القادسية لسم تكن قسـط مركزاً لادارة سياسية ولهذا لايمكن ان تفصل بارق بين منطقتين اداريتين . ومن ناحية اخرى فقد كان هناك طريق من البصرة الى القادسية يمر بمحطة بارق ، ولما كان لكل محطة صحراوية منهل ماء فمن الجائز ان نفترض ان هذا المنهل في بارق كان يتمثل في البئر المذكور (جـد) .

والمسافة من المسجد الى سلمان هي ستون كيلو متراً .

ولقد قام ابن بطوطة (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ص ١ وما بعدها) برحلة من مشهد علي (ع) بأزاء الخورنق الى محطة قائم الواصل فقال : وبه ان قرية خربة ومسجد شرب لم يبق منه سوى صومعته ، ثم رحلنا عنه آنحين مع جانب الفرات بالموضع المعروف بالعدار وهو غابة قصب في وسط الماء يسكنها اعراب يعرفون بالمادى ودم قطاع الطريق . ثم استأنف رحلته الى البصرة . وتعرف ارض المستنقعات المسماة العدار حالياً ، بالعداري ؛ فبدلاً عن عدار كان ينبغي ان يكتب عدار .

ان اسم عشيرة المعادي مطابق لاسم عشيرة المعدان ، التي استوطنت على كلتا الضفتين اليمنى واليسرى للفرات .

الملحق العشرون

أهاوا ، مسكنته ، مسجين

ان موقع مسجين ذو أهمية كبيرة ويفسر لماذا ظهرت فيما بعد مستوطنة كالمسيجه وازدهرت هنا في المنطقة المجاورة للخرائب . ففي هذه النقطة في الازمان الغابرة ، كما هو الحال اليوم ، تفرع طريقان : احدهما يتجه غرباً ، والآخر في اتجاه شمالي غربي من طريق النقل الذي يتابع الضفة اليمنى لدجلة . وكان موقع مسجين ولا يزال ملتقى طرق مهمة ، وهي تذكرنا بأهاوا العبرية وسكنائي القديمة او مسكنته .

ويكتب اسدراش (٨ : ١٥ ، ٢١ ، ٣١) انه جمع اليهود ، الذين كان عليهم العودة منه من بلاد بابل الى فلسطين ، بجوار نهر يجري باتجاه اهاوا ؛ وهناك مكثوا ثلاثة ايام وهم صائمون . ويظهر ان هذا النهر او القناة التي تجري باتجاه اهاوا يجب البحث عنها على حدود بلاد بابل الاصلية ، لان المنطقة التي كان على اليهود اجتيازها فيما وراء تلك النقطة كانت محفوفة بالخطار . وتبني كلمة اهاوا مستوطنة تتألف من خيام ، وهي شبيهة بـ (سكنائي) او مسكنته . وكان في مقدور اليهود العودة إما بمحاذاة الفـرات او باختراق المنطقة الوسطى من بلاد ما بين النهرين . وكان الطريق الأول ذو القصر ، الا أنه اصعب واخطار بكثير من الثاني . فلم يكن على الفرات في بداية نيسان (ابريل) قمع ناضج ، وعـلى هذا ما كان في وسع العائدين ايجاد طعام لأنفسهم ولا مرعى لحيواناتهم . وبالإضافة الى ذلك ، فان رؤساء المدن المختلفة على امتداد الفرات ، وهم دائماً مستقرون الى حد ما ، كانوا ولا ريب سيقتلون عليهم بمطالبتهم . فرؤساء المنطقة المحيطة لم يكونوا ليرددوا في الهجوم على جماعة من الغرباء ليسوا في حماية جنود من الفرس ،

وكانوا يعلمون او يتصورون في الاقل ، انه كان لديهم كثير من المال والتجهيزات .
ويشير إسدراش نفسه (٨ : ٣١) الى الخطر المحدق به وبشعبه في الطريق
الى ديارهم ، ولما كان لا يرغب مطابقة الفرس بحماية عسكرية ، فانه وضع
نقته بالله وحده واختار في اغلب الاحتمال الطريق الأطول ، وهو الأسهل
والأكثر أمناً ، مخترقاً وسط بلاد ما بين النهرين .. وادى هذا الطريق أولاً بمحاذاة
الضفة اليمنى لدجلة باتجاه الشمال حتى الموصل في يومنا هذا تقريباً ، ثم
انعطفت غرباً باتجاه سفوح السلسلة الجبلية الشمالية مخترقاً المنطقة بين البادية
والمنطقة الحضرية حتى الترات الذي وصل اليه عند مخاضة ئيساكوس في المنطقة
المجاورة لغرائب بالس الحالية . فاذا كان إسدراش قد اختار هذا الطريق فلا
بد أن تكون مسجحين هي الموضع الذي انطلق منه (اي سكينائي ، الكلاسية
واهواو البريه) .

ويقودنا سترابو (الجغرافيه ، ١٦ ، ١ : ٨ ، و٢٦ ومابعد) الى
النقطة نفسها . فهو يرى ان جيران بلاد بابل ، على جانب اديابيني و
كورديائي ، هم عرب مسكنه (الاسكينيون) ، ومخيماتهم تقع
جنوبي السلسلة الجبلية في ذلك الجزء من بلاد الجزيرة
الذي يفتقر الى الماء ولهذا كان مجدياً . وبين الفرات ودجلة يجري ما يسمى بالنهر الملكي
ثم الى اراس الذي يقطع اراضي انشوسيا ومنطقة سكينائي المسماة آنذاك (اي في زمان
سترابو) مالي . وخلال الجزء السوري من الصحراء يؤدي طريق تجاري من سوريا
الى سلوقية وبابل ، اذ يمر التجار الفرات . اندشوسيا : وهي مكان فسي بلاد
الجزيرة . وفيما وراء النهر ، على مسافة اربع سكونات ، تقع بامبيكه ، ودعيت ايضاً
اديسا وهيرابوليس ، وهي محل عبادة الإلهة السورية اتركاتيس . ويخترق
طريق من المخاضة الصحراء حتى سكينائي ، وهي بلدة كبيرة
الحجم على حدود بلاد بابل مشابة قرب قناة للري . والرحلة من مخاضة
الفرات الى سكينائي تستغرق خمسة وعشرين يوماً . ويسافر التجار على ظهور

الجمال، وكانت خاناتهم على عارضة الطريق تجهز بالماء الذي يحفظ عادة في صهاريج، الا انه يُجلب من مكان آخر . والاسكينيون أناس طيبون يكتفون بمبالغ زهيدة ، ولهذا السبب بالتحديد يتفادى التجار صفافه الأنهار ، ويفضلون احتراق الصحراء ، ولذلك يتركون النهر على يمينهم على مسافة ثلاث مراحل تقريباً ، وذلك لأن الرؤساء على امتداد كلتا ضفتي النهر في منطقة قليلة الخصوبة مع انها مزروعة ، مستقل احدهم عن الآخر ، ويتقاضى كل منهم مبلغاً — من النادر ان يكون معتدلاً — عند المرور باراضيه . ومن الصعب جداً بالنظر الى هذا الحشد من الناس المفلطين في الجشع ادخسالة نظام مشترك من الرسوم يلائم التجار . والمسافة من سلوقية الى سكينائي هي ثمانية عشر سكوتراً .

ان يياذسات سترابو غير واضحة وضوحاً كافياً . فهو يرى ان العرب الاسكينيون خيموا جنوبي السلسلة الجبلية في القسم الجنوبي من بلاد الجزيرة بين الفرات ودجلة ، وتناخمهم . يلاذ بابل من الجنوب الشرقي . اما النور الملكي عنده فهو بليخ عند العرب ، او بايخوس في المكتبات الكلاسيكية . وقد اورد راويته كلمة مليخوسس وترجمها بالملكسي . اما الأبوراسس فهو الخابور . ولم تكن انموسيا تقع اعلى من مخاضة الفرات بل بعيداً الى الشرق منها . كما ان بامبيكه ليست مطابقة لاديسا . فلو سارت القوافل من المخاضة الى سكينائي بخط مستقيم لكانت تبعد مسافة ثلاث مراحل من الفرات عند ثلاثة اماكن فقط . ولو ارادوا ان يسيروا لمدة اطول كثيراً ، لكان عليهم اثناء سفرهم ان يتربوا من النهر مسافة تزيد كثيراً على ذلك ولا تزيد احياناً ايس اكثر من ثلاثين كيلومتراً . وفي مثل هذه الاماكن كان يمكن طبعاً ان يتعرضوا الى مضايقات من رؤساء القرى على امتداد مجرى النهر . و يحرمنا من مزايا السير خلال الصحراء . ولم يصل البنا اي ذكر لطريق نزل على مسافة ثلاث مراحل الى الشمال الشرقي من الفرات الاوسط، الا اننا نعرف خط طريق النقل القديم الى الشمال الشرقي من الفرات بمحاذاة السفح الجنوبي للسلسلة الجبلية وبمحاذاة الخط الفاصل بين البادية

والمطقة الحضرية . وفي قسمه الشرقي يستدير هذا الطريق نحو نهر التراتر ويعمل اليه قرب موقع خرائب مدينة الحضر ، ومن هنا يتجه فرع شرقا نحو مدينة آشور القديمة ، وهي قلعة شرفاء الحالية ، وفرع آخر يخترق وادي التراتر باتجاه جنوب - الجنوب الشرقي ، ويستدير الاخير بعد مغادرة الوادي امقل من خرائب الجبله متجنباً جميع الثعالب الوعة الى ش.رق - الجنوبي الشرقي ، مؤدياً في النهاية الى ما يعرف الآن بخرائب مسجين . وفي رأيي ان الطريق التجاري الذي ذكره سترابو ربما يتطابق مع هذا الطريق ، وبهذه الطريقة فقط يمكن تفسير منشأ مدينة الحضر ولزدها . ان المحطات المختلفة من الحضر الى جنوب - الجنوب الشرقي لاتزال ظاهرة للعيان ، وتدعى الخرائب الباقية بنية (اي البناء) . والمسافة من سلوقيه الى مسجين هي خمسة وثمانون كيلوا متراً أي اربعة عشر سكونوساً وليس ثمانية عشر .

ويذكر اسينيوس كوادراتوس (اسطيفان البيزنطي ، الجئناس) ماينكه [ص ٤١٧) في معرض حديثه عن الحرب بين الامبراطور سبتيموس سيفيروس والفرت ، بلدة مسكنه الواقعة قبالة منطقة عرب الاسكنيين . ويمن هذا مع موضع مسجين الذي ذعن بصدده ، لان الامبراطور سبتيموس سيفيروس الذي حاصر مدينة الحضر مرتين ، استناع التقدم من مسجين بمحاذاة التراتر إليها .

وكان بيت مشكنه في تاريخ مبكر اي منذ عام ٢٢٤ م ، متراً للطران مسيجي (تاريخ اربيل [ترجمة سخلو] ، ص ٦٢) .

وفي وقت ما بعد عام ٤٢٢ م سرق الملك الفارسي فردان من كنيسة - قارفا في مشك جواهرها الرائعة التي كان الملك الروماني قد ارسلها بواسطة الملك - ران اكاسيوس تكريماً لوالد زهرسان ، الملك يزدهرد (هوفمان ، مقتبسات [١٨٨٠] ، ص ٤٠ وما بعدها : البراون : الشهداء الفرس [١٩١٥] ، ص ١٦٥) . -

ويظهر من السياق ان مشك تطابق بيت مشكته الأقدام ومسكن العربية
او مسجين . وربما شُيدت كنيسة قافان مسن قبل التجار الذين كانوا
يستوردون ويصلون بضائع الى هناك برأ ونهرآ .

ويشير الأخطل ، في ديوانه (صالحياتي) ، ص ٧٩ الى مسكن .
ويذكر ياقوت ، في معجمه (قسطنقند) ، المجلد ٤ ، ص ٥٢٩ (ان
ان مسكن موضع قسرب اواناء على نهر الدجـيل عند دير الجاثليق .
ويضيف ابو الفضائل ، في مراصده (يوينبول) ، المجلد ٣ ، ص ٩٨) ان
مسكن « اسم للطروج الذي منه اوانا من اعمال دجيل ، والمرضع الذي فيه عبر
مصعب على جانب به الآن ، وجبل به الآن قرية ، ودير الجاثليق قريب منه » .
ان اكمت خرائب اوانا وصريفين او لصريفين ظاهرة للعيان الى
الشرق من مسجين .

ويقول ياقوت ، « المصلر السابق : المجلد ٣ ص ٣٨٤ » صريفون
في سواد المراق في موضعين احدها قرية كبيرة غناء شجراء قرب عكبرا ولوانا على
ضفة نهر دجيل اذا أُذن بها سمعوه في اوانا وعكبرا ، وبينهما وبين مسكن وقعت
عندها الحرب بين عبد الملك ومصعب ساعة من نهار » وقد صحح هذا الكلام ابو
الفضائل (المصلر السابق : المجلد ٢ ص ١٥٤ فما بعدها) فقال « وانما هي بقرب
دجلة القديمة التي تسمى الشطيطة فوق اوانا ، تتصل بضياعها ، عكبرا تقابل
اوانا من جانب الشطيطة الآخر ، ونهر دجيل بعيد منها » .



الملحق العاشر والعشرون

برتو و تكريت

يظهر اسم تكريت في التاريخ البابلي في لوحة المتحف البريطاني التي تحمل رقم ٢١٩٠١ ، الأسطر ١٦ - ٢٢ (كاد ، شقوط ، نيوى [١٩٢٣]) ، ص ٣٨) . ففي عام ٦١٥ ق . م . هاجم نبوبولصّر ، ملك بلاد بابل ، مدينة آشور (قلعة شرقاقل) الا انه أجبر على الحرب متبعاً الضفة اليمنى للجلجلة حتى مدينة تكريت . وحمل جيشه على الصمود الى قلعة (برتو) تكريت ، حيث تمت محاصرته . وعلى مدى عشرة أيام قام ملك بلاد آشور بهجمات عليهم ، الا انه لم يستول على المدينة فنادى الى بلاده . وبما ان القلعة ، (برتو) كانت الجزء الأكثر منعة والأكثر اديسه في مدينة تكريت الواقعة على تلسين (ولهذا استعملت صيغة المثنى تكريتين) ، فقد اطلق الآشوريون اسم برتو على المدينة نفسها (اللوحة الجليزية : رولسن ، كتابات مسمارية (١٨٦١ - ١٨٨٤ م) ، المجلد ٢ ، اللوحة ٩٧) ، الوجه المقابل ، الأسطر ٨ وما بعدها ، روست ، نصوص مسمارية [١٨٦٣] ، المجلد ١ ، ص ٥٦ ، دودار ، المكتبة المسمارية [١٨٦٩ - ١٩١٠] ، المجلد ٢ ، ص ٥ و ١١ و ٢٦) . ويتبع بيلابوس (الجغرافيه ، ح ٥ ، ١٨ : ٩) - وهو الذي عرف ايضاً بلدة برتا حوالي التلّة التي تقع عندها تكريت في يومنا هذا - الاستعمال الآشوري .

ويروي اميانوس مارساينوس ، ح ٢٠ ، ٧ : ١٧) - عن س . أبور الهاني (٣٧٩ - ٣٧٩ م) انه بعد ان استولى على بضعة حصون صغيرة حاصر حصن فيرما القديم . وقد راج الاعتماد بان الاسكندر

المقدوني، هو الذي شيد هذا الحصن على أبعد حد لبلاد الجزيرة .
 وكان شاملاً بأسوار ضخمة مزودة بأبراج ، وكان يصعب جداً الاقتراب منه .
 وبالنظر لعدم استلاء سايور الثاني الاستيلاء على البلدة بالقوة او بالترغيب
 كما انه تعرض لخسائر اعظم مما انزل بهلوه ، انسحب اخيراً من
 فيرتا بدون نجاح .

ذكر اليمقوبي ، في تاريخه (هوتسما) ، المجلد ١ ، ص ٢٥٨)
 « كانت ديار اباد بعد اليمامة الحيرة ، ومنزلهم الخورنق والسدير وبارق ،
 ثم اجلاهم كسرى من ديارهم فانزلهم تكريت ، مدينة قديمة على شط
 دجلة ، ثم اخراجهم من تكريت الى بلاد الروم وسرعان ما استعرب اهل
 تكريت (تكارتة) . وهذا مما يسهل فهمه اذ ان البلدة اصبحت مركز تسويق
 للبدو بين القرات الاوسط ودجلة بعد اضمحلال دولة الحضر .

وانضم اهل تكريت الى اليعاقبة . فيروي ابن العبري في تاريخه الكنسي
 (ابيولوس ولامي) ، المجلد ٢ ، النمودان ٦٧ و ٨٥) ان برصوما
 بعد طرده من ذهيبين (٤٤٩ م) ، سعى لأدخالهم في المذهب النسطوري ،
 ولكن محاولته باءت بالفشل .

واصبحت تكريت مقراً للمافريان [الماران] ، او ممثل بطريرك انطاكية
 اليعقوبي ، وكان تحت ادارته الشرق اليعقوبي بأسره .

وبني الماران احوديته (٥٥٩ - ٥٧٥ م) دير كمثاني على مسافة
 غير بعيدة عن تكريت ، عند طريق نقل ليس فيه ماء (المصلو نفسه ،
 العمودان ٩٩ و ١٠١ . احوديته في التاريخ [ناو] ، ص ٣٢) .
 اما اسيهانوس ، المكتبة الشرقية (روما ، ١٧١٩ - ١٧٢٨) ، المجلد ٢ ،
 ص ٤١٤) فيتحدث عن ديزين بناهما الماران لوديته عند جويكا وعين قيناء .
 وكان اول مافريان [مطران] في تكريت هو مزوتا (٦٢٩ م) .
 وكانت تتبعه في البداية عشرة اسقفيات فقط ، ولكن سرعان ما اصبحت
 اثنتي عشرة اسقفية (ميخائيل السوري ، المدونه [شايو] ، المجلد

٤ ، ص ٤١٣ ؛ ابن العبري المصدر السابق ، المجلد ٢ ، العمود ١٢٣ ؛
إيليا النسيبي : التاريخ العام [بروكس] ، القسم ١ ، ص ١٢٧ ، دنحا
، تاريخ مروتا [ناو] ، ص ٧٩ .

استولى المسلمون على تكريت عام ٦٣٧ م . فيروي البلاذري ،
(المصدر السابق ، ص ٣٣٣) وأن عتبة بن فرقد افتتح الطبرهان وتكريت وأمن
أهل حصن تكريت على أنفسهم وأموالهم ، وحدثنى شيخ من أهل تكريت أنه كان معهم
كتاب أمان وشرط لهم ، فخرقه الخريش حين أخرج قري الموصل نرساباد وهاعله وذواتها
وذلك عند هجـوم معادي بعد ذلك بوقت قصير . (الطبري ، المصادر
السابق ، السلسلة ١ ، ص ص ٢٤٧٤ - ٢٤٧٧ .)

أما ابن العبري في المصدر السابق (المجلد ٢ ، الأعمدة ١٢٣ و ١٢٥
و ١٣١) فيقول أن المطران مروتا (٦٢٩ - ٦٤٩) سلم قلعة تكريت إلى
المسلمين . وبني هذا المطران في قلعة تكريت كاتدرائية دفن فيها .

وبني بارسو (٦٦٩ - ٦٨٣) في تكريت كنيسة الشهيد المقدسين
سيرجيوس وباخوس ، وأصبحت فيما بعد الكاتدرائية الثانية . وعلاوة
على ذلك فإنه أسس قرب تكريت دير بيت عرياي (أسيمانوس : المصدر
السابق ، المجلد ٢ ، ص ص ٤٢٢ و ٩٢٩ ؛ ابن العبري : المصدر
السابق ، المجلد ٢ ، الأعمدة ١٣٣ و ١٤٣ و ١٤٥) . ولعل بيت عرياي
تطابق الأربعين الحالية .

ولرغبة المافريان [المطران] دنحا (بعد عام ٦٨٤ م) في الاستقلال ،
فإنه عين مطارنة بدون موافقة البطريرك . ولهذا السبب فإنه عُرِّل واحتجز في
أحد الأديرة ، ولم يتسن أعادته إلى مركزه ثانية إلا بعد وفاة البطريرك جوليان .
(ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٤٤٨ .) فبنى كنيسة
جديدة للقديس إوحديمه ، التي أصبحت الكاتدرائية الثالثة (أسيمانوس : المصدر
السابق ، المجلد ٢ ، ص ٤٣٠ ؛ ابن العبري ، المصدر السابق ، المجلد ٢ ،
العمود ١٤٧) .

وفي عام ٧٦٧ م بنى النساطرة لانتفسهم كنيسة صنيعة خارج الاسوار
الا انها قريبة من تكريت وبقوا فيها حتى نهاية القرن الثالث عشر (المصادر
نفسه ، ص ١٥٧ ؛ اسيمانوس ، المصدر السابق ، ص ٤٣٢) . وفي عام
٨١٧ م توفي البطريرك البعقوبي ، كبرياك ، في الموصل . وحُمل
جثمانه في قارب الى تكريت ودفن هناك في كنيسة الحصن الكبرى (التاريخ
السرياني [بروكس] ، ص ص ٥٧٨ وما بعدها) .
ويقول ابن رسته في الاعلاق (دي خويه) ، ص ١٠٦) أن تكريت
من كور الموصل .

وفي عام ٩٣٩ م خرج الخليفة الراضي والتقياد التركي بجيكم مسن
بغداد لملاقاة ناصر الدولة الذي كان يقترب من الموصل . وبقي الخليفة
في تكريت ، بينما لاقى جيشه ناصر الدولة قرب مستوطنه الكحيل . (ايليا
النصيبى ، المصدر السابق ، القسم ١ ، ص ٢١٠)

ويروى السعودي في التنبية (دي خويه) ، ص ١٥٥) : ابو زكريا
دنخا النصراني وكان متفلسفاً جداً نظاراً جرت بيني وبينه مناظرات
كثيرة ببغداد في الجانب الغربي بقليعة ام جعفر وبمدينة تكريت في
الكنيسة المعروفة بالخضراء في الثالوث وغيرها وكان ابو زكريا ، تحت
اسم دنخا ، مطراناً من عام ٩١٢ الى ٩٣٢ .

ويذكر السعودي (المسروج) (دي مينار ودي كورقي) ،
المجلد ٢ ، ص ٣٢٩) ان معظم العاقبة يقطنون في العراق في المنطقة
المجاورة لتكريت ، وان هذه البلدة هي ايضاً مقر مطرانهم .
ويقول الاصطخري (المسالك) (دي خويه) ، ص ٧٧) ان وتكريت
يلد على غربي دجلة اكثر اهلها نصارى .

ويذكر ابن حوقل (المسالك : دي خويه ص ص ١٥٦ ، ١٦٨) ان
تكريت على غربي دجلة ، واكثر اهلها نصارى . مظلة على جبل عظيم
شاهق ، وعلى ظهر هذا الجبل منها الموضع المعروف بالقلعة ، وكانت حصناً ذا

مسكن ومحال يشملها. مسور ، وهي قديمة أثرية وتجمع سائر فرق النصارى ، وبها من البيع والاديرة القديمة التي تقارب عهد عيسى عليه السلام والحواريين ، لم تغير ابنتها وثائقه وجلدها ، ومن أعظم بيعة بها محلا واقلمها بيعة الخضراء . وابنتهم بالجص والحجر والاجر والحصى . وفي عام ٩٣٢م شاهد ابن حوقل أسفل من تكريت بقايا جسر قديم مبني بالاجر . ويسمى القلبي في احسن التقاسيم (دي خويه) ، ص ص ١١٥ و ١٢٣) من بين المدن التابعة الى منطقة سامراء الادارية المدن التالية : عكبراء ولوانا ودميا والانباء وهيت وتكريت . ويقول عن تكريت انها « كبيرة معدن السمس . وصناعات الصوف ، والنصاري بها بيت يقصد . » ويصف الشابشتي (الديارات) (مخطوطة برلين) ، الورقة ٧٣ الوجه المعاكس) دير مريوحاونه الى جانب تكريت على دجلة ، وهو كبير عامر ، كثير القلايات والرهبان ، مطروق مقصود لا يخلو من المتطربين والمتزهين ، ولان مسافر يتزل ، ولكل من طرقة من الناس ضيافة قائمة على قدر المضاف لا يخلون بها ، وله مزارع وقلايات كثيرة وبساتين وكروم وهو للنسبورية ، وعلى يابه صومعة عيون الراهب ، وجبل من الملكية بنى الصومعة ونزلها فصارت تعرف به وهو الان المستول على الدير والقيم به ويمن فيه ، وقد بنى الى جانبه بناء يتزله المجتازون ، فيقيم لهم الضيافة ويحسن لهم القرى . » وليس للشابشتي ما يبرر وصفه لعيدون باللكاني ولا في نسبته للديسر الى الساطرة .

ويقع دير آخر يدعى العجاج ، وفقا للشابشتي في المصدر السابق ، الاوراق ١٢٣ الوجه الصحيح وما بعدها . بين تكريت وهيت « عابر كثير الرهبان ، وخارجه عين ماء تصب الى بركة هناك ، وفي البركة سمك اسود ، وهو طيب عذب الطعم وحوله مزارع ونخيل . تسقي من تلك العين » ولعل للخرائب قرب قوربات عمرة وبئر القنارة ، على بعد ٣٥ كيلو مترا

الى الشمال الشرقي من هيت الى الطريق المؤدي الى تكريت ، هي بقايا هذا الدير .

وعندما يتحدث ياقوت عن العجّاج في معجمه (فستفلد) ، المجلد ٢ ، ص ٦٧٨) فإنه اورد كلمة حصن بدلاً من خضر (بساتين الخضروات) . وبذلك جعل من بساتين الخضروات حصناً ، بينما حوّلّه ابو الفاضل في مراصده (يوينبول) ، المجلد ١ ، ص ٤٣٥) الى دير محصن .

وفي عام ١٠١٧ م هرب المطران اغناطيوس وأخذ معه اواني الكنيسة وزيناتها الى بغداد حيث أشهر اسلامه (ايليا النصيبى المصدر السابق ، القسم ١ ، ص ص ٢٢٦ وما بعدها) ابن العبرى ، المصدر السابق ، المجلد ٢ ، العمودان ٨٧ و ٢٨٩) .

وفي عام ١٠٨٩ م في زمن المطران يوحنا (١٠٧٥ - ١١٠٦) ، أمر والى تكريت بهدم كنيسة القديس سيرجيوس وباخوس الواقعة على التل الأعلى . كما انتهت كنيسة القديس احوديمه وشُرد المسيحيون وهرب المطران الى الموصل . (ابن العبرى ، المصدر السابق ، العمودان ٣٠٥ و ٣٠٩ ؛ اسيمانوس ، المصدر السابق ، ص ٤٤٨) .

عاد المطران ديونيسيوس (١١١٢ - ١١٤٢) الى تكريت وجمع شمل النصارى ورمم الكنائس . ودُفن في كنيسة القديس جورج تحت مذبح برصوما . الذي كان هو قد بناه (ابن العبرى ، المصدر السابق ، العمودان ٣١٧ و ٣٣١ ؛ اسيمانوس ، المصدر السابق ، ص ٤٤٩) . وبعد عام ١١٥٣ م لم يعد المطران يقيم في تكريت . وتناقص عدد المسيحيين بينما ازداد عدد المسلمين (ابن العبرى : المصدر السابق ، العمود ٣٣٧) .

ويسجل الادريسي في نزهته (ترجمة جويرى) ، المجلد ٢ ، ص ص

١٤٧ وما بعدها) ان تكريت تابعة في ادارتها للموصل ، وانها تقع غربي دجله مقابل مدينة الحضر وانه كان قسم كبير من اهل تكريت مسيحيين ، وبيوتها مبنية بالجص والآجر .

وفي اول حزيران (يونيو) عام ١١٨٢ م زار تكريت الرحالة ابن جبير . وقال (في رحلته [دي خويه] ، ص ٢٣٢) انها « مدينة كبيرة واسعة الارضاء ، فسيحة الساحة ، حفيلة الاسواق كثيرة المساجد ، غاصة بالخلق ، اهلها احسن اخلاقاً وقسطاً في الموازين من اهل بغداد ، ودجلة منها في جوفها ، ولها قلعة حصينة على الشط هي قصبتها المنيعه ، وبطيف بالبلد سور قد اثر الوهن فيه ، وهي من المدن العتيقة المذكورة » .

وفي عام ١٢١٨ م زار المطران اغناطيوس تكريت وهي مقام أسلافه ، وذلك لكي يرى المدينة التي سبق أن كانت عاصمة المشرق . فخرج الأهليون فيها للقاءه بابتهاج عظيم وهم يحملون الانجيل والصلبان على رماحهم ، وينشدون التراتيل السريانية والعربية . فاغاظ هذا الترحيب المسلمين إغاضة شديدة فالتقوا المطران في السجن ، وفرضوا غرامة على اهل تكريت مقدارها عشرون الف قطعة من الذهب . فهرب المطران من تكريت الى الخابور (قرقيساء) وانتخب فيما بعد بطريركاً لليعاقبة . (ابن العبري : المصدر السابق ، العمود ٣٨٩ ؛ اسيمانوس في المصدر السابق ، ص ص ٤٥٠ وما بعدها) . ويزوي المطران ابن العبري (المصدر السابق ، العمود ٤٤٧) انه زار تكريت بنفسه في عام ١٢٧٧ م . وحوالي سنة ١٣٦٥ م اقترب المطران اثناس ، اثناء سفره الى بغداد من تكريت . فخرج المسيحيون لملاقاته بابتهاج عظيم وحملوه الى المدينة على كرسي المطران القديسم . (المصدر نفسه ، العمود ٥٢٧) .

ويكتب ابن بطوطة ، في التحفة (ديفر يميري وسنكوييتي) ، المجلد ٢ ، ص ١٣٣) ان مدينة تكريت « هي مدينة كبيرة فسيحة الارضاء ، مليحة الاسواق ، كثيرة المساجد ، واهلها موصوفون بحسن الاخلاق ، والدجلة

في الجهة الشمالية منها ، ولها قلعة حصينة على شط الدجلة ، والمدينة عتيقة البناء ، عليها سور يطيف بها .

ويلاحظ الدمشقي في نخبته (ميرن) ، ص ١٩٠ أن تكريت تقع على تل مرتفع غربي الفرات . اما نهر الثرثار الذي يأخذ من نهر الهرماس ويصب في دجلة فيجري في طرف المائدة . ولا تقع تكريت غربي الفرات ، بل على الضفة اليمنى للدجلة . ويجري نهر الثرثار على بعد خمسين كيلومتراً غربي تكريت ولا يصب في دجلة مطلقاً .

ويذكر ابو الفداء في تقويمه (رينو وديسلان) ، ص ٢٨٩ -
« تكريت اخر مدن الجزيرة مما يلي العراق . وهي على غربي دجلة في الموصل .
وبينهما ستة أيام » .

يذكر ابو الفضائل في مراصده (يونبول) المجلد ١ ص ٢٠٩ ،
ان الاسم الصحيح للمدينة هو تكريت « وانها بلد مشهور بين بغداد والموصل ، وبينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً في غربي دجلة ، ولها قلعة حصينة احد جوانبها الى دجلة ، وجاء ثيفنو (الرحلات) امستردام ، ١٧٢٧ م) ، المجلد ٢ ، ص ٢٠٢ وما بعدها الى تكريت وهي المحطة السادسة للقوافل القادمة من الموصل ، وقد حاول مرتين الدخول الى المدينة ، الا انه لم يستطع تسلق الصخور الشديدة الانحدار المزدية الى السور . لذلك فإنه دقق النظر في البيوت الواقعة على جبهة النهر فقط ورآها جليلة الى حد كبير اذ كانت جميعها مبنية بالحجارة . وجل ما علمه انها كانت فيما مضى مدينة عظيمة ، لم يبق منها الآن سوى الخرائب ، وضيعة غير ذات اهمية . وتقع المدينة على جرف عال ، وما لا ريب فيه ان التصد من ذلك هو حمايتها من فيضان دجلة في موسم الربيع .

ووصف تافسرتيه (الرحلات الست) (باريس ، ١٦٧٩) ،

المجلد ١ ، ص ٢٠٦) مدينة تكريت فسي الجزيرة . فرأى هناك حصناً متهدماً ليس فيه سوى غرف قليلة بحالة سليمة . ويشكل نهر دجلة خندقاً مائياً لهذه المدينة من جهتي الشمال والشرق على السواء . اما من الغرب والجنوب فإن الانحدار الشديد تحت الحصن مغطى بصخور منحوتة . روى العرب ان الحصن كان فسي سالف الازمان اعظم الحصون في بلاد ما بين النهرين ، بالرغم من ان هناك تكين متجاورين يرتفعان الى مستوى أعلى . وكان المسيحيون يعيشون على قرابة ربع ميل عن المدينة ، حيث لا يزال يمكن مشاهدة خرائب كنيسة و برج تدل سعتها على انها كانت بلا ريب بنائية كبيرة الحجم .

ويكتب حاجي خليفة ، جيهان نامه (القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ) ، ص ٤٣٤) ان منطقة تكريت الادارية ، كانت لواء (قسم من ولاية) ، يشكل أقصى حدود بلاد الجزيرة . وتتمسح مدينة تكريت ، وهي على مسيرة ستة أيام من الموصل ، على الضفة اليمنى للجلة . وكان حصن هذه المدينة الذي بناه شاپور بن اردشير بابل في حالة خراب . وتندفق عين فقط بالقرب منها . ويذكر اوليا جلبي في تاريخه (ترجمة فون همر) ، المجلد ١ ، القسم ١ ، ص ٩٧) ان تكريت كانت من إقليم الموصل .

لوحات الصور والاشكال

رقم اللوحة	الصحيفة	العنوان
١	٢٢	دير الزور
٢	٢٢	الرحبة
٣	٢٥	مرقد الشيخ علي
٤	٣٠	الصالحية
٥	٣٢	الصالحية
٦	٣٥	الجابرية
٧	٣٥	حلب الماهر في الجابرية
٨	٣٧	الجابرية
٩	٣٨	ناعور حقول الحافي
١٠	٣٩	براوة من الجنوب الغربي
١١	٤٠	عانة من الجنوب الغربي
١٢	٤٩	بيت يهودي في عانة
١٣	٥٠	مخيم على الجهة المتابلة لسمب أبو البترايح
١٤	٥٢	قبر الشيخ حديد
١٥	٥٤	قبر السيد محمد
١٦	٦١	قارب على الفرات قرب الكوفة
١٧	٦٦	جسر فوق نهر مرة
١٨	٧٣	قنطرة المسيب من الغرب
١٩	٨٢	ركام سور جاور
٢٠	٨٦	شقة دجلة اليمنى الصغيرة قرب قصر العاشق
٢١	٩٧	قبة مجوفة في الثرثار
٢٢	١٠١	الضفة اليسرى من الثرثار
٢٣	١٠٢	القافلة عند أبو سماح
٢٤	١٠٩	مخيم القافلة قرب راوه
٢٥	١١٥	نهر الفرات
٢٦	١١٨	بئر العوجة
٢٧	١١٨	مملحة العاجد
٢٨	١١٩	قرت الحصان من الجنوب
٢٩	١٢٢	مملحة العديد

رقم اللوحة	الصحيفة	المنوان
٣٠	١٢٧	خان الصوار من الشرق
٣١	١٢٢	بئر المالحة
٣٢	١٢٥	من الخضيان غرباً • وادي الفرات على بعد
٣٣	١٤٧	مقبرة شمال النجف
٣٤	١٥٧	الخورنق
٣٥	١٦٢	القادسية من الشمال
٣٦	١٦٤	نهر السيد من الشرق
٣٧	١٦٩	القايم من الشرق
٣٨	١٧٠	قلعة القايم
٣٩	١٧٢	القايم - النبع
٤٠	١٧٨	بساتين الكوفة من الغرب
٤١	٢٠٢	سميكة من الجنوب
٤٢	٢١٤	في الابيتر : شجيرات غضا في الخلف
٤٣	٢١٦	الطرف الجنوبي لام رحل
٤٤	٢٢٦	الوشاش من جهة المشرق
٤٥	٢٢٧	عند الوشاش رجل يحمل فالة صياد
٤٦	٢٣١	معر صخري بمحاذاة الفرات
٤٧	٢٤٠	قرية حبين
٤٨	٢٤٢	تلبس من جهة الشرق
٤٩	٢٤٣	ناعورة غرب راوة
٥٠	٢٥١	زور الكشمة
٥١	٢٥٣	خريطة خرائب الجعابي
٥٢	٢٥٥	مخطط خرائب المروانية
٥٣	٢٥٧	خريطة خربة المسابع
٥٤	٢٦٢	من الشيخ محمد الويس نانظرين غرباً
٥٥	٢٦٣	حدود من الطرفاء فوق قبر
٥٦	٢٦٤	تل السن
٥٧	٢٧٢	مضيق المكركشة
	١٢	خريطة الطرق العامة

مراجع المؤلف

تشمل القائمة التالية ما تمت الاشارة اليه من المؤلفات في هذا الكتاب ، ودونت التواريخ بالتقويم الميلادي . وقد حافظنا على ما أورده المؤلف ، غير اننا افردنا المراجع العربية والتركية وجعلناها قائمة خاصة ، ووضعنا عناوينها واسماء مؤلفيها بالعربية ، وذكرنا الطبقات التي اعتمدها المؤلف دون ان نشير الى الطبقات المتعددة الاخرى التي ظهرت لكل من هذه الكتب ولكتب اخرى استجد طبعها بعد صدور الكتاب ، رغم ما فيها من معلومات تؤيد او تعدل او تضيف الى المادة التي ذكرها المؤلف .

(١) المراجع العربية

والتركية والفارسية

- ابن الأثير : علي بن محمد ، عز الدين (١١٦٠ - ١٢٣٤ م)
(١) الكامل في التاريخ . طبعة س . ج تورنبرج . ليزج ١٨٨٠
وطبع في القاهرة ١٢ جزءا سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٣ - ١٨٨٤)
(٢) تاريخ الدولة الاتابكية ملوك الموصل . طبعه وترجمه الى
الفرنسية : و . مالك جكين دى سلاز في باريس ١٨٧٦ .
ابن بطوطة : محمد بن عبدالله (١٣٠٤ - ١٣٧٧ م)
تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار . طبعه ك .
ديفريمرى و ب . - . مائكونيتى في باريس (١٨٥٣ - ١٨٥٨ م)
ابن تغرى بردى : ابو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ١٤٦٩ م) .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . طبعه ت . ج . ح جوينبول
و ب . ف مائيس في لينن (١٨٥١ - ١٨٦٧ م) ، وطبعه وليم بوبر
في ميكللى (١٩٠٩ - ١٩٢٣ م) .
ابن جبير : ابو الحسين محمد بن احمد (١١٤٥ - ١٢١٧ م)

الرحلة : طبعتها و . رايت في لندن ١٨٥٢ ؛ وطبعها مصححة
م . جى خويه في لندن ١٩٠٧ ضمن سلسلة ذكرى ١ ج . و ج .
(ج ٥)

الاختل : ابو مالك غياث بن غوث (ت حوالي ٧١٠ م)
الديوان : طبعة أ . صالحاني بعنوان : ديوان الاختل : نص عربي طبعة
لاول مرة من مخطوطة سان بطرسبورغ مع تعليقات . بيروت
١٨٩١ - ١٨٩٢ م

الادريسي : ابو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الشريف
(١١٠٠ - ١١٦٦ م)

كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق
ترجمه الى الفرنسية ب . أ . جويرت ونشره في الجمعية الجغرافية
الفرنسية م ١٨٤٥ ، باريس ١٨٣٦ - ١٨٤٠
كتاب نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزر والمدائن
والافاق . روما ١٥٩٢

الاصطخري : ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (حوالي سنة ١٩٥١ م)
كتاب مسالك الممالك : طبعة م . ج دى خويه في سلسلته « المكتبة
الجغرافية العربية » (م ١) لندن ١٨٧٠ م

اغايوس المنجي (حوالي القرن الـ١١ الميلاي)
كتاب العنوان . طبعة وترجمه الى الفرنسية الكسندر فازليف

امرؤ القيس بن حجر (حوالي ٥٣٠ م)
الديوان . طبعة و . ماجوكين دى سلان باريس ١٨٣٧

ابن الفقيه : ابو بكر احمد بن محمد الهذلي (الف حوالي سنة ٩٥٢ م)
كتاب البلدان : طبعة م . ج . دي خويه من سلسلته المكتبة الجغرافية

العربية (م ٥) ليدن ١٨٨٥ •

ابن قتيبة : ابو محمد عبدالله بن مسلم (توفي حوالي سنة ٩٨٩ م) •

المعارف : طبعه ف • ومشتغل في جوتنجن ١٨٥٠ م •

ابن القلاسي : ابو يعلى حمزة (ت ١١٦٠ م) •

ذيل تاريخ دمشق : طبعه ١ • ف • امدروز في ليدن ١٩٠٨ •

آبن كثير : ابو القدا : اسماعيل بن عمر (١٣٧٣ م) •

البداية والنهاية : مخطوط رقم ٨١٣ (١٨٧) مبعة لجلدات المكتبة

الوطنية في فينا •

ابن مسكويه : ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت ١٠٣٠ م) •

كتاب تجارب الامم : طبعه كياتاني (امين تيانو) مستنسخا عن

مخطوطة القسطنطينية مع مقدمة وتلخيص ونشره في سلسلة ١ • ج • ب

جب التذكارية (م ٧ جزءا ليدن ١٩٠٩ م) •

القسم الاخير من كتاب تجارب الامم طبعه ه • ف • امدروز في

مجلدين • اكسفورد (١٩٢٠ - ١٩٢١ م) •

ابن منقذ : ابو المظفر اسامة بن مرشد • مجد الدين مؤيد الدولة اسامة

(ت ١١٨٨ م) •

كتاب الاعتبار : طبعه وترجمه ه • ديرنبورج من مطبوعات مدرسة

اللغات الشرقية الحية (النسللة الثانية) م ١٢ باريس ١٨٨٦ •

ابن الوردي : الشيخ زين الدين عمر (ت ١٣٤٩ م) •

التاريخ : بولاق ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ - ١٨٦٩ م) •

ابن حوقل : ابو القاسم (الف سنة ٩٧٧ م) •

كتاب المسالك والممالك • طبعه م • ج • ديخويه في سلسلته المكتبة

الجغرافية العربية (م ٢) ليدن ١٨٧٣ •

ابن خلدون • ابو زيد عبد الرحمن بن محمد (١٣٣٣ - ١٤٠٦ م) •

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر من ايام العرب والعجم والبربر •

- سبعة مجلدات • بولاق ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ - ١٨٦٨ م)
- ابن خرداذبه : ابو القاسم عبيد الله بن عبدالله (الفه ٩٧٧ م)
- كتاب المسالك والممالك • طبعه وترجمه الى الفرنسية م . ج دي خويه
- سلسلته : المكتبة الجغرافية العربية (م ٦) ليدن ١٨٨٩
- ابن رسته : ابو علي بن عمر (زار المدينة سنة ٩٠٣ م)
- كتاب الاعلاق النفيسة • طبعه م . ج • دي خويه من سلسلته المكتبة الجغرافية العربية • (م ٧) ليدن ١٨٩٢
- ابن سريابون (حوالي سنة ٩٠٠ م)
- كتاب عجائب الاقاليم السبع • مخطوطة المتحف البريطاني (رقم ٣٧٩ ، ٢٣) طبعها وترجمها جى ليسترانج ونشرها في مجلة الجمعية الملكية الاسيوية : لندن ١٨٩٥ ص ١ - ٧٦ ، ٢٢٥ - ٣١٥
- ابو الفرج الاصفهاني (٩٦٧ م)
- (١) كتاب الاغاني • عشرون جزءاً • بولاق ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ - ١٨٦٩ م)
- وطبعه ر . أ . برونو في ليدن (١٨٨٨ م)
- وطبعه أ . جويندى في ليدن (١٨٩٥ - ١٩٠٠) فهرساً الفبائياً
- ابو الفضائل : صفى الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت ١٣٨٨ م)
- مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع • طبعه ت . ج • ج . ج . جوينبول • ٦ اجزاء • ليدن ١٨٥٠ - ١٨٦٤ م
- ابو شامة : شهاب الدين ابو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل (١٢٠٣ - ١٢٦٨ م)
- كتاب الروستين في اخبار الدولتين • القاهرة ١٢٨٧ - ١٢٨٨ هـ
- ابو يوسف : يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الكوفي الانصارى (ت ٧٩٥ م)
- كتاب الخراج • القاهرة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ - ١٨٨٥ م)
- ابو الفدا : اسماعيل بن على بن محمد بن شهاب بن ايوب • عماد الدين

الايوبي (١٢٧٣ - ١٣٣١ م)

(١) المختصر في تاريخ البشر . طبعه ج . ك . ادلر في كوبنهاجن

(١٧٨٩ - ١٧٩٤)

طبعة اخرى : اربعة مجلدات . القاهرة ١٩٠٥م

(٢) تقويم البلدان . طبعه ج . ت . رينو و ماكجوكين دي سلان

باريس ١٨٣٠ .

البتاني : ابو عبدالله محمد بن سنان بن جابر الحراني (٩٢٩ م)

كتاب الزيج الصابي . طبعة مع ترجمة لاتينية لك . أ . نالينو

البكري : ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (١٠٩٤)

معجم ما استعجم . طبعة فرديناند وستفيلد

البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (٨٩٢)

كتاب فتوح البلدان . طبعه م . ج . دي خويه . لندن ١٨٦٦

البنداري الاصفهاني : الفتح بن علي بن محمد (الف سنة ١٢٢٦ م)

تواريخ ال سلجوق وهذا الجزء مشتمل على كتاب زبدة النصر

من انشاء الامام عماد الدين محمد بن محمد حامد الاصفهاني . طبعة

م . ت . هو تسما . مجلدين . لندن ١٨٨٩ .

حاجي خليفة : مصطفى بن عبدالله . كاتب جلبي (١٦٥٨ م)

(١) جهان نامه . القسطنطينية ١١٤٥ هـ (١٧٣٢ - ١٧٣٣ م)

(٢) فذلكة التواريخ : مخطوطة المكتبة الوطنية . فينا رقم ١٠٦٤

(٦٤) ، ١٠٦٥

حمزة بن الحسن الاصفهاني (حوالي ٩١٣ م)

كتاب تاريخ سني ملوك الارض والانبياء . طبعه ج . م . ي

جوتولد . بطرسبورج ١٨٤٤ .

الخوارزمي : محمد بن موسى (الف سنة ١٠٣٦ م)

كتاب صورة الارض . مخطوط مكتبة جامعة ستراسبورغ رقم

(عرب • ملحق ١٨)

الدمشقي : شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي طالب الانصارى الصوفي
(١٣٢٧ م)

زهة الدهر في عجائب البر والبحر • طبعه ا. ف. مهرن في سنت
بترسبورغ ١٨٦٦ م (واعيد طبعه في ليبزج ١٩٢٣ م) •
رشيد الدين (١٣١٨ م) •

جامع التواريخ • طبعه ١٠٠١ م • كاترمير في باريس ١٨٣٦ م •
الرقيات : عبيدالله بن قيس (ت حوالي ٦٩٠ م) •

الديوان • طبعه رودوكافاكس في مطبوعات اكاديمية العلوم والفلسفة
والتاريخ م ١٤٤ رقم ١٠ فيينا ١٩٠٢ •
سبط ابن الجوزي • شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغلو بن عبدالله
(١٢٥٧ م) •

كتاب مرآة الزمان في تاريخ الاعيان : اتخبا وطبعها وترجمها س •
له ك.ه. باريه دي منيارد في باريس ١٨٨٤ م ص ٥١١١ - ١٧٥٠ في
مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية : المؤرخون المشارقة ، ثلاثة
مجلدات • باريس ١٨٨ م ص ٥١١ - ٥٧٠ •

تاريخ سمعت طبعه وترجمه ادي شير ونشر نصه العربي • م ج بريه من
المجموعة الشرقية م ٤ رقم ٣ باريس ١٩٠٧ ص ٣١٣٢١١ •
سعد الدين (٥١٩٩ - ١٦٠٠ م) •

التواريخ • النص التركي نشره مع ترجمة لاتينية. ١ • ف كولار في
فيينا ١٧٥٥ •

الشابشتي : ابو الحسن علي بن محمد (ت ١٠٠٠ م) •

كتاب الديارات مخطوطة ونزستين ١١٠٠ م مخطوطات عربية. رقم
٨٣٢١ مكتبة الدولة الروسية • برلين •

الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (٩٢٣ م) •

- تاريخ الرسل والملوكة • طبعه م. ج. دي خويه وآخرين ونشره في
ثلاث سلاسل (١٥ مجلد) بليسدن ١٨٧٩ - ١٩٠٣ م) بليسدن •
- الظاهري : رشيد الدين خليل بن شاهين (م ١٤٦٨ م) •
- زبدة كشف الممالك ، طبعه بول رافيه ونشره في باريس ١٨٩ م •
- عرب بن سعيد الكاتب القرطبي (الفه ٩٧٦ - ٩٧٧ م) •
- صلة تاريخ الطبري • طبعه م. ج. دي خويه في لندن ١٨٦٧ •
- علقة بن عبده الفحل (أوائل القرن التاسع الميلادي) •
- الديوان • طبعه البرت سوكيه في ليزج ١٨٦٧ م •
- قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي : ابو الفرج (ت ٩٢٢ م) •
- نبذ من كتاب الخراج • طبعه م. ج. دي خويه في مكتبته الجغرافية
العربية م ٩ ، لندن ١٩٨٩ ص ١٨٤ - ٢٦٦ •
- القزويني : زكريا بن محمد بن محمد (١٢٨٣)
- (١) كتاب عجائب المخلوقات
- (٢) كتاب آثار البلدان
- طبعها فوديناند وستنفلد في مجلدين • جوتنجن ١٨٤٨ - ١٨٤٩ م •
- وطبع كتاب عجائب المخلوقات في القاهرة ١٣٣١ هـ (١٩٠٣ - ١٩٠٤)
- القظامي : عمير بن سحيم التغلبي (ت ٧٣٨ م)
- الديوان • طبعه ج. • بارث • لندن ١٩٠٢
- كمال الدين : ابو القاسم عمر بن احمد بن التديم العقيلي الحلبي (١٢٦٢م)
- تاريخ حلب • طبعه وترجمة الى الفرنسية ج. ١٠ • ك. • باريه
- دي مينارد ضمن سلسلة مجموعات مؤرخي الحروب الصليبية •
- المؤرخون المشارقة م ٣ باريس ١٨٨٤ ص ٥٧١ - ٥٧٥ وترجمة ١ •
- بلوشيه الى الفرنسية ونشر الترجمة في مجلة الشرق اللاتيني • باريس
- ج ٣ (١٨٩٥) ص ٥٠٩ - ٥٦٥ ج ٤ (١٨٩٦) ص ١٤٥ - ٢٢٥
- (١٨٩٧) ص ٣٧ - ١٠٧ ، ٦٤ (١٨٦٨) ص ١ - ٤٩)

لغة العرب : مجلة شهرية ، ادبية ، علمية ، تاريخية بيد الابهاء الكرملية
المسلمين . صاحب امتيازها الاب استاس ماري الكرملى . مديرها
المسؤول : كاظم الدجيلي . بغداد . السنة ١ - ٤ - ١٣٣٩ - ١٣٣٣ هـ
(١٩١١ - ١٩١٤ م)

المتلمس : جرير بن عبد المسيح الضبيعة (٥٨٠ م)
الديوان . طبع فوللر طبعه وترجمه الى الالمالية في مقتطفات من علوم
اللغة السامية م ، ليزج ١٩٠٣ ص ١٤٩ - ٢٣١
المتنبى : ابو الطيب احمد بن الحسين (٩٦٥ م)

الديوان : طبعه ف . ديتريشى في برلين (١٨٦١ م)
المسعودي : ابو الحسن على بن الحسين (٩٥٦ م)

(١) كتاب التنبيه والاشراف . طبعة م . ج . ديخويه في مكتبته
الجغرافية العربية . م ٨ ليدن ١٨٩٤

(٢) مروج الذهب ومعادن الجواهر . طبعه وترجمه الى الفرنسية
لك باريه دى مينارد وبافيه دى كورتيل ٩ مجلدات في باريس ١٨٦١ -
١٨٧٧ .

الملقات : طبعها ث . نولدهكه في محاضر الاكاديمية القيصرية للمعرفة
واصناف الفلسفة والتاريخ م ١٤٠ قسم ٧ ، م ١٤٢ قسم ٥ ، م ١٤٤ قسم ١
فيينا ١٨٩٩ - ١٩٠١ .

المقدسي : ابو عبدالله محمد بن احمد (كتب سنة ١٩٨٥ م)
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم . طبعه م . ج . ديخويه في مكتبته
الجغرافية العربية م ٣ الطبعة الثانية . ليدن ١٩٠٦
المقرئى : ابو العباس احمد بن على بن عبد القادر بن محمد الحسيني .
تقى الدين (١٤٤٢ م) .

(١) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار . مخطوطة رقم ٩٠٨
(٦٦) المكتبة الوطنية في فينان ، طبعة جامستون فييت

مجلدين • القاهرة ١٩١١ - ١٩١٣
 (٢) السلوك لمعرفة دول الملوك • ترجم قسم منه ي. م. • كاترمير
 في مجلدين • باريس ١٨٣٧ - ١٨٤٥ وترجم القسم الثاني • بلوشيه
 الهمداني : أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (٩٤٥ م)
 صفة جزيرة العرب • طبعه د. ه. مولر • مجلدين • لندن ١٨٨٤ -
 ١٨٩١ •

الواقدي : (منسوب له)
 فتوح الجزيرة • طبعه ج. ه. • أولد في جوتنجن ١٨٢٧ م •
 ياقوت بن عبدالله الرومي (١٢٢٤ م)
 كتاب معجم البلدان • طبعه فرديناند وستفلد ونشره ستة مجلدان في
 ليزج ١٨٦٦ - ١٨٧٣

اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (حوالي ٨٩١ م)
 (١) التاريخ • طبعه م. ث. هوتسما في لندن ١٨٨٣ م •
 (٢) كتاب البلدان • طبعه م. ج. دي غويه • الطبعة الثانية في لندن
 ١٨٩٢ م ص ٢٣١ - ٣٧٣ من مكتبته الجغرافية العربية (ص ٢٣١ -
 ٣٧٣)

(٢) المراجع الاجنبى

- Ahûdemmeḥ (6th — 7th c.). History : edition and French translation by F. Nau entitled *Histoire de Mar Ahoudemḥ*, in *Patrologia orientalis*, Vol. 3, No. 1, Paris, 1906, pp. 7 — 51.
- Ambrose (bishop of Milan) (d. 397). *Epistolae in duas classes distributae* : in J. P. Migne, *Patrologiae cursus completus...*, series latina, Vol. 16, Paris, 1845, cols. 914 — 1346.
- Ammianus Marcellinus (d. c. 391). *Rerum gestarum libri [qui supersunt]* : edited by V. Gardthausen, 2 vols., Leipzig, 1874 — 1875.
- Analecta bollandiana ediderunt Carolus de Smedt et alii, Paris and Brussels, 1882 ff. (33 vols. have appeared, 1926).
- Antonine of Piacenza (6th c.). *Itinerarium*. edited by Paul Geyer in his *Itinera hierosolymitana*, constituting *Corpus scriptorum ecclesiasticorum*, Vol. 39, Vienna, 1898 (also 1913), pp. 157—191 (another version of same, *ibid.*, pp. 193 — 218).
- Appian (c. 160). I. *Historia romana* : Vol. 1 edited by Ludwig Mendelssohn ; Vol. 2, second edition, edited by Paul Viereck, Leipzig, 1878, 1905. II. *Historia syriaca* : edited by Ludwig Mendelssohn, op. cit., Vol. 1, pp. 371 — 441. III. *Bella civilia* : edited by Paul Viereck, op. cit., Vol. 2, pp. 565 — 1189.
- Arrian (Flavius Arrianus) (d. c. 175). I. *Anabasis* : edited by A. G. Roos, Leipzig, 1907. II. *Fragments* : edited by Carl Müller in his *Fragmenta historicorum graecorum*, Vol. 3, Paris, 1849, pp. 586 — 601.
- Asinius Quadratus (2nd c.). *Fragments* : edited by Carl Müller in his *Fragmenta historicorum graecorum*, Vol. 3, Paris, 1849, pp. 659 — 662.
- Assemanus, J. S. *Bibliotheca orientalis*, 4 vols., Rome, 1719 — 1728.
- Assurbanipal. See Streck, Assurbanipal.
- Barhebraeus, Gregorius (d. 1286). I. *Chronicon ecclesiasticum* : edited by J. B. Abbeloos and T. J. Lamy, 3 vols., Louvain,

- 1872 — 1877. II. *Chronicon syriacum* : edited by Paul Bedjan, Paris, 1890.
- Bedjan, Paul. *Acta martyrum et sanctorum*, 7 vols., Paris and Leipzig, 1890 — 1897.
- Berliner, A. Beiträge zur Geographie und Ethnographie Babyloniens im Talmud und Midrasch, in *Jahresberichte des Rabbiner-Seminar zu Berlin* pro 5643, Vol. 3, Berlin, 1882 — 1883.
- Biblia hebraica*, edited by Rudolf Kittel, 2nd edition, 2 vols., Leipzig, 1913.
- Bolland, Johann (and others). *Acte sanctorum, quotquot toto orbo coluntur, vel à catholicis scriptoribus celebrantur, quae ex Latinis & Graecis aliarumque gentium antiquis monumentis collegit, digessit, notis illustravit Joannes Bollandus ...*, October, Vol. 3. Antwerp, 1770.
- Braun, Oskar. *Ausgewählte Akten persischer Märtyrer*, in *Bibliothek der Kirchenväter*, Vol. 22, Kempten, 1915.
- Budge, E. A. Wallis. *The Histories of Rabban Hôrmlzd the Persian and Rabban Bar'Idtâ, constituting Syriac Texts*, Vol. 1, in *Luzac's Semitic Text and Translation Series* (Vol. 9 of the series), London, 1902.
- Budge, E. A. W., and L. W. King. editors. *Annals of the Kings of Assyria. The Cuneiform Texts with Translations, Transliterations, etc., from the Original Documents in the British Museum*, Vol. 1, London 1902.
- Caetani, Leone (Principe di Teano). *Annali dell'Islâm*, 8 vols., Milan, 1905 — 1918.
- Cassius Dio Cocceianus (c. 235). *Historiae-romanae*: edited by U. P. Boisssevain, 3 vols., Berlin, 1895 — 1901.
- Chabot, J. B. *Synodicon orientale, ou Recueil des synodes nestoriens*, publié, traduit et annoté par, constituting *Notices et extraits*

- des manuscrits de la Bibliothèque nationale et autres bibliothèques, Vol. 37, Paris, 1902.
- Chiha, Habib K. La province de Bagdad, Cairo, 1908.
- Chronica minora: edition by Ign. Guidi, E. W. Brooks, and J. B. Chabot, constituting Corpus scriptorum christianorum orientalium, Ser. 3, (Scriptores Syri), Vol. 4, 3 parts, Paris, 1905.
- Chronicle of Arbela: translation by Eduard Sachau entitled Die Chronik von Arbela. Ein Beitrag zur Kenntniss des ältesten Christentums im Orient, constituting Abhandlungen der Königl. Preussischen Akademie der Wissenschaften, Philosophisch-historische Klasse, No. 6, Berlin, 1915.
- Chronicle of Edessa : edition and translation by Ludwig Hallier entitled Untersuchungen über die edessenische Chronik mit dem syrischen Text und einer Uebersetzung, in Texts und Untersuchungen zur Geschichte der altchristlichen Literatur herausgegeben von Oscar von Gebhardt und Adolf Harnack, Vol. 9, No. 1, Leipzig, 1893, pp. 1 — 170.
- Chronicon paschale: in J. P. Migne, Patrologiae cursus completus..., series graeca, Vol. 92, Paris, 1860, cols. 1 — 1146.
- Codex Justinianus : edition by Paul Krüger (constituting: T. Mommsen, P. Krüger, R. Schoell, and W. Kroll, editors, Corpus iuris civilis, Vol. 2), Berlin, 1906.
- Corpus inscriptionum graecarum, auctoritate et impensis Academiae Litterarum Regiae Borussicae, edited by August Boeckh, 4 vols. in 8, Berlin, 1828 — 1877.
- Corpus inscriptionum semiticarum ab Academia Inscriptionum et Litterarum Humaniorum conditum atque digestum, 4 parts, Paris 1881 — 1911.
- De Vogüé, Melchior. Syrie centrale, inscriptions sémitiques, Paris, 1868.
- Delaporte, L. Dignitaires de l'Eglise Nestorienne, in Zeitsch-

- rift für Assyriologie, Vol. 23, Strassburg, 1909, pp. 378 — 390.
- Denha (d. 660). History of Marûta' (d. 649): edition and translation by F. Nau entitled *Histoire de Marouta*, in *Patrologia orientalis*, Vol. 3, Paris, 1906, pp. 52 — 96.
- Dio, Cassius. See Cassius Dio.
- Diodorus Siculus (c. 20 C.). *Bibliotheca historica*: Vols. 1 — 3 edited by Friedrich Vogel, Vols. 4, 5 by C. T. Fischer, Leipzig, 1888 — 1906. .rpg,-
- Dionysius of Tell Mahre'. See Pseudo-Dionysius of Tell Mahre'.
- Documenta ad origenes monophysitarum illustrandas: edition by Friedrich Vogel, Vols. 4, 5 by C. T. Fischer, Leipzig, 1888—1906.
- Dionysius of Tell Mahre'. See Pseudo-Dionysius of Tell Mahre'.
- Documenta ad origenes monophysitarum illustrandas: edition by J. B. Chabot, constituting *Corpus scriptorum christianorum orientalium*, Ser. 2, Vol. 37, Paris, 1908.
- Droysen, J. G. *Geschichte des Hellenismus*, 3 vols., 2nd edition, Gotha, 1877 — 1878.
- Edessa, Chronicle of See Chronicle of Edessa.
- Elijah (or Elias) of Nisibis (1008). *Opus chronologicum*: edited and translated by E. W. Brooks (Part 1) and J. B. Chabot (Part 2), constituting *Corpus scriptorum christianorum orientalium*, Ser. 3, Vols. 7 and 8, Paris, 1909 — 1911.
- Eusebius of Caesarea (d. 337 or 340). I. *Chronicorum libri duo*: edited by Alfred Schoene, 2 vols., Berlin, 1866 — 1875. II. *Preparationis evangelicae libri I-XV*: edited by Wilhelm Dindorf in his *Eusebii Caesariensis opera*, Vol. 1 and 2, Leipzig, 1867.
- Eutrophus (mid-4th c.). *Breviarium ab urbe condita*: edited by F. Rühl, Leipzig, 1887.
- Evagrius Scholasticus (c. 600). *Ecclesiasticae historiae libri sex*: in

- J. P. Migne, *Patrologiae cursus completus...*, series graeca, Vol. 86, Part 2, Paris, 1865, cols. 2405 — 2906.
- Evlija Celebi (d. c. 1679). *Ta'rih-i sejjâh*; translation by Joseph von Hammer entitled *Narrative of Travels in Europe, Asia, and Africa in the Seventeenth Century*, 2 vols., London, 1834—1850.
- Florus, L. Annaeus (2nd c.). *Epitomae libri duo* : edition by O. Rossbach in his *L. Annaei Flori epitomae libri duo et P. Annii Flori fragmentum de Vergilio oratore an poeta*, Leipzig, 1896, pp. 1 — 182.
- Forrer, Emil. *Die Provinzeinteilung des assyrischen Reiches*, Leipzig, 1921.
- Forrer, Emil. *Zur Chronologie der neuassyrischen Zeit, constituting Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft*, 1915, Part 3, Leipzig, 1916.
- Fronto, M. Cornelius (2nd c.). *Epistula ad Verum* : edited by S. A. Naber in his *Epistulae M. Cornelii Frontonis et M. Aurelii Imperatoris*, Leipzig, 1867, pp. 113 — 138.
- Gadd, C. J. *The Fall of Nineveh*, London, 1923.
- Georgius Cyprius (c. 610). *Descriptio orbis romani*: edited by H. Gelzer, Leipzig, 1890.
- Glaucus (date unknown). *Fragments*: edited by Carl Müller in his *Fragmenta historicorum graecorum*, Vol. 4, p. 409.
- Guidi, Ignazio. *Un nuovo testo siriano sulla storia degli*
niCMF VB GVB GXZ½ VBG VBG 789 ultimi Sassanidi, in *Actes du huitième Congrès International des Orientalistes, tenu en 1889 à Stockholm et à Christiania. Section I : Sémitique (B)*, Leiden, 1893, pp. 1 — 36.
- Hagen, O. E. *Keilinschrifturkunden zur Geschichte des Königs Cyrus*, in *Beiträge zur Assyriologie*, Vol. 2, Part 1, Leipzig, 1891, pp. 205 — 248.

- Hammer-Purgstall, Joseph von. *Geschichte des osmanischen Reiches*, 10 vols., Pest, 1827 — 1835.
- Hammurabi. See King, Hammurabi.
- Herodianus (c. 240). *Ab excessu Divi Marci libri octo*: edited by L. Mendelssohn, Leipzig, 1883.
- Herodotus (d. c. 430 B. C.). *Historiarum libri IX*: edited by H. R. Dietsch. 2nd edition by H. Kallenberg, 2 vols, Leipzig, 1884 — 1885.
- Herzfeld, Ernst. Hana et Mari, in *Revue d'Assyriologie et d'Archéologie orientale* publiée sous la direction de V. Scheil et F. Thureau-Dangin, Vol. 11, Paris 1914, pp. 131 — 139.
- Herzfeld, Ernst. See Sarre and Herzfeld.
- Hierocles (c. 535). *Synecdemus*: edited by A. Burckhardt, Leipzig, 1893; also an edition by Gustavus Parthey entitled *Hieroclis Synecdemus et Notitiae graecae episcopatum*, Berlin, 1866.
- Historiae augustae, Scriptores*: edited by H. Peter, 2 vols., Leipzig, 1884.
- Hoffmann, Georg. *Auszüge aus syrischen Akten persischer Märtyrer*, übersetzt und durch Untersuchungen zur historischen Topographie erläutert von, constituting *Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes*, Vol. 7, No. 3, Leipzig, 1880.
- Isidore of Charax (date uncertain). *Mansiones parthicae*: edited by Carl Müller in his *Geographi graeci minores*, Vol. 1, Paris, 1882, pp. 244 — 254.
- Itinera hierosolymitana et descriptiones terrae sanctae bellis sacris anteriora et latina lingua exarata*: Vol. 1 edited by T. Tobler and A. Molinier, constituting *Publications de la Société de l' Orient Latn*, No. 1, Geneva, 1879; Vol. 2 edited by A. Molinier and C. Kohler, constituting *op. cit.*, No. 4, Geneva, 1885.
- Itinera hierosolymitana saeculi III-VIII*: edited by Paul Geyer in

Corpus scriptorum ecclesiasticorum latinorum, Vol. 39, Vienna, 1913.

James of Edessa (d. 708). Chronological Canon: edition by E. W. Brooks entitled *The Chronological Canon of James of Edessa*, in *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, Vol. 53, Leipzig, 1889, pp. 261 — 327.

John of Aphthonia (d. 538). *Life of Severus*: edition and French translation by M. A. Kugener entitled *Jean, supérieur du monastère de Beith-Aphthonia. Vie de Sévère, suivie d'un recueil de fragments historiques syriaques, grecs, latins, et arabes relatifs à Sévère (Notices relatives à Sévère)*, in *Patrologia orientalis*, Vol. 2, No. 3, Paris, 1905, pp. 205 — 400.

John of Ephesus (d. c. 585). *Ecclesiastical History: Part 3* edited by William Cureton, Oxford, 1853.

John of Epiphania (c. end of 6th c.) *Fragments*, edited by C. Müller in his *Fragmenta historicorum graecorum*, Vol. 4, Paris, 1851, pp. 272 — 276.

John Malalas (after 573). *Chronographia*: in J. P. Migne, *Patrologiae cursus completus...*, series graeca, Vol. 97, Paris, 1865, cols. 65 — 716; also edited by L. Dindorf, Bonn, 1831.

Joshua the Stylite (c. 515). *Chronicle*: edited and translated into French by Paulin Martin, in *Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes*, Vol. 6, No. 1, Leipzig, 1876.

Julius Capitolinus (beginning of the 4th c.). *Gordiani tres*: edition by H. Peter in his *Scriptores historiae augustae*, XX, Vol. 2, Leipzig, 1884, pp. 30 — 56.

Kiepert, Heinrich. *Formae orbis antiqui*, edited by Richard Kiepert, Map 5, Mesopotamia, Syria, Armenia, Berlin, 1909.

Kiepert, Heinrich. *Nouvelle carte générale des provinces asiatiques de l'Empire Ottoman*, Berlin, 1884.

King, L. W. *Chronicles Concerning Early Babylonian Kings*,

- Including Records of the Early History of the Kassites and the Country of the Sea, 2 vols., London, 1907.
- King, L. W. The Letters and Inscriptions of Hammurabi, King of Babylon, About B. C. 2200, to Which are Added a Series of Letters of Other Kings of the First Dynasty of Babylon, Vol. 1, Introduction and Babylonian Texts; Vol. 2, Babylonian Texts (continued); Vol. 3, Transliterations, English Translations, Vocabularies, Indices, etc.; in Luzac's Semitic Text and Translation Series, Vols. 2, 3, 8, London, 1898 — 1900.
- Kremer, A. von. Ueber das Einnahmehudget des Abbassiden-Reiches vom Jahre 306 H. (918 — 919), Vienna, 1887.
- Langdon, Stephen. Building Inscriptions of the Neo-Babylonian Empire, Paris, 1905.
- Layard, A. H. Inscriptions in the Cuneiform Character from Assyrian Monuments, London, 1851.
- Libanius the Sophist (d. 393). Epistolae: edited and translated into Latin by J. Ch. Wolf, Amsterdam, 1738.
- Liber chalipharum; edited by J. P. N. Land in his *Anecdota syriaca*, Vol. 1, Leiden, 1862, pp. 1 — 22.
- Lucian (168). *De historia conscribenda*: edited by Carl Jacobitz in his *Luciani Samosatensis opera*, Vol. 2, Leipzig, 1887, pp. 1 — 30.
- Lyon, D. G. Keilschrifttexte Sargon's, Königs von Assyrien (722 — 705 v. Chr.). Nach den Originalen neu herausgegeben, umschrieben, übersetzt und erklärt von Dr. , constituting Assyriologische Bibliothek herausgegeben von Friedrich Delitzsch und Paul Haupt, Vol. 5, Leipzig, 1883. -
- Magnus Carrhenus. Eutychianus Cappadox (4th c.). Fragments : edited by Carl Müller in his *Fragmenta historicorum graecorum*, Vol. 4, Paris, 1851, pp. 4 — 6.
- Malalas, John. See John Malalas.
- Joannes Dominicus. *Sacrorum conciliorum nova, et amplis-*

- sima collectio, 31 vols., Florence and Venice, 1759 — 1798.
(Continuation, Vols. 31b — 53, Paris, Arnheim, and Leipzig,
1801 — 1827).
- Marôta'. See Denha.
- Messerschmidt, L. Keilschrifttexte aus Assur historischen Inhalts,
Part I, Autographien, constituting Wissenschaftliche Veröffentlichungen der Deutschen Orient-Gesellschaft, No. 16, Leipzig,
1911.
- Michael the Syrian. Chronicle: edition and French transl. by J. B.
Chabot entitled *Chronique de Michel le Syrien, patriarche
jacobite d'Antioche* (1166 — 1199), 4 vols., Paris, 1899 — 1906.
- Moritz, Bernhard. Zur antiken Topographie der Palmyrene, in
Abhandlungen der Königl. Preussischen Akademie der
Wissenschaften, Berlin, 1889.
- Nicephorus Uranus. Vita sancti Symeonis Junioris (d. c. 596): in
J. P. Migne, *Patrologiae cursus completus...*, series graeca, Vol.
86, Part 2, Paris, 1865, cols. 2987 — 3216.
- Niebuhr, C. Reiseschreibung nach Arabien und anderen umliegenden
Ländern, 3 vols., Copenhagen and Hamburg, 1774 — 1837.
- Nöldeke, Th. Die von Guidi herausgegebene syrische Chronik, in
Sitzungsberichte der kaiserlichen Akademie der Wissenschaften,
philosophisch-historische Klasse, Vol. 128, Vienna, 1893.
- Notitia Antiochiae ac Ierosolymae patriarchatum: in *Itinera
hierosolymitana*, Vol. I, Geneva, 1879, pp. 331 — 343.
- Notitia dignitatum: accedunt notitia urbis constantinopolitanae et
intercul provinciarum: edited by Otto Seeck, Berlin, 1876.
- Notitiae graecae episcopatum. See Hierocles.
- Oppenheim, V. Vom Mittelmeer zum Persischen Golfe, 2 vols.,
Berlin, 1899 — 1900.
- Passio antiquior SS. Sergii et Bacchi: Greek text in *Analecta
bollandiana*, Vol. 14, Brussels 1895, pp. 373 — 395.

- Patrum nicaenorum nomina : edition by H. Gelzer, H. Hilgenfeld, and Otto Cuntz, constituting *Scriptores sacri et profani*, No. 2, Leipzig, 1898.
- Peiser, F. E. Studien zur orientalischen Alterthumskunde, No. 4, constituting *Mitteilungen der vorderasiatischen Gesellschaft*, Vol. 6, Leipzig, 1901.
- Peutinger Table. See *Tabula Peutingeriana*.
- Philip the Carmelite : *Orientalische Rälsebeschreibung*, Frankfurt, 1671.
- Pliny (C. Plinius Secundus) (d. 79). *Naturalis historia* : edited by C. Mayhoff, 2nd edition, 6 vols., Leipzig, 1892 — 1909; see also: D. Dettlefsen, editor, *Die geographischen Bücher* (II, 242-VI Schluss) der *Naturalis historia* des C. Plinius Secundus mit vollständigem kritischen Apparat, constituting *Quellen und Forschungen zur alten Geschichte und Geographie* herausgegeben von W. Sieglh, Vol. 9, Berlin, 1904.
- Plutarch (c. 46 — 120). I. Alexander : edited by C. Sintenis in his *Plutarchi vitae parallelae*, Vol. 3, Leipzig, 1891, pp. 279 — 364. II. Artaxerxes : edited by Cl. Lindskog and K. Ziegler in their *Plutarchi vitae parallelae*, Vol. 3, Part 1, Leipzig, 1915, pp. 365 — 404.
- Polybius of Megalopolis (d. 120 B. C.). *Historiae*: edited by Ludwig Dindorf, revised by Theodore Büttner-Wobst, 4 vols., Leipzig, Vol. 1, 2nd edition, 1905, Vol. 2, 1889; Vol. 3, 1893; Vol. 4, 1904.
- Procopius of Caesarea (c. 560). I. *De bello persico*, edition by J. Haury, constituting his *Procopii Caesariensis opera omnia*, Vol. 1, Leipzig, 1905. II. *De aedificiis* : edited by J. Haury, op. cit., Vol. 3, Leipzig, 1913.
- Pseudo-Dionysius of Tell Mahre'. *Chronicle* : edition and French translation by J. B. Chabot entitled *Chronique de Denys de Tell-Mahré*, constituting *Bibliothèque de l'Ecole des Hautes Etudes*, No. 112, Paris, 1895.

- Ptolemy (Claudius Ptolemaeus) (c. 150). *Geographia*: edited by C. F. A. Nobbe, 3 vols., Leipzig, 1843 — 1845; bks. i — v edited with Latin translation and atlas, Vol. 1, Part 1, by Carl Müller, Paris, 1884; Vol. 1, Part 2, by C. Th. Fischer, Paris, 1901.
- Ravenna Geographer, The Anonymous (7th cent.). *Cosmographia* : edited by M. Pinder and G. Parthey in their *Ravennatis anonum cosmographia et Guidonis Geographica*, Berlin, 1860, pp. 1 — 445.
- Rawlinson, H. C. *Cuneiform Inscriptions of Western Asia*, 5 vols., London, 1861 — 1884.
- Riepl, Wolfgang. *Das Nachrichtenwesen des Altertums mit besonderer Rücksicht auf die Römer*, Leipzig, 1912.
- Roos, A. G. *Studia arrianea*, Leipzig, 1913.
- Rost, Paul. *Die Keilschrifttexte Tiglat Pileser III*, 2 vols., Leipzig, 1893.
- [Rousseau, Jean Baptiste Louis Jacques.] *Description du Pachalik de Bagdad suivie d'une notice historique sur les Wahabis et de quelques autres pièces relative à l'histoire et à la littérature de l'orient*, Paris, 1809.
- Rycaut, Paul. *The Present State of the Ottoman Empire...*, 3rd edition, London, 1670.
- Sargon. See Lyon.
- Sarre, Friedrich, and Ernst Herzfeld. *Archäologische Reise im Euphratund Tigris-Gebiet*, 4 vols., Berlin, 1911 — 1920.
- Sayce, A. H. An Early Babylonian Document Relating to the Shuhites, in *Proceedings of the Society of Biblical Archaeology*, London, 1899, pp. 24 f.
- Scheil, V., and J.-Et. Gautier. *Annales de Tukulti Ninip II, roi d'Assyrie 889 — 884, constituting Bibliothèque de l'Ecole des Hautes Etudes*, No. 178, Paris, 1909.
- Schnabel, Paul. *Berosos und die babylonisch-hellenistische Literatur*, Leipzig, 1923.

- Schraeder, Eberhard, editor. Keilinschriftliche Bibliothek: Sammlung von assyrischen und babylonischen Texten in Umschrift und Uebersetzung..., 6 vols., Berlin, 1889 — 1900.
- Smith, Sidney. Babylonian Historical Texts Relating to the Capture and Downfall of Babylon, London, 1924.
- Socrates (d. 439). *Historia ecclesiastica*: in J. P. Migne, *Patrologiae cursus completus...*, series graeca, Vol. 67, Paris, 1859, cols. 30 — 842.
- Stephen of Byzantium (c. 600). *Ethnica* : edition by August Meineke, *Ethnicorum quae supersunt*, Vol. 1 (only volume published), Berlin, 1879.
- Strabo (c. 63 B. C. — c. 19 A. D.). *Geographia*: edited by August Meineke, 3 vols., Leipzig, 1907 — 1913.
- Streck, Maximilian. Assurbanipal und die letzten assyrischen Könige, constituting Vorderasiatische Bibliothek, No. 7, 3 vols., Leipzig, 1916.
- Streck, Maximilian. Keilinschriftliche Beiträge zur Geographie Vorderasiens. Die nomadischen Völkerschaften Babyloniens und des angrenzenden Elams, constituting Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, Vol. 11. No. 3, Leipzig, 1906.
- Suidas (10th c.) *Lexicon*: edited by Imm. Bekker, Berlin, 1854.
- Syriac Chronicle of the Year 846, A : edited by E. W. Brooks, in *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, Vol. 51, Leipzig, 1897, pp. 569 — 588.
- Tabula Peutingeriana* (12th century MS copy of Roman map of time of the Empire) : photographic edition in 11 sheets entitled *Peutingeriana tabula itineraria... nunc primum arte photographica expressa*, Vienna, 1888.
- Tavernier, J. B. *Les six voyages... en Turquie, en Perse et aux Indes*, 2 parts, Paris, 1676.

- Teixeira, Pedro (c. 1600). *The Travels* : translated by William Sinclair in publications of The Hakluyt Society, Ser. 2, No. 9, London, 1902.
- Theodoretus of Cyrrhus (wrote 450). *Religiosa historia* : in J. P. Migne, *Patrologiae cursus completus...*, series graeca, Vol. 82, Paris, 1864, cols. 1283 — 1496.
- Theodosius (c. 530). *De situ terrae sanctae* : edited by Paul Geyer in *Itinera hierosolymitana*, Vienna, 1913, pp. 135 — 150.
- Theophanes the Confessor (c. 758 — 818). *Chronographia* : in J. P. Migne, *Patrologiae cursus completus...*, series graeca, Vol. 108, Paris, 1863, cols. 1 — 1010; also edited by C. de Boor, Leipzig, 1883.
- Theophylactus Simocatta (c. 610 — 640). *Historiae* : edited by C. de Boor, Leipzig, 1887.
- Thevonot, Jean de. *Voyages en Europe, Asie, et Afrique*, 5 vols., Amsterdam, 1727.
- Thureau-Dangin, Fr. *La chronologie des dynasties de Sumer et d'Accad*, Paris, 1918.
- Thureau-Dangin, Fr. *Lettres et contrats de l' époque de première dynastie babylonienne*, Paris, 1910.
- Thureau-Dangin, Fr. *Un contrat de Hana*, in *Journal asiatique*, Ser. 10, Vol. 14, Paris, 1909, pp. 149 — 155.
- Unger, Eckhard. *Reliefstele Adadnirari's III aus Saba'a*, constituting *Publicationen der Kaiserlich Osmanischen Museen*, Vol. 2, Constantinople, 1916.
- Uranius (date unknown). *Fragments* : edited by Carl Müller in his *Fragmenta historicorum graecorum*, Vol. 4, p. 529.
- Valle, Pietro della. *Viaggi*, 4 vols., Venice, 1664.
- Velenovsky, J. *Arabské rostliny z poslední cesty Musilovy r. 1915*. *Plantae arabicae ex ultimo itinere A. Musili a. 1915*: constituting

- Vestník kral. české společnosti nauk. Trida II. na rok 1921 —
Société Royale des Sciences de Bohême, 1922 (Mémoires de la
Classe des Sciences, 1921 — 1922), No. 6, Prague, 1923.
- Velenovsky, J. *Plantae arabicae musulianae* : constituting Vestník
kral. české společnosti nauk. Trida mathematicko-prirodovede-
cka (Sitzungsberichte der königl. böhm. Gesellschaft der
Wissenschaften, Mathnaturwiss. Classe), 1911, No. 11, Prague,
1912.
- Vitae virorum apud monophysitas celeberrimorum: edited and
translated by E. W. Brooks, in *Corpus scriptorum christianorum
orientalium*, Ser. 3, Vol. 25, Paris, 1907.
- Weissbach, F. H. *Babylonische Miscellen*, constituting Wissenschaft-
liche Veröffentlichungen der Deutschen Orient-Gesellschaft,
No. 4, Leipzig, 1903.
- Weissbach, F. H. *Die Inschriften Nebukadnezars II im Wadi Brisa
und am Nahr el-Kelb*, constituting Wissenschaftliche Veröffent-
lichungen der Deutschen Orient-Gesellschaft, No. 5, Leipzig,
1906.
- Wellhausen, G. *Skizzen und Vorarbeiten*, 6 vols., Berlin, 1884 —
1899.
- William of Tyre (d. c. 1148). *Historia rerum in partibus transmarinis
gestarum*, edition by A. Beugnot and A. Langlois, constituting
Recueil des historiens des croisades, Historiens occidentaux,
Vol. I, Part 1, Paris, 1844.
- Wright, W. *Catalogue of the Syriac Manuscripts in the British
Museum*, 3 vols., London, 1870 — 1872.
- Xenophon (d. c. 345). *Anabasis* : edition by W. Gemoll entitled
Xenophontis expeditio Cyri, 2nd edition, Leipzig, 1909.
- Zosimus (491 — 518). *Historia nova* : edited by L. Mendelssohn,
Leipzig, 1887.

ثبت المحتويات

تقديم (٣ - ٦)

الوا موزيل ٣ - مؤلفاته ٤ - كتاب الفرات الاوسط وترجمته
٥ - مقدمة المؤلف ٧ - اغراضه ٨ - المراجع والمصطلحات ٩ - المسهمون
في الترجمة : الدكتور صدقي حمدي ١٠ - الدكتور عبدالمطلب عبدالرحمن
١١ •

الفصل الاول : دير الزور الى القحيمي ١٥ - ٤٣ •
دير الزور الى الساحل ١٥ - الساحل الى الشيخ على ٢٠ - الشيخ
علي الى الصالحية ٢٦ - الصالحية الى القائم ٢٩ - القائم الى عانة
٣٤ - عانة الى القحيمي ٤٢ •

الفصل الثاني : القحيمي الى الرمادي ٤٤ - ٥٨ •
القحيمي الى وادي حوران ٤٤ - وادي حوران الى هيت ٤٧ -

الفصل الثالث : النجف الى بغداد مروراً ب كربلاء ٥٩ - ٧٧ •
النجف الى خان المصلي ٥٩ - خان المصلي الى كربلاء ٦٣ - كربلاء
الى خان المحاويل : اطلال كربلاء ٧٠ - خان المحاويل الى بغداد
٧٤ - ٨٨ •

الفصل الرابع : بغداد الى تكريت ٧٨ •
بغداد الى بئر الحصيني ٧٨ - بئر الحصيني الى كهف الكلب ٨١ -
كهف الكلب الى تكريت ٨٤ -

الفصل الخامس : تكريت الى راوة مروراً بالثرثار ٨٩ - ١١١ •

تكريت الى شعيب شيشين ٨٩ - شعيب شيشين الى الجمعة ٩٢ -
الجمعة الى المستفيض ٩٧ - المستفيض الى بئر ابو درج ١٠٠ - بئر
ابو درج الى طريق الموصل العام ١٠٣ - منطقة شمال عانة ١٠٥ -
قرت الساجرة الى راوة ١٠٧ •

الفصل السادس : راوة الى الرقة بطريق الصوار ١١٢ - ١٣٧ •

راوة الى سهل ارا قرته : قبيلة القبيبات ١١٢ - سهل الاقرقة الى
الخابور ١١٩ - وادي الخابور : قبيلة الجبور ١٢٣ - راوة الى الرقة
١٢٥ - نهر الخابور الى بئر الزهمك ١٣٠ - بئر الزهمك الى الرقة
١٣٣ •

الفصل السابع : الرقة الى ابو هريرة ١٣٨ - ١٤٢ •

الفصل الثامن : اطراف الحيرة ١٤٥ - ١٧٤ •

بعثة الى دغيم بن براق ١٤٥ - زيارة الى الخورق وابو صخير ١٤٩ -
من مخيمنا قرب الكوفة الى القادسية ١٥٩ - القادسية الى الرجة
١٦٢ - الرجة الى القايم ١٦٤ - عودة الى الحيرة ١٧١ •

الفصل التاسع : الحيرة الى بغداد مروراً بالفلوجة ١٧٥ - ١٩٤ •

الحيرة الى المسيب ١٧٥ - المسيب الى الفلوجة ١٧٧ - الفلوجة الى
بغداد ١٨٤ - بغداد ابان الحرب ١٨٨ •

الفصل العاشر : بغداد الى الثرثار بطريق مسكن ١٩٥ - ٢١٦ •

بغداد الى خان المشاهدة ١٩٥ - خان المشاهدة الى السمكة ١٠٠ -
السمكة الى سهل الشنافات ٢٠٥ - سهل الشنافات الى ام رحل ٢٠٩ -
منخفض ام رحل ٢١٢ •

الفصل الحادي عشر : التراث الى الخابور بمحاذاة الفرات ٢١٧ - ٢٥٨٠
ام رحل خان المشاهدة ٢١٧ - خان المشاهدة الى الوشاش ٢١٩ -
الوشاش الى الصيب ٢٢٣ - الصيب الى المحبوبة ٢٣٠ - المحبوبة
الى شعب ادمامة ٢٣٥ - شعب ادمامة الى راوة ٢٣٨ - راوة الى
السوسة ٢٤٤ - السوسة الى المروانية ٢٤٩ - المروانية الى البسيرة
على الخابور ٢٥٤ - البسيرة ٢٥٨ •

الفصل الثاني عشر : الخابور الى بالس بطريق دير الزور ٢٥٩ - ٢٧٧ •
البسيرة الى دير الزور ٢٥٩ - دير الزور الى الطريفراوي ٢٦١ -
الطريفراوي الى المعدان ٢٦٤ - المعدان الى خرائب سوريا ٢٦٩ -
خرائب سوريا الى بالس ٢٧٤ •

الملاحق التاريخية^(١)

الملحق الاول : الفرات الاوسط في العصر الاشوري ٢٨١ - ٣١٣ •
وادي الفرات الاوسط ٢٨١ - السجلات المبكرة ٢٨٣ - طريق
توكولتي انورثا الثاني ٢٨٦ - تفاصيل طريق توكولتي انورثا ٢٨٧ -
اعادة تحديد طريق توكولتي انورثا ٢٨٩ - حملات اشور ناصربال
وطرقها ٢٩٨ - تفاصيل حملة اشور ناصربال الاول ٢٩٩ - اعادة تنظيم
هيكل حملة اشور ناصربال الاولى ٣٠٠ - تفاصيل حملة اشور ناصر
بال الثانية ٣٠١ - اقليم رصبا ٣٠٧ - السجلات الاشورية والكلدانية
المتأخرة ٣١٠ -

الملحق الثاني : زينوفون على الفرات الاوسط ٣١٤ - ٣٣٨ •
وصف زينوفون لطريق العشرة الاف ٣١٤ - اعادة هيكل طريق
العشرة الاف ٣١٩ - موقع نياكوس ٣٢١ - فيرناندوس الى نياكوس
٣٢٧ - ثيساكوس الى بلابة ٨٢٣ - بلابة الى كونا صا ٣٣٢ - كونا صا
الى الزيتاس ٣٣٥ •

الملحق الثالث : ايسيدور الكرخي يتحدث عن الفرات الاوسط ٣٣٩ - ٣٤٩ •
وحدة القياس (السكونوس) عند ايسيدور ٣٣٩ - اعادة تنظيم
هيكل خط رحلة ايسيدور نيقفوريم الى فاليكيا ٣٤٢ - فاليكيا الى
ايس ٣٤٤ - ايس الى سلوقية ٣٤٦ •

(١) قام بترجمة الملاحق التاريخية باكملها (ص ص ٢٨١ - ٦٠٥) الاستاذ
مبدالمطلب عبدالرحمن داود وراجعها الاستاذ الدكتور صالح احمد الملي،
رئيس المجمع العلمي العراقي •

الملحق الرابع : زحف الامبراطور جوليان في عام ٣٦٣ م ٣٥٠ - ٣٦٨ .
 زحف جوليان كما رواه اميانوس مارسلينوس ٣٥٠ - زحف جوليان
 كما يرويه زوسيموس ٣٥٥ - اعادة تركيب طريق جوليان ٣٥٨ -
 الملحق الخامس : الطريق البرية على الفرات الاوسط وفقا للمراجع العربية
 ٣٦٩-٣٩٨ - الطريق من بغداد الى الكوفة ٣٦٩ - الطريق من بغداد
 الى الشام ٣٧٨ - وصف قدامة للطريق من بغداد الى الرقة ٣٨٦ -
 وصف الاصطخرى والمقدسي للطريق من بغداد الى الرقة ٣٩١ -
 وصف الادريس للطريق من بغداد الى الرقة ٣٩٢ - بيانات اخرى عن
 عن طريق محاذية للفرات ٣٩٦ .

الملحق السادس : انهار الفرات لاوسط ٣٩٩ - ٤٤٢ .
 ملاحظات عامة ٣٩٩ - سد نبوخذنصر وخزان الماء ٤٠١ - موقع
 اوبيس وعلاقته بخزان نبوخذ نصر ٤٠٨ - قنوات الفرات الاوسط
 ٤١٥ - نظام القنوات في اقصى الشمال : اقوال المراجع الكلاسيكية
 ٤١٦ - نظام اقصى الشمال في المراجع العربية ٤١٩ - نهر صرصر
 ٤٢٤ - النهر الملكي ٤٢٥ - نهر كوئي وسورا ٤٢٩١ - انهار على
 الضفة اليمنى من الفرات : المحدود والمارسارس والعقبي ٤٣٥ -
 قناة البلكوتاس او الفلوجة ٤٣٨ .

الملحق السابع : معارك خالد بن الوليد على امتداد الفرات ٤٤٣ - ٤٤٩
 زحف خالد على الحيرة ٤٤٣ - رواية مدرسة المدينة : حديث
 البلاذري عن خفان والحلف مع قبيلة بكر ٤٤٤ - روايات الواقدي
 والمدائني وابن نبيشه ٤٤٨ - الحيرة ٤٥١ - رواية ابن اسحق
 ٤٥٢ - رواية ابي يوسف ٤٥٤ - رواية هشام بن الكلبي ٤٥٨ -
 الخلاصة ٤٦٠ - رواية اهل الكوفة : سيف بن عمر ٤٦١ .
 الخلاصة ٤٦٦ - خالد في الأنبار ٤٦٦ - خالد عند عين التمر

وصندودا ٤٧٠ - حملة خالد على قبيلة تغلب ٤٧٥ - رواية جماعة
اهل المدينة - رواية ابي يوسف ٤٧٦ - رواية اليعقوبي والدينوري
٤٧٩ - رواية البلاذري ٤٨١ - رواية الواقدي ٤٨٣ - رواية جماعة
الكوفة : رواية سيف بن عمر من الحيرة الى عين التمر ٤٨٥ - عين التمر
الى المصيخ ٤٩٠ - خبر الحصيد ٤٩١ - الخنافس ٤٩١ - الى البشر
والعودة الى الحيرة ٤٩٥ *

الملحق الثامن : برباليسوس وبالس وثيساكوس ٥٠٠ - ٥١٢
برباليسوس وبالس ٥٠٠ - ثيساكوس عند زينوفون ٥٠٨ - ابانيس
ومسوما ٥١٠

الملحق التاسع : سبي صفين وابو هريرة ٥١٣ - ٥١٧

الملحق العاشر : سورا أو سوريا ٥١٨ - ٥٢١

الملحق الحادي عشر : نيقفوريم ، كاليينيكوس ، الرقة ٥٢٢ - ٥٣٣
نيقفوريم ٥٢٢ - كاليينيكوس ٥٢٩ - الرقة ٥٣٠

الملحق الثاني عشر : بيرثا وزنوبيا وحلبية ٥٣٤ - ٥٣٨
حلبية : مدينة زنوبيا والزباء ٥٣٤ - زلية ٥٣٦ - بيرثا ٥٣٧

الملحق الثالث عشر : فاليكيا وقرقيسيوم وقرقيسياء ٥٣٩ -
فاليكيا ٥٣٩ - قرقيسيوم ٥٤٠

الملحق الرابع عشر : زيتا ، ودورا ، وساكوذاس ٥٤٦ - ٥٥٠

الملحق الخامس عشر : ثيساكوس عند بطليموس والرجة عند العرب
ثيساكوس ٥٥١ - رجة مالك بن طوق ٥٥٢

الملحق السادس عشر : اتا وعانة ٥٦٠ - ٥٦٩

الملحق السابع عشر : إد او هيت ٥٧٠ - ٥٧٧

الملحق الثاني عشر : بيرسابوراس أو الإنبار ٥٧٨ - ٥٨٤

الملحق التاسع عشر : خطان أو القايم ٥٨٥ - ٥٩٠

الملحق العشرون : أجاوا ، مسكنه ، مسقيف ٥٩١ - ٥٩٥

الملحق الحادي والعشرون : بوقو و بكرت ٥٩٦ - ٦٠٤

فهرس لوحات الصور ٦٠٥ - ٦٠٦

لست مراجع الكتاب

المراجع العربية والتركية ٦٠٧ - المراجع الانجليزية ٦١٦



رقم الايداع في دار الكتب والوثائق بفسداد ١٩٠٧ لسنة ١٩٩٠

جدول الخطأ والصواب

الصفحة السطر الخطأ	الصواب
١٧ (١٣) كان له	كان لهما
١٧ (١٦) دينار تركي	ليرة تركية
١٧ (٢٣) ٢٣ (٥) الميازين	الميازين
٣٦ (١٨) أبو الجروة	أبو القزوة
٣٦ (٢٣) شعيبان الصخرة	شعب الصخرة
٤٥ (١٣) القلائس	القلانسي
٤٥ (٢٧) بين الانبار وعانة	تحت عانة وفوق الانبار
٥٠ (٢٣) المقابلة لشعيب	المقابلة لشعب
٦٥ (١٣) طويريج	طويريق
٨٩ ٩٢ (١٤) شعيب شيشين	شعب شيشين
١٠٧ (٣١) ، ١٠٨/ (١) قرت	قارة السناجرة*
١٠٧ (١٨) قرت السناجرة	قارة السناجرة
١٠٧ (١٩) بقرت أبو القزوة	قارة القبين
١٠٧ (٢٠) قرت القبين	قارة أبو القزوة
١٠٨ (١٢) قرت أبو بطيحة	قارة أبو بطيحة
١٠٨ (١٩) قرت العتاب	قارة العتاب
١٠٨ (٢١) قرت الصوفي	قارة الصوفي
١١٢ (١) سهل أراقوته	سهل الاقرقة (العنوان)
١١٦ (١٢) قرت السكة	قارة السكة
١١٦ (٢٠) قرت أم عدير	قارة أم غدير
١٣٢ (٣) م	مع
١٣٢ (٤) وتة	وتقع

* جاء في المتجدد « قارة » والقارة : ج قار وقارات وقور وقيران :
 الجبل الصغير المنقطع عن الجبال ، وذكر ياقوت في المعجم (ج ٤ / ٢٩٥)
 قال ابن شميل : القارة جبل مستندق ملموم في السناء لا يقود في الأرض
 كأنه جئوة* وهو عظيم مستدير ، وقال الاصمعي : القارة أصغر من الجبل .
 المراجع

المصوب	الاسم	الرمز
قسمها	١٣٣ (٤) فورها	
تنتهي . . .	١٣٤ (١٠) يشهر	
اجرد	١٣٦ (٤) اجردا	
كان المرور	١٣٨ (٦) وكان اقروا	
كل	١٤٥ (١٤) كل احد	
ابوهريرة	١٦٧ (يحدث السطر الاول من الهامش)	
طويل وحل	٢٨٢ ٣	
كرومتر شمال	٢٨٥ ٣	
طريقه	٢١ كيلومترا	
ماء . بات	٢٨٦ ٢	
كوريتالزو	٢٨٨ ٦	
وترع	٢٩٠ ١٤	
وترع للرئ متعددة (مخالف)	١٥	
البحرية	١٦ وترع للرئ متعددة	
الخرائب	٢١ الزوجه	
المجدم	٢٩١ ١٧	
عانة الحديثه	٢٩٢ ٢	
نجياته	٢٩٣ ٢١	
تقع	٢٩٤ ١٣	
بنصب	١٤ ويتع	
ص ٢٨٣	١٩ بنصيب	
قرية (طامة)	٢٩٥ ٩	
اندور ناصرال	١٥ قرياطامة	
خرية	٢٩٦ ١	
ويبر اقتحامه	١١ خديه	
كريانه	١٩ ويبردا فتحامه	
حالة	٣٠٠ ٣٠١/١٤ (٤) كرابية	
وحوصر	٣١ محلة	
سكان قري	٣٠٣ ٥	
قرية	٣٠٥ ٦	
انه	٣٠٦ ١	
التالية	٣٠٧ ٨	
	٢١ التالفة	

الصفحة	العدد	الكتاب	الموضوع
٢٠٨	٢٠	وفرى	ومرى
٢٠٩	٧	أو	و
	٢٤	تبعدا كثر	تبعدا أكثر
٢١٠	١٢	قصيرة	قصيره
	١٦	كذلك بلدة	كذلك اسس بلدة
	١٨	نوماتو	نوماتو
٢١٢	٧	وبالنحو	وبالينحو
	١٢	عن	على
٢١٤	هامش ١	بلم	بلمرم
٢١٧	٢	كبارخوس	كبارخوس
٢١٨	١٣	بمسافيرنس	بمسافيرنس
٢١٩	١١	فيسكوس وعرضه	فيسكوس على مسبعة وثلاثين ثاباً وجاؤه بعد مسيرات شهرين فرسنا
	١٩	بين	يؤدى
٢٢٠	٧	اجد	حدا
	١٣	اتصير	اقصير
٢٢٤	٥	راجل	مراجل
٢٢٥	١٩	لديين	لديين حيث يعاد
٢٢٧	١٢	موضوع	موضع
	١٤	فيها	منها
	١٦	فيرنادروس	فيرنادروس
	٢٣	الاغريقية	الاغريقية
٢٢٨	٣	جالوس	جالوس
٢٢٩	٢١	كوروسته	كوروسته
٢٣٠	١٣	جافا تشعب	جافا تشعب
٢٣١	٢	المقه	المقه
٢٣٣	١٢	بالقديمه	بالقديمه
	١٨	ميسرة	ميسرة
٢٣٤	١١	خيلر	خط
٢٣٥	٥	الماء	المساء
٢٤٠	١٨	٤١	١٤
	٢٠	اسكونس	اسكونس يسارى

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٤٢	١	الكونوس	السكونوس
٢٤٣	٢٢	ارتميس (في الاخيرة منهما	ارتميس في الاخيرة منهما
٢٤٤	١٣	قرى	قرية
	١٨	وسماها الإفريق	(تحذف)
٢٤٥	١	توروس	يوروبوس
٢٤٧	٦	الفرات نهر	الفرات ونهر
	١٢	منه	منها
	١٥	ماسكين	ماسكين
	١٥	الصفة لبيسخانا	الصفة العربية لبيسخانا
	٢٠	٥٣	٢٤١
	٢١	سكونوس خاليكا	سكونوس من خاليكا
٢٤٨	١١	بتر المطابقة لبلدة	المطابقة لخرائب بثر
٢٤٩	١٦	ويبدو لم	ويبدوان المثلر لم
٢٥٢	١٦	محاملة	محاوله
	١٢	اخيائخالا	اخيائخالا
٢٥٣	١٨	الصفة	الصفة
٢٥٤	١٧	فيدوس	فيدروس
٢٥٥	١٧	كاليثيوس	كاليثيكوس
٢٥٦	١٥/١٣	هورمسيداس	هرمزاس
٢٥٩	٧	نقل	للتقل
	١٥	مايقارب ميلا	مايقارب عشرين ميلا
	١٧	٨/٦	٨٠٦ ميلا
	٢٠	لان ٨٠-٦٠	لان ٨٠ + ٦٠
٣٦٠	٥	ب بعدها سطر ناقص تسلم	فائده مكافاة وتلفهم سبب ثقل السكان الى بلدة خالكيس (قنشرين)
٣٦٦	١	مايوزا ملخا	مايوزا ملخا (الماحوزة الملكية)
	١٦	مياس	ميناس
٣٦٧	٧	ان	ان ثيام
٣٦٨	١٢	٥ ٤ ٥	٥ ٥ ٥
٣٦٩	٧	٥٢	٢٤٠
	١٠	٨٣	٣٧٩
٣٧٠		٢ ٤ ٩	٤٩
٦٤٢			

الصفحة	الاسطر	الخطا	الصواب
٣٧١	٧	المخاضة	المخاضة
٣٧٢	٢	تفاصيل اضافليه	تفاصيل اضافية تتعلق بهذا الطريق
٣٧٣	٤	(يضاف بعده)	ويقدم قدامة (الموضع نفسه) التفاصيل التالية
٣٧٧	١٩	يزى	يزى
٣٧٨	١٤	بطوظه	بطوظة
٣٧٩	١١	كيلو . متراً	كيلومتراً
	١٤	الناووسه ووصف	الناووسه ، الوسه ، هيت ، الانبار ، ووصف
٣٨٠	٢	٧٥	٣٦٦
٣٨٣	٤	الرزقة	الرزقة
٣٨٨	٤	وتاد	وتسكاد
٣٩٢	١	سياني	سياني
	١٠	٢. ميلا	١٢. ميلا
	١٦	مرحطيان	مرحطان
٣٩٣	٢٠	الزراقي (الزراقي)	الزراقي (الدواقي)
٣٩٤	٧	واحتسبة	واحتسبت
٣٩٤	١٥	منها	منه
٣٩٥	٢٤	القره	القرضة
٤٠١	٦	بان	بالفرات الذي كان
٤٠٤	٢١	اللك	الملك
٤٠٥	٥	ولابد الخزان	ولابد ان الخزان
٤٠٦	٣	(ابراتوشينيا)	(ابراتو سينيا)
٤١٠	١٦	الاوسط	(يحذف ما بعد الاوسط)
٤١١	١٥	استدل	استقبل
٤١٢	١٠	تاريخه	تاريخيه
	١١	المعاكش	المعاكس
٤١٣	١	رواية	رواية اريان
٤١٤	١١	يقوم	يقول
٤١٥	٥	كانت	كانت سيتاس
٤١٦	٩	السرر	السور
	١٠	الانابيس	الاناباميس

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
٤١٨	١٢	(ص ٦٤ و ٧١)	(ص ٢٥٥ و ٣٦٣)
٤٢٢	١٤	ابر	ابو
٤٢٤	٢٢	ابوب	ابواب
٤٢٥	٢	لا يذكر	كما انه لا يذكر
٤٢٦	٤	٧١	٣٦٣
	٥	١٠٢	٤٠٤
	٨	١٠٧	٤٠٧
٤٢٧	٢	٥٧	٣٤٨
	١٠/١٠	١٠٢	٤٠٤
	٢٤	١١١-١١٧	٤١٥ - ٤٢٣
٤٢٩	١٥	نهر	نهرى
٤٣٣	١٣	صراء	الصراة
	١٧	صب	نهر
٤٣٧	١٧	بترا	بشرا
٤٣٨	٧	ان الفرات . يمر	ان « الفرات يمر
٤٤٠	١٣	ميه	مياه
٤٤٢	٧	المؤلفان	المؤلفون
٤٦٠	٢	انه	انها
٤٦٢	١٨	الطبيع	بالطبع
٤٦٥	٢٤	اجتمعوا	اجتموا
٤٦٨	١٨	لرى	قرى
٤٧٧	٢١	الفرى	القرى
	٢٣	نعود	نعود
٤٨٠	٢	للجمع	للتجمع
٤٨١	١١	الزحف الى غير	الزحف ضد
٤٨٥	٤	نسطوناه	نسطونا
	١٥	علاها	عليها
٤٨٨	١٣	للا	للا
٤٩٠	٩	فذهب	ذهب
٤٩١	٢٢	لا يتحرر كان	لا يتحرر كان
	١٣	المهيوذان	المهيوذان
	١٩	الها	اليها
	٢٣	المتنى	المتنى

الصفحة	المستار	الفصل	الصواب
٤٩٣	٢٤	وإتهام التشكك	والتشكك
٤٩٥	١٨	وزحف القعقاع	(تحذف)
٤٩٧	١٤	يعتقدون	يعتقدون
٤٩٨	١١	أنه وفي	أنه في
٥٠١	٦	هيرا بوليس	هيرا بوليس
	٨	الكتي	الكتسي
٥٠٢	٢	للغرات	للغرات
	١٥	الف الفرس	الفرس
	٢٢	جابر	جابر
٥٠٤	٥	الدبسي	الدبسي
	١٧	انضموت	انضموت
٥٠٥	١٥	يسكنه فيه	يسكنه
٥٠٦	٧	هاكوس	ثيساكوس
	٢٠	منلد	منلد
٥١٠	٦	الت	التي
	١١	الاجباس	الاجناس
٥١٦	٢٣	من الفرات	الفرات
٥٢٠	١٠	عندما	وعندما
٥٢١	١٥	بين	بين
٥٢٣	٨	ربما	ربما
٥٢٦	٥	كالينيكن	كالينيكنوس
٥٢٧	٧	القائد	القائد
٥٢٨	٤	كالينيكو	كالينيك
٥٢٩	١٣	بالانتقال	بالانتقال
٥٣١	٢٠/١٨	ابن الطبري	ابن العربي
	٢٤	مطر	مضر
٥٣٢	٤	جرال	جران
	٧	مالكه	مسالكه
	٢٥	يقيم	يقيم
٥٣٥	١٠	بقيض	بقيض
	١٧	ديسا	اديسا
	٢٤	بثأرا	بثأره
٥٣٦	(السطر الاول يحذف)		
		ورجيا	ورجما

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
٥٣٧	١	سمير وحفرت عنده وحفرت عنده سمير	
٥٣٨	١	فقدو نوبوليس	مقدرو نوبوليس
	٧	دير من كفرا	دير كفرا
	١١	٩١ - ٢ - ٤	٤٩١
	١٥	اموسوم	الموسوم
٥٣٩	٣	سلوس	سلوقس
	٥	السوري	السرياني
	٢٣	الفرات ، مكانا	الفرات يذكر مكانا
٥٤٠	١٩	ديو كليشيان	دقليانس
٥٤٢	٨	الافسوس	الافسوسي
٥٤٤	٦	الخاير	الخابور
	٢٤	ام	امر
٥٥٤	١٤	ققد	فقد
٥٦٢	٢٤	(هيت غيرها	هيت وغيرها
٥٦٣	٣	ويجعلها	ويجعلها
٥٦٨	٤	ويعود	تمود
٥٧٩	١٨	وعنما	وعندما
	١٩	حوت	حيث
٥٨٠	٩	اباريون	اباريون
٥٨٤	١٧	كايتالي	كايتاني
٥٨٨	٧	يقو	يقول
٦٠٤	١٠	جهيان	جيهان

ووردت « تباكوس » خطأ والصحيح « تيساكوس » (٢٢٠ - ٢١ ؛ ٢٢١ - ٢٠ ، ٣٢٧ - ١٦ ؛ ٥٠٩ - ٧) .

ووردت « ستياس » خطأ والصحيح « سيتاس » (٣٣٥ - ٢٢ ؛ ٣٣٧ - ٣١ ؛ ٣٣٨ - ١٤ ، ٤١٤ - ٢٤) .

